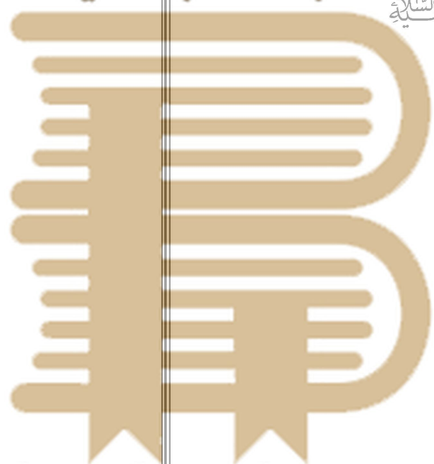




مجموعة مقالات المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام

بمناسبة إقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام

مجموعة
مقالات المؤتمر العالمي
للإمام السجّاد عليه السلام



مجموعة من الباحثين

سرشناسه: همایش بین المللی امام سجاد علیه‌السلام(۱۳۹۴: تهران)
عنوان و نام‌پدیدآورنده: مجموعهٔ مقالات الموتمر العالمی للامام السجاد علیه‌السلام/ مولف مجموعهٔ مـن البـاحثین؛ برگـزار کننـده مجمع جهانی اهل بیت(ع).
مشخصات نشر: تهران : مجمع جهانی اهل بیت علیهم السلام ، ۱۴۳۶ق= ۱۳۹۴.
مشخصات ظاهری:۸۲۷ص.
شابک : ۸ ـ ۸۵۰ ـ ۵۲۹ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸
وضعیت فهرستنویسی: فیپا
یادداشت: مجموعه مقالات همایش زبان‌های عربی، اردو و انگلیسی در این اثر منتشر شده است.
موضوع: علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق. -- کنگره‌ها
موضوع: علی‌بن حسین (ع)، امام چهارم، ۳۸ - ۹۴ق. -- مقاله‌ها و خطابه‌ها
شناسه افزوده: مجمع جهانی اهل‌بیت علیهم‌السلام
رده بندی کنگره: ۱۳۹۴ ۳۰۴۳م ۸هـ / BP ۴۳/۳
رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۴



مجموعة مقالات المؤتمر العالمي للإمام السجاد عليه السلام
المؤلّف : مجموعة من الباحثين
الموضوع: التاريخ والحديث
التصحيح والمراجعة: محمّد الساعدي
التصحيح والاخراج الفني: قاسم البغدادي
تصميم الغلاف: جواد الجعفري
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الطبعة: الأولى
المطبعة: مجاب
الكمية: ۱۰۰۰
تاريخ النشر: ١٤٣٦ هـ . ش
ردمك: ٨ـ ٨٥٠ ـ ٥٢٩ـ٩٦٤ـ٩٨٧ : **ISBN**

العنوان: قم، شارع جمهوري اسلامي، رأس الفرع ٦، الهاتف: ٣٢١٣١٢٢١ـ ٠٢٥
طهران ، شارع كشاورز، مقابل منتزه لاله، رقم ٢٢٨، تلفن: ٨٨٩٧٠١٧١ ـ ٠٢١
www.ahl-ul-bayt.org www.abwacd.com
info@ahl-ul-bayt.org www.abna.ir

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إنّما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهّركم تطهيراً

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إنّي تارك فيكم الثقلين
أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود
من السّماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما
لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)
سنن الترمذي ٥: ٣٢٩ / ح ٨٣٧٦
المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨.
فضائل الصحابة للنسائي: ١٥ (باب فضائل عليّ عليه السلام)
المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

الفهرس الإجمالي

المقالات باللغة الأوردية

المقالات باللغة الانجليزية

مقدمة المجمع

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والاستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة. «فإنّ الناس لوعلموا محاسن كلامنا لاتّبعونا». أنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وبجهاد وجهو د الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني قدس سره إلى إقامة نظام الجمهو رية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصّة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وليد هذا التغيير المبارك في الجمهو رية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي(مُدّ ظلّه الوارف) في عام ١٩٩٠م. واضطلع حتّى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

إنّ المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام وفي سياق نهو ضها برسالتها من أجل الارتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، وأيضاً قامت بعقد المؤتمر الدولي للإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام.

وهنا أرى لِزاماً علي أنّ أقدّم شكري للجهو د المتواصلة التي بذلها الأمين العام

للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام سماحة الشيخ محمّدحسن الأختري(دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمي للإمام السجّاد عليه السلام، وسماحة الشيخ محمّد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمّدهادي اليوسفي الغروي، السيّد محمّدرضا الحسيني الجلالي، السيّد محسن الحسيني الأميني، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميدرضا المطهّري، الشيخ رمضان المحمّدي، السيّد محمّدرضا آل أيوب، الشيخ محسن رنجبر والشيخ عبّاس الجعفري مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمي للإمام السجّاد عليه السلام.

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين: سماحة آية الله المرحوم الشيخ محمّدمهدي الآصفي، الشيخ قيس بهجت العطّار، السيّد راضي الحسيني، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدي، السيّد محمّد المروّج، عبدالكريم الكرماني، محمدعلي معينيان، محمّدجواد الخرسندي، حسين الصمدي، حسين الصالحي، قاسم البغدادي، جواد الجعفري، برويز الكاظمي، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة وإعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أنّ يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت عليهم السلام.

نجف لك زايي

معاون الشؤون الثقافية

أهل البيت عليهم السلام مفخرة الانتماء وضمانة التقريب(*)

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم مُحَمّد وعلى آله الأطيبين الأطهرين، وصحبه المنتجبين، سيما بقية الله في الأرضين.

إنّ العالم الإسلامي اليوم بحاجة ماسّة لرسالة أهل البيت عليهم السلام. قضية أتباع أهل البيت، ومجمع أهل البيت، ونداء أهل البيت في المجتمعات الشّيعية ليس نداءً لبثّ الفرقة والاختلاف، خلافاً لما يظنّه بعض ضيّقي الأُفق من ناحية، وبعض المغرضين من ناحية أُخرى، ويكرّرونه دائماً عبر أبواقهم الإعلامية. ليست القضية قضية نفيٍ بقدرِ ما هي قضية إثبات، ففي مدرسة أهل البيت عليهم السلام حقائق وأُمور يحتاجها العالم الإسلامي اليوم ولا يمكن أنْ يستغني عنها.

لو اطّلع النّاس على الصّحيفة السّجادية المباركة ـ والتي حصل الاهتمام بها في هذا المؤتمر لتوقيته بولادة الإمام السّجاد عليه السلام ـ لوجدوا فيها خلاصة وعصارة أفكار أهل البيت عليهم السلام. تمور في هذه الصّحيفة المباركة معاني الإيمان العميق،

(*) خطاب ألقاه قائد الأُمّة الإسلامية الإمام الخامنئي دام ظله لدى استقباله لأعضاء الجمعية العامّة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام بتاريخ: ٥ /شعبان/ ١٤٢٨هـ وقد آثر المجمع أن يصدّر به مجموعة المقالات المقدّمة إلى المؤتمر العالمي للإمام السجّاد عليه السلام.

والعرفان البيّن الخالي من أيّ غموض، والإقبال التامّ على مبدأ العظمة والمعبود والذّات الإلهية المقدّسة، والاهتمام بأُمور النّاس والمسلمين (جميع الأُمور التي تربتط بالأفراد وحداناً وجماعات)، والاهتمام بالمفاخر الإسلامية ومكتسبات صدر الإسلام. إنّه كتاب حياة عرفانية وعقلانية وإلهية؛ إنّه مجموعةٌ من كُلِّ هذه العناصر. ولا ننسى من جهة أُخرى البحر الموّاج لأحاديث أهل البيتعليهم السلام التي يكون العالم الإسلامي في أشدّ الحاجة إليها، خصوصاً في وقتنا الحاضر.

إذا كُنّا نجتمع حول محور الاسم المبارك لأهل البيتعليهم السلام، فليس ذلك لأجل أنْ نُقيم سوراً حول أنفسنا بفصلنا عن باقي المسلمين، بل على العكس من ذلك، من أجل أنْ نفتح آفاقاً جديدةً أمام أنظار المفكّرين الإسلاميّين، نُريد أنْ نفتح نوافذ جديدة ليروا من خلالها حقائق جديدةً.

هذه هي رسالتنا، وهذه هي مسؤوليتنا..

على أتباع أهل البيتعليهم السلام بالدّرجة الأُولى أنْ يعترفوا أنفسهم بهذه الهوية السّامية، عليهم أنْ يعرفوا قدر هذه الجوهرة الثّمينة التي في أيديهم؛ حتّى يستطيعوا بعد ذلك عرضها على الآخرين، وتتوفّر لديهم الجرأة على تقديمها في سوق الأمتعة المختلفة وعرضها أمام أنظار النّاس.

هذه هي رسالة مجمع أهل البيتعليهم السلام: الشّعور بالاعتزاز والفخر بهوية اتّباع أهل البيت. نحن نفخر بأنّنا نعرف هؤلاء العظماء، ونشكر الله لأنّنا لم نبقَ غافلين عن مراتب أهل بيت النّبوّةعليهم السلام، لقد هدانا الله وفهّمنا وعرّفنا، فعلينا أنْ نشعر بأنّه علينا عرض هذه الحقائق على أنظار النّاس في العالم، كما كان الأئمّة يفعلون، لا بضيق أُفق، ولا بنزعة عدوانية، ولا بخلط هذه الجواهر بالخرافات والأفكار الدّنيئة. وهذا يعتبر أحدٌ وظائفنا في هذا الوقت بالذّات. وهو ما تقع مهمّته أوّلاً وبالذّات على عاتق العلماء والنّخب، وليس من الأُمور التي يمكن أنْ يضطلع بها

أيّ شخص كان.

ورد في الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام الحثّ على تعريف النّاس بمحاسن كلامهم، التي لو شاهدها النّاس كما هي لانجذبوا إليها تلقائياً[(١)].

ثمّة مؤامرة عميقة وخطيرة جدّاً لزرع فتيل الخلاف بين الفرق الإسلامية، يثيرون في العالم اليوم قضية الشيعة والسّنة، بيد أنّ إيجاد هذا الاختلاف لا يختصّ بالشيعة والسّنة، إنّما يريدون لباقي الفرق الإسلامية ـ في داخل الشيعة والسّنة، الفرق الأُصولية والكلامية، أنْ تقف في مواجهة بعضها البعض، ويمسك بعضها بتلابيب بعض، ويهتف بعضها بالويل والثّبور ضدّ بعض. وهذه ليست مؤامرة جديدة؛ إنّ العدوّ وخصوصاً الإنجليز متبحّرون في هذه الممارسة، ولديهم خبرة طويلة في هذا المجال، فقد عملوا ولسنوات متمادية في هذا الميدان، عملوا لعشرات السّنين، بل بمعنى من المعاني لمئات السّنين. أجادوا الأداء، وعرفوا نقاط الضّعف، ووضعوا اليد عليها لزرع الخلافات وتمزيق الأُمّة. وهم يعملون الآن عملاً مكثّفاً، ولكنّ المنطقة لم تعد حكراً على الإنجليز فحسب، بل هناك الأجهزة الاستخباراتية والأمنية الإسرائيلية والأمريكية وغيرها، كُلّ هؤلاء يعملون لتعميق هذه الخلافات وترسيخها. وذلك عن طريق اختلاق الإشاعات هنا وهناك، فيتحدّثون مع المسؤول الفلاني في بلد سُنّيّ بطريقة تشعره أنّ التّشيّع خطرٌ يهدده، ويتحدّثون مع المجمتع الشّيعي بطريقةٍ تشعرهم أنّ أهل السّنة خطرٌ يهدّد الشيعة ويروم القضاء على وجودهم وهويّتهم.

هذه هي مهمّتهم.. ولهذه الحالة سوابقها في التّاريخ، فيجب الاطّلاع عليها ومعرفتها.

---

(١) ورد عن مولانا الرّضا عليه السلام: «**فإنّ النّاس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا**»، انظر: الشّيخ الصّدوق، مُحَمّد بن عليّ بن بابويه، عيون أخبار الرّضا ٢: ٢٧٥، تصحيح وتعليق وتقديم: الشّيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسّسة الأعلمي ١٤٠٤ هـ، بيروت.

من قضاياهم المهمّة مبدأ «**زرع الخلافات والهواجس**»؛ حتّى لا يتّحد المسلمون، ولكي لا ينشأ من هذا الاتّحاد كيانٌ عظيمٌ يبثّ طيفه الرّعشة في قلوب المستكبرين الطّامعين. إنّه كيان الأُمّة الإسلامية الواحدة. فلو تشكّلت الأُمّة الإسلامية بالمعنى الحقيقي لكلمة الأُمّة، سيخاف المستعمرون والطّامعون والّذين أرادوا امتصاص هذه المنطقة واستغلالها أشدّ الخوف. إنّهم يسعون لعدم حدوث مثل هذا الأمر..

لمبدأ «زرع الخلافات» حافزٌ آخر يضاف إلَى الحافز السّابق بعد نهضة الشّعب الإيراني وارتفاع راية الثّورة الإسلامية في هذا البلد، وهو خوفهم من تسرّب أفكار الإسلام الأصيل، إسلام الجهاد، إسلام الاستقلال، إسلام العزّة والهوية، الإسلام الّذي يعدّ هيمنة الأجانب والأعداء على الأُمّة الإسلامية ذنباً لا يمكن السّكوت عنه بأيّ حالٍ من الأحوال.

فهذا الإسلام الأصيل لو تسرّب من إيران إلَى سائر المجتمعات الإسلامية سيؤدّي إلَى مفاقمة المشكلة عليهم أضعافاً مضاعفةً. ومن هنا كان سعيهم الكؤود لبثّ الخلافات والفرقة بين الجمهورية الإسلامية والبلدان الأُخرى في العالم.

يعلمون تمام المعرفة أنّ الأفكار التي توقظ الشّعب المستعمَر، وتأتي به إلَى السّاحة، وتحضّه على الخوض في ميدان العمل والجهاد، وتزيل عنه هاجس الخوف، وتدفع به إلَى قلب ميدان الكفاح الدّولي العظيم، وتحقّق له النّصر في كافّة المراحل والأدوار، يعلمون جيداً أنّ هذه الأفكار خطيرةٌ جداً على النّاهبين لثروات الشّعوب، ومن تراوده أحلامه في منطقة الشّرق الأوسط لنهب نفطها وسائر خيراتها.

لقد سعوا سعيهم، وكادوا كيدهم، ولكنّهم ـ بحمد الله ـ لم يوفّقوا إلَى الآن. لقد انتشرت أفكار الثّورة الإسلامية لحدّ الآن في كُلّ مكانٍ من العالم الإسلامي

على الرّغم من إرادتهم، مع كُلّ مساعيهم التّشويهية ودعاياتهم المسمومة.

نعم، لولا هذه المساعي والدّعايات لكان الأمر على غير ما هو عليه الآن؛ لذلك يبثّون دعاياتهم بشكلٍ مكثّف ضدّ النّظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية. وللغرض نفسه تبثّ الدّعاياتِ التّشويهية ضدّ التّشيّع أيضاً.

على الجماعة التي تُريد أنْ تعمل في وسط السّاحة بوصفها تمثّل خطّ أهل البيتعليهم السلام أنْ تتنبّه إِلَى مثل هذه الأُمور، وتضع أولوياتها في ضوء هذه الحقائق.

أيُها الإخوة والأَخوات! لقد أخذتم على عاتقكم مهمّةً كبيرةً، وقد وضع المجمع العالمي لأهل البيتعليهم السلام لنفسه واجبات كبيرة. وهنا أُقول لكم: إنّ عقد المؤتمرات هنا وهناك، وما يشابه ذلك.. كُلّها أعمالٌ صغيرةٌ. وإنّ مهمّتكم الأساسية هي ما يجب أنْ يتحقّق في ثنايا هذه الأعمال الشّكلية، ألا وهي تعريف مدرسة أهل البيتعليهم السلام للعالم الإسلامي، بل للعالم بأسره؛ لأنّ العالم كُلّه اليوم متعطّشٌ للأُمور الرّوحانية والمعنوية، وهذه الرّوحانية موجودةٌ في الإسلام المتبلور في مدرسة أهل البيتعليهم السلام. روحانية من دون عزلة، من دون انفصال عن الحياة، روحانية تواكب السّياسة، عرفانٌ مع نشاط اجتماعيٍّ، تضرّعٌ وبكاءٌ في حضرة الله تعالى مع جهادٍ في سبيله. هذه الأُمور مجتمعةً تتوفّر في المدرسة الإسلامية، وتتجسّد وتتبلور في تعاليم التّشيّع ومعارفه، وقد شاهدنا نماذجها الحية سابقاً، وفي التّاريخ المعاصر في إيران الإسلام بوفرة.

نحن على يقينٍ بأنّ النّصر سيكون حليفنا وحليف الحقّ في هذه المعركة الدّائرة رحاها بين الحقّ والباطل، هذه المعركة هي: بين الإسلام والمعارف الإسلامية والصّحوة الإسلامية من جهة، والأطماع الاستكبارية لسياسات شياطين العالم وعلى رأسهم الشّيطان الأكبر الحكومة الأمريكية من جهة ثانية. كُلّ القرائن تدلّ على أنّ النّصر حليف الحقّ، وهذا من السّنن الإلهية، الّتي لا يكون

فيها معنى لغير هذا.

إنّ الجماعة المناصرة للحقّ إذا صمدت وعملت بما عليها فستنتصر على الباطل دون أدنى شكّ، وإنّ السّنن الإلهية تسير لصالح تعضيد الحقّ. وقد شاهدنا ذلك من خلال التّجربة والواقع.

لو قُورنت الأنشطة والتّحركّات الإسلامية في العالم اليوم بما كانت عليه قبل عشرين عاماً للاحظنا أنّها تصاعدت وتعزّزت وتطوّرت أضعافاً مضاعفة، خصوصاً إذا نظرتم إِلَى الجمهورية الإسلامية؛ لوجدتم أنّها تطوّرت تطوّراً مذهلاً على كافّة الأصعدة.

فعلى الصّعيد العلمي، وعلى الصّعيد التّقني، والسّياسي، والإداري، اكتسبت الجمهورية الإسلامية كفاءةً أكبر، وقوّةً أعظم.

وعلى مستوى العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا، وحتّى البلدان التي يُشكّل فيها المسلمون الأقلية، يلاحظ أنّ الشّعور بالهوية الإسلامية الدّينية قد بدأ يتعزّز يوماً بعد يوم.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى ضعفت أمريكا اليوم كثيراً عمّا كانت عليه قبل عشرين عاماً، لم يعد لها اليوم هيبتها وقدرتها التي كانت تتمتّع بها سابقاً. وقد كابدت هزائم متعدّدة زادت من ضعفها يوماً بعد يوم، ووقعت في ورطات راحت تغوص فيه أكثر فأكثر، وبدأت معالم المستقبل الخطير الذي يحدق بها وبمن يسير في فلكها.

هذه هي تجربتنا، وهذه هي نظرتنا، وهذا هو الواقع الّذي أمامنا، ولكن ينبغي مع ذلك عدم الغرور بهذا الواقع والاتّكال عليه.

ينبغي الالتفات إِلَى أنّ الرّحمة الإلهية والمدد الإلهي منوطان بحركة الإنسان المؤمن، وسعيه الدّؤوب، وعمله الصّالح.

يجب أنْ نتواجد في السّاحة، ولا ننسى الشّعور بالواجب والمسؤولية والجهاد.. الجهاد في الميادين المختلفة هو واجبنا وضمانة تقدّمنا وانتصارنا..

ثمّة جهاد حتّى في السّاحة السّياسية، وهناك جهادٌ في الميدان الثّقافي، وفي المضمار الإعلامي، وفي الصّعد الاجتماعية. فليس الجهاد مجرّد حركةٍ عسكرية، بل نرى أنّ شتّى مستويات الحياة البشرية هي سوحُ جهادية.

أينما كُنتم في العالم، يجب أنْ تتمتّن الأواصر بينكم يوماً بعد يوم، وينبغي أنْ تتظافر الجهود والأعمال، ولتتبيّن الأولويات، ولتنفق الطّاقات على هذه الأولويات قبل سواها..

ولا شكّ في أنّ الأُفق المستقبلي لمجتمع المسلمين عموماً، ولأتباع أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، سيكون أفضل من حاضرهم، وسيتمّ الاقتراب من الغايات السّامية أكثر إنْ شاء الله.

وفي الختام، نتمنّى أنْ يشمل الفضل الإلهي كافّة الإخوة والأخوات، وأنْ يعرّفنا الله تعالى واجباتنا، ويوفّقنا لأدائها، ويرُضي عنّا القلب المقدّس لسيّدنا ومولانا بقية الله (أرواحنا فداه)، ويُرضي عنّا كذلك الرّوح الطّاهرة لإمامنا الرّاحل ـ والّذي فتح أمامنا هذا الطّريق ـ وأرواح الشّهداء الطّيّبة.

* * *

(من كتاب إنسان بعمر ٢٥٠ سنة) قائد الثورة الإسلامية السيّد علي الخامنئي(دام ظلّه)

الظروف الاجتماعية والسياسية

إنّ الحديث عن الإمام السجّاد عليه السلام وكتابة سيرته عمل صعب؛ لأنّ أساس تعرّف الناس إلى هذا الإمام تمّ في أجواء غير مساعدة إطلاقاً. ففي ذهن أغلب كتّاب السيرة والمحلّلين أنّ هذا الإنسان العظيم قد انزوى للعبادة ولم يكن له أي تدخّل في السياسة. حتّى أنّ بعض المؤرّخين وكتّاب السيرة ذكروا هذه المسألة بشكل صريح. أمّا الذين لم يقولوا هذا الأمر بصراحة فإنّ مفهوم مهم عن حياة الإمام السجّاد عليه السلام ليس سوى هذا الأمر. وهذا المعنى موجود في الألقاب التي تُنسب إليه والتعابير التي يطلقها الناس عليه، حيث يطلق عليه بعض الناس لقب "المريض"، في حين أنّ مرضه لم يستغرق أكثر من عدّة أيّام في واقعة عاشوراء. ومن الطبيعيّ أنّ كلّ إنسان يمرض في حياته عدّة أيّام، وإن كان مرض الإمام للمصلحة الإلهية حتّى لا يُكلّف هذا العظيم بالدفاع والجهاد في سبيل الله في تلك الأيّام، ليستطيع في المستقبل أنّ يحمل الحمل الثقيل للأمانة والإمامة على عاتقه، ويبقى حيّاً بعد والده لمدّة ٣٥ أو ٣٤ سنة، تُعدّ أصعب مراحل عصور الإمامة عند الشيعة.

أنتم عندما تنظرون إلى ماضي حياة الإمام السجّاد عليه السلام سوف تجدون

حوادث متنوّعة ولافتة جدّاً، كما حدث لبقيّة أئمّتنا، وربّما إذا جمعنا سير الأئمّة معاً فلن نجد مثل سيرة السجّاد عليه السلام .

إنّ سيرة كلّ إنسان بالمعنى الواقعيّ للكلمة تتّضح عندما نعرف التوجّه العامّ الذي سار عليه، ومن بعدها نقوم بملاحظة الحوادث الجزئية في حياته. فإذا عُرف التوجّه العامّ، فإنّ الحوادث الجزئية سوف تصبح ذات معنى، أمّا إذا لم يُعرف ذلك التوجّه أو فُهم خطأً، فإنّ تلك الحوادث الجزئية سوف تصبح دون معنى أو بمعنى خاطئ. وهذا لا يختصّ بالإمام السجّاد عليه السلام أو باقي أئمّتنا عليهم السلام فقط، بل أنّ هذا يصدق وينطبق على سير الجميع.

مثلاً: في خصوص الإمام السجّاد عليه السلام نجد أنّ رسالته إلى محمّد بن شهاب الزهريّ تُعتبر نموذجاً لأحد الحوادث في حياته. فلوأخذنا هذه الحادثة بنفسها، وبمعزل عن بقية الحوادث في تلك المرحلة، لا يمكن أنّ نفهم شيئاً. فقد تُفهم هذه الرسالة على أنّها من أحد الذين ينتسبون إلى آل الرسول صلى الله عليه وآله لأحد العلماء المعروفين في ذلك الزمان، في هذا المجال توجد عدّة آراء: هذه الرسالة يمكن أنّ تكون جزءاً من جهاد واسع وأساس، ويمكن أنّ تكون نهياً بسيطاً عن منكر، ويمكن أنّ تكون اعتراضَ شخصيّة على شخصية أخرى كالاعتراضات التي تُشاهد كثيراً على طول التاريخ بين شخصيّتين أو عدّة أشخاص. ولا يمكن فهم شيءٍ من هذه القضيّة بشكلٍ تلقائيّ وبمعزل عن بقية أحداث تلك المرحلة. والهدف من هذه المسألة هو أنّنا إذا التفتنا إلى الحوادث الجزئية وقطعنا النظر عن التوجّه العامّ في حياة الإمام فلن تُفهم سيرته، لذلك لا بدّ من أنّ نعرف التوجّه العامّ في سيرته.

إنّ بحثنا الأوّل هو حول التوجّه العام للإمام السجّاد عليه السلام في الحياة ونقرنه

بكلماته، وأيضاً بالمفهو م العامّ لحياة الأئمّة ثمّ نوضحه.

نحن نشاهد بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ، الذي وقع في السنة الأربعين للهجرة، أنّ أهل البيت لم يلتزموا البقاء داخل البيت والاقتصار على بيان الأحكام الإلهية كما يفهمونها فقط، بل نجد منذ أوّل أيّام الصلح أنّ برنامج كلّ الأئمّة كان يقوم على تهيئة المقدّمات لإقامة الحكومة الإسلامية بحسب النهج الذي يرونه. وهذا ما نلاحظه بوضوح في حياة الإمام المجتبى عليه السلام وكلماته.

من هذه الجّهة كان عمل الإمام الحسن عليه السلام عملاً عميقاً جدّاً وتأسيسيّاً. لقد عاش الإمام الحسن عليه السلام مع كلّ تلك التحوّلات عشر سنوات، اجتمع حوله، في هذه المدّة، أفراد تربّوا على يديه. توزّع قسم منهم في كلّ زاوية لمواجهة نظام معاوية وإضعافه بشهادتهم واعتراضاتهم وصرخاتهم.

وفيما بعد وصل الدور إلى الإمام الحسين عليه السلام . وهذا العظيم تابع ذلك المنهج نفسه في المدينة ومكّة ومناطق أخرى حتّى هلك معاوية وجرت واقعة كربلاء. وإن كانت واقعة كربلاء ثورة مفيدة جدّاً ومربّية لمستقبل الإسلام، لكنّ ذاك الهدف الذي كان الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام يسعيان لأجله، تأخّر بسبب ذلك؛ لأنّ الناس أصبحوا مرعوبين خائفين، وجرت تصفية الأتباع المقرّبين للإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، وتسلّط الأعداء، ووقع ذلك الحادث بشكلٍ طبيعيّ. لولم تحدث نهضة الإمام الحسين عليه السلام بهذا الشكل، فيبدو أنّه فيما بعده وفي المستقبل القريب كان هناك مجالٌ للتحرّك ينتهي إلى تسليم الحكومة للشيعة.

ولا يعني هذا الكلام عدم وجوب نهو ض الإمام الحسين عليه السلام ، بل أنّ الظروف التي كانت في هذه الثورة كانت تفرض أنّ تحدث في ذلك الوقت ولا

شكّ في ذلك أبداً. لكن لولم تكن تلك الظروف، ولولم يستشهد الإمام الحسين عليه السلام في تلك الواقعة، فالاحتمال الأكبر أنّ المستقبل الذي تطلّع إليه الإمام الحسن عليه السلام كان سيتحقّق بسرعة.

لقد كان الأئمّة وراء هذا الخطّ وهذا الهدف، وكانوا يسعون دائماً لأجل تشكيل الحكومة الإسلامية. عندما استشهد الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء، وأسر الإمام السجّاد عليه السلام ـ وهو في تلك الحالة من المرض ـ بدأت في الحقيقة منذ تلك اللحظة مسؤولية الإمام السجّاد عليه السلام . ولوقُدّر في ذلك التاريخ أنّ ينجح الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام في تأمين ذلك المستقبل لقام الإمام السجّاد عليه السلام في ذلك الوقت بالتحديد بهذا الأمر ومن بعده، سائر الأئمّة عليهم السلام.

بناءً على هذا، ينبغي أنّ نبحث في مجمل حياة الإمام السجّاد عليه السلام عن هذا الهدف الكلّي والمنهج الأصلي، وأن نعرف دون شك أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كان يسعى لأجل تحقيق ذلك الهدف الذي كان يسعى لأجله الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام.

كان الإمام السجّاد عليه السلام ، في الفترة ما بين تسلّمه للإمامة منذ عاشوراء ٦١ هـ واستشهاده مسموماً عام ٩٤ هـ، يتابع مسؤولية تحقّق ذلك الهدف. لذلك ينبغي أنّ نفسّر جزئيات عمل الإمام والمراحل التي مرّ بها والأساليب التي استعملها، والتوفيقات التي حصلت، وكلّ الأمور التي بيّنها، وكلّ التحرّكات التي قام بها، والأدعية والمناجاة التي جمعت في الصحيفة السجّادية... كلّ هذا ينبغي أنّ يفسّر بالنظر إلى الخطّ العامّ.

ومن المواقف التي اتّخذها طوال مدّة الإمامة:

١ـ موقفه مقابل عبيد الله بن زياد ويزيد، الذي تميّز بالبطولة والشجاعة والفداء.

٢ـ موقفه من «مسرف بن عقبة» الذي تميّز بالهدوء، هذا الرجل الذي قام بتدمير المدينة واستباح أموالها بأمر من يزيد في السنة الثالثة من حكمه.

٣ ـ حركة الإمام مقابل عبد الملك بن مروان، أقوى خلفاء بني أميّة وأمكرهم، حيث تميّز موقفه بالشدّة حيناً والاعتدال حيناً آخر.

٤ـ تعامل الإمام عليه السلام مع عمر بن عبد العزيز.

٥ـ تعامل الإمام مع أصحابه وأتباعه، ووصاياه لأصحابه.

٦ـ موقف الإمام من وعّاظ السلاطين وأعوان الظلمة.

كلّ هذه المواقف والتحرّكات ينبغي أنّ تُدرس بدقّة. ووفق تصوّري أرى أنّه بالالتفات إلى النهج العام، فإنّ كلّ هذه الجزئيات والحوادث سوف تكتسب بعض معانٍ مناسبة وواضحة. وسوف نجد عندها أنّ هذا الإنسان العظيم قد قضى كلّ حياته وسعيه في طريق الهدف المقدّس، وهو عبارة عن إقامة حكومة الله على الأرض وتطبيق الإسلام، وقد استفاد من أنضج وأفضل الوسائل، وتقدّم بالقافلة الإسلامية، التي كانت بعد واقعة عاشوراء في تشرذم وتفرّق مهو ل، وأنجز مهمّته العظمى ومسؤوليته الأصيلة (التي سوف نشير إليها بالتفصيل لاحقاً)، والتي قام بها كلّ أئمّتنا وجميع الأنبياء والصالحين، مراعياً أصول السياسة والشجاعة والدقّة في الأعمال. وبعد ٣٥ سنة من الجهاد المستمرّ، الذي لم يعرف الراحة أبداً، رحل عن الدنيا كريماً مرفوع الرأس موكّلاً حمل ثقل الرسالة من بعده إلى الإمام الباقر عليه السلام .

إنّ انتقال الإمامة إلى الإمام الباقر عليه السلام ، وهي تحمل مهمّة إقامة حكومة الله على الأرض، تظهر بصورة واضحة في الروايات. ففي رواية، نجد أنّ الإمام السجّاد عليه السلام يجمع أبناءه مشيراً إلى محمّد بن علي الباقر عليه السلام ويقول: «... **احمل هذا الصندوق وخذ هذا السلاح وهذه الأمانة بيدك**»، وحينما فتح الصندوق كان

فيه القرآن والكتاب[١].

لعلّ ذلك السلاح يرمز إلى القيادة الثوريّة، وذلك الكتاب يرمز إلى الفكر والعقيدة الإسلامية، وقد أودعهما الإمام السجّادعليه السلام الإمام الذي سيأتي من بعده مودّعاً الدنيا، راحلاً إلى جوار الرحمة الإلهية بنفس مطمئنّة ووجدان هادئ ورأس مرفوع. كانت هذه هي الصورة العامّة لحياة الإمام السجّادعليه السلام .

ولكن إذا أردنا أنّ ندرس تفاصيل الأحداث، علينا أوّلاً أنّ نمهّد لها بالوضع السابق لها، إذ يوجد في حياة الإمام السجّاد فصل قصير ومحدّد نذكره أوّلاً، ثمّ نقوم بعدها بشرح المسير العادي لحياة الإمام وتفصيل الأوضاع وأحوال الزمان والظروف التي كانت سائدة. [مجلّة باسدار اسلام، ٦].

لقد بدأت حياة الإمام السجّاد بمرحلة مليئة بالصعاب، حيث جرت حادثة كربلاء، التي لم تهزّ كيان الشيعة فقط، وإنّما هزّت الأمّة الإسلامية بأجمعها. ومع أنّ القتل والأسر والتعذيب كان شائعاً آنذاك، لكنّ قتل أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وأسر العائلة النبويّة ووضع رؤوس آل محمّد صلى الله عليه وآله على الرماح والاستهانة بمن كان الرسول صلى الله عليه وآله يقبّل ثناياه، كلّ هذا قد زلزل العالم الإسلامي وصعقه. فلم يكن أحد يتوقّع أنّ الأمر سوف يصل إلى هذه المرحلة. ولا أدري مدى صحّة الشعر المنسوب إلى السيّدة زينبعليها السلام : «**ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدّراً مكتوباً**»[٢]، فقد كان يشير إلى هذه النقطة، وهي استنتاج جميع الناس.

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٠٠. عن الإمام الباقرعليه السلام قال: «لمّا حضرت علي بن الحسين الوفاة قبل ذلك أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده فقال: يا محمّد، احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، قال: فلمّا توفّي جاء إخوته يدّعون في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال: والله، ما لكم فيه شيء، ولوكان لكم فيه شيء ما دفعه إليّ، وكان في الصندوق سلاح رسول الله وكتبه صلى الله عليه وآله».

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١١٥.

ففجأةً انتشر الشعور بأنّ السياسة أضحت سياسة مختلفة، والتشديد الذي كان يشعر به الجميع أصبح أشدّ فاعلية. فهذا البيت يشير بلا شكّ إلى أنّ هذا الحدث كان غير متوقّع آنذاك. فلهذا أخذ الهو ل والفزع ينتاب الأمّة الإسلامية حيث شاهدت ورأت ما لم تكن تتوقّعه من التنكيل والتعذيب.

لذا انتشر الخوف في كافّة المناطق الإسلامية إلا الكوفة، وهذا بفضل التوّابين والمختار وثورتهم. أمّا المدينة وحتّى مكّة المكرّمة مع وجود عبد الله بن الزبير، والذي ثار بعد مدّة، فقد عاشت حالة الرعب غير المسبوق في العالم الإسلامي، بسبب حادثة كربلاء المفجعة. والعامل الآخر هو الفساد السياسيّ.

فما ذكرنا كان وضع كبار الشخصيات الذين تشبّثوا بفضلات الحياة المادّية لرجال الحكومة آنذاك. وأمثال هؤلاء محمّد بن شهاب الزهري، فهذه الشخصية كانت تُعتبر من الكبار ومن تلامذة الإمام السجّاد عليه السلام ، والإمام عليه السلام استطاع أنّ يفضح حقيقة هؤلاء من خلال رسالة كتبها لتكون حجّة للتاريخ وتبيّن العلائق المادّية التي كانوا يتمسّكون بها.

وهناك الكثير من أمثال محمّد بن شهاب، حيث نقل العلّامة المجلسيّ عن ابن أبي الحديد ما يثير ويهزّ المشاعر. فقد نقل في البحار عن جابر: أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قال: «**ما ندري كيف نصنع بالناس، أنّ حدّثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ضحكوا**» (فإنّهم لا يكتفون بالرفض وإنما يضحكون استهزاءً)، «**وإن سكتنا لا يسعنا**»[1]. ومن ثمّ يذكر ابن أبي الحديد أسماء عدد من الشخصيات ورجال ذلك الزمان من الذين كانوا من أتباع أهل البيت عليهم السلام ثمّ انحرفوا فيما بعد.

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٥٩.

كان يجب أنّ يصلح دين الأمّة، وأن تُهذّب أخلاق الناس، وأن يُخلّص الشعب من الفساد الذي كان سائداً آنذاك، وأن تُوجّه الأمّة معنوياً كي يرجع أساس الدين إلى الأمّة والمجتمع.

لذا ترون أنّ أكثر الكلام المنقول عن الإمام السجّادعليه السلام هو في الزهد. وحتى في بداية كلامه وخطبه، التي كانت تتضمّن معنىً سياسيّاً، نجده يبدأها بالكلام حول الزهد، حيث يقولعليه السلام : «**إنّ علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين عنها في الآخرة...إلخ**»[1]. وفي كلام آخر يصف الدنيا قائلاً: «**أوَ لا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟ فليس لأنفسكم ثمن إلا الجنّة، ألا فلا تبيعوها بغيرها**»[2].

إنّ كلمات الإمامعليه السلام كلّها كانت تحمل بين طيّاتها الزهد والمعارف الإسلامية، وكان الإمام يطرح المعارف الإسلامية ويبيّنها من خلال الدعاء، وذلك لأنّ الظروف الصعبة والقمع الذي كان مسيطراً على الشعب لم يكن يسمح للإمام السجّادعليه السلام بأن يتكلّم ويطرح آراءه بصورة صريحة وواضحة، فليست السلطة وحدها كانت مانعة له، وإنّما الناس أنفسهم كانوا يرفضون هذا. كان المجتمع قد أصبح مجتمعاً ضائعاً وكان من الواجب إصلاحه.

كانت حياة الإمام السجّادعليه السلام من عام ٦١ هـ إلى ٩٥ هـ على ما ذكرنا. وكلّما كان يمضي الوقت كان الوضع يتحسّن، حتّى قال الإمام الصادقعليه السلام ، كما ذكرناه سابقاً: «**ارتدّ الناس بعد الحسين...**» إلى أنّ قال: «**ثمّ أنّ الناس لحقوا وكثروا**».

وفي زمن الإمام الباقرعليه السلام تحسّن الوضع عمّا كان عليه في زمن السجّادعليه السلام،

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٢٨.

(٢) تحف الحقول، ص ٣٩١.

وهذا بفضل سعي الإمام السجّاد خلال ٣٥ سنة.

يظنّ بعض الناس أنّ الإمام فيما لو أراد أنّ يقاوم نظام بني أميّة لكان ينبغي أنّ يرفع راية المقاومة العسكرية، أو أنّ يلتحق بالمختار، أوبعبد الله بن حنظلة، أو أنّ يقودهما معلناً بذلك المقاومة المسلّحة بكلّ وضوح. لكنّنا نفهم من خلال النظر إلى ظروف زمان الإمام السجّاد عليه السلام أنّ هذا ظنٌّ خاطئ، وذلك بالالتفات إلى هدف الأئمّة.

لو قام الأئمّة، ومن جملتهم الإمام السجّاد عليه السلام ، في تلك الظروف بمثل هذه التحرّكات العلنية والسلبية، فباليقين لما بقي للشيعة باقية، ولما بقيت الأرضية أو فسح المجال لاستمرار ونمو مدرسة أهل البيت ونظام الولاية والإمامة فيما بعد. لهذا نجد أنّ الإمام السجّاد عليه السلام في قضيّة المختار لم يعلن التعاون معه، وبرغم ما جاء في بعض الروايات عن ارتباط سريّ بينهما، إلا أنّه ودون شكّ، لم يكن ارتباطاً علنياً، حتّى قيل في بعضٍ الروايات: أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كان يذمّ المختار، ويبدو هذا الأمر طبيعياً جدّاً من ناحية التقيّة، وذلك حتّى لا يُشعر بوجود أيّ ارتباط بينهما، مع العلم بأنّ المختار فيما لو انتصر فإنّه بالتأكيد كان سيعطي الحكومة لأهل البيت عليهم السلام، ولكن في حال هزيمته، ومع وجود أدنى ارتباط واضح وعلنيّ، لكانت النقمة شملت وبشكل قطعيّ الإمام السجّاد عليه السلام وشيعة المدينة واجتثّت جذور التشيّع أيضاً. لأجل ذلك لم يُظهر الإمام عليه السلام أيّ نوع من الارتباط العلنيّ به.

ورد في رواية: أنّه عندما دخل مسلم بن عقبة إلى المدينة في واقعة الحرّة، لم يشكّ أحدٌ على الإطلاق في أنّ أوّل شخص سيقع ضحيّة نقمته هو علي بن الحسين عليه السلام ، لكنّ الإمام السجّاد عليه السلام بتدبيره الحكيم تصرّف بحيث دفع البلاء عنه، وبذلك حافظ على استمرار المحور الأصليّ للشيعة.

وهناك روايات في بعض الكتب ـ منها: بحار الأنوار ـ تحكي عن إظهار التذلّل من قبل السجّاد عليه السلام عند مسلم بن عقبة، ولكن هذه الروايات كاذبة قطعاً وذلك للأسباب التالية:

أوّلاً: لا تستند هذه الروايات إلى أيّ سندٍ صحيح.

ثانياً: توجد روايات أخرى تكذّبها وتدفعها من حيث المضمون.

ففي لقاء الإمام عليه السلام مع مسلم بن عقبة توجد روايات عديدة لا تنسجم أيّة واحدة منها مع الأخرى، ولأنّ بعض تلك الروايات ينطبق وينسجم أكثر مع نهج الأئمّة وسيرتهم، فنحن بصورة طبيعية نقبلها.

على كلّ حال، مع أنّنا لا نقبل تلك الروايات التي تتحدّث عن صدور مثل هذه الأفعال عن الإمام، ولكنّنا لا نشكّ أيضاً في أنّ الإمام لم يقابل مسلم بن عقبة بتصرّف معادٍ؛ لأنّ أيّ تصرّف من هذا القبيل سوف يؤدّي إلى قتل الإمام، وهذا سيؤدّي بدوره إلى خسارة عظيمة لا تُجبر بلحاظ الدور الذي ينبغي أنّ يقوم به الإمام السجّاد عليه السلام بالنسبة إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام وتبليغ حقيقتها. لهذا يبقى الإمام عليه السلام -وكما قرأنا في رواية الإمام الصادق عليه السلام -ويلحق الناس به شيئاً فشيئاً ويزداد عددهم. وفي ظلّ تلك الظروف الصعبة وغير المساعدة يبدأ عمل الإمام السجّاد عليه السلام .

في تلك الفترة ساد حكم عبد الملك -حيث أنّ معظم مدّة إمامة الإمام السجّاد البالغة ثلاثين سنة ونيّف كانت في ظلّ هذه الحكومة -وكان نظامه يقوم بالرّصد التام والمراقبة الدائمة لحياة الإمام السجّاد عليه السلام ، ويستخدم الجواسيس والعيون الكثيرة التي كانت تنقل إليه أدقّ التفاصيل حتّى المسائل الداخلية والخاصّة بالإمام عليه السلام .

أهداف حركة الإمام السجّاد عليه السلام

بعد أنّ توضّحت ساحة عمل الإمام السجّاد عليه السلام أشير بشكلٍ مختصر إلى الهدف والمنهج الذي اعتمده الأئمّة. وبعد ذلك نقوم بدراسة جزئيات حياة هذا الإمام فيما يتعلّق بهذا النهج.

ممّا لا شكّ فيه أنّ الهدف النهائيّ للسجّاد عليه السلام كان إيجاد الحكومة الإسلامية، وكما جاء في كلام الصادق عليه السلام، فإنّ الله تعالى وقّت عاماً معيّناً لقيام الحكومة الإسلامية، ثمّ بسبب قتل الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ فإنّ الله أخّرها إلى سنة ١٤٧ – ١٤٨هـ، فهذا يحكي بشكلٍ واضح عن أنّ الهدف النهائيّ للإمام السجّاد عليه السلام وسائر الأئمّة هو إيجاد الحكومة الإسلامية.

ولكن كيف يمكن أنّ تُقام الحكومة الإسلامية في مثل تلك الظروف؟ أنّ هذا يحتاج إلى عدّة أمور:

١- ينبغي أنّ تدوّن وتُدرس وتُنشر المدرسة الإسلامية الحقيقية التي يحمل علمها الأئمّة، هذه المدرسة التي هي أيضاً المبنى الأساس للحكومة الإسلامية. بعد أنّ انفصل المجتمع الإسلامي ولمدّة طويلة من الزمن عن الفكر الإسلامي الصحيح، كيف يمكن إقامة حكومة على أسس الفكر الإسلامي الأصيل في حين أنّ الأرضية الفكريّة لم يتمّ تحقيقها بين الناس، ولم تدّون تلك الأحكام الأصيلة؟

إنّ أعظم الأدوار التي مارسها الإمام السجّاد عليه السلام هي أنّه دوّن الفكر الأصيل للإسلام: كالتوحيد، والنبوّة، وحقيقة المقام المعنويّ للإنسان، وارتباطه بالله. وأهمّ دور أدّته الصحيفة السجّادية هو في هذا المجال. فانظروا إلى هذه الصحيفة، ثمّ جولوا ببصركم في أوضاع الناس على صعيد الفكر الإسلامي في

ذلك الزمن ستجدون مدى المسافة التي تفصل بين الاثنين.

ففي ذلك الزمن الذي كان المسلمون في كلّ أنحاء العالم الإسلامي يسيرون نحو الحياة المادّية والملذّات، بدءاً من شخص الخليفة عبد الملك بن مروان، إلى العلماء المحيطين به (ومن جملتهم محمّد بن شهاب الزهريّ، وسوف أذكر أسماء علماء البلاط فيما بعد)، نزولاً إلى الجميع الذين كانوا يغوصون في بحر الدنيا والمادّيات، يقف الإمام السجّادعليه السلام ويقول مخاطباً الناس: «**أو لا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها؟**».

ففي هذه الجملة يوضح الإمام أنّ الفكر الإسلامي الأصيل كان عبارة عن جعل الهدف للمعنويات والتحرّك نحو الوصول إلى الأهداف المعنوية والإسلامية، وجعل الإنسان يرتبط بالله عبر التكليف. وهذا هو الموقف المقابل تماماً لحركة الناس المادّية في ذلك الزمن. كان على الإمام السجّادعليه السلام أنّ يقوم بعملٍ كبيرٍ لأجل أنّ يحفظ الفكر الأصيل للإسلام في فضاء المجتمع الإسلامي. وكانت هذه الحادثة بداية أعمال الإمام السجّادعليه السلام .

٢- تعريف الناس إلى أحقّية أولئك الذين ينبغي أنّ يتسلّموا زمام الحكم. إذ كيف يمكن لأهل البيت تشكيل حكومة في الوقت الذي كان الإعلام والتبليغ ضدّ آل الرسول قد ملأ العالم الإسلامي طوال عشرات السنين حتّى عصر الإمام السجّادعليه السلام ، وفيه ظهرت الأحاديث الموضوعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تخالف حركة أهل البيت بل إنّها في بعض الموارد تشتمل على سبّهم ولعنهم، وقد نُشرت بين أناس ولم يكن لديهم أيّ اطّلاع على المقام المعنويّ والواقعيّ لأهل البيت.

لهذا، فإنّ أحد الأهداف والتحرّكات المهمّة للإمام السجّادعليه السلام كان يرتبط

بتعريف الناس إلى أحقّية أهل البيت، وأنّ مقام الولاية والإمامة والحكومة حقّ ثابت لهم، وهم الخلفاء الواقعيّون للنبيّ صلى الله عليه وآله . وهذا الأمر، إضافة لما له من أهميّة عقائدية وفكرية، له ماهيّة سياسية، وهي الارتباط بالحركة السياسية المناهضة للنظام الحاكم.

٣- كان على الإمام السجّادعليه السلام أنّ يؤسّس الأجهزة والتشكيلات التي يمكن أنّ تكون منطلقاً أصلياً للتحرّكات السياسية المستقبلية، ففي مجتمع ممزّق، يعيش تحت أنواع القمع والفقر والتضييق الماليّ والمعنويّ، حتّى أنّ الشيعة عاشوا من الرعب والتضييق إلى درجة أنّ تشكيلاتهم تلاشت، فكيف يمكن للإمام السجّادعليه السلام أنّ يبدأ عمله وحيداً أو مع مجموعة قليلة وغير منظّمة؟ لهذا كان همّ الإمام السجّادعليه السلام أنّ يبدأ بتشكيل هذه التنظيمات التي كانت، برأينا، موجودة منذ أيّام أمير المؤمنينعليه السلام، غير أنّها ضعفت وتلاشت إثر واقعة عاشوراء والحرّة وثورة المختار.

بالنتيجة: نجد أنّ عمل الإمام كان يدور ضمن ثلاثة محاور أساس:

الأوّل: تدوين الفكر الإسلامي بصورة صحيحة وطبق ما أنزل الله، بعد مرور أزمنة من التحريف والنسيان عليه.

الثاني: إثبات أحقّية أهل البيت في الخلافة والولاية والإمامة.

الثالث: إيجاد التشكيلات المنسجمة لأتباع أهل البيتعليهم السلام وأتباع التشيّع.

هذه الأعمال الثلاثة الأساس هي التي ينبغي أنّ ندرسها ونبحث فيها لنرى أيّ واحد منها قد تحقّق في حياة الإمام السجّادعليه السلام .

إلى جانب هذه الأعمال، كانت هناك أيضاً أعمال أخرى هامشية أو ضمنية وتحرّكات قام بها الإمام وأتباعه لأجل اختراق ذلك الجو المرعب والقمعيّ. ففي

ظلّ الإجراءات الأمنية المشدّدة التي كان يفرضها الحكم، نلاحظ مواقف عديدة للإمام عليه السلام أو أتباعه كان الهدف منها كسر حواجز القمع وصناعة بعض الأجواء الملائمة واللطيفة، خاصّة مع الأجهزة الحاكمة أو التابعة لها، مثل المواقف التي حدثت بين الإمام عليه السلام وعبد الملك عدّة مرّات، أو الأمور التي جرت مع العلماء المنحرفين والتابعين لعبد الملك (من قبيل محمّد بن شهاب الزهري)، كلّ ذلك لأجل خرق ذلك الجو المتشدّد.

إنّ الباحث عندما يستعرض الروايات، سواء الأخلاقية منها أم المواعظ أم الرسائل التي نقلت عن الإمام أو المواقف التي صدرت عنه، وذلك على أساس ما بيّناه، فإنّه سوف يجد لها المعاني المناسبة، وبتعبيرٍ آخر سوف يرى أنّ جميع تلك التحرّكات والأقوال كانت ضمن الخطوط الثلاثة التي أشرنا إليها والتي كانت تصبّ جميعاً في دائرة إقامة الحكومة الإسلامية. وبالتأكيد لم يكن الإمام يفكّر في إيجاد حكومة إسلاميّة في زمانه؛ لأنّه كان يعلم أنّ وقتها في المستقبل، أي في الحقيقة في عصر الإمام الصادق عليه السلام .

وبهذه الأعمال الثلاثة سوف تتهيّأ أرضيّة إقامة الحكومة الإسلامية والنظام العلَوي. [مجلة باسدار اسلام، ٨].

لقد ذكرتُ سابقاً، وأؤكّد ما ذكرتُه، أنّ الإمام السجّاد عليه السلام لم يكن يرى أنّه سيتمّ تحقيق الحكومة الإسلامية في زمانه (وهذا بخلاف ما عمل لأجله الإمام الصادق عليه السلام في زمانه)، فقد كان معلوماً بأنّ الأرضيّة في عصر الإمام السجّاد عليه السلام لم تكن معدّة لذلك، وكان الظلم والقمع والجهل كبيراً إلى الدرجة التي يصعب فيها إزالتها خلال هذه السنوات الثلاثين، وكان الإمام السجّاد عليه السلام يعمل للمستقبل. ومن خلال القرائن العديدة، نفهم أيضاً أنّ الإمام الباقر عليه السلام لم

يكن يهدف إلى إقامة حكومة إسلاميّة في زمانه، أي أنّه منذ سنة (٦١ وحتّى ٩٥ هـ) (شهادة الإمام السجّاد عليه السلام)، ومنذ سنة ٩٥ وحتّى ١١٤ هـ (شهادة الإمام الباقر عليه السلام)، لم يكن في فكر أيّ منهما أنّه ستقام هذه الحكومة في زمانه، ولهذا كانا يعملان على المدى البعيد.

وسوف نستشهد على هذه الفكرة بكلمات الإمام السجّاد عليه السلام؛ لأنّها أفضل المصادر وأكثرها أصالة للتعرّف إلى سيرة حياته عليه السلام بل على حياة كلّ الأئمّة. غاية الأمر - وكما أشرنا سابقاً - أنّنا نفهم هذه البيانات بصورة صحيحة عندما نطّلع على حركة الأئمّة ومقصدهم من الجهاد والمواجهة والسعي والسير، وبغير هذه الصورة قد نفهم معاني هذه الكلمات - التي سوف أبيّنها - مغلوطة. وبعد أنّ اطّلعنا على بعض تلك الحوادث، والتي استفدناها ببركة كلمات الأئمّة، سوف نعتمد على نفس المصادر، وسنرى أيّة استنتاجات صحيحة نحصّلها.

قبل أنّ ندخل في صلب البحث ينبغي أنّ نذكّر بنقطة موجزة: أنّه وبسبب مرحلة القمع الشديد التي كان يعيشها الإمام السجّاد عليه السلام ، لم يستطع أنّ يبيّن لنا تلك المفاهيم بصورة واضحة، ولذلك كان يستفيد من أسلوب الموعظة والدعاء (خاصّة أدعية الصحيفة السجّادية التي سوف نتعرّض لها فيما بعد والبيانات والروايات التي نُقلت عن الإمام عليه السلام والتي كانت تطغى عليها حالة الموعظة)، حيث كان الإمام ضمن بيان الموعظة والنصيحة يبيّن ما أشرنا إليه سابقاً، وبهذا اتّبع الإمام السجّاد عليه السلام منهجاً حكيماً وشديد الحذاقة. وبذلك الأسلوب الذي ظاهره موعظة الناس ونصحهم، أدخل الإمام عليه السلام إلى أذهانهم ما يريده، وهذا من أفضل أشكال التعاطي الأيديولوجيّ والفكري الصحيح.

الإمام السجّادعليه السلام وتجلّيات المواجهة السياسية

ما سنقوم بدراسته هنا هو كلمات الإمام السجّادعليه السلام الواردة في كتاب "تحف العقول" حيث نشاهد عدّة أنواع من الأسلوب المذكور والتي تشير إلى طبيعة الجهات المخاطبة.

أحد تلك الأنواع هو الكلمات الموجّهة لعامّة الناس، والتي يظهر فيها أنّ المستمع ليس من الجماعة المقرّبة والخاصّة للإمام أو من الكوادر التابعين له. وفي هذه الخطابات يستند الإمامعليه السلام دائماً إلى الآيات القرآنية، لماذا؟ لأنّ عامّة الناس لا ينظرون إلى الإمام السجّادعليه السلام كإمام، بل يطلبون الدليل في كلماته، ولهذا كان الإمام يستدلّ إمّا بالآيات أو بالاستعارة من الآيات، حيث استخدم هذا الأسلوب في أكثر من ٥٠ مورداً ذكر في تلك الروايات، بصورة مباشرة أو بطريق الاستعارة.

ولكن في الخطاب الموجّه إلى المؤمنين نجد الأمر مختلفاً؛ لأنّ هؤلاء المؤمنين يعرفون الإمام السجّادعليه السلام، وقوله مقبول عندهم، لهذا لم يكن يستند في كلامه إلى الآيات القرآنية. ولو أحصينا كلّ كلامه الموجّه إليهم لوجدنا أنّ استخدام الآيات القرآنية فيه قليل جدّاً.

في رواية مفصّلة من كتاب «**تحف العقول**» تحت عنوان: «**موعظته لسائر أصحابه وشيعته وتذكيره إيّاهم كلّ يوم جمعة**»[(١)]، نجد هنا أنّ دائرة المستمعين واسعة، وهذا ما نستنتجه من القرائن المفصّلة الواردة فيها. ففي هذه الرواية لم يستخدم الإمامعليه السلام تعبير «**أيّها المؤمنون**» أو«**أيّها الإخوة**»، وأمثالها، حتّى نعلم

---

(١) تحف العقول: ٢٤٩.

أنّ خطابه موجّه إلى جماعة خاصّة، ولكنّه قال «**أيّها الناس**»، وهذا يشير إلى عموميّة الخطاب. في حين أنّه في بعض الروايات الأخرى كان الخطاب موجّهاً بصورة خاصّة إلى المؤمنين.

ثانياً: لا يوجد في هذه الرواية تصريحٌ بشيء معارض للجهاز الحاكم، بل انصرف كلّ الخطاب لبيان العقائد، وما ينبغي أنّ يعرفه الإنسان وذلك بلسان الموعظة. فالخطاب يبدأ هكذا: «**أيّها الناس، اتقّوا الله واعلموا أنّكم إليه راجعون...**». ثمّ يتطرّق الإمام عليه السلام إلى العقائد الإسلامية ويوجّه الناس إلى ضرورة فهم الإسلام الصحيح. وهذا يدلّ على أنّهم لا يعرفون الإسلام الصحيح، يريد بذلك إيقاظهم من غفلة الجهل إلى معرفة الإسلام وتعاليمه.

كيف مثلاً يستفيد الإمام السجّاد عليه السلام من أسلوبه الجذّاب، حيث يقول: «**ألا وإنّ أوّل ما يسألانك عن ربّك الذي كنت تعبده**» ويمضي على هذا المنوال ناصحاً، ويخوّف من ذلك الوقت الذي يوضع المرء في قبره ويأتي منكر ونكير لمساءلته. وبهذا يريد أنّ يوقظ فيهم الدافع لمعرفة الله وفهم التوحيد: «**وعن نبيّك الذي أُرسل إليك**»، ثمّ الدافع لفهم النبوّة، «**وعن دينك الذي كنت تدين به، وعن كتابك الذي كنت تتلوه...**».

وأثناء عرضه لهذه العقائد الأصيلة وهذه المطالب الأساس للإسلام، كالتوحيد والنبوّة والقرآن والدين، يبيّن هذه النقطة الأساس بقوله عليه السلام : «**وعن إمامك الذي كنت تتوّلاه**»[1]، فهو هنا يطرح موضوع الإمامة. وقضيّة الإمامة عند الأئمّة تعني قضية الحكومة أيضاً؛ إذ لا يوجد فرق بين الولاية والإمامة على لسان

(١) تحف العقول: ٢٤٩.

الأئمّة. وإن كان للوليّ والإمام معانٍ مختلفة عند بعض الناس ولكن هاتين القضيّتين - الولاية والإمامة - على لسان الأئمّة أمرٌ واحدٌ والمراد منهما واحد. وكلمة "الإمام" المقصودة هنا تعني ذلك الإنسان المتكفّل بإرشاد الناس وهدايتهم من الناحية الدينية، وأيضاً المتكفّل بإدارة أمور حياتهم من الناحية الدنيوية، أي خليفة النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام هو قائد المجتمع، أي ذلك الإنسان الذي نتعلّم منه ديننا وتكون بيده أيضاً إدارة دنيانا، بحيث تكون إطاعته في أمور الدين وأمور الدنيا واجبة علينا.

في عالم التشيّع تعرّضت هذه القضيّة (دور الإمام) إلى فهمٍ خاطئ طيلة قرون متتالية. ففي السابق كان الناس يتصوّرون أنّ الإمام يتفرّد بحكم المجتمع، وهو الذي ينبغي أنّ يدير أمور الحياة بيده وبجهده الذاتي: فيحارب ويصالح ويعمل وينفّذ كلّ طلب بنفسه؛ فهو يأمر الناس وينهاهم من جهة، وفي نفس الوقت هو الذي ينفّذ هذه الأمور وحده لإصلاح دينهم! واليوم أيضاً تعرّضت هذه القضيّة للفهم الخاطئ بحيث أصبحنا نعتبر أنّ الإمام في عصر الغيبة ليس إلا عالماً دينياً، وهذا بالطبع تصورٌ خاطئ. لفظة "الإمام" تعني المتقدّم والقائد. فالإمام الصادق عليه السلام عندما كان يخاطب الناس في منى أو عرفات بقوله: «**أيّها الناس، أنّ رسول الله كان الإمام**»، كان يشير إلى أنّ الإمام هو الذي يتولّى أمور الناس الدينية والدنيوية.

في المجتمع الإسلامي أيّام حكم عبد الملك بن مروان وفي عصر الإمام السجّاد عليه السلام كان هذا المعنى يُفهم فهماً خاطئاً؛ لأنّ إمامة المجتمع ـ وهي إدارة شؤون حياة الناس وبسط نظام العيش الذي يمثّل قسماً مهماً من الإمامة ـ قد سلبت من أهلها وأعطيت إلى من لا أهليّة لهم بها، حيث كانوا يلقّبون أنفسهم

بالأئمّة ويعرفهم الناس بذلك. فالناس كانوا يُطلقون لقب الإمام على عبد الملك ابن مروان، ومن قبله أبيه وقبلهما يزيد وغيره. وقد قبلوهم على أساس أنّهم قادة المجتمع والحكّام على النظام الاجتماعي للناس. وقد ترسّخ ذلك في أذهان الناس.

وهكذا عندما كان الإمام السجّاد عليه السلام يقول: إنّك ستُسأل عن إمامك في القبر، كان يشير إلى أنّك هل انتخبت الإمام المناسب والصحيح؟ وهل أنّ ذلك الشخص الذي كان يحكمك ويقود المجتمع الذي تعيش فيه هو حقّاً إمام؟ وهل هو ممّن رضي الله عنه؟ لقد كان الإمام بهذا الكلام يوقظ الناس ليجعل هذه القضيّة حسّاسة في نفوسهم.

بهذه الطريقة كان الإمام يحيي قضيّة الإمامة. ففي حين أنّ الجهاز الأموي الحاكم لم يكن يرضى بأن يتمّ الحديث عنها، استخدم الإمام أسلوب الموعظة.(كانت هذه من إحدى الوسائل الهادئة التي استخدمها الإمام في هذا المجال، وسوف نشير لاحقاً إلى أساليب أكثر تشدّداً).

بناءً على هذا، ففي البيان العام الموجّه إلى عامّة الناس نجد أنّ إمامنا، وبلغة الموعظة، يحيي المعارف الإسلامية، وخاصّة تلك المعارف الحسّاسة في ذهن الناس، ويسعى لأجل أنّ يتعرّف الناس إليها ويتذكّروها.

ويمكن الالتفات في هذا النوع من الخطاب إلى نقطتين اثنتين:

الأولى: أنّ هذا الأسلوب البيانيّ للإمام لم يكن تعليمياً، بل هو من نوع التذكير. أي أنّ الإمام لم يكن يجلس ليبيّن للناس دقائق التوحيد، أو ليفسّر لهم مسألة النبوّة، وإنّما يذكّرهم بها. لماذا؟ لأنّ المجتمع الذي كان يعيش فيه الإمام السجّاد عليه السلام لم تكن تفصله عن مرحلة النبيّ صلى الله عليه وآله مسافة زمنية كبيرة حتّى

ينحرف كلياً عن العقائد الإسلامية. بل كان هناك الكثير من الأشخاص الذين عايشوا رسول الله صلى الله عليه وآله ومرّت عليهم مرحلة الخلفاء الراشدين، وقد عاصروا أئمّتنا العظام من أمير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن عليه السلام وإلى الإمام الحسين عليه السلام . ومن الناحية الاجتماعيّة لم يكن الوضع قد وصل إلى مرحلة يعاني فيها المجتمع الإسلامي من الانحراف العقائديّ والأصولي بالنسبة إلى مسألة التوحيد والنبوّة والمعاد والقرآن. نعم، كانت هذه المسائل تدريجيّاً تخرج من ذاكرتهم، وكانت الحياة المادّية تحيط بهم إلى درجة تنسيهم الفكر الإسلامي والعقيدة الإلهية.

كانت الحياة الدنيوية و المادّية تسري في المجتمع بحيث لا تُبقي في أذهان الناس أيّ توجّه للمسابقة في مضمار المعنويات والخيرات. وإذا وُجد هذا الأمر فإنّه لم يكن ليتعدّى القشور والسطوح. أمّا بالنسبة إلى المفهو م الذي كان الناس يحملونه، في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والعصر المتّصل به، عن التوحيد والحساسيّة المتميّزة تجاهه، فقد كانوا يفتقدونه في عصر الإمام. وهذا ما كان يستدعي التذكير حتّى يرجع الأمر إلى سابق عهده، لا أنّ هناك أشياء محرّفة ينبغي أنّ تصحّح.

وهذا بخلاف المراحل اللاحقة، كمرحلة الإمام الصادق عليه السلام؛ لأنّ المسألة حينها لم تكن بهذا الشكل. فقد ظهر في ذلك الوقت الكثير من المتكلّمين والمتفلسفين والمفكّرين، وتحت عناوين متعدّدة كانوا يجلسون في المساجد الكبرى، مثل مسجد المدينة وحتّى المسجد الحرام ومسجد الشام، ويدرّسون العقائد المنحرفة والباطلة. لقد برز حينها أناس مثل "ابن أبي العوجاء" يدرّسون عقائد الزنادقة والإلحاد. لهذا، بالتأمّل بأحاديث وكلمات الإمام الصادق عليه السلام

نجد بيان التوحيد والنبوّة وأمثالها بصورة استدلالية[1]. فالحاجة إلى الاستدلال ضرورية لمواجهة استدلال الخصم، وهذا ما لا نجده في كلمات الإمام السجّاد عليه السلام ، التي كانت تعتمد على الحالة الشعوريّة والوجدانيّة التي تذكّر بالقضايا الأساس.

وباختصار، لم يكن عصر الإمام السجّاد عليه السلام يحكي عن خروج عن الفكر الإسلامي، حتّى عند الحكّام، إلا في بعض الموارد التي يظهر فيها مثل هذا الأمر. وذلك عندما ألقى يزيد اللعين تلك الأبيات الشعرية في حالة السكر عندما أُحضر أسرى أهل البيت عليهم السلام فقال:

لعبت هاشم بالملك فلا   خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل[2].

ولكنّنا نستطيع أنّ نقول: أنّ هذا الكلام كان تحت تأثير السكر. فحتّى أمثال عبد الملك أو الحجّاج لم يكونوا يجرأون على إعلان مخالفتهم لفكرة التوحيد أو النبوّة. لقد كان عبد الملك بن مروان يقرأ القرآن إلى درجة أنّه عُرف كأحد قرّاء القرآن. ثمّ عندما وصل إليه خبر تنصيبه خليفة قبّل القرآن وقال: «هذا فراقٌ بيني وبينك»، أنّ هذا ما حدث فعلاً. والحجّاج بن يوسف الذي سمعتم عن ظلمه (وباليقين أنّ الذي سمعتموه هو أقلّ بكثير ممّا فعله) كان عندما يخطب في الناس يأمرهم بالتقوى. وهكذا نفهم سبب اعتماد الإمام السجّاد عليه السلام على التذكير بالأفكار الإسلامية لإخراج الناس من مستنقع الدنيا والأهو اء المادّية إلى ساحة معرفة الله والدين والقرآن.

---

(١) مجموعة رسائل في شرح الأحاديث من الكافي١: ٥٦٥.

(٢) اللهو ف على قتلى الطفوف، ترجمة الفهري: ١٨١.

الثانية: وهي ما أشرنا إليه سابقاً، من أنّ الإمام كان يأتي على ذكر مسألة الإمامة من خلال بيانه العامّ الذي اتّخذ أسلوب الموعظة والإرشاد، وعندما كان بعض الناس يتحدّث إليكم ويذكّركم قائلاً: أيّها الناس، فكّروا بالله وبالتوحيد والنبوّة وبقضيّة الحكومة... أما إذا جاء ذلك بلغة الوعظ وعلى لسان رجل زاهد وعابد فإنّه يمكن أنّ يُقبل، وبتعبير آخر لن يثير الحساسيّات. هذا نوع من بيانات الإمام السجّادعليه السلام .[مجلّة باسدار إسلام، ٩].

تحذير الخواص من الدنيا والرفاهية

أمّا النوع الثاني فهو ذلك الخطاب الموجّه إلى مجموعة خاصّة لا تعرف هويّتها. ولكن من الواضح أنّه كان موجّهاً إلى مجموعة من الذين يخالفون النظام الحاكم. فمن يمكن أنّ يكون هؤلاء؟ هذه الخطابات وإن لم يُعلم منها بالتحديد من هي تلك الفئة المخاطبة، ولكن من الواضح أنّها لفئة مخالفة للنظام الحاكم، وأفرادها هم في الواقع من أتباع الإمامعليه السلام ومن المعتقدين بحكومة أهل البيتعليهم السلام.

ولحسن الحظّ أنّنا نجد في كتاب «تحف العقول» نموذجاً لهذا النوع من الكلمات الصادرة عن الإمام السجّادعليه السلام (وذلك لأنّنا لا نجد في غيره من الكتب موارد أخرى من هذا النوع بالرغم من أنّ هناك الكثير في حياة الإمام السجّادعليه السلام ، ولكن على أثر الحوادث المختلفة التي جرت في ذلك العصر من القمع والتنكيل والاضطهاد وقتل الأصحاب زالت تلك الآثار وبقي القليل منها).

يبدأ الخطاب التابع لهذا النوع الثاني هكذا: «**كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبّارين**». ويعلم من هذا البيان أنّ الإمام والجمع

الحاضر مهدّدون من قبل السلطات الحاكمة، وأنّ المسألة ترتبط بمجموعة خاصّة: المؤمنين بأهل البيت عليهم السلام ، ولذلك جاء الخطاب بصيغة: «**يا أيّها المؤمنون**»، خلافاً للنوع الأوّل حيث يستعمل «**يا أيّها الناس**» أو«يا ابن آدم»، وذلك لأنّ الخطاب موجّه إلى المؤمنين في الحقيقة بأهل البيت وأفكار أهل البيت عليهم السلام.

والدليل الآخر الواضح جدّاً عندما يقول عليه السلام : «**أيّها المؤمنون، لا يفتنّنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا، المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها**»(1).

فالمقصد الأصليّ من الكلام هو حفظ هؤلاء المؤمنين وبناء الكادر اللازم للمستقبل. ومن الواضح أنّه على أثر الصراع الشديد في الخفاء ما بين أتباع الأئمّة وأتباع الطواغيت، فإنّ أتباع الأئمّة عانوا من الحرمان الكبير، والخطر الأكبر الذي يهدّد المجاهدين هو أنّ يتوجّهو ا إلى الرفاهية، هذه الرفاهية التي لن تجرّهم إلا إلى ترك الجهاد.

لقد كان الإمام عليه السلام يؤكّد كثيراً على هذه النقطة، ويحذّر الناس من الرفاهيات في هذه الدنيا المتلألئة الكاذبة الخدّاعة التي لن تؤدّي إلا إلى التقرّب من الطواغيت. لهذا نجد في هذا البيان، وفي العديد من كلمات الإمام السجّاد عليه السلام ، وفي الروايات القصيرة التي نُقلت عنه، تأكيداً على هذا الأمر.

ماذا يعني التحذير من الدنيا؟ يعني حفظ الناس من الانجذاب نحو المترفين والإيمان بهم وتمييزهم بحيث تقلّ حدّة مواجهة الناس لهم. وهذا النوع من

---

(1) تحف العقول: ٢٥٢.

الخطابات موجّه للمؤمنين، أمّا في الخطاب المتوجّه إلى عامّة الناس، فقليلاً ما نجد مثل هذا النوع. ففي خطاب عامّة الناس، كثيراً ما يظهر: أيّها الناس، التفتوا إلى الله، إلى القبر والقيامة، إلى أنفسكم والغد.

فما هو هدف الإمام عليه السلام من هذا النوع الثاني من الخطاب؟ المقصود هو بناء الكادر. فهو عليه السلام يريد أنّ يصنع من المؤمنين كوادر ملائمة للمرحلة، ولهذا يحذّرهم من الانجذاب نحو أقطاب القدرة والرفاهية الكاذبة. ويكرّر ذكر النظام الحاكم خلافاً للنوع الأوّل من الكلمات، كما يقول مثلاً: «**وإنّ الأمور الواردة عليكم في كلّ يوم وليلة من مظلمات الفتن وحوادث البدع وسنن الجور وبوائق الزمان وهيبة السلطان ووسوسة الشيطان**»[1].

وهنا نجد أنّ الإمام مباشرة بعد ذكر هيبة السلطان وقدرته يذكر وسوسة الشيطان، يريد بذلك أنّ يلفت، وبكلّ صراحة، النظرَ إلى حاكم ذلك الزمان ويضعه إلى جانب الشيطان. وفي تتمّة الكلام جملة لافتة جدّاً ولأنّها مهمّة جدّاً أنقلها، وهي تحكي عن مطلب ذكرته سابقاً: «**تثبّط القلوب عن تنبهها وتذهلها عن موجود الهدى ومعرفة أهل الحقّ**»[2]. تلك الهداية الموجودة الآن في المجتمع. فهذه الأحداث التي ترد على الإنسان في حياته في الليل والنهار ـ في عصر القمع ـ تمنع القلوب من تلك النيّة والتوجّه والدافع والنشاط المطلوب للجهاد.

فالإمام السجّاد عليه السلام يعظهم بنفس الأسلوب السابق: «**إيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين**»، فهو يحذّرهم من مجالسة أهل المعاصي. من هم أهل

(١) الكافي ٨: ١٤.

(٢) المصدر السابق: ١٦.

المعاصي؟ أولئك الذين جُذبوا لنظام عبد الملك الظالم. الآن، حاولوا أنّ تتصوّروا شخصية الإمام السجّاد وأن تكوّنوا تصوّراً عنه[1] عليه السلام. هل ما زال ذلك الإمام المظلوم الصامت المريض الذي لا شأن له بالحياة؟ كلا، فالإمام هو الذي كان يدعو مجموعة من المؤمنين والأصحاب ويحذّرهم، بهذه الصورة التي ذكرناها من التقرّب إلى الظَلَمة ونسيان المجاهدة، ويمنعهم من الانحراف عن هذا الطريق، وكان يحفّزهم ويشحنهم بالنشاط، ويدفعهم من أجل أنّ يكونوا مؤثّرين في إيجاد الحكومة الإسلامية.

من جملة الأشياء التي أراها جليّة وشديدة الأهميّة في هذا القسم من كلمات الإمام السجّاد عليه السلام، تلك الكلمات التي يذكّر فيها بتجارب أهل البيت عليهم السلام الماضية. ففي هذا القسم يشير الإمام عليه السلام إلى تلك الأيّام التي مرّت على الناس من قبل الحكّام الجائرين، مثل معاوية ويزيد ومروان، ووقائع مثل الحرّة وعاشوراء، وشهادة حجر بن عديّ ورشيد الهجريّ، وعشرات الحوادث المهمّة والمعروفة والتي مرّت على أتباع أهل البيت طيلة الأزمان الماضية واستقرّت في أذهانهم. ويريد الإمام عليه السلام أنّ يحثّ أولئك المخاطبين من خلال ذكر تلك الحوادث الشديدة، على التحرّك والثورة. والتفتوا الآن إلى هذه الجملة: «**فقد لعمري استدبرتم من الأمور الماضية في الأيّام الخالية من الفتن المتراكمة والانهماك فيها ما تستدلّون به على تجنّب الغواة**»[2].

أي أنّكم تستحضرون تلك التجارب وتعلمون ماذا سيفعل بكم أهل البغي

(١) المصدر السابق.
(٢) تحف العقول: ٢٥٣.

والفساد ـ وهم حكّام الجور ـ عندما يتسلّطون عليكم. ولذلك يجب عليكم أنّ تتجنّبوهم وتواجهو هم. وفي هذا الخطاب يطرح الإمام مسألة الإمامة بصورة صريحة، أي قضيّة الخلافة والولاية على المسلمين والحكومة على الناس وإدارة النظام الإسلامي. هنا يبيّن الإمام السجّاد عليه السلام قضية الإمامة بالصراحة، في حين أنّه في ذلك الزمن لم يمكن يطرح مثل هذه المطالب على العامّة. ثمّ يقول عليه السلام : **«فقدّموا أمر الله وطاعته وطاعة من أوجب الله طاعته»**.

وهنا يعيّن الإمام فلسفة الإمامة عند الشيعة والإنسان الذي يجب أنّ يُطاع بعد الله. ولو فكّر الناس في ذلك الوقت بهذه المسألة لعلموا بوضوح أنّه لا يجب طاعة عبد الملك؛ لأنّه من غير الجائز أنّ يوجب الله طاعة عبد الملك. ذلك الحاكم الجائر بكلّ فساده وبغيه. وبعد أنّ يقدّم الإمام هذه المسألة يتعرّض لردّ شبهة مقدّرة فيقول: **«ولا تقدّموا الأمور الواردة عليكم من طاعة الطواغيت وفتنة زهرة الدنيا بين يدي أمر الله وطاعته وطاعة أولي الأمر منكم»**[(١)]. فالإمام عليه السلام في هذا القسم من كلمته يعرض بصراحة لقضية الإمامة.

ففي هذا الخطاب والخطاب السابق يركّز الإمام عليه السلام على مسألتين أساسيتين من المسائل الثلاث التي أشرنا إليها سابقاً.

الأولى: إعادة تدوين وتجديد الفكر الإسلامي والمعتقدات الإسلامية وإحياؤها في أذهان الناس والحث على تعلّمها.

والأخرى: البعد السياسيّ لولاية الأمر أي قضية الحكومة وقيادة النظام الإسلامي.

---

(١) المصدر السابق: ٢٥٤.

وعندما يعرّف الإمام هاتين المسألتين للناس في ذلك الزمن فإنّه يقوم في الواقع بتعريف النظام العلويّ والنظام الإسلامي الإلهيّ.

نوعٌ آخر من كلمات الإمام السجّاد عليه السلام وهو أهمّ من الكلمتين السابقتين. ومن خلاله يدعوالإمام بصراحة الناس إلى ضرورة إيجاد التشكيلات الإسلامية الخاصّة. وبالطبع فإنّ هذه الدعوة موجّهة إلى أولئك الذين يتّبعون أهل البيت عليهم السلام ، وإلا لوكانت إلى غيرهم من عامّة الناس لأفشيت وأدّت إلى إيذاء الإمام عليه السلام وتعرّضه للضغوط الصعبة، وبحمد الله فإنّنا نجد نموذجاً لهذا النوع من الكلمات في «تحف العقول»[1].

يبدأ الإمام بهذه العبارة: «**إنّ علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، تركهم كلّ خليط وخليل، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون**»[2]. وهذا تصريح بالدعوة إلى إيجاد تشكيلات شيعيّة.

فهو عليه السلام يعلّمهم بأنّ عليهم الابتعاد عن أولئك الذين يخالفونهم في الدافع ولا يتّبعون الحكومة العلويّة وحكومة الحقّ[3].

---

(١) للأسف الشديد ينبغي أنّ نقول: أنّه لا يوجد في جميع العناوين المتعلّقة بمثل هذه الكلمات الصادرة عن الإمام السجّاد عليه السلام - والتي اختارها المحدّثون - أيّ نوع من الإشارة إلى ذلك المحتوى الذي أشرنا إليه. فعلى الأغلب، جعلوا ذيل العنوان هو الزهد. بالطبع أنّ الزهد الواقعيّ هو هذا، لكنّ ذلك الفهم السائد حول الزهد لا يمكن أنّ يُستنبط من هذه الكلمات، وكان ينبغي أنّ يُشار إلى أنّ الإمام عليه السلام في هذه الكلمات كان بصدد الإشارة إلى القضايا السياسية(الكاتب).

(٢) بحار الأنوار ٧٥: ١٢٨.

(٣) برأيي يمكن أنّ نجد من قبيل هذا البيان في كلمات الإمام السجّاد وكذلك في كلمات سائر الأئمّة، وهو في كلماتهم كثير. وقد وجدتُ في حياة الإمام الصادق(صلوات الله عليه)، وكذلك في حياة الإمام الباقر عليه السلام وأيضاً في حياة أربعة من الأئمّة اللاحقين بحدّ أدنى. حتّى أنّ علامة تشكيل المنظّمة والتشكيلات الإسلامية قد وجدت أصولها في كلمات أميرِ المؤمنين عليه السلام ، وليس هنا مجال للبحث والتفصيل فيه. (الكاتب) .

وهناك نوعٌ آخر من كلمات الإمام عليه السلام لا توجد فيه تلك المطالب الكلّية التي أشرنا إليها، مثل رسالة الحقوق. للإمام السجّاد عليه السلام رسالة مفصّلة هي بحجم رسالة حقيقية بحسب اصطلاحنا، وهي رسالة كتبها الإمام لأحد أصحابه يذكر فيها حقوق الأفراد والإخوان على بعضهم بعضاً، ويذكر فيها أيضاً حقّ الله عليك، وحقّ أعضائك وجوارحك، وحقّ العين واللسان واليد والأذن.. كما يذكر حقّ حاكم المجتمع الإسلامي وحقّك عليه، وحقّك على جيرانك، وحقّك على أسرتك. لقد ذكر كلّ هذه الأنواع من الحقوق التي تنظّم العلاقات بين الأفراد في النظام الإسلامي. فالإمام وبهدوء تامّ ودون أنّ يأتي على ذكر الحكومة والجهاد والنظام المستقبلي، قد ذكر في هذه الرسالة أسس علاقات النظام المقبل بحيث أنّه لوجاء يوم وتحقّق نظام الحكومة الإسلامية في عصر الإمام السجّاد نفسه ـ وهو بالطبع احتمالٌ بعيد ـ أو في العصور اللاحقة فهو يعرّف الناس إلى الإسلام الذي ستُحقّق حكومته في المستقبل، ليلقي في أذهانهم مسبقاً طبيعة العلاقات التي تربط بينهم في ذلك النظام. هذا نوعٌ آخر من كلمات الإمام السجّاد التي تلفت الأنظار كثيراً.

ونوع آخر نجده في الصحيفة السجّادية، وهذا الأمر يتطلّب بحثاً مفصّلاً ربّما هو عمل أولئك الذين يعملون في هذا المجال. فالصحيفة السجّادية تتضمّن مجموعة من الأدعية في كافّة المجالات التي ينبغي أنّ يلتفت إليها الإنسان اليقظ والفطن. وأكثرها في الروابط والعلاقات القلبية والمعنوية للإنسان. في هذه الأدعية والمناجاة، توجد مطالب معنوية وتكاملية كثيرة لا حصر لها. والإمام عليه السلام وضمن هذه الأدعية وبلسان الدعاء يحيي الدوافع نحوحياة إسلامية في أذهان الناس ويوقظها. إحدى النتائج التي يمكن أنّ تحصل من الأدعية، وقد ذكرناها

مراراً، هي إحياء الدوافع السليمة والصحيحة في القلوب. فعندما ندعو: «**اللهمّ، اجعل عواقب أمورنا خيراً**». فإنّ هذا الدعاء يحيي في قلوبكم ذكر العاقبة ويدفعنا للتفكّر في المصير. فقد يغفل الإنسان أحياناً عن عاقبته، يعيش ولا يلتفت إلى مصيره. فإذا تلا هذا الدعاء يستيقظ فجأة إلى ضرورة تحسين عاقبته. أمّا كيف يتمّ ذلك فهذا بحثٌ آخر. فقط أردت أنّ أضرب مثلاً حول الدور الصادق للدعاء.

وهذا الكتاب المليء بالدوافع الشريفة للأدعية كاف لإيقاظ المجتمع وتوجيهه نحوالصلاح. وإذا تجاوزنا ذلك، وجدنا روايات قصيرة وعديدة نقلت عن الإمام السجّاد عليه السلام . منها ما ذكرته سابقاً: «**أوَ لا حرٌ يدع هذه اللماظة لأهلها؟**». انظروا كم هو مهمٌّ هذا الحديث. فالزخارف الدنيوية والزبارج كلّها بقية لعاب الكلب لا يتركها إلا الحرّ. وكلّ أولئك الذين يدورون في فلك عبدالملك إنّما يريدون تلك اللماظة. وأنتم ـ أيّها المؤمنون ـ لا تنجذبوا إليها. ونجد الكثير مثل هذه الكلمات الثورية والملفتة في خطب الإمام السجّاد عليه السلام . وسوف نصل إليها فيما بعد أنّ شاء الله.

لقد كان الإمام السجّاد عليه السلام شاعراً. وشعره يحتوي على معانٍ مهمّة سوف نذكرها لاحقاً أنّ شاء الله. [مجلّة باسدار اسلام، ١٠].

تكتيك بداية المرحلة الثالثة لحركة الأئمّة

من المقاطع المهمّة لحياة الإمام السجّاد عليه السلام هي أنّ نرى أنّه هل كان يتصرّف بطريقة اعتراضية عدائية تجاه جهاز الخلافة أو لا؟ لقد أشرت باختصار في الأبحاث السابقة إلى هذا الموضوع وهنا سوف أوضح أكثر.

بالقدر الذي اطّلعت فيه على حياة الإمام السجّادعليه السلام والذي ما زلت أذكره، أنّه لا توجد مواجهة أوتعريض صريح وقاطع ضدّ الحكم، من قبيل ما نشاهده في حياة بعض الأئمّة الآخرين، كالإمام الصادقعليه السلام في عصر بني أميّة، أو الإمام موسى بن جعفرعليه السلام .

وسببه واضح؛ لأنّ مثل هذا التحرّك الشديد الذي كان في بداية حركة الأئمّة والذي كان في المرحلة الثالثة من المراحل الأربع للإمامة، والتي تبدأ في حياة الإمام السجّادعليه السلام ، سوف يعرّض قافلة أهل البيتعليهم السلام التي تحمل أعباء مسؤولية الرسالة للخطر الذي لا يؤدّي إلى تحقيق المقصد. ففي ذلك الوقت لم يكن بستان أهل البيت الذي تعهّد الإمام السجّادعليه السلام بتربيته ورعايته وسقايته قد استحكمت غصونه وأشجاره، بحيث يقدر على تحمّل الأعاصير الشديدة. وكما أشرت في بداية هذا البحث، فقد كان عدد المحبّين والموالين لأهل البيتعليهم السلام ممّن يحيطون بالإمام السجّادعليه السلام قليلاً جداً، وفي ذلك العصر لم يكن من الممكن لأولئك الذين سيتحمّلون مسؤولية التنظيمات الشيعيّة أنّ يواجهو ا خطر العدو الجائر والذي هدّدهم بالإبادة.

وإذا أردنا أنّ نمثّل، ينبغي أنّ نشبّه عصر الإمام السجّادعليه السلام هذا بمرحلة بدء الدعوة الإسلامية في مكّة، وهي المرحلة السريّة. ولعلّه يمكن تشبيه عصر الإمام الباقرعليه السلام بالمرحلة الثانية في مكّة، حين أصبحت الدعوة علنيّة. والمرحل التي أتت من بعدها يمكن تشبيهها بالمراحل اللاحقة للدعوة. ولهذا فإنّ المواجهة في تلك المرحلة لن تكون صحيحة.

وممّا لا شكّ فيه أنّنا إذا لاحظنا المواجهات الحادّة في بعض كلمات الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضاعليهم السلام، فيما لو صدرت عن الإمام

السجّاد عليه السلام ، فإنّ عبد الملك بن مروان الذي كان في أوج قدرته يستطيع وبكلّ سهو لة أنّ يطوي بساط تعاليم أهل البيت عليهم السلام، ليبدأ العمل من جديد. وهذا ليس عملاً عقلانياً وموائماً للقطع والثبات. لكن على كلّ حال، يمكن أنّ نشاهد في ثنايا كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام ـ والتي ترجع على وجه الاحتمال إلى أواخر حياته الشريفة وطيلة مدّة إمامته ـ إشارات أو مظاهر لتعرّضه ومواجهته لنظام الحكم[١].

كانت تلك المواجهات تظهر بعدّة أشكال. وأحد أشكالها هو ما لاحظناه في تعامل الإمام السجّاد عليه السلام مع محمّد بن شهاب الزهريّ. والشكل الآخر، يظهر من خلال بيان موقف ومكانة الخلفاء الأمويّين على ضوء التعاليم والإرشادات الدينيّة العاديّة. ويوجد حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: «**إنّ بني أمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك حتّى إذا حملوهم عليه لم يعرفوه**»[٢]. فبنو أميّة كانوا يسمحون للعلماء وأهل الدين، ومن جملتهم الأئمّة، بالتحدّث حول الصلاة والحجّ والزكاة والصيام والعبادات، وكذلك حول التوحيد والنبوّة والأحكام الإلهية. لكنّهم لم يسمحوا بالبحث في مفهوم الشرك ومصاديقه وأمثلته في المجتمع.

تلك التعاليم المرتبطة بالشرك لو دُرِّست للناس، لفهموا مباشرة من هم المشركون، وأنّ ما يحملهم عليه بنو أميّة ليس إلا الشرك. ولعلموا فوراً أنّ عبد الملك والخلفاء الباقين من بني أميّة هم طواغيت يبارزون الله، وأنّ إطاعتهم تُعدّ

---

(١) أشير هنا إلى أنّ ما بحثناه في هذا الفصل هو غير ذلك التعامل المعارض للإمام السجّاد مع يزيد وجهاز خلافة آل أبي سفيان والذي له بحثٌ آخر، وقد بحثت بشأنه في السابق.(الكاتب).

(٢) الكافي، ٢: ٤١٥.

شركاً بالله. ولهذا لم يكونوا ليسمحوا بتعلّم هذه المفاهيم.

نحن عندما نبحث في الدين الإسلامي حول التوحيد، فإنّ قسماً مهمّاً من هذا البحث يرتبط بمعرفة الشرك والمشرك، ما هو الصنم؟ ومن هو الذي يعبد الأصنام؟

وللمرحوم العلّامة المجلسيرحمه الله في «بحار الأنوار»[١] نصّ رائع يقول فيه: «إنّ آيات الشرك ظاهرها في الأصنام الظاهرة، وباطنها في خلفاء الجور الذين أشركوا مع أئمّة الحقّ ونصّبوا مكانهم». فأئمّة الحقّ هم خلفاء الله وهم ينطقون عن الله، ولأنّ خلفاء الجور قد نصّبوا أنفسهم مكانهم وادّعوا الإمامة، فقد أصبحوا أصناماً وطواغيت، فكلّ من يطيعهم يُعدّ مشركاً بالله.

وللعلامة بعد هذا شرح قيّم. فهو يبيّن أنّ الآيات القرآنية ليست مختصّة بعصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، بل هي سارية وجارية في كلّ العصور والأزمان: «فهو يجري في أقوام تركوا طاعة أئمّة الحقّ، واتّبعوا أئمّة الجور؛ لعدولهم عن الأدلّة العقلية والنقلية واتّباعهم الأهو اء، وعدولهم عن النصوص الجلية»[٢]. مثل أنّه لا يمكن لعبد الملك أنّ يكون حاكماً على المسلمين وخليفة له، فالناس كانوا يرون أنّ الحياة الوادعة بعيداً عن التعرّض للحاكم هي المريحة لهم، لهذا سلكوا هذه الحياة واتّبعوا أئمّة الجور. لهذا كانوا مشركين.

ومن هنا نرى أنّ الأئمّة إذا أرادوا أنّ يبيّنوا حقيقة الشرك فإنّهم بذلك يقومون بما يشبه المواجهة مع نظام الحكم. وهذا ما يظهر في كلمات الإمام السجّادعليه السلام .

ونموذج آخر من تلك الأمثلة في المواجهة: ما نشاهده في المكاتبات

(١) بحار الأنوار، ٤٨: ٩٦.

(٢) نفس المصدر السابق.

والرسائل بين الإمام السجّاد عليه السلام وعبد الملك (الخليفة الأموي المتجبّر)، أشير إلى اثنين منهما هنا:

١- في إحدى المرّات يكتب عبد الملك رسالة إلى الإمام السجّاد عليه السلام يلومه فيها على زواجه من إحدى جواريه. وكان للإمام عليه السلام جارية أعتقها ثمّ تزوّجها. فشمت به عبد الملك. وكان عمل الإمام عليه السلام عملاً إنسانياً وإسلاميّاً صرفاً. ولكنّ دافع عبد الملك من تلك الرسالة كان التعرّض للإمام عليه السلام ، وإفهامه بأنّه مطّلع على مسائله الخاصّة موجّهاً له بذلك تهديداً ضمنياً. فأجابه الإمام عليه السلام برسالة بدأها بتوجيه أمر الزواج وأنّ العظام يفعلون مثل هذا الأمر، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قام به: «**فلا لؤم على امرئ مسلم، إنّما اللؤم لؤم الجاهلية**»[1]. وهو يريد أنّ يذكّره بسوابق أجداده في الجاهلية (من كفرهم وعنادهم)...

عندما وصلت الرسالة إلى عبد الملك، كان ابنه سليمان حاضراً، وعندما قرأها سمعه، وسمع ذمّ الإمام وأحسّ به مثل أبيه، فالتفت إليه قائلاً: يا أمير المؤمنين! أترى كيف يتفاخر عليك علي بن الحسين؟ يريد بذلك أنّ يحرّض والده على ردّ فعل شديد. ولكنّ عبد الملك كان أعقل من ولده فقال له: لا تقل شيئاً يا ولدي! فهذا لسان بني هاشم الذي يفلق الصخر. (أي أنّ استدلالهم قويّ وقاسٍ).

٢- النموذج الثاني: المراسلة الأخرى التي تمّت بين الإمام السجّاد عليه السلام وعبد الملك، حيث علم عبد الملك أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله موجود عند الإمام عليه السلام . وكان هذا أمراً ملفتاً، لأنّه تذكار النبيّ وباعثٌ على التفاخر. وكذلك فإنّ وجوده يُعدّ خطراً على الخليفة؛ لأنّه يجلب أنظار الناس إليه، فكتب إليه يطلب منه تسليم السيف، ووعده بإنجاز ما يريد، أي أنّه مستعدٌّ أنّ يهبه ما يحتاج. ردّ الإمام عليه السلام

(١) المصدر السابق ٤٦: ١٠٥.

طلبه، فأعاد عبد الملك مرّة ثانية تهديده بوقف حصّة الإمام من بيت المال أنّ لم يرسل السيف[1]. فأجابه الإمامعليه السلام: «**أمّا بعد فإن الله ضمن للمتّقين المخرج من حيث يكرهو ن والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جلّ ذكره: ﴿إِنَّ اللَّـهَ لا يُحبُّ كلّ خَوَّان كَفُور﴾ فانظر أيّنا أولى بهذه الآية**»[2].

وهذه لهجة قاسية جداً تجاه الخليفة، لأنّ تلك الرسالة إذا وقعت بيد أيّ إنسان فسوف يعلم أوّلاً: أنّ الإمامعليه السلام لا يعدّ نفسه خوّاناً. ثانياً: لا يتصوّر أحد هذا الأمر بحقّ هذا الإنسان الجليل الذي تربّى في بيت النبوّة. وهذا يعني أنّك أنت ـ أيّها الخليفة ـ خوّان وكفور. وإلى هذا الحدّ كان الإمام شديداً مقابل التهديد.

كان هذان نموذجين عن مواجهة الإمام لجهاز الحكم الأموي.

وإذا أردنا أنّ نضيف نموذجاً آخر ينبغي أنّ ننظر إلى الأشعار التي نُقلت عن أصحاب الإمام السجّادعليه السلام ومحبّيه، فهي تمثّل نوعاً آخر من المواجهة. مواجهة أصحاب الإمام السجّادعليه السلام ومحبّيه من قبيل الفرزدق ويحيى بن أم الطويل للنظام الحاكم كان يُعدّ نوعاً من مواجهة الإمام للحكم.

ويمكن اعتبار شعر الفرزدق نموذجاً آخر. فقد نقل المؤرّخون والمحدّثون قصّة الفرزدق (ما ملخّصها): عندما قدم هشام بن عبد الملك قبل فترة خلافته إلى الحجّ، وأثناء الطواف أراد أنّ يتقدّم لاستلام الحجر الأسود، ولكن الحشد الهائل والازدحام الكبير منعه من الوصول، رغم محاولاته المتكرّرة مع أنّه كان ابن الخليفة ومحاطاً بالمرافقين والحرّاس والحواشي، ولكنّ الناس كانوا يمرّون من

---

(١) في ذلك الزمان كان الناس جميعاً يأخذون حصّتهم من بيت المال وكان الإمام يأخذ حصّته أيضاً مثل غيره.(الكاتب)

(٢) مناقب آل أبي طالب٣: ٣٠٢.

حوله دون اكتراث. فيئس من استلام الحجر، وقعد جانباً منتظراً انصراف الناس، وكان أصحابه جالسين حوله. وفي هذه الأثناء يأتي رجل يعلوه الوقار والهيبة، سيماه سيماء الزاهدين ووجهه وجه الملكوتيين، يسطع من بين الحجّاج كالشمس فتنحّى الناس له جانباً ليمرّ من بينهم ويصل إلى الحجر الأسود فيقبّله ثمّ يرجع للطواف مجدّداً. فصعب ذلك على هشام كثيراً، وهو يرى نفسه ابن الخليفة ولا أحد يعطيه أيّة قيمة، بل يبعدونه بالركل والمطاحنة، ثمّ من جانب آخر يظهر رجل يصل إلى الحجر الأسود بكلّ هدوء. فسأل غاضباً: من هذا؟ وكان حواشيه يعرفون أنّه علي بن الحسين عليه السلام، ولكن لئلا يغضب منهم لم يقولوا شيئاً؛ لأنّهم يعلمون بوجود العداء المتجذّر بين بني أميّة وبني هاشم، فلم يريدوا أنّ يقولوا: أنّ هذا كبير العائلة المعادية لكم، والناس يظهرون له كلّ هذا الحبّ والاحترام؛ لأنّهم اعتبروا ذلك نوعاً من الإهانة لهشام.

كان الشاعر الفرزدق، من المحبّين لأهل البيت، حاضراً هناك وقد رأى تجاهلهم وإنكارهم لعلي بن الحسين عليه السلام فتقدّم قائلاً: أيّها الأمير، هل تسمح لي بأن أعرّفك به.

فقال هشام: قل، فانطلق لسان الفرزدق بقصيدة من أشهر القصائد الشعرية التي قيلت بحقّ أهل البيت، وبدأها بهذا البيت:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته   والبيت يعرفه والحلّ والحرم[1]

وكانت أبيات هذه القصيدة كوقع السيوف على قلب هشام فغضب منه وطرده. من جانب آخر أرسل إليه الإمام عليه السلام مالاً فلم يقبله وقال: «ما قلته لله لا أريد عليه مالاً».

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ١٢١.

وهكذا نشاهد مثل هذه المواجهات عند أصحاب الإمام. ونموذج آخر ما قام به يحيى بن أمّ الطويل. كان يحيى بن أمّ الطويل من الشباب ذوي البأس الشديد والشجاعة الفائقة وأحد المخلصين لأهل البيت، وكان يذهب دائماً إلى الكوفة ويجمع الناس ويصرخ فيهم: «أيّها الناس، إنّني كافر بكم ولا أقبل بكم حتّى تؤمنوا بالله»، وهو يقصد أولئك الذين كانوا يتبعون بني أميّة. ومثل هذه الاعتراضات المتجلّية في حياة الإمام السجّادعليه السلام وأصحابه كان مشهو داً. [مجلّة باسدار اسلام، ١٢].

مواجهة الإمامعليه السلام مع علماء البلاط

في تتمّة بحثنا حول القضايا المرتبطة بسيرة الإمام السجّادعليه السلام وأساليبه وخططه لإيجاد الأرضية المساعدة للحركة الإسلامية العظيمة، التي يمكن أنّ تنتهي بإقامة الحكومة العلويّة والحكومة الإسلامية، ذكرنا ما ملخّصه: أنّ هذه التحرّكات كانت تتّجه إلى التبيين والتوضيح بالنسبة إلى البعض وإلى التشكيلات والتنظيم بالنسبة إلى بعضهم الآخر، وإلى الهداية والإرشاد بالنسبة إلى آخرين. وهكذا يُتخيّل الإمام السجّاد، من خلال هذه الصورة التي قدّمناها، إنساناً صبوراً سعى خلال ٣٠ أو٣٥ سنة متواصلة إلى جعل تلك الأرضية غير المساعدة بتاتاً في العالم الإسلامي، تتّجه نحوالظروف التي يمكن لهعليه السلام أو لخلفائه أنّ يحقّقوا من خلالها المجتمع الإسلامي والحكومة الإسلامية.

ولو اقتطعنا تلك السنوات الخمس والثلاثين لسعي الإمام السجّادعليه السلام من حياة الأئمّة، لجزمنا بعدم وصول الأمر إلى الإمام الصادقعليه السلام بتلك الحال التي تمكّن معها من التصرّف والتعاطي الصريح والواضح مع الحكم الأموي، والعبّاسي فيما بعد.

وعليه، فلأجل إقامة وتحقيق المجتمع الإسلامي، لا بدّ من الأرضية الفكريّة والذهنيّة. وهذا ما يُعتبر أهمّ من أيّ شيء آخر. وقد تطلّب إيجاد هذه الأرضيّة

الفكرية والذهنية في تلك الظروف التي كانت موجودة في ذلك العصر من العالم الإسلامي، سنوات مديدة. ذلك العمل الذي نهض به الإمام السجّاد عليه السلام متحمّلاً أعباءه الجسيمة وتكاليفه الباهظة.

إلى جانب هذا، نجد في حياة الإمام السجّاد عليه السلام بعض المساعي الأخرى التي تدلّ في الواقع على مدى تقدّم الإمام عليه السلام في المجال المذكور. والقسمُ الأعظم من هذه المساعي، سياسيٌّ، وأحياناً شديد القساوة، وأحد نماذجه مواجهته وكيفية تعامله مع العلماء التابعين والمحدّثين الكبار العاملين لصالح النظام الحاكم. ولعلّ أكثر الأبحاث المتعلّقة بحياة الأئمّة إثارةً هو قضيّة تعامل الأئمّة مع حملة الفكر والثقافة في المجتمع الإسلامي، (أي العلماء[1] والشعراء).

فالأئمّة كانوا يتحمّلون مسؤولية هداية الناس في أفكارهم وأذهانهم، وأولئك كانوا يوجّهو ن الناس إلى الوضع الذي يريده خلفاء بني أميّة وبني العبّاس، وأن يكون حاكماً على المجتمع، ويجعل الناس مطيعين ومسالمين.

كما نعلم، فإنّ الحكّام الظالمين والجائرين كانوا يرون جذب قلوب الناس إليهم، أهمّ عامل في بقاء ملكهم وسلطانهم؛ إذ لم يكن الفاصل الزمني بين الناس وبين صدر الإسلام كبيراً، وبالتالي كان إيمان الناس بالإسلام لا يزال قويّاً. فإذا أدرك الناس أنّ البيعة التي قدّموها للحكّام ليست صحيحة، وأنّ هذا الظالم لا يجوز أنّ يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لوأدركوا ذلك، فبالتأكيد لن يرضوا أنّ يسلّموه قيادتهم بتاتاً، وحتّى لوقلنا: أنّ هذا الأمر لا يشمل جميع الناس، فعلى الأقلّ نقول: القدر المسلّم به أنّ الكثيرين في المجتمع كانوا يتحمّلون الوضع المنافي للإسلام في الجهاز الحاكم نتيجة الإيمان القلبيّ؛ إذ إنّهم كانوا يظنّون أنّ

---

(١) عندما نقول: «العلماء» فإنّنا نقصد علماء الدين في ذلك الزمان، والذين كانوا عبارة عن المحدّثين والمفسّرين والقرّاء والقضاة والزهّاد.(الكاتب).

هذا وضع إسلامي. ولإبقاء هذه الضبابية في أذهان الناس، كان حكّام الجور يستغلّون المحدّثين وعلماء الدين قدر الإمكان ويحركّونهم طبقاً لمصالحهم، فيطلبون منهم وضع الأحاديث واختلاقها ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والصحابة الكبار بما يوافق ميولهم وأهواءهم.

في هذا المجال توجد موارد تقشعرّ منها الأبدان، ونحن ننقل بعضاً منها كمثال:

في زمن معاوية التقى شخص بكعب الأحبار(١)، ولأنّ كعباً كانت له صلات حميمة مع معاوية وزعماء الشام، سأل كعبُ ذلك الشخص:

من أين أنت؟

* من أهل الشام.

* لعلّك من ذلك الجيش الذي يدخل منه ٧٠ ألف جندي إلى الجنّة دون حساب.

* من هم هؤلاء؟

* إنّهم أهل دمشق.

* كلا، لست من أهل دمشق.

* إذاً، لعلّك من ذلك الجيش الذي ينظر الله إليه كلّ يوم مرّتين!

* من هم هؤلاء؟

* أهل فلسطين!

وربّما لو قال ذلك الشخص: إنّني لست من أهل فلسطين، لأخبره كعب

---

(١) كان كعب الأحبار يهوديّاً أسلم في عهد الخليفة الثاني. وتوجد شكوك كثيرة في الأحاديث المنسوبة إليه، ليس فقط بين الشيعة بل حتّى بين الكثير من أهل السنّة، باعتبار أنّه قد اختلق أحاديث انطلاقاً من عدائه للإسلام. ويوجد من أهل السنّة من يقبل به.

الأحبار أحاديث عن كلّ أهالي بعلبك وطرابلس وبقيّة مدن الشام بحيث يبيّن له أنّ أهل الشام هم الأفضل، وأنّهم أهل الجنّة. وكعب الأحبار كان يختلق هذه الأحاديث ويصفها إمّا تملّقاً لأمراء الشام، حتّى يكون نصيبه أكثر ومنزلته في قلوبهم أعلى، وإمّا بسبب العداء المتجذّر في نفسه للإسلام وحتّى يصعّب الوصول إلى أقوال النبيّ صلى الله عليه وآله .

ويوجد في كتب التراجم والرجال والحديث الكثير من هذه القصص. منها قصّة ذلك الأمير الذي أرسل ابنه إلى المدرسة (الكتّاب) وهناك ضربه المدرّس. عندما رجع الابن باكياً إلى أبيه وأخبره، غضب الأب وقال: سأذهب وأضع حديثاً على هذه المدرسة حتّى لا يكرّروا فعلتهم هذه.

ومن هذه القصّة نعلم كم كان سهلاً اختلاقُ الأحاديث عندهم، حتّى لو كان بدافع العصبية أو الشفقة على دموع طفل.

وعلى أيّ حال فقد كان لهذا الوضع أثرٌ واضح في إيجاد ذهنيّة وثقافة منحرفة وبعيدة عن الإسلام. كلّ ذلك بسبب أولئك المحدّثين والعلماء العاملين في خدمة السلاطين والأقوياء. وفي مثل هذا الوضع تُعتبر مواجهة هؤلاء عملاً في غاية الأهميّة.

يوجد هنا نموذج يبيّن كيفية مواجهة الإمام السجّاد عليه السلام لهذا الوضع، وذلك في تعامله مع محمّد بن شهاب الزهري:

كان محمّد بن شهاب الزهريّ[1] في البداية أحد تلامذة الإمام السجّاد عليه السلام المقرّبين، أي أنّه من جملة الذين تعلّموا علومهم ونقلوا الأحاديث عن الإمام عليه السلام ، ولكن بالتدريج -بسبب التجرّؤ الذي كان فيه- اقترب من نظام

(١) وقد يُدعى بمحمّد بن مسلم الزهري أيضاً، فأحياناً يُذكر اسمه تحت عنوان شهاب وأحياناً مسلم، ولعلّ الأوّل اسم والده والآخر لقبه.(الكاتب).

الحكم حتّى صار أحد أعوانه وتحوّل إلى واحدٍ من زمرة العلماء والمحدّثين الذين وقف الأئمّة مقابلهم.

ولأجل أنّ نطّلع أكثر على وضع الزهريّ ننقل عدّة أحاديث بشأنه:

أحد هذه الأحاديث، ما جاء عنه: «كنّا نكره كتابة العلم، حتّى أكرهنا عليه السلطان فكرهنا أنّ نمنعه أحداً»[1]. ويفهم من هذا الحديث أنّه حتّى ذلك الزمن لم يكن متعارفاً بين هذه الطائفة من المحدّثين أنّ كلّ ما يعلمونه من الأحاديث ينبغي أنّ يكتبوه، وكذلك يتّضح أنّ محمّد بن شهاب الزهريّ كان في خدمة الأمراء وأنّه كان يُحمل على كتابة الأحاديث التي تناسبهم.

أحدهم ويُدعى معمراً كان يقول: «**كنّا نظن أنّنا قد نقلنا من الزهري أحاديث كثيرةً إلى أنّ قُتل الوليد**»[2]. فعندها رأينا كتباً كثيرة تُحمل على ظهور الدوابّ وتُخرج من خزائن الوليد ويقال: هذا علم الزهريّ[3]! أي أنّ الزهريّ وضع من الأحاديث التي تناسب الوليد وأهو اءه ما عجزت عن حمله الرجال. فما حال تلك الأحاديث؟ ممّا لا شكّ فيه أنّها لا تدين الوليد وإنّما تؤيّد أعمال الوليد وأمثاله وتصحّحها.

ويوجد حديثٌ آخر يتعلّق بفترة ارتباط الزهريّ بالنظام الحاكم. فقد روى اليعقوبيّ في تاريخه: «إنّ الزهري يحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى وإنّ الصخرة التي وضع رسول الله قدمه عليها تقوم مقام الكعبة»[4].

---

(١) سنن الدارمي١: ١١٠.

(٢) الوليد هو الولد البكر لعبد الملك بن مروان والذي تسلّم الخلافة بعده.(الكاتب).

(٣) «... فإذا بالدفاتر قد حُملت على الدواب من خزائنه ويُقال هذا من علم الزهري!». (الكاتب).

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١.

ويعود هذا الحديث إلى ذلك الزمن الذي كان عبد الله بن الزبير حاكماً فيه على مكّة، والناس الذين يريدون الحجّ بطبيعة الحال لا بدّ وأن يدخلوا مكّة ـ وهي تحت نفوذ ابن الزبير ـ وكانت تلك الأيّام فرصةً مناسبة له للتبليغ ضدّ أعدائه ـ وخاصّة عبد الملك بن مروان ـ ومن جانبٍ آخر بما أنّ عبد الملك كان يدرك خطورة هذا الأمر، ولكي يمنع الناس من الذهاب إلى مكّة رأى أنّ أفضل الطرق هو وضع أحاديث تبيّنُ أنّ شرف القدس بمنزلة شرف مكّة. ونحن نعلم - في العرف والثقافة الإسلامية - أنّه لا توجد منطقة في العالم توازي الكعبة شرفاً ومكانةً ولا يوجد حجر في الدنيا يضاهي الحجر الأسود. فكانت تلك الأحاديث المختلقة وسيلة لعبد الملك لكي يدفع الناس للذهاب إلى فلسطين؛ لأنّ فلسطين جزء من الشام وتحت نفوذ عبد الملك. فإلى أيّ مدى كان لهذه الأحاديث تأثيرٌ في نفوس الناس وأفعالهم؟ وهل حدث في زمن ما أنّ الناس حجّوا إلى بيت المقدس بدلاً من مكّة أم لا؟ ولو حدث ذلك لكان ينبغي أنّ نعدّ المجرم الأصليّ أوأحد المجرمين محمّد بن شهاب الزهري الذي حرّف الأمر في أذهان الناس لأجل مآرب عبد الملك السياسية.

وعندما يصبح الزهريّ تابعاً لجهاز الخلافة، فلن يمنعه شيء من وضع الأحاديث ضدّ الإمام السجّاد عليه السلام والتنظيمات العلويّة - منها ما وجدته في كتاب «أجوبة مسائل جار الله» تأليف المرحوم السيّد عبد الحسين شرف الدين - حيث يدّعي الزهري في رواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جبريّاً، وينسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال في معنى الإنسان في الآية: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[1] أنّه أمير المؤمنين عليه السلام (والعياذ بالله). في رواية أخرى ينقل أنّ حمزة

---

(١) سورة الكهف: ٥٤.

سيّد الشهداء كان شارب خمر.

وإنّما جعل هاتين الروايتين لدعم الجبهة السياسية المتسلّطة - لعبد الملك وبني أميّة - مقابل أئمّة الهدى عليهم السلام، وبالتالي لنسف عترة النبيّ وسلالته - الذين كانوا يواجهون الأمويّين - بعنوان أنّهم مسلمون من الطراز الأوّل، ويعرّفهم على أنّهم مثل غيرهم من العوامّ والمقصّرين في تطبيق أحكام الدين!

بالنسبة إلى الزهريّ وأمثاله، فقد وقف الإمام السجّاد عليه السلام موقفاً حازماً وقاسياً جدّاً حيث يلحظ هذا من خلال الرسالة التي وجّهها إليه.

وقد يتساءل بعض الناس إلى أيّ مدى يمكن أنّ تعكس «الرسالة» هذا الموقف الشديد؟ ولكن بالالتفات إلى شدّة اللهجة في مضمون هذه الرسالة الموجّهة إلى الزهريّ، وكذلك بالنسبة إلى الجهاز الحاكم، وأنّها لا تنحصر بمحمّد ابن شهاب، بل كانت تقع في أيدي الآخرين وتنتقل بالتدريج عبر الألسن والأفواه وتبقى عبر التاريخ (كما أنّنا اليوم وبعد أكثر من ١٣٠٠ سنة نتناولها بالبحث)، بالالتفات إلى هذه الأمور، يمكن أنّ ندرك حجم الضربة التي وُجّهت للقداسة الشيطانية والاصطناعية لمثل أولئك العلماء. لقد كانت الرسالة خطاباً لمحمّد بن شهاب، ولكنّها نالت من أشخاص آخرين على شاكلته. ومن المعلوم أنّ هذه الرسالة عندما تقع بأيدي المسلمين، وبالأخصّ شيعة ذلك العصر، وتنتقل عبر الأيدي، فأيّ سقوط لهيبة هؤلاء ومكانتهم ستحدثه في الأعين؟!

وهنا ننقل مقاطع من هذه الرسالة:

في البداية يقول عليه السلام: «**كفانا الله وإيّاك من الفتن ورحمك من النار**». في الجزء الثاني من هذه الجملة، نجده يخصّه بالخطاب، لماذا؟ لأنّ كلّ إنسان

يتعرّض للفتن، حتّى الإمام السجّاد عليه السلام ولكن دون أنّ يسقط فيها. ومحمّد بن شهاب يتعرّض للفتنة ولكنّه سقط. أمّا بالنسبة إلى نار جهنّم فإنّها لا تقترب من الإمام زين العابدين عليه السلام ، ولهذا خصّ الكلام هنا بالزهريّ. وابتداء الرسالة بمثل هذه اللهجة دليل على تعامل الإمام عليه السلام معه بطريقة تحقير ومعاداة. ثمّ يقول عليه السلام: «**فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أنّ يرحمك**». دقّقوا، لمن الخطاب في هذه الجملة؟ إنّها موجّهة لشخص يغبطه الجميع على حاله، فهو أحد العلماء الكبار المقرّبين للنظام الحاكم، بينما نجد الإمام عليه السلام يبيّنه ضعيفاً ووضيعاً.

بعد ذلك يشير الإمام عليه السلام إلى النعم التي حباه الله بها والحجج التي أتّمها عليه، ثمّ يقول: أنّه مع وجود تلك النعم من الله، هل تستطيع أنّ تقول كيف قد أدّيت شكرها؟

ويذكر جملة من آيات القرآن ويقول: أنّ الله تعالى لن يرضى أبداً عن قصورك وتقصيرك؛ لأنّه سبحانه قد أمر العلماء بتبيين الحقائق للناس: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[1].

وبعد هذه المقدّمة يحمل عليه بطريقة قاسية جدّاً بقوله عليه السلام : «**واعلم أنّ أدنى ما كتمت، وأخفّ ما احتملت، أنّ آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت**». ويظهر هذا الكلام الذي يطرحه الإمام بشكل واضح ارتباطه بجهاز السلطة. «**إنّك أخذت ما ليس لك ممّن أعطاك**».«**ودنوت ممن لم يردّ على أحدٍ حقّاً ولم تردّ باطلاً حين أدناك**»،

(١) سورة آل عمران: ١٨٧.

(وهو الخليفة الظالم)، فبأيّ عذرٍ تبرّر عدم إرجاعك الحقوق الضائعة وإزالة المظالم الكثيرة؟ «**وأحببت من حادّ الله**».

والجملة المؤثّرة جدّاً في هذه الفقرة عندما يقول عليه السلام : «**أو ليس بدعائه إيّاك، حين دعاك، جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليه إلى بلاياهم، وسلّماً إلى ضلالتهم داعياً إلى غيّهم سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشكّ على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم؟**». ثمّ يقول: «**فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم**»[1].

وفي هذه الرسالة الشديدة اللهجة والبليغة يفضح الإمام السجّاد هذا التيار الفكريّ والعلميّ التابع للسلطة والحكم والذي يتحرّك بدعمٍ سياسي وحكومي اجتماعيّ. فأولئك الذين قبلوا مهادنة النظام، أصبحوا مطالبين بالإجابة عن السؤال الذي بقي في المجتمع الإسلامي في ذلك الزمان وسوف يبقى عبر التاريخ.

إنّني أعتبر هذه إحدى المقاطع المهمّة من حياة الإمام السجّاد عليه السلام ، وأشعر بأنّه عليه السلام لم يكتفِ بتحرّك علميّ وتربويّ محدود بين جماعة خاصّة، بل قام بحركة سياسية. [مجلّة باسدار اسلام، ١١].

كان هذا مختصراً لحياة الإمام السجّاد عليه السلام . وهنا بالطبع أشير إلى هذه النقطة أيضاً: فرغم أنّ مرحلة إمامة الإمام السجّاد عليه السلام التي امتدّت إلى أكثر من ٣٤ سنة كانت بعيدة عن المواجهة المباشرة للنظام الحاكم، ولكن نشر بساط الإمامة الواسع وتعليم وتربية العديد من الأفراد المؤمنين والمخلصين ونشر دعوة أهل البيت عليهم السلام كان من أعظم إنجازاته. وهذا ما جعل بني أميّة يمقتون الإمام

(١) بحار الأنوار ٧٥: ١٣٢.

ويتعرّضون له. وكانوا من قبل قد جرّوه بالأصفاد والأغلال من المدينة إلى الشام ـ ولم يحدث هذا في كربلاء فقط وإنّما تكرّر في زمن آخر أيضاً ـ وقد تعرّضوا له في موارد عديدة، وآذاه أعوانهم حتّى وصل بهم الأمر سنة ٩٥ للهجرة في زمن الوليد بن عبد الملك إلى تسميمه فارتفع إلى جوار ربّه شهيداً.[مجلّة باسدار إسلام، ١٢].



الإمام السجّاد عليه السلام

رائد الفقه الإسلامي على مذهب أهل البيت عليهم السلام

❑ السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي

تمهيد

إنَّ الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (٣٨ ـ ٩٥هـ) كان له دور متميِّز بين الأئمّة الاثني عشر؛ حيث عاش مرحلةً فاصلةً بين أُسلوبين من الجهاد الذي اضطلعوا به: الجهاد العسكري الذي قام به بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كلّ من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ الحسن المجتبى السبط الأكبر عليه السلام، ثمّ الحسين الشهيد بكربلاء عليه السلام في سبيل الخلافة.

وقد كانت فظاعة شهادة الحسين عليه السلام وشناعة عمل القتلة بحيث أوجب على الأئمّة من بعده تبديل أُسلوب الجهاد وأدواته بل ووجهته، من الجهاد المعلن في سبيل الخلافة الحقّة وتولّي الحكم والسُّلطة، إلى الجهاد المعلن في سبيل الشريعة والدستور والأحكام. مع الحفاظ في كلّ من الدَّورين على الهدف غير المعلن؛ لكون كلّ منهما مكمّلاً للآخر في تحقيق أصل (الإمامة) التي هي استمرارٌ لأهداف (النبوّة) الإلهية.

وهذا البحث يتكفّل بيان أسباب هذا التَّبدُّل وأهدافه وأساليب عمل الإمام السجّاد عليه السلام في سبيل تحقيقه وتنفيذه.

شمولية الإسلام لأُمور الدين والدنيا:

إنّ الإسلام الذي اختاره الله عزّ وجلّ ديناً خاتماً لرسالات السَّماء، وجعله للبشرية ديناً قيّماً لا عوجَ فيه، جمع في تعاليمه كلّ مزيةٍ تؤثّر في كمال البشر وسعادتهم في الحياة الدّنيا، وتؤدّي إلى نجاتهم وفوزهم في الحياة الآخرة؛ ولذا احتوى ما يخصّ العقائد والالتزامات الفكرية والعلمية، كما احتوى الأحكام والوظائف العملية، سواء في ذلك ما يرتبط بدنيا الإنسان، أم ما يرتبط بدينه.

وقد تبلور هذا في سيرة المسلمين في عصر الرسول صلى الله عليه وآله؛ حيث عاشوا معه على عقائد والتزامات، منها الخضوع لحكومته صلى الله عليه وآله وولايته عليهم، وكونه أولى منهم بأنفسهم، وكذا عاشوا معه على تطبيق الدّستور الإلهي، وهي الشريعة والالتزام بأحكامها المنزلة في كتاب الله وما جاء به من سننه وقضاياه صلى الله عليه وآله.

قيام الإمامة بشؤون الإسلام كافّة:

وكذلك كان شأنُ الإمامة بعد النُّبوَّة؛ فإنّ الذين خلَّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده أئمّة للأُمَّة، إنّما جعلهم بمنزلته في كونهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنَّهم أمناء على دنيا الناس ودينهم، كما كان الرسول نفسه، فهم يقومون بما قام به من واجبات التَّعليم والإرشاد والهداية، وعلى الأمّة لهم ما كان عليهم له من الانقياد والطّاعة.

ومن هنا اتّفقت كلمة العلماء على أنّ الإمامة ـ بعد النُّبوَّة ـ هي: «رئاسة عامَّة على أُمور دين الأمّة ودنياها»، وأنّ الإمام هو الذي له هذه الرّئاسة.

وكذلك عاشت الأمّة في عصر الخلافة والخلفاء هذا الواقع، فإنّ المتربِّعين على أريكة الخلافة ـ بأيِّ طريقةٍ أووجهٍ تسنّموها ـ كانوا يرون أنفسهم أولياء

على الناس وحاكميهم على دنياهم، وكانوا يرون أنّ لهم السُّلطان وإدارة الدَّولة وشؤونها، وكذلك كانوا يتدخَّلون في الشُّؤون الدِّينية والأحكام الشرعية، فيقيمون الصلوات ويعيِّنون القضاة، بل يحاسبون الآخرين على مخالفتهم في الفقه والأحكام والالتزامات المحدَّدة.

والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام الذين نعتقد ـ نحن الشّيعة ـ بكونهم خلفاء منصوبين من قبل الله وبوصية النَّبيّ صلى الله عليه وآله بالنَّصِّ الجليّ، جعلهم أئمّة لأُمَّته، لا بدَّ أنّ يكونوا كذلك: حُكّاماً وولاةً على أُمور الدَّولة والقيادة، كما أنّهم أدلّة على الأحكام ومحدِّدون لحدودها وقائمون بشؤونها، ولا معنى لإخلاء إمامتهم عن أيِّ جزءٍ أو شرطٍ أو صفةٍ ثبتت لأصل (الإمامة) سواء ما يرتبط بالدِّين أم الدّنيا.

موقف أهل البيت عليهم السلام من هذا الواقع:

وقد كان أئمّة أهل البيت عليهم السلام يؤكّدون هذا الواقع، منذ أوّل لحظةٍ فارق النّبي صلى الله عليه وآله هذه الحياة الدّنيا، لما ثبت لهم من حقّ الإمامة الإلهية والوصاية النَّبوية، بنصوصٍ واضحة وأدلَّةٍ صريحة لائحة، لم يتصوَّر أحدٌ قيام أحدٍ بمخالفتها؛ ولذا لمّا تمَّت الأُمور في سقيفة بني ساعدة على خلاف ذلك، كان الاستنكار المعلن من أمير المؤمنين عليه السلام وجماعة أهل البيت أوّل خطوةٍ واضحة وصريحةٍ لم تخفَ على أحد، وقامت سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزَّهراء عليها السلام بإعلان ذلك على رؤوس الأشهاد، بصرخاتها المدويّة في أذن التّاريخ، بخطبها التي قطعت الطريق على كلّ محتجّ، وكُلِّ قائل، وكُلِّ حديث، حتّى قضت بما نابها من جرّاء ذلك، وممّا جرى عليها من الاعتداء: مغصوبة الإرث، مكسورة الضِّلع، وعلى عضدها من أثر السِّياط كمثل الدُّملج.

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام منحازاً عن حقّه، صابراً، وفي العين قذىً، وفي الحلق شجى، يرى تراثه نهباً[١]، فظلَّ حريصاً على سلامة ما أوصي به وأوكل إليه، يراقب عن كثب تصرُّفاتهم، حفاظاً على الإسلام أنّ لا تضيَّع أُصوله وفروعه، وعلى أهدافه أنّ لا تقلع من الجذور بيد من تسلّلوا باسم الدّين من المنافقين - إلى المناصب العليا والمقامات الرفيعة المتقدِّمة، ولم يترك موقعه، ولم يفرِّغ السّاحة لهم، بل بدأ بتدبير مهمّ، وقام يبذر بذور الحقّ في المواقع الخصبة حتّى أنبتت نباتاً حسناً، وهي الثُّلَّة الخيِّرة من الرِّجال العارفين الذين وقفوا عند الضَّرورة مواقف مشرِّفة لنصرة الحقّ، وكانوا حملته ورعاته، ونقلته ورواته، وهو عليه السلام على طول المدَّة، يصرخ بالإعلان عن حقّه المغصوب، ويشتكي على من تعدَّى على سلطانه وولايته، وأضاع على الأمّة الفرص في التَّقدُّم والازدهار، والتَّزوُّد من علوم الأئمّة الأطهار.

ولمّا رجعت إليه الأُمّة، وسلَّمت إليه الأزمَّة، أثبت جدارته، وأصرَّ على إعلان إمامته، وقاوم أُولئك الذين صنعتهم الفترة المظلمة من الجناة النّاكثين، والعتاة الباغين، وشتَّت فلول البّله المارقين، وحقَّق ونفَّذ ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله من قتال هؤلاء المجرمين، فجاهدهم على أصل حقّه في الإمامة، كما أنّ الرسول صلى الله عليه وآله جاهد الكفّار على أصل حقّه في النُّبوَّة.

وجاء دور الحسنين السِّبطين عليهما السلام بإثبات حقّها في الإمامة المنصوص عليها بقول الرسول صلى الله عليه وآله: «**هما إمامان قاما أو قعدا**»[٢]، فأثبت لهما الإمامة، سواء قاما

---

(١) كما تدلّ على ذلك خطبته الثالثة من نهج البلاغة، المعروفة بالشّقشقية، راجع: نهج البلاغة، الخطبة: (٣)، ص: ٥٤، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم.

(٢) من حديثٍ متَّفق عليه بين المسلمين، صرَّح بذلك الشيخ المفيد في النكت، ورواه الصّدوق في ⟸

بها بتطويع الأمّة وانقيادها، أو قعدا عنها بتخلُّف الأمّة وارتدادها عنهما، ولقد قاما بما وجدا من النّاصرين وإن قلُّوا، إثباتاً لحقّهما وإعلاناً عن إمامتهما، ولمّا لم يجدا أعواناً قعدا، ولكن لم يقلعا عن الإعلان عن حقّهما في الإمامة، وعن ظلم معاوية ويزيد في غصب المقام الموضوع لهما، وقد طالبا به وقاما في سبيله حتّى ذهبا ضحية جهادهما بعدوان الغاصبين وخذلان الخاذلين، فقضى الحسن عليه السلام مسموماً، وقضى الحسين عليه السلام شهيداً مظلوماً.

موقف الإمام السجّاد ومن تلاه من الأئمّة:

لقد كان قتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بتلك الصُّورة الفجيعة، وبتلك الجرأة على انتهاك حرمات الله، والتَّعدّي على رسول الله، وبذلك التَّحدّي السّافر لأحكام الله ولأعراف الناس، كان ذلك حدّاً فاصلاً بين الإسلام وما فيه من عقيدة وشريعة، وبين ما كان يؤمِّله الناس من هذا الدِّين من عدلٍ وإنصافٍ ورحمةٍ ورأفة وأعراف.

فإذاً كان الحسين عليه السلام وهو ابن الإسلام وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابي من أصحاب الرسول، وحاملٌ للإسلام الكامل بعقيدته وشريعته، الذي تلقّاه غضّاً من اللَّبن، ومن فم رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حجره مباشرة، إذا كان هذا الحسين يقتل هكذا علناً، وفي وضح النَّهار، ويذبح كما تذبح الشّاة، بلا نكير يسمع، ولا رادع



العلل عن الحسن بن علي عليهما السلام، والخزّاز في كفاية الأثر من حديث أبي أيّوب الأنصاري، وابن شهرآشوب في المناقب، وقال: «أجمع عليه أهل القبلة»، وأورده مجد الدين في التّحف، ورواه النَّاصر في ينابيع النصيحة، وقال: «لا شبهة في كون هذا الخبر ممَّا تلقته الأمّة بالقبول وبلغ حدّ التَّواتر، فصحَّ الاحتجاج به».

يمنع، ولا صوت يرفع! فمن ذا الذي يرجى لهذا الدِّين أنّ يحميه؟! ومن ذا الذي يستطيع أنّ يُرجع المياه المهدورة إلى مجاريها؟! وكيف يمكّن أحداً أنّ ينادي بطلبه أقلَّ حقّ مضاع؟! فكيف بمن ضاعت منه القيادة؟! فهل يمكنه أنّ يطلبها؟! أو غصبت منه أنّ يتقاضاها من غاصبها؟!

مع أنّ الذي حصل بقتل الإمام الحسين الشهيدعليه السلام كشف عن أنّ الأمّة ابتعدت عن ذلك الذي كان للإسلام من شمولية لحكم الدّنيا وحكم الدِّين معاً، ولم يعرفوا عن هذا الواقع شيئاً أصلاً! وإلا فما ذلك الصمت والسُّكوت والخنوع والخضوع للظَّلمة الفاسدين؟

وبهذا نعرف كلام الإمام الحسينعليه السلام: «**فعلى الإسلام السّلام، إذا قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد**»[١].

ونعرف معنى قول الإمام الصادقعليه السلام: «**ارتدَّ الناس بعد قتل الحسينعليه السلام... ثمّ أنّ الناس لحقوا وكثروا**»[٢].

ففي مثل هذا الظّرف القاسي، والذي فُقد فيه النّاصر من الناس، كان جهاد الإمام السجّاد زين العابدينعليه السلام هو السبيل الوحيد لأداء ما كان على عاتقه من واجب الإمامة، وهو الحفاظ على الإسلام بعقيدته وشريعته، أُصولاً وفروعاً؛ إذ كان هو الشخص الوحيد الذي تتّجه إليه الأنظار، ويُتوقّع منه الانتصار، باعتباره

---

(١) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح ٥: ١٧، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأُولى ١٤١١ هـ، دار الأضواء، بيروت. ابن نما الحلّي، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ١٥، منشورات المطبعة الحيدرية ١٣٦٩هـ، النجف الأشرف.

(٢) المفيد، محمّد بن النعمان، الاختصاص: ٦٤، تحقيق: علي أكبر غفاري ومحمود الزرندي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، نشر دار المفيد، بيروت.

وليُّ الثّار، وأكبر مَن في الدّنيا من بني النَّبيِّ المختار، مع فضله وعلمه وما عرف له من جميل الآثار، فهو الأَولى للقيام بعملٍ على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه.

والحقُّ أنّه قد أدَّى هذا الواجب الثَّقيل الصعب بأفضل ما يمكن، كما فصَّلنا صوراً من أدائه في كتابنا (جهاد الإمام السجّاد عليه السلام). فقد استغلَّ الإمام عليه السلام ما وصلت إليه الأحوال بالأُمّة من الانخذال عن العقيدة، ونكوصها عن الالتزامات تجاه الإمامة، وإعراضها عن معرفة هذا الحقِّ للإمام، وكانت السُّلطات تعرف من الأمّة هذا الموقف وهذه الحال، فلذا كانت لا تأبه بتصريحات الإمام ونداءاته وإعلامه عن إمامة نفسه وعن إمامة أهل البيت عامَّة. ولمعرفة الإمام عليه السلام هذه الحال، كان يعلن عن إمامة نفسه بصراحة، واستحقاقه المقام بالنَّصِّ واللّياقة، وكذلك يعلن في خطبه وأدعيته وفي المناسبات المختلفة عن أنّ هذا المقامَ مقام أهل البيت عليهم السلام؛ لئلاّ يتصوَّر أحدٌ أنّه عليه السلام تقاعس عن مطالبة الإمامة، أو تنازل عنها؛ لأنَّ منصب الإمامة ليس لأحد حتّى الإمام نفسه أنّ ينزعه عن نفسه، أو يتخلّى عنه؛ لأنّه لباس ألبسه الله إيّاه وأثبته له، ولا يكون إعراض الأمّة عنها وعن الإمام موجباً لزوال الحقِّ ولا لنفيه، وإن سكت الإمام وسكن ولم يتَّخذ إجراءً في سبيل استرجاع الحقِّ لفرض عدم النَّاصر.

البديل الموازي في الهدف:

ولمّا بلغ الأمر إلى ما آل إليه من إبعاد الإمام عليه السلام من منصبه في السُّلطة الدُّنيوية، ومنعه من أداء دوره الإلهي في هذا المجال، فإنّ الإمام السجّاد عليه السلام في مجموع ما قام به من جهو د جبّارة في النِّضال ضدَّ الحكومات الأموية والمروانية المتعاقبة في عصره، ممّا يعدُّ جهاداً في تَقويض أسسها وتفويت الفرص على التَّدأبير التي كانوا يتَّخذونها، قد قام بإحياء الإمامة وأخذ زمام أمرها بالمبادرة

إلى شقّها الثاني، وهو أمر منصبه في مجال السُّلطة الدِّينية، وهو إمام الشريعة الإسلامية، وإثبات الحقِّ الشرعيِّ للأئمَّة في قيادة الناس وهدايتهم إلى الحقِّ من شريعة الله ودينه، وتطبيق الدّستور بنصّه الصحيح الذي أوحاه الله إلى رسوله، وأورثه الرسول إلى الأئمّة من بعده، لينشروه من أصفى ينأبيعه وروافده، وهم أئمّة أهل البيتعليهم السلام؛ لكونهم أدرى بما في البيت.

ثمّ أنّ السلطات ـ بعد استتباب الأمر لهم ـ لم يكن لهم اهتمامٌ كبيرٌ بالأُمور الشرعية والدِّينية، وقد صرَّح بهذا معاوية في بداية سلطته العامّة بقوله: «إنّي ما قاتلتكم لتصلُّوا أوتصوموا، وإنَّما قاتلتكم لأتأمَّر عليكم»[1]. وهكذا كان شأن جميع من جاء بعده من الحكّام، وإنَّما كانوا يقومون بظواهر من الشرع ليخدعوا بها الناس، ويظهروا أنَّهم ملتزمون بالإسلام والشريعة، وإن كانوا بها جاهلين، بل لها مخالفين، فلهذا لم يكترثوا بمن كان يهتمُّ بأمر الأحكام الشرعية ما لم يتعرَّض للسُّلطان، ولم يزاحم العرش، ولا ما يقوم به من مخالفات في داخل البلاط من الشهو ات والنزوات.

فكان من الإمام السجّادعليه السلام أنّ بدأ العمل على هذا الجانب؛ ليحقّق هذا الشطر من الإمامة، بعد أنّ لم يستطع تنفيذ ذلك الشطر، ولم تتعرَّض له السُّلطات؛ لأنّها لم تر في هذا ما يهدّد ملكها وسلطانها، واطمئنانها بعدم تمكُّن تأثير ذلك فيها وضرره عليها؛ لوجوهين:

أوّلاً: لأنَّ أحداً لم يجرؤ على المعارضة والتَّعرُّض للسُّلطة؛ للخوف

---

(١) راجع: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٥٩: ١٥٠، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ، دار الفكر، بيروت. أبوالفرج الأصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٥، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، الطّبعة الثانية ١٣٨٥هـ ، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

المستولي على الأُمّة، ومَن حاول مثل ذلك فإنّ مصيره هو مصير القائمين بحركة الحرَّة، والتّوابين، وابن الأشعث، وزيد الشهيد عليه السلام؛ حيث أبيدوا؛ لأنَّهم لم يجدوا الأنصار.

ثانياً: لأنّ السّلطات كانت تجد من يبرِّر لهم مخالفاتهم للشَّريعة، ويصحِّحها لهم بوضع الفتاوى الباطلة، وصنع الأحاديث الموضوعة، من قبل وعّاظ السَّلاطين، بل من السَّهل صنع الفقهاء وتكبير رؤوسهم والنَّفخ في جلودهم، وإعطائهم سماتٍ بارزةً من القضاء والفتوى، بل الإمامة الفقهية، مثل ما صنعوه مع الزهري.

تدابير الأئمّة لتحقيق هذا الهدف:

إنّ الأئمّة من بعد الحسين الشهيد عليه السلام وبدءاً بالإمام زين العابدين السجّاد عليه السلام قاموا بتدابير دقيقة للوصول إلى الهدف وتحقيقه، عبر المراحل التّالية:

١ ـ توجيه الأمّة إلى أهمّية الشريعة، وتحديد موجبات الاهتمام بها.

٢ ـ إثبات انحصار العلم بالفقه الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام واستمراره عندهم.

٣ ـ التّصدّي لفقهاء السلطة ومَن يدور في فلكهم.

٤ ـ تحصيل الاعترافات من كبار فقهاء العصر بأعلميَّتهم وأفقهيَّتهم.

٥ ـ تكوين مدرسةٍ لتربية الأجيال من الفقهاء الكبار.

٦ ـ خلق الأعمال الفقهية الخالدة.

والنتيجة التي حصلت من تلك التدابير والجهو د هي: ظهو ر المذهب الفقهي المستقلُّ عن السُّلطات، والبعيد عن أغراضهم السِّياسية ومصالحهم الشخصية،

اعتماداً على النصّ الصحيح والتعبّد به، مضافاً إلى الأُصول القويمة المتلقّاة من الأئمّة أنفسهم، والتي توافق الكتاب، والسنّة الموثوقة، والعقل العادل، والمنطق العرفي السَّليم، وهي مناهل ثرَّة لارتواء أهل العلم بالمعرفة الشّاملة، ومنابع فيّاضة لإرواء المناطق التي لم ينصّ عليها بالخصوص، لاندراجها تحت المناهل العامّة التي وضعت لتكون قواعد تحلّ مسائل المكلَّفين في صور الشكّ، أو الجهل، وفقدان النُّصوص الخاصّة، أو إجمالها، أو تعارضها والارتباك فيها.

ولذا لا يوجد في الفقه الشِّيعي ما يسمَّى بمناطق الفراغ، ولا حاجة إلى اللّجوء إلى القياس الظنّي، ولا المصالح المرسلة التي تعتمد على اجتهاد الرأي، أو استصلاح البشر، المرفوض عندهم؛ لأنَّ فرض هذه الأُمور يعني العجز في الدّستور الإسلامي، أو القصور في شموليَّته وقابليَّته، بما يشّك في ربّانيته وخاتميته، والعياذ بالله.

ولنُفصِّل في تبيين الجهو د في هذه المراحل:

أوّلاً: أهمّية الشريعة وموجبات الاهتمام بها

وكما أسلفنا، فإنّ الشريعة تعتبر نصف الدِّين؛ إذ هي عقيدةٌ ودستور، ويكفي هذا لوجوب الاهتمام بها على المسلم المعتقد، مع أنّ الشريعة تدخل في صميم حياة المسلم الشخصية، والأُسرية، والاجتماعية، فتحدّد له المسار فيما يجب عليه وما يحرم، وما يلزم له أنّ يفعل أويترك، فإذن يجب عليه العلم بأحكامها في جميع ما حوله، وما له، أوعليه. ومن هنا فإنّ من الواضح ضرورة الاهتمام بها بعد الاعتقاد بالإسلام، وأنَّه دين الله، والالتزام بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وآله، وهي الثَّمرّة العينية التي يجتنيها المسلم المكلَّف من انتمائه الدِّيني، وبها تثمر مزرعته

في الدّنيا ليجني ثمارها اليانعة في دار بقائه وخلوده في الآخرة.

ولمّا انفلت من المسلمين الشطر الأوّل من الدِّين، وهو الالتزام بالإمامة في مجال الحكم والسُّلطة، وخرج من إمكاناتهم تنفيذه، فقد أصبحت العناية بالشطر الثاني من الدِّين ـ وهو الأحكام العملية وهي الشريعة ـ من أهمّ الواجبات على المكلَّف، وهذه هي الوجهة السِّياسية التي اتَّخذها الأئمّة في ذلك الظَّرف.

ثانياً: انحصار العلم بالفقه الصحيح عند أهل البيت عليهم السلام واستمراره عندهم

لقد استفاضت النُّصوص المعلنة عن أنّ العلم الصحيح هو الموجود عند أهل البيت عليهم السلام:

منها قولهم: «**إنَّ علياً عالم هذه الأُمّة، والعلم يتوارث، ولم يهلك أحدٌ منّا إلا ترك من أهله من يعلم مثل علمه**»[(١)].

وكان علي عليه السلام ينادي: «**سلوني قبل أنّ تفقدوني...**»[(٢)].

وكان الحسن المجتبى عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويجتمع الناس حوله: «**فيتكلّم بما يشفي غليل السّائلين، ويقطع حجج القائلين**»[(٣)].

---

(١) الصّفار، محمّد بن حسن، بصائر الدرجات: ١٣٨، تصحيح وتعليق: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران. الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي ١: ٢٢٢، كتاب الحجة، باب: أنّ الأئمّة ورثة العلم، الحديث الثّاني، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ.ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) قد رُوي ذلك في كثير من كتب الشّيعة والسنّة، ورواه الزَّيعلي في تخريج الأحاديث والأخبار ٣: ٣٦٥، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السَعد، الطبعة الأُولى ١٤١٤ هـ، نشر دار ابن خزيمة، الرياض، والمتقي الهندي في كنز العمّال ١٣: ١٦٥، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، نشر مؤسّسة الرِّسالة، بيروت.

(٣) الشافعي، محمّد بن طلحة، مطالب السؤول: ٣٣٨، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية.

وكان للحسين عليه السلام في مسجد جدّه الرسول صلى الله عليه وآله مجلسٌ انتبه إليه حتّى الأعداء، حتّى قال معاوية: «**ليس فيه من الهزل شَيءٌ**»[(١)].

وابن عمر مجّد الحسنين عليهما السلام، فقال: «ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنَّهما كانا يغرّان بالعلم غرّاً»[(٢)]، أي: يزقّانه كما يزقُّ الطائر فرخه.

وأقرَّ ابن الأزرق الخارجي بأنَّ أهل البيت عليهم السلام: «منار الإسلام ونجوم الأحكام»[(٣)].

وقد وصل أهل البيت كُلّهم علمهم بعلم جدِّهم الرسول صلى الله عليه وآله المتَّصل بوحي السَّماء بطريق جبرئيل عن الله، فكان كلّ واحد منهم يقول: «**حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث رسول الله**»، وقال الشاعر الشّيعي:

ووال أُناساً قولُهم وحديثُهم ... روى جدُّنا عن جبرَئيلَ عن الباري

وقد كان الإمام السجّاد عليه السلام الأكثر تأكيداً على هذا الجانب إعلاناً وتطبيقاً؛ لأنّه الأسبق تأسيساً وتشييداً بعد المرحلة الأُولى كما ترى.

ثالثاً: التّصدّي لفقهاء السُّلطة ومن يدور في فلكهم

لقد تصدّى الأئمّة بشدّة لأعوان الظّلمة من الفقهاء وأهل العلم المتلبِّسين به، والمنتسبين إليه، واعتبروهم شركاء معهم في ظلمهم وعدوانهم وتجاوزاتهم

---

(١) راجع: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ٢١٢، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحمودي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٤، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) المصدر نفسه ١٤: ١٨٤.

للحدود، فهذا الإمام السجّاد عليه السلام يقول للزُّهري وهو من الرُّؤوس الكبيرة وذوي الجلود المنفوخة، في بلاط الأمويِّين والمروانيِّين، قال في رسالته القارعة إليه: «**واعلم أنّ أدنى ما كتمت وأخفّ ما احتملت: أنّ آنستَ وحشة الظّالم، وسهَّلتَ له طريق الغيّ، بدنوِّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دعيت، فما أخوفني أنّ تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تسأل عمّا أخذت بإعانتك على ظلم الظّلمة... أوَ ليس جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم؟! وجسراً يعبرون بك إلى بلاياهم؟! وسلَّماً إلى ضلالتهم؟! داعياً إلى غيِّهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشكّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أقصى وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم**»[(١)]. ويقول في نهاية رسالته إليه: «**فنحمد الله الذي عافانا ممّا ابتلاك به**».

وكان يقول لمن يشاجره في المسائل الفقهية: «**يا هذا، لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسنّة منّا؟!**»[(٢)].

ويقول لرجل من أهل العراق: «**أما لوكنت عندنا بالمدينة، لأريناك مواطن جبرئيل من دورنا، استقانا الناس العلم، فتراهم علموا وجهلنا؟!**»[(٣)].

---

(١) راجع: تحف العقول لابن شعبة:٢٧٥، تصحيح وتعليق: علىأكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم. وقد نقلها الغزالي في كتاب إحياء العلوم ناسباً لها إلى أخٍ للزهري في الدين، فراجع.

(٢) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٣٠٠، نشر وتحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٩٤، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأُولى ١٤٠٨، قم المقدّسة.

(٣) الصّفار، محمّد بن حسن، بصائر الدرجات: ٣٢، تصحيح وتعليق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران.

وهكذا قاوم الإمام الانحراف الفقهي الذي مُنيت به الأمّة طوال عهد الخلفاء المبطلين، بالتزام الشريعة وأخذها ممَّن حاول التَّفقُّه من طرق لا تتَّصل بمنابعه الصّافية المأمونة، بل اعتمدوا الآراء والمقاييس العقلية التي لم ينزل الله بها من سلطان، فكان يقول بكُلِّ صراحة: «**إنّ دين الله لا يصاب بالعقول النّاقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، لا يصاب إلا بالتَّسليم، فمن سلَّم لنا سلم، ومن اقتدى بنا هدي، ومن كان يعمل بالقياس والرأي هلك**»[1].

واسمع قوله في تهديد المنحرفين: «**ومن وجد في نفسه ممّا نقوله أو نقضي به حرجاً، كفر بالذي أنزل السَّبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم**»[2].

هكذا شدَّد الإمام النَّكير على تلك البوادر المضلَّلة، وحارب بدعة تقليد غير أهل البيتعليهم السلام من المذاهب المصطنعة، المجعولة من قبل السّلطة، والمعطاة لأصحابها البعداء عن الأئمّة سببيّاً ولا يرتبطون بهم نسبيّاً.

وهو ـ في نفس الوقت ـ يحدِّد المنبع الفيّاض، والمنهل العذب للشَّريعة، وحثَّ الأمّة على تقليد أهلها، وهو فقه أهل البيتعليهم السلام.

رابعاً: اعتراف كبار علماء العصر وفقهائهم بأفقهية الإمامعليه السلام

إنَّ الجهود المذكورة سبَّبت اعتراف كبار الفقهاء، بأنَّ الإمام السجّادعليه السلام هو أفقه أهل عصره، بما فيهم علماء البلاط ووعّاظ السَّلاطين. فهذا أبوحازم

(١) الصّدوق، كمال الدين وتمام النِّعمة: ٣٢٤، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين ١٤٠٥ هـ.
(٢) المصدر نفسه.

ـ وهو من الزُّهّاد والفقهاء المعروفين ـ يقول: «ما رأيت هاشميّاً أفضل من علي ابن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه»[1].

ومثله قال الزهري ابن شهاب المقدّم في البلاط[2].

وكذلك من الأئمّة الشّافعي الذي تأخَّر عنه قال: «وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة...»[3].

خامساً: تكوين مدرسة لتربية الأجيال من الفقهاء الكبار

لقد سعى الإمام السجّادعليه السلام في تركيز فقه أهل البيتعليهم السلام بين الأمّة وتبيينه وبثّه، بتعليمه لأكبر عدد ممكن ممَّن حوله من طلّاب العلم القاطنين في المدينة، أو المهاجرين الوافدين من أطرافها، مضافاً إلى الأعداد الكبيرة من الإماء والعبيد الذين كان يشتريهم ليعتقهم بعد أنّ يعلّمهم طوال سنة، يعيشون معه، ثمّ يموِّلهم لينتشروا في الأرجاء ويبثُّوا تعاليمه، وقد تحدَّثنا عنهم في كتاب (جهاد الإمام السجّادعليه السلام).

وكذلك بثَّ العلم والوعي بين طلاب العلم الذين كانوا يحضرون دروسه التي كان يلقيها في مسجد الرسولصلى الله عليه وآله في المدينة، وقد تألَّفت منهم مجموعةٌ كبيرةٌ تقدَّر بألف شخص، سمُّوا بـ(القرّاء).

---

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤١: ٣٧٣، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأُولى ١٤١٨ هـ، دار الفكر، بيروت. الشيخ الصّدوق، محمّد بن علي، علل الشّرائع ١: ٢٣٢، تقديم: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات مكتبة الحيدرية ١٣٨٥هـ، النجف الأشرف.

(2) الحافظ العجلي، معرفة الثّقات ٢: ١٥٣، الطبعة الأُولى ١٤٠٥، مكتبة الدار، المدينة المنوّرة.

(3) ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٧٤، تحقيق: محمّد أبوالفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢م.

والمراد بهم الذين يعرفون القراءة، ويدرسون الكتب بما في ذلك القرآن الكريم، ولم تختصّ التسمية بقرّاء القرآن فقط، كما هو المعروف اليوم، أو قبيل اليوم.

ولو فرض كون المراد خصوص الذين يقرأون القرآن، فلا ينافي أنّ يكونوا طلبة للفقه وقرّاء لغيره من كتب العلم أيضاً؛ إذ لا معنى لمن يقرأ القرآن بحيث يكون معروفاً بذلك أنّ لا يقرأ غيره من كتب العلم. مع أنّ قارئ القرآن لا بدَّ أنّ يكون مدركاً لمعانيه عاملاً بمؤدّاه بما في ذلك العقائد والفقه وغير ذلك. فكلمة (القرّاء) بأيّ من هذه الوجوه فُرض معناها، فهي دالَّةٌ على أنّ تلك المجموعة كانوا من أهلِ العلم طُلاباً وغيرهم، فإذا قرأنا النصّ نجده يقول: «**إنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين، فيخرج وخرجنا معه ألف راكب**»(١).

وهذا يدلّ على التزام القرّاء ركاب الإمام عليه السلام دون غيره من الصحابة الذين كان عددهم كثيراً في ذلك العصر، ولا التّابعين الكبار الذين كان عددهم أكثر. فالتزام الخروج مع خصوص الإمام عليه السلام فيه من الدّلالة الواضحة على اعتقادهم بأعلمية الإمام بأُمور الحجِّ، وهذا هو شأن الناس وديدنهم أنَّهم يصحبون الأعرف بأحكام الحجِّ ليكون مرشداً لهم.

وإذا عرفنا أنّ المتكلّم بذلك النصّ هو سعيد بن المسيّب الفقيه المعترف بعلمه، نجد مدى ما كان للإمام السجّاد عليه السلام من الاعتراف له بالعلم بالأحكام.

إن انتشار تلك المجموعة بين الأمّة واحدةٌ من ثمار تلك الجهو د الحثيثة في مدرسة الإمام عليه السلام، وقد نبغ فيهم الكثيرون من أمثال سعيد بن جبير الشهيد، الذي

---

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرِّجال ١: ٣٣٣، تصحيح وتعليق: المير داماد الاسترابادي، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ١٤٠٤هـ، قم.

كان ابن عبّاس ـ حبر الأمّة وبحرها ـ إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول لهم: «أليس فيكم ابن أُمّ الدّهماء؟!» يعني: سعيد بن جبير[(١)].

وابن عمر، لمّا سئل عن فريضة في الإرث، قال للسّائل: «ائت سعيد بن جبير فإنّه أعلم بالحساب منّي»[(٢)]. فإذا كان واحدٌ من تلامذة الإمام السجّادعليه السلام بهذا المستوى أنّ أرجع إليه صحابيان ممّن يعدّ من العلماء والفقهاء، فكيف بالإمام نفسه؟!

إنّه حقّاً كان الأفقه والأعلم بلا منازع.

سادساً: خلق الأعمال الخالدة

إنّ من جهو د الإمام السجّادعليه السلام أنّه خلّد تراثاً عظيماً، تستمتع منه الأجيال: فمضافاً إلى رسالة الحقوق الوثيقة الإنسانية العظيمة، التي تعتبر من مفاخر الإسلام، وإلى الصحيفة السجّادية التي هي من نواجز الفكر الإسلامي العريق، فهناك الأدعية الكثيرة والعظيمة التي استدركت ملحقات للصّحيفة الأُولى، والتي سمّيت بالثّانية والثّالثة، وهكذا إلى السّابعة، ويحتوي مجموعها على كنز علميٍّ عرفاني تربوي أخلاقي، بل موسوعة فذّة تفتخر بها الأمّة الإسلامية مدى الأجيال.

ثمّ إنّ الحديث الشريف يعتبر ثاني مصادر الفكر الإسلامي بعد القرآن

---

(١) الحافظ المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال ١٠: ٣٦٤، تحقيق وضبط: الدكتور بشّار عوّاد معروف، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ، مؤسّسة الرسالة، بيروت. الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٢٥، إشراف وتخريج:شعيب الأرنؤوطومأمون الصّاغرجي، الطبعةالتّاسعة ١٤١٣ هـ، نشر: مؤسّسة الرسالة، بيروت.

(٢) محمّد بن سعد، الطبقات الكبرى ٦: ٢٥٨، دار صادر، بيروت. الذهبي، شمس الدين محمّد بن أحمد، سير أعلام النّبلاء ٤: ٣٣٦، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط ومأمون الصّاغرجي، الطّبعة التّاسعة ١٤١٣ هـ، نشر: مؤسّسة الرسالة، بيروت.

الكريم، وكانت رواية الحديث هي السِّمة البارزة للفقهاء الأوائل، وكان للإمام دورٌ كبيرٌ في هذا المجال؛ حيث أثبت علماء الرِّجال (١٧٠) راوياً ممَّن اتَّصل بالإمام ورووا عنه الحديث، كما سجَّله الشيخ الطوسي في كتاب (الرِّجال).

وأمّا جهده الحثيث في تخليد الحديث، فقد ذكروا له ما يلي:

(نسخة) رواها حفيده عبد الله بن إبراهيم من أبناء الحسين الأصغر.

والنسخة في مصطلح الحديث هي: الكتاب الجامع للرِّوايات المنقولة عن المنسوبة إليه بالخصوص من دون تحديد موضوع ولا ترتيب أبواب.

(كتاب حديثه عليه السلام) جمعه داود بن علي بن بشير، أبوسليمان الدَّهّان الكوفي.

وهذا العنوان يقتضي أنّ يكون حديثه من الكثرة ما يُجمع بين دفَّتين.

كما يدلُّ على كثرة حديثه عليه السلام أنَّهم أعدُّوه من (الحفّاظ الكبار) وقد ترجمه الذهبي في كتابه (تذكرة الحفّاظ).

ومجموع هذه الشواهد تكون حجراً يلقَّم به من قال في الإمام عليه السلام: «إنَّه قليل الحديث».

وهذا ظلم سافر من ذلك القائل ومن لفَّ لفَّه.

ونقترح أنّ يجمع حديث الإمام في (جامع) ليكون دليلاً عينيّاً على جهد الإمام عليه السلام، كما يتحدَّد معه أهمُّ الموضوعات التي كان يعتني بها، والله الموفِّق والمعين.

وأمّا في الفقه:

فقد أُثر عنه ما أَلَّفه المحدِّث الشهير أبوحمزة الثُّمالي في كتاب (الجامع في الفقه).

كما أنّ كتابه (المنسك) الذي بقي محفوظاً، هو من التراث الإسلامي الخالد، وهو يجمع ما يرتبط بالحجِّ في ثلاثين باباً، يحتوي على أحكامه الواجبة وسننه المندوبة.

وقد وفّقني الله لتحقيقه، ونسأله تعالى التّوفيق لنشره.

وأخيراً:

تمهيد الإمام السجّادعليه السلام لمن يليه من الأئمّةعليهم السلام:

إنّ من كبار تلامذة الإمام السجّادعليه السلام هم أولاده الثّلاثة: الإمام الباقر محمّد، وزيد الشهيد، والحسين الأصغر، وقد اشتركوا جميعاً في رواية (المنسك) عن أبيهم الإمامعليه السلام، كما شرحنا ذلك في ما قدّمناه للكتاب.

كما أنّ كلاً منهم روى عن الإمام، وخاصّة الحديث والفقه.

وكذلك روى عن الإمام السجّادعليه السلام حفيده الإمام جعفر الصّادقعليه السلام.

وقد كانت جهود الإمام السجّادعليه السلام العلمية، وبالأخصّ الفقهية، تمهيداً للإمام الباقرعليه السلام أنّ يتزعّم المدرسة الفقهية لأهل البيتعليهم السلام وأن يوسّعها، وإلا فإنّ من غير الممكن أنّ توجد تلك المدرسة الكبيرة التي عمل فيها الإمام الباقرعليه السلام فجأة، في فترة إمامته (٩٥ ـ ١١٤هـ) وكذلك الإمام الصادقعليه السلام الذي تمكّن من إنمائها وترويتها حتّى بلغ عدد تلاميذه في نهاية عصره ما ينوف على (أربعة آلاف) طالب علم وراو للحديث، منهم (٧٠٠) شيخ في مسجد الكوفة فقط، كما حدّده مؤرّخو العلم.

الخاتمة:

وهكذا فقد أثبتنا أنّ الإمام السجّادعليه السلام تمكّن بجهاده وجهوده من بسط ولاية أهل البيتعليهم السلام على الأُمّة، وإنقاذها من الضّلالة التي أرادها لها المحرّفون لسنن الدّين والرّسالة، وتمكّن الإمام أنّ يُحافظ على الشريعة الإسلامية في ظلّ أهل البيتعليهم السلام، وحسب معرفتهم ومن معين علومهم، بعد أنّ سُلبت منهم السُّلطة الحكومية بأقسى وجه يعتمد سفك الدّماء الطّاهرة، وإزهاق الأرواح البريئة، وسحق الكرامات، وهدر الحرمات، مثل ما انتهى إليه الأمر في كربلاء.

وقد تمكّن الإمام السجّادعليه السلام بجهاده المرير من فرض الولاية التَّشريعية على السّاحة بأفضل وجه وأقواه وأحكمه، بحيث لم يتمكَّن الأعداء من سلبه وإبادته، على الرُّغم من العراقيل التي وضعها الحكّام بعد ذلك في طريق الأئمّة وأصحابهم، حتّى بلغ الأمر ببعض الأذناب أنّ يصرِّح: بأنَّ أهل البيت قد تفرَّدوا في الفقه بمذاهب شاذَّة!

وهذا واحد من نتائج الضغوط التي مارسها الطّغاة الحاكمون بالزّور، في مواجهة الأئمّة الذين قاوموا كلّ ذلك إلى حدّ الشهادة، ونشروا الحقَّ حتّى من وراء قضبان السُّجون الرهيبة، وكذلك أصحابهم الثُّقات الذين حملوا هذا الحقَّ ونشروه، وهم مطاردون، يحملون على أكتافهم أعمدة المشانق، ويواجهو ن فقهاء السُّلطة الذين اصطنعتهم، ونفخت في جلودهم في قبال أهل البيتعليهم السلام إطفاءً لنورهم، وإخفاءً للحقِّ الذي حملوه، ونشروه، وضحُّوا من أجل الحفاظ عليه، إحياءً لشريعة الإسلام، ولتتمَّ الحجَّة، ولئلا تخلو الأرض منها على مدى الأيّام.

وبجهادهم وجهو دهم، ظلَّ الفقه الشّيعيّ، فقه أهل البيتعليهم السلام خالداً حيّاً يلمع بين المذاهب الإسلامية الأُخرى، ويستهو ي إليه روّاد الحقيقة النّاصعة، وطلاّب الحقِّ المبين.

وعلينا أنّ نسعى في إبراز معالم فقه الإمام السجّادعليه السلام والتّنقيب عن جذوره ليعرف الفقهاء في العالم الإسلامي أنّه الأسبق والأقوم والأفضل؛ لأنّه ينتمي إلى أهل بيت الرِّسالة والنبوّة والإمامة، بأفضل الطُّرق وأصحِّها على الإطلاق.

وفَّقنا الله تعالى لذلك.



العرفان الإسلامي الأصيل
على ضوء المعارف السجادية

❑ آية الله الشيخ محسن الأراكي

تقديم

معرفة الحقّ تعالى، والسّير والسّلوك إليه، وحبّه، ومحبّة الهداة إلى سبيله، والتي نتيجتها الهداية إلى الصّراط الإلهيّ المستقيم، وسلوك طريق محبّته والقُرب منه، لهي خلاصة معارف أنبياء الله وأوليائه، وعصارة تعاليم رسول الله ﷺ وخلفائه بالحقّ.

ليس العرفان الإسلامي الحقيقي سوى هذه الأُمور التي ذكرناها. العرفان الخالص في الإسلام إنّما هو المعرفة والمحبّة وسلوك الصّراط المستقيم الذي بيّنته معارف القرآن وتعاليمه، وفسّرته سنّة النبيّ الأعظم ﷺ وسيرة أئمّة الهدى (صلوات الله عليهم أجمعين).

وللأسف الشّديد، فإنّ يد التحريف التي كانت، ولا تزال، تمتدّ لتطال الحقائق النّاصعة من قبل الفاسقين والجاهلين والمغرضين وأهل الزّيف والادّعاء والتزوير، هذه اليد السّوداء، قد امتدّت أيضاً إلى صفاء العرفان الإسلامي لتغيّره، بل لتقلبه رأساً على عقب، حتّى استبدلته بأفكار وطرق وتسويلات وتلبيسات شيطانيّة، الأمر الذي أدّى، وتحت عناوين مزيّفة كالتصوّف والعرفان، إلى قطعٍ

طريق الحقّ أمام الكثير من روّاده وسالكيه، وإلى إخفاء العرفان الأصيل تحت غشاء هائلٍ من الجهالة والتحريف والتشويه والكتمان، كما أدّى إلى حرمان العديد من طلاّب الحقيقة من المتعطّشين إلى معارف الشّريعة الغرّاء من الارتواء من المعين الصّافي للعرفان الإسلامي والسّير والسّلوك المحمّديّ صلى الله عليه وآله والعلويّ عليه السلام.

إنّ العلماء الوارثين لعلوم محمّد وآل محمّد عليهم السلام ومعارفهم، ممّن لديهم معرفةٌ بالقرآن الكريم وبالكنوز المعرفيّة المخزونة في داخله والتي تمّ بيانها وتفصيلها من قبل محمّد وآله عليهم السلام، أنّ هؤلاء تقع على عاتقهم مسؤوليّةٌ هي من أهمّ الوظائف المنوطة بهم، وهي أنّ يزيلوا غبار التّحريف عن معارفهم الأصيلة عليهم السلام وعن عرفانهم الحقّ، وأن يفتحوا الطّريق أمام السّالكين إلى المحبوب الأعلى عبر فضح التّزوير والتّزييف الذي يدسّه المحرّفون والمزوّرون في هذه المعارف، ورفع غطاء الجهل والجهالة الذي يُحاولون أنّ يُسدلوه على العرفان الإسلامي الحقّ.

إنّنا نجد في ما يترشّح من المؤتمر الذي يجري عقده حول الإمام السجّاد عليه السلام من قبل المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام فرصةً مناسبةً ومؤاتيةً لاستلهام المعارف والكنوز القيّمة المُودَع أكثرها في مضامين أدعيته الشّريفة عليه السلام، ولا سيّما تلك الأدعية الواردة في الصحيفة السجّادية، وهذا ما يدعونا إلى أنّ نخطو خطوةً في مسيرة بيان أصول العرفان الإسلامي في المعارف السجّادية، مهما كانت تلك الخطوة قصيرةً، أو مهما كانت شيئاً لا يُذكَر.

العرفان الإسلامي عبارةٌ عن مزيجٍ يختلط فيه العقل والعشق والعمل، أو خليط تمتزج فيه الرّؤية والتّذوّق والاحتراق.. فالعقل والفكر بوعيٍ وبصيرة هو ما

يكفل الوصول إلى الطريق المؤدّي إلى المقصد، والعشق هو الذي يتكفّل بنيل لذّة الوصول إلى المقصود، وعلى أثر ذلك يتولّد العزم والإرادة، وبعدهما وبواسطة الفناء والاحتراق يحصل التّخلّي عن كلّ ما هو فانٍ ووضيع، ليتمسّك السّالك بكُلّ ما هو باقٍ ورفيع.

ويُقال للبصيرة والنّظر اللّذان يُتَوصّل إليهما عن طريق العقل «العرفان النظري»، كما يُمكن التعبير عن العشق والمحبّة اللّتين توفّران الطّاقة للسّلوك وتحرّكان وتبعثان على العمل بـ«عرفان الولاء»، وأمّا الاحتراق والفناء والعمل الذي هو الوسيلة للقُرب والوصول فيُقال له: «السّير والسّلوك» أو«العرفان العمليّ».

ومن هنا، فإنّ مقالتنا هذه، وبما أنّها تتناول مسألة (أُصول العرفان الأصيل الإسلامي على ضوء المعارف السجّادية)، فهي تتوزّع على أقسامٍ ثلاثة، هي: العرفان النظري، عرفان الولاء، والعرفان العملي.

القسم الأوّل: العرفان النظري في المعارف السجّادية

يُمكن تلخيص العرفان النظري على ضوء معارف الإمام السجّادعليه السلام في مجموعة أصولٍ أساسيّة:

الأصل الأوّل: معرفة الحقّ

إنّ ذات الباري تعالى هي الهدف الأوحد وهي المقصود الأصليّ في عالَم الموجودات، وهو المراد والمقصد لكلّ عارفٍ وسالك، بل لكلّ عاقلٍ وعالِم. فالعقل الذي أدرك أنّ الوجود الوحيد الذي قَام بذاته، والذّات الوحيدة التي انحصر فيها الكمال المُطلَق، والجمال المحض، والحقّ الصّافي الخالص من شوب كلّ باطلٍ، العقل الذي يُدرك ذلك جيّداً لا يُمكن له إلا أنّ يحكم بأنّ

هذه الذّات هي الوحيدة التي تستحقّ أنّ تُقصَد وتُطلَب، كما جاء في كلامه تبارك وتعالى: ﴿... وَلَهُ أَسلَمَ مَن في السَّمَاوَات وَالأَرض طَوعاً وَكَرهاً وَإِلَيه يُرجَعُونَ﴾[1]، وقوله:﴿لَهُ دَعوَةُ الحَقِّ وَالذينَ يَدعُونَ من دُونه لاَ يَستَجيبُونَ لَهُم بشَيء إلا كَبَاسط كَفَّيه إلى المَاء ليَبلُغَ فَاهُ وَمَا هو ببَالغه وَمَا دُعَاءُ الكَافرينَ إلا في ضَلاَل﴾[2]. وقوله على لسان إبراهيم العارف بالله: ﴿فَلَمَّا رَأى الشَّمسَ بَازغَةً قَالَ هذَا رَبِّي هذَا أَكبَرُ فَلَمَّا أَفَلَت قَالَ يَا قَوم إِنِّي بَريءٌ ممَّا تُشركُونَ﴾[3].

وقد ورد هذا المضمون وتمّ التأكيد عليه في الأدعية المأثورة عن الإمام السجّاد عليه السلام، ففي الدّعاء المعروف بـ(مناجاة المريدين) يقول عليه السلام:

«**إلهي، فاسلك بنا سُبُل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطّرق للوفود عليك..**»، إلى أنّ يقول: «**فأنت لا غيركَ مُرادي، ولَكَ لا لسواكَ سَهَري وسُهادي، ولقاؤكَ قُرَّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليكَ شوقي، وفي محبّتكَ وَلَهي، وإلى هو اكَ صبابتي، ورضاكَ بُغيتي، ورُؤيتك حاجتي، وجواركَ طلبي، وقُربُكَ غاية سُؤلي..**».

وفي الدّعاء المعروف بـ(مناجاة المحبّين) يقول عليه السلام:

«**يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبّين، أسألك حبّك، وحبّ مَن يُحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُوصلني إلى قُربك، وأن تَجعلك أحبّ إليّ ممّا سواك**».

وورد أيضاً في (مناجاة المُفتقرين):

«**فيا مُنتهى أمل الآملين، ويا غاية سؤل السّائلين، ويا أقصى طلبة الطّالبين، ويا أعلى رغبة الرّاغبين**».

---

(١) سورة آل عمران: ٨٣

(٢) سورة الرعد: ١٤.

(٣) سورة الأنعام: ٧٨.

الأصل الثاني: إمكان معرفة الحقّ لكلّ أحد

ليس باب معرفة الحقّ موصداً في وجه أحدٍ من البشر، بل أنّ تكريم الإنسان وجعله أفضل من غيره من الحيوانات والبهائم لهو في حدّ نفسه عطيّةٌ عُظمى وشرفٌ كبيرٌ يُفترض أنّ يكون كافياً لحضّ الإنسان على التّعرّف على الباري سبحانه وعلى المبادرة إلى حمده وشكره.

فقد جاء على لسان الإمام السجّادعليه السلام في أوّل أدعية الصحيفة قولهعليه السلام:

«**والحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وأَلَهَمنا من شُكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربويّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشّكّ في أمره**».

وفي مقطعٍ آخر من نفس هذا الدّعاء قالعليه السلام:

«**والحمد لله الذي لوحبس عن عباده معرفة حمده، على ما أبلاهم به من مننه المتتابعة، وأسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة، لتصرّفوا في مننه فلم يحمدوه، وتوسّعوا في رزقه فلم يشكروه، ولوكانوا كذلك لخرجوا من حدّ الإنسانيّة إلى حدّ البهيميّة فكانوا كما وصف في مُحكم كتابه: ﴿أنّ هُم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً﴾**.

إنّ معرفة كيفيّة الحمد والشّكر لأيّ محمودٍ ومشكور تتوقّف يقيناً على معرفة هذا الشّخص نفسه؛ ولذا، فإنّ فتح باب معرفة الحمد والشّكر الإلهيّين في وجه العباد يُعَدّ دليلاً حتميّاً على أنّ الباب إلى تعرّفهم عليه تعالى ليس مُغلقاً، وإلا، فلوكان باب المعرفة مسدوداً لكان باب الحمد والشّكر بدوره مُوصَداً ومُقفلاً.

الأصل الثالث: حدود معرفة الحقّ ومجالها

يُستفاد من مجموع كلمات الإمام السجّاد عليه السلام وأدعيته أنّ معرفة الله تعالى ليست من قبيل المعرفة الحسّية أو الذّهنية التي تقوم على التصوّر بالحدّ أو بالرّسم، وإنّما هي معرفة من نوعٍ آخر يمكن أنّ نعبّر عنها بـ: (المعرفة بالاسم والإشارة).

إنّ معرفة الله تعالى التي تعتمد على آلة ووسيلة هي الحسّ أو الذهن معرفةٌ لا يُمكن لها أنّ تبلغ ذاته تعالى، وإنّما تقفُ عند حدٍّ وهو معرفة آياته وأسمائه، ولا تستطيع أنّ تتعدّى ذلك الحدّ أو أن تتجاوزه، غايةً ما هنالك أنّ نتيجة إدراك الحسّ البشريّ للآيات الإلهية، وإدراك الذّهن البشريّ أيضاً للأسماء الإلهية، أنّ نتيجة هذين الإدراكين هي الحصول على إشارات وعلامات ترمز إلى الذّات القُدسيّة وتوفّر للإنسان معرفةً تصديقيّةً بهذه الذّات المتّصفة بجميع صفات الجلال والجمال.

ويعود السّبب في ذلك إلى أنّ الذّات القُدسيّة للباري تبارك وتعالى هي الكمال المُطلَق الذي لا حدّ له ولا نهاية، فهي لذلك أرفع وأجلّ من أنّ تكون في متناول حسّ البشر وأوهامهم وخيالهم.

وقد جرى التّأكيد، وبشدّة، على هذا المطلب أيضاً في القرآن الكريم وفي الرّوايات والأدعية الواردة عنٍ المعصومين عليهم السلام، من بينها ما جاء في أوّل أدعية الصحيفة السجّادية من قوله عليه السلام:

«**الذي قصرت عن رؤيته أبصار النّاظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين**».

وأيضاً ورد في الدّعاء (٣٢) من الصحيفة:

«**عزّ سُلطانك عزاً لا حدّ له بأوّليّة،ولا مُنتهى له بآخريّة، واستعلى ملكك**

علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت النّاعتين، ضلّت فيك الصّفات، وتفسّخت دونك النّعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام».

وفي الدّعاء (٤٧) من أدعية الصحيفة:

«أنت الذي لا تُحَدّ فتكون محدوداً، ولم تمثّل فتكون موجوداً، ولم تلد فتكون مولوداً، أنت الذي لا ضدّ معك فيعاندك، ولا عِدل لك فيكاثرك، ولا ندّ لك فيعارضك، أنت الذي ابتدأ واخترع، واستحدث وابتدع، وأحسَنَ صُنع ما صَنَع».

ويجدر الانتباه هنا إلى أنّ الموجوديّة التي نُفيت في هذا المقطع من الدّعاء عن ذات الباري تعالى إنّما هي الموجوديّة بعد العدم، أي: التي تكون من نتائج الإيجاد.

إنّ معرفة ذات الحقّ تعالى، والتي شُرِّف بها البشر وفُتِح طريقها وسيعاً أمامهم، هي من قسم المعرفة الحضوريّة، التي تحصل للإنسان مباشرةً بلا واسطة أو دليلٍ أو برهان، وإنّما تحصل للإنسان عن طريق روحه وإحساسه الشّهو ديٍّ والقلبي.

كما جاء في الدّعاء الذي لقّنه الإمام السجّاد عليه السلام لأبي حمزة الثمالي:

«إلهي بك عرفتُكَ، وأنتَ دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنتَ لم أدرِ ما أنت».

كما أشار إلى ذلك أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصّباح عندما قال:

«يا مَن دلّ على ذاته بذاته».

وهذا النّوع من المعرفة ذو درجات ومراتب، وأعظم هذه الدّرجات مرتبة تعلّق الرّوح الكامل بعزّ القُدس الإلهيّ، كما ورد في المناجاة الشّعبانيّة ـ والتي رُوي: أنّ الأئمّة المعصومين جميعاً كانوا يواظبون على قراءتها، ومن بينهم الإمام

السجّاد عليه السلام ـ:

«**إلهي، هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النّور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقةً بعزّ قُدسك**».

وتبدأ أُولى مراحل هذا النّحو من المعرفة بالهبات الإلهية والعطاء الرّحماني الذي يصل إلى كافّة أفراد البشر، إلا أنّ بلوغ مراتبها الأعلى والأرفع يستدعي الحصول على عطاء الرّحمة الرّحيميّة لذات الباري تعالى، وهذا ما لا سبيل إليه إلا بالعمل المُخلص والطّاعة الرّاسخة والذّكر الدّائم له سبحانه، وإلا بالموالاة والاتّباع الكامل لمحمّد وآل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين).

ويُشير الإمام السجّاد إلى هذا المضمون في الدّعاء المرويّ عنه عند ختم القرآن، يقول:

«**اللّهمّ، إنّك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً ...**» إلى أن يقول: «**وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظُلم الضّلالة باتّباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى اتّباعه، وميزان قسط لا يَحيف عن الحقّ لسانه، ونور هدىً لا يُطفَأ عن الشّاهدين بُرهانه...**» إلى أن يقول: «**اللّهمّ، إنّك أنزلته على نبيّك محمّد صلّى الله عليه وآله مُجملاً، وألهمته علم عجائبه مكمّلاً، وورّثتنا علمه مفسَّراً، وفضّلتنا على مَن جهِل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق مَن لم يُطِق حَملَه. اللّهمّ، فكما جعلتَ قلوبنا له حَمَلَة، وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصلّ على محمّد الخطيب به، وعلى آله الخزّان له...**» ـ إلى قوله ـ: «**اللّهمّ، وكما نصبتَ محمّداً عَلَماً للدّلالة عليك، وأنهجت بآله سُبل الرّضا إليك، فصلّ على**

محمّد وآله واجعل القرآن وسيلةً لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسُلّماً نعرج فيه إلى محلّ السّلامة...» إلى آخر الدّعاء.

وعندما نذكر أنّ باب معرفة الله ليس مُغلقاً في وجه الإنسان، فهذا لا يعني أنّ الإنسان يمتلك قُدرةً لا متناهيةً على التجوال في ميدان المعرفة الإلهية، بل هناك دون ريب حريمٌ للذّات القُدسيّة الإلهية ليس بمقدور جميع المخلوقين أنّ يردوها أو أن يطأوا أرضها، بل أنّ ورود هذا الحريم يُشَكّل هدفاً ومطمعاً للعارفين، وهو أحياناً أمنيةٌ لهم يستشعرون من أنفسهم مسيس الحاجة إليها، فيطمحون إلى تحقيقها متوسّلين ربّهم بنداء ﴿**ربّ، أرِني أنظُر إليك**﴾، إلا أنّ الجواب القاطع ﴿**لن تراني**﴾، يقرع سمعهم ليقطع جناحَي طائر الوهم، وليقضي نهائيّاً على هذه الأمنية السّاذجة. وهذا الحدّ والحريم، هو بعينه حدّ (العلم المُستَأثَر)، الذي تكرّرت الإشارة إليه في أدعية المعصومين عليهم السلام.

يقول الإمام السجّاد في الدّعاء (٣٢) من الصحيفة:

«**واستعلى ملكك علوّاً سقطت الأشياء دون بلوغ أمده، ولا يبلغ أدنى ما استأثرتَ به من ذلك أقصى نعت الناعتين، ضلّت فيك الصّفات، وتفسّخت دونك النّعوت، وحارت في كبريائك لطائف الأوهام**».

وفي الدّعاء (٥٠) من الصحيفة:

«**فأسألك اللّهمّ بالمخزون من أسمائك وبما وارته الحجب من بهائك**».

ولهذا السّبب أعفى الله تعالى الإنسان، ولم يُثقل كاهله بعبء أنّ يكلّفه بالسّعي والكدح نحو تلك السّاحة المقدّسة، كما يقول عليه السلام:

«**لقد وضع عنّا مالا طاقة لنا به، ولم يكلّفنا إلا وسعاً، ولم يجشّمنا إلا يُسراً**».

ومن هنا، كان التّصديق والإقرار بالعجز عن معرفته تعالى علامةً على

الكمال، وسبيلاً إلى المعرفة الإلهية، قال الإمام السجّادعليه السلام في (مناجاة العارفين):

«**ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك**».

الأصل الرّابع: نسبة ما عدا الخالق إليه

في العرفان النظري للإمام السجّادعليه السلام أنّ كلّ موجود سوى المبدأ تعالى ممكن الوجود، وأنّ إمكان وجوده هو عين تعلّقه بالحقّ تعالى، وأنّه لا يُمكن أنّ يستقلّ عن ذاته القُدسيّة لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وآثاره، ولا في أيّ شيء من شؤونه وحيثيّاته.

فكُلّ كائنٍ في عالم الخلق ارتدى ثوب الوجود أو يمكن له أنّ يرتديه، فهو في وجوده وفي جميع حيثيّات وجوده وجهاتها عين التعلّق بالذّات القُدسيّة للحقّ تعالى، لا أنّه شيءٌ متعلّقٌ به، بل هو عين التعلّق والتدلّي، وليس في حقيقته شيئاً آخر وراء التعلّق والاتّصال بذاته تعالى.

وبهذا المعنى يقول الإمام السجّادعليه السلام متضرّعاً ربّه:

«**سبحانك خضع لك ما جرى فى علمك، وخشع لعظمتك ما دون عرشك، وانقاد للتسليم لك كلّ خلقك، سبحانك لا تُحَسّ ولا تجسّ ولا تُمسّ ولا تُكاد، ولا تُنازَع ولا تُجارى ولا تُمارى، ولا تُخادع ولا تُماكر**».

وعبارة «**خضع لك ما جرى في علمك**» تدلّ على التالي: أنّ حيثيّة التعلّق المحض بذات الحقّ القُدسيّة ليس خاصّاً بالموجودات بالفعل، وإنّما هو شاملٌ لتمام دائرة إمكان الوجود، فكُلّ مُمكن بالذّات استقرّ في عالَم العلم الإلهيّ أنّه يُمكن وجوده فهو في واقعيّته عين التعلّق بذات الحقّ تعالى، سواء كان موجوداً بالفعل أم لا.

ويقولعليه السلام أيضاً:

«أنت الله لا إله إلا أنت، الذي أنشأتَ الأشياء من غير سنخ، وصوّرتَ ما صوّرتَ من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا احتذاء، أنت الذي قدّرتَ كلّ شيءٍ تقديراً، وسيّرتَ كلّ شيءٍ تيسيراً، ودبّرت ما دونك تدبيراً، وأنت الذي لم يُعنكَ على خلقك شريك، ولم يؤازرك في أمرك وزير، ولم يكن لك شاهدٌ ولا نظير. أنت الذي أردت، فكان حتماً ما أردت، وقضيت، فكان عَدلاً ما قضيت، وحكمتَ، فكان نَصفاً ما حكمت. أنت الذي لا يَحويك مكان، ولم يَقُم لسُلطانك سلطان، ولم يُعيك برهانٌ ولا بيان».

الأصل الخامس: موانع معرفة الحقّ

يقول الإمام السجّادعليه السلام في الدّعاء (٤٤) من الصحيفة السجّادية مشيراً إلى موانع معرفة الحقّ تعالى شأنه:

«اللّهمّ صلّ على محمّد وآله، وجنّبنا الإلحاد في توحيدك، والتقصير في تمجيدك، والشكّ في دينك، والعمى عن سبيلك، والإغفال لحُرمتك، والانخداع لعدوّك الشّيطان الرّجيم».

وفي هذا المقطع من الدّعاء يشير عليه السلام إلى ستّة موانع، الأربعة الأُول منها موانع للمعرفة، والآخران موانع للعمل، ولا يتّسع المجال هنا للشّرح والتفصيل لتمام هذه الموانع، ولذلك نكتفي ببيان كلّ منها بشكلٍ مُختصر:

المانع الأوّل: الإلحاد في توحيد الله.

الإلحاد هو الميل والانحراف، وبالالتفات إلى ما ذكرناه سابقاً، فإنّ أيّ انحرافٍ أو إعوجاجٍ يطرأ في طريق التعرّف على الباري تعالى سوف يؤدّي إلى نوعٍ من الإلحاد في المعرفة.

المانع الثاني: التقصير في تمجيد الله عزّ وجلّ.

تمجيد الحقّ تعالى ذو مراتب عدّة، من جُملتها: التمجيد القلبيّ واللّسانيّ والجوارحي، وأوّل هذه المراتب هو الاعتراف بصفاته تعالى الجماليّة والجلاليّة، والإقرار بنعمه ومعرفة حقّه، بحسب ما أُتيح للبشر من قدرة محدودة. وأمّا نكران الجميل وترك الشّكر والامتنان وعدم الإقرار القلبيّ الكاملٍ بالنّعم الكثيرة وبالحقوق التي لله تعالى على العبيد، فمن شأنه أنّ يَقطع الطّريق أمام معرفته تعالى، وأن يحرم القلب من رؤية أنوار المحبوب وإشراقاته وتجلّياته.

المانع الثالث: الشّك في الدّين.

دين الله تعالى هو عبارةٌ عن مجموعةٍ من الحقائق والدّقائق والطّرائق التي أودعها الله بين يدي البشر وأوصلها إليهم بواسطة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وأئمّة الهدى وسائر الأنبياء الإلهيّين وأوصيائهم عليهم السلام. والدّين الذي حمله رسل الله وأولياؤهم، ثمّ انتهى إلى خاتم النّبيّين وأوصيائه الطّاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، ليوُضَع في متناول البشر وبين أيديهم، هذا الدين هو الدين الذي يتلاءم مع ما تقتضيه فطرة البشر، والذي يُعلَم صدقه ويُحكم بصدقه وحقّانيّته من قِبَل الفطرة نفسها وبإذعانٍ من الوجدان السّليم، وهو الذي يُعَدّ الوسيلة الوحيدة الّتي من خلالها يُتَوَصّل إلى المعرفة الحقّة بالخالق تبارك وتعالى.

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿**قُل إنَّني هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاط مُستَقِيم ديناً قِيَماً ملَّةَ إبرَاهيمَ حَنيفاً وَمَا كَانَ منَ المُشركينَ* قُل أنّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحيَايَ وَمَمَاتي للّه رَبِّ العَالَمينَ* لاَ شَرِيكَ لَهُ وبذلكَ أُمرتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسلمينَ* قُل أَغَيرَ اللّه أَبغي رَبّاً وَهو رَبُّ كلّ شَيء**﴾[1].

إنّ التشكيك في حقائق الدّين الواضحة والجليّة هو بمثابة إغماض عيون

(١) سورة الأعراف: ١٦١ ـ ١٦٤.

القلب وإقفال آذان الفطرة، ويكون من نتائج هذا التّشكيك المانع الرّابع الآتي، والذي يقطع الطّريق على العبد فيحجبه عن الوصول إلى معرفة ربّه.

المانع الرّابع: إغماض بصر القلب، وجعله أعمى عاجزاً عن رؤية الحقّ.

وأمّا عباد الله الصّالحون وأهل العرفان والسّلوك، فقد تحرّروا من جميع ما للشّكّ والتردّد والحيرة من قيودٍ ضيّقة وحدودٍ خانقة، كما نقرأ في مناجاة العارفين لإمامنا السجّاد عليه السلام:

«**إلهي، فاجعلنا من الذين ترسّخت أشجار الشّوق إليكَ في حدائق صدورهم...**» إلى قوله: «**قد كُشِف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظُلمة الرّيب عن عقائدهم وضمائرهم، وانتفت مخالجة الشّكّ عن قلوبهم وسرائرهم**».

فالتّشكيك في حقائق الدّين، وإغماض عين القلب عن رؤية بيّنات الله وآياته، يُفضي، مع الإصرار والمداومة عليه، إلى التصاق صفة العمى بعين الفطرة الحقّة، كما يورث صاحبه البلادة وعمى القلب.

وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿**سَأَصرفُ عَن آيَاتي الذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرض بغَير الحَقِّ وَإن يَرَوا كلّ آيَة لاَ يُؤمنُوا بهَا وَإن يَرَوا سَبيلَ الرُّشد لاَ يَتَّخذُوهُ سَبيلاً وَإن يَرَوا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخذُوهُ سَبيلاً ذلكَ بأَنَّهُم كَذَّبُوا بآيَاتنَا وَكَانُوا عَنهَا غَافلينَ**﴾[1]، إشارةٌ إلى ما ذكرناه.

المانع الخامس: التّعامي عن حرمات الله، وتعدّي الحدود والتلكّؤ في العبوديّة والطّاعة.

المانع السّادس: الاستسلام في مواجهة الشّيطان، والسّقوط في فخّ خداعه.

ومن شأن هذين المانعين أنّ يُوصدا طريق السّلوك والمعرفة أمام الإنسان

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٦.

كُلّيّاً، وهما ناشئان من ابتلاء الإنسان بموانع المعرفة النظرية الأربعة التي تقدّمت الإشارة إليها.

القسم الثاني: عرفان الولاء

يُعتبر علم العارف بالهدف الأقصى والغاية النّهائيّة، أعني بها: الذّات القُدسيّة للحقّ تبارك وتعالى، يعتبر هذا العلم ـ والذي عبّرنا عنه بـ: العرفان النظري ـ مقدّمةً لازمةً لاشتعال العشق الفطريّ الكامن في نفس العارف تجاه الحقّ تبارك وتعالى، ومُنطلقاً لتلاطم أمواج الشّعور والإحساس بهذا العشق في قرارة نفسه، كما أنّ العرفان يساهم إلى حدّ الإمكان في إزالة حالة السّكون والرّكود من نفس العارف، ويعمل على تغيير الفضاء المُظلم الرّاكد في داخله واستبداله بشعلة المحبّة الإلهية المُلتهبة، ويُجبره على الحركة في مسيرة القُرب الإلهيّ بكلّ نشاطٍ وحيويّة.

ومع استعار لهيب شُعلة العشق الإلهيّ في سريرة الإنسان وفي دخيلة نفسه تبدأ المرحلة الثّانية من مراحل العرفان الإلهيّ، والتي تشكّل حلقة وصلٍ بين أُولى مراحل العرفان وبين مراحله اللاّحقة، أي: مرحلة السّلوك وطيّ الطّريق، بل ومن دون المرحلة الثانية المذكورة، فإنّ شيئاً من المرحلتين اللّتين تحدّثنا عنهما، أعني: العرفان النظري، والعرفان العمليّ، سوف لن يكون مُثمراً ولا مُنتجاً، وبالتّالي فإنّ العارف لن يتمكّن من طيّ المسافة وبلوغ هدفه ومقصوده الأصليّ.

إنّ الوسيلة الوحيدة التي تُتيح لبذرة العشق الإلهيّ أنّ تُثمر ولشُعلة نار محبّة الحقّ تعالى أنّ تشتعل في نفس الإنسان هي العشق والمحبّة لمحمّد وآل محمّد؛ لأنّ عشقهم عليهم السلام هو أوضح وأكمل تجلّيّات آيات الحقّ تعالى وأسمائه الإلهية، وهو الأداة الوحيدة التي تُلهب شُعلة الحبّ الإلهي في سرائر البشر وضمائرهم.

ومن هنا اعتُبِرت محبّة محمّد وآل محمّدعليهم السلام في تعاليم الوحي أساساً للإيمان والدّين، بل هي عينهما.

وقد أكّد الأئمّة المعصومونعليهم السلام على هذه الحقيقة وبيّنوها بقولهم: «**هل الدّين إلا الحبّ**». كما أنّ القرآن الكريم قد تعرّض لها مراراً وبأشكالٍ مُختلفة:

فهو تارةً يعدّ محبّة الله وتقديمها على محبّة ما سواه شرط الإيمان الذي لا يستغني عنه: ﴿**وَمِنَ الناس مَن يَتَّخذُ من دُونِ اللّه أَندَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللّه وَالذينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للّه...**﴾[1].

وفي موضعٍ آخر يتعرّض باللّوم الشّديد على الذين يُقدّمون حبّهم للآخرين على حبّ الله ورسوله والجهاد في سبيله عاداً فعلهم هذا من موجبات الفسق والخروج عن الدّين: ﴿**قُل أنّ كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبنَاؤُكُم وَإِخوَانُكُم وَأَزوَاجُكُم وَعَشيرَتُكُم وَأَموَالٌ اقتَرَفتُمُوهَا وَتجَارَةٌ تَخشَونَ كَسَادَهَا وَمَسَاكنُ تَرضَونَهَا أَحَبَّ إِلَيكُم منَ اللّه وَرَسُوله وَجهَاد في سَبيله فَتَرَبَّصُوا حتّى يَأتيَ اللّهُ بِأَمره وَاللّهُ لاَ يَهدي القَومَ الفَاسقينَ**﴾[2]. وقد رُوي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية المباركة أنّه قال: «**والّذي بعثني بالحقّ، لا يُؤمنَنّ أحدُكم حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه**»[3].

وفي موضعٍ آخر، يَجعل القرآن الكريم مودّة محمّد وآل محمّدعليهم السلام أجر الرّسالة والثّمرّة التي أرادها رسول اللهصلى الله عليه وآله من تبليغه رسالة الله ونشره إيّاها: ﴿**قُل لاَ أَسأَلُكُم عَلَيه أَجراً إلا المَوَدَّةَ في القُربَى...**﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة التوبة: ٢٤.

(٣) راجع: السّيوطي، جلال الدين، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور ٣: ٢٢٣، دار المعرفة، بيروت.

(٤) سورة الشورى: ٢٣.

إنّ جعل مودّة آل محمّد ومحبّتهم أجراً للرّسالة وملازماً ودليلاً على الصّدق والإخلاص في حبّ الله ورسوله يُؤشّر إلى ما ذكرناه من أنّ كلاً من العرفان النظري والعمليّ لا تقوم له قائمةٌ إلا بعرفان الولاء، وأنّ هذا الأخير هو الوحيد القادر على إيصال العبد السّالك إلى مقصوده وطلبته، وهذا هو السرّ الكامن في اعتباره أجراً في قبال الرّسالة.

ليس الأجر الحقيقيّ لأيّ عملٍ من الأعمال إلا عبارةً عن بلوغ الغاية المرجوّة من هذا العمل وتحقيق الهدف المرسوم له، فإذا كانت مودّة محمّد وآل محمّد ومحبّتهم هي الأجر لرسالته صلى الله عليه وآله، فهذا يعني أنّ النتيجة المقصودة من هذه الرّسالة، والتي تحتوي على العرفان النظري والعمليّ، لا يُمكن بلوغها والوصول إليها إلا بعرفان الولاء، فهو وحده الذي يجعل الرّسالة تُثمر وتُؤتي أُكلها، وهو وحده الذي يكفل الوصول إلى المقصود.

ونزيد على ذلك لنقول: أنّ مودّة محمّد وآله عليهم السلام، والتي عبّرنا عنها بعرفان الولاء، هي الوحيدة القادرة على أنّ تضمن للعبد أمر حصوله على الإخلاص المُنجي له من هلكة الوقوع في الشّرك في كلا المجالين: العرفان العملي، والنظري.

ولعرفان الولاء آدابٌ وشروطٌ ولوازم، لا تتّسع مقالتنا هذه لبيانها وتفصيلها. إلا أنّ الذي تجدر الإشارة إليه هنا هو ما تمّ التّأكيد عليه في القرآن الكريم وفي كلمات أولياء الدّين، وهو أنّ الولاء الإلهيّ الشّامل لحبّ الله تعالى ورسوله وأهل البيت عليهم السلام لا يُمكن بحال من الأحوال أنّ يكون مجرّداً ومنفكّاً عن البراءة من أعداء الله والرّسول. والولاء من دون البراءة، هو ، في نظر الدّين ومنطقه، مجرّد لفظ فارغٍ من المضمون، وخالٍ من المعنى. ومن هنا، جاء تأكيد القرآن الكريم على ضرورة التعرّف على العدوّ، وعلى ضرورة معاداته.

وفي حقّ الشّيطان الذي هو على رأس أعداء الله تعالى يقول: ﴿إنّ الـشَّيطَانَ لَكُم عَدُوفاتَّخذُوهُ عَدُوّاً إنّما يَدعُوا حزبَهُ ليَكُونُوا من أصحاب السَّعير﴾[1].

وفي مقام آخر، يقول تعالى داعياً المؤمنين إلى اتّباع سنّة إبراهيم في البـراءة من أعدائه: ﴿قَد كَانَت لَكُم أُسوةٌ حَسَنَةٌ في إبرَاهيمَ وَالذينَ مَعَهُ إذ قَالُوا لقَومهم إنَّا بُرَآءُ منكُم وَممَّا تَعبُدُونَ من دُون اللَّه كَفَرنَا بكُم وَبَدَا بَيننَا وَبَيـنَكُمُ العَـدَاوَةُ وَالبَغضاءُ أَبَداً حتّى تُؤمنُوا باللَّه وَحدَهُ﴾[2].

وفي موضعٍ آخر، يعتبر القرآن الكريم معاداة أعداء الله ورسوله والبراءة منهم شرطاً لحصول الإيمان بالله ونيل رضوانه، فيقول: ﴿لاَ تَجـدُ قَومـاً يُؤمنُـونَ باللَّه وَاليَومِ الآخر يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوكَانُوا آبَاءهُم أَو أَبنَـاءهُم أَو إخوَانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئكَ كَتَبَ في قُلُـوبهمُ الإيمَـانَ وَأَيَّـدَهُم بـروح منـهُ وَيُدخلُهُم جَنَّات تَجري من تَحتهَا الأَنهَارُ خَالدينَ فيهَا رَضيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ أُولئكَ حزبُ اللَّه أَلاَ أنّ حزبَ اللَّه هُمُ المُفلحُونَ﴾[3].

وكما في القرآن الكريم، فكذلك قد تمّ التّأكيد والتّشديد على عرفان الولاء والبراءة في عرفان الإمام السجّادعليه السلام، الذي هو نابعٌ من معين الـوحي، ومُستمَدٌّ من كلام الله وتعاليمه، وعبارةٌ أُخرى عمّا جاء في كلمات النّبيّصلى الله عليه وآله وإرشاداته؛ حيث يقولعليه السلام في (مناجاة المحبّين) في إشارةٍ منه إلى أصل الولاء القـائم علـى تقديم حبّ الله ورسوله وأهل البيت على حبّ غيرهم:

«**إلهي، مَن ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرامَ منكَ بدلاً...**» إلى قوله: «**إلهي، فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك، وأَخلَصته لودّك ومحبّتك، وشوّقته إلى**

(١) سورة فاطر: ٦.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(٣) سورة المجادلة: ٢٢.

لقائك، ورضَّيته بقضائك، ومنحته بالنّظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعذته من هجرك وقلاك، وبوَّأته مقعد الصّدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهَّلته لعبادتك، وهيَّمتَ قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليتَ وجهه لك، وفرَّغتَ فؤاده لحبّك...» إلى أن يقول: **«يا مَن أنوار قُدسه لأبصار محبّيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائفة، يا مُنى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبّين، أسألك حبّك وحبّ مَن يحبّك وحبّ كلّ عملٍ يوصلني إلى قُربك، وأن تجعلك أحبّ إليَّ ممّا سواك، وأن تجعل حبّي إيّاك قائداً إلى رضوانك، وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك».**

كما وقد شدّدعليه السلام على عدم إمكانيّة التّفكيك بين الولاء الإلهيّ وبين البراءة من أعداء الله، وها هو يتضرّع إلى ربّه مُستعيذاً به من الشّيطان قائلاً:

«اللّهمّ، إنّا نعوذ بك من نزغات الشّيطان الرّجيم وكيده ومكائده...» -إلى قوله -: **«اللّهمّ اخسأه عنّا بعبادتك، واكبته بدؤوبنا في محبّتك، واجعل بيننا وبينه ستراً لا يهتكه، وردماً مصمتاً لا يفتقه...»** إلى أن يقول: **«اللّهمّ، اجعلنا في نظم أعدائه، واعزلنا عن عداد أوليائه، لا نطيع له إذا استهوانا، ولا نستجيب له إذا دعانا، نأمر بمناواته مَن أطاع أمرنا، ونعظ عن متابعته من اتّبع زجرنا»**[1].

ويقول في دعاء عيدي الأضحى والجمعة مشيراً إلى مقام الولاية والإمامة الحقّة:

«اللّهمّ، أنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدّرجة الرّفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزّوها وأنت المقدّر لذلك، لا يُغالب أمرك،

(١) من الدعاء ١٧ من الصحيفة السجّادية.

ولا يجاوَز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، ولِما أنت أعلَم به، غير متّهمٍ على خلقك، ولا لإرادتك، حتّى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حُكمك مُبدلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرَّفةً عن جهات شراعك، وسنن نبيّك متروكةً. اللّهمّ، العَن أعداءهم من الأوّلين والآخرين، ومَن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم»[1].

وجاء أيضاً في الدّعاء ٢٦ من الصحيفة قولهعليه السلام:

«اللّهمّ صلّ على محمّد وآله، وتولّني في جيراني ومَوالِيَّ، العارفين بحقّنا، المنابذين لأعدائنا، بأفضل ولايتك، ووفّقهم لإقامة سُنّتك، والأخذ بمحاسن أدبك».

وهكذا، فإنّ العارف الحقيقيّ هو الذي يكون محبّاً وعاشقاً وميّالاً لله ورسوله وأهل البيت وأنصارهم وأوليائهم، وفي الوقت نفسه، هو الذي يكون كارهاً لأعدائهم نافراً منهم ومعادياً لهم.

وعليه: فالأصل الأساسيّ والأهمّ، والذي يشكّل دعامة أساسية للعرفان المحمّدي والعلوي والسجّادي الأصيل، هو ما تحكي عنه العبارة التالية: **«سلمٌ لِمَن سالمكُم، وحربٌ لِمَن حاربكُم، ووليٌّ لِمَن والاكُم، وعدو لِمَن عاداكُم»**.

القسم الثالث: العرفان العمليّ

بعد العرفان النظري، وعرفان الولاء، نصل في الحديث إلى العرفان العمليّ.

العرفان العمليّ هو التصديق عمليّاً، بما كان العقل قد توصّل إليه بالفكر والنّظر، وبما كان القلب قد انعقد عليه بالإيمان. فإذا وُلد التَّصديق في عالَم النّظر، وتشكَّل العشق في عالَم الولاء، تكون شرائط السّير إلى الله قد توفّرت وتهيّأت،

---

(١) من الدعاء ٤٨ من الصحيفة السجّادية.

لتصل النّوبة لدى السّالك العارف إلى حيث يتعيّن عليه أنّ يخطو، وبكُلّ عزمٍ صادق، خطوةً في مسيرة الطّاعة لله تعالى، وأن يسعى جاهداً لطيّ الطّريق باتّجاه المراتب العالية من الحضور والنّظر والشّهو د واللّقاء والوصل والفناء.

وعلى الرّغم من أنّ مراحل السّير والسّلوك حسبما وردت في تعاليم المعصومينعليهم السلام كثيرةٌ، وبالأخصّ ما ورد منها عن إمامنا السجّادعليه السلام، إلا أنّ بإمكاننا ـ وأيضاً بالاستفادة من آيات القرآن الكريم ومعارف الأئمّة المعصومين وبالخصوص المعارف السجّادية ـ تلخيص كلّيّاتها ومراحلها الأساسيّة فيما يلي:

المرحلة الأُولى: مرحلة الذّكر الكثير.

الذّكر الكثير هو أوّل مراحل السّير إلى الله ومفتاح السّلوك إليه، وفي هذه المرحلة يرتدي الإنسان حلية اليقين المزركشة ليتأهّل وليُصبح لائقاً وجديراً ببلوغ مرحلة العزم والصّبر.

يقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**يَا أيّها الذينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللَّهَ ذكراً كَثيراً* وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصيلاً* هو الذي يُصَلِّي عَلَيكُم وَمَلائكَتُهُ لِيُخرجَكُم منَ الظُّلُمَات إلى النُّور وَكَانَ بالمُؤمنينَ رَحيماً* تَحيَّتُهُم يَومَ يَلقَونَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُم أَجراً كَرِيماً**﴾[1].

وما نستفيده من هذه الآيات: أنّ الذّكر الكثير هو مفتاح السّلوك إلى الله تعالى، وهو أيضاً الذي يُبعد الإنسان عن ظلمات الهجران والبُعد عن الله تعالى ليُوصله إلى أنوار وصله والقرب منه واللّقاء به والنّظر إليه.

وهنا، ينبغي لنا أنّ ننوّه بأنّ طريق الذّكر الكثير لا يُمكن لأحد أنّ يسلكها ويمضي بها إلا إذا كان قد اعتمد على عرفان الولاء لمحمّدٍ وآل محمّد. وهذا ما

---

(١) سورة الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣.

يحتاج إلى شرحٍ وتوضيح فليُطلَب من مظانّه.

وأمّا الذّكر غير الكثير، فغير مُجد، ولا يوصل صاحبه إلى أيّة نتيجة، ولأجل ذلك، نجد أنّه موجودٌ ومتوافرٌ ـ شيئاً ما ـ حتّى لدى الجبّارين والكافرين والظّالمين والمنافقين، وأنّه لم يُحرَم منه حتّى هؤلاء الذين قد أُقفلت في وجوههم دروب السّلوك إلى الله والاقتراب منه. يقول تعالى في حقّ المنافقين:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهو خَادِعُهُم وَإِذَا قَامُوا إِلى الصَّلاَة قَامُوا كُسَالى يُرَاءُونَ الناس وَلاَ يَذكُرُونَ اللّهَ إِلا قَلِيلاً﴾[1].

إنّ شرط السّلوك إلى الله ومفتاح أبواب السّير إليه هو الذّكر الكثير، كما أشرنا، وآلة هذا الذّكر ووسيلته وسببه كتاب الله ومحمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهم الموصوفون في القرآن الكريم بأنّهم أهل الذّكر وأصحابه:

ففي نهج البلاغة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«إنّ الله تعالى جعل الذّكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتُبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة...» ـ إلى قوله: ـ **«إنّ للذّكر أهلاً اتّخذوه من الدّنيا بدلاً، فلم تشغلهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنه، يقطعون به أيّام الحياة، ويهتفون بالزّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين...»**[2].

وفي وصف عباد الله الصّالحين والمتّقين المخلصين يقول عليه السلام:

«إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه... ـ إلى أنّ يقول: ـ **نَظَر فأبصَر، وذَكَر فاستكثر»**[3].

---

(١) سورة النساء: ١٤٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (٢٢٢)، ص: ١٠٨، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة (٨٧)، ص: ٣٣، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم.

وفي هاتين الكلمتين القصيرتين إشارةٌ إلى كلّ من العرفان النظري والعمليّ، وأيضاً، إشارةٌ واضحةٌ إلى ما ذكرناه من أنّ الذّكر الكثير هو مفتاح السّلوك في مجال العرفان العمليّ.

وفي موضعٍ آخر من النّهج الشّريف يقول عليه السلام في وصف المتّقين:

«**يعمل الأعمال الصّالحة وهو على وجل، يُمسي وهمّه الشّكر، ويُصبح وهمّه الذّكر**»[(١)].

وأمّا إمامنا السجّاد عليه السلام فقد تعرّض في دعائه المعروف بـ(مناجاة الذّاكرين)، وخلال بيانه لحقيقة الذّكر الكثير، إلى شروطه ومصاديقه وأنواعه، فنراه يقول متضرّعاً:

«**ومن أعظم نعَم الله علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك. إلهي، فألهمنا ذكرك في الخلاء والملاء، واللّيل والنّهار، والإعلان والإسرار، وفي السّرّاء والضرّاء، وآنسنا بالذّكر الخفيّ، واستعملنا بالعمل الزّكيّ والسّعي المرضيّ، وجازنا بالميزان الوفيّ. إلهي، بك هامت القلوب الوالهة، وعلى معرفتك جُمعَت العقول المتباينة، فلا تطمئنّ القلوب إلا بذكراك، ولا تَسكن النّفوس إلا عند رؤياك، أنت المسبَّح في كلّ مكان، والمعبود في كلّ زمان، والموجود في كلّ أوان، والمدعو بكلّ لسان، والمعظّم في كلّ جَنان. وأستغفرك من كلّ لذّة بغير ذكرك، ومن كلّ راحة بغير أُنسك، ومن كلّ سرور بغير قُربك، ومن كلّ شُغل بغير طاعتك. إلهي، أنت قُلتَ ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿يَا أيّها الذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذكراً كَثيراً* وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصِيلاً﴾[(٢)]، وقُلتَ ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿فَاذكُرُوني أَذكُركُم﴾، فأمرتَنا بذكرك،**

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٩٣)، ص: ٩٥، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

(٢) سورة الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢.

ووعَدتنا عليه أنّ تَذكرنا تشريفاً وتفخيماً وإعظاماً. وها نحن ذاكروك كما أمَرتَنا فأنجِز لنا ما وَعَدتَنا يا ذاكر الذّاكرين، ويا أرحَمَ الرّاحمين».

المرحلة الثانية: مرحلة العزم والنّيّة.

ثمرّة الذّكر الكثير اليقين، واليقين يُوصل إلى العزم، والعزم يمهّد السّبيل أمام الصّبر على طاعة الله، وبهذا النّحومن السّير، يكون العارف بذكره الكثير قد شرع بالسّير تجاه الحقّ بخطوات حثيثة ومُفعمة بالعزم.

يقول تبارك وتعالى في مُحكم كتابه متحدّثاً عن المنشأ والمبدأ الأوّل لخسارة الإنسان في سيره وسلوكه إلى الله، وهو النّسيان وفُقدان العزم:

﴿وَلَقَد عَهِدنَا إلى آدَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزماً﴾(١).

ويقول تعالى أيضاً مخاطباً نبيّه الكريمﷺ، ومادحاً رسله الذين استطاعوا من خلال مداومتهم على ذكره وإقامتهم على طاعته أنّ يبلغوا مقام العبوديّة والتسليم الشّامخ، بفعل تحلّيهم بخصلة العزم الرّاسخ، وبسبب صبرهم على الطّاعة:

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(٢).

وفي الدّعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام كُميل بن زياد:

«قوّ على خدمتك جوارحي، واشدد على العزيمة جوانحي».

فهو عليه السلام يتضرّع إلى ربّه طالباً منه أنّ يقوّي له جسده في سبيل طاعته، وأن يهبه الثّبات واستحكام العزيمة ورسوخ الإرادة في طريق عبوديّته.

كما جاء في الدّعاء المرويّ عن الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام بمناسبة اليوم السّابع

---

(١) سورة طه: ١١٥.

(٢) سورة الأحقاف: ٣٥.

والعشرين من رجب قولهم عليهم السلام:

«وقد علمتُ أنّ أفضل زاد الرّاحل إليك عـزم إرادةٍ يختـارك بهـا، وقـد ناجاك بعزم الإرادة قلبي».

وللإمام السجّاد عليه السلام كلماتٌ كثيرةٌ في هذا السّياق، نذكر منها:

«اللّهمّ، وثبّت في طاعتك نيّتي، وأحكِم في عبادتك بصيرتي، ووفّقني مـن الأعمال لِما تَغسل به دنس الخطايا عنّي، وتـوفّني علـى ملّتـك، وملّـة نبيّـك محمّد صلى الله عليه وآله إذا توفّيتني. اللّهمّ، إنّي أتوب إليكَ في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيّئاتي وظواهرها، وسوالف زلاتي وحوادثها، توبة مَـن لا يُحَدّث نفسه بمعصية، ولا يُضمر أنّ يعود في خطيئة، وقد قُلتَ ـ يا إلهي ـ في مُحكم كتابك: إنّك تقبل التّوبة عن عبادك وتعفو عن السيّئات وتحبّ التوّابين، فاقبَل توبتي كما وعدتَ، واعفُ عن سيّئاتي كما ضمنتَ، وأَوجب لي محبّتك كما شرطتَ، ولكَ ـ يا ربّ ـ شرطي أنّ لا أعود في مكروهك، وضماني أنّ لا أرجع في مذمومك، وعهدي أنّ أهجر جميع معاصيك»[1].

والملاحظ في هذا المقطع من الدّعاء أنّه عليه السلام لـم يُـشرِ إلـى العـزم وضـرورة الإخلاص في النّيّة فحسب، بل أنّـه أيـضاً تعـرّض لكيفيّـة عقـد هـذا العـزم. وفـي موضعٍ آخر يقول عليه السلام أيضاً:

«اللّهمّ، وفّر بلُطفك نيّتي، وصحّح بما عندك يقيني، واستصلح بقُدرتك مـا فَسَد منّي»[2].

(١) من الدعاء ٣١ من الصحيفة السجّادية.

(٢) من الدعاء ٢٠ من الصحيفة السجّادية، وهو المعروف بدعاء مكارم الأخلاق.

المرحلة الثّالثة: طاعة الله والصّبر عليها.

يُعتَبَر الخلوص والتمحّض في طاعة الله والصّبر عليها لبّ اللّباب الأصليّ لعمليّة السّير والسّلوك إلى الله، وله مقدّماتٌ وشروطٌ وآدابٌ ولوازم كثيرةٌ، ومقالتنا هذه، وإن كانت لا تتّسع لبيانها جميعاً، إلا أنّه لا بأس بالتذكير والإشارة إلى بعضها إشارةً إجماليّةً خاطفة.

وأوّل شرطٍ للخلوص في الطّاعة هو: الإخلاص لله، بمعنى: أنّ لا يأتمر الإنسان ولا يعملَ بأوامر غيره تعالى، وأن لا يمتثل إلا للأوامر الصادرة من جانبه هو، كما قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله:

﴿قُل إنِّي أُمِرتُ أنّ أَعبُدَ اللَّهَ مُخلصاً لَهُ الدِّينَ﴾(1).

وإذا كان الإخلاص في الطّاعة بالنّسبة إلى وليّ الله عبارةً عن امتثال أوامر الله والتسليم والانقياد إليه تعالى، فإنّ الإخلاص في الطّاعة بالنّسبة إلى غير الوليّ هو ـ لا محالة ـ ليس إلا التّمسُّك بهذا الوليّ والعمل بولايته، وإخضاع القلب لأوامره ونواهيه، وامتثال هذه الأوامر والنّواهي، كما يقول سُبحانه في كتابه الكريم:

﴿يَاأَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ أنّ كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذلكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً﴾(2).

ونُشير هنا إلى بعض ما ورد عن إمامنا زين العابدين عليه السلام من التأكيد والتشديد ـ وفي موارد كثيرةٍ ومتكرّرة ـ على هذا الأصل المهمّ والأساسيّ:

فقد قال عليه السلام في دعاء عرفة، وبعد أنّ حمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيّه

---

(1) سورة الزمر: 11.

(2) سورة النساء: 65.

محمّد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام:

«ربّ، صلّ على أطائب أهل بيته، الذين اخترتَهم لأمرك، وجعلتَهم خزنة علمك، وحَفَظة دينك، وخلفاءك في أرضك، وحججك على عبادك، وطهَّرتَهم من الرّجس والدّنس تطهيراً بإرادتك، وجَعَلتَهم الوسيلة إليك، والمسلك إلى جنّتك». إلى أنّ يقول: «اللّهمّ إنّك أيّدتَ دينك في كلّ أوان بإمام أقمتَه عَلَماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بَعد أنّ وصلتَ حبلَه بحَبلك، وجَعَلتَه الذّريعة إلى رضوانك، وافترضتَ طاعته، وحذَّرت معصيته، وأمرتَ بامتثال أوامره والانتهاء عند نهيه، وإلا يتقدّمه متقدّم، ولا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمة اللائذين، وكهف المؤمنين، وعُروة المتمسّكين، وبهاء العالمين». إلى قوله: «واجعَلنا له سامعين مُطيعين، وفي رضاه ساعين، وإلى نُصرته والمدافعة عنه مُكنفين، وإليك وإلى رسولك صلواتك اللّهمّ عليه وآله بذلك متقرّبين. اللّهمّ، وصلّ على أوليائهم، المُعترفين بمقامهم، المتّبعين منهجهم، المُقتفين آثارهم، المُستَمسكين بعُروتهم، المتمسّكين بولايتهم، المؤتمّين بإمامتهم، المسلّمين لأمرهم، المُجتهدين في طاعتهم، المُنتظرين أيّامهم، المادّين إليهم أعينهم، الصّلوات المباركات الزّاكيات النّاميات الغاديات الرّائحات...».

وعنه عليه السلام أيضاً في دعاء عيدي الأضحى والجمعة:

«اللّهمّ، أنّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أمنائك في الدّرجة الرّفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزّوها وأنت المقدّر لذلك، لا يُغالب أمرك، ولا يجاوَز المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنّى شئت، ولما أنت أعلَم به، غير متّهمٍ على خلقك، ولا لإرادتك، حتّى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حُكمك مُبدلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرَّفةً عن جهات شراعك، وسنن نبيّك متروكةً. اللّهمّ، العَن أعداءهم من الأوّلين والآخرين، ومَن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم. اللّهمّ، العَن أعداءهم من الأوّلين والآخرين،

ومَن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم. اللّهمّ، صلّ على محمّد وآل محمّد، إنّك حميدٌ مجيد، كصلواتك وبركاتك وتحيّاتك على أصفيائك إبراهيم وآل إبراهيم، وعجّل الفرج والروح والنّصرة والتمكين والتأييد لهم. اللّهمّ، واجعَلني من أهل التوحيد والإيمان بك، والتصديق برسولك والأئمّة الذين حتمت طاعتهم ممّن يجري ذلك به وعلى يديه، آمين ربّ العالمين...»[1].

وأمّا الشرط الثّاني من شروط التمحّض في طاعة الله ـ والذي هو كما أسلفنا ناجمٌ من طاعة وليّ الله ـ فهو: القرب من جمع أهل الولاء والاتّصال بهم، والابتعاد عن جمع أهل الظّلم والجفاء والانقطاع التامّ عنهم.

وهذا ما أوصى به الله تعالى نبيّه الكريم وأكّد له عليه في القرآن الكريم، حيث تعرّضت آياته من جهةٍ لضرورة الدّخول في أهل الولاء والطّاعة، كقوله تعالى:

﴿وَاصبر نَفسَكَ مَعَ الذينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاة وَالعَشيِّ يُريدُونَ وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَينَاكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَيَاة الدُّنيَا وَلا تُطع مَن أَغفَلنَا قَلبَهُ عَن ذكرنَا وَاتَّبَعَ هو اهُ وَكَانَ أَمرُهُ فُرُطاً﴾[2]، وكقوله في موضعٍ آخر: **﴿وَلا تَطرُد الذينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاة وَالعَشيِّ يُريدُونَ وَجهَهُ﴾**[3].

ومن جهة أُخرى، فقد دعت آيات الكتاب العزيز أيضاً النّبيﷺ إلى البُعد والانقطاع عن أهل الجفاء والمُعرضين عن آيات الله، كما في قوله تعالى:

﴿وَإذَا رَأَيتَ الذينَ يَخُوضُونَ في آيَاتنَا فَأَعرض عَنهُم حتّى يَخُوضُوا في حَديث غَيره وَإمَّا يُنسيَنَّكَ الشَّيطَانُ فَلا تَقعُد بَعدَ الذّكرَى مَعَ القَوم

(١) الدعاء ٤٨ من الصحيفة السجّادية.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: ٥٢.

الظَّالمينَ﴾(١).

كما دعا القرآن الكريم المؤمنين والصّالحين السّالكين سبيل الحقّ، وفي مناسبات مُختلفة، إلى الالتحاق بجمع الصّالحين وأهل الولاء، وحذّرهم من الاقتراب من أولئك الذين انقطعوا عن ولاية الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ﴾(٢)، وقال أيضاً: ﴿وَلا تَركَنُوا إلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النَّارُ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّه من أَولِيَاءَ ثمّ لا تُنصَرُونَ﴾(٣).

وممّا جاء في كلمات إمامنا السجّادعليه السلام حول هذه المسألة: قوله في دعائه المعروف بـ(دعاء مكارم الأخلاق):

«اللّهمّ، صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعَل أوسَعَ رزقك عليَّ إذا كبرتُ، وأقوى قوّتك فيّ إذ نصبتُ، ولا تبتليَنّي بالكسل عن عبادتك، ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرّض لخلاف محبّتك، ولا مجامعة مَن تفرّق عنك، ولا مفارقة من اجتمع إليك»(٤).

وقوله مُلتمساً ربّه عزّ وجلّ:

«وألبس قلبي الوحشة من شرار خلقك، وهب لي الأُنس بك وبأوليائك وأهل طاعتك، ولا تَجعل لفاجرٍ ولا كافرٍ عليَّ منّةً، ولا له عندي يداً، ولا بي إليهم حاجةً، واجعَل سكون قلبي وأُنس نفسي واستغنائي وكفايتي بك وبخيار خلقك. اللّهمّ، صلّ على محمّد وآله، واجعَلني لهم قريناً، واجعَلني لهم نصيراً،

(١) الأنعام: ٦٨.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) هود: ١١٣.

(٤) من الدعاء ٢٠ من الصحيفة السجّادية.

وامنن علي بشوقٍ إليك، وبالعمل لك بما تحبّ وتَرضى»[١].

وفي المسألة والدّعاء الذي علّمه عليه السلام لأبي حمزة الثّمالي:

«اللّهمّ ألحِقني بصالح مَن مضى، واجعَلني مِن صالح مَن بقي، وخُذ بي سبيل الصّالحين».

وأمّا ثالث شروط التمحّض في طاعة الله فهو: الاقتداء والتأسّي بوليّ الله في أخلاقه وخصاله وسلوكه، وهو ما أكّد عليه القرآن الكريم، جاعلاً إيّاه نتيجةً للإيمان بالله وثمرّة للذّكر الكثير:

﴿لَقَد كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرجُوا اللَّهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[٢].

والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وبالأئمّة والأولياء من أهل بيته عليهم السلام يجب أنّ يستتبع، من جهةٍ: التحرّر والتخلّص من الرّذائل الخُلُقيّة والسّلوكيّة والابتعاد عنها واجتنابها. ومن جهةٍ أُخرى: التحلّي بفضائلهم ومحاسن أخلاقهم والعمل على وفق نهجهم وسلوكهم. ولأجل ما في هذين الأثرين من أهمّية، نجد أنّ القرآن الكريم يؤكّد على الاقتداء والتأسّي بالصّالحين من أولياء الله تعالى، حتّى لقد أُمِر النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله به، وهو الذي وصفه الباري سبحانه بأنّه صاحب الخُلُق العظيم، قال تعالى في سورة الأنعام:

﴿وَتِلكَ حُجَّتُنَا آتَينَاهَا إِبرَاهِيمَ عَلَى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ أَنّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبنَا لَهُ إِسحَاقَ وَيَعقُوبَ كُلاً هَدَينَا وَنُوحاً هَدَينَا مِن قَبلُ وَمِن

---

(١) من الدعاء ٢١ من الصحيفة السجّادية.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

ذُرِّيَّتِه دَاوُدَ وَسُلَيمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذلكَ نَجزي المُحسنينَ﴾ إلى أنّ يقول: ﴿أُولئكَ الذينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقتَدِه قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيه أَجراً أنّ هو إلا ذِكرَى لِلعَالَمينَ﴾[١].

والظّاهر أنّ أمرهصلى الله عليه وآله بترك سؤال الأجر على الرّسالة، وجعل الهدف منها مُنحصراً في أنّها﴿ **إلا ذِكرَى لِلعَالَمينَ**﴾، بعد أمره بالاقتداء بالرّسل الربّانيّين، كلّ ذلك لا يهدف إلا إلى القول بأنّ كون الرّسالة ذكرى للعالمين يتنافى مع أخذ الأجر الدّنيويّ عليها. وأمّا ما قدّمه لنا القرآن في موضعٍ آخر على اعتبار أنّه أجرٌ للرّسالة، وهو مودّة آل محمّد، فما ذاك إلا نفس الاقتداء بالصّالحين، الذي أشارت إليه الآية الكريمة هنا، وليس عنواناً آخر وراء ذلك، بل ما هو إلا نتيجةٌ وثمرّة للرّسالة المحمّديّة، وهو أيضاً حقيقة ذكر الله ولبّ لبابه، كما تقدّم بيانه سابقاً.

وإلى هذه الحقيقة يُشير إمامنا السجّادعليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق، عندما يقول:

«اللّهمّ، صلّ على محمّد وآله، وحَلِّني بحلية الصّالحين، وألبسني زينة المتّقين، في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النّائرة، وضمّ أهل الفُرقة، وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولِين العريكة، وخفض الجناح، وحُسن السّيرة، وسكون الرّيح، وطِيب المخالقة، والسّبق إلى الفضيلة، وإيثار التفضّل، وترك التعيير والإفضال على غير المستحقّ، والقول بالحقّ وإن عزّ، واستقلال الخير وإن كثُر مِن قولي وفعلي، واستكثار الشّرّ وإن قلّ مِن قولي

(١) سورة الأنعام: ٨٣ ـ ٩٠.

وفعلي، وأكمل ذلك لي بدوام الطّاعة، ولزوم الجماعة، ورفض أهل البِدَع، ومُستَعملي الرّأي المختَرَع».

وفي دعاءٍ آخر له بعنوان: (في الاستعاذة من المكاره وسيّئ الأخلاق)، يقول عليه السلام:

«**اللّهمّ، إنّي أعوذ بك من هَيَجان الحرص، وسَورة الغضب، وغَلَبة الحسد، وضعف الصّبر، وقلّة القناعة، وشكاسة الخُلق، وإلحاح الشّهو ة، ومَلَكة الحميّة، ومتابعة الهو ى ومخالفة الهدى، وسِنَة الغفلة، وإيثار الباطل على الحقّ، والإصرار على المأثم، واستصغار المعصية، واستكثار الطّاعة، ومباهاة المُكثرين، والإزراء بالمقلّين، وسوء الولاية لمَن تحت أيدينا، وترك الشّكر لمن اصطنع العارفة عندنا، أو أن نَعضد ظالماً، أو نخذل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحقّ، أو نقول في العلم بغير علم. ونعوذ بك أنّ نَنطوي على غشّ أحد، وأن نُعجَب بأعمالنا، ونُمدّ في آمالنا، ونعوذ بك من سوء السّريرة واحتقار الصّغيرة...**» إلى آخر الدّعاء.

وأمّا رابع الشّروط فهو: الصّبر على طاعة الله وأوليائه؛ إذ الطّاعة التي لا يُرافقها الصّبر تبقى عاجزةً عن إيصال صاحبها إلى المقصود، وإنّما هي مشروطةٌ بالصّبر عليها في الصّعوبات والشّدائد.

نعم، ينبغي هنا أنّ نُشير إلى أنّ نفس الاقتداء بأولياء الله تعالى ـ والذي هو الشّرط الثّالث من شروط التّمحّض في طاعة الله وأوليائه ـ من شأنه أنّ يُؤدّي إلى الصّبر على الطّاعة.

وقد أكّد الله تعالى مراراً وتكراراً على أهمّية الصّبر، حتّى أمر به رسوله الأعظم صلى الله عليه وآله طالباً منه أنّ يَقتدي بسائر رسله، يقول تبارك اسمه:

﴿فَاصبِر كَمَا صَبَرَ أُولُوا العَزمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[١].

والصّبر أيضاً هو ما يطلبه الإمام السجّادعليه السلام في دعائه الذي لقّنه لأبي حمزة، إذ يقول:

«اللّهمّ، إنّي أسألك صبراً جميلاً».

وعن النّبيّصلى الله عليه وآله أنّه قال:

«إذا كان يوم القيامة نادى مُناد عن الله يقول: أين أهل الصّبر»؟ قال: «فيقوم عنقٌ من الناس، فتَستَقبلهم زُمرّة من الملائكة، فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الذي صبرتم؟ فيقولون: صبّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبّرناها عن معصية الله». قال: «فينادي مُناد من عند الله: صَدَقَ عبادي، خلّوا سبيلهم ليَدخلوا الجنّة بغير حساب»[٢].

وأيضاً من شروط التّمحّض في طاعة الله وأوليائه: المداومة عليها إلى أنّ ينقضي أجل الإنسان في هذه الحياة الدّنيا، بل والموت عليها وفي سبيلها. وفي قوله تعالى: ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنتُم مُسلِمُونَ﴾[٣]، إشارةٌ واضحةٌ ومؤكَّدةٌ إلى هذا الشّرط الذي بيّنّاه، وإنّ الإسلام الحقيقيّ ليس إلا طاعة الله تعالى طاعةً تكون جامعةً لكافّة الشّرائط المزبورة.

وهذا ما ورد في بضع آياتٍ كريمةٍ من سورة الأنعام، حيث أعطت وصفاً كاملاً للإسلام ونبّهت على أنّه نفس الانقياد والتسليم والخلوص في طاعة الله،

---

(١) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٢) الحرّ العاملي،محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة ١٥: ٢٤٠، كتاب الجهاد، الباب: (٢٠)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيتعليهم السلام، الطبعة الأُولى ١٤١٢ هـ، قم.

(٣) سورة آل عمران: ١٠٢.

وهي قوله تعالى:﴿قُل إنَّني هَدَاني ربِّي إلى صِراط مُستَقيم ديناً قِيَماً ملَّةَ إبرَاهيمَ حَنيفاً وَمَا كَانَ منَ المُشركينَ* قُل أنّ صَلاتي ونُسُكي وَمَحيَايَ وَمَمَاتي للّه رَبِّ العَالَمينَ* لا شَريكَ لَهُ وبذلكَ أُمرتُ وأَنَا أَوَّلُ المُسلمينَ* قُل أَغَيرَ اللّه أَبغي رَبّاً وَهو رَبُّ كلّ شَيء وَلا تَكسبُ كلّ نَفس إلا عَلَيهَا وَلا تَزرُ وَازرَةٌ وزرَ أُخرى ثمّ إلى رَبِّكُم مَرجعُكُم فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فيه تَختَلفُونَ﴾(١).

وفي دعاء مكارم الأخلاق يقول عليه السلام:

«اللّهمّ، اختم بعفوك أجلي، وحقّق في رجاء رحمتك أملي، وسهّل إلى بلوغ رضاك سُبُلي، وحسّن في جميع أحوالي عملي. اللّهمّ، صلّ على محمّد وآل محمّد، ونبّهني لذكرك في أوقات الغفلة، واستعملني بطاعتك في أيّام المُهلة، وانهج لي إلى محبّتك سبيلاً سهلة، أكمل لي بها خير الدّنيا والآخرة».

ومن (أدعية الأيّام) في دعاء يوم الأحد، يقول عليه السلام:

«اللّهمّ، إنّي أبرأ إليك في يومي هذا، وما بَعده من الآحاد، من الشّرك والإلحاد، وأُخلص لك دعائي تعرّضاً للإجابة، وأُقيم على طاعتك رجاءً للإثابة، فصلّ على محمّد خير خَلقك الدّاعي إلى حقّك، وأعزّني بعزّك الذي لا يُضام، واحفظني بعينك التي لا تنام، واختم بالانقطاع إليك أمري، وبالمغفرة عمري، إنّك أنتَ الغفور الرّحيم».

المرحلة الرّابعة: مرحلة العبوديّة

مرحلة العبوديّة المحضة لله تعالى مرحلةٌ لا يتمكّن العبد من بلوغها

(١) سورة الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٤.

والوصول إليها إلا بعد طيّه المراحل السّابقة عليها، من الذّكر الكثير، فالعزم على الطّاعة، فالمداومة عليها. وفي هذه المرحلة، يتحوّل العبد ليصير إلهيّاً، بتمام وجوده وكيانه، بجميع جوارحه وجوانحه، بأفعاله ونواياه، وخواطره وسوانحه، بمعنى: أنّ إرادته وفعله ونيّته وتصرّفاته تخضع كلّها لله تعالى خضوعاً كاملاً؛ ليحصل العبد مع ذلك على مَلَكة التذلّل والانقياد الخالص للحقّ جلّ شأنه.

في المراحل الثّلاث المتقدّمة، يكون العبد قد طوى جميع الحجب الظّلمانيّة، كما أنّه يكون قد تمكّن ـ ببركة الصّلوات والرّحمة الإلهية ـ من تمزيق حجب الظّلمات النّفسانية واحداً تلوالآخر، ليتمكّن بعد ذلك، وبمعونة الإكثار من الذّكر والعزم على طاعة الحقّ والمواظبة عليها، من الخروج من الظّلمات إلى النّور، كما قال جلّ وعلا:

﴿يَا أيّها الذينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللَّهَ ذكراً كَثيراً* وَسَبِّحُوهُ بُكرَةً وَأَصيلاً* هو الذي يُصَلِّي عَلَيكُم وَمَلائكَتُهُ لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَكَانَ بِالمُؤمنِينَ رَحِيماً﴾[1].

فالعبد أثناء طيّه لهذه المراحل يكون مشمولاً لصلوات الله، وهذه الصّلوات هي وحدها التي تُخرجه من جبّ الحجب الظّلمانيّة، وتسحبه إلى الأعلى حيث طبقات الأنوار الإلهية. ولأنّها صلواتٌ تنزل على جميع المؤمنين والصّالحين والأبرار، حيث كانت منشأً لقطع الإنسان مراحل النّفسانيّة، وسبباً لخرقه حجب الأنانيّة المُظلمة؛ لأنّها كذلك، يُمكن أنّ نُطلق عليها اسم: (صلوات الأبرار). وذلك في قبال الصّلوات الأفضل والأعلى درجةً، التي نعبّر عنها بأنّها: (صلوات الأطهار)، وذلك لاختصاصها بالمطهّرين من عباد الله الذين تحرّروا وتخلّصوا من

(١) سورة الأحزاب: ٤١ ـ ٤٣.

الحجب الظّلمانيّة، ويسيرون بشكلٍ مُستمرٍّ في عوالم الأنوار الإلهية، وهذه الصّلوات هي التي وردت الإشارة إليها في آيةٍ أُخرى من سورة الأحزاب، وذلك قوله تعالى:

﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلاَئكَتَهُ يُصلُّونَ عَلَى النَّبيِّ يَا أيّهـا الـذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيه وَسَلِّمُوا تَسليماً﴾(١).

وهذه الصّلوات مُختصّةٌ بالبيوت المطهّرة، كبيت محمّدﷺ، الذي هو بيت الطّهارة، وبيت النّور. يقول تبارك وتعالى:

﴿إنَّمَا يُريدُ اللَّهُ لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البَيت وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾(٢).

ومن هنا، تواتر عن النّبيّﷺ في تفسير هذه الآية الشّريفة أنّه علَّم المؤمنين كيفيّة هذه الصّلوات، بأن يقولوا: «**اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلَّيتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، إنّك حميدٌ مجيد**».

وأمّا الأطهار الذين مُنحوا شرف الاختصاص بهذه الصّلوات، فهم أُولئك الذين خرقوا الحجب الظّلمانيّة فجعلوها خلف ظهورهم، وتحرّروا من قيود النّفسانيّة، ليتمكّنوا من الوصول إلى مقام العبوديّة المحضة لله المتعال، ومن هنا كانوا طاهرين مطهَّرين من كلّ رجسٍ وظلمةٍ ومعصية، فتأتي هذه الصّلوات لترتقي بهم في مراتب الأنوار الإلهية، وتعينهم على قطع ميادين النّور في عالَم الوصال والفناء والبقاء في الله.

إنّ بيت محمّدﷺ هو بيتٌ من بيوت النّور الإلهيّ، كما أشارت إلى ذلك الآيات من قوله تعالى:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالأَرضِ﴾... إلى قوله: ﴿فِي بُيُوت

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

أَذِنَ اللَّهُ أنْ تُرفَعَ﴾[١]، وقد ورد في العديد من الرّوايات أنّ بيت محمّد صلى الله عليه وآله ـ والذي هو نفسه بيت آل محمّد ـ هو أوضح مصداقٍ لهذه البيوت التي تتحدّث عنها الآية.

وعليه فالصّلوات الخاصّة ببيت محمّد وآل محمّد هي صلواتٌ تخرق الحجب النّورانيّة، وتُوجب الانتقال من مرحلة نورانيّةٍ إلى مرحلة أكثر نورانيّةً، وبحسب الظّاهر، فإنّ العالَم النّوريّ الذي لمحمّدٍ وأهل بيته عليهم السلام هو ذاك العالَم النّوريّ الذي تتحدّث عنه الآية الكريمة في سورة النّجم، وهذا العالَم ليس أفضل العوالِم النّوريّة فحسب، وإنّما هو أيضاً عالَمٌ لا نهاية له ولا حدّ.

خصائص مقام العبوديّة

لمقام العبوديّة خصائص ولوازم عدّة، نُشير إلى بعضها وأهمّها حسبما نستفيده من المعارف القرآنيّة ومن كلمات المعصومين عليهم السلام، ولا سيّما الإمام السجّاد عليه السلام:

الخصوصيّة الأُولى: التذلّل والاستكانة لله المتعال.

من أهمّ خصائص العبوديّة لله تعالى أنّ يتحلّى العبد بأقصى درجات التذلّل والتواضع والاستكانة إليه، وقد نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الإطار العديد من الرّوايات والأخبار التي تُظهر مدى تواضعه لله تعالى واستكانته إليه، ولعلّ أوضحها ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿طه* مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٢].

---

(١) سورة النور: ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) سورة طه: ١ ـ ٢.

وروى الكليني في أُصول الكافي عن إمامنا الباقر عليه السلام أنّه قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله، لِمَ تُتعب نفسك وقد غُفر لَكَ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

«ولقد قام رسول الله عشر سنين على أطراف أصابعه، حتّى تورّمت قدماه، واصفرّ وجهه، يقوم اللّيل أجمع، حتّى عُوتبَ في ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقَى ﴾...» الحديث[٢].

وعن الإمام الصّادق عليه السلام:

«أفطَر رسول الله صلى الله عليه وآله عشيّة خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟! فأتاه أوس بن خولى الأنصاري بعُسّ مخيضٍ بعسل، فلمّا وضعه على فيه نحّاه، ثمّ قال: شرابان يُكتَفى بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أُحرّمه، ولكن أتواضع لله، فإنّه مَن تواضع لله رفعه الله، ومَن تكبّر خفضه الله...»[٣].

وفي النّهج الشّريف، عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ وهو يصف رسول الله صلى الله عليه وآله ـ:

«فتأسَّ بنبيّك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله، فإنّ فيه أُسوةً لمن تأسّى، وعزاءً لمن

---

(١) راجع: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي ٢: ٩٥، كتاب الإيمان والكفر، باب: الشّكر، الحديث: السادس، تصحيح وتعليق على أكبر غفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥هـ. ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج ١: ٣٢٦، تعليق: السيّد محمّد باقر الخرسان، نشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النّجف الأشرف ١٣٨٦هـ.

(٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشّيعة ١٥: ٢٧٧، كتاب الجهاد، الباب: (٣١) من أبواب جهاد النّفس، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى ١٤١٢ هـ قم.

تعزّى. وأحبّ العباد إلى الله المتأسّي بنبيّه، والمقتصّ لأثره، قَضَم الدّنيا قضماً، ولم يُعرها طَرَفاً، أهضَمُ أهل الدّنيا كشحاً، وأخمصهم من الدّنيا بطناً، عُرِضَت عليه الدّنيا فأبى أنّ يَقبَلها، وعَلِم أنّ الله سُبحانه أبغَضَ شيئاً فأبغَضه، وحقَّرَ شيئاً فحقَّرَه، وصغَّرَ شيئاً فصغَّره، ولولم يكن فينا إلا حبُّنا ما أبغَضَ اللهُ ورسولُه، وتعظيمُنا ما صغَّر اللهُ ورسولُه، لكفى به شِقاقاً لله، ومُحادّةً عن أمر الله. ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويُردِف خلفه، ويكون السّتر على باب بيته، فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة ـ لإحدى أزواجه ـ غيّبيه عنّي، فإنّي إذا نظرتُ إليه ذكرتُ الدّنيا وزخارفها، فأَعرَضَ عن الدّنيا بقلبه، وأماتَ ذكرها من نَفسه...» إلى أنّ يقول: «فتأسّى مُتَأسٍ بنبيّه، واقتَصّ أثره، وولَجَ مَولجه، وإلا فلا يَأمَنُ الهَلَكة، فإنّ الله جَعَل محمّداً صلى الله عليه وآله عَلَماً للسّاعة، ومبشّراً بالجنّة، ومُنذراً بالعقوبة، خَرَج من الدّنيا خَميصاً، وورد الآخرة سليماً. لم يَضَع حَجَراً على حَجَر، حتّى مضى لسبيله، وأجاب داعيَ ربّه، فما أعظَمَ منّة الله عندنا، حين أنعَمَ علينا به سلفاً نتّبعه، وقائداً نَطَأُ عقبه، والله لقد رقعتُ مدرعتي هذه، حتّى استحيَيتُ من راقعها، ولقد قال لي قائلٌ: ألا تَنبذها عنك؟ فقُلتُ: أُعزب عنّي، فعند الصّباح يَحمد القوم السُّرى»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً:

«ولكنّ الله يَختبر عباده بأنواع الشّدائد، ويتعبّدهم بأنواع المَجَاهد، ويبتليهم بضُروب المكاره، إخراجاً للتكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم،

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٦٠)، ص: ٧٠، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه. فالله الله في عاجل البغي، وآجل وخامة الظّلم، وسوء عاقبة الكبر، فإنّها مَصيدة إبليس العُظمى، ومكيدته الكُبرى، التي تُساور قلوب الرّجال مساورة السّموم القاتلة، فما تُكدي أبداً، ولا تُشوي أحداً، لا عالماً لعلمه، ولا مقلاً في طمره. وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصّلوات والزّكوات، ومجاهدة الصّيام في الأيّام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم، وتخشيعاً لأبصارهم، وتذليلاً لنفوسهم، وتخفيضاً لقلوبهم، وإذهاباً للخُيَلاء عنهم، ولما في ذلك من تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعاً، والتصاق كرائم الجوارح بالأرض تصاغراً، ولحوق البطون بالمتون من الصّيام تذلّلاً، مع ما في الزّكاة من صرف ثمرات الأرض وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر»[1].

وعن سعيد بن كلثوم قال: كُنتُ عند الصّادق جعفر بن محمّدعليه السلام، فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثمّ قال:

«والله، ما أَكَل علي بن أبي طالب من الدّنيا حراماً قطّ حتّى مضى لسبيله، وما عَرَضَ له أمران قطّ هما لله رضاً إلا أَخَذَ بأشدّهما عليه في دينه، وما نَزَلَت برسول اللهصلى الله عليه وآله نازلةٌ قطّ إلا دعاه ثقةً به، وما أطاق عمل رسول اللهصلى الله عليه وآله من هذه الأمّة غيره...» إلى أن يقول: «وما أشبَهَه من ولده ولا أهل بيته أحدٌ أقرَب شَبَهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسينعليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه، فإذا هو قد بَلَغَ من العبادة ما لم يَبلغه أحدٌ، فرآه وقد اصفَرَّ لونه من

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٩٢)، ص: ٩٠، نسخة المعجم المفهرس، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ، نشر: مؤسّسة النشر التابعة لجماعة المدرّسين، قم.

السّهر، ورَمَضَت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرَم أنفه من السّجود، وقد ورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصّلاة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فلم أملك حين رأيتُه بتلك الحال البكاء، فبكيتُ رحمةً له، فإذا هو يفكّر، فالتَفَتَ إليّ بعد هنيئة من دخولي، فقال: يا بنيّ، أعطني بعض تلك الصّحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب، فأعطيتُه، فقَرأ فيها شيئاً يسيراً، ثمّ تَركها من يده تضجّراً وقال: مَن يَقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام»[1].

إنّ للتذلّل والاستكانة إلى الله مصاديق وموارد كثيرة، أُشير إلى بعضها في المرويّات التي نقلناها آنفاً، كالزّهد والعبادة والخشوع. ومن بين هذه المصاديق، التّذلّل في الدّعاء والمناجاة، الذي يُمكن أنّ نجد وبوفرةٍ نماذج عجيبةً له في أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام.

يقول عليه السلام في دعاء أبي حمزة المليء بالتّذلّل والتّضرّع والخضوع لله تبارك وتعالى:

«سيّدي، عبدك ببابك، أقامَته الخصاصة بين يديك، يَقرع باب إحسانك بدعائه، ويَستَعطف جميل كرمك بمكنون رجائه، فلا تُعرِض بوجهك الكريم عنّي».

وفي الدّعاء العاشر من أدعية الصحيفة السجّادية يقول عليه السلام:

«يا غنيّ الأغنياء، ها نحن عبادك بين يديك، وأنا أفقَر الفقراء إليك، فاجبر فاقتنا بوسعك، ولا تقطع رجاءنا بمنعك، فتكون قد أشقيتَ مَن استسعَد بك، وحَرَمتَ مَن استَرفَدَ فضلك، فإلى مَن حينئذٍ مُنقلبنا عنك؟ وإلى أين مذهبنا عن

---

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار ٤٦: ٧٥، الطبعة الثالثة ١٤٠٣، دار إحياء التراث، بيروت.

بابك! سُبحانك، نَحن المضطرّون الذين أوجبتَ إجابتهم، وأهل السّوء الذين وَعَدتَ الكشف عنهم، وأشبه الأشياء بمشيّتك، وأولى الأمور بك في عظمتك رحمة مَن استرحمك، وغوث مَن استغاث بك، فارحَم تضرّعنا إليك، وأغننا إذ طرحنا أنفسنا بين يديك».

وفي الدّعاء الحادي عشر من الصحيفة:

«فها أنا ذا يا إلهي، واقفٌ بباب عزّك وقوف المستَسلم الذّليل، وسائلك على الحياء منّي سؤال البائس المعيل، مقرٌّ بأنّي لم أستَسلم وقت إحسانك بالإقلاع عن عصيانك، ولم أخلُ في الحالات كلّها عن امتنانك، فهل يَنفعني يا إلهي إقراري عندك بسوء ما اكتسبتُ؟ وهل يُنجيني منكَ اعترافي لك بقبيح ما ارتكبتُ؟ أم أوجَبتَ لي في مقامي هذا سخطك؟ أم لزمني في وقت دعائي مقتك! سُبحانك، لا أيأس منك وقد فتحتَ لي باب التوبة إليك، بل أقول مقال العبد الذّليل الظّالم لنفسه...» إلى أنّ يقول: «فقام إليك بقلب طاهرٍ نقيّ، ثمّ دعاك بصوت حائلٍ خفيّ، قد تطأطأ لك فانحنى، ونكّس رأسه فانثنى، قد أرعَشَت خشيتُه رجلَيه، وأغرَقَت دموعه خدّيه، يَدعوك بيا أرحَمَ الرّاحمين، ويا أَرحَمَ من انتابه المستَرحمون، ويا أعطَفَ مَن أطاف به المُستَغفرون...» إلى أن يقول عليه السلام: «أتوب إليك في مقامي هذا، توبة نادمٍ على ما فرط منه، مُشفقٍ ممّا اجتَمَعَ عليه، خالص الحياء ممّا وقع فيه، عالمٍ بأنّ العفوعن الذّنب العظيم لا يتعاظمك، وأنّ التجاوز عن الإثم الجليل لا يَستَصعبك، وأنّ احتمال الجنايات الفاحشة لا يتكأّدك، وأنّ أحبّ عبادك إليك مَن تَرَك الاستكبار عليك، وجانَبَ الإصرار ولزم الاستغفار ...».

وأيضاً جاء في الدعاء السّادس عشر من أدعية الصحيفة:

«اللّهمّ، يا مَن برحمته يَستغيث المُذنبون، ويا مَن إلى ذكر إحسانه يَفزع المضطرّون، ويا مَن لخيفته يَنتحب الخاطئون، يا أُنس كلّ مُستَوحشٍ غريب،

ويا فَرَجَ كلّ مكروبٍ كئيب، ويا غَوث كلّ مخذول فريد، ويا عضد كلّ مُحتاجٍ طريد...» إلى أن يقول: «أنتَ الذي وصفتَ نفسك بالرّحمة، فصلِّ على محمّد وآله وارحَمني، وأنتَ الذي سمّيتَ نفسك بالعفو، فاعفُ عنّي. قد ترى ـ يا إلهي ـ فيض دمعي من خيفتك، ووجيب قلبي من خشيتك، وانتقاض جوارحي من هيبتك، كلّ ذلك حياءً منك لسوء عملي، ولذاك خَمَد صوتي عن الجأر إليك، وكَلَّ لساني عن مناجاتك...» إلى أن يقول: «يا إلهي، لو بكيتُ إليكَ حتّى تَسقط أشفار عيني، وانتحبتُ حتّى يَنقطع صوتي، وقُمتُ لكَ حتّى تَنتشر قدماي، وركعتُ لك حتّى يَنخلع صُلبي، وسجدتُ لكَ حتّى تَتَفقّأ حَدَقتاي، وأكلتُ تراب الأرض طول عمري، وشربتُ ماء الرّماد آخر دَهري، وذكرتُك في خلال ذلك حتّى يكلّ لساني، ثمّ لم أرفَع طرفي إلى آفاق السّماء استحياءً منك، ما استوجبتُ بذلك محوسيّئة واحدة من سيّئاتي..».

وفي الدعاء الثالث والخمسين يقول عليه السلام:

«ربّ، أفحَمَتني ذنوبي، وانقَطَعَت مقالتي، فلا حجّة لي، فأنا الأسير ببليّتي، المرتهن بعَمَلي، المتردّد في خطيئتي، المتحيّر عن قصدي، المنقطع بي. قد أوقفتُ نَفسي موقف الأذلاء المُذنبين، موقف الأشقياء المتجرّين عليك، المستخفّين بوعدك. سبحانك!! أيّ جُرأة اجترأتُ عليك؟! وأيّ تغريرٍ غرّرتُ بنفسي؟! مَولاي، ارحَم كبوتي لحرّ وجهي، وزلّة قدمي، وعُد بحِلمك على جهلي...».

الخصوصيّة الثانية: الانقطاع إلى الله.

من النّتائج والخصوصيّات التي تترشّح من مقام العبوديّة، الانقطاع عمّا سوى الله تعالى، والاتّصال المباشر به، فالذين فازوا بنيل مقام الخضوع والانقياد التّامّ للحقّ تعالى، وأفنوا إرادتهم في فِناء الخالق جلّ شأنه وفي حضرته، فأولئك قومٌ

تعلّقت قلوبهم بعزّ قُدسه، وأولئك قومٌ جعلوا أنفسهم، بكامل وجودهم وكيانهم، تبعاً لعالَم الأمر الإلهيّ، فلم يريدوا إلا ما أراد الله، ولم تهتف قلوبهم إلا لما يحبّه الله، وتخلّصوا وابتعدوا عن كلّ ما يُبغضه الله.

وفي القرآن الكريم يقول تعالى مخاطباً نبيّه الأعظمﷺ طالباً منه أنّ يقوم بتعريف نفسه للنّاس أجمعين، وأن يحكي لهم عن مقام عبوديّته:

﴿قُل إِنِّي أُمرتُ أنّ أَعبُدَ اللَّهَ مُخلصاً لَهُ الدِّينَ* وَأُمِرتُ لأن أَكُونَ أَوَّلَ المُسلمينَ* قُل إِنِّي أَخَافُ أنّ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَوم عَظِيم* قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلصاً لَهُ دِينِي﴾[1].

والعبادة المتلازمة مع الإخلاص في دين الله، التي تحكي عنها هذه الآية الشّريفة، ما هي إلا نفس الانقطاع التّامّ لله تعالى، وقد فصّلته الآيات الأخيرة من سورة الأنعام أكثر من ذلك، وذلك في قوله عزّ وجلّ:

﴿قُل إِنِّي أُمرتُ أنّ أَعبُدَ اللَّهَ مُخلصاً لَهُ الدِّينَ* وَأُمِرتُ لأن أَكُونَ أَوَّلَ المُسلمينَ* قُل إِنِّي أَخَافُ أنّ عَصَيتُ رَبِّي عَذَابَ يَوم عَظِيم* قُلِ اللَّهَ أَعبُدُ مُخلصاً لَهُ دِينِي﴾[2].

هذا، وقد تعرّض المعصومونعليهم السلام في الكثير من كلماتهم للتفصيل بشأن مقام العبوديّة إلى الله تعالى، وحول آثار هذا المقام ونتائجه، والتي منها خصوصيّة الانقطاع إلى الله، ولأنّنا بنينا في هذه المقالة على الاختصار والاقتصار على العناوين العامّة والرّئيسيّة، نكتفي لذلك بنقل بعض هذه الكلمات، على

---

(١) سورة الزمر: ١١ ـ ١٤.

(٢) سورة الأنعام: ١١ ـ ١٤.

سبيل المثال لا الحصر.

وممّا ورد من ذلك ما في المناجاة الشّعبانيّة المرويّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي واظب عليها أئمّتناعليهم السلام، وذلك قوله صلى الله عليه وآله:

«**إلهي، بك عليك إلا ألحقتني بمحلّ أهل طاعتك، والمثوى الصّالح من مرضاتك...**» حتّى قوله: «**إلهي، هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنِر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتّى تخرق أبصار القلوب حُجُب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلّقةً بعزّ قُدسك...**» ويقول أيضاً: «**إلهي، وألحقني بنور عزّك الأبهج، فأكون لك عارفاً، وعن سواك مُنحرفاً، ومنك خائفاً مراقباً، يا ذا الجلال والإكرام**».

وفي الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام كميل بن زياد:

«**واجعل أوقاتي من اللّيل والنّهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك موصولةً، حتّى تكون أعمالي وأورادي كلّها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً**».

وفي دعاء يوم الأحد المروي عن إمامنا السجّادعليه السلام قوله:

«**فصلّ على محمّد خير خلقك، الدّاعي إلى حقّك، وأعزّني بعزّك الذي لا يُضام، واحفظني بعينك التي لا تنام، واختم بالانقطاع إليك أمري، وبالمغفرة عمري، إنّك أنت الغفور الرّحيم**».

وفي الدعاء (٢١) من الصحيفة السجّادية:

«**واشغل بطاعتك نفسي عن كلّ ما يرِد علي، حتّى لا أحبّ شيئاً من سخطك، ولا أسخط شيئاً من رضاك. اللّهمّ، صلّ على محمّد وآله، وفرّغ قلبي لمحبّتك، واشغله بذكرك**».

وفيها أيضاً في الدّعاء (٥٢):

«**إلهي، أسألك بحقّك الواجب على جميع خلقك، وباسمك العظيم الذي**

أمرتَ رسولك أنّ يسبّحك به، وبجلال وجهك الكريم الذي لا يبلى ولا يتغيّر ولا يَحُول ولا يَفنى، أنّ تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تُغنيني عن كلّ شيءٍ بعبادتك، وأن تُسَلّي نفسي من الدّنيا بمخافتك، وأن تُثنيني بالكثير من كرامتك برحمتك...».

وفي دعائه عليه السلام المعروف بـ(مناجاة المريدين)، فإنّه عليه السلام لم يكتفِ فيها ببيان جُملةٍ من علائم الانقطاع إلى الله، بل وأشار أيضاً إلى عددٍ من أوصاف المُنقطعين إليه، قال:

«**إلهي، فاسلك بنا سُبُل الوصول إليك، وسيّرنا في أقرب الطّرق للوفود عليك، قرّب علينا البعيد، وسهّل علينا العسير الشديد، وألحقنا بعبادك الذين هُم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدّوام يطرقون، وإيّاك في اللّيل والنهار يعبدون، وهُم من هيبتك مُشفقون، الذين صفّيتَ لهم المشارب، وبلّغتهم الرّغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضيتَ لهم المآرب، وملأتَ ضمائرهم من حبّك، وروّيتهم من صافي شربك، فبكَ إلى لذيذ مناجاتك وَصَلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصّلوا. فيا مَن هو على المقبلين عليه مقبلٌ، وبالعطف عليهم عائدٌ مُفضلٌ، وبالغافلين عن ذكره رحيمٌ رؤوفٌ، وبجذبهم إلى بابه ودودٌ عطوفٌ، أسألك أنّ تجعلني من أوفرهم منك حظّاً، وأعلاهم عندك منزلاً، وأجزَلهم من ودّك قسماً، وأفضلهم في معرفتك نصيباً. فقد انقطعت إليك همّتي، وانصرفت نحوك رغبتي، فأنتَ لا غيرك مُرادي، ولَكَ لا لسواك سَهَري وسُهادي، ولقاؤك قرّة عيني، ووصلك مُنى نفسي، وإليك شوقي، وفي محبّتك وَلَهي، وإلى هو اك صبابتي، ورضاك بُغيتي، ورؤيتك حاجتي...»** ـ إلى أنّ يُخاطب الحقّ تعالى شأنه بالقول ـ: «**يا نعيمي وجَنّتي، ويا دُنياي وآخرتي، يا**

أرحَمَ الرّاحمين».

الخصوصيّة الثالثة: الذّكر الدّائم.

ومن جُملة خواصّ مقام العبوديّة أيضاً الحصول على مقام الذّكر الدّائم، والتنزّه والتحرّر من أيّ نحو من أنحاء النّسيان والغفلة. ولأجل أهمّية ذلك نجد أنّ الله تبارك وتعالى قد خاطب النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم مراراً وتكراراً، آمراً إيّاه بدوام الذّكر، نظير ما جاء في الآية التالية:

﴿وَاذكُر رَبَّكَ فِي نَفسكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ بِالغُدُوِ والآصَالِ وَلا تَكُن منَ الغَافِلينَ﴾[1].

ولأنّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد حاز على مقام العبوديّة التامّة، ولأنّه دون ريبٍ قد امتثل الأمر الإلهيّ بالدّوام على الذّكر، فإنّ وجوده المبارك صلى الله عليه وآله هو عين ذكر الله، ولأجل ذلك سُمّي في القرآن الكريم باسم: الذّكر، قال تعالى:

﴿قَد أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيكُم ذِكراً* رَسُولاً يَتلُوعَلَيكُم آيَاتِ اللَّه مُبَيِّنَاتٍ لِيُخرِجَ الذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات منَ الظُّلُمَات إلى النُّور...﴾[2].

ولهذا السّبب أيضاً أُطلق على أهل بيته عليهم السلام في القُرآن اسم: أهل الذّكر، وجُعلَت بيوتهم بيوتاً للذّكر والنّور الإلهيّين، ونالت هذه البيوت شرف أنّ الله جلّ شأنه رَفَعها وأعلاها:

﴿فِي بُيُوت أَذِنَ اللَّهُ أَنّ تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيهَا اسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لا تُلهِيهِم تِجَارَةٌ وَلا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللَّه﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٢) سورة الطلاق: ١٠ ـ ١١.

(٣) سورة النور: ٣٦ ـ ٣٧.

وفي وصف أُولئك الذين نالوا مقام العبوديّة والذّكر الإلهيّ يقول إمامنا السجّاد عليه السلام:

«إلهي، فاجعلنا ممّن اصطفيته لقُربك وولايتك، وأخلصته لودّك ومحبّتك، وشوّقته إلى لقائك، ورضّيته بقضائك، ومنحته بالنّظر إلى وجهك، وحبوته برضاك، وأعذته من هجرك وقلاك، وبوّأته مقعد الصّدق في جوارك، وخصصته بمعرفتك، وأهّلته لعبادتك، وهيّمت قلبه لإرادتك، واجتبيته لمشاهدتك، وأخليت وجهه لك، وفرّغت فؤاده لحبّك، ورغّبته في ما عندك، وألهمته ذكرك، وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيّرته من صالحي بريّتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كلّ شيءٍ يقطعه عنك. اللّهمّ، اجعلنا ممّن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزّفرة والأنين، جباههم ساجدةٌ لعظمتك، وعيونهم ساهرةٌ في خدمتك، ودموعهم سائلةٌ من خشيتك، وقلوبهم متعلّقةٌ بمحبّتك، وأفئدتهم مُنخلعةٌ من مهابتك...».

المرحلة الخامسة: مرحلة الرّضا.

مرحلة الرّضا لا يصل إليها إلا الشّخص الذي وُفّق لطيّ مراحل الذّكر الكثير، ودوام الطّاعة، وعبوديّة الحقّ تعالى. وهي أعلى المراحل الواقعة في أوج السّلوك العرفانيّ، وفيها يحصل للعارف الفناء في الرّضا الإلهيّ، بحيث يُصبح رضاه عين رضا الحقّ سُبحانه.

وتُسَمّى هذه المرحلة في الاصطلاح القُرآني بـ(النّفس المُطمئنّة)، التي وقعت مخاطَبةً من قبل الله تعالى في قوله:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ* ارجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرضِيَّةً* فَادخُلِي فِي

عِبَادي* وَادخُلي جَنَّتي﴾[١].

وأبرز الشّخصيّات التي تمكّنت من الوصول إلى هذه الدّرجة هم محمّد وآل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد شرّفهم الله تعالى في القرآن الكريم ببلوغهم هذا المقام السّامي.

ففي أحد المواضع يُشير إلى مقام الرّضا الذي ناله النّبيّصلى الله عليه وآله ويقول مخاطباً إيّاه:

﴿فَاصبر عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّح بحَمد رَبِّكَ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا وَمِن آناء اللَّيلِ فَسَبِّح وَأَطرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرضَى﴾[٢].

ويقول في موضعٍ آخر:

﴿وَلَسَوفَ يُعطيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى﴾[٣].

ويأتي في أماكن أُخرى بعبارات تؤكّد هذه الحقيقة التي أشرنا إليها، وهي أنّ رضا الله في رضا رسولصلى الله عليه وآله، من قبيل قوله: ﴿مَن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللّهَ﴾[٤]. وفي موارد أُخرى، يقوم بعطف طاعة أُولي الأمر على طاعة الرّسول، في إشارة إلى مقام الرّضا الذي ناله أهل بيت النّبيّصلى الله عليه وآله، والذين هم المصاديق الحقّة لأُولي الأمر، وفي إشارة أيضاً إلى أنّ رضاهم متّحدٌ مع رضا الله ورضا نبيّصلى الله عليه وآله. هذا، بالإضافة إلى الآيات الواردة بتعابير أُخرى ومضامين مختلفة، أو تلك الآيات الواردة في بيان مقام الرّضا لدى أمير المؤمنينعليه السلام خاصّةً، نظير الآيات الكريمة في آخر سورة اللّيل، والتي يتعيّن أنّ يكون المراد منها أمير

(١) سورة الفجر: ٢٧ ـ ٣٠.

(٢) سورة طه: ١٣٠.

(٣) سورة الضحى: ٥.

(٤) سورة النساء: ٨٠.

المؤمنين عليه السلام بقرينة آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ﴾[١]، والآيات في سورة (هل أتى).

قال تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتقَى* الذي يُؤتي مَالَهُ يَتزَكَّى* وَمَا لأحَد عِندَهُ مِن نِعمَة تُجزَى* إلا ابتِغَاءَ وَجه رَبِّه الأَعلَى* وَلَسَوفَ يَرضَى**﴾[٢].

وفي هذا السّياق أيضاً الرّواية المتواترة التي مفادها: أنّ الله يرضى لرضا فاطمة عليها السلام، ويغضب لغضبها. وقد رُوي عن سيّد الشّهداء عليه السلام أنّه قال يوم عاشوراء:

«**رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أُجور الصّابرين**».

وفي دعاء أبي حمزة الثماليّ يقول إمامنا السجّاد عليه السلام:

«**اللّهمّ، تقبّل منّي، وأعلِ ذكري، وارفع درجتي، وحُطّ وزري، ولا تذكّرني بخطيئتي، واجعَل ثواب مجلسي وثواب منطقي وثواب دعائي رضاك والجنّة**».

ولمقام الرّضا خصوصيّاتٌ وآثار، لعلّنا نوفّق إلى بيانها مفصَّلاً في فُرصةٍ أُخرى.

ونختم هنا بالقول: بأنّ ما تعرّضنا له في هذه المقالة حول العرفان الإسلامي الأصيل في المعارف السجّادية لا يعدو أن يكون فهرساً إجماليّاً للعناوين الرّئيسيّة العامّة في هذا المبحث، ونرجو من الله تعالى أنّ يوفّقنا لتفصيلها والمزيد من التّحقيق فيها. وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلتُ وإليه أُنيب.



(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) سورة الإنسان: ١٧ ـ ٢١.

جولة متأنية في تراث
الإمام زين العابدين عليه السلام

❑ السيّد منذر الحكيم

مقدّمة

لم تذكر مصادر التأريخ المعروفة أنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام قد درسوا عند أحد، أو تتلمذوا عند شخصية علمية سوى ما ورثوه من آبائهم الكرام عن النبي محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله. وقد تميّزوا بعلومهم ومعارفهم الباهرة، والتي ظهر شيء منها في الأوساط التي اكتنفتهم، ونقل لنا بعض ما ظهر منهم.

لقد اتّضح تاريخياً أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا من أوسع الناس علماً وأكثرهم دراية في أكثر من مجال علمي ، إنساني وإسلامي.

إنّ الإمامة والقيادة الرشيدة للأُمّة الإسلامية وللإنسانية جمعاء المفتقرة إلى الهداية الربّانية تتطلّب إحاطة الإمام بكلّ علم يرتبط بمجال عمله ودائرة مسؤوليته، وقد أثبت أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة بشكل عملي قد سجّله التاريخ لنا بكلّ وضوح، ممّا أدّى إلى إثارة التيارات المخالفة لخطّ أهل البيت عليهم السلام، ولا سيما الخلفاء الذين كانوا يرون الأئمّة أنداداً لهم لا يضاهيهم ندٌّ ولا شريك باعتبار تفوّقهم علماً وعملاً، وانتهت هذه الإثارات إلى السعي لاختبار الأئمّة عليهم السلام في أكثر من مجال وفي أكثر من عصر، بحيث سُجّلت هذه

الاختبارات في التاريخ الإسلامي ودخلت مصادر التاريخ، ولم تترك مجالاً للريب في جدارة الأئمّة من أهل البيت للقيادة الربّانية، باعتبار ما أثبتوه للأُمّة بكلّ وضوح، وحقّقوه من مرجعيّتهم العلمية على مختلف الأصعدة لكلّ من حاول اختبارهم وأراد الاطّلاع على واقع علمهم.

إنّ العلماء الذين تتلمذوا على الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ورووا عنهم بعض معارفهم خير شاهد على سعة علوم الأئمّة وتميّزها عن علوم غيرهم ممّن عُرفوا بالعلم والدراية.

ويمكن أنّ نصنّف بعض ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام إلى علوم القرآن والحديث والفقه والأخلاق والسيرة والتأريخ والعقائد، بالإضافة إلى ما أفاضه في طيّات أدعيته ووصاياه واحتجاجاته في علوم النفس والاجتماع والتربية والعرفان والإدارة والاقتصاد وغيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية.

ونعرض بإيجاز صورة عن معارفه وعلومه التي سجّلها لنا أرباب الحديث والتأريخ.

في رحاب القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الخالص، والمعجزة الخالدة لنبوّة سيّد المرسلين وشريعة خاتم النبيّين، والينبوع الثرّ لكلّ علم ومعرفة، وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[1].

---

(١) راجع مصادر وأسانيد ونصوص هذا الحديث الشريف والمتواتر عند الفريقين في الأعداد ٤ إلى ٩ من مجلّة رسالة الثقلين، وحديث الثقلين، طبعة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، مصر: ٩.

وقد شغف الإمام زين العابدين عليه السلام كآبائه الكرام بشكل ملفت للنظر بالقرآن الكريم وعلومه، وتمثّل ذلك في سلوكه اليومي وأدعيته واهتماماته، تلاوةً وتدبّراً وتفسيراً وتعليماً وعملاً، بما لا يدع مجالاً للريب في أنّ الإمام عليه السلام كان هو القرآن الناطق، والتجسيد الحيّ لكلّ آيات القرآن الباهرة والمعجزة الإلهية الخالدة.

وها نحن نعرض بعض ما يشير إلى مدى اهتمام الإمام عليه السلام بالقرآن العظيم من خلال دعائه عند ختم القرآن.

قال عليه السلام: «**اللهمّ، إنّك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته، وفرقاناً فرّقت به بين حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصّلته لعبادك تفصيلاً، ووحياً أنزلته على نبيّك محمّد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتّباعه، وشفاءً لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط[1] لا يحيف[2] عن الحقّ لسانه، ونور هدىً لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضلّ مَن أمّ قصد سنّته، ولا تنال أيدي الهلكات من تعلّق بعروة عصمته. اللهمّ، فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت جواسي ألسنتنا[3] بحسن عبارته، فاجعلنا ممّن يرعاه حقّ رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضّحات بيّناته. اللهمّ، إنّك أنزلته على نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسّراً، وفضّلتنا على من جهل علمه، وقوّيتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله. اللهمّ، فكما جعلت قلوبنا له حملةً،**

---

(١) القسط: العدل.

(٢) لا يحيف: لا يميل.

(٣) جواسي: جمع جاسية وهي الغليظة، والمراد غلاظ الألسنة.

وعرّفتنا برحمتك شرفه وفضله فصلّ على محمّد الخطيب به وعلى آله الخزّان له، واجعلنا ممّن يعترف بأنّه من عندك حتّى لا يعارضنا الشكّ في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه»[١].

إنّ القرآن هو معجزة الإسلام الكبرى، وقد تحدّث سليل النبوّة في هذا المقطع عن بعض معالمه وأنواره، وهي:

١ ـ أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم نوراً يهدي به الضالّ، ويرشد به الحائر، ويوضّح به القصد.

٢ ـ أنّ الله تعالى جعل القرآن الحكيم مهيمناً ومشرفاً على جميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه، فهو يكشف عمّا حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال.

٣ ـ أنّ الله تعالى فضّل كتابه العزيز على كلّ حديث عرض فيه قصص الأنبياء وشؤونهم، فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العبر منهم.

٤ ـ أنّ القرآن الكريم باعتباره منهجاً ودستوراً عامّاً للحياة يفرّق بين الحلال والحرام، ويعرب عن شرائع الأحكام، ويفصّل جميع ما يحتاجه الناس تفصيلاً واضحاً لا لَبس فيه.

٥ ـ أنّ الله تعالى كما جعل كتابه الحكيم نوراً يُهتدى به في ظلم الضلالة والجهالة كذلك جعله شفاءً من الأمراض والعاهات النفسية، وذلك لمن آمن به وصدّقه.

---

(١) الصحيفة السجّادية : من دعائه في ختم القرآن (٤٢): ٢٠١.

٦ ـ أنّ الذكر الحكيم ميزان عدل وقسط، ليس فيه ميلٌ عن الحقّ، ولا اتّباع لهو ى، وأنّ مَن تمسّك به واعتصم فقد سلك الطريق القويم الذي لا التواء فيه، ونجا من الهلاك.

٧ ـ طلب الإمام عليه السلام من الله جلّ جلاله أنّ يتفضّل عليه برعاية كتابه والتسليم لمحكم آياته والإقرار بمتشابهاته.

٨ ـ أنّ الله تعالى قد منح نبيّه العظيم فهمَ عجائب ما في القرآن الكريم وعلّمه تفسيره، كما أشاد بأئمّة الهدى من عترة الرسول صلى الله عليه وآله الذين رفعهم الله عزّ وجلّ وأعلى درجتهم، فجعلهم خزنة علمه والأدلاء على كتابه.

نماذج من التفسير العلمي للإمام زين العابدين عليه السلام للقرآن الكريم :

كان الإمام عليه السلام من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم، وله منهج تفسيري متميّز وقد استشهد علماء التفسير بالكثير من روائع تفسيره، وقالوا: أنّه كان صاحب مدرسة لتفسير القرآن، وقد أخذ عنه ابنه الشهيد زيد في تفسيره للقرآن[١] ، كما أخذ عنه ابنه الإمام أبو جعفر محمّد الباقر عليه السلام الذي رواه عنه زياد بن المنذر[٢] الزعيم الروحي للفرقة الجارودية.

وهذه نماذج من تفسيره عليه السلام لكتاب الله العزيز.

١ ـ روى الإمام محمّد الباقر عن أبيه عليهما السلام، في تفسير الآية الكريمة: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾[٣]، قال: «**جعلها ملائمةً لطباعكم، موافقةً لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحمأ**[٤] **والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة**

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ٢ : ٣٢.

(٢) حياة الإمام الباقر ١ : ١١، وانظر عن الفهرست للشيخ الطوسي: ٩٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٢.

(٤) الحمأ: شدّة حرارة الشمس.

فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم[(١)]، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم، ولكنّه عزّ وجلّ جعل فيها من المتانة[(٢)] ما تنتفون به، وتتماسكون عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم، ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ أي: سقفاً من فوقكم، محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم، ثمّ قال عزوجلّ: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ينزله من عل ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم[(٣)] ثمّ فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً[(٤)] لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم.

ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ﴾ يعني ممّا يخرجه من الأرض رزقاً لكم ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى»[(٥)].

وحوت هذه القطعة الذهبية من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام أروع أدلّة التوحيد وأوثقها، فقد أعطت صورة متكاملة مشرقة من خلق الله تعالى للأرض،

---

(١) تعطبكم: تهلككم.
(٢) المتانة: ما صلب من الأرض وارتفع.
(٣) الأوهاد: الأرض المنخفضة.
(٤) الهطل: المطر الضعيف الدائم.
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦. طبعة مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت.

فقد خلقها بالكيفية الرائعة التي ليست صلبة ولا شديدة ليسهل على الإنسان العيش عليها، والانتفاع بخيراتها وثمراتها التي لا تحصى، فالأرض بما فيها من العجائب كالجبال والأودية والمعادن والبحار والأنهار وغير ذلك من أعظم الأدلة وأوثقها على وجود الخالق العظيم الحكيم.

كما استدلّ الإمام عليه السلام على عظمة الله تعالى بخلقه السماء وما فيها من الشمس والقمر وسائر الكواكب التي تزوّد هذه الأرض بأشعّتها.

إنّ أشعّة الشمس لها الأثر البالغ في تكوين الحياة النباتية، كما أنّ أشعّة القمر لها الأثر على البحار في مدّها وجزرها، وكذلك لأشعّة سائر الكواكب، فإنّ الأثر التام في منح الحياة العامّة لجميع الموجودات الحيوانية والنباتية في الأرض. وهذه الظواهر الكونية التي لم تكتشف إلا في هذه العصور الحديثة، إلا أنّ الإمام عليه السلام ألمح إليها في كلامه، فكان حقّاً هو وآباؤه وأبناؤه المعصومون الروّاد الأوائل الذين رفعوا راية العلم، وساهموا في تكوين الحضارة الإنسانية.

وأعطى الإمام عليه السلام صورة متميّزة عن الأمطار، وأنّها تتساقط بصورة رتيبة وفي أوقات خاصة، وذلك لإحياء الأرض وإخراج ثمراتها، ولودام المطر ونزل دفعة واحدة لأهلك الحرث والنسل.

وبعدما أقام الإمام الأدلّة المحسوسة على وجود الخالق الحكيم؛دعا إلى عبادته وتوحيده ونبذ الأصنام والأنداد التي تدعوإلى انحطاط الفكر وجمود الوعي؛ لأنّها لا تضرّ ولا تنفع ولا تملك أيّ قدرة في إدارة هذا الكون وتصريف شؤونه.

٢ ـ فسّر عليه السلام الآية الكريمة : ﴿ادخُلُوا فِي السِّلمِ كَافَّةً﴾[١] بقوله: «**هو ولايتنا**»[٢]. ولا شك أنّ ولايتهم عليهم السلام هي السلم الحقيقي الذي ينعم الناس في ظلاله بالأمن والرخاء والاستقرار، ولو أنّ المسلمين كانوا قد دانوا بهذه الولاية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لما داهمتهم الأزمات في حياتهم السياسية والاجتماعية.

٣ ـ روى الإمام الصادق عليه السلام عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَأخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[٣] أنّه قال: «**ضمنت على ربّي أنّ الصدقة لا تقع في يد العبد حتّى تقع في يد الربّ**»، وكان يقول: «**ليس من شيء إلا وكّل به ملك، إلا الصدقة فإنّها تقع في يد الله تعالى**»[٤].

٤ ـ سأل رجل الإمام زين العابدين عليه السلام عن الحقّ المعلوم الذي ورد في قوله تعالى: ﴿وَالذينَ فِي أَموَالِهِم حقّ مَعلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَالمَحرُومِ﴾[٥]، فقال عليه السلام: «**الحقّ المعلوم الشيء الذي يخرجه من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضتين**»... فقال له الرجل: فما يصنع به؟ فقال عليه السلام: «**يصل به رحماً، ويقوّي به ضعيفاً، ويحمل به كُلاً، أو يصل أخاً له في الله، أو لنائبة تنوبه**»، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته[٦].

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٨.
(٢) تفسير العياشي ١: ١٠٢، تفسير نور الثقلين ١: ٢٠٦.
(٣) سورة التوبة: ١٠٥.
(٤) تفسير الصافي ٢: ٣٧٢ ـ ٣٧٣.
(٥) سورة المعارج : ٢٤ و٢٥ .
(٦) وسائل الشيعة ٩: ٤٩، تفسير نور الثقلين ٥: ٤١٧.

٥ ـ فسّر الإمام عليه السلام الآية الكريمة: ﴿**فَاصفَحِ الصَّفحَ الجَمِيلَ**﴾[١] بأنّه «**العفو من غير عتاب**»[٢].

الإمام زين العابدين عليه السلام والحديث الشريف:

بُني معظم الفقه الإسلامي على الحديث الشريف، فإنّه يعرض بصورة موضوعية وشاملة لتفصيل الأحكام الشرعية الواردة في القرآن الكريم، فيذكر أنواعها من الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، كما يذكر أجزاءها وشرائطها وموانعها وسائر ما يعتبر فيها، ويعرض لعمومات الكتاب ومطلقاته فيخصّصها ويقيّدها، وبالإضافة إلى ذلك يتناول آداب السلوك وقواعد الأخلاق، ويعطي البرامج الوافية لسعادة الإنسان وبناء شخصيته.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام في عصر التابعين من أعظم الرواة وأهمّهم، فضلاً عن كونه أحد مصادر بيان الأحكام والمعارف الإلهية باعتقاد الإمامية، باعتبار أنّ أحاديث الأئمّة عليهم السلام هي أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**علّمني رسول الله ألف باب من العلم فتح لي من كلّ باب ألف باب**»[٣].

وأيّدت مصادر التاريخ هذا المعنى فيما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام من العلوم والمعارف، وأقرّ كلّ الصحابة بفضل علي وبمرجعيّته العلمية هو والأئمّة من بنيه، ولا غرو في ذلك بعد أنّ جعلهم الله أبواب الهدى وسفن النجاة

---

(١) سورة الحجر : ٨٥.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٧١، الأمالي للصدوق: ٤١٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٤، مع اختلاف يسير، الصراط المستقيم ٣: ٢٠٩.

كما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق**»[1].

والنصوص التي وصلتنا عن الإمام زين العابدين عليه السلام قد صرّح في بعضها بأنّها عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عن جدّه أمير المؤمنين، هذا فضلاً عمّا رواه عن أبيه الحسين عليه السلام.

وقد اعتنى أئمّة الحديث بأحاديثه اعتناءً فائقاً باعتباره الرائد العلمي في عصر التابعين، ولولا مدرسته العلمية وجهوده التعليميّة المباركة لاندرست أعلام الدين في عصر طغت فيه الميوعة ورُوِّجَت فيه الشهوات، وأُريد للأُمّة الإسلامية أنّ تعود إلى جاهلية جهلاء.

من نصوص الإمام عليه السلام في أُصول العقيدة:

كان الإمام زين العابدين عليه السلام في زمانه وحيد عصره في الإجابة على الأسئلة العقائدية، ولا سيّما بعد ما تعرّضت له الأمّة الإسلامية من تيارات فكرية مستوردة، أو دخيلة كانت تحاول زعزعة كيان العقيدة الخالصة، كمباحث القضاء والقدر والجبر والاختيار، التي ظهرت بوادرها في حياة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذت بالنمو والانتشار، بحيث شكّلت ظاهرة فكرية تستدعي الانتباه وتتطلّب العلاج.

وبرز الإمام علي بن الحسين عليهما السلام على الصعيد العلمي بروزاً جعله مناراً يشار إليه البنان، وآمن به المسلمون جميعاً حتّى قال الزهري عنه: «ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفقه منه».

---

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥١، مع اختلاف يسير، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨، نظم درر السمطين: ٢٣٥.

وقد اعترف بهذه الحقيقة حكّام عصر الإمام زين العابدين عليه السلام من بني أُميّة ـ وهم لا يعترفون بالفضل لمن يطاولهم في الخلافة والسلطان ـ حتّى قال عبد الملك بن مروان للإمام زين العابدين عليه السلام: «ولقد أُوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلا مَن مضى من سلفك». ووصفه عمر بن عبد العزيز بأنّه: «سراج الدنيا وجمال الإسلام»[1].

القضاء والقدر:

وممّا ورد عنه في القضاء والقدر أنّ رجلاً سأله: جعلني الله فداك، أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل؟ فأجابه عليه السلام: **«أنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحسّ، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يحسّ، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر؛ لم يمضِ ولم يتمّ ولكنهما باجتماعهما، ولله فيه العون لعباده الصالحين»** .

ثم قال عليه السلام: **«ألا أنّ من أَجور الناس من رأى جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً، ألا أنّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه فأبصر بهما العيب[2]، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه»** ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال: **«هذا منه، هذا منه»**[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٠٥.

(٢) في نسخة: فأبصر بهما الغيب.

(٣) التوحيد للشيخ الصدوق: ٣٦٦ ـ ٣٦٧ منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، الطبعة السادسة.

وقال عليه السلام في بيان استحالة أنّ يوصف الله تعالى بالمحدودية التي هي من صفات الممكن: «**يا أبا حمزة، أنّ الله لا يوصف بمحدوديّة، عظم ربّنا عن الصفة، فكيف يوصف بمحدودية من لا يُحَدّ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير؟**»[١] ؟

النصّ على الأئمّة من بعده البشارة بالإمام المهدي المنتظر عليه السلام :

١ ـ روى عليه السلام عن جابر بن عبدالله الأنصاري حديثاً طويلاً جاء فيه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى سبطه الحسين عليه السلام قائلاً لجابر: «... **فمن ذرّيّة هذا** ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ **رجل يخرج في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظُلماً وجوراً**...»[٢].

٢ ـ وقال عليه السلام عن المهدي عليه السلام: « **أنّ الإسلام قد يُظهِرهُ الله على جميع الأديان عند قيام القائم**»[٣].

٣ ـ وقال: «**إذا قام القائم أذهب الله عن كلّ مؤمن العاهة وردّ إليه قوّته**»[٤].

٤ ـ وذكر: أنّ سنن الأنبياء تجري في القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله: فمن آدم ونوح طول العمر، ومن إبراهيم خفاء الولادة واعتزال الناس، ومن موسى الخوف والغَيبة، ومن عيسى عليه السلام اختلاف الناس فيه، ومن أيّوب الفَرَج بَعد البلوى، ومن محمّد صلى الله عليه وآله الخروج بالسيف[٥].

---

(١) الكافي ١: ١٠٠.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ٣: ١٩٠، الأمالي للطوسي: ٥٠١.

(٣) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ٣: ١٩١، ينأبيع المودّة ٣: ٢٤٠.

(٤) معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ٣: ١٩٣، كتاب الغيبة: ٣٣٢.

(٥) الصراط المستقيم ٢: ٢٣٨، مع اختلاف يسير، أعيان الشيعة ٢: ٥٨ مع اختلاف يسير.

٥ ـ وقال عن خفاء ولادته على الناس: «**القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتّى يقولوا لم يولَد بَعدُ ليخرجَ حينَ يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة**»[١].

٦ ـ وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي خالد الكابلي[٢]، قال: دخلت على سيّدي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله طاعتهم ومودّتهم، وأوجب على خلقه الاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال لي: «**يا أبا كنكر، أنّ أُولي الأمر الذين جعلهم الله أئمّة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثمّ انتهى الأمر إلينا**»، ثمّ سكت.

فقلت له: يا سيّدي، روي لنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**لا تخلو الأرض من حجّة لله على عباده**»، فمن الحجّة والإمام بعدك؟

قال: «**ابني (محمّد) واسمه في التوراة (باقر) يبقر العلم بقراً، هو الحجّة والإمام بعدي، ومن بعد محمّد ابنه (جعفر) اسمه عند أهل السماء (الصادق)**».

فقلت له: يا سيّدي، فكيف صار اسمه: (الصادق)، وكلّكم صادقون ؟

فقال: «**حدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسموه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله (جعفر الكذّاب) المفتري على الله، المدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه، ذلك الذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله**».

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٣.

(٢) في الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمّي: ١ / ٦٠ قال: « قال الفضل بن شاذان: ولم يكن في زمن علي بن الحسين عليه السلام في أوّل أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمّد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أم الطويل، أبوخالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر». ثمّ قال: «وفي خبر الحواريّين أنّه من حواري علي بن الحسين عليه السلام، وقد شاهد كثيراً من دلائل الأئمّة عليهم السلام».

ثم بكى علي بن الحسين بكاءً شديداً، ثمّ قال: «**كأنّي بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، والمغيّب في حفظ الله، والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله أنّ ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتّى يأخذه بغير حقّه**».

قال أبوخالد: فقلت له: يابن رسول الله، وإنّ ذلك لكائن ؟

فقال: «**أي وربّي، أنّه المكتوب عندنا في الصحيفة، التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله**صلى الله عليه وآله».

قال أبوخالد: فقلت: يابن رسول الله، ثمّ يكون ماذا ؟

قال: «**ثمّ تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمّة بعده. يا أبا خالد، أنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف، اُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً**». وقال عليه السلام: «**انتظار الفرج من أعظم الفرج**»[1].

لقد كان صدق هذه الأحاديث عن الإمام السجّادعليه السلام خلال النصف الثاني من القرن الأوّل (٦١ ـ ٩٥ هـ) أي قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام بأكثر من قرن ونصف. وما يرتبط بالإمام المهدي عليه السلام عن السجّاد وتلاحظه في الصحيفة السجّادية أيضاً في دعاء عرفة والعيدين وغيرهما.

---

(١) الاحتجاج ٢: ٤٨ ـ ٥٠، احتجاجات الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

في رحاب الفقه وأحكام الشريعة:

كانت الحلقة الدراسية التي أسّسها الإمام زين العابدين عليه السلام حلقة حافلة بصنوف المعرفة الإسلامية، وكان يفيض فيها الإمام من علومه وعلوم آبائه الطاهرين، ويمرّن النابهين منهم على الفقه والاستنباط، وقد تخرّج من هذه الحلقة الدراسية عدد كبير من فقهاء المسلمين.

واستقطب الإمام عن هذا الطريق الجمهو ر الأعظم من القرّاء وحملة الكتاب والسُنّة، حتّى قال سعيد بن المسيّب: «**أنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب**»[1].

وعلم الفقه بالمعنى المعروف فعلاً هو العلم بأحكام أفعال المكلّفين على ضوء مصادر الشريعة الإسلامية، وكان الإمام هو المرجع الوحيد في عصره لإعطاء تفاصيل الأحكام الشرعية، وتعليم طريقة استنباطها من مصادرها الإسلامية، والمربي الفذُّ الذي تخرَّج على يديه فقهاء المدينة، وكانت مدرسته هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة.

وقد قال عنه الزهري: «**ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه**»[2]. وعدّه الشافعي أفقه أهل المدينة.

وروى المؤرّخون : أنّ الزهري كان يعترف بالفضل والفقه للإمام علي بن الحسين عليه السلام وكان ممّن يرجع إليه في ما يهمّه من الأحكام الشرعية، ورُوي أنّه رأى في منامه كأنّ يده مخضوبة، وفسّرت له رؤياه بأنّه يبتلى بدم خطأ، وكان في ذلك الوقت عاملاً لحكّام بني أُميّة، فعاقب رجلاً فمات في العقوبة، ففزع

---

(١) اختيار معرفة الرجال ١: ٣٣٣.

(٢) راجع ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام من تاريخ دمشق، تحقيق محمّد باقر المحمودي : ٢٧ .

وخاف من الله، وفرّ هارباً فدخل في غار يتعبّد فيه، وكان الإمامعليه السلام قد مضى حاجّاً إلى بيت الله الحرام، فاجتاز على الغار الذي فيه الزهري، فقيل له: هل لك في الزهري حاجة ؟ فأجابهم إلى ذلك، ودخل عليه فرآه فزعاً خائفاً، قانطاً من رحمة الله، فقالعليه السلام له: «**إنّي أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك**»، فقال له: فرّجت عنّي يا سيّدي، الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

ودخل الزهري مع جماعة من الفقهاء على الإمام زين العابدينعليه السلام فسأل الإمام الزهريّ عمّا كانوا يخوضون فيه فقال له: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي ورأي أصحأبي على أنّه ليس من الصوم واجب إلا شهر رمضان. فنعى عليهم الإمامعليه السلام قلّة معلوماتهم بشؤون الشريعة وأحكام الدين، وبيّن لهم أقسام الصوم.

أقسام الصوم في الإسلام:

قالعليه السلام: «**... الصوم على أربعين وجهاً، فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان، وعشرة أوجه منها صيامهنّ حرام، وأربعة عشر وجهاً منها صاحبها فيها بالخيار، أنّ شاء صام وإن شاء أفطر، وصوم الإذن ـ على ثلاثة أوجه ـ وصوم التأديب وصوم الإباحة وصوم السفر والمرض**».

وبهر الزهري وبقية الفقهاء من سعة علم الإمامعليه السلام وإحاطته بأحكام الدين، وطلب منه الزهري إيضاح تلك الوجوه وبيانها، فقالعليه السلام:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٩٨، مع اختلاف يسير، مستدرك الوسائل ١٨: ٢٢٢، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٨.

«أمّا الواجب: فصيام شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤمناً خَطَأً فَتَحريرُ رَقَبَة مُؤمنَة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أَهله ـ إلى قوله ـ: فَمَن لَم يَجد فَصيَامُ شَهرَين مُتَتابعَين﴾[١].

وصيام شهرين متتابعين في كفّارة الظهار[٢] لمن لم يجد العتق واجب قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالذينَ يُظَاهرُونَ من نسَائهم ثمّ يَعُودُونَ لمَا قَالُوا فَتَحريرُ رَقَبَة من قَبل أنّ يَتَمَاسَّا ذلكُم تُوعَظُونَ به وَاللَّهُ بمَا تعمَلُونَ خَبيرٌ* فَمَن لَم يَجد فَصيَامُ شَهرَين مُتَتَابعَين من قَبل أنّ يَتَماسَّا﴾[٣].

وصيام ثلاثة أيّام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن لَم يَجد فَصيَامُ ثَلاَثَة أَيَّام ذلكَ كَفَّارَةُ أَيمَانكُم إذَا حَلَفتُم﴾[٤]، كلّ ذلك تتابع وليس بمفترق.

وصيام أذى الحلق (حلق الرأس) واجب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ منكُم مَريضاً أَوبه أَذىً من رَأسه فَفديَةٌ من صيَام أَو صَدَقَة أَو نُسُك﴾[٥]، وصاحبها فيها بالخيار وإن صام صام ثلاثاً.

وصوم دم المتعة واجب لمن لم يجد الهدي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بالعُمرَة إلى الحَجّ فَمَا استَيسَرَ منَ الهَدي فَمَن لَم يَجد فَصيَامُ ثَلاَثَة أَيَّام في الحَجِّ وَسَبعَة إذَا رَجَعتُم تلكَ عَشَرَةٌ كَاملَةٌ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء: ٩٢.

(٢) الظهار: أنّ يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمّي.

(٣) سورة المجادلة: ٣ ـ ٤.

(٤) سورة المائدة: ٨٩.

(٥) سورة البقرة: ٩٦.

(٦) سورة البقرة: ١٩٦.

وصوم جزاء الصيد واجب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُ منكُم مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مثلُ مَا قَتَلَ منَ النَّعَم يَحكُمُ به ذَوا عَدل منكُم هَدياً بَالِغَ الكَعبَة أَو كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكينَ أَو عَدلُ ذلكَ صيَاماً﴾[1] »[2].

ثمّ قال عليه السلام: «أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زهريّ ؟ فقلت: لا أدري، قال عليه السلام: تقوّم الصيد قيمة ثمّ تفضي تلك القيمة على البُرّ، ثمّ يكال ذلك البرّ أصواعاً، فيصوم لكلّ نصف صاع يوماً.

وصوم النذر واجب، وصوم الاعتكاف واجب[3].

وأمّا الصوم الحرام: فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى، وثلاثة أيّام من أيّام التشريق[4] وصوم يوم الشكّ أُمرنا به ونُهينا عنه، أُمرنا أنّ نصومه من شعبان ونهينا أنّ ينفرد الرجل بصيامه في اليوم الذي يشكّ فيه الناس».

قلت: جعلت فداك، فإن لم يكن صام من شعبان شيئاً كيف يصنع؟ قال عليه السلام: «ينوي ليلة الشك أنّه صائم من شعبان، فإن كان من شهر رمضان أجزأ عنه، وإن كان من شعبان لم يضرّ».

قلت: وكيف يجزي صوم تطوع عن فريضة ؟ فقال عليه السلام: «لو أنّ رجلاً صام يوماً من شهر رمضان تطوعاً وهو لا يدري ولا يعلم أنّه من شهر رمضان ثمّ علم بعد ذلك أجزأ عنه؛ لأنّ الفرض إنّما وقع على اليوم بعينه».

ثمّ استأنف الإمام حديثه في بيان أقسام الصوم قائلاً:

---

(١) سورة المائدة : ٩٥.

(٢) فقه الإمام الرضا عليه السلام : ٢٠٠ ، باب ٢٩ باب الصوم ، المقنعة، الشيخ المفيد: ٣٦٣ مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) الاعتكاف إنّما يجب بعد مضي يومين منه فيتعيّن اليوم الثالث، وكذلك يجب بالنذر وشبهه.

(٤) أيام التشريق: هي أيام منى وهي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر بعد يوم النحر.

«وصوم الوصال حرام[١]، وصوم الصمت حرام[٢]، وصوم النذر للمعصية حرام، وصوم الدهر حرام.

وأمّا الصوم الذي صار صاحبه فيه بالخيار: فصوم يوم الجمعة والخميس والاثنين، وصوم الأيام البيض[٣]، وصوم ستّة أيّام من شوّال بعد شهر رمضان ويوم عرفة ويوم عاشوراء، كلّ ذلك صاحبه فيه بالخيار، أنّ شاء صام وإن شاء أفطر.

وأمّا صوم الإذن فإنّ المرأة لا تصوم تطوّعاً إلا بإذن زوجها، والعبد لا يصوم تطوّعاً إلا بإذن سيّده، والضيف لا يصوم تطوّعاً إلا بإذن صاحبه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن نزل على قوم فلا يصومنّ تطوّعاً إلا بإذنهم.

وأمّا صوم التأديب فإنّه يؤمر الصبيّ إذا راهق تأديباً وليس بفرض، [وكذلك من أفطر لعلّة أوّل النهار، ثمّ قوي بعد ذلك أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً، وليس بفرض][٤]، وكذلك المسافر إذا أكل من أوّل النهار ثمّ قدم أهله أمر بالإمساك بقية يومه تأديباً وليس بفرض.

وأمّا صوم الإباحة فمن أكل أو شرب أو تقيّأ من غير تعمّد فقد أباح الله ذلك وأجزأ عنه صومه.

وأمّا صوم السفر والمرض فإنّ العامّة اختلفت فيه، فقال قوم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: أنّ شاء صام وإن شاء أفطر، وأمّا نحن فنقول: يفطر

---

(١) صوم الوصال: أنّ يصوم الليل والنهار، وحرمته حرمة تشريعية.

(٢) صوم الصمت: أنّ يمسك الإنسان فيه عن الكلام، وقد كان الكلام محرّماً على الصائم في الشرائع السابقة، كما أعلن القرآن ذلك في قصّة مريم، قال تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ إلا أنّه نسخ في الشريعة الإسلامية المقدسة.

(٣) الأيّام البِيض: هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسمّيت لياليها بيضاً؛ لأنّ القمر يطلع فيها من أوّلها إلى آخرها. جاء ذلك في مجمع البحرين (مادة: بيض).

(٤) هذه العبارة لا توجد في الكافي ولا في الخصال، وإنّما توجد في (مَن لا يحضره الفقيه ٢: ٨٠).

في الحالتين جميعاً، فإن صام في السفر أوفي حال المرض فعليه القضاء في ذلك؛ لأنّ الله عزّو جلّ يقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَرِيضاً أَو عَلَى سَفَر فَعِدَّةٌ مِن أَيَّام أُخَرَ...﴾»[1].

وانتهى هذا البحث الفقهي الذي ألقاه الإمام على العلماء والفقهاء،وقد كشف عن مدى إحاطة الإمام بأحكام الشريعة وفروع الفقه، فقد فرّع على الصوم هذه الفروع المهمّة التي غفل عنها العلماء، ومن الجدير بالذكر أنّ فقهاء الإمامية استندوا إلى هذه الرواية في فتاواهم بأحكام الصوم.

الحقائق العلمية في الأدعية السجّادية:

بالرغم من أنّ الصحيفة السجّادية وُظّفت أدعيتها لتربية الإنسان وترشيد حركته الفردية والاجتماعية، ولكنّها تضمّنت جملة من الحقائق العلمية التي تنبئ عن إحاطة الإمام العلمية، وشموخ مقامه ـ كما تضمّنت خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام قسماً كبيراً من العلوم والمعارف ـ فيما يرتبط بتركيبة الإنسان الجسمية وكيفية خلقه، أوكيفية خلق أنواع الكائنات الأُخرى الأرضية والسماوية.

قال عليه السلام: «**سبحانك تعلم وزن السماوات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء**»[2].

كلّ ذلك في عصر لم تكن مثل هذه المفاهيم مطروحة في الأوساط العلمية في دنيا الإسلام أو غيرها.

---

(١) الكافي ٤: ٨٤ مع اختلاف يسير، الخصال: ٥٣٤ ـ ٥٣٧ ، تفسير القمّي : ١٧٢ ـ ١٧٥، المقنعة : ٥٨، التهذيب ١ : ٤٣٥.

(٢) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٤.

وأشار عليه السلام إلى إمكانية وجود الجراثيم في المياه والأطعمة في دعائه لأهل الثغور، داعياً على الأعداء: «**اللهمّ، وامزج مياههم بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء**»(١).

وتجد في كثير من أدعيته عليه السلام إشارات واضحة إلى أمثال هذه الحقائق العلمية.

الخصائص الأدبية في نصوص الإمام زين العابدين عليه السلام:

إنّ الإمام السجّاد توفّر على نتاج فنّيّ ضخم يجيء من حيث الكمّ بعد الإمام علي عليه السلام، كما يجيء من حيث الكيف متميّزاً بسمات خاصة، وفي مقدمة ذلك أدب الدعاء الذي منحه السجّاد عليه السلام خصائص فكرية وفنّيّة تفرّد بها(٢).

غتّجه الإمام في أدبه الخاصّ إلى نقد الأوضاع المنحرفة، وإلى بناء الشخصية الإسلامية في المستويين الفردي والاجتماعي، بحيث يمكن القول بأنّ أدبه كان تجسيداً للحركة الإسلامية مقابل الأدب الدنيوي، الذي بدأ ينحرف مع انحرافات السلطة، وينحدر إلى ما هو عابث ومظلم ومنحرف(٣).

وجاء في الصحيفة السجّادية الجامعة نقلاً عن الأصمعيّ أنّه قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلة، فإذا شابّ ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلّق بأستار الكعبة ويقول: «**نامت العيون وغارت النجومُ وأنت الملكُ الحيّ القيّومُ، غلّقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حُرّاسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إليّ برحمتك يا أرحم الراحمين**».

ثم أنشأ يقول:

---

(١) المصدر السابق: ١٣٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي: ٣٥٣.

(٣) المصدر السابق

يا من يُجيبُ دعاء المضطرّ في الظُّلَمِ يا كاشفَ الضرّ والبَلوى مع السَقَمِ
قد نام وفدُك حول البيت قاطبةً وأنت وحدك يا قيّومُ لم تنَمِ
أدعوك ربِّ دعاءً قد أمرتَ به فارحم بكائي بحقّ البيتِ والحَرمِ
إن كان عفوك لا يرجوهُ ذوسَرَف فمن يَجُودُ على العاصينَ بالنِعَمِ

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام[١].

كما جاء فيها عن طاووس اليماني أنّه قال: رأيتُ في جوف الليل رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

ألا يا أيّها المأمول في كلّ حاجة شكوتُ إليك الضُرّ فاسمع شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كُربتي فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي
فزادي قليل ما أراه مبلّغي أللزادِ أبكي أم لبُعد مسافتي
أتيتُ بأعمال قباح ردية فما في الورى خلقٌ جنى كجنايتي
أتحرِقُني في النار يا غاية المُنى فأين رجائي منك، أين مخافتي

قال: فتأمّلته فإذا هو علي بن الحسين عليهما السلام[٢].

ومن أدبه المنظوم أيضاً ما ذكره أحمد فهمي محمّد في كتاب «الإمام زين العابدين» عن فضل أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم :

لنحن على الحوض روّاده نذود ونسقي وراده
وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب مَن حبّنا زادهُ

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٥١٤.

(٢) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٥١٤، مستدرك الوسائل ٩: ٣٥٢، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٥٩.

ومـــن ســرّنا نال منّا السرور　　　ومـــن ساءنا ســـاء ميلاده

ومـــن كــــان غاصبنا حقّنا　　　فيوم القيامــــة ميعادُه[1]

فنّ الاحتجاج وأدبه عند الإمام زين العابدين عليه السلام:

إنّ فن الاحتجاج والمناظرة العلمية فنّ جليل؛ لما ينبغي أنّ يتمتّع به المناظر من مقدرة علمية وإحاطة ودقّة ولياقة أدبية.

وقد تميّز أئمّة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) بهذا الفنّ، واستطاعوا من خلال هذا المجال إفحام خصومهم وإثبات جدارتهم العلمية بنحو لا يدع مجالاً للريب في أنّهم مؤيّدون بتأييد ربّاني، وكما عبّر بعض أعدائهم: أنّهم أهل بيت قد زُقّوا العلمَ زقّاً.

وقد جمع العلامة الطبرسي جملةً من احتجاجات المعصومين الأربعة عشر: الرسول صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في كتابه المعروف بالاحتجاج.

ونشير هنا إلى بعض احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام:

١ ـ جاء رجل من أهل البصرة إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال: يا علي بن الحسين، أنّ جدّك علي بن أبي طالب قتل المؤمنين، فهملت عينا علي بن الحسين دموعاً حتّى امتلأت كفّه منها، ثمّ ضرب بها على الحصى، ثمّ قال: «**يا أخا أهل البصرة، لا والله ما قتل علي مؤمناً، ولا قتل مسلماً، وما أسلم القوم ولكن استسلموا وكتموا الكفر وأظهروا الإسلام، فلمّا وجدوا على الكفر أعواناً**

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٩١، بشارة المصطفى: ١٧٩.

أظهروه، وقد علمت صاحبة الجدب والمستحفظون من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنّ أصحاب الجمل وأصحاب صفّين وأصحاب النهروان لعنوا على لسان النبيّ الأُمّي، وقد خاب من افترى».

فقال شيخ من أهل الكوفة: يا علي بن الحسين، أنّ جدّك كان يقول: «**إخواننا بغوا علينا** »، فقال علي بن الحسين عليه السلام: «**أما تقرأ كتاب الله ﴿وَإِلَى عَاد أَخَاهُم هو داً﴾؟! فهم مثلهم أنجى الله عزّ وجلّ هوداً والذين معه وأهلكَ عاداً بالريح العقيم**»[(١)].

٢ ـ وعن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاض من قضاة أهل الكوفة على علي ابن الحسين عليه السلام فقال له: جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَجَعَلنَا بَينَهُم وَبَينَ القُرَى التي بَارَكنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرنَا فِيهَا السَّيرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمنِينَ﴾**[(٢)].

قالَ له عليه السلام: «**ما يقول الناس فيها قبلكم ؟**». قال: يقولون إنّها مكّة. فقال عليه السلام: «**وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكّة**».

قال: فما هو ؟

قال عليه السلام: «**إنّما عنى الرجال**».

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟

فقال عليه السلام: «**أوما تسمع إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَأَيِّن من قَريَة عَتَت عَن أَمرِ رَبِّهَا وَرُسُله﴾**[(٣)]**، وقال: ﴿وَتلكَ القُرَى أَهلَكنَاهُم﴾**[(٤)]**، وقالَ: ﴿وَاسأَلِ القَريَةَ التي كُنَّا فِيهَا وَالَعِيرَ التي أَقبَلنَا فِيهَا﴾**[(٥)]**، أفيسأل القرية أو الرجال أو العيرَ**»؟

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٠.
(٢) سورة سبأ : ١٨.
(٣) سورة الطلاق : ٨.
(٤) سورة الكهف : ٥٩.
(٥) سورة يوسف : ٨٢.

قال: وتلا عليه آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك، فمن هم؟

قال: «**نحن هم**».

فقال عليه السلام: «**أو ما تسمع إلى قوله: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾**»؟

قال عليه السلام: «**آمنين من الزيغ**»(١).

٣ ـ وروي: أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري ـ وهو يعظ الناس بمنى ـ فوقف عليه السلام عليه ثمّ قال: «**أمسك، أسألك عن الحال التي أنت عليها مقيم، أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله إذا نزل بك غداً**»؟

قال: لا.

قال: «**أفتحدّث نفسك بالتحوّل والانتقال عن الحال التي لا ترضاها لنفسك إلى الحال التي ترضاها**»؟ قال: فأطرق مليّاً ثمّ قال: إنّي أقول ذلك بلا حقيقة.

قال: «أفترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة»؟

قال: لا.

قال: «**أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها**»؟

قال: لا.

قال: «**أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا؟ إنّك على حال لا ترضاها ولا تحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة، ولا ترجو نبيّاً بعد محمّد، ولا داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها، وأنت تعظ الناس**».

قال: فلمّا ولّى عليه السلام قال الحسن البصري: من هذا؟ قالوا: علي بن الحسين. قال: أهل بيت علم. فما رُؤيَ الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس(٢).

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤١، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٧٣.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٣.

٤ ـ وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش قال: «**لمّا تاب الله على آدم واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلا في الأرض، وذلك بعد ما تاب الله عليه**»، قال: «**وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، فكان إذا أراد أنّ يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ، ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت**». قال: «**فولد لآدم من حوّاء عشرون ذكراً وعشرون أُنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأُنثى، فأوّل بطن ولدت حواء «هابيل» ومعه جارية يقال لها: «أقليما»**»، قال: **وولدت في البطن الثاني «قأبيل» ومعه جارية يقال لها: «لوزا»**»، **وكانت لوزا أجمل بنات آدم**»، (قال): «**فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه فقال: أُريد أنّ أُنكحك يا هابيل لوزا، وأُنكحك يا قابيل أقليما. قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة، وتنكح هأبيل أُختي الجميلة؟ قال: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على أقليما زوّجت كلّ واحد منكما التي خرج سهمه عليها**»، قال: «**فرضيا بذلك فاقترعا**»، قال: «**فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قأبيل، وخرج سهم قابيل على أقليما أُخت هابيل**»، قال: «**فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله**»، قال: «**ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك**».

قال: فقال له القرشي: فأولداهما ؟

قال: «**نعم**».

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم!

قال: فقال علي بن الحسين: «**إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله**».

ثمّ قال له علي بن الحسين عليه السلام: «لا تنكر هذا، إنّما هي الشرايع جرت، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له ؟! فكان ذلك شريعة من شرايعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك»(١).

٥ ـ روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام أرسل محمّد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلا به ثمّ قال: يابن أخي! قد علمت أنّ رسول الله كان جعل الوصيّة والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ إلى الحسن، ثمّ إلى الحسين، وقد قتل أبوك(رض) وصُلّيَ عليه ولم يوصِ، وأنا عمّك وصنو أبيك، وأنا في سنّي وقدمتي أحقّ بها منك في حداثتك، فلا تنازعني الوصيّة والإمامة ولا تخالفني.

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : «اتق الله ولا تدّعِ ما ليس لك بحقّ، إنّي أعظك أنّ تكون من الجاهلين، يا عم! أنّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليّ قبل أنّ يتوجّه إلى العراق، وعهد إليّ في ذلك قبل أنّ يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي، فلا تعرض لهذا فإنّي أخاف عليك بنقص العمر وتشتت الحال، وإنّ الله تبارك وتعالى أبى إلا أنّ يجعل الوصيّة والإمامة إلا في عقب الحسين، فإن أردت أنّ تعلم فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتّى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك».

قال الباقر عليه السلام: «وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكّة، فانطلقا حتّى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمّد: ابدأ فابتهل إلى الله واسأله أنّ ينطق لك الحجر ثمّ سله، فابتهل محمّد في الدعاء وسأل الله ثمّ دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي بن الحسين عليه السلام: أما إنّك يا عمّ لوكنت وصيّاً وإماماً لأجابك. فقال له محمّد:

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٣ ـ ٤٤.

فادع أنت يابن أخي، فدعا الله علي بن الحسينعليه السلام بما أراد ثمّ قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لمّا أخبرتنا بلسان عربيّ مبين مَن الوصيّ والإمام بعد الحسين بن علي، فتحرّك الحجر حتّى كاد أنّ يزول عن موضعه، ثمّ أنطقه الله بلسان عربيّ مبين فقال: اللّهمّ، أنّ الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي بن أبي طالب إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله، فانصرف محمّد وهو يتولّى علي بن الحسينعليه السلام»[1].

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه علي بن الحسينعليهم السلام قال: «**نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، ونحن الذين بنا يمسك السماء أنّ تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أنّ تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وينشر الرحمة، ويخرج بركات الأرض، ولولا ما في الأرض منّا لساخت الأرض بأهلها**». ثمّ قال: «**ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة لله فيها، ظاهر مشهو ر أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أنّ تقوم الساعة من حجّة الله، ولولا ذلك لم يعبد الله**»[2].

من غرر مواعظ الإمام زين العابدينعليه السلام :

لم يترك الإمام زين العابدينعليه السلام مدينة جدّه الرسولصلى الله عليه وآله بل بقي مرابطاً فيها مشغولاً بتربية الأمّة تربية فكرية وأخلاقية، وكان كلّ جمعة يعظهم

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٤٦ ـ ٤٧.

(٢) المصدر السابق ٢: ٤٧ ـ ٤٨.

ويحذّرهم من الدنيا وحبائلها ومكائدها التي جعلت كثيراً من أهل عصره في أسرها.

وممّا قاله في التحذير من الدنيا والتزهيد فيها[١]:

١ ـ « **كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبّارين. أيّها المؤمنون، لا يفتننّكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها وعلى حطامها[٢] الهامد[٣] وهشيمها البائد غداً، واحذروا ما حذّركم الله منها، وازهدوا فيما زهّدكم الله فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من أعدّها داراً وقراراً[٤]، وبالله أنّ لكم ممّا فيها عليها دليلاً من زينتها وتصريف أيامها[٥] وتغيير انقلابها ومثلاتها وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل وتضع الشريف، وتورد النار أقواماً غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبه**».

٢ ـ الوصيّة بالتقوى والإنابة إلى الله تعالى والتحذير من معونة الظلمة: «**فاتقوا الله واستقبلوا من إصلاح أنفسكم وطاعة الله وطاعة من تولّونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم على ما قد فرّط بالأمس في جنب الله، وضيّع من حقّ الله، واستغفروا الله وتوبوا إليه، فإنّه يقبل التوبة، ويعفو عن السيّئات، ويعلم ما تفعلون، وإيّاكم وصحبة العاصين ومعونة الظالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم**».

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني : ١٨٢ ـ ١٨٤ / ط . مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

(٢) الحُطام: القشر، والمعنى: أنّ ما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى.

(٣) الهامد: اليابس .

(٤) القرار: ما قُرّ فيه أي فعل فيه السكن أو السكون.

(٥) تصريف أيّامها: تحوّلها من وجه إلى وجه .

٣ ـ موالاة أولياء الله عزّ وجلّ: «وأعلموا أنّه من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبدّ بأمره دون أمر وليّ الله في نار تلتهب، تأكل أبداناً [قد غابت عنها أرواحها] غلبت عليها شقوتها، [فهم موتى لا يجدون حرّ النار][١]، فاعتبروا يا أُولي الأبصار، واحمدوا الله على ما هداكم، واعلموا أنّكم لا تخرجون من قدرة الله إلى غير قدرته، وسيرى الله عملكم ثمّ تحشرون، فانتفعوا بالعظة، وتأدّبوا بآداب الصالحين»[٢].

٤ ـ ومن كلامهعليه السلام في الزهد: «إنّ علامة الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة تركهم كلّ خليط[٣] وخليل، ورفضهم كلّ صاحب لا يريد ما يريدون. ألا وإنّ العامل لثواب الآخرة هو الزاهد في عاجل زهرة الدنيا، الآخذ للموت أُهبته، الحاثّ على العمل قبل فناء الأجل ونزول ما لا بدّ من لقائه، وتقديم الحذر قبل الحين، فإنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ* لَعَلِّي أَعمَلُ صَالِحاً فِيما تَرَكتُ﴾[٤]، فلينزلن أحدكم اليوم نفسه في هذه الدنيا كمنزلة المكرور إلى الدنيا، النادم على ما فرّط فيها من العمل الصالح ليوم فاقته».

٥ ـ «واعلموا عباد الله أنّه من خاف البيات تجافى عن الوساد، وامتنع من الرقاد، وأمسك عن بعض الطعام والشراب من خوف سلطان أهل الدنيا، فكيف؟ ويحك يابن آدم من خوف بيات سلطان ربّ العزّة، وأخذه الأليم،

(١) ما بين القوسين في الموضعين كان في هامش بعض نسخ الكتاب، وفي الروضة: [فهم موتى لا يجدون حرّ النار، ولو كانوا أحياء لوجدوا مضض حرّ النار].

(٢) تحف العقول: ٢٥٢ ـ ٢٥٥، الكافي ٨: ١٥ مع اختلاف يسير.

(٣) خليط : مُخالط، مُجالس .

(٤) سورة المؤمنون : ٩٩ و ١٠٠ .

وبياته لأهل المعاصي والذنوب مع طوارق المنايا بالليل والنهار، فذلك البيات الذي ليس منه مَنجى، ولا دونه ملتجأ ولا منه مهرب، فخافوا الله أيّها المؤمنون من البيات خوف أهل التقوى، فإنّ الله يقول: ﴿ذلكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1]، فاحذروا زهرة الحياة الدنيا وغرورها وشرورها، وتذكّروا ضرر عاقبة الميل إليها، فإنّ زينتها فتنة وحبّها خطيئة».

٦ ـ «فاتّقوا الله عباد الله وتفكّروا، واعملوا لما خلقتم له فإنّ الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدىً، قد عرّفكم نفسه، وبعث إليكم رسوله، وأنزل عليكم كتابه، فيه حلاله وحرامه وحججه وأمثاله، فاتّقوا الله فقد احتجّ عليكم ربّكم فقال: ﴿أَلَم نَجعَل لَهُ عَينَينِ* وَلِسَاناً وَشَفَتَينِ* وَهَدَينَاهُ النَّجدَينِ﴾[2]، فهذه حجّة عليكم، فاتّقوا الله ما استطعتم، فإنّه لا قوّة إلا بالله ولا تكلان إلا عليه، وصلّى الله على محمّد نبيّه وآله»[3].

٧ ـ «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكّل واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة لأنّ الزاهدين في الدنيا اتّخذوا أرض الله بساطاً، والتراب فراشاً، والمدر وساداً، والماء طيباً، وقرضوا المعاش من الدنيا تقريضاً، اعلموا أنّه من اشتاق إلى الجنّة سارع إلى الحسنات وسلا عن الشهو ات، ومن أشفق من النار بادر بالتوبة إلى الله من ذنوبه، ورجع عن المحارم، ومن زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها، وإنّ لله عزّ وجل لعباداً قلوبهم معلّقة بالآخرة وثوابها، وهم كمن رأى أهل الجنّة في

(١) سورة إبراهيم : ١٤ .
(٢) سورة البلد: ٨ ـ ١٠ .
(٣) تحف العقول: ٢٧٢ ـ ٢٧٤.

الجنّة مخلّدين منعّمين، وكمن رأى أهل النار في النار معذّبين[١] [شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيّاماً قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة، أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، وهم يجأرون إلى ربّهم[٢]، يسعون في فكاك رقابهم، وأمّا النهار فحلماء علماء بررة أتقياء، كأنّهم القِداح[٣] قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض أم خولطوا، فقد خالط القوم أمر عظيم مِن ذِكر النارِ وما فيها][٤]».

ومن غرر حكم الإمام زين العابدين عليه السلام[٥]:

١ ـ «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه»[٦].

٢ ـ «الرضى بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

٣ ـ «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

٤ ـ «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

٥ ـ «لا يقلّ عمل مع تقوىً، وكيف يقلّ ما يتقبّل».

٦ ـ قيل له: من أعظم الناس خطراً[٧]؟ فقال عليه السلام: «من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه»[٨].

---

(١) المصدر السابق: ٢٨١.

(٢) يجأرون إلى ربّهم: يتضرّعون اليه تعالى .

(٣) القِداح: مفردها قدْح وهو السهم قبل أنّ يُنصل ويُراش .

(٤) ما في القوسين في الكافي ٢: ١٣٢.

(٥) كلّ ما جاء تحت هذا العنوان نقلناه عن تحف العقول ٢٠٠ ـ ٢٠٥ .

(٦) تحف العقول: ٢٧٨.

(٧) خطراً: قدراً وشرفاً .

(٨) تحف العقول: ٢٧٨.

٧ ـ وقال بحضرته رجل: اللّهمّ، أغنني عن خلقك، فقال عليه السلام: «ليس هكذا، إنّما الناس بالناس، ولكن قل: اللّهمّ، أغنني عن شرار خلقك».

٨ ـ «اتّقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

٩ ـ «كفى بنصر الله لك أنّ ترى عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك».

١٠ ـ وقال له رجل: ما الزهد ؟ فقال عليه السلام: «الزهد عشرة أجزاء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، وإنّ الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لِكَيلاَ تَأسَوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾»[1].

١١ ـ «طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار، وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

١٢ ـ «إنّ أحبّكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدّكم خشية لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإنّ أرضاكم عند الله أسبَغكم[2] على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم لله».

١٣ ـ وقال عليه السلام لبعض بنيه: «يا بُنيّ، اُنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق»، فقال: يا أبه، مَن هم؟ قال عليه السلام: «إيّاك ومصاحبة الكذّاب، فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق، فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإيّاك ومصاحبة البخيل،

(١) سورة الحديد: ٢٣.

(٢) أسبغكم: أوسعكم.

فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق، فإنّه يريد أنّ ينفعك فيضرّك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله».

١٤ ـ وقال عليه السلام: «إنّ المعرفة وكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة مرائه، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه».

١٥ ـ وقال عليه السلام : «ابن آدم ، إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً[1]. ابن آدم، إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ، فأعدّ له جواباً».

١٦ ـ وقال عليه السلام: «لا حسب لقرشيّ ولا لعربيّ إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوىً، ولا عمل إلا بنيّة، ولا عبادة إلا بالتفقه، ألا وإنّ أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنّة إمام ولا يقتدي بأعماله».

١٧ ـ «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أنّ يدّخر له، وإمّا أنّ يعجّل له، وإمّا أنّ يدفع عنه بلاء يريد أنّ يصيبه».

١٨ ـ «إنّ المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسي وهمّه العشاء ولم يصم، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط عمله بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياءً ولا يتركه حياءً، أنّ زُكّي خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله».

---

(١) الدثار: ما يتغطّى به النائم .

١٩ ـ «كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه».

٢٠ ـ «ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يصلى بها نار جهنّم».

٢١ ـ «إنّ من أخلاق المؤمن، الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداؤه إيّاهم بالسلام».

٢٢ ـ «ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس واغتيابهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول بكائه على خطيئته».

٢٣ ـ «نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودّة والمحبّة له عبادة».

٢٤ ـ «ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله[1]، وأظلّه الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يُقَدِّم يداً ولا رجلاً حتّى يعلم أنّه في طاعة الله قدّمها أو في معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتّى يترك ذلك العيب من نفسه، وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس».

٢٥ ـ «ما من شيء أحبّ إلى الله بعد معرفته من عفّة بطن وفرج، وما [من] شيء أحبّ إلى الله من أنّ يسأل».

٢٦ ـ وقال لابنه محمّد عليه السلام: «افعل الخير إلى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله. وإن شتمك رجل عن يمينك ثمّ تحوّل إلى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره».

---

(١) في كنف الله: في حرزه ورحمته.

٢٧ ـ «مجالس الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة الأمر تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروّة، وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً أو آجلاً».

٢٨ ـ وكان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ الآية: **﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعمَةَ اللَّـهِ لا تُحصُوهَا﴾**[١] يقول: **«سبحان مَن لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه، فشكر عزّ وجلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته، وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً، كما جعل علم العالمين أنّهم لا يدركونه إيماناً، علماً منه أنّه قدّر وسع العباد فلا يجاوزون ذلك».**

٢٩ ـ «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً»[٢].

المنظومة الحقوقية الجامعة في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام:

تكفّلت رسالة الحقوق تنظيم أنواع العلاقات للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والازدهار.

«لقد نظر الإمام الحكيم عليه السلام بعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه وأُسرته ومجتمعه وحكومته ومعلّمه وكلّ من يرتبط به أدنى ارتباط»[٣].

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٤.

(٢) راجع تحف العقول: ٢٧٨ ـ ٢٨٣.

(٣) حياة الإمام زين العابدين: ٤٧٧.

ولابد أنّ نعرف أنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأوّل للنظام الاجتماعي الإسلامي، وهو الأساس المعقول للتشريعات الإسلامية عامّة، فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة، ويدرس بدقّة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض، يتسنّى له أنّ يفهم أسرار التشريع الإسلامي، وفلسفة الأحكام التي جاءت بها الشريعة الإسلامية لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً.

إنّ العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقّق ما لم يُطبّق نظام الحقوق بشكل دقيق أوّلاً، وتنظّم الأحكام والتشريعات على أساس تلك الحقوق. وفيما نعلم أنّ الإمامعليه السلام قد سبق العلماء والقانونيين جميعاً في دنيا الإسلام، بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أُصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

سند الرسالة الحقوقيةعليه السلام:

وقد كتب الإمام زين العابدينعليه السلام هذه الرسالة العظيمة وأتحف بها بعض أصحابه، ورواها العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفيّة المعروف بأبي حمزة الثمالي تلميذ الإمامعليه السلام، كما رواها عنه بسنده المحدّث الصدوق في كتابه «الخصال»[1]، وثقة الإسلام الكليني في «الكافي»، والحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني في «تحف العقول»[2]، وهي من المصادر القديمة الموثوقة.

---

(١) الخصال: ٥٦٤.

(٢) تحف العقول: ٢٥٥.

منهج الإمام في رسالة الحقوق:

والإمام عليه السلام قبل بيانه للحقوق يشير إلى أنّ هناك حقوقاً محيطةً بالإنسان، ولا بد له من معرفتها، ثمّ يبيّن أكبر الحقوق وهو ما يرتبط بالله سبحانه بالنسبة إلى عبده، ثمّ يفرّع عليها حقوق الإنسان المفروضة من الله تجاه نفس الإنسان، فيبيّن أنواع علاقة الإنسان بنفسه من خلال المنظار الآلهي، ثمّ ينتهي إلى أنواع العلاقة بين الإنسان وبيئته التي تشتمل على قادة ومقودين ورعاة ورعية، مع بيانه لأنواع الأئمّة والمأمورين ودرجاتهم، ثمّ يبيّن سائر العلاقات مع الأرحام والأُسرة وأعضائها، ثمّ من تشتمل عليه الأُسرة من الموالي والجواري، ثمّ سائر ذوي الحقوق كالمؤذّن والإمام في الصلاة، والجليس والشريك والغريم والخصم والمستشير والمشير، والمستنصح والناصح والسائل والمسؤول والصغير والكبير.. حتّى ينتهي إلى من يشترك مع الإنسان في دينه من بني الإنسان، ثمّ حقوق من يشترك مع الإنسان في الإنسانية وفي النظام السياسي الذي يخضع له، وإن لم يكن من أهل ملّته ودينه.

وفيما يلي نصّ الرسالة كما وردت في كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق رحمه الله (1):

فهرس إجمالي للحقوق الواردة في المنظومة السجّادية:

« اعلم، أنّ لله عزّ وجلّ عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت فيها، فأكبر حقوق الله تبارك وتعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقّه الذي هو أصل الحقوق، ثمّ ما أوجب الله عزّ وجلّ عليك لنفسك من

---

(1) الخصال: ٥٦٤ ـ ٥٧٠ ط. مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل عزّوجلّ للسانك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، ولبصرك عليك حقّاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك عليك حقّاً، ولهديك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً.

ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمّتك، ثمّ حقوق رعيّتك، ثمّ حقوق رحمك، فهذه حقوق تتشعّب منها حقوق، فحقوق أئمّتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ

سائسك[1] بالسلطان، ثمّ حقّ سائسك بالعلم، ثمّ حقّ سائسك بالملك، وكلّ سائس إمام.

وحقوق رعيتك ثلاثة، أوجبها عليك حقّ رعيتك بالسلطان، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعية العالم، ثمّ حقّ رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان.

وحقوق رعيّتك كثيرة متّصلة بقدر اتّصال الرحم في القرابة، وأوجبها عليك حقّ أُمّك، ثمّ حقّ أبيك، ثمّ حقّ ولدك، ثمّ حقّ أخيك، ثمّ الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثمّ حقّ مولاك المنعم عليك، ثمّ حقّ مولاك الجارية نعمته عليك[2]، ثمّ حقّ ذوي المعروف لديك، ثمّ حقّ مؤذّنك لصلاتك، ثمّ حقّ إمامك في صلاتك، ثمّ حقّ جليسك، ثمّ حقّ جارك، ثمّ حقّ صاحبك، ثمّ حقّ شريكك، ثمّ حقّ مالك، ثمّ حقّ غريمك الذي تطالبه، ثمّ حقّ غريمك

---

(١) السائس: القائم بأمر والمدبر له.

(٢) والظاهر تصحيفه، والصواب كما سيأتي في تفصيلهعليه السلام هذه الحقوق (حقّ مولاك الجارية نعمتك عليه).

الذي يطالبك، ثمّ حقّ خليطك، ثمّ حقّ خصمك المدّعي عليك، ثمّ حقّ خصمك الذي تدّعي عليه، ثمّ حقّ مستشيرك، ثمّ حقّ المشير عليك، ثمّ حقّ مستنصحك، ثمّ حقّ الناصح لك، ثمّ حقّ من هو أكبر منك، ثمّ حقّ من هو أصغر منك، ثمّ حقّ سائلُك، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل[1] عن تعمّد منه أو غير تعمّد، ثمّ حقّ أهل ملّتك عليك، ثمّ حقّ أهل ذمّتك، ثمّ الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب.

فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقه لذلك وسدّده».

العرض التفصيلي للحقوق الإلهية والإنسانية :

حقّ الله:

«فأمّا حقّ الله الأكبر عليك: فأن تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت بالإخلاص جعل لك على نفسه أنّ يكفيك أمر الدنيا والآخرة».

حقّ النفس:

«وحقّ نفسك عليك: أنّ تستعملها بطاعة الله عزّ وجلّ».

حقوق الأعضاء:

١ ـ وحقّ اللسان: إكرامه عن الخنى[2]، وتعويده على الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم.

---

(١) زاد في تحف العقول: ٢٥٦ «أومسرّة بقول أو فعل».

(٢) الخنى: الفحش في الكلام.

٢ ـ وحقّ السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه.

٣ ـ وحقّ البصر: أنّ تغضّه عمّا لا يحلّ لك وتعتبر بالنظر به.

٤ ـ وحقّ يدك: أنّ لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك.

٥ ـ وحقّ رجليك: أنّ لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ إليك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أنّ لا تزلّ بك فتردى في النار.

٦ ـ وحقّ بطنك : أنّ لا تجعله وعاء للحرام، ولا تزيد على الشبع.

٧ ـ وحقّ فرجك : أنّ تحصنه عن الزنى، وتحفظه من أنّ يُنظرَ إليه.

حقوق الأفعال:

١ ـ وحقّ الصلاة: أنّ تعلم أنّها وفادة إلى الله عزّ وجلّ وأنت فيها قائم بين يدي الله عزّ وجلّ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع المعظّم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك، وتقيمها بحدودها وحقوقها.

٢ ـ وحقّ الحجّ: أنّ تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

٣ ـ وحقّ الصوم: أنّ تعلم أنّه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك ليسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

٤ ـ وحقّ الصدقة: أنّ تعلم أنّها ذخرك عند ربّك عزّ وجلّ، ووديعتك التي لا تحتاج الإشهاد عليها، فإذا علمتَ ذلك كنتَ بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانيةً، وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

٥ ــ وحقّ الهدى[1]: أنّ تريد به وجه الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه.

حقوق الأئمّة:

١ ــ وحقّ السلطان: أنّ تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتل فيك بما جعله الله عزّ وجلّ له عليك من السلطان، وأنّ عليك أنّ لا تتعرّض لسخطه فتلقى بيدك إلى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

٢ ــ وحقّ سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

٣ ــ وأمّا حقّ سائسك بالملك : فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

حقوق الرعيّة:

١ ــ وأمّا حقّ رعيّتك بالسلطان : فأن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أنّ تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجلّ على ما آتاك من القوّة عليهم.

---

(١) ورد في بعض المصادر: وحق الهدي، راجع: الأمالي للصدوق: ٤٥٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٢٠، وسائل الشيعة (آل البيت) ١٥: ١٧٣.

٢ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم : فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق[1] بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقّاً على الله عزّ وجلّ أنّ يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك.

٣ ـ وأمّا حقّ الزوجة: فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب فإنّ لها عليك أنّ ترحمها؛ لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، فإذا جَهِلت عَفوتَ عنها.

٤ ـ وأمّا حقّ مملوكك: فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أبيك وأُمّك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً، ولكنّ الله عزّ وجلّ كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم تعذِّب خلق الله عزّ وجلّ، ولا قوّة إلا بالله.

حقوق الرحم:

١ ـ وحقّ أُمّك: أنّ تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرّة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووَقَتك بجميع جوارحها، ولم تبالِ أنّ تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووَقَتك الحرّ والبرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها إلا بعون الله تعالى وتوفيقه.

---

(١) الخُرق: بالضم والتحريك، ضدّ الرفق، وأن لا يحسن الرجل العمل.

٢ ـ وأمّا حقّ أبيك: فأن تعلم أنّه أصلك، وأنّه لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله.

٣ ـ وأمّا حقّ ولدك : فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه عزّ وجلّ، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

٤ ـ وأمّا حقّ أخيك : فأن تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظالم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلا بالله.

٥ ـ وأمّا حقّ مولاك المنعم عليك : فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذلّ الرقّ ووحشته إلى عزّ الحرية وأُنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملكك نفسك، وفرّغك لعبادة ربّك، وتعلم أنّه أولى الخلق بك في حياتك وموتك، وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك وما احتاج إليه منك، ولا قوّة إلا بالله.

٦ ـ وأمّا حقّ مولاك الذي أنعمت عليه : فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعل عتقك له وسيلةً إليه وحجاباً لك من النار، وأنّ ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنّة.

حقوق عامّة الناس والأشياء:

١ ـ وأمّا حقّ ذي المعروف عليك : فأن تشكره وتذكر معروفه وتكسبه المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرّاً وعلانيةً، ثمّ أنّ قدرت على مكافأته يوماً كافيته.

٢ ـ وأمّا حقّ المؤذِّن: أنّ تعلم أنّه مذكّر لك ربّك عزّ وجلّ، وداع لك إلى حظّك، وعونك على قضاء فرض الله عليك، فاشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك.

٣ ـ وأمّا حقّ إمامك في صلاتك : فأن تعلم أنّه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين ربّك عزّ وجلّ، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هو ل المقام بين يدي الله عزّ وجلّ، فإن كان به نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه وصلاتك بصلاته، فتشكّر له على قدر ذلك.

٤ ـ وأمّا حقّ جليسك : فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجازاة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تُسمعه إلا خيراً.

٥ ـ وأمّا حقّ جارك: فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتّبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلّمه عن شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرةً كريمةً، ولا قوّة إلا بالله.

٦ ـ وأمّا حقّ الصاحب : فأن تصحبه بالتفضّل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، وكن عليه رحمةً، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوّة إلا بالله.

٧ ـ وأمّا حقّ الشريك : فإن غاب كفيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل رأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولا تخنهُ فيما عزّ أو هان من أمره، فإنّ يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوّة إلا بالله.

٨ ـ وأمّا حقّ مالك : فأن لا تأخذه إلا من حلّه، ولا تنفقه إلا في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع السعة، ولا قوّة إلا بالله.

٩ ـ وأمّا حقّ غريمك الذي يطالبك: فإن كنت موسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك ردّاً لطيفاً.

١٠ ـ وحقّ الخليط: أنّ لا تغرّه ولا تغشّه ولا تخدعه، وتتّقي الله تبارك وتعالى في أمره.

١١ ـ وحقّ الخصم المدّعي عليك : فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً كنتَ شاهده على نفسك ولم تظلمه، وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره، ولا قوّة إلا بالله.

١٢ ـ وحقّ خصمك الذي تدّعي عليه : أنّ كنت محقّاً في دعوتك أجملت مقاولته ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعوتك اتّقيت الله عزّ وجلّ وتبت إليه وتركت الدعوى.

١٣ ـ وحقّ المستشير: أنّ علمت أنّ له رأياً أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته إلى من يعلم.

١٤ ـ وحقّ المشير عليك: أنّ لا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه، فإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ.

١٥ ـ وحقّ المستنصح: أنّ تؤدّي إليه النصيحة وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به.

١٦ ـ وحقّ الناصح: أنّ تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى الصواب حمدت الله عزّ وجلّ، وإن لم يوافق رحمته ولم تتّهمه، وعلمت أنّه

أخطأ، ولم تؤاخذه بذلك إلا أنّ يكون مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال، ولا قوّة إلا بالله.

١٧ ـ وحقّ الكبير: توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق ولا تتقدّمه، ولا تستجهله، وإن جهل عليك احتملته وأكرمته لحقّ الإسلام وحرمته.

١٨ ـ وحقّ الصغير: رحمته في تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له.

١٩ ـ وحقّ السائل : إعطاؤه على قدر حاجته.

٢٠ ـ وحقّ المسؤول : أنّ أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

٢١ ـ وحقّ من سرّك لله تعالى ذكره : أنّ تحمد الله عزّ وجلّ أوّلاً ثمّ تشكره.

٢٢ ـ وحقّ من أساءك: أنّ تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمه فَأُولئكَ مَا عَلَيهم من سَبيل﴾[1].

٢٣ ـ وحقّ أهل ملّتك : إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم، وتألّفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكفّ الأذى عنهم، وتحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبّانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أُمّك، والصغار بمنزلة أولادك.

٢٤ ـ وحقّ أهل الذمّة: أنّ تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ، ولا تظلمهم ما وَفوا لله عزّوجلّ بعهده».

---

(١) سورة الشورى : ٤١.

وقد تصدّى جملة من العلماء[1] والقانونيّين لشرح هذه الرسالة الفريدة وبشتّى اللغات وعلى مختلف المستويات، وإن شئت التفصيل والاستضاءة بأنوارها أكثر ممّا مرّ فراجعها .

في رحاب زبور آل محمد صلى الله عليه وآله «الصّحيفة السجّادية»:

لقد خطّط القرآن الكريم لثورة ثقافية عظيمة، وكانت آياته الأُولى تبشّر بحركة كبرى في عالم العلم والمعرفة، حيث ابتدأ الوحي الربّاني بالأمر بالقراءة أمراً مؤكداً والإشارة بنعمة التعليم الإلهي، والاهتمام بظاهرتي القلم والكتابة في التعليم وتدوين المعرفة ونقلها وتطويرها، وتطوير الإنسان من خلال تكامل المعرفة وتطوّر العلوم.

والرسول الأمين وإن عرف عنه بأنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة المتعارفة ولكنّه حثّ على طلب العلم ونشره وتدوينه بإلهام إلهي، وبالرغم من أنّ الجهاز الحاكم الذي خلف الرسول صلى الله عليه وآله أصدر قراراً بمنع تدوين حديث الرسول صلى الله عليه وآله، وبذلك وجّه ضَربةً كبيرةً للثقافة الإسلامية المتمثّلة في أحاديث الرسول الأعظم، لكنّها قد تدوركت ـ بعد أنّ خلّفت مضاعفات كبيرةً لا زال العالم الإسلامي والإنساني يدفع ضريبتها حتّى يومنا هذا ـ بعد أنّ لمسوا تلك المضاعفات الكبرى التي ترتّبت على مثل هذا القرار.

وأمّا الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا قد أدركوا في وقت مبكّر مضاعفات منع التدوين، والنكسة التي سوف يصاب بها العالم الإسلامي، بل

---

(١) منهم العلامة السيّد حسن القبانچي، فقد شرحها في جزئين كبيرين باسم : شرح رسالة الحقوق.

الإنساني، فبادروا إلى التدوين وشجّعوا أصحابهم على عملية التدوين بالرغم من أنّه كان ذلك يشكّل تحدّياً للسلطات آنذاك؛ لأنّ حفظ الشريعة والدفاع عنها يعدّ من أعظم الأهداف التي جُعل الأئمّة المعصومون حُرّاساً لها أمناء عليها.

فالأئمّة الأطهار عليهم السلام هم الروّاد الأوائل الذين خطّطوا لمسيرة الأمّة الثقافية، وفجّروا لها ينابيع العلم والحكمة على هدي الكتاب الحكيم وتعاليم الرسول العظيم، ولم يقتصر النشاط الثقافي للأئمّة عليهم السلام على جانب خاص، وإنّما تناول أنواع العلوم وشتى مجالات المعرفة .

فالإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو رائد هذه النهضة العلمية، والفاتح لأبواب العلوم العقلية والنقلية، والمؤسّس لأُصولها وقواعدها، وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء الكبار وألّف السيّد حسن الصدر كتابه «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» فأثبت فيه تأريخياً صحّة هذه الدعوى .

وممّن اعترف بذلك الأُستاذ الأديب عباس محمود العقّاد في كتابه «عبقرية الإمام علي» قائلاً : «أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علماً ، فوضع قواعدها وأُسس أُصولها».

وقال العلامة ابن شهر آشوب في كتابه «معالم العلماء»: «الصحيح أنّ أوّل من صنّف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ سلمان ثمّ أبوذر ثمّ الأصبغ بن نباتة ثمّ عبيد الله بن أبي رافع ، ثمّ صنّفت الصحيفة الكاملة»[١].

فالصحيفة السجّادية من ذخائر التراث الإسلامي ومن مناجم كتب البلاغة والتربية والأخلاق والأدب في الإسلام، ومن هنا سمّيت بـ«إنجيل أهل البيت» و«زبور آل محمد»[٢].

---

(١) الذريعة ١٥: ١٨ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين : ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

مميّزات الصحيفة السجّادية:

١ ـ إنّها تمثّل التجرّد التام من عالم المادّة والانقطاع الكامل إلى الله تعالى والاعتصام به، والذي هو أثمن ما في الحياة.

٢ ـ إنّها تكشف عن كمال معرفة الإمامعليه السلام بالله تعالى وعميق إيمانه به.

٣ ـ امتازت الصحيفة السجّادية على سائر أدعية المعصومينعليهم السلام بتكرار الصلاة على محمّد وآل محمّد لأنّه من الأرجح أنّ هذه الأدعية أُنشئت في أعقاب واقعة كربلاء، التي كان منشئها يزيد، الذي كان هو وأبوه وجدّه ومن ورائهم بنو أُمية يسعون في إطفاء النور المحمّديصلى الله عليه وآله.

والأرجح أنّ الإمام كان يريد من خلال هذه الأدعية تكريس مبادئ الإسلام وترسيخها في النفوس في مواجهة المساعي الأُموية الهدّامة.

٤ـ فتحت الصحيفة للإنسان المسلم أبواب الأمل والرجاء برحمة الله الواسعة.

٥ ـ كما فتحت للمناظرات البديعة مع الله تعالى باباً مهمّاً يتضمّن أنواع الحجج البالغة لاستجلاب عفو الله وغفرانه، مثل قولهعليه السلام: «**إلهي، أنّ كنتَ لا تغفر إلا لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون؟! وإن كنتَ لا تُكرِم إلا أهل الوفاء لك فبمن يستغيث المُسيئون ؟ !**»[1]، وهكذا قولهعليه السلام: «**فارحمني اللهمّ، فإنّي امرؤ حقير وخطري[2] يسير، وليس عذابي ممّا يزيد في ملكك مثقال ذرّة ...**»[3].

٦ ـ تضمّنت الصحيفة برامج أخلاقية روحية وسلوكية مهمّة لتربية الإنسان، ورسمت له أُصول الفضائل النفسية والكمالات المعنويّة.

---

(١) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٢٣٢.

(٢) خطري: قدري ومنزلتي.

(٣) الصحيفة السجّادية (أبطحي): ٣٧٦.

٧ ـ احتوت على حقائق علمية لم تكن معروفةً في عصره، وقد أشرنا إلى بعض منها[١].

٨ ـ كما تصدّت الصحيفة لمواجهة الفساد الفردي والاجتماعي والسياسي في عصر أشاعت فيه السياسة الأُموية الفساد الأخلاقي والخلاعة والمجون بين المسلمين، فكانت الصحيفة خير وسيلة للإصلاح في أحلك الظروف التي اتّبع فيها الأُمويّون سياسة القمع والإرهاب.

٩ ـ والصحيفة بعد هذا هي منجم من مناجم البلاغة والفصاحة وينبوع ثرّ للأدب الإسلامي الهادف، فهي لا تفترق عن «نهج البلاغة» في هذا المضمار.

١٠ ـ وقد ضمّن الإمام زين العابدين عليه السلام أدعيته ـ والتي تمثّلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه وجُمعت مؤخّراً في ما سمّي بـ «الصحيفة الجامعة » ـ منهاجاً كاملاً للحياة الإنسانية الفريدة ، ولم يترك الإمام جانباً ممّا تحتاجه الأمّة الإسلامية إلا وتعرّض له، وعالجه بأُسلوبه الفذّ وبلاغته البديعة.

الدور التاريخي للصحيفة السجّادية:

قلنا: أنّ المسلمين في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام واجهوا خطرين كبيرين خارج النطاق السياسي والعسكري، وكان لا بدّ من البدء بعمل حاسم للوقوف في وجههما :

---

(١) راجع فصل: من علوم الإمام عليه السلام، حقائق علميّة في الأدعية السجّادية.

أحدهما: الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجاً، وكان لا بدّ من عمل على الصعيد العلمي يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميّزة المستمدّة من الكتاب والسنّة، وكان لا بدّ من حركة فكرية اجتهادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الإطار؛ لكي يستطيعوا أنّ يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير والممارس الذكيّ، الذي يستطيع أنّ يستنبط منها ما يفيده في كلّ ما يستجدّ له من حالات.

كان لا بد إذاً من تأصيل للشخصية الإسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد، وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله.

وأمّا **الخطر الآخر**: «فقد نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب ذلك الامتداد الهائل؛ لأنّ موجات الرخاء تعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق مع ملذّات الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة، وهذا ما وقع فعلاً، وتكفي نظرة واحدة في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الإصبهاني ليتّضح الحال.

وقد أحسّ الإمام علي بن الحسين بهذا الخطر، وبدأ بعلاجه، واتّخذ من الدعاء أساساً لهذا العلاج، وكانت الصحيفة السجّادية من نتائج ذلك، فقد استطاع هذا الإمام العظيم بما أُوتي من بلاغة فريدة وقدرة فائقة على أساليب

التعبيرالعربي، وذهنية ربّانية تتفتّق عن أروع المعاني وأدقّها في تصوير صلة الإنسان بربّه، ووجده بخالقه وتعلّقه بمبدئه ومعاده، وتجسيد ما يعبّر عنه ذلك من قيم خلقية وحقوق وواجبات.

أقول: قد استطاع الإمام علي بن الحسين بما أُوتي من هذه المواهب أنّ ينشر من خلال الدعاء جوّاً روحياً في المجتمع الإسلامي، يساهم في تثبيت الإنسان المسلم عندما تعصف به المغريات، وشدّه إلى ربّه حينما تجرّه الأرض إليها وتأكيد ما نشأ عليه من قيم روحية، لكي يظلّ أميناً عليها في عصر الغنى والثروة كما كان أميناً عليها وهو يشدّ حجر المجاعة على بطنه.

وهكذا نعرف أنّ الصحيفة السجّادية تعبّر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام، إضافةً إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهو ر مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد حاجةً كلّما ازداد الشيطان إغراءً والدنيا فتنة »[(١)].

سند الصحيفة السجّادية:

ينتهي سند الصحيفة إلى الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام وإلى أخيه الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، وقد ذكرت سلسلة السند في مقدّمة الصحيفة، وحظي هذا السند بالتواتر، وما زال العلماء يتلقّونها موصولة الإسناد بالإسناد.

---

(١) نقلاً عن مقدّمة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر على الصحيفة السجّادية الكاملة .

قال السيّد محسن الأمين العاملي: « وبلاغة ألفاظها ـ أي الصحيفة ـ وفصاحتها التي لا تبارى، وعلو مضامينها وما فيها من أنواع التذلّل لله تعالى والثناء عليه والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهد على صحّة نسبتها، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهارها شهرةً لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة إلى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة إلى زين العابدين عليه السلام، وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد ثمّ انتقلت إلى أولاده، وإلى أولاد عبدالله بن الحسن المثنّى، كما هو مذكور في أوّلها، مضافاً إلى ما كان عند الباقر عليه السلام من نسختها، وقد اعتنى بها عامّة الناس فضلاً عن العلماء اعتناءً بروايتها وضبط ألفاظها ونسخها، وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل والنهار والعشي والإبكار»[1].

شروح الصحيفة السجّادية :

عكف العلماء على دراسة الصحيفة السجّادية وشرحها وإيضاح مقاصدها، وقد أُلّفت في ذلك مجموعة من الكتب القيّمة ذكرها شيخ المحقّقين الشيخ آغا بزرك الطهراني في موسوعته المعروفة بـ« الذريعة إلى تصانيف الشيعة ». وقد أحصى ستّة وستين شرحاً لها.

---

(١) حياة الإمام زين العابدين : ٣٧٥ ، وراجع شجرة طرق أسانيد الصحيفة السجّادية المطبوعة في مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف السيّد الأبطحي .

وصف الصحيفة بـ «الكاملة» :

١ ـ ذكروا أنّ سبب تسمية هذه الصحيفة بـ «الكاملة» هو أنّ لدى الزيدية نسخة ناقصة من هذه الصحيفة تصل إلى نصفها، ولذلك عرفت هذه الصحيفة بالكاملة[1].

٢ ـ وذهب البعض إلى أنّ السبب في إطلاق هذه الصفة على الصحيفة هو كونها تمثّل مجموعة كاملة تنتظم حاجات العبد من الله تعالى في أغلب الموارد وحول أغلب المتطلّبات[2].

الصحيفة السجّادية الجامعة :

قال جامعها: «ويستفاد من ديباجة نسخ الصحيفة السجّادية المتداولة أنّ عدد أدعيتها «٧٥» دعاءً، إلا أنّ عدد الأدعية الموجودة فيها الآن برواية محمّد بن أحمد المطهّري هي «٥٤» دعاءً. وقد اُلّفت صحائف اُخرى جمعت أدعيته عليه السلام وذكر في بعضها تلك الأدعية الساقطة . ثمّ ذكر خمس صحائف اُخرى ، ومن هنا بادرت مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام إلى جمع أدعيته وتنظيمها بالشكل الذي حافظ على سلامة ترتيب الأدعية الموجودة في الصحيفة الكاملة المتداولة».

قال: «ولمّا كانت الصحيفة الكاملة تعدّ من المتواترات لاختصاصها بالإجازة والرواية في كلّ طبقة وعصر، لذلك جُمعت بعض أسانيدها وإجازاتها المتكثّرة، ورُتّبت شجرة للأسانيد على غرار شجرة الأنساب مع ترجمة أكثر رواة السند المتداول للصحيفة الكاملة، وعمل لها مجموعة من الفهارس الفنيّة اللازمة فازدانت بها جمالاً وكمالاً. وللتحقّق ممّا قلناه من أنّها « مجموعة كاملة تنتظم

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام : ١٩٠ .

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام السيّد جعفر شهيدي : ١٩١ .

حاجات العبد من الله تعالى» يجدر بنا أنّ نلقي نظرة سريعة إلى الخطوط العريضة على الفهرس الموضوعي لهذه الصحيفة الجامعة»[١].

الموضوعات العامّة للصحيفة الجامعة:

١ ـ أدعيته عليه السلام في التحميد والتوحيد والتمجيد ، وفيها (٨) أدعية .

٢ ـ أدعيته في الصلوات ، وهي (١٤) دعاءً .

٣ ـ دعاؤه لنفسه وخاصّته .

٤ ـ أدعيته في الصباح والمساء ، وفيها (٨) أدعية .

٥ ـ أدعيته في المهمّات والكربات والاستعاذة ، وفيها (٦) أدعية .

٦ ـ أدعيته في الاعتراف والاستغفار ، وفيها (٩) أدعية .

٧ ـ أدعيته في طلب الحوائج وقضائها ، وفيها (٥) أدعية .

٨ ـ أدعيته إذا اعتُدي عليه ، وفيها دعاءان .

٩ ـ أدعيته في الأمراض والبلايا ، وفيها (٣) أدعية .

١٠ ـ دعاؤه في الاستقالة .

١١ ـ دعاؤه في الاستعاذة من الشيطان .

١٢ ـ أدعيته في الحذر ، وفيها دعاءان .

١٣ ـ أدعيته في الاستسقاء ، وفيها دعاءان .

١٤ ـ أدعيته في مكارم الأخلاق ، وفيها دعاءان .

١٥ ـ أدعيته في الحزن والشدّة ، وفيها (٤) أدعية .

---

(١) راجع مقدّمة الصحيفة السجّادية الجامعة.

١٦ ـ أدعيته في العافية ، وفيها دعاءان .

١٧ ـ أدعيته فيمن دعا لهم، وهم : الأبوان والولد والجيران والأولياء وأهل الثغور وجملة من الأشخاص .

١٨ ـ أدعيته فيمن دعا عليهم.

١٩ ـ أدعيته في الفزع إلى الله ، وفيها دعاءان .

٢٠ ـ أدعيته في الرزق وقضاء الدين ، وفيها (٤) أدعية .

٢١ ـ أدعيته في التوبة ، وفيها دعاءان .

٢٢ ـ أدعيته في التهجّد ، وفيها (١٥) دعاءً .

٢٣ ـ أدعيته في الاستخارة ، وفيها (٣) أدعية .

٢٤ ـ دعاؤه في الابتلاء .

٢٥ ـ دعاؤه في الرضا .

٢٦ ـ دعاؤه عند النظر إلى آيات الله .

٢٧ ـ دعاؤه عند رؤية الهلال .

٢٨ ـ أدعيته في الشكر ، وفيها دعاءان .

٢٩ ـ أدعيته في الاعتذار من التبعات ، وفيها دعاءان .

٣٠ ـ أدعيته في طلب الرحمة وذكر الموت ، وفيها (٧) أدعية .

٣١ ـ دعاؤه في طلب الستر والوقاية .

٣٢ ـ دعاؤه عند ختم القرآن .

٣٣ ـ أدعيته في الأشهر الثلاثة ، وفيها (٣٤) دعاءً .

٣٤ ـ أدعيته في الأيام المباركة ، وفيها (٨) أدعية .

٣٥ ـ دعاؤه في الملتزم .

٣٦ ـ أدعيته لدفع الأعداء ، وفيها (١٠) أدعية .

٣٧ ـ أدعيته في الاحتجاب والرهبة ، وفيها دعاءان .

٣٨ ـ أدعيته في التضرّع والتذلّل ، وفيها (٨) أدعية .

٣٩ ـ أدعيته لكشف الهموم ودفع المصائب والاحتراز، وفيها(١١) دعاءً.

٤٠ ـ أدعيته في المناجاة ، وفيها (٣٩) دعاءً .

٤١ ـ أدعيته في الاستجابة والقنوت ، وفيها (٣) أدعية .

٤٢ ـ أدعيته في السجود ، وفيها (١٠) أدعية .

٤٣ ـ أدعيته في الأيّام ، وفيها (٣٦) دعاءً .

٤٤ ـ أدعيته في الزيارات ، وفيها دعاءان .

٤٥ ـ أدعيته في مطالب الدنيا والآخرة ، وفيها (٣) أدعية .

٤٦ ـ أدعيته عند الطعام ، وفيها (٣) أدعية .

٤٧ ـ أدعيته في صدر الموعظة وآخرها ، وفيها دعاءان .

٤٨ ـ أدعيته إذا خرج من منزله أو آوى إلى فراشه أو طلى بالنورة.

٤٩ ـ دعاؤه عند محاكمته محمّد بن الحنفيّة إلى الحجر الأسود .

٥٠ ـ دعاؤه الذي فيه الاسم الأعظم .

المدرسة العلمية للإمام زين العابدين عليه السلام:

متطلّبات المرحلة السجّادية:

إنّ حالة الجمود الفكريّ والركود العلميّ التي أصابت الأمّة الإسلامية بسبب سيطرة بني أميّة على الحكم، كانت تستدعي حركة فكرية اجتهادية تفتح

الآفاق الذهنية للمسلمين، كي يستطيعوا أنّ يحملوا مشعل الكتاب والسنّة بروح المجتهد البصير، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام، فانبرى إلى تأسيس مدرسة علمية وإيجاد حركة فكرية بما بدأه من حلقات البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وبما كان يثيره في خطبه في صلوات الجُمَع أُسبوعيّاً.

التنوّع العلمي في مدرسة الإمام عليه السلام :

أخذ الإمام عليه السلام يحدّث بصنوف المعرفة الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وعقائد وأخلاق، ويفيض على الناس من علوم آبائه الطاهرين، ويمرّن النابهين منهم على التفقّه والاستنباط.

وقد تخرّج من هذه الحلقة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية[١].

منهج الإمام عليه السلام:

ونلمس من خلال ما ورد عن الإمام عليه السلام من أحاديث ترتبط بالعلم والعلماء أنّه قد خطّط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً ، فهو بالإضافة إلى تفرّغه للتعليم ـ وذلك بالرغم من جميع همومه وآلامه التي تركتها له واقعة الطفّ الأليمة وما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي ـ نجده يشيد بفضل العلم ويحثّ المستعدّين للتعلّم حثّاً أكيداً قولاً وعملاً، وتكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلّمين آداب التعلّم، ويبيّن حقوق المعلّم والمتعلّم، ويرغّبهما في تحمّل هذا

---

(١) راجع مقدمة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر للصحيفة السجّادية .

العبء ببيان ثواب التعلّم والتعليم، بحيث استطاع أنّ يجمع عدداً كبيراً من طلاّب المعرفة الذين عُرفوا بالقرّاء باعتبار أنّ قراءة القرآن وحفظه وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعلّم والتعليم حينذاك، ولم يكن للحديث أو السيرة أو الفقه تدوين وتأليف باعتبار الحظر الذي أوجدته السلطة بعد غياب الرسول صلى الله عليه وآله، فلم يكن الخط العام في صالح هذه الحركة الفكرية .

الآثار والأبعاد الاجتماعية لمدرسة الإمام عليه السلام :

ومع كلّ هذا نلاحظ احتفاء القرّاء والفقهاء والعلماء بالإمام بنحو لا نجد له نظيراً في غيره من العصور ، فإنّ القرّاء كانوا لا يفارقونه في حضر أو سفر حتّى قال سعيد بن المسيّب: «أنّ القرّاء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين، فخرج وخرجنا معه ألف راكب»[١].

أصول المنهج العلمي للإمام عليه السلام :

١ ـ قال عليه السلام مشيداً بفضل العلم وثوابه وأهمّيته: «**لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، أنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال : أنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وإنّ أحبّ عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء** »[٢].

(١) من مقدّمة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر للصحيفة السجّادية.
(٢) أصول الكافي: ١ / ٣٥.

٢ ـ وقال «**إنّ طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبّحت له الأرضون السبع**»[١].

٣ ـ وكان عليه السلام يكرم طلاّب العلوم ويرفع منزلتهم ويرحّب بهم قائلاً: «**مرحباً بوصيّة رسول الله** صلى الله عليه وآله»[٢]. وكان إذا نظر إلى الشباب وهم يطلبون العلم أدناهم إليه وقال: «**مرحباً بكم أنتم ودائع العلم، ويوشك إذ أنتم صغار قوم أنّ تكونوا كبار آخرين**»[٣].

٤ ـ وقد لاحظنا ما جاء في رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه على المتعلّمين من التعظيم له، والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه، والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه، والدفاع عنه وستر عيوبه وإظهار مناقبه، وعدم مجالسة أعدائه وعدم معاداة أوليائه.

٥ ـ كما نلاحظ تأكيده على عدم كتمان العلم وعدم التجبّر بالنسبة إلى المتعلّمين، وحسن الإتقان في فنّ التعليم، وعدم ابتغاء الأجر المادّي على التعاليم.

كلّ هذا يشير إلى تخطيط واضح في سلوك الإمام عليه السلام لإيجاد حركة ثقافية واسعة وتأسيس تيّار ثقافي يتسنّى له أنّ يقف أمام التيّارات المنحرفة والتخطيط الأموي الذي لم يرقَ له تفتّح الوعي الإسلامي عند أبناء المسلمين.

---

(١) حياة الإمام زين العابدين: ٢٣، الخصال: ٥١٨، وفيه: «إلا سبحت له الأرضين السابعة».

(٢) الخصال: ٥١٨ .

(٣) الدرّ النظيم : ٥٨٧ .

المتخرّجون من مدرسة الإمام عليه السلام:

قد خرّجت مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام كوكبةً من العلماء الفقهاء والمفسّرين الذين سطعت أسماؤهم في العالم الإسلامي، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلميّ في ذلك العصر الرهيب وما تلاه من عصور.

ونشير فيما يلي إلى الأسماء اللاّمعة في هذا الصدد:

١ ـ ٣ ـ في مقدمتهم الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام وأخواه: زيد والحسين ابنا علي بن الحسين بن علي عليهم السلام.

٤ ـ أبان بن تغلب بن رباح، أبوسعيد البكري الجريري: كوفيّ المولد والنشأة، وكان نابهاً ومقدّماً في كلّ فنّ، من قرآن وحديث وأدب ولغة ونحو، وتتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وكان يقول له الإمام الباقر عليه السلام: «**اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس، فإنّي أُحبّ أنّ يُرى في شيعتي مثلك**»، وألّف أبان في تفسير غريب القَرآن وفي فضائل أهل البيت، كما روى ما يناهز ثلاثين ألف حديث عن أئمّته عليهم السلام[1].

٥ ـ إسماعيل بن عبد الخالق: وجه من وجوه أصحاب الأئمّة وفقيه من فقهائهم، أدرك الإمام الصادق عليه السلام وروى عنه وعن الإمام الباقر والسجّاد أيضاً[2].

٦ ـ ثابت بن أبي صفيّة ـ وهو أبوحمزة الثمالي ـ: عالم جليل ورع تقيّ، تربّى بآداب أهل البيت وحمل علومهم ومعارفهم، وأجمع المترجمون على وثاقته وأنّه كسلمان الفارسي في زمانه، وكانت الشيعة ترجع إليه في الكوفة؛ لإحاطته بفقه أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) راجع ترجمته بالتفصيل في حياة الإمام زين العابدين : ٥٢٢ ـ ٥٢٧، شرح أُصول الكافي ١١: ٨٤.
(٢) المصدر السابق : ٥٢٩.

٧ ـ رشيد الهجري: من أبطال الإسلام وأعلام الجهاد، وقد صلبه الأُمويّون من أجل عقيدته وولائه لأهل البيت عليهم السلام.

٨ ـ زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان يتولّى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان جليل القدر كريم الطبع زكيّ النفس كثير البرّ.

٩ ـ سعيد بن جبير ، أبومحمد مولى بني والبة: كوفي تابعي نزل مكّة، وهو من أعلام المجاهدين، وكان من أبرز علماء عصره في التفسير والفقه وأنواع العلوم، واستشهد بأمر الحجّاج في شعبان سنة (٩٥ هـ).

١٠ ـ سعيد بن المسيّب المخزومي: من كبار التابعين، وقال فيه الإمام زين العابدين عليه السلام: أنّه أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار وأفصحهم في زمانه، وكان يبجّل الإمام كثيراً[1].

إنّ هؤلاء بعض تلامذته والرواة عنه، على أنّ الإمام عليه السلام كان يربّي الموالي بشكل ليس له نظير، وكلّ من أعتقه الإمام يمكن أنّ يعدّ ممّن تربّى على يده، فلا ينحصر تراث الإمام فيما كتب وما روي عنه فقط ، بل يمكن أنّ يتّسع لكلّ عمل تربوي صدر عنه، وبقيت آثاره في المجتمع الإسلامي، ولو كان متجسّداً في سلوك هؤلاء الموالي وأفكارهم واتّجاهاتهم .



(١) راجع تفصيل البحث عن رواة حديث الإمام وتلامذته (حياة الإمام زين العابدين : ٥١٧ ـ ٥٨٧).

منهج الإمام السجّاد عليه السلام مع مخالفيه

الوثيقة الروحية لوحدة المسلمين

❑ الشيخ حسين الراضي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «**احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك**».

هكذا أعلنها الإمام زين العابدين عليه السلام مدوية على رؤوس الأشهاد في توحيد المجتمع .

إنّ إمامة أهل البيت عليهم السلام عامّة كنبوّة جدّهم عامّة فقد تصدوا لتحمل أعباء المسؤولية خير تحمل، وفي مقدمة ذلك وحدة المسلمين، فقد أولوها أعظم اهتمام وقدموا النصح والوعظ والإرشاد والتوجيه لعموم المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم من يواليهم ويعترف بإمامتهم ومن يجانبهم ولا يعترف بإمامتهم ولا بفضائلهم.

ومن أئمّة أهل البيت الذين تحملوا أعباء مسؤولية الأمّة هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وبحنكته السياسية تمكن أنّ يربي الأمّة الإسلامية التربية اللائقة بها، وتعامل مع مختلف شرائح الأمّة وأصبح محبوباً لدى أكثريتها بل حتّى أعدائه لا يتظاهرون بمعاداته.

يقول الشيخ القرشي :

«واتّفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام، وأجمعوا على الاعتراف له بالفضل ، وأنّه نسخة فريدة في هذه الدنيا لا يُدانيه أحد في فضائله وعلو تقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له أنّهم كانوا يتبركّون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم»[(١)].

بين الزهري والطائفي:

وممّن أحبّ الإمام وأخلص له الود محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري، ولد سنة ٥٢ هـ وتوفّى سنة ١٢٤ هـ ، وكان من علماء العامّة، وقد وثّقوه وأثنوا عليه ثناءً كثيراً[(٢)].

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ج ١ ص ١٢٥ عن العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥١.

(٢) ترجمه المزي في كتابه تهذيب الكمال ج ٢٦ ص ٤١٩ ترجمة مفصلة ونقل توثيقه ومدحه والثناء عليه عن كثير من علماء الجرح والتعديل مثل ابن سعد والعجلي والنسائي وغيرهم وذكره من الخاصة الشيخ الطوسي في رجال الصادق عليه السلام:٣١٦ بقوله: محمّد بن مسلم الزهري المدني : التابعي ، وهو محمّد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن شهاب بن زهرة بن كلاب ، ولد سنة اثنتين وخمسين ، ومات سنة أربع وعشرين ومائة ، وله اثنتان وسبعون سنة ، وقيل سبعون سنة. روى الزهري ، عن علي بن الحسين عليهما السلام، واسمه محمّد بن مسلم بن شهاب ، ذكره الصدوق في المشيخة في طريقه إلى الزهري. انظر معجم رجال الحديث ج ١٨ ص ٢٧١ محمّد بن شهاب الزهري : محمّد بن مسلم بن شهاب. عدّه من أصحاب السجّاد عليه السلام ، رجال الشيخ : ٥.
وعدّ البرقي محمّد بن شهاب ، من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام.
أقول : هو محمّد بن مسلم الزهري الآتي ، فإنّ شهاب جد محمّد بن مسلم ، كما صرح به الصدوق قدس سره في طريقه إلى الزهري ، حيث قال : وما كان فيه عن الزهري : فقد رويته عن أبي (رضي الله عنه) ، عن سعد بن عبد الله ، عن القاسم بن محمّد الاصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، واسمه محمّد بن مسلم بن شهاب ، عن علي بن الحسين عليه السلام.

⇐

ويوجد شخص آخر من علماء الخاصة يقال له محمّد بن مسلم الثقفي الطائفي المتوفّى سنة ١٥٠ هـ ، وهو من أوثق الرواة[1].

والحديث مع الأوّل الذي قال فيه الشيخ الطوسي في رجاله أنّه عدو.

⇐

أقول : الزهري وإن كان من علماء العامّة ، إلا أنّه يظهر من هذه الرواية وغيرها ، أنّه كان يحب علي ابن الحسين عليه السلام ويعظمه.

وقال الشيخ عباس القمي في الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٧٠ (الزهري بضم الزاى وسكون الهاء أبوبكر محمّد بن مسلم بن عبيدالله بن عبد الله بن الحرث بن شهاب بن زهرة بن كلاب الفقيه المدني التابعي المعروف، وقد ذكره علماء الجمهو ر وأثنوا عليه ثناءً بليغاً.

قيل : إنّه قد حفظ علم العلماء السبعة ، ولقى عشرة من الصحابة ، وروى عنه جماعة من أئمّة علم الحديث ، وأمّا علمائنا فقد اختلفت كلماتهم في مدحه وقدحه، وقد ذكرنا ما يتعلّق به في سفينة البحار.

(١) محمّد بن مسلم بن رياح: قال النجاشي : «محمّد بن مسلم بن رياح ، أبوجعفر الاوقص الطحان ، مولى ثقيف الأعور : وجه أصحابنا بالكوفة ، فقيه ، ورع ، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، وروى عنهما ، وكان من أوثق الناس ، له كتاب يسمّى الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام . ومات محمّد بن مسلم سنة خمسين ومائة».

وعدّه الشيخ في رجاله (تارة) : من أصحاب الباقر عليه السلام (١) ، قائلاً :«محمّد بن مسلم الثقفي الطحان ، طائفي وكان أعور».

و(أخرى): في أصحاب الصادق عليه السلام (٣١٧) ، قائلاً : «محمّد بن مسلم بن رباح (رياح) الثقفي ، أبوجعفر الطحان الأعور ، أسند عنه ، قصير حداج ، وروى عنهما ، وأروى الناس ، منه العلاء بن رزين القلاء . مات سنة خمسين ومائة وله نحومن سبعين سنة».

و(ثالثة) : من أصحاب الكاظم عليه السلام (١) ، قائلاً : «محمّد بن مسلم الطحان ، لقي أبا عبد الله عليه السلام».

وعده البرقي (تارة) : من أصحاب الباقر عليه السلام ، قائلاً : «محمّد بن مسلم الثقفي طائفي» . و(أخرى): من أصحاب الصادق عليه السلام ، قائلاً : «أبومحمّد محمّد بن مسلم بن رياح ، ثمّ الثقفي الطائفي ، ثمّ انتقل إلى الكوفة ، عربي ، والعامة تروي عنه وكان منا ، وأنس الراوي يروي عنه».

وعده الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء ، والأعلام الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام الذين لا يطعن عليهم ، ولا طريق إلى ذم واحد منهم ... الخ.

ولكن السيّد الأُستاذ السيّد الخوئى قال : إنّ الزهري من علماء العامّة، ولكنّه كان يحب الإمام زين العابدين عليه السلام .

نصّ وثيقة الوحدة

الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا رأى الأمّة الإسلامية متفكّكة وضعفت وهزلت حتّى بدا كلاها خصوصاً بعد أنّ أقدمت على قتل ابن بنت نبيّها سيّد الشهداء الحسين بن على عليه السلام قام بواجبه الشرعى من توحيد الأمّة ورص صفوفها، فأطلق وثيقته العظيمة لعلاج أمراضها المادّية والمعنوية.

فعن الإمام محمّد بن على الباقر عليه السلام قال : «**دخل محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري على على بن الحسين** عليه السلام ـ وهو كئيب حزين ـ **فقال له زين العابدين** عليه السلام **: ما بالك [مهموماً[1]] مغموماً ؟**

قال : يا بن رسول الله غموم وهموم تتوالى علىّ لما امتحنت به من جهة حساد نعمتى[2]، والطامعين فى، وممّن أرجوه ، وممن أحسنت إليه ، فيخلف ظنّى.

فقال له على بن الحسينعليهما السلام**: احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك .**

قال الزهري : يا بن رسول الله ! إنّى أحسن إليهم بما يبدر من كلامى.

قال على بن الحسينعليهما السلام**: هيهات هيهات! إيّاك أنّ تعجب من نفسك بذلك، وإيّاك أنّ تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره . وإن كان عندك اعتذاره؛ فليس كلّ من تسمعه نكراً[3] يمكنك أنّ توسعه عذراً .**

---

(١) تفسير العسكري.

(٢) في نسخة ط والبحار : نعمي.

(٣) في طبعة والبحار : تسمعه شراً.

ثم قال : يا زهري ! من لم يكن عقله من أكمل ما فيه ، كان هلاكه من أيسر ما فيه .

ثم قال : يا زهري ! أما عليك أنّ تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك :

فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك .

وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك .

وتجعل تربك(١) منهم بمنزلة أخيك .

فأيّ هؤلاء تحب أنّ تظلم ، وأيّ هؤلاء تحب أنّ تدعوعليه ، وأيّ هؤلاء تحب أنّ تهتك ستره .

وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة ، فانظر:

إن كان أكبر منك فقل : قد سبقنى بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير منى.

وإن كان أصغر منك فقل : قد سبقته بالمعاصى والذنوب فهو خير منى.

وإن كان تربك فقل : أنا على يقين من ذنبى وفى شكّ من أمره فمالى أدع يقينى لشكّى .

وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقرونك ويبجلونك فقل : هذا فضل أخذوا به ، وإن رأيت منهم جفاءً وانقباضاً عنك(٢) فقل : هذا لذنب أحدثته .

فإنّك إذا فعلت ذلك سهّل الله عليك عيشك ، وكثَّر أصدقاءَك ، وقلّ أعداءك، وفرحت بما يكون من برهم ، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

---

(١) الترب : اللدة ، والسن ، ومن ولد معك . القاموس المحيط ١ : ٣٩.

(٢) في نسخة (أ): «وإن رأيت منهم حنقاً وإنقباضاً عليك ».

واعلم أنّ أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فايضاً ، وكان عنهم مستغنياً متعففاً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان متعففاً، وان كان إليهم محتاجاً؛ فإنما أهل الدنيا يعشقون[1] الأموال ، فمن لم يزاحمهم فيما يعشقونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكّنهم من بعضها كان أعز وأكرم»[2].

يمكن لنا أنّ نستفيد من هذا النصّ عدّة أمور :

١- إنّ الإمام لا يفرق بين أفراد المجتمع في تقديم النصح والإرشاد وإنقاذهم من الضلال والانحراف والمصائب والويلات من يواليه ويعترف بإمامته ومن لا يعترف بإمامته فهم مسلمون. ومحمّد بن مسلم الزهري من علماء العامّة الذين لا يعترفون بإمامته وإن كان يحبه ويحترمه ، ومع هذا قدم له أعظم المواعظ وأنقذه من مشاكل كبيرة وكثيرة ربما تقضى على حياته .

٢- التوقعات التي تكون عند بعض الناس من الآخرين : وهو أنّه يرى لنفسه على الآخرين حقوقاً لا بد أنّ يقوموا بأدائها إليه سواء كان :

أـ لمقامه الاجتماعي أو الديني أو العشائري .

ب ـ أو لكونه الحاكم والمتصرف فيهم .

ج ـ أو لأنّه يتصوّر أنّه أحسن من الآخرين في العلم والذكاء أوالمال .

د ـ أو لأنّه أحسن إليهم في قول أو فعل وكان يترقّب الشيء الكثير منهم، ثمّ يخيب ظنّه فيهم، فتتوالى عليه الهموم والأحزان . كما في تصورات الزهري .

---

(١) كذا في المصدر و(أ)، ولكن في نسخة (ب) و(ط) وبحار الأنوار : يتعقبون ... وفي (ج) و(د) يعقبون ... وكذا فيما يأتي.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ٢ : ١٥٧- ١٥٩ رقم ١٩٢ واللفظ له . طبع دار الأسوة بإشراف السبحاني. وتفسير الإمام العسكري: ٢٥، بحار الأنوار ٧١ : ١٥٥ و٨٩ : ٢٤٣، تنبيه الخواطر ٢ : ٤١٢.

إنّ هذه الأمور وغيرها والتى تسبب الهموم والغموم والقلق لمن يترقب من الناس الشيء الكثير، إذ ليس بالضرورة أن يكون الناس على حسب رغبته وهواياته وترقّباته .

الإمام أبطل هذا التصور الخاطئ بما يجب عليه أنّ يقوم به إزاءهم بالمحافظة على لسانه في عدّة نقاط نستعرضها:

١- أهمّية حفظ اللسان في توحيد الأمّة :

الإمام عليه السلام يوعز إلى أنّ أهم أسباب الوحدة بين أفراد المجتمع على مستوى الأصدقاء والعشيرة أو الأمّة الإسلامية يعود إلى حفظ اللسان وتقييده. وقد تعدّدت فى ذلك النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنّة النبوية . فلذلك قال عليه السلام : «**احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك**». نعم، إنّها كلمة عظيمة وقاعدة أساسية رصينة لو طبّقها الناس لجنوا ثمارها، فوحدت صفوفهم وضاعفت قوتهم وارتفعت من بينهم الفتن والحروب .

٢- ضرر اللسان في تمزيق الأمّة:

إنّ إطلاق العنان للسان بلا حدود وقيود شرعية أو عرفية أو سياسية يصبح معولا هداماً للأمة وتبقى تبعاته السيّئة فى فرقة المجتمع وضعفه والفتن والحروب لأزمنة طويلة لا يعلم نهايتها إلا الله .

ويشير الإمام عليه السلام إلى سياسة الكلام والمدارات فيه بقوله : «**وإيّاك أنّ تتكلّم بما يسبق إلى القلوب إنكاره**».

٣ ـ حسن المدارات وتوحيد الأُمّة:

إنّ حسن المداراة في الكلام للطرف الآخر من أهم الأسباب لتوحيد الأمّة

وإبعاد الفتن وسوء الظنّ والتّهم عن نفس المتكلّم أو عن الآخرين المتعلّقين به أو ما يرتبط هو بهم من الناحية المذهبية أو الدينية، هذه المداراة سواء كانت :

أ- على المستوى العلمى وأن الطرف الآخر عنده القدرة على إدراك المطلب. وقد عبّر عنه علماء البلاغة فى تعريفهم لبلاغة الكلام فقالوا :

(البلاغة فى الكلام : مطابقته لما يقتضيه حال المخاطب ، مع فصاحة ألفاظه « مفردها ومركبها» .

والكلام البليغ : هو الذي يصوّره المتكلّم بصورة تناسب أحوال المخاطبين)[1].

وذلك عندما يتناسب مع عقولهم وثقافتهم فللسوقة خطاب خاص وللعوام خطاب معين لا يصلح لغيرهم ولسراة القوم خطاب وللعلماء خطاب، كلّ على حسب اختصاصه ومستواه، فلو عكس أو عمّم لم يكن الكلام بليغاً وربما أدى إلى خلاف المقصود .

ب- المدارة فى الجانب العقدي : وقد يدخل فى هذا الجانب العقدي فقد يلزم أنّ يخاطب المسلم غير المسلم بما يمكن أنّ يتقبله ويدخل فى عقله ويتفهمه: ﴿قُل يَا أَهلَ الكتَاب تَعَالَوا إلى كَلَمَة سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيـنَكُم إلا نَعبُـدَ إلا اللّهَ وَلاَ نُشركَ به شَيئًا وَلاَ يَتَّخذَ بَعضُنَا بَعضاً أَربَابًا مِّن دُون اللّه فَإن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشهَدُوا بأَنَّا مُسلمُونَ﴾[2].

ج ـ المداراة فى الموقف المذهبى : أنّ الدقّة التى يستعملها المتكلّم أم الكاتب في مخاطبة الآخرين الذين يختلفون معه في الجانب المذهبي ،

(١) جواهر البلاغة للهاشمي: ٣٢- ٣٣.
(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

واستعمال الموضوعية والتسالم على الحرية والتركيز على الجوانب المشتركة والاعتصام بحبل الله قال تعالى : ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللّهِ عَلَيكُم إذ كُنتُم أَعدَاء فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَانًا وَكُنتُم عَلَىَ شَفَا حُفرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾[1].

د ـ المداراة في الموقف السياسي: وهو استعمال الحكمة الذي ينبغي للإنسان أنّ يضع الأمور في مواضعها ، لا سياسة الكذب والدجل والنفاق .

هـ ـ المداراة في الموقف الاجتماعي: وهو ما يتناسب مع تركيبة المجتمع من عادات وتقاليد ، وربما هذه الأمور تجتمع مع حسن المداراة التي جاء بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأكّدت عليها روايات أهل البيت عليهم السلام.

ويواصل الإمام بقوله : «**وإن كان عندك اعتذاره ؛ فليس كلّ من تسمعه نكراً** [شراً خ ل] **يمكنك أنّ توسعه عذراً**».

إنّ الكلام الذي تطرحه على الطرف الآخر وهو تسبق القلوب إلى إنكاره وقد يكون عندك عذره ، ولكن ليس كلّ من أسمع للآخرين شراً أو نكراً أنّ يتمكن من إقناع الطرف الآخر بالعذر .

٤ ـ ضرر العجب بالنفس:

في القول أو الفعل أو المعرفة من أخطر الأمور على الإنسان نفسه في العاجل والآجل ويؤدّي به إلى هلاكه ولا يلتفت إلا وقد أفلس من كلّ شيء. وقد تحدثت عن ذلك الأبحاث الأخلاقية والعرفانية بشكل مفصل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

ويركز الإمام عليه السلام على دور العقل فى نجاة الإنسان عندما يستعمله وهلاكه عندما يتركه .

٥ ـ العدالة الاجتماعية ودورها في توحيد الأمّة :

الإمام عليه السلام ينبه الزهري على ضرورة العدالة الاجتماعية ودورها فى توحيد الأمّة ورقيها ويصبح المجتمع الإسلامى بيتاً واحداً يتكوّن من أب وأم ، وولد ، وأخ. إنّ تقسيم الإمام الذي قسّمه للمجتمع الإسلام وقام من جعل الإنسان الكبير فيه بمنزلة الوالدين ، والصغير بمنزلة الولد ، والمساوي له فى السن بمنزلة الأخ، إنّ هذا التقسيم من أروع التقسيمات التى توحد الأمّة وتنشر بينها المحبة والمودة والعدل والإنصاف والمساواة والحرية ، وتصبح الأمّة عائلة واحدة على حد تعبير القرآن: ﴿**إنَّ هَذه أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعبُدُون**﴾[(١)]، ﴿**وَإنَّ هَذه أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُون**﴾[(٢)].

إنّ الالتزام بهذا الطرح السجّادي سوف يمكن الإنسان المسلم أنّ يحل مشاكله بنفسه قبل أنّ يحل مشاكل الآخرين .

٦ ـ دور إبليس في الفتنة الطائفية :

الإمام عليه السلام ينبه الزهري على أنّ إبليس له دور كبير بالفتنة الطائفية بين المسلمين وذلك : بإعطائه صورة لمن يصغى إليه أنّ له الفضل على بقية المسلمين وأنهم لا يدانونه فى هذا الفضل ، وأنّ قوله هو الصحيح ومطابق للواقع وأمّا من يخالفه من بقية المذاهب فهم على خطأ وعلى ضلال ، وأنه هو الذي

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٢.

سوف يدخل الجنة ومن يخالفه سوف يدخل النار ، بل هو الذي يستحق الحياة ومن يخالفه لا يستحق الوجود ، كلّ ذلك أوهام يصورها إبليس لمن يتبعه .

علاج الإمام لهذه الفتنة:

إنّ الإمام عليه السلام يركز على الجانب الأخلاقي والذي يجب على الإنسان أنّ يكون واعياً ولا ينخدع بأحابيل إبليس وشركه بل يجب عليه أنّ يبطل مثل هذه الأساليب ويعمل على خلافها ، والإمام يقول له: انظر لمن أراد إبليس أنّ يفضلك عليه :

أ- فإن كان أكبر منك فاعترف له بأسبقيته عليك في الإيمان، فله الفضل عليك .

ب- وإن كان أصغر منك فاعترف أنك سبقته بالمعاصي، فله الفضل عليك .

ج- وإن كان مساويك في السن فاعترف أنك تعلم معاصيك مع الله ولكن بالنسبة إلى الطرف الآخر أنت تشك في ذلك ولا يجوز أنّ تدع علمك ويقينك لشكك فيكون هو أفضل منك .

وبهذا فوّت الفرصة على إبليس الذي يريد أنّ يوقع بينكم العدواة والبغضاء.

٧- أنّ يتّهم الإنسان نفسه قبل الآخرين :

وينبّه الإمام عليه السلام الزهري أنّك إذا رأيت الناس يمدحونك ويعظمونك ويبجلونك فلا تفرح وتغتر، وإنّما عليك أنّ تقول: هذا فضل من الله قد أخذ به المسلمون .

وإذا رأى منهم جفاء وانقباضاً حوله فليعترف أنّ هذا بسبب ذنب منه وتقصير قد بدر منه حتّى استحقّ ذلك .

٨- حبّ الدنيا رأس الفتن في المجتمع:

الإمام عليه السلام ينبّه الزهري أنّ حبّ الأموال ومشاركة الإنسان مع الناس فيها هو سبب كراهيتهم له، لأن الناس يحبون الأموال ويعشقونها، وكلّ من يشاركهم في معشوقهم سوف يبغضونه وينصبون له العداء؛ فمن يريد محبّة الناس أكثر فأكثر عليه أنّ يبتعد عن الدنيا والأموال وعدم مشاركته لهم فيها ويكون بذلك عزيزاً عليهم ويكرمونه .

٩- الإحسان إلى الناس وأثره في حياة الإنسان:

فإنّ من يكون خيره على الناس فائضاً وعامّاً وهو مستغنى عنهم يكون من أكرم الناس عليهم ، وأقل منه من كان إليهم محتاجاً ولكنه كان متعففاً عنهم .

النتائج من تلك المعاملة:

١- قد روى الصدوق بإسناده ، عن عمران بن سليم ، قال : كان الزهري إذا حدث عن على بن الحسين عليهما السلام، قال : حدّثنى زين العابدين على بن الحسين.

فقال له سفيان بن عيينة: ولم تقول له زين العابدين؟

قال: لأنّى سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين ؟ فكأنى أنظر إلى ولدى على بن الحسين بن على بن أبى طالب يخطو بين الصفوف**»[(١)].

٢- وروى الصدوق بإسناده ، عن سفيان بن عيينة ، قال : قيل للزهري : من أزهد الناس في الدنيا؟

---

(١) العلل: الجزء ١ ، باب ١٦٥ ، العلّة التي سمّي علي بن الحسين زين العابدين ، الحديث (١).

قال: علي بن الحسين عليهما السلام. (الحديث) [١].

٣- وعنه ، قال : قلت للزهري : لقيت على بن الحسين عليه السلام؟

قال: نعم ، لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه . (الحديث) [٢].

٤- وعنه قال: رأى الزهري على بن الحسين عليه السلام ليلة باردة مطيرة ، وعلى ظهره دقيق وحطب ، وهو يمشي ، فقال له : يا بن رسول الله ما هذا ؟

فقال عليه السلام: «**أُريد سفراً أعدّ له زادا أحمله إلى موضع حريز**».

فقال الزهري : وهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى.

قال : أنا أحمله عنك، فإنّي أرفعك عن حمله .

فقال علي بن الحسين: «**لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري**» (إلى أنّ قال) :

قال له : يا بن رسول الله، لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً.

قال : «**بلى يا زهري ، ليس ما ظننت ، ولكنه الموت ، وله كنت أستعد ، إنّما الاستعداد للموت تجنب الحرام ، وبذل الندى والخير**»[٣].

وللزهري عدّة روايات مذكورة في الكافي، والفقيه ، والتهذيب . وبما ذكرنا يظهر أنّ نسبة العدواة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت ، بل الظاهر عدم صحتها[٤].

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.



---

(١) العلل ج ١ باب ١٦٥ : الحديث ٣.

(٢) المصدر السابق ج ١ باب ١٦٥ الحديث ٤.

(٣) المصدر السابق ج ١ باب ١٦٥ الحديث ٥.

(٤) معجم رجال الحديث ١٧: ١٩٠.

منهج الإمام السجّاد عليه السلام مع مخالفيه/

الإمام السجّاد رجل الوحدة الإسلامية

❑ الشيخ حسين الراضي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين..

كلام الإمام السجّاد عليه السلام في الوحدة

قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ج ١ ص ٩١: قال على بن الحسين بن على رضى الله عنهم:

«لوكان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة، وجملةَ الحال فى صواب التبيين، لأعربوا عن كلّ ما تخلَّج فى صدورهم، ولوجدوا من بَرد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة إلى كلّ حال سوى حالهم، وعلى أنّ دَرَكَ ذلك كان لا يُعدمهم فى الأيام القليلة العدّة، والفكرة القصيرة المدّة، ولكنّهم من بين مغمور بالجهل، ومفتون بالعجب، ومعدول بالهوى عن باب التثبت، ومصروف بسوء العادة عن فَضل التعلم».

هذا الكلام العظيم يحتاج توضيحه إلى البحث في عدّة نقاط:

١- فضل الاستبانة:

والاستبانة والاستيضاح عادة تصدر من قطاع الأمّة والسواد الأعظم أو من

سائر طلاب العلم يستوضحون به الأمور ضمن أسئلة شفهية أوكتابية أو غير ذلك كما في أزمنتنا الحاضرة حول مختلف ما يحتاجونه عقائدية أو فقهية أو أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية أو تاريخية أو اقتصادية وغيرها، والمطلوب هو أنّ هذه الشريحة أو كلّ من يحتاج إلى السؤال عليه أنّ يتخلّق بآداب الإسلام في العلم والتعلّم والسؤال والمناقشة وهي كثيرة منها: أنّه لا بد من الالتفات إلى أنّ الأخطار المحدقة بالأمة كبيرة وعظيمة ولابد من الوحدة بين أطراف المجتمع، والقاعدة لذلك هي الطبقة العامّة وأنها بأمس الحاجة إلى قادتها الروحانيين من العلماء والمفكرين وهذه الفائدة لا تحصل بشكل ممتاز إلا إذا احترمت الأمّة تلك الفئة واستفادت منها ، وبعبارة أخرى لابد من الارتباط بها ارتباطاً وثيقاً كي يتسنّى لها القيام بواجباتها إزاء الأمّة وضد الأعداء ؛ فإذا احترمت الأمّة علماءها وقدستهم وامتثلت أوامرهم وانقادت لهم حقّقت الكثير مما تصبوا إليه، وإذا ابتعدت الأمّة عن علمائها بحجة الفصل بين الدين والسياسة أو لسوء الظنّ بهم أو لعمل الأعداء على تشويه سمعة العلماء في أذهان قاعدتهم فسوف تحل الكارثة الكبرى، ليس على العلماء فحسب وإنما على الأمّة وعلى الإسلام، و(يعتبر احترام العلماء الصالحين من أسباب التوفيق وهو أمر واجب على كلّ مسلم خصوصاً طلاب العلوم الدينية .. أنّ عدم احترام العلماء المتقين وإهانتهم ، ذنب لا يغتفر وسبب للشقاء ، وقصر العمر والحرمان من تحصيل العلم والتقوى)[(١)].

وفي جانب ترك العلماء والابتعاد عنهم أو اتّهامهم والكفران بهم فإنّ الأمّة سوف تخسر قوتها وصمودها وشموخها. يقول الشهيد دستغيب : (ورد الوعيد

(١) سيماء الصالحين: ٢٠٩ .

بالعقوبة الشديدة على كفران نعمة وجود العلماء منها ما ورد عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله: «**سيأتي زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب، فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاث أشياء : الأوّل: يرفع البركة من أموالهم، والثاني: سلط الله عليهم سلطاناً جائراً، والثالث: يخرجون من الدنيا بلا إيمان**»[١].

٢- صواب التبيين:

وهو المنهجية والأسلوب الذي يتكلّم به عادة العلماء والمفكرون في بيان المطالب لمستمعيهم وبالأخص المخالفين لهم في الرأي أو العقيدة أو المذهب، وصواب التبيين الذي عبّر عنه الإمام له كامل المدخلية في نجاح الدعوة إلى الله أو وحدة الأمّة أو تفرّقها ، وإعطاء صفة حسنة عن الإسلام والمسلمين أو عكسه من تقديم صورة سيّئة عنهم.

والإمام زين العابدين يؤكّد أنّ الإنسان الذي عنده صواب التبيين والأُسلوب الحسن يتمكّن أنّ يعبر عمّا يختلج في صدره ويجد برد اليقين والسكينة والإيمان عنده ما لا يجد ذلك في صورة النزاع والتشاجر . وقد وضعت الشريعة الإسلامية أدب الحوار في القرآن الكريم والسنّة النبوية ، وما صدر عن رجالات العلم والأدب في هذا المضمار حتّى قطفوا الثمار اليانعة.

مقوّمات الوحدة

١- تفهّم الطرف الآخر ومعرفة ما عنده من مطالب وآراء .

٢- أنّ المتكلّم ينبغي أنّ يبين ما يختلج في صدره بكل وضوح وموضوعية

---

(١) سيماء الصالحين: ٢٢٠ ،عن الذنوب الكبيرة ٢: ٣٥ .

وبأسلوب لا يزعج الطرف الآخر ، بل مع التقدير والاحترام .

٣- احترام آراء الخصم وعقائده وعاداته .

٤- الحق يشمل الجميع، وهذا ما يركّز عليه الإمام السجّاد عليه السلام وأنّ الطرفين إذا تخلّقا بآداب المناظرة أو الحوار أو البحث العلمي فإنّهم لا يعدمون ، ويعبر كلّ طرف عمّا يختلج في أعماقه .

٥- وينبّه الإمام أنّ الطرفين إذا كانا بنية صادقة سوف يجدا برد اليقين بالله الذي ينقذهما ، وبرد اليقين هو السكينة والاطمئنان بالله سبحانه وبوعده الذي لا يخلف الميعاد، وببرد اليقين رفع الخلاف والنزاع ويجمع شملهم ويوحد صفوفهم.

٦- الإمام يشير إلى أنّ تحقيق الوحدة بين الأطراف المتنازعة لم يكن مستحيلاً ، بل هو ممكن في فترة قصيرة وفي أيّام قليلة .

٧- وفي نهاية المطاف يشير الإمام إلى تفاؤله في أنّ الوحدة الإسلامية لا تحتاج إلى الفكرة الطويلة المدة مع النية الصالحة للأطراف والعمل عليها.

وفي الختام يعرض الإمام أسباب الفرقة بين العلماء التي أدّت إلى فرقة الأمّة وتمزيقها شر ممزّق، وفي هذا المضمار يشير إلى جملة من الأسباب:

١- جهل العلماء والمفكّرين بوظائفهم الشرعية، فغمرهم الجهل واستولى عليهم، فصاروا مرتعاً للشيطان ، والإمام يشير إلى علماء السوء الذين أصبحوا أُلعوبة بيد السلطان والشيطان .

٢- عجب الخاصة من العلماء بأنفسهم، فهذا العجب أفقدهم دورهم الروحاني، وصار شرهم أكثر من خيرهم وضررهم أكثر من نفعهم .

٣- عدم التثبت من العلماء في مقام التصدي لمسئولياتهم العلمية والعملية حتّى استولى عليهم باب الهو ى ، وأفقدهم كلّ شيء.

٣- سوء العادة:

التى اعتاد عليها الخاصة من العلماء أو عامّة الناس، فكلّ من يريد أنّ يجدد أو يصلح من الأوضاع العلمية أو الاجتماعية رمى بالكفر والزندقة والخروج عن الثوابت للأمة أو المذهب، وجردت الأقلام لتشويه سمعته وسلقته الألسن بكل تهمة ، فإن العادات إذا سيطرت على المجتمع، وربّما فى الأوساط الدينية ، لا يمكن لأحد أنّ يتكلم خلافاً للعادات وإن كان بحق حتّى ينكسر ويرجع إلى ما بدأ به.

الإمام عليه السلام يؤكّد أنّ العادات السيئة هى من أهم أسباب الفرقة بين الأمّة الإسلامية ، وما لم تصلح هذه العادات فلن ترى الأمّة العزة والكرامة والقوة والوحدة ، ومن يتمسك بتلك العادات فإنّه يفضلها على التعلم والمعرفة والبحث العلمى.

إنّنا ما لم ننفض عنّا غبار العصبية والجهل والتمسك بالعادات السيئة بحجة الثوابت ، وربما لا دليل عليها غير أنها مشهو رة ، وكم من مشهو ر لا أصل له .

منهج الإمام زين العابدينعليه السلام مع مخالفيه

١- الإمام السجّاد يعالج أزمات الأمة:

قال ابن شهر آشوب : «وكان الزهري عاملاً لبنى أُميّة فعاقب رجلاً ، فمات الرجل فى العقوبة ، فخرج هائماً وتوحّش ، ودخل إلى غار ، فطال مقامه تسع سنين .

قال : وحجّ على بن الحسين عليه السلام فأتاه الزهري .

فقال له على بن الحسين عليه السلام : «**إنّى أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك**».

فقال له: فرّجت عني يا سيّدي (الله أعلم حيث يجعل رسالته)، ورجع إلى بيته ولزم علي بن الحسين ، وكان يعد من أصحابه .

ولذلك قال له بعض بني مروان: يا زهري، ما فعل نبيّك؟! يعني (علي بن الحسين عليه السلام)(١).

قال السيّد الخوئي : الزهري وإن كان من علماء العامّة ، إلا أنّه يظهر من هذه الرواية وغيرها ، أنّه كان يحب علي بن الحسين عليه السلام ويعظمه .

خطر أعوان الظلمة

أقول: مهما يكن من الأمر سواء كان الزهري عدواً كما يقول الشيخ الطوسي أو من المحبين للإمام زين العابدين عليه السلام كما يقول السيّد الخوئي، إلا أنّه لم يكن من الموالين لأهل البيت ولم يقل بإمامة السجّاد عليه السلام، بل هو من أشهر علماء العامّة، وقد ترجموه ومدحوه ووثقوه ، ومع هذا كلّه فلم يمنع الإمام أنّ ينقذه من ورطته التي هو فيها حيث هام في البراري تسع سنين ، وحصل لديه القنوط من رحمة الله ، وكاد أنّ يهلك من أسفه وحزنه على ما بدر منه من فعل حتّى أدى إلى هلاك المضروب . والذي يبدو من الحادثة أنّه ضربه خطأ فمات فعليه الدية.

٢- مع مروان في المدينة :

بالرغم مما عمله مروان بن الحكم ضدّ أهل البيت من واقف مشينة وتجاهره

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب : الجزء ٤ ، باب إمامة أبي محمّد علي بن الحسين عليه السلام ، فصل في علمه وحلمه وتواضعه.

بالعداء لأهل البيتعليهم السلام مثل موقفه من دفن الإمام الحسن عليه السلام عند جده أو في منزل أبيه، وموقفه ضد الإمام الحسين في مجلس الوليد بن عتبة وأمر الوليد أنّ يضرب عنق الإمام الحسينعليه السلام، ومواقف أخرى كثيرة مخزية ، مع هذا كلّه فقد تعامل معه الإمام زين العابدين بالنبل والإحسان ولم ينتقم منه.

فبعد إخراج أهل المدينة بنى أمية منها قال ابن قتيبة :

فأتى مروان عبد الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن، بلغنى أنّك تريد الخروج إلى مكّة وتغيب عن هذا الأمر ، فأحب أنّ أوجه عيالى معك.

فقال ابن عمر : إنّى لا أقدر على مصاحبة النساء .

قال : فتجعلهم فى منزلك مع حرمك .

قال : لا آمن أنّ يدخل على حريمى من أجل مكانكم .

فكلّم مروان على بن الحسين .

فقال: نعم ، فضمّهم علي إليه وبعث بهم إلى عياله[1].

العظمة بلا حدود

نعم، نبل الشخص وعظمته لا تخرج عندما يحسن إلى من يحبّه أو المقرّبين إليه، فهذا أمر طبيعى وعادي وكثير من الناس من يستعمله ، ولكن العجيب الغريب هو أنّ يصدر لأُناس حاربوه ووضعوا له كلّ غائلة وتجاهروا عليه بالعدوان، وإن كان هذا المواقف من أئمّة أهل البيتعليهم السلام ليس بعجيب.

٣- في دمشق:

التضليل الإعلامي بلغ مبلغه حيث انعكست المفاهيم وأصبح الظالم مظلوماً

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ١٦٨ .

والمظلوم ظالماً، وبالأخص في دمشق الشام حيث الدعاية الإعلامية قائمة على قدم وساق وصوّرت آل رسول الله صلى الله عليه وآله خوارج، فقد روى الثعلبي بإسناده عن أبي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين عليه السلام فأقيم على درج مسجد دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة!

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «أقرأت القرآن»؟

قال: نعم.

قال: «**قرأت الحم**»؟

قال: قرأت القرآن ولم أقرأ الحم.

قال: «**قرأت: ﴿قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيه أَجراً إلا المَوَدَّةَ في القُربى﴾**؟

قال: أنتم هم؟

قال: «**نعم**»، ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام: «**أفقرأت في بني إسرائيل ﴿وَآت ذَا القُربى حَقَّهُ﴾**»؟

قال: «**وإنّكم القرابة التي أمر الله أنّ يؤتى حقّه**»؟

قال: «**نعم**»[(١)].

٤- الإعلام وتشويه الحقائق:

جاء رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين فقال: أنت علي بن الحسين؟ قال: «**نعم**». قال: أبوك الذي قتل المؤمنين.

فبكى علي بن الحسين ثمّ مسح عينيه فقال: «**ويلك كيف قطعت على أبي**

---

(١) بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٢.

أنّه قتل المؤمنين»؟

قال : لقوله: (إخواننا قد بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم) .

فقال : «**ويلك أما تقرأ القرآن**»؟ . قال : بلى قال : «**فقد قال الله تعالى: ﴿وَإلى مَديَنَ أَخاهُم شُعَيباً وإلى ثَمُودَ أَخاهُم صالحاً﴾ أ فكانوا إخوانهم في دينهم أو في عشيرتهم ؟**

قال له الرجل : لا بل في عشيرتهم .

قال عليه السلام : «**فهؤلاء إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم**».

قال فرجت عنّي فرّج الله عنك)[١].

٥- كيف تواجه مَن يشتمك؟

إنّ مواجهة الشاتم بالشتم مثله عمل لا يحل القضية وإنما يزيدها تعقيداً وإرباكاً، وحينئذ لا بد من مقابلة الإساءة بالإحسان وليس بالإساءة أو على الأقل بالسكوت.

فقد روي: أنّه شتم بعضهم زين العابدين (صلوات الله عليه)؛ فقصده غلمانه.. فقال: «**دعوه فإن ما خفى منّا أكثر ممّا قالوا**».

ثم قال له: «**ألك حاجة يا رجل**»؟

فخجل الرجل!

فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم، فانصرف الرجل صارخاً يقول: أشهد أنّك ابن رسول الله[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٣٢ : ٣٤٥.

(٢) المصدر السابق: ٤٦ : ٩٦ .

٦- العقبة الكؤود:

وشتمه آخر فقال: «**يا فتى أنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً، فإنّ جزت منها فلا أبالى بما تقول، وإن أتحيّر فيها فأنا شرّ ممّا تقول**».

وعن ابن جعدية، قال : سبّهعليه السلام رجل فسكت عنه. فقال: إياك أعني.. فقالعليه السلام: «**وعنك أغضي**» .

٧- عداوة القرابة كيف تتحوّل إلى محبّة؟

ونال منه الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب عليه السلام فلم يكلّمه، ثمّ أتی منزله وصرخ به ، فخرج الحسن متوثباً للشرّ.

فقال للحسن : «**يا أخی، أنّ كنت قلت ما فی فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فیّ يغفر الله لك**». فقبّل الحسن بين عينيه وقال: بل قلت ما ليس فيك وأنا أحقّ به .

وكسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفرّ وجهها .. فقال لها : «**اذهبی فأنت حرة لوجه الله**».

وقيل: إنّ مولی لعلی بن الحسينعليه السلام يتولّی عمارة ضيعة له، فجاء ليطلعها فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً، فغاضه من ذلك ما رآه وغمّه، فقرع المولی بسوط كان فی يده وندم علی ذلك .

فلما انصرف إلی منزله أرسل فی طلب المولی، فأتاه فوجده عارياً والسوط بين يديه، فظنّ أنّه يريد عقوبته فاشتدّ خوفه.

فأخذ علی بن الحسين السوط ومدّ يده إليه وقال: «**يا هذا، قد كان منّی إليك ما لم يتقدّم منّی مثله، وكانت هفوة وزلة فدونك السوط واقتص منّی**» !

فقال المولی: يا مولاي، والله أنّ ظننت إلا أنك تريد عقوبتي وأنا مستحق

للعقوبة، فكيف أقتص منك؟ قال: «**ويحك اقتص**»!!

قال : معاذ الله أنت فى حل وسعة . فكرر ذلك عليه مرارا والمولى كلّ ذلك يتعاظم قوله ويجلله فلما لم يره يقتص قال له : أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك وأعطاه إيّاها .

وانتهىعليه السلام إلى قوم يغتابونه فوقف عليهم فقال لهم : «**إنّ كنتم صادقين فغفر الله لى وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم**» .

وروي: أنّ لعلى بن الحسينعليه السلام جارية تسكب الماء عليه وهو يتوضّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه، فرفع على بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية : إنّ الله عزّ وجلّ يقول ﴿**والكاظمينَ الغَيظَ**﴾.

قال لها : «**قد كظمت غيظى**».

قالت : ﴿**والعافينَ عَن الناس**﴾.

قال لها : «**قد عفا الله عنك**» .

قالت : ﴿**وَاللَّهُ يُحبُّ المُحسنينَ**﴾.

قال : «**اذهبى فإنّك حرة**»[1] .

هذا غيض من فيض من الحوادث التى وقعت للإمام زين العابدينعليه السلام مع أعدائه ومخالفيه فى الرأي والعقيدة .

نسأل الله تعالى أنّ يمنّ علينا بالهداية إلى طريقهم والسير على نهجهم وخطاهم .

---

(١) روضة الواعظين ٢ : ٣٨٠.

الخطبة الثانية (المقدّسات)

قال تعالى : ﴿إِنّى أَنَا رَبُّكَ فَاخلَع نَعلَيكَ إِنَّكَ بالوَاد المُقَدَّس طُوىً﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إذ نَادَاهُ رَبُّهُ بالوَاد المُقَدَّس طُوىً﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودىَ من شَاطئِ الوَاد الأَيمَن فى البُقعَة المُبَارَكَة منَ الشجَرَة أنْ يَا مُوسَى إنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ العَالَمينَ﴾[(٣)].

هذه الآيات وغيرها من نصوص الشريعة الإسلامية التى تؤكّد على قدسية وعظمة بعض البقاع من الأرض ما توجد بعض المقدّسات الأخرى مادّية كالكعبة المعظّمة والقرآن الكريم أو معنوية مثل الصلاة والصيام والحج وغيرها.

وقد وردت روايات عديدة فى تعظيم وتقديس أماكن كثيرة مثل : مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة والنجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وبيت المقدس والكوفة وغيرها .

الكوفة والنجف الأشرف

روي عن أبى بكر الحضرمى عن أبى عبد اللهعليه السلام أو عن أبى جعفرعليه السلام قال قلت له: أيّ بقاع الأرض أفضل بعد حرم الله عزّ وجلّ وحرم رسولهصلى الله عليه وآله؟ فقال: **«الكوفة .. يا أبا بكر هى الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيّين المرسلين وقبور غير المرسلين والأوصياء الصادقين ، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبيّاً إلا**

---

(١) سورة طه: ١٢.

(٢) سورة النازعات: ١٦.

(٣) سورة القصص: ٣٠.

وقد صلّى فيه، ومنها يظهر عدل الله وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين»[١].

فالحديث في هذه الرواية عن فضل الكوفة يتشمل النجف الأشرف؛ لأنّ النجف هي ظهر الكوفة وهي التي بها قبور بعض الأنبياء على ما في بعض زيارات أمير المؤمنين عليه السلام (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح وعلى جاريك هو د وصالح).

والسائل يسأل عن أفضل بقعة بعد مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة، حيث إنّ أفضليتهما من المفروغ عنه عند السائل، وكأنّ ذلك من المتسالم عليه عند الأئمّة وأتباعهم، وإنّما الذي يحتاج إلى فضله غيرهما ، فلذلك أجابه الإمام عن الكوفة والتي كما ذكرنا تشمل النجف الأشرف.

كربلاء المقدّسة

وفي فضلها وردت روايات كثيرة، وقد تشرّفت باحتضانها جسد سيّد الشهداءعليه السلام مع صحبه الكرام ، وفي زيارته ورد عن هند الحنّاط، قال : سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: «**من زار الحسينعليه السلام عارفاً بحقّه يأتم به غفر [الله] له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر**»[٢].

إنّ هذه المقدّسات وغيرها ممّا تدنسها اليد الأثيمة من الولايات المتحدة الأمريكية وقوات التحالف معها، وفي الأيّام القليلة الماضية قصفت مسجد السهلة الذي قد تقدّم الحديث عنه وقتلت العشرات فيه وهدمت جدرانه

---

(١) كامل الزيارات : ٧٦ باب ٨ حديث ٦٩.

(٢) كامل الزيارات: ٢٦٤ باب ٥٤ حديث ٤٠٢.

وسفكت الدماء في النجف الأشرف والكوفة وقبلهما في كربلاء المقدّسة. وقبل أمس الماضي قصف ضريح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ممّا أدّى إلى سقوط القذيفة على مكان المصليّن وجرح عدد منهم ، وأهينت تلك البقعة المباركة، ومهما كان الفاعل فإنّ قوات التحالف هي المسؤولة عن ذلك .

إنّ قوات التحالف إنّما أقدمت على هذه الأعمال الشنيعة لجسّ نبض الأمّة الإسلامية وبيان موقفها من مقدّساتها ..

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

إلا ثلّة قليلة من المؤمنين، نسأل الله لهم النصر العاجل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الإمام السجّاد(عليه السلام) ودوره الريادي

في مواجهة انحراف السلطة

❒ السيّد حسين بركة الشامي

تعرّض شيعة أهل البيت(عليهم السلام) بعد واقعة كربلاء الأليمة واستشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) على يد بني أُمية ومشروعهم التخريبي إلى خطرين كبيرين:

الأوّل: يتمثّل بسياسة التّحريف والتّشويه للتّراث الإسلامي، والتّعدي على مفاهيمه وأحكامه وقيمه، من خلال حملات المسخ، والاختلاق، والوضع، والتّضليل، كما تجلّى ذلك في دسِّ الرِوايات المزوّرة، وإخفاء فضائل ومناقب أهل البيت(عليهم السلام)، وافتعال مناقب أُخرى كاذبة لأشخاصٍ آخرين.

وقد انعكس هذا بشكلٍ واضحٍ على علوم التّفسير والفقه والحديث والتّاريخ، وهذا الخطر الفكري للمشروع الأموي قد لا يدرك أبعاده العامّة من الناس، ولكنّه غير خفيٍّ على الأئمّة من أهل البيت(عليهم السلام) وأصحابهم الأبرار الذين يتمتّعون بوعيٍ رساليٍّ أصيل، وحضورٍ فاعلٍ في السّاحة، واهتمامٍ خاصٍّ بالفكر وقضايا الأُمّة.

والثاني: يتجلّى في ملاحقة أصحاب الأئمّة وأتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) بالقتل والسّجن والتّشريد؛ حيث طالت السّياسة الأُموية آنذاك أُولئك الرِّجال الأفذاذ، والشخصيّات التي حملت مبادئ وقيم مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) على

مستوى الفكر والممارسة، أمثال: حجر بن عدي، وميثم التمّار، وسعيد بن جبير، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ورشيد الهجري، ونظائرهم من الأبرار والصالحين.

وكان الهدف الأساس الذي تسعى إليه السِّياسة الأُمويّة الحاقدة هو استفراغ مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الكفاءات العلمية، والشخصيات الرِّسالية، والعناصر الثقافية، إضافةً إلى سياسة التجهيل العامّة الذي تبنّاها المشروع الأموي في المجتمع الإسلامي، بحيث تتحوّل الأمّة بالتّدريج إلى ركامٍ بشريٍّ فاقد للإرادة، يعبث بكرامته ومقدّراته وثرواته الأُمويون.

وهنا يأتي دور الإمام السجّاد عليه السلام باعتباره الشاهد والرائد في هذه الأمّة لمواجهة المشروع الأُموي بجميع أبعاده وأدواته، وذلك من خلال التّشخيص الدّقيق، والرّؤية الواضحة، والخطوات الراسخة التي اتّبعها في هذا المجال.

وقد كان من بين أبرز أهمٍّ تلك الخطوات الإصلاحية الرائدة ما يلي:

١- الاهتمام بنشر العلم وترسيخ الأخلاق والتّركيز على بناء الجماعة الصالحة التي تُشكّل القاعدة الفكرية والعلمية لنشر الحديث والأحكام الشرعية وعلم الكلام والتّفسير والأخلاق، وذلك من خلال إعداد جيلٍ من الفقهاء وحملة الحديث والرِّواية ورجال الفكر والمعرفة.

ويذكر التاريخ أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كانت له حلقةٌ كبيرةٌ في المسجد النّبوي الشريف تضمُّ شخصيّاتٍ من الصحابة الكرام، والتّابعين الأخيار، وأعداداً من صحبه، ممّن نهل من علومه. فقد جاء في تاريخ مدينة دمشق: أنّ الإمام زين العابدين كانَ إذا جلس في المسجد بين القبر والمنبر، وانعقدت له حلقةٌ كحلقة أبيه في روضةٍ كرياض الجنّة، يقول عنها القائل: «إذا دخلت مسجد رسول الله

ورأيت حلقةً كأنَّ على رؤوسهم الطير»[١].

فمن الصحابة الذين نهلوا العلم والحديث منهعليه السلام: جابر بن عبد الله الأنصاري، وعامر بن وائلة الكناني، وسعيد بن المسيّب المخزومي، ومن التّابعين سعيد بن جبير مولى بني أسد، ومحمّد بن جبير بن مطعم، وعبد الله بن جعفر، وإبراهيم والحسن ابنا محمّد بن الحنفية.

ومن أصحابه وتلامذته: ثابت بن دينار أبوحمزة الثّمالي وفرات بن أحنف، وأبان بن تغلب بن رباح، والفرزدق الشاعر، وغيرهم الكثير من الرِّجال والرّواة.

٢- معالجة مشاكل الواقع الإسلامي وقضايا المجتمع؛ حيث تعرَّض المجتمع الإسلامي في ظلِّ العهد الأموي للإهمال والامتهان وسياسة التَّجهيل، فكان منهج الإمام السجّادعليه السلام هو الاعتماد على برامج اجتماعية ومشاريع ثقافية وتربوية من شأنها أنّ تُعيد المجتمع إلى مساره الصحيح، وذلك من خلال عدّة مشاريع بارزة في حياته، وهي:

أ ـ الاهتمام بالفقراء والمساكين.

بكثرة الصدقات عليهم ورعايتهم من الناحية الاجتماعية والنفسية والأخلاقية، حتّى روى أحمد بن حنبل وغيره: «أنَّ علي بن الحسينعليه السلام كان يعول مائة أهل بيتٍ من فقراء المدينة في كلّ بيتٍ جماعة»[٢].

ب. كثرة الإعتاق للعبيد في سبيل الله.

واهتمامه بتربيتهم وتعليمهم، حتّى روى السيّد ابن طاووس بسنده عن

(١) راجع كتاب «الإمام جعفر الصادق» لعبد الحليم الجندي: ١٣٨، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٧، القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٨٤، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأُولى ١٤١٨، دار الفكر، بيروت.

الصادق عليه السلام: «كان علي بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أَمة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أَذنب فلان، أَذنبت فلانة، يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه، فيجتمع عليهم الأدب. حتّى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثمّ أَظهر الكتاب، ثمّ قال: يا فلان، فعلت كذا وكذا ولم أؤدّبك، أَتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا بن رسول الله، حتّى يأتي على آخرهم ويقرّرهم جميعاً. ثمّ يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أَصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين، أنّ ربّك قد أَحصى عليك كلّ ما عملت، كما أَحصيت علينا كلّ ما عملنا، ولديه كتابٌ ينطق عليك بالحقّ، لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً مما أَتيت إلا أَحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، فاعف واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحبّ أنّ يعفو المليك عنك، فاعفُ عنا تجده عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربّك أَحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحقّ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا أَتيناها إلا أَحصاها...»[1].

ج ـ التركيز على الجانب الرُّوحي والأخلاقي في حياة الأُمّة.

والالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه والتورّع عن المعاصي والذّنوب والآثام من خلال إحياء العبادة بتلاوة القرآن والدُّعاء والمناجاة والانقطاع إليه سبحانه بالصلاة والصِّيام والأذكار والدّعوات الخاشعة التي جُمعت في صحيفةٍ معروفةٍ بـ(**الصحيفة السجّادية**).

---

(١) الإقبال بالأعمال الحسنة ١: ٤٤٣، تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني، الطبعة الأُولى ١٤١٤، نشر مكتب الإعلام الإسلامي.

وهي الصحيفة التي تحتوي على كنوز المعارف وغرر الأدعية والمناجاة والتَّوسُّل، وما تستبطن في نصوصها من مفاهيم العقيدة والقيم الأخلاقية والإنسانية.

وكذا ما تركه الإمام السجّادعليه السلام من (**رسالة الحقوق**) التي تضمّنت خمسين حقاً، ابتداءً من حقوق الله ورسوله والإمام المفترض الطاعة وحقوق النَّفس والرحم والنَّاس والمعلّم والحاكم والغريم.. وغيرها من الحقوق التي حدّدها الإمام زين العابدين عليه السلام بكُلِّ دقّةٍ ووضوح، وهي بحقٍّ وثيقةٌ دستورية سبقت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بثلاثة عشر قرناً، ولو لم يترك الإمام السجّادعليه السلام إلا رسالة الحقوق لكفى الأمّة أنّ تعيش بصلاحٍ وهدى ورشاد.

هذا، إلى غير ذلك الخطب والرسائل والحكم والمواعظ التي تركها، والتي تناولت جوانب كثيرةً ومجالاتٍ متعددةً في علوم القرآن والعقائد والحديث والفقه والأخلاق.

هذه كانت أهمّ المعالم والمرتكزات الأساسية لدور الإمام السجّادعليه السلام في الحياة الإسلامية.

وبعد رحيله جاء دور الإمامين الصادقين الباقر والصادقعليهما السلام، وهو دورٌ هامٌ وكبيرٌ في تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي؛ ففيه ازدهرت مدرسة أهل البيتعليهم السلام واتّسعت دائرتها، وباتت تشكّل في حينها مرجعيّةً فكرية وروحية واجتماعية للمسلمين، كما أنَّها مثّلت في الوقت نفسه تحدّياً يواجه جميع الاتّجاهات والتّيارات المنحرفة عن المنهج الإسلامي القويم.

الشيعة في العراق:

ولمّا كان التاريخ كثيراً ما يعيد نفسه كما يُقال، فلا بدّ أنّ نستعرض واقع شيعة أهل البيت عليهم السلام في العراق الجديد، فمنذ مجيء حزب البعث الجائر في العراق عام ١٩٦٨م، الذي انتهج ذات المشروع الأُموي، وإن اختلفت أشكاله وصوره ومسمّياته، فعلى الصعيد الفكري والمعرفي فقد أكّد هذا الحزب على محاربة الدِّين، وتشويه الحقائق، ومسخ القيم الأخلاقية، واختراق المناهج التَّعليمية في المدارس والجامعات، وبثّ مقولاته وأفكاره عبر برامج من شأنها أنّ تجعل حاجزاً بين الأمّة والارتباط بهو يّتها المتمثّلة بالإسلام.

أمَّا على الصعيد العامّ فقد انتهج حزب البعث سياسةً خطيرةً تمثّلت بملاحقة العلماء والفقهاء في الحوزة العلمية في النَّجف الأشرف، كالإمام الشهيد الصدر، وكوكبة كبيرة من تلامذته ووكلائه ومحبّيه، إضافةً إلى اتّباع سياسة الجريمة في جميع المجالات التي عمدت إلى تخريب القيم الأخلاقية والتّقاليد الاجتماعية والأُسرية، وإشاعة الفساد والقتل العام الذي ملأ المقابر الجماعية، واستخدام الغازات السَّامة في الأهوار وكردستان.

ولا يسعنا إحصاء واستقصاء جيمع صفحات الجريمة التي تعجّ بها ملفّات حزب البعث في الحقبة المقيتة السوداء التي حكم فيها العراق في الأربعة عقود الماضية.

وفي ٩ نيسان ٢٠٠٣م وقع التحوّل التاريخي الكبير في ظلِّ ظروف وأوضاع حرجة وعصيبة كان يعيشها الشعب العراقي، وفي معادلات سياسية قاهرة إقليمية وعالمية، ومصالح دولية معقّدة، حتّى أصبح العراق ساحةً خصبةً لمشاريع

الصِّراع وتصفية الحسابات الدولية على حساب مصلحة وإرادة الشعب العراقي.

إنَّ ما أفرزته مرحلة ما بعد سقوط صدام في الساحة العراقية عموماً، وعلى شيعة أهل البيت عليهم السلام على وجه الخصوص، جملةٌ من الأوضاع والمظاهر والتي تتلخَّص بما يلي:

١ـ انهيار مؤسّسات الدَّولة جميعاً بفعل قرارات الاحتلال دون تهيئة البديل السَّريع والمناسب لتلك المرحلة ممَّا أدّى إلى حدوث فوضى عامّة في البلاد.

٢ـ اختفاء حزب البعث ومؤسّساته البوليسية والإجرامية وعودتها بمظاهر مختلفة أُخرى تحاول اختراق الوضع الجديد الذي حصل في العراق والالتفاف عليه.

٣ـ انتشار الحسّاسية الطائفية في المجتمع بالشكل الذي لم يسبق له مثيلٌ في تاريخ العراق، ولا شكَّ أنّ لمخلفات حزب البعث وأزلامه دوراً يقف وراء هذا التَّصعيد الطائفي.

٤ ـ بروز الجماعات الإرهابية والتّكفيرية التي تُشيع القتل وتُبيح دماء وحرمات شيعة أهل البيت عليهم السلام وتطال مقدّساتهم ومساجدهم.

٥ ـ شيوع عصابات السّلب والنّهب والخطف، الأمر الذي أدّى إلى إحداث حالة القلق والخوف وعدم الاستقرار الاجتماعي.

٦ ـ استهداف العقول المفكرة والكفاءات العلمية والثقافية والجامعات ودور العبادة بالقتل والتفجير وإشاعة سياسة التهجير القسري لأبناء الشِّيعة، ونهب دورهم وحرقها في بعض الحالات من قبل العصابات المسلّحة للجماعات الإرهابية والمليشيات المدعومة من قبل بعض الجهات المتطرّفة.

٧ ـ تخبّط سياسة الاحتلال في العراق وارتكابهم الأخطاء الفادحة، وجهلهم

في التعامل مع مكوّنات الشعب العراقي، وانتهاجهم السِّياسة الطائفية والعنصرية من خلال ترسيخ منطق المحاصصة على حساب الكفاءة والنَّزاهة، الأمر الذي أدّى إلى تعقيد الأوضاع، وتصعيد القلق الأمني وعدم الاستقرار.

هذه هي أبرز التَّداعيات التي أحدثتها حالة التَّحوُّل والتَّغيير التَّاريخي في العراق، وانعكست آثارها بطريقةٍ سلبية على عموم الشعب العراقي، وعلى شيعة أهل البيتعليهم السلام على وجه الخصوص.

أمَّا الآفاق الجديدة التي فتحت أمام حاضر ومستقبل شيعة أهل البيتعليهم السلام فيمكن إجمالها في النُّقاط التالية:

أوّلاً: إنهاء حالة الدّكتاتورية والاستبداد التي استحكمت وترسّخت جذورها في العراق منذ القديم، وما عكسته من آثارٍ وخيمةٍ ومظهار الدَّمار والتَّخريب على كلّ المستويات الثَّقافية والاجتماعية والسِّياسية.

ثانياً: فتح أبواب الحرّية والتَّعبير عن الرأي وغياب الرّقابة القمعية على فكر وتراث مدرسة أهل البيتعليهم السلام وانتشاره في أوساط المجتمع الذي حرم منه إبّان العهد البائد.

ثالثاً: خوض التَّجربة السِّياسية من قبل أتباع مدرسة أهل البيتعليهم السلام، والدُّخول في المعترك السِّياسي والاجتماعي من أوسع أبوابه ممَّا منح الشِّيعة الخبرة والكفاءة والشُّعور بالمسؤولية في إدراة الشأن العام وبناء مؤسسات الدَّولة بعد أنّ كان الشِّيعة محاصرين في الزّوايا ويعملون بأحسن حالاتهم كمعارضةٍ على طول تاريخهم الطويل.

رابعاً: انطلاق مدرسة أهل البيتعليهم السلام على مستوى العراق والمنطقة والعالم وامتدادها الفكري والثّقافي، وامتلاكها مؤسّسات إعلامية تبثّ من خلالها

أفكارها وآراءها ومفاهيمها، والتَّعريف بتراثها الأصيل الذي كان ثروةً في صناديق، فأصبح بحمد الله في متناول الجميع.

خامساً: ظهو ر شيعة أهل البيتعليهم السلام كقوّة سياسية واجتماعية في العراق، وأنّهم يشكّلون الأكثرية ممّا يجعل العراق قاعدةً لمدرسة أهل البيتعليهم السلام، وساحةً خصبةً لتعميق وتنمية الفكر الشّيعي والانطلاق به نحو الآخرين.

هذه هي أهمّ الآفاق الجديدة المفتوحة أمام شيعة أهل البيتعليهم السلام في العراق علينا أنّ نستثمرها بأحسن استثمار لصالح الإسلام والمسلمين في الحاضر والمستقبل، وأن نشدّ على أيدي كلٍّ العاملين المخلصين لخدمة هذه المدرسة المباركة الرائدة.



إطلالة مختصرة على كتاب «رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام»

❑ علي أحمد الحسن

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ﴾[1]، وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**الدُّعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السّماوات والأرض**»[2]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته لابنه الحسن عليه السلام قوله: «**اعلم أنّ الذي بيده خزائن ملكوت الدّنيا والآخرة قد أذن لدعائك، وتكفّل لإجابتك، وأمرك أنّ تسأله ليعطيك، وهو رحيمٌ كريمٌ، لم يجعل بينك وبينه مَن يحجبك عنه، ولم يُلجئك إلى مَن يشفع لك إليه... ثمّ جعل في يديك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئتَ استفتحت بالدُّعاء أبواب خزائنه...**»[3].

فما كان هذا شأنه لا يُعقل أنّ يكون مغفولاً عنه عند النَّبيِّ وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، ومن هنا كَثُرت النُّصوص الدُّعائية في التراث الذي وصلنا

---

(١) سورة الفرقان: ٧٧.

(٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي ٢: ٤٦٨، كتاب الدُّعاء، باب: أنّ الدّعاء سلاح المؤمن، الحديث: الأوّل، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، الطبعة الرابعة ١٣٦٥ش، دار الكتب الإسلامية طهران.

(٣) السيّد ابن طاووس، علي بن موسى، كشف المحجّة لثمرّة المهجة: ١٦٥، المطبعة الحيدرية ١٣٧٠، النَّجف الأشرف.

عن أهل البيت عليهم السلام، والتي كان أهمّها على الإطلاق ما يُعرف بزبور آل محمّد صلى الله عليه وآله، وإنجيل أهل البيت عليهم السلام[1]، أعني بذلك: الصحيفة السجّادية الكاملة، التي هي من إنشاء سليل الدَّوحة المحمّدية، ووارث العلوم العلوية، الإمام أبي محمّد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الملقَّب بالسجّاد؛ لكثرة سجوده، وبزين العابدين؛ لكثرة عبادته وحسنها.

وقد تميّزت هذه الصحيفة بتنوُّع المعارف الإسلامية المبثوثة فيها، من معارف التَّوحيد وسائر أُصول الدِّين، إلى المعارف الاجتماعية والسِّياسية والأخلاقية والاقتصادية وغيرها الكثير، كلّ ذلك بعباراتٍ تفعم القلب بالخشوع، وتُجري لهيبة الباري من الآماق زفرات الدّموع.

كما وتميّزت بأسانيد متعدّدة تزيدها قوّةً شهرة هذه الصحيفة في الأعصار والأمصار، مع ما في متنها من المضامين العالية التي لا تصدر إلا عمَّن ارتبط بآية التَّطهير بالدّلالة على عصمته، وطهارته، ونقاء سريرته.

قال الآقا بزرك الطهراني رحمه الله: «وللأصحاب اهتمامٌ بروايتها، ويخصّونها بالذّكر في إجازاتهم، وعليها شروحٌ كثيرةٌ مرَّت في محلِّه، وهي من المتواترات عند الأصحاب؛ لاختصاصها بالإجازة والرّواية في كلّ طبقةٍ وعصرٍ، ينتهي سند روايتها إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وزيد الشهيد ابني علي بن الحسين، عن أبيهما علي بن الحسين عليه السلام»[2].

---

(١) لا يخفى على أرباب البيان أنّ هذه التسمية من باب التشبيه الذي يكفي فيه الاشتراك في صفة ما تسمّى وجه الشبه، وليس فيه دلالةٌ أصلاً على أنّ مطلق هذه التسمية يعتقد بأنّ الصحيفة السجّادية مِن الكتب السماوية.

(٢) الطّهراني، الآقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشّيعة ١٥: ١٨، الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت.

لأجل ذلك عكف العلماء على مرِّ العصور على شرحها وتفسير مضامينها والاغتراف من لئالئها والاستضاءة بأنوارها. وقد كَثُرت شروحها حتّى أحصى منها الآقا بزرك ما يقرب من سبعين شرحاً.

وإليك بعضاً من هذه الشروح:

١ـ شرح الصحيفة، للشَّيخ تقي الدِّين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمّد ابن صالح بن إسماعيل الكفعمي، صاحب المصباح، والمتوفّى سنة ٩٠٥هـ[١].

٢ـ حدائق الصالحين في شرح صحيفة سيِّد السّاجدين، لشيخ الإسلام والمسلمين الشيخ بهاء الدِّين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، المتوفّى سنة ١٠٣١هـ[٢].

٣ـ التّحفة الرضوية في شرح الصحيفة الكاملة السجّادية، للميرزا قاضي بن كاشف الدِّين محمّد الأردكاني اليزدي، من تلاميذ الشيخ البهائي رحمه الله[٣].

٤ ـ شرح الصحيفة، للعلامة المولى محمّد باقر المجلسي، شرح فارسي مقتصر على الموارد المهمّة المشكلة[٤]. وله شرح آخر بالعربية يسمّى بالفرائد الطريفة، لكنّه لم يتمّ.

٥ ـ شرح الصحيفة، للمحقِّق الدّاماد المير محمّد باقر الحسيني الإسترآبادي، المتوفّى سنة ١٠٤٠هـ[٥].

---

(١) الذريعة ١٣: ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ٦: ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق ٣: ٤٣٥.

(٤) المصدر السابق ١٣: ٣٤٧.

(٥)المصدر السابق ١٣: ٣٤٧.

٦) شرح الصحيفة، للمولى الشريف أبي الحسن بن محمّد بن طاهر بن عبد الحميد الفتوني النّباطي العاملي، المتوفّى حدود سنة ١١٤٠هـ[1].

٧) لوامع الأنوار، للسيّد ميرزا محمّد باقر ملا باشي، وفرغ منه سنة ١٢٣٢هـ[2].

ومن جملة من شرح هذه الصحيفة المباركة شرحاً وافياً، وكان مورداً لاستفادة العلماء فضلاً عن الطّلاب، هو العلامة الأريب والفاضل الأديب السيّد علي خان المدني، في شرحه الموسوم بـ: «**رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين**».

ولأهمّية هذا الشرح أحببتُ أنّ أُخصّص هذا المقال بالتّعريف به وبمصنّفه؛ لعلَّ ذلك يكون موجباً للعمل والاستفادة لمن لم يطّلع عليه، كما استُفيد من المشروح على مرِّ العصور.

المؤلّف في سطور

نسبه الشريف:

هو السيّد علي خان صدر الدِّين المدني الشّيرازي ـ واشتهر بابن معصوم نسبةً إلى جدّه الآتي ـ ابن الأمير نظام الدِّين أحمد، بن محمّد معصوم، بن أحمد نظام الدِّين، بن إبراهيم، بن سلام بن مسعود عماد الدِّين، بن محمّد صدر الدِّين، بن منصور غياث الدِّين، بن محمّد صدر الدِّين، بن إبراهيم شرف الدِّين، بن محمّد صدر الدين، بن إسحاق عزّ الدِّين، بن علي ضياء الدِّين، بن عرب شاه فخر

(١) الذريعة ١٣: ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق ٣: ٣٤.

الدين، ابن الأمير عزّ الدين أبي المكارم، ابن الأمير خطير الدِّين، بن الحسن شرف الدِّين أبي علي بن الحسين أبي جعفر العزيزي، بن علي أبي سعيد النّصيبيني، بن زيد الأعشم أبي إبراهيم، بن علي بن الحسين أبي شجاع الزّاهد، ابن محمّد أبي جعفر، بن علي، بن الحسين، بن جعفر أبي عبد الله، بن أحمد نصير الدِّين السكّين النّقيب، بن جعفر أبي عبد الله الشاعر، بن محمّد أبي جعفر ابن محمّد، بن زيد الشهيد، بن زين العابدين علي بن الحسين السّبط، بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‰[1].

وأمّا نسبه من ناحية الأُمّ، فقد ذكر المترجم له ذلك بقوله: «وأمّا نسبي من جهة الأُمّ، فأكون ابن القانتة بنت غياث الحكماء بن صدر الحكماء»[2]، وهي ابنة الشيخ محمّد بن أحمد المنوفي، إمام الشافعية بالحجاز المتوفّى سنة (١٠٤٤هـ).

ولادته ونشأته:

وُلد السيّد المترجم له بالمدينة المنوّرة، ليلة السّبت الخامس عشر من جمادى الأُولى سنة (١٠٥٢هـ)، وبقي في بلاد الحجاز متنقّلاً بين مكّة والمدينة مدّة أربع عشرة سنة قضى قسطاً منها مشتغلاً بالعلم. وقد غادر مكّة المكرّمة في ليلة السَّبت السَّادس من شهر شعبان سنة ١٠٦٦هـ بعد أنّ دعاه والده الفاضل الأديب السيّد نظام الدِّين أحمد إلى حيدر آباد من بلاد الهند، فوصلها يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ١٠٦٨هـ.

والظاهر أنّه بقي في حيدر آباد ثمان عشرة سنة، اغترف خلالها العلم، خاصّة من روّاد مجلس أبيه الذي كان منتدى يلتقي فيه العلماء والأُدباء، وصنَّف فيها

(١) راجع: كتاب سلوة الغريب للمترجم له، ومقدّمة كتاب الدّرجات الرفيعة في طبقات الشِّيعة، ومقدّمة كتاب رياض السّالكين.

(٢) راجع مقدّمة أنوار الربيع.

كتاب الحدائق النّدية في شرح الصمدية، وفيها شرع أيضاً في تأليف كتابه سلافة العصر سنة ١٠٨١هـ.

ولأسباب لا مجال لذكرها هنا ترك حيدر آباد متوجّهاً إلى «برهان پور» فحلّ مرحّباً به عند سلطانها محمّد أورنك زيب شاه. فقلّده هذا الأخير قيادة كتيبة من الجيش تعدادها ١٣٠٠ فارس، وأعطاه لقب «خان».

وبقي في الهند مدّة طويلة من الزّمن أنجز فيها الكثير من مصنّفاته، منها شرحه على الصحيفة، مضافاً إلى المناصب المتعدّدة التي تولاها على أحسن وجه، إلى أنّ جاء عام ١١١٤ فطلب الاستعفاء والسَّماح له بزيارة الحرمين الشريفين، فأُذن له، فغادر الهند بعد أنّ قضى فيها ستاً وأربعين عاماً.

وبعد أنّ أدّى مناسك الحجّ وزار قبر النّبي صلى الله عليه وآله وأئمة البقيع عليهم السلام، وُفّق لزيارة العتبات المقدّسة في العراق، ومنها توجّه إلى إيران لزيارة مرقد الإمام الرِّضا عليه السلام.

وبعدها نزل في أصفهان عاصمة الدّولة الصفوية آنذاك في سنة ١١١٧هـ، في عهد السّلطان حسين الصفوي. وفي أواخر حياته ترك تلك العاصمة ليستقرّ في شيراز، مقيماً في المدرسة المنصورية التي بناها جدّه العلامة غياث الدِّين منصور، فكان في تلك المدينة زعيماً دينياً، ومدرّساً مفيداً، وانصرف بكلّيته إلى التّدريس والتّصنيف.

والظاهر أنّ مدّة بقائه فيها كان أقلّ من سنة؛ لكونه قد نزل أصفهان ـ كما تقدَّم ـ سنة ١١١٧هـ، وقال الشيخ علي حزين في التذكرة: «إنّي أدركته بها سنين»[(١)].

---

(١) راجع مقدّمة الدرجات الرفيعة للسيّد محمّد صادق بحر العلوم.

وفاته وبعض كلماته ومصنّفاته:

توفِّي المترجم له بشيراز في شهر ذي القعدة سنة ١١٢٠ هـ، ودُفِن بحرم السيّد أحمد بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام، المعروف «بشاه چراغ».

وله رحمه الله بعض الكلمات التي تدلّ على حاله وظرفه الزّماني والمكاني الذي كان يعيش فيه؛ حيث يقول في كتاب الحدائق النّدية الذي صنّفه في حيدر آباد: «وكان الفراغ من تبيض هذا الشرح المبارك مع تشويش البال وكثرة الهمّ والبلبال، وكوني في زمانٍ وبلادٍ قد كسدت فيها سوق الفضل وطلابه، وقامت دولة الجهل وأحزابه، فلم يُعرف من العلم إلا اسمه، ولم يبقَ منه أثر. ولولا أنّ خشيتُ المبالغة قلت: إلا رسمه»(١).

وقال في خاتمة كتابه أنوار الربيع في أنواع البديع الذي صنّفه في برهان پور: «ومن أحسن الاتّفاق أنّ جاء تاريخ عام التّمام، موافقاً لحساب طيب الختام، وهو عام ثلاث وتسعين وألف، وقد وفّق الله سبحانه للشّروع فيه والفراغ منه في وقتٍ لا يُتصوّر فيه صحبة قلمٍ لبنان، ولا يُتخيّل في تصوّر مسألةٍ في جنان، بل لا تقع العين إلا على لمعٍ مهنّدٍ وسنان، ولا تصحب اليدين إلاّ قائم حسام، وجديل عنان، وذلك حين المرابطة بثغر العدومن الدّيار الهندية، والمنازلة لهم في كلّ صباحٍ وعشية، والسّمع لا يعي إلا صارخاً: يا خيل الله اركبي، أو صائحاً لما دهمه: يا غلام قرّب مركبي».

وللمترجم له رحمه الله تصانيف كثيرةٌ في النّحو والأدب والتراجم والرِّجال والأدعية، ربما تصل إلى العشرين، وله ديوان شعر أكثره مراسلات ومدائح في

---

(١) خاتمة الحدائق النّدية للمترجم له.

أبيه، وفيه عرسيّات كثيرة. وله فيه قصيدةٌ قالها عند زيارته أمير المؤمنين عليه السلام في النَّجف، أوّلها[1]:

يا صاح هذا المشهدُ الأقدسُ ... قرَّت به الأعينُ والأنفسُ
والنَّجف الأشرف بانت لنا ... أعلامُه والمعهدُ الأنفس
والقبّة البيضاءُ قد أشرقت ... ينجابُ عن لألائها الحندسُ
حضرةُ قدسٍ لم ينل فضلها ... لا المسجد الأقصى ولا المقدسُ
حلّت بمن حلّ بها رتبة ... يقصر عنها الفلك الأطلسُ
تودّ لو كانت حصى أرضها ... شهب الدُّجى والكنّس الخنّسُ
وتحسد الأقدام منّا على الـ ... ـسَّعي إلى أعتابها الأرؤسُ
فقف بها والثم ثرى تربها ... فهي المقام الأطهر الأقدسُ
وقل صلاةٌ وسلامٌ على ... من طاب منه الأصل والمغرسُ
خليفة الله العظيم الذي ... من ضوئه نور الهدى يقبسُ
نفس النّبيّ المصطفى أحمد ... وصنوه والسّيِّد الأرأسُ
العلمُ العيلمُ بحر النَّدى ... وبرّه والعالم النّقرسُ
فليلنا من نوره مقمر ... ويومنا من ضوئه مشمسُ
أُقسم بالله وآياته ... أليّة تنجي ولا تغمسُ
إِنَّ علي بن أبي طالب ... منار دين الله لا يُطمس

(١) راجع أعيان الشّيعة للسيّد محسن الأمين ٨: ١٥٣، تحقيق وتخريج حسن الأمين، نشر دار التّعارف للمطبوعات، بيروت.

رياض السّالكين في سطور

أقوال العلماء فيه:

قال الميرزا عبد الله أفندي الأصفهانيرحمه الله (ت: ١١٣٠هـ): «وله أيضاً شرح الصحيفة الكاملة كما أشرنا إليه آنفاً، وقد جعله باسم سلطان عصرنا الشاه سلطان حسين الصفوي، وهو شرحٌ كبيرٌ جدّاً من أحسن الشُّروح وأطولها، وقد أورد فيه فوائد غزيرة من كتبٍ كثيرةٍ غريبةٍ عزيزة، وقد سمّاه رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد السَّاجدين، وقد صدّر شرح كلّ دعا من أدعية هذه الصحيفة بخطبة وديباجة على حدة ظريفة، وقد أودع في هذا الشرح فوائد كثيرة وفرائد غزيرة، وبسط الكلام فيه، ونقل أقوال سائر الشُّراح والمحشّين، وتعصَّب فيه للشَّيخ البهائي من بين الشُّراح، وطوّل البحث في أكثر العلوم ولا سيّما في العلوم العربية»[1].

وقال السيّد إعجاز حسين (ت: ١٢٨٦هـ) صاحب كشف الحجب والأستار: «رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، للسيّد الجليل الأديب النَّبيل المحقّق المدقّق العلّامة الفهّامة، الذي حاز من الفصاحة ما يدهش القلوب التي في الصُّدور، ويزدري بقلائد اللآلي المتلالية على النُّحور، وفاز من البلاغة بما هو أبلج من أنوار الربيع، وأبهج من لطائف البديع، عالي الكعب في الفنون العقلية، الحاذق في العلوم اللسانية ... وهو شرح الصحيفة الكاملة، إنجيل أهل البيت، وزبور آل محمّدﷺ، مشتملٌ على درر الفوائد، وغرر القلائد، وجواهر التحقيقات، وزواهر التَّدقيقات، لم يطّلع أحدٌ على مثيله، ولم يظفر الزمان بعديله،

(١) رياض العلماء ٣: ٣٦٦.

يشهد على طول باع مصنّفه، وعلو كعب مؤلّفه...»[١].

وقال السيّد محسن الأمين رحمه الله (ت: ١٣٧١هـ) : «شرح الصحيفة السجّادية، مطبوعٌ مشهورٌ، سمّاه رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد السّاجدين، ولم يؤلّف في شروحها مثله»[٢].

وقال الشيخ الأميني رحمه الله (ت: ١٣٩٢هـ) صاحب الغدير: «رياض السالكين في شرح الصحيفة الكاملة السجّادية، كتابٌ قيّمٌ يطفح العلم من جوانبه، وتتدفّق الفضيلة بين دفّتيه، فإذا أسمت فيه سرح اللّحظ فلا يقف إلا على خزائن من العلم والأدب موصدة أبوابها، أومخابئ من دقائق ورقائق لم يهتد إليها أيُّ ألمعيّ غير مؤلّفه الشريف المبجّل»[٣].

المنهج المتّبع في الشرح:

إنّ إعجاب السيّد علي خان رحمه الله بأستاذه الشيخ البهائي رحمه الله أمرٌ مفروغٌ عنه، وفي مقدّمة شرحه للصّمدية يقول: «شيخنا الإمام العلامة، والهمام القدوة الفهامة، سيّد العلماء المحقّقين، سند العظماء المدقّقين، نادرة دهره وزمانه، باقعة عصره وأوانه، ملاذ المجتهدين وشرفهم، بحر أُولي اليقين ومغترفهم، شيخنا ومولانا بهاء الدّين العاملي سقى الله ثراه، وجعل بحبوحة الفردوس مثواه»[٤].

كما أنّ نظرةً سريعةً إلى مجمل تأليفاته يكفي لإدراك مدى تأثره بشيخه وأُستاذه؛ حيث أنّه شاركه في كثيرٍ من التأليفات، فللشّيخ كتاب المخلاة، وللسيّد

---

(١) كشف الحجب والأستار: ٣٠٠، الطبعة الثانية ١٤٠٩، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي، قم.

(٢) أعيان الشّيعة ٨: ١٥٢.

(٣) الغدير ١١: ٣٤٧، الطبعة الرابعة ١٩٧٧، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) مقدّمة الحدائق النّدية في شرح الصّمدية.

كذلك، ومشى فيها على منوال شيخه، كما أنّ له كتاب الحدائق النّدية في شرح صمدية الشيخ البهائي في النَّحو، وله شرحان آخران عليها: متوسطٌ وصغير، كما أنّه ألَّف كتاب التذكرة في الفوائد النَّادرة على نهج كشكول الشيخ البهائي على ما قيل[1].

ومن ظواهر هذا التأثر أنّ للشّيخ البهائي شرحاً على الصحيفة السجّادية، يُعرف باسم (حدائق الصالحين)، لم يتمه ولم يصلنا الكثير ممّا أتمّه، وقد مشى تلميذه السيّد المدني على منواله فيه وتعصّب له كما تقدّم عن الأفندي، بل إنّ اسم هذا الشرح الذي نقوم بالتَّعريف به كان (رياض الصالحين)، ثمّ غُيِّر إلى (رياض السالكين)، ولا يخفى التَّشابه الاسمي بينه وبين شرح أُستاذه. ويشهد لذلك النسخة النَّاقصة الموجودة في مكتبة الشيخ مشكور بخطّ المولى أصغر بن محمّد قاسم بن جمال القمّي التي فرغ من كتابتها في حياة المصنِّف في أصفهان عام ١١١٥؛ حيث أطلق عليها في أوّلها اسم (رياض الصالحين)، وفي إجازة المصنِّف للسيّد إبراهيم بن مراد الحسني الحسيني تصريح بهذا الاسم[2]. ولا يخفى التّقارب والتّرادف الموجود بين هذا الاسم واسم شرح الشيخ البهائي.

وكيف كان، فإنّ هذا الشرح الذي نقوم بالتَّعريف به قد شرع السيّد المدني بتأليفه سنة ١٠٩٤هـ، وكان الفراغ منه سنة ١١٠٦هـ فكانت مدّة تأليفه اثنتي عشرة سنة، كما صرّح هو بذلك في خاتمة الروضة الرابعة والخمسين[3].

رتَّبه المصنِّف بحسب ترتيب أدعية الصحيفة السجّادية على أربعٍ وخمسين

---

(١) مقدمة رياض السّالكين (للسيّد محسن الأميني) ١: ٢٠

(٢) راجع: الذريعة ١١: ٣٢٦.

(٣) رياض السّالكين ٧: ٤٥٢.

روضة، لكلّ دعاء روضة، ولكُلِ روضة خطبةٌ مستقلَّة، وهذا من المؤشرات أيضاً على تأثُّره بأستاذه البهائي؛ حيث أنّ هذا الأخير قد رتَّب شرحه على حدائق لكلّ دعاء حديقة وخطبة مستقلّة، قال الآقا بزرك في سياق حديثه عن شرح الشيخ البهائي: «جعل شرح كلّ دعاءٍ في حديقة، وقد خرج شرح عدَّةٍ من حدائقه، وكانت موجودةً في المشهد الرضوي في عصر العلامة المجلسي، كما ذكره بعض معاصريه أوتلاميذه في رسالةٍ كتبها إليه، والرِّسالة بصورتها مدرجةٌ في آخر إجازات البحار، ولكنَّ الموجود المتداول منها اليوم هو (الحديقة الهلالية) فقط في شرح دعائه عند رؤية الهلال، الذي هو الدُّعاء الثَّالث والأربعون، وقال في آخرها: (تمّ تأليف الحديقة الهلالية من كتاب حدائق الصالحين، ويتلوها ـ بعون الله تعالى ـ الحديقة الصومية، وهو شرح دعائه عليه السلام عند دخول شهر رمضان). وقد كتب قبل الهلالية (الحديقة الأخلاقية) قطعاً؛ لأنّه قال في أثناء الهلالية ما لفظه: وقد قدّمنا الحديقة الأخلاقية في شرح دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق كلاماً...»[1].

هذا، والهيكلة الكُلّية لهذا الشرح المفيد كالتالي:

١ ـ صدّر هذا الشرح بذكر بعض الأحاديث التي تُشير إلى بعض فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مع تعليقٍ مختصرٍ عليها بشرح بعض مفرداتها.

ثمّ ختم هذا التَّصدير بقصيدةٍ له في مدحٍ الأمير عليه السلام، من جملة ما جاء فيها قوله:

أميرَ المؤمنين فدتك نفسي لنا من شأنك العجب العجابُ

---

(١) الذريعة ٦: ٢٨٨.

تــولاك الأُولــى ســعدوا ففــازوا ونــاواك الــذين شــقوا فخــابوا
ولـوعلم الـورى مـا أنـت أضـحوا لوجهـك سـاجدين ولـم يحـابوا
يمـــين الله لوكُـــشف المغطّـــى ووجـــه الله لـــو رُفـــع الحجـــابُ
خفيـتَ عـن العيـون وأنـتَ شـمسٌ ســمت عــن أنّ يُجلّلهــا ســحابُ
ولـيس علـى الـصّباح إذا تجلّـى ولــم يُبـصره أعمـى العـين عـابُ
لـــسرّ مـــا دعـــاك أبـــا تـــراب محمّـــد النبـــيّ المـــستطاب

٢ ـ ثمّ تلاه بخطبة للكتاب جاء فيها ـ بعد الحمد والثّناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على نبيِّه المصطفى وآله الهداة ـ ذكرٌ لمواصفات هذا الشرح، وهي: (يفتح مقفلها، ويُفصّل مجملها، ويُظهر كنوزها، ويحلُّ رموزها). ثمّ بيَّن الوجه في تعرُّضه لشرح الصحيفة والحال أنّ شيخه البهائي قد شرحه، الذي محصّله أنّه لم تقع حدقة العين منه على غير الحديقة الهلالية. وقد جاء أكثر الخطبة في مدح من أهدى له هذا الشرح، أعني: الشاه سلطان حسين الصفوي. وختمها بذكر سند روايته للصحيفة السجّادية.

٣ ـ ثمّ جاء بعد الخطبة شرحٌ مفصَّلٌ لأسانيد الصحيفة السجّادية، استوعب الكاتب فيه ما يقرب من (١٦٠) صفحة بحسب الطبع الحديث. وقد حوى هذا الشرح على نكات لطيفة في علم الدّراية، من قبيل التّفريق بين (حدّثني) و(حدّثنا) و(أخبرني) و(أخبرنا) وغير ذلك، وعلم الرِّجال. وكما هو دأبه قد أتحفنا فيه بالكثير من الفوائد اللّغوية والنّحوية، ولم يخلُ من شذرات تاريخية لطيفة، كما قد أظهر في أواخرها سعة باعه في العلوم العقلية والفلسفية.

٤ ـ ثمّ بعد ذلك يبدأ بشرح الأدعية الأربعة والخمسين بترتيبها على روضات بعددها، يبتدأ كلّ روضة بذكر الدُّعاء كاملاً، ثمّ يصدِّر الروضة بخطبة فيها

الحمد والثناء والصلاة على النبيِّ وآله.

ومن اللّطائف أنّ خطبة كلّ روضة تختلف عن أختها، كلّ ذلك بألفاظٍ فصيحة، وعبائرَ مليحة، ومضامينَ عاليةٍ بليغة. ثمّ يأتي بقوله: «وبعد: فهذه الروضة (يذكر فيها ترتيبها العديدي) من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء راجي فضل ربّه السَّني علي الصدر الحسيني الحسني، وفّقه الله...»، ثمّ يأتي بدعاء مختلفٍ عن أخيه في كلّ خطبة.

ثمّ يبدأ بشرح الدّعاء شرحاً تفصيلياً، فقرةً فقرة، مقدّماً مباحثه الصرفية والنَّحوية واللُّغوية على شرح معانيه ومضامينه، مستشهداً بأقوال النّحاة وأئمَّة الأدب واللُّغة، مورداً من الأشعار والأحاديث والنُّصوص بأسلوبٍ لا يملّ قاريه، ولا يضجر سامعه ومصغيه.

قال الآقا بزرك رحمه الله: «وهو أطول الشّروح، يذكر تمام الدعاء، ثمّ يُبيِّن لغته وما يتعلّق به من النَّحو والصرف وشرح المعنى»[1].

إطلالةٌ على الشرح المطبوع

قد تصدّت مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقمّ المشرَّفة لطبع هذا الأثر النَّفيس القيِّم، وقد صدرت عنها الطبعة الرابعة في شهر محرَّم الحرام من سنة ١٤٢٥ للهجرة، في سبعة مجلّدات يتجاوز كلّ واحدٍ منها (٥٠٠) صفحة، وتعداد مجموع هذه الدّورة (٣٩٠٨) صفحات.

وقد قام بتحقيق هذا السَّفر القيِّم المحقِّق السيّد محسن الحسيني الأميني،

---

(١) لاحظ الذريعة ١١: ٣٢٦.

ومن أهمّ الإنجازات التي قام بها ما يلي:

١ ـ تصدير الكتاب بمقدّمة تعرّض فيها لنسب صاحب الشرح، وولادته ونشأته، ووفاته، وأقوال العلماء فيه، وتقاريض كتاب رياض السالكين، ومؤلّفات مصنّفه، وتأثُّره بالشيخ البهائي، ونسخ رياض السالكين، ومنهج المحقّق في تحقيقه.

٢ ـ استفاد المحقّق في تحقيق هذا السّفر القيِّم من أربع نسخٍ لكتاب رياض السالكين.

الأُولى منها فتوغرافية عن نسخة خطية يرجع تاريخ استنساخها إلى سنة ١١١٢هـ فهي مستنسخة في حياة المصنّف، وتوجد هذه النسخة في المكتبة الرضوية في مشهد المقدَّسة على ساكنها آلاف التحية والثناء.

والنسخة الثانية صورةٌ عن نسخةٍ ترجع إلى نفس التَّاريخ المتقدّم محفوظة في المكتبة الوطنية (كتابخانه ملّي) بطهران.

والنسخة الثالثة صورةٌ فتوغرافية عن النسخة الخطية في المكتبة الخاصة للفاضل يوسف محسن الأردبيلي في زنجان، ويعود تاريخ استنساخها إلى سنة ١١٣٢هـ بخطّ المرحوم ملّا محسن بن محمّد طاهر القزويني صاحب شرح العوامل، إلا أنّها نسخةٌ ناقصةٌ، تبدأ من أوّل الشرح حتّى نهاية الروضة السَّابعة والعشرين.

والنسخة الرابعة عبارة عن النسخة الحجرية المستنسخة سنة ١٣١٧هـ، التي قد أشار كاتبها إلى أنّها قد قوبلت مع مجموعةٍ من النسخ الخطّية المعتبرة.

٣ ـ قام المحقّق بترجمةٍ وجيزةٍ لكلّ شخصٍ ورد اسمه في الكتاب.

٤ ـ استخرج الكثير من الأقوال والأحاديث التي وردت في متن الشرح، مضافاً إلى الآيات القرآنية.

٥ ـ شرح الكثير من المفردات الغريبة التي وردت في الشرح.

٦ ـ وضع بعض الفهارس لكلّ مجلّد من المجلّدات السَّبعة، من قبيل فهرست الموضوعات، وفهرست فواتح الجمل من أدعية الصحيفة، وفهرست الآيات والأحاديث.

هذا، وعلى الرغم من الجهد الكبير الذي بذله هذا المحقّق في إخراج هذا السِّفر القيِّم بصورة حديثة، مع تعدُّد طباعته، إلا أنّه مع ذلك لا يخلو عن أخطاء كثيرةٍ نرجو أن يوفِّق الباري عزّ وجلّ في المستقبل القريب إلى تلافيها.

وهذه الأخطاء موزّعة على الشكل التالي:

أ- أخطاء مطبعية في غاية الكثرة، خصوصاً في مقدّمة المحقّق.

ب ـ أخطاء نحوية في خصوص التَّحقيقات التي أضافها المحقّق.

ج- الاشتباه في استخراج النّصوص من مصادرها، فكثيراً ما ينسب شيئاً إلى كتابٍ والحال أنّه لكتابٍ آخر.

د- عدم وضع فهرسٍ بأسماء المصادر التي استُفيد منها في التّحقيق.

إطلالةٌ على فهارس رياض السالكين

لا يخفى على الباحثين أنّ الفهارس الفنّية تساعد على الاستفادة من المصنَّف استفادة كاملة، خصوصاً تلك التَّصنيفات التي لم تعدّ للمطالعة التَّفصيلية كما هو الحال في هذا الشرح القيّم، وبالأخصّ عندما يكون متضمّناً لنكات نفيسة، وفوائد جليلة، وفرائد غزيرة، كما تقدّم عن العلّامة الأميني: «يطفح العلم من جوانبه، وتتدفَّق الفضيلة بين دفّتيه، فإذا أسمت فيه سرح اللّحظ فلا يقف إلا على خزائن من العلم والأدب موصدة أبوابها، أو مخابئ من دقائق ورقائق لم يهتد إليها أيُّ ألمعيّ غير مؤلّفه الشريف المبجّل».

ومن هذا المنطلق رأت مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين مسيس الحاجة إلى تنظيم فهارس فنّية جامعة كاملة؛ لتكون مفتاحاً لأبواب خزائن علومه، ومغواصاً لاستخراج لآلي فنونه. فاقترحت لتنظيمها جناب الأخ الفاضل الشيخ محمّد حسين المظفّر، فقام بتنظيمها على أحسن وجه، وذلك في ضمن جزءين يبلغ عدد صفحاتهما (١٣٢٤) صفحة.

تضمّن الجزء الأوّل منهما الفهارس التالية:

١ـ فهرس الآيات القرآنية.

٢ـ فهرس تفسير الآيات.

٣ـ فهرس القراءات وملحقاتها.

٤ـ فهرس الأسماء المباركة للمعصومينعليهم السلام.

٥ـ فهرس الكتب السماوية.

٦ـ فهرس الأحاديث.

٧ـ فهرس الأعلام.

٨ـ فهرس التراجم.

٩ـ فهرس الأديان والمذاهب والمتمذهبين.

١٠ـ فهرس القبائل والآل والطوائف والأقوام.

١١ـ فهرس الفئات والأصناف والطبقات.

١٢ـ فهرس الأصحاب.

١٣ـ فهرس القرّاء.

١٤ـ فهرس الشّعراء.

١٥ـ فهرس الأوائل.

١٦ـ فهرس الأماكن والبلدان والأشياء.

١٧ـ فهرس الوقائع والأحداث والأيّام.

١٨ـ فهرس الملائكة.

١٩ـ الفهرس البلاغي.

٢٠ ـ الفهرس النَّحوي.

٢١ ـ الفهرس الصرفي.

٢٢ ـ فهرس أسماء الكتب.

٢٣ ـ فهرس العلوم.

٢٤ ـ الفهرس الفلكي.

٢٥ ـ فهرس التَّوقيعات والرسائل والخطب والوصايا.

٢٦ ـ فهرس الأمثال وبديع الأقوال.

٢٧ ـ فهرس الألسن واللّغات.

٢٨ ـ فهرس الفروق.

٢٩ ـ فهرس العلل والأسباب.

٣٠ ـ فهرس القصص والحكايات واللّطائف.

٣١ ـ فهرس التّواريخ.

٣٢ ـ فهرس أبيات الشّعر وأنصافها.

٣٣ ـ فهرس الأخطاء الشائعة.

٣٤ ـ فهرس الكلمات الأعجمية.

٣٥ ـ فهرس المزاعم والادّعاءات.

وتضمّن الجزء الثاني فهارس خمسة:

١ ـ المقتبس من القرآن الكريم في الصحيفة السجّادية.

٢ ـ قاموس الصحيفة السجّادية في رياض السالكين.

٣ ـ الفهرس المقارن بين نهج البلاغة والصحيفة السجّادية.

٤ ـ الهادي إلى رياض السالكين / في الموادّ والمواضيع.

٥ ـ فهرس نتائج الفهرسة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



دلائل الخلق في أدعية

الإمام زين العابدين عليه السلام

❑ د. لبيب بيضون

بعد موقعة كربلاء الإليمة واستشهاد سبعة عشر قمراً من أقمار أهل البيت عليهم السلام، وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام وابنه علي الأكبر عليه السلام وأخوه العبّاس عليه السلام، اتّبع أئمّة أهل البيت عليهم السلام خطّة استراتيجية جديدة في التعامل مع الواقع ونشر مبادئ الإسلام، في ظروف قاسية فرضتها السلطة الأُموية على أهل البيت عليهم السلام.

وقد ظهر ذلك جلياً في اتّخاذ الإمام زين العابدين عليه السلام الأدعية وسيلة فعّالة لإيصال المعارف المختلفة إلى جميع المسلمين. وقد حفلت أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام بمختلف العلوم، المستمدّة من القرآن، وممّا ورثه من علوم أبيه وجدّه عن رسول الله صلى الله عليه وآله. نلاحظ أنّ أدعية «الصحيفة السجّادية» كلّها تمجيد وتقديس وتعظيم لله، وتقرّر أنّ كلّ شيء يسبّح بحمده، وكلّ شيء ينبئ بعظمته. فيذكر عليه السلام في تلك الأدعية السموات والأرض وكيف خلقها سبحانه، وما جعل فيها من كواكب ونجوم وبروج. كما يبيّن مظاهر العظمة في خلق الإنسان، فيعدّد أجزاءه وأعضاءه، وما انطوت عليه من منن وآلاء.

وقد يكون الدعاء لتأكيد وجود الله ووحدانيته وصفاته، فيذكر الإمام من

الأدلّة على ذلك ما يعجز العلماء عن الإتيان بمثله، فضلاً عن فهمه وشرحه.

وسنقف على نماذج من هذه الأدعية والأقوال في هذا البحث اللطيف.

وسوف نرتّب الشواهد من الأدعية والأقوال حسب العلوم الكونية والطبيعية، مبتدئين بالسماوات والأفلاك والشمس والقمر، ثم الأرض والجبال والبحار والبرق والرعد والسحب والمطر، ثمّ الحيوان والإنسان، مستأنسين بالآيات والآثار، راصدين للنعم والآلاء، متتبّعين آيات التقدير، ومترسّمين آلاء التدبير.

مصادر التأليف

وقد اعتمدنا في تأليف هذه المقالة بشكل رئيس على (الصحيفة السجّادية) للإمام زين العابدين عليه السلام، طبع مؤسّسة الأعلمي في بيروت (الطبعة الثانية).

إضافة إلى بعض الأدعية، وهي:

- دعاء الصباح للإمام علي عليه السلام.
- دعاء الأيّام للإمام زين العابدين عليه السلام.
- دعات السمات، كان يدعو به أمير المؤمنين عليه السلام.
- دعاء العشرات.
- دعاء الفرج لأمير المؤمنين عليه السلام.
- دعاء الافتتاح، كان يدعو به محمّد بن عثمان العَمري أحد نوّاب الحجّة عليه السلام.
- دعاء السّحر للإمام زين العابدين عليه السلام، رواه أبو حمزة الثمإلى.
- دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.
- تسبيح الملائكة، مروي عن الإمام الصادق عليه السلام.

معرفة الله

تتمّ معرفة الله بطريقين:

الأوّل: أن تتمّ معرفة الباري تعالى عن طريق الكشف، وهي معرفة مباشرة يتّصل فيها الإنسان مع الله، وهي منزلة تكون للأنبياء والأئمّة وبعض الأولياء.

ومن أمثلة ذلك مولانا الحسين عليه السلام الذي يقول في دعاء عرفة، بعد أن زالت الحُجب بينه وبين الله: «**الهي عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثار، وَتَنقُّلاتِ الأطْوارِ، أنَّ مُرادَكَ مِنّي اَنْ تَتَعَرَّفَ اِلَيَّ في كُلِّ شَيْء، حَتّى لا اَجْهَلَكَ في شَيْء**».

ويقول: «**كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بما هُوَ في وُجُوده مُفْتَقِرٌ إليكَ؟ أيَكُونُ لغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ، حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ؟ مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إلى دَليل يَدُلُّ عَلَيْكَ؟ وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هي الَّتي تُوصِلُ إليكَ؟ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً**».

ويقول:«**أنْتَ الَّذي أشْرَقْتَ الأنْوارَ في قُلُوبِ أوْليآئِكَ حَتّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدوكَ... مَاذا فَقَدَ مَنْ فَقَدَكَ، وَمَا الَّذى فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟**».

ويقول: «**وَاَنْتَ الَّذي لا اِلهَ غَيْرُكَ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شيء فَما جَهِلَكَ شيء، وَأنْتَ الَّذي تَعَرَّفْتَ إلَيَّ في كُلِّ شيء، فَرَاَيْتُكَ ظاهِراً في كُلِّ شيء، وَأنْتَ الظّاهِرُ لِكُلِّ شيء... كَيْفَ تَخْفي وَأَنْتَ الظّاهِرُ، أمْ كَيْفَ تَغيبُ وَأنْتَ الرَّقيبُ الْحاضِرُ؟!**».

الثاني: أن تتمّ معرفة الله تعالى من خلال آثاره ومخلوقاته، التي تلبّست بعظمته، وانطبعت بإبداعه. وهذه المعرفة قد حضّ عليها القرآن الكريم، لا سيّما في قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ**

الْحَقُّ﴾[(١)]، وقوله تعالى: **﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**[(٢)]، وقوله: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾**[(٣)].

وسوف نقتصر في بحثنا على النوع الثاني من المعرفة، مستكشفين رموزه في أقوال وأدعية الإمام علي وابنه الحسين وابنه زين العابدين عليهم السلام، الذين أخذوا علومهم من نبعة واحدة، هي نبعة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبما أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد أخذ كلّ علومه عن أبيه الحسين عليه السلام، عن جدّه الإمام علي عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا نرى فرقاً في أن نستشهد في بحثنا بأقوال بعض هؤلاء الميامين، الذين هم ذرّية بعضها من بعض.

يقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله عن صنوه الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أوتيتُ جوامع الكَلِم، وأُوتي عليّ جوامع العلم».

نماذج سنية من روضة العترة النبوية

١ ـ يقول الإمام علي عليه السلام في مطلع دعاء الصباح:

«اَللّـهُمَّ، يا مَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِه، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِه، وَأَتْقَنَ صُنْعَ الْفَلَكِ الدَّوّارِ في مَقاديرِ تَبَرُّجِه، وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِه، يا مَنْ دَلَّ عَلى ذاتِه بِذاتِه، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِه، وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاتِه. يا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَراتِ الظُّنُون، وَبَعُدَ عَنْ لَحَظاتِ الْعُيُون، وَعَلِمَ بِما كانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ».

---

(١) سورة فصّلت: ٥٣.

(٢) سورة يونس: ١٠١.

(٣) سورة العنكبوت: ٢٠.

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة:

«حَتّى إذَا اكْتَمَلَتْ فطْرَتي، وَاعْتَدَلَتْ مِرَّتي (سَريرَتي)، أوْجَبْتَ عَلَيَّ حُجَّتَكَ، بأنْ ألْهَمْتَني مَعْرِفَتَكَ، وَرَوَّعْتَني بعَجايب حكْمَتكَ (فطرتك)، وَأيْقَظْتَني لما ذَرَأتَ في سَمَآئكَ وَأرْضكَ منْ بَدائع خَلْقكَ».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الصباح والمساء:

«اَلْحَمْدُ للّه الّذي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بقُوَّته، وَمَيَّزَ بَيْنَهُما بقُدْرَته، وَجَعَلَ لكُلِّ واحد منهُما حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولِجُ كُلَّ واحد منْهُما في صاحبه، ويُولِجُ صاحبَهُ فيه، بتَقْدير منْهُ للْعباد...».

التوحيد والإلهيات

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء الأوّل من الصحيفة السجّادية:

«وَالْحَمْدُ للّه عَلى ما عَرَّفَنا منْ نَفْسه، وَأَلْهَمَنا منْ شُكْره، وفَتَحَ لَنا منْ أَبْواب الْعلْم برُبُوبيَّته، ودَلَّنا عَلَيْه منَ الأَخْلاص لَهُ في تَوْحيده، وجَنَّبَنا منَ الألْحاد وَالشَّكِّ في أَمْره ».

وقال عليه السلام في الصحيفة السجّادية [دعاء في التحميد له عزّ وجلّ]:

«الْحَمْدُ للّه الَّذي تَجلّى للْقُلُوب بالْعَظَمَة، وَاحْتَجَبَ عَن الأبْصار بالْعزَّة، وَاقْتَدَرَ عَلَى الأَشْياء بالْقُدْرَة، فَلاَ الأبصارُ تَثْبُتُ لرُؤْيَته، وَلاَ الأَوْهامُ تَبْلُغُ كُنْهَ عَظَمَته. تَجَبَّرَ بالْعَظَمَة وَالْكبْرياء، وَتَعَطَّفَ بالْعزِّ وَالْبرِّ وَالْجَلال، وَتَقَدَّسَ بالْحُسْن وَالْجَمال، وَتَمَجَّدَ بالْفَخْر وَالْبَهاء، وَتَهَلَّلَ بالْمَجْد وَالآلاء، وَاسْتَخْلَصَ بالنُّور وَالضِّياء.

خالقٌ لا نَظيرَ لَهُ، وَأَحَدٌ لا ندَّ لَهُ، وَواحدٌ لا ضدَّ لَهُ، وَصَمَدٌ لا كُفْوَ لَهُ، وَإِلهٌ

لا ثانيَ مَعَهُ، وَفاطِرٌ لا شَريكَ لَهُ، وَرازِقٌ لا مُعينَ لَهُ.

وَالأوَّلُ بِلا زَوال، وَالدّائِمُ بِلا فَناء، وَالْقائِمُ بِلا عَناء، والْمُـؤْمِنُ بِـلا نهايَـة، وَالْمُبْدِئُ بِلا أَمَد، وَالصّانِعُ بِلا أَحَد، وَالرَّبُّ بِلا شَريك، وَالْفاطِـرُ بِـــلا كُلْفَـة، وَالْفَعّالُ بِلا عَجْز.

لَيْسَ لَهُ حَدٌّ في مَكان، وَلا غايَةٌ في زَمان، لَـمْ يَزَلْ وَلا يَـزُولُ، وَلَـنْ يَزالَ كَذلكَ أَبَداً، هُوَ الإلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، الدّائمُ الْقَديمُ، الْقادرُ الْحَكيمُ».

وقالعليه السلام في الصحيفة السجّادية[دعاء يوم الاثنين]:

«الْحَمْدُ للّه الَّذي لَمْ يُشْهِدْ أَحَداً حينَ فَطَرَ السَّماوات وَالأرْض، وَلاَ اتَّخَـذَ مُعيّناً حينَ بَرَأَ النَّسَمات، لَمْ يُشارَكْ في الإلهيَّة، وَلَمْ يُظاهَرْ في الْوَحْدانيَّة. كَلَّت الألْسُنُ عَنْ غايَة صفَته، وانْحَسَرَت الْعُقُولُ عَنْ كُنْه مَعْرفَته، وَتَواضَعَت الْجَبابرَةُ لهَيْبَته، وَعَنَت الْوُجُوهُ لخَشْيَته، وَانْقادَ كُلُّ عَظيم لعَظَمَته».

وقالعليه السلام في الصحيفة السجّادية [دعاء يوم السبت]:

«اللّهُمّ، أَنْتَ الْواحدُ بِلا شَريك، وَالْمَلكُ بِلا تَمْليك، لا تُضادُّ في حُكْمِـكَ، وَلا تُنازَعُ في مُلْكِكَ».

وفي دعاء السحر للإمام زين العابدينعليه السلام:

«بِكَ عَرَفْتُكَ وأنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْك وَوَعَدْتَني إِلَيْكَ، لَـوْلا أنْـتَ لَـمْ أدرِ مَـا أنْتَ».

وفي دعاء صاحب الزمانعجل الله فرجه في شهر رجب:

«يا مَنْ لا يُنْعَتُ بِتَمْثيل، وَلا يُمَثَّلُ بِنَظير، وَلا يُغْلَبُ بِظَهير، يـا مَـنْ خَلَـقَ فَرَزَقَ وَأَلْهَمَ فَأنْطَقَ، وَابْتَدَعَ فَشَرَعَ، وَعَلا فَارْتَفَعَ، وَقَدَّرَ فَأَحْسَنَ، وَصَوَّرَ فَـأَتْقَنَ، وَاحْتَجَّ فَأَبْلَغَ، وَأَنْعَمَ فَأَسْبَغَ، وَأَعْطى فَأَجْزَلَ، وَمَنَحَ فَأَفْضَلَ».

وجاء في دعاء الافتتاح الذي كان يدعو به محمّد بن عثمان العَمري ـ وهو أحد نوّاب الحجّة عليه السلام ـ:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ، وَلا شَبيهٌ يُشاكِلُهُ، وَلا ظَهيرٌ يُعاضِدُهُ، قَهَرَ بِعِزَّتِهِ الأَعِزّاءَ، وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ الْعُظَماءُ، فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشاءُ».

وفي (دعاء الافتتاح):

«الْحَمْدُ للهِ الَّذي مِنْ خَشْيَتِهِ تَرْعَدُ السَّماءُ وَسُكّانُها، وَتَرْجُفُ الأَرْضُ وَعُمّارُها، وَتَمُوجُ الْبِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمَراتِها».

ومن دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام:

«فَأَسْأَلُكَ يا رَبِّ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الأَرْضُ وَالسَّماواتُ، وَكُشِفَتْ بِهِ الظُّلُماتُ، وَصَلُحَ بِهِ أَمْرُ الأَوَّلينَ وَالآخِرين، أَنْ لا تُميتَني عَلى غَضَبِكَ، وَلا تُنْزِلْ بي سَخَطَكَ».

وفي تسبيح الملائكة المروي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«سُبْحانَ اللهِ بارِئِ النَّسَمِ، سُبْحانَ اللهِ الْمُصَوِّرِ، سُبْحانَ اللهِ خالِقِ الأَزْواجِ كُلِّها، سُبْحانَ اللهِ جاعِلِ الظُّلُماتِ وَالنُّورِ، سُبْحانَ اللهِ فالِقِ الْحَبِّ وَالنَّوى، سُبْحانَ اللهِ خالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، سُبْحانَ اللهِ خالِقِ ما يُرى وَما لا يُرى، سُبْحانَ اللهِ مِدادَ كَلِماتِهِ، سُبْحانَ اللهِ الَّذي يُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ، وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصيبُ بِها مَنْ يَشاءُ، وَيُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، وَيُنَزِّلُ الْماءَ مِنَ السَّماءِ بِكَلِمَتِهِ، وَيُنْبِتُ النَّباتَ بِقُدْرَتِهِ، وَيَسْقُطُ الْوَرَقُ بِعِلْمِهِ، سُبْحانَ اللهِ الَّذي لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ، وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إلا في كِتابٍ مُبينٍ».

علم الله

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « يَعْلَمُ عَجيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَواتِ، وَمَعاصِيَ

الْعبَاد في الْخَلَوَات، وَاخْتلاَفَ الحيتان فـي الْبِحَـار الْغَـامرّات، وَتَلاَطُـمَ الْمَـاءِ بالرِّيَاحِ الْعَاصِفَات »(١).

ويقول عليه السلام في دعاء الصباح:

«يا مَنْ قَرُبَ من خَواطر الظُّنونُ، وبَعُدَ عَنْ مُلاحَظَة العُيون، وعَلمَ بَما كَـانَ قَبْلَ أن يَكون».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية:

«اَللّـهُمّ لَكَ الْحَمْدُ في اللَّيْلِ إذا يَغْشى، وَلَكَ الْحَمْدُ في النَّهارِ إذا تَجَلّـى، وَلَكَ الْحَمْدُ في الآخرَة وَالأُولى، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ كُلِّ نَجْم وَمَلَك في السَّماء، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ الثَّرى وَالْحَصى وَالنَّوى، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما في جَوِّ السماء، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما في جَوْف الأرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَـدَدَ أوْزان ميـاه الْبحـار، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ أوْراق الأشْجار، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما عَلى وَجْه الأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما أحْصى كتابُكَ، وَلَك الْحَمْدُ عَدَدَ ما أحاطَ بـه علْمُـكَ، وَلَـكَ الْحَمْدُ عَدَدَ الأنْسِ وَالْجنِّ وَالْهَوامِّ وَالطَّيْرِ وَالْبَهائمِ والسِّباعِ».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية:

«سُبْحانَكَ تَرى ما في قَعْرِ الْماء، سُبحانَكَ تَسْمَعُ أنْفاسَ الْحيتانِ في قُعُـورِ الْبحار، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّماوات، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الأرَضينَ، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَر، سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَة وَالنُّور، سُبْحانَكَ تَعْلَـمُ وَزْنَ الْفيء وَالْهَـواء، سُبْحـانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الرّيـحِ.. كَـمْ هي منْ مثْقـال ذَرَّة؟»

(١) بحار الأنوار ٤: ٩٢ باب ٢.

شرح الدعاء:

حتى نشرع في شرح هذا الدعاء العميق الأغوار المتعدّد الجوانب، وخاصة ما يتعلّق بالضوء والنور، لا بأس أن نشير ونؤكّد على عجز الإنسان مهما ارتقى في العلم عن معرفة بعض الأشياء، حتى المنتشرة في كلّ مكان، ومنها ماهية الضوء، وماهية الجاذبية.

ماهية الضوء:

فبالنسبة إلى لضوء كان العالم نيوتن يرى أنّ الضوء عبارة عن حبّات مادّية تصدر عن المنبع المضيء، ثمّ جاء علماء آخرون فقالوا: إنّ الضوء (الفوتونات) عبارة عن حبّات طاقة. وظلّ الجدل قائماً حول طبيعة الضوء وماهيته، حتّى جاء العالم الفرنسي لوي دوبروي بنظريته المثنوية (الموجبة ـ الجسيمية) التي تمزج بين مفهوم الطاقة ومفهوم المادّة، مسترشداً بنظرية أينشتاين في تعادل المادة مع الطاقة، وقال: إنّ الفوتون هو مادة وطاقة في آن واحد، فإذا سلك سلوكاً موجباً ظنناه طاقة، كما في ظواهر التداخل والانعراج والاستقطاب (الضوء الفيزيائي)، وإذا سلك سلوكاً جسيمياً ظنناه مادة (الضوء الهندسي).

وزن النور:

فأمّا وزن النور، فظلّ هذا المعنى بعيداً عن مخيّلة العلماء، حتّى القرن العشرين، حين قرّر العلماء مبدأ تحوّل المادة إلى طاقة، والطاقة إلى مادة، فأمّا الأوّل فيحصل في التفاعلات النووية، وأما الثاني فيحصل في ظاهرة «إنتاج الأرواح»، التي يتحوّل فيها (فوتون الطاقة) إلى زوجين من الجسيمات المادّية،

هما: الألكترون السالب والالكترون الموجب.

وبناءً على ذلك المفهوم وضع العالم أنشتاين معادلته في تعادل المادّة والطاقة، وهي تقرر إمكانية تحول المادة إلى طاقة وبالعكس، وفق المعادلة التالية:

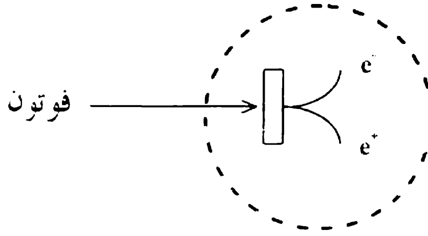
$$E= m.c^2$$

فإذا حصل تفاعل اندماج نووي مثلاً، وهو ما يحدث باستمرار في الشمس، نتيجة اندماج ذرّة من نظير الهيدورجين الثقيل (دوتيريوم) مع ذرّة أخرى، فإنّنا نلاحظ أن ذرّة الهليوم الناتجة تكون أقلّ كتلة من مجموع كتلة ذرّتي الدوتيريوم.

وهذا النقص البسيط في الكتلة هو الذي يتحول إلى طاقة نووية هائلة، يمكن حساب مقدارها بضرب الكتلة m بمقدار ثابت هو مربّع سرعة الضوء. علماً بأنّ سرعة الضوء تساوي ٣٠٠٠٠٠ كم / ثا. ويطبّق المبدأ نفسه عندما يحدث تفاعل انشطار نووي... إذن فالمادّة الضائعة لم تَفْنَ، وإنّما تحوّلت إلى طاقة.

نرجع إلى الحديث عن وزن النور، لنقول:

إنّ نور الشمس وغيره من الضوء المرئي وغير المرئي، إن هو إلا مظهر من مظاهر الطاقة الكهروطيسية، التي تشتمل أيضاً الأشعّة السينية (X-Ray) والأشعة النووية غاما (α)، ويعتبر نور الشمس من أضعف أنواع الطاقة الكهروطيسية. وبما أنّ النور طاقة تنتج من الشمس، فإنّه وفق قانون أنشتاين يعادل كتلة، والكتلة لها وزن. ويبدو هذا الوزن عندما تتحول الطاقة الضوئية إلى كتلة، وذلك في ظاهرة إنتاج الأزواج (انظر الشكل ـ ١ ـ).



(الشكل ١) : ظاهرة إنتاج الأزواج

وتتلخّص هذه الظاهرة التي اكتشفها العلماء مؤخّراً في أنّ فوتونين حاملين للضوء من طاقة معينة، إذا اصطدما بصحيفة من الألمنيوم، فإنّ الطاقة الضوئية تختفي عند الاصطدام لتظهر من جديد بصورة جسيمين مادّيين هما الأكترون السالب والألكترون الموجب، وتكون كتلة الجسيمين مساوية للطاقة المتحوّلة. وذلك موافق لما قال العالم الفرنسي لافوازييه: «لا شيء يفنى ولا شيء يوجد»، إلا أنّ لافوازييه طبّق مبدأه هذا على التفاعلات الكيميائية التي تتعامل مع الكتلة فقط، في حين طبّقه أنشتاين على كل التفاعلات، ومنها التفاعلات النووية التي يظهر فيها المبدأ جليّاً.

وزن الفَيء:

وأمّا الفَيء فهو الظلّ، وهو شيء وسط بين النور والظلمة، حيث إنّ ضوء الشمس لا يصل إلى مناطق الفيء مباشرة، ولكنّه يصل عن طريق حادثة «الانتثار»، وهي ظاهرة تحدث على السطوح غير المصقولة، كما تحدث في الهواء لاحتوائه على ذرّات معلّقة، فينثر ضوء الشمس على هذه الذرّات، ويتوزّع في كلّ مكان بشكل ضوء خفيف.

وهذا الفيء بما أنّه يحوي طاقة، فهو أيضاً ذو وزن، يمكن تقديره وحسابه كالضوء المباشر، إلا أنه يكون أقلّ منه قيمةً بشكل ملحوظ.

وزن الظّلمة:

أمّا الظلمة فهو انعدام النور، ولذا فهي لا تعادل أيّة كتلة، إلا إذا قلنا بأنّ الظلمة التامّة لا يمكن أن تتحقّق، فيظلّ هناك دائماً نور بسيط مخالط للظلمة، وإن كنّا لا نراه بحواسّنا، وهو يعادل كتلة وإن كانت زهيدة. ومع هذا التعليل فربّما يكون للظلمة التامّة كتلة، وإن كان العلم لم يتوصّل إلى معرفة ذلك حتّى الآن. مثل الفضاء الفارغ الذي نسمّيه الخلأ، مع أنّه شيء مخلوق له وجوده الفراغي ومقوّماته الخاصّة التي لم نعرفها حتّى الآن.

وقد علمت مؤخّراً أنّ أحد العلماء الأمريكان قد أثبت أنّ الظلام يتألّف من جسيمات عنصرية مادّية لم تكن مكتشفة من قبل، وذلك أنّ كلّ شيء موجود في الكون له ضدّ (أنتي)، والظلام هو الضدّ للنور.

وزن الهواء:

حوت عبارة الإمام السجّاد عليه السلام شيئين أخرين هما: وزن الهواء، ووزن الريح. فأمّا وزن الهوء فمعلوم، مع أنّ أغلب الناس لا يفكّرون بأنّ له وزناً، فإذا نفخنا بالوناً وضغطنا فيه الهواء، نجد أنّ وزنه يزيد عن وزنه حين كان فارغاً، ممّا يدلّ على أنّ للهواء ككل الغازات وزناً يتعلّق بكثافته [باعتبار أنّ الكثافة = الكتلة/ الحجم، والكتلة = الوزن x التعجيل الأرض].

ومن أدهش ما أثبته العلماء أنّ وزن الإنسان ينقص عند خروج روحه، ولا عجب؛ فإنّ الروح طاقة، وهي تعادل مادة ذات وزن وكتلة.

وزن الرّيح:

وأمّا وزن الريح، فمع أنّ الريح هو هواء، إلا أنّ الظاهرة هنا تختلف عن وزن الهواء حال سكونه. فالريح تضيف وزناً جديداً، حسب مبدأ القوّة. فنحن عندما نحمّل ثقلاً في يدنا، فإنّ وزنه ما هو إلا القوّة التي يؤثّر بها على يدنا، والتي تنتج عن جاذبية الأرض للأجسام، حسب القانون:

$$P= m.g$$

أي أنّ ثقل الجسم كتلته P هو جداء الثابتة m في التسارع (التعجيل) الأرضيg . وهكذا فإنّ كل قوّة تعادل ثقلاً، والثقل هو الوزن. فاندفاع الريح يعطي قوّة على الأجسام متشابهة تماماً للقوّة التي يولّدها الثقل على راحة اليد.

ولذلك قال عليه السلام: «**سُبْحانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الرّيحِ كَمْ هي مِنْ مِثْقالِ ذَرَّة** ». وفعلاً كلّما زادت سرعة الريح زادت قوّتها وزاد تعادلها مع الوزن.

وقد اتّخذ الإمام عليه السلام وحدة قياس الوزن «الذرة» التي هي أصغر وحدة لقياس الكتل. وإنّما قَرَن الجملة الأخيرة مع الريح لبيان عدم ثبات وزن الريح، فهو يتغيّر مع الزمن حسب تغيّر سرعتها.

الخلق عامّة

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية [دعاء يوم الاثنين]: «**الْحَمْدُ للّه الَّذي لَمْ يُشْهِدْ أحَداً حينَ فَطَرَ السَّماواتِ وَالأرْضَ، وَلاَ اتَّخَذَ مُعيناً حينَ بَرَأَ النَّسَماتِ**».

ويقولَ الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية [الدعاء السابع والأربعون]: «**وَأَنْتَ اللّهُ لا إلهَ إلا أَنْتَ الَّذي أَنْشَأْتَ الأَشْياءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخ، وَصَوَّرْتَ ما صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثال، وَابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعات بلاَ احْتذاء. أَنْتَ الَّذي قَدَّرْتَ كُلَّ شيء تَقْديراً، وَيَسَّرْتَ كُلَّ شيء تَيْسيراً، وَدَبَّرْتَ ما دُونَكَ تَدْبيراً. أَنْتَ الَّذي لَمْ يُعِنْكَ عَلى خَلْقِكَ شَريكٌ، وَلَمْ يُوازِرْكَ في أَمْرِكَ وَزيرٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مُشاهِدٌ وَلا نَظيرٌ**».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية[الدعاء السابع والأربعون]:
«أَنْتَ الَّذِي ابْتَدأَ وَاخْتَرَعَ، وَاسْتَحْدَثَ وَابْتَدَعَ، وَأَحْسَنَ صُنْعَ ما صَنَعَ».
وفي دعاء السمات:

«وَبعِلْمكَ وَجَلالكَ وَكِبْرِيائكَ وعِزَّتكَ وَجَبَرُوتكَ الّتي لَمْ تَستَقِلَّهَا الأَرْضُ وَانْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ وَانْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الأَكْبَرُ، وَرَكَدَتْ لَهَا الْبِحارُ وَالأَنْهارُ، وخَضَعَتْ لَهَا الْجِبالُ وَسَكَنَتْ لَهَا الأَرْضُ بِمَناكِبِها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائِقُ كُلُّها، وخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانِها، وَخَمَدَتْ لَهَا النِّيرانُ في أَوْطانِها».

دعاء العشرات [رواه الشيخ الطوسي]:

«وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ كُلِّ نَجْم وَمَلَك في السَّماء، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ الثَّرى وَالْحَصى وَالنَّوى، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما في جَوِّ السماء، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما في جَوْف الأَرْض، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ أَوْزان مياه الْبِحار، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ أَوْراق الأَشْجار، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما على وَجْه الأَرْض، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ ما أَحْصى كِتابُكَ، وَلَك الْحَمْدُ عَدَدَ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ عَدَدَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْهَوامِّ وَالطَّيْرِ وَالْبَهائِمِ والسِّباعِ».

تسخير الملائكة:

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة [خطبة الأشباح]:
«مِنْهُمْ مَنْ هُوَ في خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ[1]، وَفي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وَفي قَتْرَةِ

(١) أي: السحاب الثقيل الماء.

الظَّلَامِ الأَيْهَمِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَات بِيض قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ».

ويقول الإمام زين العابدينعليه السلام في الصحيفة السجّادية [الدعاء الثالث] عن الملائكة:

«وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْباقِ سَماواتِكَ، وَالَّذينَ عَلى أَرْجائها إذا نَزَلَ الأَمْرُ بِتَمامِ وَعْدِكَ، وَخُزّانِ الْمَطَرِ، وَزَواجِرِ السَّحابِ، وَالَّذي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودِ، وَإذا سَبَحَتْ بِهِ حَفيفَةُ السَّحابِ الْتَمَعَتْ صَواعِقُ الْبُرُوقِ، وَمُشَيِّعي الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَالْهابِطينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إذا نَزَلَ، وَالْقُوّامِ عَلى خَزائِنِ الرِّياحِ، وَالْمُوَكَّلينَ بِالْجِبالِ فَلا تَزُولُ، وَالَّذينَ عَرَّفْتَهُمْ مَثاقيلَ الْمِياهِ، وَكَيْلَ ما تَحْويهِ لَواعِجُ الأَمْطارِ وَعَوالِجُها».

خلق السماوات (والنجوم والكواكب):

يقول الإمام عليعليه السلام في نهج البلاغة [خطبة في عجيب صنعة الكون]:

«وَكَانَ مِن اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ»[(١)].

---

(١) هنا إشارة إلى نظرية الإمام عليعليه السلام في خلق الكون، وهي أنّ الكتلة الأولى التي كانت قبل الانفجار الكوني الكبير، كانت هيولي سائلة، وهي مؤلّفة من الجسيمات العنصرية الأوّلية التي شكّلت بعد انفجار العناصر المختلفة، بدءاً من الهيدروجين وهو أبسطها. ومع تشكّل العناصر تشكّلت الأجسام الجامدة والأجرام اليابسة.

لمزيد من المعلومات راجع كتابنا (علوم الطبيعة في نهج البلاغة).

ويقول عليه السلام في خطبة له في [الله الواحد]:

«فَمِنْ شَوَاهِد خَلْقِه خَلْقُ السَّماوَات مُوَطَّدَات بلاَ عَمَد، قَائمَات بِلاَ سَنَد، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائعَات مُذْعنَات، غَيْرَ مُتَلَكِّئَات وَلاَ مُبْطئَات ».

دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلا يَخافُكَ، وَمَن ذا يَعْلَمُ ما أَنْتَ فَلا يَهابُكَ، أَلَّفْتَ بِقُدْرَتِكَ الْفِرَقَ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الْفَلَقَ، وَأَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَياجِي الْغَسَقِ، وَأَنْهَرْتَ الْمِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخِيد عَذْباً وَأُجاجاً، وَأَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِيَّة سِراجاً وَهّاجاً».

دعاء السمات:

«وَبِقُوَّتِكَ الَّتي بِها تُمْسِكُ السَّماَءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِكَ، وَتُمْسِكُ السَّماوات وَالأَرْضَ اَنْ تَزُولا، وَبِمَشِيَّتِكَ الَّتي دانَ (كانَ) لَهَا الْعالَمُونَ، وَبِكَلِمَتِكَ الَّتي خَلَقْتَ بِهَا السَّماوات وَالأَرْضَ».

دعاء السمات:

«وَخَلَقْتَ بِهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِياَءً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً، وَخَلَقْتَ بِهَا الْكَواكِبَ وَجَعَلْتَها نُجُوماً وَبُرُوجاً وَمَصابيحَ وَزِينَةً وَرُجُوماً، وَجَعَلْتَ لَها مَشارِقَ وَمَغارِبَ وَجَعَلْتَ لَها مَطالِعَ وَمَجارِيَ، وَجَعَلْتَ لَها فَلَكاً وَمَسابِحَ وَقَدَّرْتَها في السَّماَءِ مَنازِلَ فَأَحْسَنْتَ تَقْديرَها، وَصَوَّرْتَها فَأَحْسَنْتَ تَصْويرَها، وَأَحْصَيْتَها بِأَسْماَئِكَ إِحْصاَءً، وَدَبَّرْتَها بِحِكْمَتِكَ تَدْبيراً فَأَحْسَنْتَ تَدْبيرَها وَسَخَّرْتَها بِسُلْطانِ اللَّيْلِ وَسُلْطانِ النَّهارِ وَالسّاعاتِ وَعَدَدَ السِّنينَ وَالْحِسابِ، وَجَعَلْتَ رُؤْيَتَها لِجَميعِ النّاسِ مَرْأىً واحِداً».

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام:

«تُسَبِّحُ لَكَ السَّماواتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ وَمَنْ فيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شيء إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ».

دعاء عرفة في الصلاة على محمّد وآل محمّد:

«رَبِّ، صَلِّ عَلَيْهِم زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ، وَمِلء سَمواتِكَ وَمَا فَوْقَهنَّ، وَعَدَدَ أرضيكَ وَمَا تحتَهَنَّ وَما بَيْنَهُنَّ».

الشمس والقمر:

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة [خلق العالم]:

«ثُمَّ زَيَّنَهَا [أي السماوات] بزينَة الكَوَاكب، وَضياء الثَّوَاقب، وأَجْرَى فيها سراجاً مُسْتَطيراً[أي الشمس]، وَقَمَراً مُنيراً، في فَلَك دَائر، وَسَقْف سَائر، وَرَقيم مَائر[1]».

ويقول عليه السلام في [خطبة الأشباح ـ الربع الثاني]:

«وَأَمَرَهَا [أي السماء] أَنْ تَقفَ مُسْتَسْلمَةً لأَمْره، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصرَةً لنَهَارهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً منْ لَيْلهَا، وَأَجْرَاهُمَا في مَنَاقل مَجْرَاهُمَا، وَقَدَّرَ مَسيرَهُما في مَدَارج دَرَجهمَا؛ ليمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْل وَالنَّهَار بهمَا، وَليُعْلَمَ عَدَدُ السِّنينَ والْحسَابُ بمَقَاديرهمَا».

دعاء السمات:

«وَبِكَلمَتكَ الّتي خَلَقْتَ بهَا السَّماوات وَالأَرْضَ، وَبحكْمَتكَ الّتي صَنَعْتَ بهَا الْعجائبَ وَخَلَقْتَ بهَا الظُّلْمَةَ وَجَعَلْتَها لَيْلاً وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً (مَسْكَناً) وَخَلَقْتَ بهَا النُّورَ وَجَعَلْتَهُ نَهاراً وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصراً، وَخَلَقْتَ بهَا الشَّمْسَ وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَخَلَقْتَ بهَا الْقَمَرَ وَجَعَلْتَ الْقَمَرَ نُوراً».

---

(١) المائر: أي المتحرّك.

دعاء رؤية هلال شهر رمضان:

ولم أقرأ أروع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في أدعية رؤية هلال شهر رمضان.

فعن ابن طاووس: أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ في طريقه يوماً، فنظر إلى هلال شهر رمضان، فوقف فقال:

«أَيُّها الْخَلْقُ الْمُطيعُ الدّائبُ السَّريعُ، الْمُتَرَدِّدُ في مَنازِل التَّقْدير، الْمُتَصَرِّفُ في فَلَك التَّدْبير، آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهَمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آياتِ مُلْكِه، وَعَلامةً مِنْ عَلاماتِ سُلْطانِه، وَامْتَهَنَكَ بِالزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ، وَالطُّلُوعِ وَالأُفُولِ، وَالإِنارَةِ وَالْكُسُوفِ، في كُلِّ ذلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطيعٌ، وَإِلى إِرادَتِه سَريعٌ. سُبْحانَهُ ما أَعْجَبَ ما دَبَّرَ في أَمْرِكَ، وَأَلْطَفَ ما صَنَعَ في شَأْنِكَ! جَعَلَكَ مِفْتاحَ شَهْرٍ حادِثٍ لأَمْرٍ حادِثٍ..».

خلق الأرض:

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَال، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَار، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ[1] وَالاعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالانْفِرَاجِ، أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلاَ ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ!».

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام:

«يا مَنْ كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى الْماءِ، وَسَدَّ الْهَواءَ بِالسَّماءِ».

---

(١) الأود: الإنشاء، والإعوجاج؛ وأقام أوْده، أي: قوَّم إعوجاجه.

دعاء الصباح والمساء لزين العابدين عليه السلام:

«أصْبَحْنا وأصْبَحَت الأشياءُ كُلُّها بجُمْلَتها لَكَ؛ سَماؤُها وأرْضُها، وَمَا بَثَثْتَ في كُلِّ واحد منْهُما، ساكنهُ وَمُتَحَرِّكهُ، وَمُقيمهُ وَشاخصه، وَمَا عَلا في الهَواء، وَمَا كَنَّ تَحْتَ الثرى».

خلق الجبال وإلينابيع (والبحار والأنهار):

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة [خطبة الأشباح]:

«فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاء منْ تَحْت أَكْنَافهَا[1]، وَحَمْل شَوَاهق الْجِبَال الشُّمَّخ الْبُذَّخ عَلَى أَكْتَافهَا، فَجَّرَ يَنَابيعَ الْعُيُون منْ عَرَانين[2] أُنُوفهَا، وَفَرَّقَهَا في سُهُوب بيدهَا وَأَخَاديدهَا، وَعَدَّلَ حَرَكَاتهَا بالرَّاسيَات منْ جَلاَميدهَا، وَذَوَات الشَّنَاخيب[3] الشُّمِّ منْ صَيَاخيدهَا[4]، فَسَكَنَتْ منَ الْمَيَدَان[5] لرُسُوب الْجِبَال في قطَع أَديمهَا، وَتَغَلْغُلهَا مُتَسَرِّبَةً في جَوْبَات خَيَاشيمهَا، وَرُكُوبهَا أَعْنَاقَ سُهُول الأَرَضينَ وَجَرَاثيمهَا».

دعاء السمات:

«وَجَبَرُوتكَ الّتي لَمْ تَسْتَقلَّهَا الأرْضُ، وَأنْخَفَضَتْ لَهَا السَّماواتُ، وَأنْزَجَرَ لَهَا الْعُمْقُ الأكْبَرُ، وَرَكَدَتْ لَهَا الْبحارُ وَالأنْهارُ، وخَضَعَتْ لَهَا الْجبالُ، وَسَكَنَتْ لَهَا الأرْضُ بمَناكبها، وَاسْتَسْلَمَتْ لَهَا الْخَلائقُ كُلُّها، وخَفَقَتْ لَهَا الرِّياحُ في جَرَيانها».

---

(١) الضمير عائد للأرض.

(٢) العرانين جمع عرنين: وهو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشّمم.

(٣) أي: رؤوس الجبال.

(٤) أي صخورها القويّة.

(٥) أي: الاضطراب.

دعاء الافتتاح:

«الْحَمْدُ لله الَّذي مِنْ خَشْيَته تَرْعَدُ السَّماءُ وَسُكّانُها، وَتَرْجُفُ الأَرْضُ وَعُمّارُها، وَتَمُوجُ الْبِحارُ وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمرّاتها».

الرياح والسحب والمطر (والرعد والبرق):

يقول الإمام عليعليه السلام في نهج البلاغة [الخطبة ١٨٣]:

«وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ، فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا[١]، وَعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا».

ويقولعليه السلام في [خطبة الأشباح]:

«ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُون عَنْ رَوَابِيهَا، وَلا تَجِدُ جَدَاولُ الأَنْهَار ذَرِيعَةً إلى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَاب تُحْيِي مَوَاتَهَا، وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاق لُمَعِهَ، وَتَبَايُن قَزَعِه[٢]».

يقول الإمام زين العابدينعليه السلام في الصحيفة السجّادية [من دعائهعليه السلام إذا نظر إلى السحاب والبرق وسمع صوت الرعد]:

«اللّهُمَّ، إنَّ هذَيْن آيَتان منْ آياتكَ، وَهذَيْن عَوْنَان مِنْ أَعْوانكَ، يَبْتَدِران طاعَتَكَ برَحْمَة نافعَة، أَوْ نَقْمَة ضارَّة، فَلا تُمْطِرْنا بِهِما مَطَرَ السَّوْءِ، وَلا تُلْبِسْنا بِهِما لِباسَ الْبَلاءِ ».

دعاء الافتتاح:

«يَا مَنْ أَرْسَلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَته».

---

(١) جمع ديمة، وهي: السحابة الممطرة.

(٢) القَزَع: جمع قَزَعة، وهي: القطعة من الغيم.

دعاء الإمام زين العابدين﷣ في الاستسقاء

ويقول الإمام زين العابدين﷣ في الصحيفة السجّادية [من دعائه﷣ عند الاستسقاء بعد الجدب]:

«اللّهُمَّ، اسْقنا الْغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَكَ بغَيْثِكَ الْمُغْدق منَ السَّحاب الْمُنْساق لنَبات أَرْضكَ، الْمُونق في جَميع الآفاق، وامْنُنْ عَلى عبادكَ بإيناع الثّمَرَة، وَأَحْيِ بلادَكَ ببُلُوغ الزَّهْرَة، وَأَشْهدْ مَلائكَتَكَ الْكرامَ السَّفَرَةَ بسَقْيٍ منْكَ نافع، دائم غُزْرُهُ، واسع درَرُهُ، وابل سَريع عاجل، تُحْيي به ما قَدْ ماتَ، وتَرُدُّ به ما قَدْ فاتَ، وتُخْرجُ به ما هُوَ آت، وَتُوَسّعُ به في الأَقْوات، سَحاباً مُتَراكماً، هَنيئاً مَريئاً، طَبَقاً مُجَلْجَلاً، غَيْرَ مُلثٍّ وَدْقُهُ، وَلا خُلَّبٍ بَرْقُهُ.

اللّهُمَّ، اسْقنا غَيْثاً مُغيثاً، مَريعاً مُمْرعاً، عَريضاً واسعاً غَزيراً، تَرُدُّ به النَّهيضَ، وَتَجْبُرُ به الْمَهيضَ.

اللّهُمَّ، اسْقنا سَقْياً تُسيلُ منْهُ الظِّرابَ، وَتَمْلأُ منْهُ الْجبابَ، وَتُفَجِّرُ به الأَنْهارَ، وَتُنْبتُ به الأَشْجارَ، وَتُرْخصُ به الأَسْعارَ في جَميع الأَمْصار، وَتُنْعشُ به الْبَهائمَ وَالْخَلْقَ، وَتُكْملُ لَنا به طَيِّبات الرِّزْق، وَتُنْبتُ لَنا به الزَّرْعَ، وَتُدرُّ به الضَّرْعَ، وَتَزيدُنا به قُوَّةً إلى قُوَّتنا.

اللّهُمَّ، لا تَجْعَلْ ظلَّهُ عَلَيْنا سَمُوماً، وَلا تَجْعَل بَرْدَهُ عَلَيْنا حُسُوماً، وَلا تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنا رُجُوماً، وَلا تَجْعَلْ ماءَهُ عَلَيْنا أُجاجاً.

اللّهُمَّ، صَلِّ عَلى محمّد وَآل محمّد، وَارْزُقْنا منْ بَرَكات السَّماوات وَالأَرْض، إنَّكَ عَلى كُلِّ شيء قَديرٌ».

الصباح والإصباح (والليل والنهار):

تنشأ ظواهر عديدة نتيجة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، فمن

دوران الأرض حول محورها ينشأ الليل والنهار، ومن دورانها حول الشمس في مستو يدعى (الصفيحة الاستوائية) تنشأ الفصول الأربعة، نتيجة ميل محور الأرض على الناظم المقام على الصفيحة بمقدار ٢٣ درجة. وترسم الأرض عند دورانها حول الشمس مداراً إهليليجياً هو قطع ناقص، يحدد محوراه أربع نقاط؛ هي: نقطة الحضيض ٢١ كانون الأوّل، ونقطة الأوج ٢١ حزيران، ونقطة الاعتدال الربيعي ٢١ آذار، ونقطة الاعتدال الخريفي ٢١ أيلول. وفي نقطتي الاعتدال يتساوى طول الليل والنهار في كلّ أنحاء الأرض.

معنى فالق الإصباح:

وبعد ليل موغل في الظلام، تشرق الشمس فتملأ بنورها الجبال والسهول والوديان، ميسّرة مرافق العمل لبني الإنسان، فتبارك اللهُ الملك الرحمان.

يبدأ الفجر يشقّ الأفق بنوره الصادق، فكأنه يفلق عتمة الليل بنوره الخارق. فسبحان مَن فلق الصباح بنور ضيائه، وسرّح قطع الليل بضوء شعاعه!

يقول تعالى: **﴿قُلْ أعوذُ بِرَبِّ الفَلَق﴾**، ومن أبرز مصاديق هذا الفلق أنّه سبحانه فالق الإصباح.

دعاء الافتتاح:

«اَلْحَمْدُ لله مالك الْمُلْك، مُجْرِي الْفُلْك، مُسَخِّرِ الرِّياحِ، فالقِ الإصْباحِ، دَيّانِ الدّين، رَبِّ الْعَالَمينَ».

دعاء الافتتاح:

«اَلْحَمْدُ لله خالِقِ الْخَلْقِ، باسِطِ الرِّزْقِ، فالقِ اَلإصْباحِ ذِي الْجَلالِ وَالإكْرامِ وَالْفَضْلِ وَالإنْعامِ».

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الصباح والمساء:

«اللّهُمَّ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلى مَا فَلَقْتَ لَنا من الإصْباحِ، وَمَتَّعْتَنا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهار، وَبَصَّرْتَنا به مِن مَطالبِ الأقْوات، وَوَقَّيْتَنا فيه من طَوارِقِ الآفات».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة [دعاء يوم الأربعاء]:

«الْحَمْدُ لِلّه الَّذي جَعَلَ اللَّيلَ لِباساً، وَالنَّوْمَ سُباتاً، وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُوراً».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة [دعاء يوم الخميس]:

«الْحَمْدُ لِلّه الَّذي أَذْهَبَ اللَّيْلَ مُظْلِماً بِقُدْرَتِه، وَجاءَ بِالنَّهارِ مُبْصِراً بِرَحْمَتِهِ، وَكَساني ضِياءَهُ، وَآتاني نِعْمَتَهُ».

دعاء الفرج لأمير المؤمنين عليه السلام:

«أَنْتَ الَّذي سَجَدَ لَكَ سَوادُ اللَّيْلِ وَنُورُ النَّهارِ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ، وَشُعاعُ الشَّمْسِ، وَحَفيفُ الشَّجَرِ، وَدَوِيُّ الْماءِ».

دعاء السمات:

«وَبِحِكْمَتِكَ الّتي صَنَعْتَ بِهَا الْعَجائِبَ، وَخَلَقْتَ بِهَا الظُّلْمَةَ، وَجَعَلْتَها لَيْلاً وَجَعَلْتَ اللَّيْلَ سَكَناً (مَسْكَناً)، وَخَلَقْتَ بِهَا النُّورَ، وَجَعَلْتَهُ نَهاراً، وَجَعَلْتَ النَّهارَ نُشُوراً مُبْصِراً».

دعاء ليلة عرفة، رواه الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله:

«يا مَنْ لا يُواري مِنْهُ لَيْلٌ داج، وَلا بَحْرٌ عَجّاجٌ، وَلا سَماءٌ ذاتُ أَبْراج، وَلا ظُلَمٌ ذاتُ ارْتِتاج».

خلق الإنسان:

يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة [الخطبة ١٦١]:

«أَيُّهَا المَخْلُوقُ السَّوِيُّ، وَالْمُنْشأُ الْمَرْعِيُّ، في ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ في قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ في بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً، لاَ تُحِيرُ دُعَاءً، وَلاَ تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَدَاكَ لاِجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ؟ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ؟».

ويقول عليهعليه السلام [الخطبة الغرّاء ٨١ ـ الثلث الأخير]:

«أَمْ هذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِفَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً. ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لاَفِظاً، وَبَصَراً لاَحِظاً...».

يقول الإمام زين العابدينعليه السلام في الصحيفة السجّادية[دعاؤهعليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء]:

«ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ».

ويقول الإمام زين العابدينعليه السلام في الصحيفة السجّادية [دعاء الثغور]:

«اللَّهُمَّ، عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لاتَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلا لأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ».

ويقول الإمام زين العابدينعليه السلام في الصحيفة السجّادية[الدعاء الثاني والثلاثون]:

«اللّهُمَّ، وَأَنْتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً، مِنْ صُلْبٍ مُتَضَائِقِ الْعِظَامِ، حَرِجِ الْمَسَالِكِ، إِلَى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ، سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ، تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَالٍ، حَتَّى انْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ، وَأَثْبَتَّ فِيَّ الْجَوَارِحَ، كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ: نُطْفَةً

ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عظاماً، ثُمَّ كَسَوْتَ الْعظامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْتَني خَلْقاً آخَرَ كَما شِئْتَ. حَتّى إذَا احْتَجْتُ إلى رِزْقِكَ، وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِياثِ فَضْلِكَ جَعَلْتَ لي قُوتاً مِنْ فَضْلِ طَعامٍ وَشَرابٍ أَجْرَيْتَهُ لأَمَتِكَ الَّتي أَسْكَنْتَني جَوْفَها، وَأَوْدَعْتَني قَرارَ رَحِمِها».

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجّادية [دعاؤه عليه السلام في الرهبة]: «اللّهُمَّ، إنَّكَ خَلَقْتَني سَوِيّاً، وَرَبَّيْتَني صَغيراً، وَرَزَقْتَني مَكْفِيّاً».

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام:

«فابْتَدَعْتَ خَلْقي مِنْ مَنِيٍّ يُمْني، وَاَسْكَنْتَني في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ، بَيْنَ لَحْمٍ وَدَمٍ وَجِلْدٍ، لَمْ تُشْهِدْني خَلْقي، وَلَمْ تَجْعَلْ إلَيَّ شَيْئاً مِنْ أمْري، ثُمَّ اَخْرَجْتَني لِلَّذي سَبَقَ لي مِنَ الْهُدى إلَى الدُّنْيا تآمّاً سَوِيّاً. وَحَفِظْتَني في الْمَهْدِ طِفْلاً صَبِيّاً، وَرَزَقْتَني مِنَ الْغِذآءِ لَبَناً مَرِيّاً، وَعَطَفْتَ عَلَيَّ قُلُوبَ الْحَواضِنِ، وَكَفَّلْتَني الأُمَّهاتِ الرَّواحِمَ، وَكَلأْتَني مِنْ طَوارِقِ الْجآنِّ، وَسَلَّمْتَني مِنَ الزِّيادَةِ وَالنُّقْصانِ، فَتَعالَيْتَ يا رَحيمُ يا رَحْمنُ، حَتّى إذَا اسْتَهْلَلْتُ ناطِقاً بِالْكَلامِ، اَتْمَمْتَ عَلَيَّ سَوابِغَ الأَنْعامِ، وَرَبَّيْتَني آيِداً في كُلِّ عامٍ».

دعاء عرفة:

« وَأَنَا اَشْهَدُ يا إلهي[1] بِحَقيقَةِ إيماني، وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقيني، وَخالِصِ

---

(١) يريد الإمام الحسين عليه السلام من ذكر هذه النعم التي أعطانا الله إيّاها، أن يقول: إنّي أعترف أمام الله أن لو حاولت طول عمري المديد أن أشكر نعمة واحدة من هذه النعم، لما أدّيت حقّ شكرها إلا بتوفيق من الله، فكيف لو أردت شكرها جميعاً.

صَريحِ تَوْحيدي، وَباطِنِ مَكْنُون ضَميري، وَعَلائقِ مَجاري نُور بَصَري، وَأساريرِ صَفْحَة جَبيني، وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسي، وَخَذاريفِ(١) مارنِ عِرْنَيني، وَمَسارِبِ(٢) صِماخِ سَمْعي، وَما ضُمَّتْ وَأَطبَقَتْ عَلَيْه شَفَتايَ، وَحركاتِ لَفظِ لساني، وَمَغْرَزِ حَنَكِ فَمي وَفَكّي، وَمَنابتِ أضْراسي، وَمَساغِ مَطْعَمي وَمَشْرَبي، وَحمالَةِ أُمِّ رَأْسي، وَبُلُوغِ فارِغِ حبائلِ عُنُقي، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْه تامُورُ(٣) صَدري، وَحمائلِ حَبْلِ وَتيني(٤)، وَنياطِ(٥) حجابِ قَلْبي، وَأَفْلاذِ حَواشي كَبِدي، وَما حَوَتْهُ شَراسيفُ(٦) أضْلاعي، وَحقاقُ مَفاصِلي، وَقَبضُ عَواملي، وَأطرافُ أناملي وَلَحْمي وَدَمي، وَشَعْري وَبَشَري، وَعَصَبي وَقَصَبي، وَعظامي وَمُخّي وَعُرُوقي، وَجَميعُ جَوارحي، وَمَا انْتَسَجَ عَلى ذلكَ أيّامَ رِضاعي، وَما أقلَّت الأرْضُ منّي، وَنَوْمي وَيقَظَتي وَسُكُوني وَحرَكاتِ رُكُوعي وَسُجُودي، أنْ لَوْ حاوَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ مَدَى الأعصارِ وَالأَحْقابِ لَوْ عُمِّرْتُها أنْ أُؤدِّيَ شُكْرَ واحدَةٍ منْ أَنْعُمكَ مَا اسْتَطَعْتُ ذلكَ إلا بِمَنِّكَ الْمُوجَبِ عَلَيَّ به شُكْرَكَ أبَداً جَديداً، وَثَناءً طارفاً عَتيداً».



(١) الخذاريف: جمع خَذْرَف، وهي القطع. والعرنين: الأنف، ومارن العرنين: ما لانَ منه، فهو مرن.
(٢) المسارب: جمع مَسْرَب، وهو مكان التّسرُّب. والصماخ: قناة الأذن التي تُفضي إلى غشاء الطبل.
(٣) التامور: الوعاء أو القلب.
(٤) الوتين: الشريان الرئيس الذي يخرج من القلب ليغذّي جسم الإنسان بالدم النقي، وهو الأبهر. والحمائل: هي العلائق التي تحمل الشريان الأبهر وتثبته.
(٥) النياط: ما يُعلّق به الشيء.
(٦) الشراسيف: جمع شُرسوف، وهو: الطرف اللّين من الضلع ممّا يلي البطن.

نظرية الإمامة والقيادة في الفكر السجّادي

❑ أ.د السيد محمود محمّد الموسوي

بين يَدَي البحث

لقد وردت نصوص روائية وتاريخية كثيرة جدّاً عن الإمام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام فيما يتعلّق بالإمامة والأئمّة، وهذه النصوص واضحة بيّنة من حيث المتون، وأمّا من حيث السند فإنّ عدداً غير قليل منها معتَدٌّ به ومعتبرٌ سندياً.

إنّ المحصّلة النهائية التي يخرج منها الباحث هي أنّ الإمام السجّاد عليه السلام لم يترك الحديث عن الإمامة، أو تحديد الموقف الشرعي منها، أو يدعها سدىً، بل قد شرح فكرته حولها، وأعرب عن النصوص التي تلقّاها بصورة مباشرة وغير مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإمام علي بن أبي طالب والصدّيقة فاطمة الزهراء والإمامين الهمامين الحسن والحسين عليهم السلام.

إنّ قضية الإفصاح عن الإمامة والأئمّة من مثل الإمام السجّاد أمر يَتّسق والمنطق، ويتناغم والفكر الرسالي الذي يحمله عليه السلام؛ إذ أنّ مسألة الإمامة والقيادة العامّة مسألة بالغة الأهمّية، وخطيرة جداً، فليس المتوقّع من مثله ـ وهو الأب الروحي والقائد الرسالي والحريص على المصلحة العامّة للمسلمين وللناس أجمعين ـ أنّ لا يتعرّض لها بحديث، ويشخّص معالمها بفكر سديد.

ولمّا كانت الإمامة الكبرى[١] أعلى المناصب السياسية في الإسلام بعد النبوة، إذاً لا بدّ أنّ يعدّ الحديث عنها حديثاً عن الفكر السياسي في الإسلام، والتعرّف عليها تعرّفاً على جوهر متميز من جواهر فلسفة الإدارة والحكم.

ومن هذا المنطلق تكلّمنا بشكل وجيز قبل الدخول إلى صميم البحث عن الإمامة في اللغة، والإمام في القرآن الكريم، والإمامة في الاصطلاح السياسي.

الإمامة في اللغة

الإمام: ما ائتم به من رئيس وغيره، والجمع أئمة، وفي التنزيل العزيز ﴿**فَقَاتِلُواْ أئمّة الْكُفْرِ**﴾[٢]، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم. قال ابن سيّده: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أئمّة يَدْعُونَ إلى النَّارِ**﴾[٣]. أي: من تبعهم فهو في النار يوم القيامة...

ذكر الجوهري: الإمام: الذي يقتدى به وجمعه أيمة. وإمام كلّ شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيّدنا محمّد رسول اللهصلى الله عليه وآله إمام الأئمّة والخليفة إمام الرعية، وإمام الجند قائدهم. وهذا أيمّ من هذا، وأومّ من هذا، أي: أحسن إمامة منه، وأممت القوم في الصلاة إمامة. وائتمّ به، أي: اقتدى به، والإمام المثال... والإمام الخيط الذي يمدّ على البناء فيبنى عليه، ويسوى عليه ساف البناء وهو من ذلك.

وفي الصحاح: الإمام: خشبة البنّاء يسوي عليها البناء. وأمام القبلة تلقاؤها، والحادي إمام الابل وان كان وراءها لأنّه الهادي لها. والإمام الطريق[٤].

---

(١) تمييزاً لها عن الإمامة الصغرى، وهي إمامة الصلاة .

(٢) سورة التوبة : ١٢.

(٣) سورة الطور : ١٣ .

(٤) ابن منظور الأفريقي، لسان العرب ١٢ : ٢٤ ـ ٢٦، مادة أمم ، وقد نقلنا عنه باختصار .

الإمام في القرآن الكريم

يختلف استعمال القرآن الكريم للفظة الإمام بين مورد وآخر كما في الآيات التالية، فتارة يستعمله بالمعنى اللغوي، وتارة يستعمله بالمعنى السياسي. فمثال المعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾[١]، أي: قدوة ومثال ينبغي أنّ يُحتذى .

ومن المعنى اللغوي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصحاب الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، أي: بطريق واضح.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٣]، والمقصود به اللوح المحفوظ .

ومثال المعنى السياسي قوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئمّة وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ* وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾[٤] . ودلالة المعنى السياسي في الآية واضحة لا سيّما مع قرينة ونجعلهم الوارثين، أي: يرثون الأرض، ومع قرينة ونمكّن لهم في الأرض وقرينة إراءة فرعون وهامان وجنودهما ما يحذرون منهم، فإنّما يتمّ ذلك مع وجود إمامة سياسية وقيادة قويّة متمكّنة جديرة.

---

(١) سورة هود: ١٧ وسورة الأحقاف: ١٢.

(٢) سورة الحجر : ٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) سورة يس : ١٢ .

(٤) سورة القصص : ٥ ـ ٦ .

وكذا قوله تعالى: ﴿فَقاتِلُواْ أئمّة الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهونَ﴾[1]، أي: قادة الكفر وزعماء الضلالة والانحراف.

ومن المعنى السياسي قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمّة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَ كَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2] .

الإمامة في الاصطلاح السياسي

الإمامة في الاصطلاح السياسي تعني: القيادة الإسلامية أو الخلافة، والفارق ما بين الإمامة في اللغة كما مرَّ وبين الإمامة في الاصطلاح السياسي أنّها في اللغة أكثر احاطة وأوسع دائرة منها في الاصطلاح، والتمييز ما بينهما ليس مستصعباً لدى القارئ الكريم .

وسوف نسوق عدداً من الأمثلة الروائية والتاريخية والأدبية شواهد على المقصود، والحكمة من كلّ ذلك أنّ نحدّد معنى الإمامة في نصوص الإمام زين العابدين وكلماته على ضوء المصطلح السياسي والعرفي والخطابي عند المسلمين على مختلف مواردهم ومصادرهم ومشاربهم.

أوّلاً: عقد البخاري في صحيحه باباً بعنوان: (بطانة الإمام وأهل مشورته). وممّا جاء فيه: ... عن أبي سعيد الخدري عن النبيصلى الله عليه وآله: «**ما بعث الله من نبي واستخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضّه عليه، وبطانة تأمره بالشرّ وتحضّه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى**»[3] .

---

(١) سورة التوبة : ١٢.

(٢) سورة السجدة: ٢٤ .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٣: ١٨٩ .

ثانياً: كما عقد البخاري باباً بعنوان: (كيف يبايع الإمام الناس)[١]، والمراد من الإمام الخليفة؛ لأنّه الذي يبايع .

ثالثاً: روى الحاكم بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الأئمّة من قريش أبرارها امراء ابرارها، وفجّارها أمراء فجّارها. وإن أُمّرتُ عليكم عبداً حبشيا مجدّعاً فاسمعوا له وأطيعوا**»[٢] .

فالتعبير بكلمة أمراء وكذلك أُمرت إضافة إلى الأمر بالسمع والطاعة، كلّ ذلك يلقي الضوء الأخضر، بل يصرح بالمعنى السياسي من كلمة الأئمّةلا سيّما مع تكرار التعبير بالأُمراء.

رابعاً: قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام معلّقاً على بعض أخبار السقيفة إبان وقوعها: «**مَا قَالَت الأَنْصَارُ**»؟ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ عليه السلام: «**فَهَلا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إلى مُحْسِنهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ**»؟ قَالُوا: وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّة عَلَيْهِم؟ فَقَالَ: «**لَوْ كَانَ الإمامةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِم**»[٣] .

والإمامة في كلامه عليه السلام تعني بالضرورة الإمامة السياسية بقرينة أحداث السقيفة، وكذا قول الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير.

خامساً: لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار، فيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً فقالوا له: إنّه لا بد للناس من إمام . قال: «لا حاجة لي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به»، فقالوا: ما نختار غيرك ، وتردّدوا إليه مراراً وقالوا له في آخر ذلك : إنّا لا نعلم أحداً أحقّ به منك ، لا

---

(١) المصدر السابق ١٣: ١٩٢ .

(٢) مستدرك الحاكم ٤ : ٧٦ .

(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٦ : ٤ .

أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «**لا تفعلوا فإنّي أكون وزيراً خيراً من أنّ أكون أميراً**، **فقالوا**: والله، ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك. قال: «**ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا في المسجد**»[(١)].

قوله صلى الله عليه وآله: «**أنّ بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا في المسجد**» يفسّر معنى قول المهاجرين والأنصار: أنّه لا بُدَّ للناس من إمام ، إنّهم أرادوا خليفة جديداً بعد قتل عثمان .

سادساً: قال عمار بن ياسر (رضي الله عنه) حول بيعة الإمام علي عليه السلام أبياتاً مطلعها:

قال سعد لذي الإمام وسعدٌ   في الــذي قاله حقيقٌ ظلومُ [(٢)]

وثم أدلّة وشواهد في المقام كثيرة جداً لو أردنا إيرادها جميعا رواية وتاريخاً وأدباً لاحتجنا إلى تأليف مجلّد كامل حول ذلك.

ومن هنا يُعلم أنّ مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة. نعم، تسمّي الشيعة أئمّتها الاثني عشر أئمةً، وإن لم يكونوا بالفعل وبحسب الواقع الخارجي قد نالوا الخلافة بسبب جملة من الملابسات السياسية؛ وذلك لأنّها ترى أنّهم عليهم السلام منصوص عليهم بالخلافة وأنّهم أولى من غيرهم بهذا المنصب الإلهي والسياسي الخطير .

وممّن يؤكّد على الوحدة الاتساقية أو التماثل المعنوي بين الإمامة والخلافة العلامة ابن خلدون إذ يقول: «وإذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب، وأنّه نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمّى خلافة أو إمامة، والقائم به خليفة أو إمام». ويذهب الماوردي إلى نفس الرأي حين يعرف الإمامة بأنّها

---

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ٣ : ١٩٠ طبعة دار صادر بيروت. وكذا تاريخ الطبري ٣ : ٤٥٠ .
(٢) الفتوح لابن أعثم ٢: ٤٤٢ .

خلافة النبوّة في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ويتابعه رشيد رضا فيقول في كتابه الخلافة أو الإمامة العظمى: «الخلافة والإمامة العظمى وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد». ويفسّر الشيخ أبو زهرة الترادف بين اللفظين بقوله: «أنّ المذاهب السياسية كلّها تدور حول الخلافة، وهي الإمامة الكبرى؛ وسمّيت خلافة لأنّ الذي يتولاها، ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين، يخلف النبيَّ في إدارة شؤونهم، وتسمّى الإمامة، لأنّ الخليفة كان يسمّى إماماً، ولأنّ طاعته واجبة، ولأنّ الناس كانوا يسيرون وراءه، كما يصلون وراء من يؤمّهم في الصلاة»[1].

المكوّنات الإسلامية العامّة للاصطلاح السياسي

عرفنا ما هو المقصود من كلمة الإمام والإمامة حسب الاصطلاح السياسي المتداول بين المسلمين، وأنّ لفظ الخلافة ولفظ الإمامة مترادفان، ومن نسيج واحد. ولكن هل أنّ المكوّنات الحقيقية لهذا الترادف مكوّنات شيعية فحسب، أي: أنّ الأيدي التي حاكتها أيدي فرقة الشيعة، أم أنها إسلامية عامة لا علاقة لها بطائفة دون أخرى؟

يقول الدكتور أحمد محمود صبحي: «يبدو أنّ للشيعة يداً إذ يعتبر التشيّع أهمّ انشقاق في التنظيم السياسي للدولة الإسلامية، فلقد كانوا يمثّلون أقوى أحزاب المعارضة للحكومة القائمة، ليس فقط لكثرة عددهم إذا قورنوا بالخوارج وإنّما لاستناد التشيع إلى أساس عقائدي أو آيديولوجي في الكلام.

وتنشأ النظريات السياسية عادة من أحزاب المعارضة، التي لا تكتفي بموقف سلبي من الحكم القائم، وإنّما تقدّم نظرية متسقة في أصول الحكم، وتقع تبعة ذلك في الإسلام على عاتق الشيعة . يقول ابن النديم: إنّ أوّل من تكلّم في

(١) الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، الدكتور أحمد محمود صبحي: ٢٠.

مذاهب الإمامة وألّف في ذلك علي بن إسماعيل بن ميثم التمّار، وله من الكتب كتاب الإمامة وكتاب الاستحقاق . ويقول عن هشام بن الحكم: هو الذي فتق الكلام في الإمامة وهذَّب المذهب وسهَّل طريق الحجاج فيه»[1] .

على دفّة الحوار

ولنا حوار مع الأستاذ الكاتب ينصبّ على هذه الجهات:

الجهة الأُولى: أعتقد أنّه من غير الصحيح أو الدقيق أن يُعبّر عن معارضة الشيعة للحكم القائم مثل الحكم الأُموي أو العبّاسي بالانشقاق؛ لأن المفهو م السياسي للانشقاق في التنظيم السياسي للدولة أنّ ينشق حزب أو جماعة كانت تعد جزءاً من الدولة، وعضواً من أعضائها عنها. ومثال ذلك انشقاق الضحّاك بن قيس الفهري صاحب وقعة مرج راهط سنة خمس وستين عن الدولة الأُموية، ومثل انشقاق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة عنها أيضاً سنة إحدى ومائة واثنتين ومائة، وهكذا. وكان هذان الزعيمان يعدّان منها في الصميم بل هما من كبار قادتها وزعمائها.

أمّا الشيعة فإنّ التاريخ السياسي يؤكّد وبشكل صريح وواضح أنّها لا تؤمن بالحكم القائم سواء الأُموي أو العبّاسي، ولا تضفي عليه الشرعية، ولا تعتبره إسلامياً ، ومن ثمّ فهي ليست جزءاً من التنظيم السياسي للدولة .

الجهة الثانية: لقد تأثّر المسلمون عامّة من الشيعة ومن غيرهم بالقرآن الكريم، وأخذت مداليله السياسية والفكرية وحتى تعابيره تشيع فيما بينهم على أصعدة متفاوتة. ومن هنا نريد أنّ نقول: إنّ مادّة الإمامة والخلافة في مدلولهما

---

(١) المصدر السابق: ٢٢ ـ ٢٣ .

السياسي وباللفظ المذكور وبغض النظر عن المداليل الأخرى قد وردتا عدّة مرّات، وقد أشرنا إلى قسم منها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾[2].

وهكذا ما ورد عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله من الروايات التي تتضمّن كلمة خليفة أو إمام. إذاً أصل التأثر وأصل التكوين للّفظتين قرآنيّ ونبوي، والقرآن الكريم ونبوة محمد صلى الله عليه وآله للمسلمين جميعاً، لا فرق فيهما بين طائفة وطائفة.

الجهة الثالثة: يرى المؤلّف الفاضل أنّ النظريات السياسية للشيعة قد نشأت من معارضتهم للحكم القائم، أي: أنّها مجرّد انعكاس للواقع السياسي أو ردّ فعل له.

وهذا أمر غريب، وبعيد عن الموضوعية؛ وذلك لأنّ قُوى المعارضة الشيعية حسب وثائق التاريخ السياسي إنّما تبلورت وانتظمت وانبثقت بسبب أفكار الشيعة ونظريتهم حول الحكم والحاكمين. ففي عقيدتهم أنّ الحكم الذي لا يستند إلى الأُصول الإسلامية في العدالة، وإصلاح البلاد، ورعاية شؤون الأمّة ... الخ وإن الحاكمين الذين لا يتوفّرون على الشرائط الموضوعية في الأهلية القيادية، تجوز أو تجب معارضتهم ورفع السلاح بوجه الحكم والحاكمين بهذه الصورة .

ولو رجعنا إلى تاريخ أوائل أعلام الشيعة أمثال: عمار بن ياسر وقيس بن سعد وحجر بن عدي الكندي وحبيب بن مظاهر وسليمان بن صرد ورفاعة بن شدّاد البجلي والمسيّب بن نجبة الفزاري وعبد الله بن عوف الأحمر وغيرهم

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة النور: ٥٥.

لوجدنا مواقفهم المعارضة للحكم القائم إنّما تنبثق وتنطلق من آرائهم حول الحكم والحاكم وليس العكس، وذلك قبل أنّ يخلق الله تعالى علي بن إسماعيل أو هشام بن الحكم.

ولقد دقّ الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام إسفين الثورة، وقاد المعارضة الأرجوانية معللاً الثورة والمعارضة بقوله الشهير: «**ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً**».

رائد الإمامة

ولنبدأ الحديث حول رؤية الإمام زين العابدين عليه السلام للإمامة، بما ينقل لنا عن إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره أوّل الأئمّة وسيّدهم وإمامهم.

أولاً: جاء في كثير من المصادر عن الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**يا علي، أنت سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب الدين**»[1].

ثانياً: روى الموفّق الخوارزمي بإسناده عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن أبيه، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نزل عليَّ جبرئيل عليه السلام صبيحة يوم فرحاً مستبشراً فقلت: حبيبي ما لي أراك فرحاً مستبشراً؟ فقال: يا محمّد، وكيف لا أكون كذلك وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيّك وإمام اُمّتك علي ابن أبي طالب عليه السلام...**»[2].

---

(١) ممّن أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرك ٣: ١٣٧، وعلي ابن المغازلي الشافعي في المناقب: ٦٥، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ١: ٦٩.

(٢) انظر التحصين لابن طاووس: ٦١٦ الباب / ١٣، ومئة منقبة، المنقبة / السابعة والسبعون.

ثالثاً: روى الإمام زين العابدينعليه السلام عن أبيه الإمام الحسينعليه السلام، قال: «**قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: لما أُسرِيَ بي إلى السماء عهد إليّ ربّي جل جلاله في علي ثلاث كلمات فقال: يا محمّد، فقلت: لبيّك ربّي وسعديك ، فقال عزّ وجلّ: أنّ عليّاً إمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب المؤمنين. فبشّره بذلك...**»[1] .

رابعاً: روى الإمام زين العابدينعليه السلام عن أبيه الإمام الحسينعليه السلام، قال: «**قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: أنّ علي بن أبي طالب خليفة الله وخليفتي، وحجّة الله وحجّتي، وبابُ الله وبابي، وصفي الله وصفيي، وحبيب الله وحبيبي، وخليل الله وخليلي وسيف الله وسيفي...**»[2] .

خامساً: روى الإمام زين العابدينعليه السلام عن أبيه الإمام الحسينعليه السلام، قال: «**قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: لما أُسري بي إلى السماء، ثمّ من السماء إلى السماء، ثمّ إلى سدرة المنتهى أُوقفت بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال لي: يا محمّد، فقلت: لبيك ربّي وسعديك. قال: قد بلوتَ خلقي فأيّهم وجدت أطوع لك؟ قال: فقلت: ربّي علياً. قال : صدقت يا محمّد، فهل اتّخذت لنفسك خليفه يؤدّي عنك، ويعلّم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت: اختر لي فإنّ خيرتك خير لي. قال: قد اخترت لك علياً فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّا ...**»[3] .

سادساً: قال الإمام السجّاد زين العابدينعليه السلام : «**قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: فُضِّلت على الخلق أجمعين، وشرّفت على النبيّين، واختصصت بالقرآن العظيم، وأُكرمت بعلي سيّد الوصيّين، وعُظِّمتُ بشيعته خير شيعة النبيّين والوصيّين**»[4] .

---

(١) انظر بشارة المصطفى: ١٦٤، بحار الأنوار ١٨: ٣٤٣ و٤٠: ٧ .

(٢) أمالي الصدوق: ٢٠، دلائل الإمامة للطبري: ٣٢٩ الصراط المستقيم للبياضي العاملي ٢: ٣٤ .

(٣) أمالي الطوسي: ٣٤٣، بحار الأنوار ١٨: ٣٧١ .

(٤) بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٩ .

هذا، وفي البحث التالي حول إمامة أهل البيت عموماً سوف يأتي ذكر إمامة علي عليه السلام في جملة من النصوص .

إمامة أهل البيت

ولنأخذ الآن امامة أهل البيت عموماً، وهم اثنا عشر إماماً أوّلهم الإمام علي ابن أبي طالب وآخرهم القائم محمّد المهدي المنتظر (صلوات الله عليهم). وما يقوله الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا الصدد هو ممّا يعبّر عن نظرية الشيعة الاثني عشرية جميعاً وهم أكثر فرق الشيعة انتشاراً في العالم[1] .

وهذا غيض من فيض ممّا ورد عن سيّدنا الإمام زين العابدين عليه السلام.

أوّلاً: العلامة الثقة سليمان الأعمش بسنده عن الإمام السجّاد عن أبيه عن الإمام علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «**حدثني النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبريل صلى الله عليه وآله وقال: تختموا بالعقيق، فإنّه أوّل حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوّة، ولعليّ بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنّة**»[2] .

ثانياً: الراوية والمفسّر الثقة ثابت بن دينار «أبو حمزة الثمالي» عن الإمام زين العابدين عن أبيه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمّة بعدي اثنا عشر. أوّلهم أنت يا علي، وآخرهم القائم الذي يفتح الله عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها**»[3] .

---

(١) لم يبق من فرق الشيعة التي يذكرها المؤرخون وأصحاب الملل والنحل سواء منها الحقيقية أو الموهو مة إلا فرقة الإمامية الاثني عشرية وفرقة الزيدية وفرقة الإسماعيلية .

(٢) مناقب علي بن أبي طالب لعلي بن محمّد الشافعي المعروف بابن المغازلي: ٢٨١، والمناقب للخوارزمي: ٢٢٨ .

(٣)كمال الدين للشيخ محمّد بن علي الصدوق، الباب ٢٤، عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق: ٣٨، بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٣٦ : ٢٢٦ .

ثالثاً: الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عليهما السلام، قال: «دخلت أنا وأخي على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأجلسني على فخذه الأيسر، وأجلس أخي الحسن على فخذه الأيمن ثمّ قبّلنا وقال: بأبي أنتما من إمامين سبطين، اختاركما الله منّي ومن أبيكما ومن أُمّكما، واختار من صلبك ـ يا حسين ـ تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم»(١).

رابعاً: الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عن أخيه الحسن عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمّة بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، وحواريّ عيسى، من أحبّهم فهو مؤمن، ومن أبغضهم فهو منافق ... هم حُجج الله في خلقه، وأعلامه في بريّته»(٢).

خامساً: الإمام محمّد الباقر عن آبائه عن علي عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت أخي ووزيري ووصيي وخليفتي في أهلي وأمّتي في حياتي، وبعد مماتي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي. يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة.. يا علي، أنا وأنت والأئمّة من ولدك سادات في الدنيا، وملوك في الآخرة»(٣).

سادساً: روى الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه عليهم السلام، «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، أنت والأئمّة من ولدك بعدي حُجج الله عزّ وجلّ على خلقه، وأعلامه في بريّته. من أنكر واحداً منكم فقد أنكرني، ومن عصى واحداً منكم

---

(١) الصراط المستقيم لزين الدين علي بن يونس العاملي البياضي ٢: ١٢٦، كمال الدين: ١٥٧، بحار الأنوار ٣٦: ٢٥٥.

(٢) غاية المرام، سيّد هاشم البحراني: ١٢٥، بحار الأنوار ٣٦: ٣٤٠.

(٣) غاية المرام: ٣٠٠.

فقد عصاني، ومن جفا واحداً منكم فقد جفاني، ومن وَصَلَكم فقد وصلني، ومن أطاعكم فقد أطاعني، ومن والاكم فقد والاني، ومن عاداكم فقد عاداني؛ لأنّكم منّي خلقتم من طينتي وأنا منكم»[1].

سابعاً: الإمام زين العابدين عن أبيه الإمام الشهيد الحسين بن عليعليهما السلام، قال: «كان رسول الله يقول فيما بشّرني به: يا حسين، أنت السيّد ابن السيّد أبو السادة. تسعة من ولدك أئمّة أبرار والتاسع قائمهم... أنت الإمام ابن الإمام أبو الأئمّة تسعة من صلبك أئمّة أبرار، والتاسع مهديهم يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، يقوم في آخر الزمان كما قمت في أوّله»[2].

ثامناً: أبو خالد الكابلي عن الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين(سلام الله عليهما)، قال: «دخلت على رسول اللهصلى الله عليه وآله ـ وهو متفكّر مغموم ـ فقلت: يا رسول الله، مالي أراك متفكّراً؟ فقال: يا بنيّ، أنّ الروح الأمين قد أتاني فقال: يا رسول الله، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: إنّك قد قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة عند علي بن أبي طالب، فإنّي لا أترك الأرض إلا وفيها عالم، تعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي، فإنّي لم أقطع علم النبوّة من الغيب من ذرّيتك، كما لم أقطعها من ذرّيات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبيك آدم. قلت: يا رسول الله فمن يملك هذا الأمر بعدك؟ قال: أبوك علي بن أبي طالب أخي وخليفتي، ويملك بعد علي الحسن، ثمّ تملكه أنت وتسعة من صلبك، يملكه اثنا عشر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أمالي الصدوق: ٣١ ـ ٣٢، غاية المرام: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

إماماً، ثمّ يقوم قائمنا يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، يشفي صدور قوم مؤمنين من شيعته»[١].

تاسعاً: الإمام زين العابدين عن عمّته زينب بنت علي[٢] عن فاطمة عليها السلام، قالت: «**دخل الي رسول الله صلى الله عليه وآله عند ولادة ابني الحسين، فناولته إيّاه في خرقة صفراء، فرمى بها وأخذ خرقة بيضاء فلفّه فيها ثمّ قال: خُذيه يا فاطمة، فإنّه الإمام وأبو الأئمّة . تسعة من صلبه أئمّة أبرار، والتاسع قائمهم»**[٣].

عاشراً: روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «**قال الحسن بن علي عليه السلام: الأئمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عدد نقباء بني إسرائيل، ومنا مهديّ هذه الأُمّة»**[٤].

الحادي عشر: الإمام زين العابدين عليه السلام عن الحسين عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بهجة قلبي... وابناها ثمرة فؤادي... وبعلها نور بصري... والأئمّة من ولدها امناء ربّي وحبله الممدود بينه وبين خلقه... من اعتصم بهم نجا، ومن تخلّف عنهم هوى»**[٥].

الثاني عشر: الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه. اللهُمَّ، والِ من والاه، وعادِ من عاداه»**[٦].

---

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٢) هي تلك المرأة العظيمة التي فاقت الرجال العظام. امتازت بالحكمة والمعرفة وقوّة الفصاحة والخطابة والشجاعة الفائقة، وكان لها الصبر العجيب الذي يستخف بالرواسي الشداد، ولها مواقف جليلة في ثورة كربلاء، كما كانت لها دروس في تفسير القرآن الكريم .

(٣) بحار الأنوار ٣٦ :٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق ٣٦: ٣٨٣ .

(٦) المصدر السابق.

الثالث عشر: الإمام زين العابدين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعليّ مولا. اللهمّ، والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره**»[١].

أقول : إنّ حديث «**من كنت مولاه**» حديث متواتر عند المسلمين تواتراً معنوياً، وهو ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم غدير خم. ولقد تعجّب أبو جعفر الطبري من كثرة طرق الحديث وألّف في ذلك كتاب الولاية، وقد ذكر فيه سبعين طريقاً. ولقد نقل الفقيه علي بن محمّد الشافعي ابن المغازلي عن أبي القاسم الفضل بن محمّد ما قاله حول حديث الغدير: «هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد روى حديث غدير خم عن رسول الله صلى الله عليه وآله نحو من مائة نفس منهم العشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علّة، تفرّد علي عليه السلام بهذه الفضيلة ليس يشركه فيها أحد»[٢].

ولقد ألّف في حديث الغدير عدد من أعلام المحدّثين والعلماء منهم اضافة إلى الطبري، الحافظ الكبير المتقن احمد بن محمّد بن سعيد ابن عقدة وعلي بن هلال المهلبي ومسعود الشجري .

وفي العصر الحديث ألّف عدد من الباحثين حول هذا الأمر وعلى رأسهم العلامة عبد الحسين الأميني النجفي، وكتابه الغدير جامع بديع ويقع في(١١) مجلداً، وقد نقل واقعة الغدير فيه عن(١١٠) من الصحابة، وحشد هائل من التابعين والعلماء الأعلام والشعراء والأدباء.

وهنالك خلاف حول المقصود من حديث «**من كنت مولاه**». فقد ذهبت الإمامية كلّها وجماعة كبيرة من غيرهم إلى أنّ المقصود بذلك تنصيب الإمام

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي: ٢٦ . وقبل نقل ابن المغازلي لتعليق أبي القاسم الفضل ابن محمّد نقل طرقاً كثيرة لحديث «من كنت مولاه».

علي عليه السلام خليفة على المسلمين، واستدلّوا على ذلك بأدلّة كثيرة لا مجال للتعرّض لها. وذهب الآخرون إلى أنّ الحديث يدلّ على فضيلة كبيرة للإمام علي ابن أبي طالب ولكنه ليس تعييناً للخلافة.

ولقد روي عن الإمام السجّاد عليه السلام ما يلتقي والرأي الأوّل.

الرابع عشر: عن شريك عن أبي إسحاق السّبيعي: قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «**مَن كنتُ مولاه فعلي مولاه**». قال: «أخبرهم بأنّه الإمام بعده»[1].

أقول: ومما يعضد هذه الرواية ويتّسق معها في معنى حديث واقعة غدير خم عند الإمام زين العابدين ما رواه عليه السلام عن الإمام الحسن بن علي (سلام الله عليهما) من خطبة له بمحضر الناس ومعاوية ، وذكر فيها فضل أبيه وسوابقه وما قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وآله من النصّ. ومما جاء فيها: «**وقد تركت بنو إسرائيل وكانوا أصحاب موسى هارون أخاه وخليفته ووزيره، وعكفوا على العجل، وأطاعوا فيه سامريهم، وهم يعلمون أنّه خليفة موسى، وقد سمعت هذه الأمّة رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي عليه السلام: أنّه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي، وقد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله حين نصبه لهم بغدير خُم وسمعوه ونادى له بالولاية ثمّ أَمرهم أنّ يبلغ الشاهد منهم الغائب**»[2].

الخامس عشر: الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، قال: «**دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد قبا**

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي: ١٠٩، غاية المرام، البحراني: ٣٧٧ ـ ٣٨٧.

(٢) غاية المرام: ٣٩٩.

ومعه نفر من أصحابه... إلى أنّ قال: نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **معاشر أصحابي أنّ علياً منّي وأنا من علي، روحه من روحي وطينته من طينتي وهو أخي... ووصيي... وخليفتي على أُمتي في حَياتي وبعد موتي... من أطاعه أطاعني... ومن وافقه وافقني... ومن خالفه خالفني»**(١).

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**بلغ أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أنّ مولىً لها ينتقص علياً ويتناولها فأرسلت إليه، فلمّا أنّ صار إليها قالت: يا بنيّ، بلغني أنّك تنتقص علياً وتتناوله. قال: نعم يا أُمّاه. قالت: اقعد ثكلتك أُمُّك حتّى أُحدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ اختر لنفسك ما شئت... إلى أنّ قالت: نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لها: يا امَّ سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة. يا أمَّ سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي والذائد عن حوضي.**

يا أمَّ سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي والذائد عن حوضي.

يا أمَّ سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيّد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجّلين...»(٢).

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «**قال امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على منبر الكوفة: أيّها الناسُ، إنّه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشر**

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣١ ـ ٣٢، ط. النجف، وغاية المرام: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٢) الارشاد، المفيد: ٢٠، مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب ٣: ٥٤.

خصـال، لَهُنَّ أحـبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس. قال لي رسول الله ﷺ: يا علي، أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الخلائق الي يوم القيامة في الموقف بين يدي الجبار ...الى أنّ قال: **وأنت الإمام لأُمتي، وأنت القائم بالقسط في رعيتي، وأنت وليّي ووليي ولي الله، وعدوّك عدوّي وعدوّي عدو الله**»[١] .

السادس عشر: قال الموفق الخوارزمي المكّي: أخبرنا الأجل أخي شمس الأئمّة أبو الفرج محمّد بن أحمد المكّي... ثمّ ساق الإسناد إلى علي بن الحسين سيّد العابدين عن أبيه الحسين بن علي الشهيد، قال: «**سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول: مَن أحبّ أنّ يحيا حياتي ويموت مماتي، ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي، فليتولّ علي بن أبي طالب، وذرّيته أئمّة الهدى ومصابيح الدجى من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب الهدى إلى باب الضلالة**»[٢] .

السابع عشر: حدَّث الإمام زين العابدين عن أبيه الحسين عليه السلام عن علي (صلوات الله عليهم)، قال: «**قال النبي ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض**»[٣] .

أقول: والخبر التالي يفسّر معنى «**عترتي أهل بيتي**» تفسيراً واضحاً لا لبس فيه ، ولا غبار عليه «فَهَل مِن مُدَّكر» .

الثامن عشر: حدث الإمام علي بن الحسين عن أبيه الحسين عليهما السلام، قال: «**سئل أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) عن معنى قول رسول الله ﷺ: إنّي مخلّف**

(١) بحار الأنوار ٢٨ : ٣٧٩.

(٢) المناقب، الموفق المكي الخوارزمي ، الفصل السادس، مستدرك الحاكم ٣: ١٢٨.

(٣) كمال الدين، الصدوق، باب اتصال الوصية، الحديث ٥٦.

فيكم الثَّقَلَين كتابَ الله وعترتي. مَن العِترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»[1].

بين الوراثة الروحية والوراثة الدموية

ظنّ عدد من الكتّاب والمفكّرين من غير الشيعة أنّ مستند النظرية السياسية للشيعة في تعيين اثني عشر إماماً إنّما يرجع لكون الأئمّة تربطهم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وشائج القربى وشجن النسب، ولولا ذلك لم يكن لهم مدّعى في الإمامة، ولا سبب إلى الخلافة. ولذا يقول أحد هؤلاء ـ وهو الدكتور محمّد علي ريّان في كتابه «تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام»: «نجد الشيعة من ناحية أخرى يتمسّكون بإمامة آل البيت ابتداء من علي بمقتضى الوراثة الدموية للرسول»[2].

في حين نجد إذا قرأنا قراءة فاحصة للنظرية السياسية الشيعية أنّ المستند في تعيين الأئمّة إنّما هو النصوص الشرعية الواردة في حقّهم فحسب، سواء منها المذكورة في طرقهم أو المذكورة في طرق الآخرين، كما قد رأينا في النصوص السابقة وكذا في النصوص اللاحقة، التي لا تمثّل إلا النزر اليسير من النصوص التي يعلنونها، ويدعمون بها نظريتهم.

إنّ النصوص في النظرية المذكورة تعني في الدرجة الأُولى الخطّ المتقدّم من أساسيات الاحقية بالقيادة الإسلامية العامّة. وهذا يعني أنّ القُربى ليست الملاك في الأحقّية بالإمامة أو الخلافة. أنّ القرابة من الرسول صلى الله عليه وآله فضيلة من

(١) معاني الأخبار، الصدوق: ٩٠، كمال الدين، الصدوق، باب اتصال الوصية، الحديث ٦٢، بحار الأنوار ٣٧: ٢٧٣.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٢٧. طبعة دار النهضة العربية، بيروت.

فضائل الأئمّة عليهم السلام وكرامة لهم. ولو افترضنا أنّ لا صلة نسبية قريبة مؤكّدة بين الرسول صلى الله عليه وآله وبين أئمّة أهل البيت عليهم السلام فإنّهم مع هذا أصحاب الخلافة باعتبارهم أصحاب النص. وأمّا جميع الفضائل الأخرى فهي لدعم النصوص، وتعميق الأهلية القيادية العامة.

المعتدلون والغلاة

بيد أنّ النصوص التي يذكرها الشيعة حول الإمامة والأئمّة عليهم السلام ليست كلّها من نصوص المعتدلين والموضوعيين فيهم، بل قد أضيفت إليها وألصقت بها نصوص موضوعة سطّرها الغلاة وذهبوا بها كلّ مذهب.

لقد نسجت حركة الغلاة روايات كثيرة حول الإمامة والأئمّة، يمكن تمييزها من وجود بعضهم في أسانيد الروايات، كما يمكن تمييزها أيضاً من فهم المتون الروائية، وكذلك من خلال المذاق العام لهم، وتصوّراتهم المتطرّفة حول الإمامة والإمام . هذا ولم يقف خطر الغلاة عند أسوار تحريف أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، وانما تجاوزها إلى حيث الزعم الفاضح والادّعاء الشائن بالقول بتحريف القرآن الكريم، وأنّ في آياته المباركة آيات قد حرّفت ألفاظها وفيها النصّ على الإمام علي والأئمّة عليهم السلام. ومن منهجنا أن نردَّ كلّ حديث أو خبر مخالف لكتاب الله عزّ وجلّ ، وأن نضرب به عرض الجدار .

ومن منهجنا أنّ نردّ كلّ حديث أو خبر صريح في تحريف القرآن الكريم.

إنّ القرآن الكريم الذي تداولته الأجيال إلى عصرنا الحالي هو نفسه ذلك الذي أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وآله بلا زيادة ولا نقصان، ومسألة تقديم بعض السور، وتأخير بعض آخر، مسألة أخرى ليس لها أيّ مساس في التحريف.

وما كلّ حديث أو خبر أو تقرير ينسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت صلى الله عليه وآله قد صدر عنهم فعلاً، ولذا قام علماء الرجال وأئمّة الحديث بتمييز المعتبر من غير المعتبر، والغثّ من السمين، والله الموفّق إلى سواء السبيل.

فعلى كلّ موحّد في الدين، مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله أنّ لا يغترّ بهم، وبكلماتهم المعسولة، وأن لا يقع في شباكهم، ولقد تبرأ أئمّة أهل البيت عليهم السلام منهم، ولعنوهم، وقعدوا لهم كلّ مرصد. ولقد جاءت الرواية عن الإمام الهادي عليه السلام: **«فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق، فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر»**[(١)].

قال سعد: حدّثني العبيدي قال: كتب إليَّ العسكري ابتداءً منه: «**ابرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمّد بن بابا القمّي فابرأ منهما، فإنّي محذّرك وجميع موالي، وإنّي العنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتّانين مؤذين آذاهما الله واركسهما في الفتنة ركساً. يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً وأنّه باب عليه لعنة الله. سخر منه الشيطان فاغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك. يا محمّد أنّ قدرت أنّ تشدخ رأسه بالحجر فافعل، فإنّه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة**»[(٢)].

وفي كتاب «سيرة الأئمّة الاثني عشر» للعلامة المعاصر السيّد هاشم معروف الحسني فصل طريف بعنوان (الإمام الصادق والغلاة) ج ٢ ص ٢٥٨ ـ ٢٦٩، فراجعه على سبيل الانتفاع .

---

(١) رجال الكشي ، الخبر ٩٩٧.

(٢) المصدر السابق، الخبر ٩٩٩.

خطوةٌ على طريق التعزيز

لقد تقدّم الإمام زين العابدين خطوة نوعية على طريق تعزيز الموقف، وتعميق المضمون الفكري والسياسي عند أتباعه ومريديه. فمن منطلق المسؤولية الرسالية والمهمّة القيادية قد اتّخذ أُسلوباً آخر حول الإمامة، فإنّه إضافة إلى أسلوب إيراد النصوص التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب والصدّيقة الزهراء والحسن والحسين (عليهم الصلاة والسلام) قد أعرب عن موقفه هو من الإمامة وتحديد هو ية الأئمّة.

ولنقتصر على النزر القليل، ممّا ورد عنه في هذا السبيل:

أوّلاً: روى الحافظ الجويني بإسناده عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه محمّد بن علي عليه السلام، عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، قال: «**نحن أئمّة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغُرّ المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء**». إلى أنّ قال: «**ولم تخلُ الأرض من حجّة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى أنّ تقوم الساعة من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله**». قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال: «**كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب**»[1].

ثانياً: عن أبي خالد الكابلي (رضوان الله عليه) وكان من المختصّين بالإمام زين العابدين عليه السلام ـ قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام وهو جالس في محرابه ـ فجلست حتّى انثنى واقبل عليّ بوجهه، يمسحُ على لحيته. فقلت: يا مولاي، أخبرني كم يكون الأئمّة بعدك؟ قال عليه السلام: «**ثمانية**». قلت: وكيف ذاك؟

(١) فرائد السمطين، الجويني ١: ٤٥ ـ ٤٦.

قال عليه السلام: «**لأنّ الأئمّة بعد رسول الله اثنا عشر إماماً، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي أئمّة أبرار**»(١).

ثالثاً: عن زيد الشهيد بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، قال: «**بينا أبي مع بعض أصحابه إذ قام إليه رجل فقال: يابن رسول الله، هل عهد إليكم نبيكم كم يكون بعده أئمّة؟ قال: نعم ،اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل**»(٢).

رابعاً: عن الحسين (رضوان الله عليه) بن علي زين العابدين عليه السلام، قال: سأل رجل أبي عليه السلام عن الأئمّة فقال: «**اثنا عشر سبعة من صلب هذا**»، ووضع يده على كتف أخي محمّد(٣).

خامساً: يروى أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قال تفسيراً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى من بَعْدِ مَا بَيَّنَّـهُ للنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَـئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ**﴾(٤)، أو تعليقاً على الآية المباركة: «**هذه أحوال من كتم فضائلنا، وجحد حقوقنا، وتسمّى بأسمائنا، وتلقّب بألقابنا، وأعان ظالمنا على غصب حقوقنا، ومالأ علينا أعداءَنا**»(٥).

---

(١) كفاية الأثر للخزّار (نسخة خطّية)، بحار الأنوار للمجلسي ٣٦ : ٣٨٨، الصراط المستقيم للبياضي العاملي ٢ : ١٣١.

(٢) بحار الأنوار ٣٦ : ٣٨٩.

(٣) كفاية الأثر النسخة الخطية، بحار الأنوار ٣٦ : ٣٨٩ .

(٤) البقرة :/ ١٥٩ .

(٥) التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (نسخة خطّية) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَـتِ وَ الْهُدَى...﴾، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٣٥ .

حديث المنزلة

روى الشيخ محمّد الصدوق باسناده عن أبي خالد الكابلي، قال: قيل لسيّد العابدين علي بن الحسين: أنّ الناس يقولون: أنّ خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ علي عليه السلام. قال: «**فما يصنعون بخبر رواه سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبي وقّاص عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبي بعدي. فمن كان في زمن موسى مثل هارون**».

أقول: حديث المنزلة من الأحاديث المشهو رة جداً عند المسلمين، سواء في الكتب الروائية أم الكتب التاريخية أم الكتب الأدبية وكذلك العقائدية، فليس من شائبة في أصل الحديث، ولا من غبار في صدوره عن المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّما الكلام في دلالته السياسية. فقد اعتبرته النظرية الشيعية من جملة الأدلّة على خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن يبدو بوضوح من بين ثنايا مختلف المؤشرات السياسيّة والوقائع التاريخية أنّ الاختلاف في الدلالة السياسية للحديث الشريف ليست بالشيء الجديد على الساحة. ولقد سئل الصحابي الكبير جابر الأنصاري كما تروي المصادر الشيعية عن معنى الحديث. ولا شك أنّ السؤال لم يكن عن الجانب اللغوي أو الأدبي فيه، ولا عن سبب صدور الحديث، فإنّ كلّ ذلك مما لا يختلف فيه اثنان، وإنّما السؤال عن وجود الدلالة السياسية فيه. ولقد اجاب الصحابي بإثبات الخلافة لعلي عليه السلام، معتبراً أنّ مَن يتجافى عن هذه الدلالة فهو من الظالمين. وهذا يعني أنّ الاختلاف في الدلالة كان قائماً.

وسوف نذكر كلام الصدّيقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في عرض حديث المنزلة، إلى جانب حديث يوم غدير خُم في مقام الاحتجاج على عدم تسلّم

الإمام علي للخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله. ولأهمّية هذين الخبرين من الوجهة العلمية خبر جابر الأنصاري وخبر الصدّيقة عليها السلام آثرنا نقلهما:

١ـ روى أبو هارون العبدي: سألت جابر بن عبدالله الأنصاري عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «**أَنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبيَّ بعدي**». قال: «**استخلفه بذلك والله على أُمته في حياته وبعد وفاته، وفرض عليهم طاعته، فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين**»[١].

٢ ـ روى شمس الدين الجزري الدمشقي ـ وهو من أعلام الشافعية ـ بإسناده عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنّها قالت: «**أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خُم: مَن كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله صلى الله عليه وآله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى عليهما السلام؟**»[٢].

ليس هذا البيان القوي الصريح إلا واحداً من سلسلة البيانات الفاطمية دينياً وسياسياً، وهي تشخّص المسار القويم وتحدّد الوجهة الراشدة للقيادة العالمية والخلافة الإلهية ، وكيف لا تكون الصدّيقة الزهراء كذلك وقد سمعت أباها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتشدّد كثيراً في أمر الخلافة ويعيّن أمام جماعة تارة وأمام الجميع تارة أخرى الخليفة من بعده مراراً وتكراراً؟! يقول الدكتور علي سامي النشّار ـ وهو من أعلام رجال مصر المعاصرين ـ: «كانت فاطمة تُؤمن بلا شك بالحق الإلهي لعليّ في الخلافة»[٣].

---

(١) الصدوق، معاني الأخبار: ٧٤.
(٢) الغدير، الأميني: ١ : ١٩٧ .
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ٢ : ٦ .

من مصادر الحديث

ومصادر حديث المنزلة كثيرة جدّاً، ومن هذه المصادر على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ الطبراني في المعجم الكبير النسخة الخطّية، رواه عن حبشي بن جنادة وجابر وسعد بن أبي وقاص والبراء بن عازب وزيد بن أرقم. كما رواه أيضاً في المعجم الصغير ج ٢ ص ٥٣.

ب ـ ابن عساكر في تاريخ دمشق ″ النسخة المصورة عن النسخة الأصلية في المكتبة الظاهرية بدمشق ″ رواه عن عليعليه السلام وأم سلمة وحبشي بن جنادة وفاطمة بنت حمزة وعمر بن الخطّاب وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وسعد بن أبي وقّاص.

ج ـ عبد الرزّاق الصنعاني رواه في المصنّف ج ٥ ص ٤٠٥.

د ـ يوسف بن عبد البرّ القرطبي المالكي، رواه في جامع بيان العلم ص ١٤٩ دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

هـ ـ الذهبي في تذكرة الحفّاظ ج ١ ص ٢١٧ و ج ٢ ص ٥٢٢.

و ـ أبو داود الطيالسي في مسنده ص ٢٩، ط. حيدرآباد.

ز ـ علي المتّقي الهندي في كنز العمّال ج ١٢ ص ٢٠٠ و٢٠٦ و٢٠٧.

ح ـ ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص ٧٢.

ط ـ ابن المغازلي الشافعي في مناقب علي بن أبي طالب ص ٣٤ و٣٦ و٩٤.

كما رواه من الشيعة حشد هائل من العلماء والمحقّقين قديماً وحديثاً تركنا ذكرهم روماً للاختصار.

الإمام السجّاد وتعيين الإمام بعده

لقد أولى الإمام السجّاد عليه السلام قضية الإمامة أهمّية قصوى قلّما يوليها لقضية أخرى من القضايا العقائدية والسياسية والمصيرية . فلم يشأ أنّ يلتحق بالرفيق الأعلى دون أن يشخّص الإمام بعده، وينصّ عليه بالتحديد.

فما أحوج الأمّة الإسلامية، والإنسانية الضائعة إلى القدوة المُثلى والإمام العادل، يكشف لها ظلمات الجهل والغواية، وينير أمامها آفاق الليل البهيم، ويأخذ بأيديها إلى شاطئ الخير والرحمة والسلام.

ولقد شاء الإمام زين العابدين عن وعي وإدراك أنّ يكون الإمام بعده محمّد الباقر عليه السلام، فعينه بالفعل اماماً للناس وقدوة للمقتدين.

وتذهب الإمامية كلّها وفي قول واحد إلى أنّ تعيين الإمام السابق للإمام اللاحق إنّما هو انعكاس لأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله في تعيين الأئمّة. وليس تعيين أحدهما للآخر إلا بنحو الكاشفية والحكاية عن النصوص النبوية في هذا المضمار والتي هي تبيان لوحي السماء .

فأمّا من حيث النصوص فقد بينّها الإمام زين العابدين بما فيها من النصّ على الإمام الباقر عليه السلام، وأمّا من حيث النصب والتعيين فقد أشار إليه بل نصّ عليه كما في جملة من الأخبار الروائية والتاريخية وإليك جملة منها:

أوّلاً: في رواية معمر عن الزهري بما مختصره، قال: دخلت على علي بن الحسين في المرض الذي توفّي فيه، إلى أنّ قال: ثمّ دخل عليه محمّد ابنه فحدّثه طويلاً ... قلت: يا ابن رسول الله، أنّ كان من أمر الله ما لا بدَّ لنا منه ــ ووقع في نفسي أنّه قد نعى نفسه ــ فإلى من يُختَلَف بعدك؟ قال : «**يا أبا عبد الله، إلى ابني**

هذا» وأشار إلى محمّد ابنه أنّه وصيّي ووارثي وعيبة علمي، معدن العلم، وباقر العلم[١].

ثانياً: عن عثمان بن عثمان بن خالد عن أبيه، قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه، فجمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين، وأوصى إلى ابنه محمّد بن علي، وكنّاه الباقر، وجعل أمرهم إليه[٢].

ثالثاً: عن مالك بن أعين الجهني، قال: أوصى علي بن الحسين عليه السلام ابنه محمّد بن علي عليه السلام فقال: «**بُنيّ اني جعلتك خليفتي من بعدي، لا يدّعي فيما بيني وبينك أحد إلا قلّده الله يوم القيامة طوقاً من النار، فاحمد الله على ذلك واشكره...**»[٣].

رابعاً: التفت علي بن الحسين إلى ولده وهو في الموت، وهم مجتمعون عنده، ثمّ التفت إلى محمّد بن علي ابنه فقال: «**يا محمّد، هذا الصندوق فاذهب به إلى بيتك**» ثمّ قال: «**أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكنّه كان مملوءاً علماً**»[٤].

خامساً: ونحو الرواية الرابعة ما رواه جعفر بن محمد عليه السلام، قال: «**لما حضر علي بن الحسين عليه السلام الموت، قبل ذلك اخرج السفط أو الصندوق عنده فقال: يا محمّد، احمل هذا الصندوق. قال: فحمل بين أربعة «رجال». فلمّا توفّي جاء إخوته يدّعون في الصندوق فقالوا: اعطنا نصيبنا من الصندوق. فقال: والله،**

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ٤٦ : ٢٣٢ ٢٣٣، الصراط المستقيم، البياضي العاملي، ٢: ١٣١ .
(٢) كفاية الأثر (نسخة خطّية)، وبحار الأنوار ٤٦ : ٢٣٠ ـ ٢٣١.
(٣) بحار الأنوار ٤٦ : ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٤) بصائر الدرجات، الصفّار : ١٦٥، أعلام الورى: ٢٦٥ .

مالكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه اليَّ، وكان في الصندوق سلاح رسول الله وكتبه»[١].

سادساً: عن أبي خالد الكابلي: قلت لعلي بن الحسين: من الإمام بعدك؟ قال: «**محمّد ابني يبقر العلم بقراً**»[٢].

الحقوق بين الإمام والمأموم

فارق كبير بين حاكم يسيّر دفّة الأُمور ضمن قانون محدّد، وصلاحيات معتبرة ومنطقية سواء كانت اسلامية تستلهم القرآن والسنة المطهرة روحاً ونصّاً، أو على الحدّ الأدنى تستمدّ وجودها ممّا يسمى في المصطلح العصري بالسيادة الشعبية (Popular Soverignty) وبين حاكم آخر قد اتّخذ رأيه الشخصي ومزاجه الخاصّ، وحالاته النفسية قانوناً يعتمده ومنهلاً يرده، فليست لقانونه أو صلاحياته من حدود إلا الأهو اء والنزوات والمشتهيات.

ولقد أراد الإمام زين العابدين أن تكون ثمّ ضوابط وحدود بين الإمام بالمعنى الأعم وبين المأموم، فلا يجحف هذا بحق هذا، ولا يهدر أحدهما حقوق الآخر، في موازنة عادلة، وطريقة سليمة مثلى، فيقول عليه السلام:

أ ــ «**فأمّا حقّ سائسك بالسلطان: فإن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنّه مبتلى فيك بما جعل الله له عليك من السلطان، وأن تخلص له في النصيحة، وأن لا تُماحكه**[٣]**، وقد بسطت يده عليك ، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتذلّل وتلطّف لإعطائه من الرضا ما يكفّه عنك ولا يضرّ بدينك، وتستعين عليه في**

(١) بصائر الدرجات: ٤٨.

(٢) الخرائج والجرائح: ٢٧٣، بحار الأنوار ٤٦ : ٢٣٠ .

(٣) المماحكة: المنازعة الجدالية .

ذلك بالله، ولا تُعازّه[1] ولا تعانده، فإنّك إن فعلت ذلك عققته ، وعققت نفسك فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكة...»[2].

ب ــ «أما حقوق رعيتك بالسلطان: فإنّ تعلم أنّك إنّما استرعيتهم بفضل قوّتك عليهم، فإنّه إنّما أحلّهم محلّ الرعية لك ضعفهم وذلّهم، فما أولى من كفاكه ضعفه وذله حتّى صيرّه لك رعية، وصيّر حكمك عليه نافذاً، لا يمتنع منك بعزّة ولا قوّة، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا بالرحمة والحياطة والأناة...»[3].

هكذا نلحظ في السياسية التربوية لأهل البيت عليهم السلام آفاقاً وسيعة للرحمة بالشعوب ورعايتها وللأناة في الحكم عليها، فليس العنف والشدّة في الحكم هما الغالبان على المواقف الرئاسية بل الرفق والإحسان والتوجيه السليم في حدود الممكن، فلا تصحّ الغلظة والعنف إلا في الموارد التي لا بد منها.

وهذه هي التربية المُثلى في عالم السياسة والمجتمع، فتحبّب القيادة إلى المواطنين نافعةً لهم ومنتفعة من طاعتهم وتفاعلهم الكبير معها في سبيل بناء دولة حضارية كريمة.

أريد أنّ أقول بصراحة:

- **إذا كانَت للقائد هَيبَةُ الأَسَد فإنَّ للمُواطنينَ حُقُوقَ الأَشبال.**
- **القائدُ وَاحدٌ منَ الأمّة أنّ كَانْ مُسيئاً وَوَاحدُ الأمّة أنّ كَانَ مُحسناً.**

تعليق: أنّ هذه الحقوق التي ذكرها الإمام السجّاد عليه السلام للإمام بالمعنى الأعم وما أعلنه من الطاعة له والانقياد لتعاليمه ومقرّراته، وعدم التعرّض لمكروهه إنّما

---

(١) ولا تُعازّه: لا تغالب السلطان في العزّة والكبرياء أو تريه أنّك أعزّ منه؛ لأنّ ذلك يغضبه ولأنّك في غنيً عن ذلك.

(٢) ابن شعبة الحراني ، تحف العقول، رسالة الحقوق .

(٣) المصدر السابق.

تكون في حالات يجدر السكوت فيها، وأوضاع يمكن الصبر عليها. أمّا إذا كان الأمر على خلاف هذه الصورة بحيث إنّ العقيدة السليمة تكون معرّضة للخطر، والمبادئ العليا للانتهاك، والقيم للتهافت والاندكاك، فإنّ الإمام زين العابدين على منهاج أبيه الإمام الشهيدعليه السلام روحاً وانطلاقاً وجرأة وشدّة على الظلم والظالمين. ولقد زوّدنا التاريخ بوثائق رائعة عن مواقفه البطولية المتعدّدة من عبيدالله بن زياد، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان.



حقوق الجوارح والأرحام في «رسالة الحقوق»

❑ السيّد سعيد كاظم العذاري

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

رسالة الحقوق الصادرة من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام رسالة شاملة كاملة، بشمول وكمال المنهج الإسلامي الذي أرسى أركانه أهل البيت عليهم السلام بعد القرآن والسنّة النبوية، ولهذا جاءت شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية، وشاملة لجميع جوانب الإنسان الفكرية والعاطفية والسلوكية، وشاملة للحياة الواقعية: السياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والعلمية، فقد راعت جميع الحقوق دون طغيان حقّ على آخر، فهي قد راعت حقّ الخالق وحقّ المخلوقين، وراعت حقوق الجسد وحقوق الروح والنفس والعقل، وراعت حقوق الإنسان ذكراً أم أنثى، وراعت حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وراعت حقوق الدنيا وحقوق الآخرة.

وقد وضعت خمسين حقاً كحقوق أساسية وأصيلة، تتفرّع منها حقوق ثانوية وفرعية تبعاً لظروف وملابسات الحياة بجميع أبعادها ومظاهرها ومجالاتها،

فكانت شاملة كاملة متوازنة وواقعية تأنس إليها العقول والنفوس؛ لأنّها صادرة من أرقى نماذج الشخصية الإنسانية وهو أحد أئمة الهدى الذين اصطفاهم الله تعالى ليستمرّوا في إدامة الرسالة الإسلامية بتوجيهاتهم وإرشاداتهم ومواقفهم العملية التي أريد لها أن تكون مواقف القدوة والأسوة.

في هذ المقالة قمنا بشرح مختصر لحقوق الجوارح وحقوق الأرحام في «رسالة الحقوق» إعتماداً على المعاني اللغوية واستشهاداً بالقرآن والسنة الشريفة.

والله ولي التوفيق.

أوّلاً: حقوق الجوارح

جاء في رسالة الحقوق: «**وأمّا حقّ نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله، فتؤدّي إلى لسانك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقّها، وإلى بطنك حقّه، وإلى فرجك حقّه، وتستعين بالله على ذلك**».

الشرح:

وحقّ نفسك عليك أن تستوفيها، أي: تعطيها حقّها تامّاً، واستوفي في اللغة: «استيفاء حقّه: أخذه تامّاً وافياً»[1].

والمعنى أن تكون نفسك بأكملها في طاعة الله، فتكون جميع جوارحك في طاعة الله، بمعنى أن تكون مجسّداً للمفاهيم والقيم والإرشادات والأوامر والنواهي في جميع جوارحك بحيث تكون ممارساتك مطابقة لها في جميع الأمور.

---

(١) المنجد في اللغة: ٩١١.

ثمّ يبدأ الإمام عليه السلام بتبيان تفاصيل حقّ النفس عن طريق حقوق الجوارح.

حقّ اللسان

قال الإمام علي بن الحسين السجّاد عليه السلام: «**وأمّا حقّ اللسان: فإكرامه عن الخنى**[1]**، وتعويده على الخير، وحمله على الأدب، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنيعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه**».

الشرح:

وحقّ اللسان أن تجعله كريماً، بإبعاده عن الخنى، وهو كلّ كلام بذيء وفاحش، وتعويده على الخير وحمله على الأدب، والإنسان إذا عوّد لسانه على شيء اعتاد عليه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إيّاكم والفحش، فإنّ الله لا يحبّ الفحش ولا التفحّش**»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «**ليس المؤمن بالطعّان ولا الفاحش ولا البذيء**»[3].

وإجمام اللسان ضبطه وتقييده أو قفله فيستحسن له الصمت إلا للحاجة أو لمنفعة دنيوية تتعلّق بمعيشته أو علاقاته الاجتماعية أو دفاعه عن مقدّساته، أو ما ينفعه في الدين، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

---

(١) الخنى: الفحش في الكلام.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١: ١٢.

(٣) المحجة البيضاء ٥: ٢١٥.

وقال صلى الله عليه وآله: «**رحم الله عبداً تكلّم خيراً فغنم، أو سكت فسلم**»[(١)].

ومن حقّ اللسان إبعاده عن الفضول التي تتصف بهذه الصفات:

١ ـ شنيعة والتي تجاوزت حدود الأدب والخلق الرفيع.

٢ ـ قليلة الفائدة في الدين والدنيا.

٣ ـ تكون مصدراً للضرر.

٤ ـ قلّة فوائدها ومنافعها.

والفضل من الكلام هو الكلام الزائد عن الحاجة، فيقتصر الإنسان على الكلام المختصر الذي يفي بقصده وغرضه، دون الإطالة في عبارات ومصطلحات زائدة عن الحاجة، وهذا ما نراه في الواقع، فالبعض حينما يريد التحدّث عن قضية يوضّح كلّ التفاصيل، كأن يقول: سافرت بالسيارة وقطعت السيارة المسافة بساعتين، وبعد التوقّف ذهبت لشرب الشاي فوجدت اثنين فسلّمت عليهم ثم توجّهت مشياً على الأقدام، وسألت عن الدائرة الفلانية، وهكذا إلى أن يصل الى مراده بإكمال عمله، فكلّ مقدّمات كلامه زائدة عن الحاجة، فلا يستفيد السامع منها شيئاً، وهي في الوقت نفسه مضيعة للوقت.

وفضل الكلام لا ينحصر بمصداق واحد، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر موارد عدم الفضول.

قال تعالى: ﴿**لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[(٢)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله**»[(٣)].

---

(١) المحجة البيضاء ٥: ١٩٤.

(٢) سورة النساء: ١١٣.

(٣) تحف العقول: ٣٠.

و«**تزيّن العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه**».

وإذا أراد العاقل أن يتحلّى بعقله يجب أن يكون حسن اللسان، فهو علامة على هذه الحلية.

قال الإمام علي عليه السلام: «**اللسان ترجمان العقل**»، «**المرء مخبوء تحت لسانه**»، «**ينبئ عن عقل كل امرئ لسانه، ويدلّ على فضله بيانه**»، «**اللسان معيار أرجحة العقل وإطاشة الجهل**»[1].

واللسان إن أُطلق له العنان ولم يقيّد بقيود الشرع، فإنّه سيؤدّي بصاحبه الى التهلكة في الدنيا والآخرة.

وللسان آفات ومخاطر، من أهمّها:

١ ـ الخوض في الباطل، وهو مطلق الكلام المنحرف سواء كان كلاماً حول العقيدة أو حول السيرة والسلوك.

٢ ـ الخصومة والمجادلة دون حقّ.

٣ ـ السبّ واللعن والبذاءة.

٤ ـ السخرية والاستهزاء.

٥ ـ الكذب والوعد الكاذب.

٦ ـ إفشاء السرّ وكشف المستور.

٧ ـ الغيبة والنميمة والبهتان وإشاعة الفاحشة.

٨ ـ الغناء والشعر المحرّم.

٩ ـ المزاح الباطل.

---

(١) تصنيف غرر الحكم: ٢١١.

١٠ ـ الكلام ذو الوجهين، ومن مصاديقه النفاق.

١١ ـ التحريض على الفتنة أو القتل أو الاعتداء على الأخرين.

ومن أخطر آفات اللسان الآفة التي يسفك فيها الدم، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ليس شيء من الجوارح يعذّب أشدّ من اللسان، يقول اللسان: يا ربّ، عذبتني بعذاب لا تعذّب به الجسد، قال: خرجت منك كلمة بلغت المشرق والمغرب فسفك بها الدماء، وعزّتي لأعذّبنّك عذاباً لا أعذّب به شيئاً من الجوارح**»[1].

وأكثر الخطايا والانحرافات والأزمات معلولة للسان غير المقيّد بقيود الشرع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[2].

وفي جميع الظروف والأحوال فإنّ الإنسان يبقى بحاجة الى الله تعالى فهو القوّة التي يستمد منها الاستقامة في لسانه، وهذا معنى قوله عليه السلام: «**ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم**».

حقّ السمع

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ السمع: تنزيهه عن سماع الغيبة على أن تجعله طريقاً إلى قلبك، إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً، أو تكسب خلقاً كريماً، فإنّه باب الكلام إلى القلب يؤدّي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوّة إلا بالله**».

---

(١) كنز العمّال ٣: ٥٥٧.

(٢) المصدر السابق ٣: ٥٤٩.

الشرح:

السمع طريق للقلب، فيجب تنزيهه عن كلّ لفظ أو كلام مخالف لقواعد الشريعة وآداب الإسلام، ويجب أن يكون أداة ووسيلة للتأثير على القلب باستماع ما يزيد القلب خيراً أو يكتسب خلقاً كريماً.

والسمع بهذه الكيفية أحد طرق الأجر والثواب، ومنه الاستماع إلى العلماء للاستفادة من علومهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«العلم خزائن ومفاتيحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله، فإنّه يؤجر أربعة: السائل، والمتكلّم، والمستمع، والمحبّ لهم»**(١).

وقال صلى الله عليه وآله: **«ما أهدى المسلم لأخيه هدية أفضل من حكمة تزيده هدى أو تردّه عن ردى»**(٢).

فالكلام والاستماع إليه يؤثّر على جوارح الإنسان وأعماقه إن كان خيراً أو شرّاً، ولذا يجب تنزيه السمع عن كلّ موبقة، وأحياناً يكون السمع وسيلة أو مصداقاً لمشاركة السامع للقائل في الذنب.

قال الإمام عليّ عليه السلام: **«السامع شريك القائل»**(٣).

ولذا يجب عدم الإستماع الى الحديث الكاذب والقول الفاحش وقول الزور والغيبة والنميمة والبهتان وإشاعة الفاحشة وما شابه ذلك.

حقّ البصر

قال عليه السلام: **«وأمّا حقّ بصرك: فغضه عمّا لا يحلّ لك وترك ابتذاله، إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو تستفيد بها علماً؛ فإن البصر باب الاعتبار»**.

---

(١) تحف العقول: ٢٨.

(٢) إرشاد القلوب: ١٣.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٢٢١.

الشرح:

البصر وسيلة من وسائل العلاقة بين الإنسان والبيئة، وهو إحدى آليات النفوذ الى العقل والضمير والإرادة، وهو إحدى سبل التمتّع بالحياة الإنسانية والنظر الى عظمة الله تعالى في مخلوقاته، ولذا يجب أن يكون كما أراده الله تعالى في مخلوقاته، ولذا يجب أن يكون كما أراده الله تعالى وسيلة للعبرة والعلم والاعتبار، فينبغي أن يكون باباً للخير والصلاح لا باباً للفسق والانحراف.

قال تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...**﴾[١].

وقال الإمام عليعليه السلام: «**من غضّ طرفه أراح قلبه**»[٢].

وقالعليه السلام: «**كم نظرة جلبت حسرة**»[٣].

وإطلاق النظر دون تقييده بقيود الشرع مقدّمة للموت بجميع ألوانه، ومنه الموت المعنوي.

قال الإمام عليّعليه السلام: «**من أطلق طرفه جلب حتفه**»[٤].

وقال أحد الشعراء:

ليس الشجاع الذي يحمي مطيته
يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكنّي فتىً غضّ طرفاً أو ثنى بصراً
عن الحرام فذاك الفارس البطل[٥]

---

(١) سورة النور: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) تصنيف غرر الحكم: ٢٦٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ذمّ الهوى لابن الجوزي: ١١٩، عبدالرحمن بن الجوزي.

فينبغي تركيز النظر على كلّ شيء نافع للناظر أو للمجتمع، كالنظر الى عجائب خلق الله، والنظر الى الأعمال والإنجازات التي تحفّز الإنسان على أن يكون فاعلاً في الحياة، أو النظر الى آثار الماضين من صالحين وطالحين لأخذ العبر منها في حركة الإنسان التكاملية.

حقّ إليد

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ يدك: فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لك، فتناول بما تبسطها إليه من الله عقوبة في الآجل ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها ممّا افترض الله عليها، ولكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يجعل لها، وتبسطها الى كثير ممّا ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب في الآجل**».

الشرح:

البسط في اللغة: بسط الشيء نشره وتوسّعه، فتارة يتصوّر منه الأمران، وتارة يتصوّر منه أحدهما[1].

والقبض في اللغة: تناول الشيء بأطراف الأصابع، ويعبّر عن القليل بالقبض.

ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل: قبض.

والقبض: السلب، ويستعمل في ترك التبسّط[2].

وعلى ضوء ذلك فإنّ حقّ اليد أن لا تنشرها وتوسّعها إلى المحرّم، فتنال العقوبة في الآخرة واللائمة من الناس في الدنيا، ولا تمسكها أو تمنعها من أداء الواجبات الشرعية.

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥١

(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

فالموقف السليم هو توقيرها بمنعها عن فعل الحرام، وتوسعة المجال لها لتنطلق في الأعمال الصالحة، وعلى أساس هذا القبض والبسط تكون قد حصلت على شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

فيجب وينبغي بسطها في الأعمال الصالحة، ومن أهمّها:

١ ـ مساعدة الفقراء والمحتاجين والإحسان إليهم.

٢ ـ الإنفاق الواجب والإنفاق المستحب، كدفع الزكاة والخمس والصدقة المستحبّة.

٣ ـ إغاثة الملهوفين والتفريج عن المكروبين.

٤ ـ نصرة المظلومين.

٥ ـ أداء مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد.

٦ ـ حماية الدين والكيان الإسلامي بمواجهة الأعداء بالقوّة.

كما ويجب منعها من ممارسة الأعمال الطالحة والمشينة، ومنها:

١ ـ السرقة والاعتداء على أموال الناس.

٢ ـ الاعتداء على أرواح الناس.

٣ ـ الاعتداء على حرّيات الناس المشروعة.

٤ ـ معونة الظالمين.

٥ ـ الكتابة المثيرة للاضطراب والقلق والفتنة والانحراف والمشجّعة على جميع أو بعض ألوان الموبقات.

وقد وردت آيات قرآنية كريمة في بسط اليد وقبضها في موارد عديدة، ومن أهمّها ما يتعلّق بالاعتداء وبالإنفاق.

قال تعالى حاكياً عن هابيل: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إلى يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إليكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾(٢).

حقّ الرجلين

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ رجليك: فأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك، ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفّ بأهلها فيها، فإنّها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك، ولا قوّة إلا بالله**» .

الشرح:

الرجل إحدى جوارح الإنسان التي تعدّ وسيلة من وسائل الاتّصال والعلاقة مع المجتمع، وهي مطية الإنسان في طرقه في الحياة بجميع أبعادها، وهي ذات حدّين، فإمّا أن تسوق صاحبها إلى الاستقامة أو الانحراف، وأنّ حركتها حركة إرادية خاضعة للإنسان يستطيع توجيهها حيث يشاء، لذا من حقّها أن تكون طريقاً لإصلاح النفس وإصلاح المجتمع وأن تجعل صاحبها موزوناً في تعامله متقيّداً بالموازين والقيم الصالحة.

وهي وسيلة أو مطية تحمل الإنسان نحو الدين ونحو الصلاح والرشاد، كالمشي الى المسجد أو الحجّ أو إصلاح بين الناس، أو علاج لأزمة اجتماعية، أو تقديم معونة، أو إغاثة ملهوف، أو طلب علم ومعرفة، أو زيارة لقريب أو صديق.

---

(١) سورة المائدة: ٢٨.

(٢) سورة الإسراء: ٢٩.

حقّ البطن

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ بطنك: فأن لا تجعله وعاءً لقليل من الحرام، ولا لكثير، وأن تقتصد له في الحلال، ولا تخرجه من حدّ التقوية الى حدّ التهوين وذهاب المروءة، وضبطه إذا همّ بالجوع والظمأ، فإنّ الشبع المنتهي بصاحبه إلى التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل برّ وكرم، وإنّ الرأي المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة**».

الشرح:

حقّ البطن أن لا يجعله صاحبه مستودعاً للحرام سواء كان قليلاً أو كثيراً؛ لأنّ الحرام معصية لله تعالى وتمرّد على أوامره ونواهيه، سواء كان قليلاً أو كثيراً، فالحكمة عدم المعصية وليس مقدارها ودرجتها، فهي معصية في جميع الأحوال.

ويجب أن يقتصر الإنسان على تناول المباح بحدود متوازنة ومعتدلة فلا إفراط ولا تفريط؛ لأنّ كلّ منهما يولّد أو يترك آثاراً سلبية على صحّة الإنسان البدنية والنفسية والعقلية.

وقد نهي الله تعالى عن الإسراف في الأكل والشرب، فقال: ﴿...**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب، وثلث للنفس**»[2].

وحذّر صلى الله عليه وآله من الإسراف في الأكل والشرب وإن كان مباحاً، وبيّن الآثار السلبية المترتبة عليه:

---

(١) سورة الأعراف: ٣١.

(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١١١.

* «**إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت**»[١].

* «**من تعوّد كثرة الطعام والشراب قسا قلبه**»[٢].

* «**إيّاكم وفضول الطعام؛ فإنّه يسمّ القلب وبالقسوة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصم الهم عن سماع الموعظة**»[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من قل أكله صفي فكره**»[٤].

ومن أضرار الشبع والتخمة:

١ ـ عسر الهضم وتوسّع المعدة.

٢ ـ الجهد على القلب.

٣ ـ تعرّض المعدة للتمزّق.

٤ ـ زيادة الشهوة.

٥ ـ عدم صفاء الذهن[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات: يلقى الغطاء على قلبه، والنعاس على عينه، والكسل على بدنه**»[٦].

وقد أثبتت التجارب أنّ الإسراف في الأكل يولّد أمراض السكري والضغط والحصى في الكليتين، إضافة إلى الأمراض النفسية والعقلية، كقلة التفكير والكسل البدني والعقلي وتعطيل الطاقة الحيوية.

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١١٢.

(٢) فردوس الأخبار ٤: ٨٤.

(٣) عدة الداعي: ٢٩٤.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ٣٢٠.

(٥) مع الطب في القرآن: ١٣٠.

(٦) شرح نهج البلاغة: ١٩، الحكمة ٦٧٤.

وينبغي عدم ترك الغذاء، وقد أرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى فوائد كلّ نوع من أنواع الغذاء وآثاره الإيجابية على البدن والعقل والنفس والقلب، فشجّعوا على اختيار النوعية لا الكمّية.

وكلّ ما ذكره القرآن الكريم من مواد غذائية لها آثار إيجابية استثنائية، كالعسل والتين والزيتون والرطب والعدس والثوم، إلى آخره.

وقد جمعت الصحّة من حيث الاعتدال في الأكل والشرب بمثال واحد، وهو صيام شهر رمضان، فالصيام فيه آثار إيجابية على الجسم والنفس، ولكن حدّد له الشرع وقتاً معيّناً، ولذا حرّم صوم الوصال، وهو صوم يومين متتاإلىين دون إفطار؛ لأنّ عدم تناول الغذاء مضرّ بالصحّة ويؤدّي الى ضعف الجسم وأجهزته، وكذلك ضعف جميع الجوارح؛ لأنّها بحاجة إلى غذاء.

حقّ الفرج

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ فرجك: فحفظه ممّا لا يحلّ لك، والاستعانة عليه بغضّ البصر، فإنّه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدّد لنفسك بالله، والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوّة إلا به**».

الشرح:

حقّ الفرج حفظه وإبعاده عن الحرام بجميع ألوانه ومظاهره، وأهمّ طرق ووسائل الوقاية:

١ ـ غضّ البصر.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «**اتّق النظرة بعد النظرة، فإنّها سهم مسموم يرث الشهوة في القلب**»[2].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**كم من نظرة جلبت حسرة**»[3].

٢ ـ ذكر الموت.

قال الإمام علي عليه السلام: «**اذكروا هادم اللذّات ومنغّص الشهوات وداعي الشتات**»[4].

فاستشعار رهبة الموت وما بعد الموت يمنع الإنسان من الانسياق وراء اللذائذ المحرّمة، إضافة الى التفكير باللذائذ الباقية يحفّزه على تحصين فرجه بالحلال ومنعه من الحرام.

٣ ـ التهديد للنفس بالعقوبة الإلهية.

استشعار العقوبة الإلهية يردع الإنسان من الانحراف ويمنعه من الرذيلة، وكذلك استشعار الثواب عند الحصانة.

قال رسول الله ﷺ: «**من قدر على امرأة أو جارية حراماً فتركها مخافة الله حرّم الله عزّ وجلّ عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر وأدخله الجنّة، وإن أصابها حراماً حرّم الله عليه الجنّة وأدخله النار**»[5].

---

(١) سورة النور: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) ذم الهوى، لابن الجوزي: ٧٩.

(٣) تصنيف غرر الحكم: ٢٦٠.

(٤) تصنيف غرر الحكم: ٢٦٠.

(٥) عقاب الأعمال: ٣٣٤.

٤ ـ إثارة الوجدان.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**برّوا آباءكم يبرّكم أبناؤكم، وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم**»[(١)].

وأوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام: «**يا موسى بن عمران، من زنى زنيّ به، ولو في العقب من بعده. يا موسى بن عمران، عفّ تعفّ أهلك. يا موسى بن عمران، إن أردت أن يكثر خير أهلك فإيّاك والزنا. يا موسى بن عمران، كما تدين تدان**»[(٢)].

وأمام الشهوات والمغريات، ووساوس الشيطان، وضعف النفس، والإثارة الخارجية، ووجود المنحرفين، فإنّ العصمة من الانحراف تستمدّ مقوّماتها من الرعاية الإلهية، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

قال الإمام محمّد الجواد عليه السلام: «**المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممّن ينصحه**»[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهمّ، جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء**»[(٤)].

ثانياً: حقوق الأرحام

حقّ الأُم

جاء في رسالة الحقوق: «**فحقّ أُمّك: أن تعلم أنّها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، وأنّها وَقَتْك بسمعها**

---

(١) تحف العقول: ٢٦٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٢١.

(٣) تحف العقول: ٣٤٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ١: ٥٣٢.

وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرة بذلك، فرحة، موبلة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمّها، حتّى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظلّك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءً وحجرها لك وقاءً وثديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءً، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه».

حقّ الأب

وقال عليه السلام: «**وأمّا حقّ أبيك: فتعلم أنّه أصلك وأنّك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوّة إلا بالله**».

الشرح:

إنّ نعمة الوجود معلولة للوالدين، فهما الوسط الناقل للإنسان من العدم إلى الوجود كما أراده الله تعالى، وهما المسؤولان عن حضانته وتنشئته وتربيته. وهذه الأعمال ليست بالسهلة أو اليسيرة، ولذا فمن واجب الإنسان شكر والديه على قدر ما بذلاه من جهود ومن رعاية لا حدود لها. والشكر ليس كلمة تقال باللسان، بل ممارسة عملية يراعى من خلالها حقوق الوالدين في جميع المجالات، ومنها الإحسان والصحبة بالمعروف، والبرّ.

قال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾**[1].

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾[2].

ومن حقوق الوالد على ولده ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستبّ له**[3]»[4].

وعن الصادق عليه السلام، قال: «**جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال:** «**يا رسول الله، من أبرّ؟ قال: أمّك، قال: ثم مَن؟ قال: أُمّك، قال: ثم مَن؟ قال: أمّك، قال ثم مَن؟ قال: أباك**»[5].

وحرّم الإسلام عقوق الوالدين بجميع مظاهره، مجالاته ومصاديقه.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**من أحزن والديه فقد عقّهما**»[6].

وفي جميع الظروف والأحوال فإنّ رضا الوالدين مقرون برضا الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**رضا الله مع رضى الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين**»[7].

حقّ الولد

قال عليه السلام: «**وأمّا حقّ ولدك: فتعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه**

---

(١) سورة الإسراء: ٢٤.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

(٣) أي: لا يصبح سبباً لسبّ الناس له.

(٤) الكافي ٢: ١٥٩.

(٥) الكافي ٢: ١٦٠.

(٦) بحار الأنوار ٧٤: ٧٢.

(٧) بحار الأنوار ٧٤: ٨٠.

والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب. فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه، ولا قوّة إلا بالله».

الشرح:

إنّ الولد مضاف لوالده سواء كان ذكراً أم أنثى، فهو منسوب إليه، فأيّ سلوك يصدر منه يعتبر صادراً من الوالد، فيحكم على الوالد من خلال سلوك ولده، وهو مسؤول عنه من حيث تربيته وتعليمه، ويترتّب على أداء هذه المسؤولية ثواب أو عقاب تبعاً لمقدار أدائها. فالوالد مسؤول عن حسن أدبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله **«أكرموا أولادكم، وأحسنوا آدابهم»**(١).

وهو مسؤول عن زرع الإيمان في قلبه وتعريفه بخالقه، تبعاً لمستواه العقلي الذي يتطوّر من عام الى آخر، فلكلّ مرحلة أسلوب خاصّ، وقد حدّد الإمام الباقر عليه السلام منهج تربية الطفل في الدلالة على الله تعالى وطاعته، فقال: **«إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له: قُل لا إله إلا الله سبع مرّات، ثمّ يترك حتّى تتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً فيقال له: قُلْ: محمّد رسول الله سبع مرّات، ويترك حتّى يتمّ له أربع سنين، ثم يقال له: قُلْ سبع مرّات صلّى الله على محمّد وآله، ثم يترك حتّى يتمّ له خمس سنين، ثمّ يقال له: أيّهما يمينك وأيّهما شمالك؟ فإذا عرف ذلك حوّل وجهه الى القبلة ويقال له: اسجد، ثمّ يترك حتّى يتم له سبع سنين، فإذا تمّ له سبع سنين قيل له اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما قيل له، صلّ، ثمّ يترك حتّى يتمّ له تسع سنين، فإذا تمّت**

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٥.

له تسع سنين علم الوضوء وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها، فإذا تعلّم الوضوء والصلاة غفر الله عز وجلّ له ولوالديه إن شاء الله»[١].

وتعليم الولد معرفة الله تعالى يستتبعها تأديبه على حبّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، وتعلّم قراءة القرآن.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم، وحبّ أهل بيته، وقراءة القرآن**»[٢].

في هذه المرحلة تنمو المشاعر والعواطف والأحاسيس عند الطفل، من حبّ وبغض وانجذاب ونفور واندفاع وانكماش، فيجب على الوالدين استثمار حالات الاستعداد العاطفي عند الطفل، وتنمية مشاعره وعواطفه، وتوجيهها نحو الارتباط بأرقى النماذج البشرية، والمبادرة إلى تركيز حبّ النبي صلى الله عليه وآله وحبّ أهل البيت عليهم السلام في خلجات نفسه. والطريقة الأفضل في تركيز الحبّ هو إبراز مواقفهم وسلوكهم في المجتمع، وخصوصاً ما يتعلّق برحمتهم وعطفهم وكرمهم ومعاناتهم وما تعرّضوا له من حرمان واعتداء، يجعل الطفل متعاطفاً معهم محبّاً لهم مبغضاً لمن آذاهم من مشركين ومنحرفين.

والتركيز على قراءة القرآن في الصغر يجعل الطفل منشدّاً إلى كتاب الله، متطلعاً على ما جاء فيه، وخصوصاً الآيات والسور التي يفهم الطفل معانيها.

ومن أجل إنجاح التعليم والتربية يجب خلق الظروف والأجواء المناسبة لها، وهي بدورها تعدّ من حقوق الولد على والده، وأهمّها: إشعاره بالمحبّة والتقدير وبمكانته لتتعمّق العلاقة بينه وبين والده، وهي ضرورية لتقبّل إرشاداته وتوجيهاته.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٢.

(٢) كنز العمّال ١٦: ٤٥٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**نظر الوالد إلى ولده حبّاً له عبادة**»(١).

وقال صلى الله عليه وآله: «**أحبّوا الصبيان وارحموهم، فإذا وعدتموهم فوفوا له، فإنّهم لا يرون إلا أنّكم ترزقونهم**»(٢).

ومن مصاديق محبّة الطفل واشعاره بمكانته: التشجيع له ومدحه على ما ينجزه من أعمال وإن كانت يسيرة، والتجاوز عن بعض الهفوات، وعدم تسفيه أقواله أو أعماله، وعدم حمله على ما لا يطيق كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**رحم الله من أعان ولده على برّه.. يقبل ميسوره ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه ولا يخرق به...**»(٣).

وتقبيل الطفل من أفضل الوسائل لإشعاره بالحبّ والحنان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أكثروا من قبلة أولادكم، فإنّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنة**»(٤).

وقال صلى الله عليه وآله: «**من قبّل ولده كان له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة...**»(٥).

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**برّوا آباءكم يبرّكم أبناءكم**»(٦).

فإذا ادّى الوالد هذا الحقّ فإنّه مثاب عليه، وإذا لم يؤدّه فمعاقب عليه.

فيجب على الوالد أن يؤدّي مسؤوليته، وأن يعمل في أمره عمل المتزيّن في تحسين مظاهره في هذه الدنيا، حيث إنّ آثاره تنعكس عليه اجتماعياً، وهو معذور في الآخرة لأدائه لمسؤوليته التربوية.

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٦٢٦.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢١٩.

(٣) الكافي ٦: ٥٠.

(٤) مكارم الأخلاق: ٢٢٠.

(٥) عدّة الداعي: ٧٩.

(٦) تحف العقول: ٢٦٧.

حقّ الأخ

قال عليه السلام: «وأمّا حقّ أخيك: فأن تعلم أنّه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجئ إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوّتك التي تصول بها فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوّه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه والإقبال عليه في الله، فإن انقاد لربّه وأحسن الإجابة له، وإلا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه».

الشرح:

الأخ بمثابة اليد للإنسان، فهي ساعده والقوّة التي تسانده في أعماله وحركاته وفي إنجاز مشاريعه المتنوّعة، وهو السند له والملجأ إليه في جميع الأحوال، وهو العزّة التي يعتمد عليها والقوّة التي يصول بها في المجتمع.

فيجب أن يتّخذ الإنسان أخاه عوناً على الطاعة لا عوناً على المعصية، ولا وسيلة أو عدة لظلم الناس، ويجب نصرته على نفسه وعدوّه وشيطانه.

ونصرته على نفسه أي نصرته على نفسه الأمّارة بالسوء، ونصرته على أهوائه ورغباته البعيدة عن الحقّ، ونصرته على شهواته التي يراد إشباعها بطرق غير مشروعة، ونصرته على الشيطان الذي يريد إيقاعه في المعصية والذنب، ونصرته على أعدائه من الذين يخالفون المنهج الإلهي.

ويجب تأدية النصيحة له أي الإخلاص له في الموعظة وفي التوجيه وفي الاستشارة. كما يجب الإقبال عليه والانفتاح معه ومعونته في الله.

ويجب أن يكون المنهج الإلهي ميزاناً ومعياراً للقرب والبعد منه، فإن لم يؤدّ حقّ ربّه ولم ينقاد لأوامره ونواهيه، فيجب تقديم حبّ الله عليه، ولا ينبغي التعصّب له كأخ.

المصادر

القرآن الكريم.

١ ـ إرشاد القلوب، الحسن بن محمّد الديلمي، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠١ هـ.

٢ ـ بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٣ ـ تحف العقول، ابن شعبة الحرّاني، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠ هـ.

٤ ـ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٩٧ هـ.

٥ ـ ذمّ الهوى، عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٦ ـ سنن ابن ماجة، محمّد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٣ هـ.

٧ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣م.

٨ ـ عدة الداعي، أحمد بن فهد الحلّي، مكتبة الوجداني، قم، ١٤٠٠ هـ.

٩ ـ عقاب الأعمال، أبو جعفر الصدوق، مكتبة الصدوق، طهران ١٣٩١ هـ.

١٠ ـ فردوس الأخبار، شيرويه الديلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

١١ـ الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، دار صادر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

١٢ ـ كنز العمّال، علي المتقي الهندي، مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ.

١٣ ـ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، محسن الكاشاني، جامعة المدرسين قم ١٣٨٣ هـ.

١٤ ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ.

١٥ ـ مستدرك الوسائل، حسين النوري، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٩٨ هـ.

١٦ ـ مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب، مؤسّسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤ هـ.

١٧ ـ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، المكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٦٢ هـ. ش.

١٨ ـ مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٢ هـ.

١٩ ـ المنجد في اللغة، لويس معروف، انتشارات إسلام، طهران، ١٣٨٦ هـ. ش.

٢٠ ـ من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر الصدوق، جامعة المدرسين، قم ١٣٩٢ هـ.

praise and lamentate Ahle bait in Imam Sajjad's poetry

s. Mohammad Kalami ❊

abstract

many scientist and writers have written about the virtues of Imam Sajjad and because of his valuable and famous book_ Al_Sahifa Al_sajjadia _ or because of his sublime character and high prestige. but just a few writers has written about his poem. Imam Sajjad poetries include various aspects and approachs of human life,such as religious,ethics, asceticism, social affair and elc.in tnis article i have written about one of the important aspect of his life and that is praise and lamentation Ahle Bait in his poetry.

student of arabic literature ❊

أهمّ المصادر

* القرآن الكريم

١ ـ الإرشاد، محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد ، ١٤١٣ هـ ، مؤتمر الشيخ المفيد، قم .

٢ ـ الأمالي، الشيخ محمّد بن علي الصدوق ، ط ١٤٠٤ هـ ، المكتبة الإسلامية ، قم .

٣ـ بحار الأنوار، الشيخ محمّد باقر المجلسي ، ط ١٤٠٤ هـ ، مؤسّسة الوفاء، بيروت .

٤ ـ ديوان الإمام زين العابدين (مخطوط)، جمع وتحقيق سيّد محمود محمّد مناف .

٥ ـ النظرية السياسية لدى الإمام زين العابدين عليه السلام، محمود الموسوي البغدادي ، ط ١٤١٥ هـ ، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم .

٦ ـ ديوان ابن الرومي، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنّا ، ط ٢ ، ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال، بيروت .

٧ ـ ديوان امرئ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ١٩٥٨م، القاهرة .

٨ ـ ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤م ، القاهرة .

٩ ـ منتهي الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون البغدادي ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٩٩٩م .



الإسناد الاجتماعي في واقعة الطف

الإمام السجّاد عليه السلام إنموذجا

❑ د. ابتسام سعدون محمّد النوري ود. هدى محمّد سلمان

مقدّمة:

ضرب الإمام زين العابدين أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمّدي العظيم في التزاماته الخاصّة، وفي سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات . فكانت تتبلور فيه شخصيّة القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابليّة العلميّة الراقية، والفضل والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وتوءدة وهدوء .

فالصبر الذي تحلّى به، بتحمّله ما جرى عليه في كربلاء، وفي الأسر، ممّا لا يحتاج الى برهان وذكر. يحاول الإمام عليه السلام أن يهوّن عليهم المصائب والأتعاب التي تواجههم على هذا الطريق الوعر، كما ويؤكّد عليه السلام على التزامهم بالحقّ، واعتقادهم بولاية الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين فرض الله ولايتهم وأوجب طاعتهم.

ويبثّ في نفوسهم روح المقاومة والصبر والصمود والمثابرة والجدّ، ويثير فيهم روح العمل والتحرّك والنشاط وساندهم معنوياً. وكان يملؤهم بالأمل، والبشرى بالنجاح والفلاح، ويصلّي عليهم لتكون صلاته سكنّاً لهم.

هدف البحث

استهدف البحث الحالي تعرّف إسناد الإمام زين العابدينعليه السلام اجتماعياً لآل الحسين عليه السلام في واقعة الطف، وبعدها.

حدود البحث: يتحدّد البحث الحالي بخطبة الإمام زين العابدينعليه السلام في مجلس يزيد (لعنه الله).

الفصل الأوّل: تحديد المصطلحات:

الإسناد الاجتماعي عرّفه كلّ من:

١ ـ هو: سلوك متنوع من المساعدة الواقعية والمعنوية التي يتلقّاها الأفراد فعلاً.

٢ ـ تقديم المساعدات المادّية أو المعنوية التي تتمثّل في أشكال التشجيع أو التوجيه أو المشورة[١].

٣ ـ هو: إحساس الفرد بأنّه محبوب عند الناس ومقدر وذو قيمة وينتمي إلى شبكات اجتماعية بالإضافة لتقديم معلومات ومساعدة ملموسة[٢].

أهمّية الإسناد الاجتماعي

يتضمّن الإسناد الاجتماعي أصنافاً متنوّعة من المساعدة والعون التي تقدّم من الأفراد والأسرة والأصدقاء والجيران والأخرين الى الفرد[٣].

---

(١) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: ٩.

(٢) الدعم الاجتماعي: ١٦٢.

(٣) (Barrera,Sandler&Ramsay,١٩٨١:P ٣٤٦).

ويتّضح ذلك من انواع الإسناد الذي قدّمه الإمام زين العابدين لآل الحسين عليه السلام.

كما أن الإسناد الاجتماعي يشير الى طبيعة بناء الروابط الاجتماعية بين الفرد والأخرين ممن يعدهم مهمين في حياته، وبذلك فهو يشمل الإسهام في التنظيمات الاجتماعية وتكرار زيارة الأصدقاء للفرد ووجود الأبوين، إذ تعدّ كلها مصادر ساندة في حياته، فهذا المفهوم يعدّ الروابط الاجتماعية مصدراً مهمّاً للإسناد الاجتماعي، وأنّها تقدّم إسناداً خلال فترات الشدائد والحاجات والمساعدة في جميع الأحوال(١).

وهناك اتّجاه آخر يفهم الإسناد الاجتماعي على انه سلوك متنوّع من العلاقة الواقعية بين الأفراد عندما يحتاجون الى مساعدة ما فيما بينهم، وتكون هذه العلاقة على شكل روابط اجتماعية(٢).

واتّضح ذلك أيضاً أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية، وتفاعلها مع عواطف المجتمع أحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات.

ومن جهة أخرى أوضحت دراسة (Holahan & Moos) دور متغيّرات الشخصية الإيجابية والإسناد الاجتماعي في التخفيف من وقع الأحداث الضاغطة من الصحّة الجسمية والنفسية، وأنّ الأفراد مرتفعوا الضغوط كانوا أقلّ ثقة وطموحاً وأقلّ في الإسناد الاجتماعي والقدرة على المواجهة ، وأكثر هروباً

---

(١) (Eaton,١٩٧٨, p٢٣١).

(٢) (Barrara&Sandler & Ramsay,١٩٨١: P. ٣٤٨).

وتجنّباً، وغالباً ما يؤدّي الإسناد الاجتماعي دوراً عظيماً في التخفيف عمّن يكونون تحت ضغوط نفسية[١].

فقد كان الإمام السجّاد عليه السلام متأكّداً من إسناد الحسين عليه السلام له بالدعاء أمام الله كي يلهمه الصبر والإرادة على تحمّل كل إهانات الظالم يزيد (عليه اللعنة)، وكان متيقّناً بإسناد الحسين له، إذ كان قادرا على مواجهة كل الضغوطات والمصاعب التي واجهته وواجهت موكب أل الحسين، كما كان سانداً لهذا الموكب ومخفّفاً عن آلامهم.

فالفرد الذي يتمتع بالإسناد الاجتماعي من الآخرين يصبح شخصاً واثقاً من نفسه وقادراً على تقديم الإسناد الاجتماعي للآخرين، وأقلّ عرضة للاضطرابات النفسية، وأكثر قدرة على المواجهة[٢].

فقد كان الإمام السجّاد عليه السلام واثقا من نفسه، وهذه الثقة مستندة من ثقته بربّ العالمين، هذه الثقة لها نتائج إيجابية وهي الإيمان بالنصر .

وبرز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسي إسلامي عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة ـ وهو في قيد المرض والأسر ـ أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجّرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصلية بأُسلوب مشرق كان في منتهي التقنين والأصالة، والإبداع .

وأراد يزيد (عليه اللعنة) أن يتباهى بمقتل الحسين عليه السلام أمام عامة الناس،

---

(١) سيكلوجية الحياة الزوجية: ٥٤.

(٢) الإسناد الاجتماعي للربيعي: ٣١.

وكذا أمام الإمام السجّاد عليه السلام ليكمل بذلك عمله، وهو حرب على الله ورسوله الكريم ويشفي غليله من رسول الله، فأمر يزيد بمنبر وخطيب ليذكر مساوئ الحسين وأبيه علي عليهما السلام فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، واكثر الوقيعة في علي والحسين عليهما السلام وأطنب في تقريظ يزيد بن معاوية (عليهما اللعنة). فاستغلّ الإمام السجّاد هذا الموقف لأن يردّ به على الكذّاب وابن الكذّاب وكذا يبيّن مظلومية أبيه الحسين عليه السلام وكذا يبيّن حقيقة بني أمية لأهل الشام ويبيّن لهم من هم أهل الحقّ ومن هم أهل البيت، حيث كان أهل الشام لا يعرفون من هو الحسين ومن هم أهل بيته، وما هو الإسلام الحقيقي إهو إسلام معاوية ويزيد؟ أم إسلام محمّد وآل محمّد؟ وليبعد الشُبَه عن أمير المؤمنين والحسين بأنّه خارجي قد خرج على امام عصره يزيد كما يزعمون.

فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: «**ويلك أيها الخاطب، اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار**»، ثم قال: «**يا يزيد، ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات فيهنّ لله رضا، ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب**»، فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد، فلعلّنا نسمع منه شيئاً.

فتعجّب الناس من مقولة هذا الغلام الذي لم يسمعوا بمثله شيء، لأنّهم لطالما سمعوا على المنبر كلاماً به نفاق وسب وشتم وغير ذلك، فمالت قلوبهم لأن يروا ما هي كلمات هذا الغلام.، فقال لهم يزيد: إن صعد هذا المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، لأنّ بني أميّة لطالما مروا بهذه المواقف، فلطالما استدعا معاوية ومروان وعمرو بن العاص وغيرهم من بني أمية الإمام الحسن عليه السلام ليشمتوا به ويسبّون أباه أمير المؤمنين أمامه، ولكنّه كان يدافع ويقلب

الأمر عليهم فيتمنّوا أنّهم لم يكونوا بهذا الموقف السخيف، لأنّه قارن نفسه الزكية بهم ويذكر مناقب آل محمّد ومثالب بني أُمية ويقل لهم من منا هو على الحقّ الآن، فيردّوا الى أوكارهم خاسئين[١].

وقد عبّر الإمامعليه السلام بالأعواد ولم يقل بالمنبر؛ لأن المنبر محلّ شريف ومكان رفيع، لا يجلس عليه إلا أولياء الله وعباده الصالحين، لا أمثال معاوية ويزيد (لعنهما الله)، ومرتزقيهما المنبوذين. وقد استهان به بعض الحاضرين، لأنّهم وجدوا غلاماً هزيلاً وضعيفاً من شدّة المرض، وكذا كان مقيّداً بالأغلال، فاستخفّوا بقدرته العظيمة ناظرين للظاهر، وقد أعمى الله بصيرتهم، ولو كانت لديهم بصيرة لما قالوا هذا الكلام: وما قدر ما يحسن هذا، فقال لهم: إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً[٢]. ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود، فألقى خطبته المباركة. وتجمع هذه الخطبة من فضائله ومناقبه ما لا تجمعها خطبة غيرها، أبكى منها العيون، واوجل منها القلوب، ليبيّن للناس منهم هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على إمام زمانهم!! فحمد الله وأثنى عليه، فقال فيها: «**أيّها الناس، أُعطينا ستّاً، وفضّلنا بسبع، أُعطينا: العلم والحلم والسماحة**»، أي العلم الربّاني الذي لا يملكه أحد، وهو علم الكتاب، وأنّهم بعلمهم هذا قادرين على عمل أي شيء؛ لأنّ الذي كان عنده علم من الكتاب (أي جزء من العلم) قدر على أن يحضر عرش بلقيس قبل أن يرد سليمانعليه السلام طرف عينه. وكذا السماحة، وهي اللين بالتعامل، والفصاحة والشجاعة، قيل: يارسول الله، ما رأينا أفصح منك، قال: «**وما**

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٤٦.

(٢) زقّ الطير أي وضع الطعام في فمه.

يمنعني وأنا أفصح العرب، وأنزل الله القرآن بلغتي وهي أفضل اللغات، بيد أنّي ربيت في بني سعد بن بكر»[١].

أمّا الشجاعة فكل العرب تشهد شجاعة بني هاشم، وهذا الشيء يشهد له حتى معاوية (عليه اللعنة) حين سئل معاوية: من أحق الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: لا أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي، جدّه رسول الله، وفيه شجاعة بني هاشم[٢].

فكان على الإمام السجّادعليه السلام أن يتولّى المواجهة والتصحيح، وقد كانت البداية في الشام،حيث الدور الإعلامي أكثر تأثيراً من قعقعة السيوف وطعن الرماح مع ما يستبطن من فضح وكشف واحتمال تصفية وقتل، فيقف الإمام السجّادعليه السلام في مجلس يزيد مسفّهاً الدعاوى الأموية التي حاولت تشويه نهضة الحسينعليه السلام وتزييف أهداف ثورته ، فيروح مندّداً بالعصابة التي حرّفت دين النبيصلى الله عليه وآله ويضع أُولى العناوين العريضة في المسيرة التبليغية الإعلامية التي قادت وتقود مسيرة الأحياء العظيمة هذه، برائدها الوحيد الحيّ الباقي، مؤكّداً على الفرعونية الجديدة التي تتحكّم باسم الدين ، وتجلّى دور الإمام السجّادعليه السلام في قيادة مشروع الإحياء وثورة التصحيح بالارتقاء بمهمّته الرسالية إلى استكمال هذا المشروع وريادة هذه الثورة من خلال مدرسة علمية كبيرة بوجوده في المدينة المنوّرة التي هي البداية الثانية .

كما أن الإسناد الاجتماعي من الأخرين الموثوق بهم له أهمّية كبيرة في زيادة معدّلات التوازن النفسي والثقة بالنفس ومواجهة الضغوط النفسية وضبط

---

(١) بحار الأنوار ١٧: ١٥٨.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٤٥.

الذات والتحصن ضد الجنوح والانحراف[١].

وقد أُوتيت ثمار إسناد الإمام لموكب آل الحسين،بما أنّه محلّ ثقة لديهم، ممّا أدى الى ازدياد معدلات التوازن النفسي وضبط الذات ومواجهة الضغوط وكل ما بَدَر من جند يزيد طيلة المسيرة المتعبة التي واجهتهم.

الفصل الثاني

أوّلاً: مفهوم الإسناد الاجتماعي

الإسناد في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أخرى﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾[٣]،وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَراً﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٦].

بعد قراءة الآيات الكريمات يتّضح لدينا أهمّية الإسناد الاجتماعي في

---

(١) (Coyne& doweney , ١٩٩١, p. ٤٦٢).

(٢) سورة طه: ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة المؤمنون: ٥٥.

(٤) سورة الكهف: ٣٤.

(٥) سورة الكهف: ٤٦.

(٦) سورة الكهف: ٩٥.

المفهوم القرآني، إذ أشار الى أهمّية أن يكون للإنسان إسناد تمثّل هنا في صورة العصا التي استخدمها نبي الله موسى عليه السلام وما يمثّله المال ووجود البنين من إسناد اجتماعي معزّز للفرد ولعلاقاته الاجتماعية مع الآخرين.

ووجود الإمام السجّاد عليه السلام كان له الأثر الكبير في تحمّل آل الحسين عليهم السلام المشهد المروّع في واقعة الطف، وكان يمثّل مركزاً فاعلاً من مراكز الإسناد والطمأنينة وتحمّل الضغوطات.

أبعاد الإسناد الاجتماعي

يعد الإسناد الاجتماعي إدراكاً من الفرد للإسناد المترتّب على علاقته الاجتماعية ذات الأهمّية وأنّه يعدّ تماسكاً اجتماعياً نتيجة ما يتلقّاه الفرد من مساعدة من الأفراد المحيطين به أو من أي فرد آخر في بيئة الفرد الاجتماعية. كما ويعد الإسناد الاجتماعي الحماية التي يحصل عليها الأفراد من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد[1].

والإسناد الاجتماعي الذي قدّمه الإمام السجّاد عليه السلام في واقعة الطف هو تمسّكه بإيمانه بالله وإيمانه بالقدر الذي رسمه الله للحسين عليه السلام من خلال الآيات القرآنية التي كان يردّدها ويبثّ معانيها للسيّدة زينب عليها السلام أُمّ المصائب، وهذا تجلّى واضحاً بصلابتها النفسية وإيمانها بأنّها ولدت يوم استشهاد أخيها الحسين عليه السلام وسوف يولّد ألف حسين بعده، حينما ردّدت خطبتها التي هزّت بها عرش الطاغية يزيد (لعنه الله)، كلّ هذا كان امتداداً لصلابة ابن أخيها زين العابدين عليه السلام.

---

(١) (Norbek,Lindsey,&Carrieri ,١٩٨٣: ٥).

كما حدّد عدد من المختصّين في مجال علم النفس بعض المفاهيم كالإسناد الفعلي والتماسك للدلالة على إدراك الفرد للجوانب الإسنادية التي تقدّمها له البيئة الاجتماعية.

وهناك اتّجاه آخر يفهم الإسناد على أنّه سلوك متعدّد من المساعدات التي يستقبلها الأفراد فعلاً عندما يحتاجون لمساعدة ما. فالإسناد الاجتماعي لحالة كهذه يفهم على أنّه الوصف السلوكي للإسناد، وفيه يطلب الفرد ذكرَ ما قُدِّم له من إسناد فعلي في مجالات متنوّعة[1].

وأوّل ما يلفت النظر في دراسات الإسناد الاجتماعي الفرضية التي تقول: إنّ الإسناد الاجتماعي يعمل كوسيط (Moderate)،أو حاجز (Buffer) لضغوط الحياة، ويحمي من المرض. ونجد العديد من الباحثين في هذا المقام يحاولون تقرير علاقات الإجهاد والإسناد الاجتماعي بالصحّة الجسمية والعقلية، ولا تزال طبيعة هذه العلاقات غير متّفق عليها[2].

فالإسناد الاجتماعي هو توفّر الأشخاص الذين يمكن أن نرجع إليهم أو نعتمد عليهم والذين نعلم أنّهم يهتدون بنا، ويعطوننا قيمة، ويحبوننا. وهذا المفهوم يتضمّن عنصرين هما:

أ ـ إدراك الفرد أنّ هناك عدداً كافياً من الأشخاص يمكن الركون إليهم وقت الحاجة.

ب ـ درجة الرضا عن الإسناد المتوفّر (Sarason , Levine,Basham &

(١) (Barrera , ١٩٨٨: ٢١١).

(٢) (Beels , ١٩٨١: ٥٨-٧٢).

(Sarason ,١٩٨٣: ١٢٧) .

أمّا ألن ودن وأنسل (Lin& Dean & Ensel, ١٩٨١) فيشيرون الى الإسناد الاجتماعي على أنّه «حصول الشخص على المساعدة من خلال الروابط الاجتماعية مع الأفراد والآخرين والجماعات والمجتمع بشكل عام». (Lin&Dean & Ensel , ١٩٨١: ٧٤).

أمّا بريرا فقد ذكر أنّ الإسناد الاجتماعي(Barrera, ١٩٨٣) " هي الدرجة التي يدرك بها الفرد أنّ حاجاته للإسناد والمعلومات والتغذية الراجعة يمكن تلبيتها أو الإيفاء بها من الأصدقاء والعائلة (Barrera,١٩٨٣: ٢١).

وقد حدّد بريرا وانلاي (Barrera & Ainlay, ١٩٨٣) الإسناد الاجتماعي كما يأتي:

١ـ المساعدة المادّية: وهي تزويد الفرد بالمواد الملموسة، كالنقود والأشياء المادية الأخرى.

٢ـ المساعدة السلوكية: وهي الاشتراك مع الفرد بمهمّات من خلال أداء عملي وفعلي وأداء جسمي.

٣ ـ التفاعل الحميمي: تفاعل المودّة وسلوك الإرشاد غير الموجّه، كالإصغاء وإظهار التقدير والاهتمام والتفهّم.

٤ـ التوجّه: وهو تقديم النصيحة والمعلومات والتوجيهات.

٥ـ التغذية الراجعة: وهي تزويد الفرد بالتغذية الراجعة من خلال مراجعة وتقييم سلوكه وأفكاره ومشاعره.

٦. التفاعل الاجتماعي الإيجابي: وهو الاشتراك في تفاعلات اجتماعية للتسلية والاسترخاء. (Barrera & Ainlay , ١٩٨٣: ١٣٥ - ١٣٦)

أمّـا نوربــاك ولندســي وكريــرا (Norbek&Lindsey&Carrieri) يقولون: إنّ الإسناد الاجتماعي هو الحماية التـي يحصل عليها الفـرد مـن خـلال شبكة علاقات اجتماعية تتّصف بثلاث خصائص، هي:

ـ عدد افراد الشبكة الاجتماعية: أي كلما زاد عـدد الأفـراد المتعـاونين قلّـت الضغوط النفسية والشعور بالوحدة أو العزلة.

ـ فترات العلاقة: أي كلّما كانت علاقة الفرد بـالآخرين لفتـرات طويلـة كـان هناك دعم وإسناد فاعل في أثناء حدوث أيّة حاجة لذلك.

ـ تكرار الاتّصال مع أفراد الشبكة الاجتماعية: وهي عدم العزلـة والوحـدة أو الانطوائية والتفرّد، لأنّ الفرد هو جزء من المجموعة، فتكرار الاتّصال يؤدّي إلـى المودّة والتسامح والإسناد في أثناء المحن والكوارث.

أمّا ونـرت(Weinert) فإنّهـا حـدّدت الإسـناد الاجتمـاعي إسـتناداً لوظيفـة العلاقات بين الناس التي تتضمّن المجالات الآتية:

ـ توفّر الصلة والعلاقة الحميمة.

ـ التكامل الاجتماعي والإحساس بأنّه جزء متمّم للمجموعة.

ـ توفّر فرصة سلوك الرعاية للآخرين.

ـ الاطمئنان على أنّ للشخص قيمة كفرد في أداء دوره.

ـ توفّر المعلومات والمساعدة الانفعالية والمادية (weinert,١٩٨٧:٢٧٣).

تـشير كيوترونـا (Cutrona) إلـى أنّ مراجعـة الأنـساق النظريـة التـصنيفية للإسناد الاجتماعي تكشف عن درجة عالية من الاتّفاق بين المنظّـرين والبـاحثين على الرغم من اختلاف المصطلحات التي يستخدمونها، وتخلـص الـى أنّ هنـاك خمـسة ابعـاد اساسـية للإسـناد الاجتمـاعي هــي: المـساندة الوجدانيـة، والتكامـل

الاجتماعي، ومساندة التقدير، والمساندة المادية، والمساندة المعرفية[١].

ويؤكّد (kaplan) على أنّ الإسناد الاجتماعي يتكوّن من بعدين أساسيّين، هما: المساندة العاطفية، والمساندة الملموسة.

في حين يؤكّد(Hirsch) على أنّ للإسناد الاجتماعي خمسة أبعاد، هي: المساندة العاطفية، ومساندة الإرشاد والتوجيه المعرفي، والمساعدات المادّية، والتعزيز الاجتماعي، وشبكة العلاقات الاجتماعية[٢].

وأوضحت مارتين هبرا (Martine Habra) أربعة أبعاد للإسناد الاجتماعي تمثّلت في: البعد العاطفي، والبعد المعلوماتي، والبعد الأدائي، وبعد التقدير والاهتمام.

وناقش فايس (Veis) ستة أبعاد للإسناد الاجتماعي، هي: المودّة، والتكامل الاجتماعي، والرعاية، والقيمة، والترابط، والتوجيه[٣].

ومن جهة أخرى، يشير (House) الى أنّ الإسناد الاجتماعي يمكن أن يأخذ عدّة أشكال، هي:

ـ الإسناد الانفعالي (Emotional Support): وهو الإسناد الذي ينطوي على التقدير والرعاية والثقة والقبول والتعاطف.

ـ الإسناد الأدائي (Instrumental support): هو الإسناد الذي ينطوي على المساعدة في العمل والمال، وغالباً ما يزوّد به الفرد من الأسرة والأصدقاء المقرّبون .

---

(١) علم الاجتماع.. الأسرة: ٨٥.

(٢) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: ٣٦.

(٣) الإسناد الاجتماعي لحسن: ٢٢.

ـ الإسناد المعلوماتي(Informational Support): هو الإسناد الذي ينطوي على إعطاء نصائح، أو معلومات أو تعليم مهارة لتسهيل حل مشكلة أو موقف ما.

ـ الإسناد التقويمي (Appraisial Support): هو الإسناد الذي ينطوي على التغذية الراجعة المتعلّقة بآراء الفرد أو سلوكه[(١)].

ملخّص النظريات التي تناولت الإسناد الاجتماعي: تتنوّع النظريات في أفكارها عند دراستها مفهوم الإسناد الاجتماعي.

فكارل روجرز يرى أنّ الإنسان في الأساس مخلوق واع وعاقل، يحكمه الإدراك التام لذاته الخاصّة والمحيط الذي يعيش فيه، فبقدر المساندة الاجتماعية التي يتلقّاها الفرد من المحيطين به يكون نموّه النفسي والاجتماعي صحيحاً[(٢)].

أمّا ماسلو فيرى بأنّ الفرد يصل إلى تحقيق الذات بعد مروره بالحاجات الأخرى، والتي تتدرج من أسفل، أو قاعدة الهرم صعوداً إلى قمّته، لذلك سمّيت نظرية ماسلو: بالنظرية الهرمية، إذ تحتلّ الحاجات الفسيولوجية قاعدة الهرم، وهي تشمل حاجة الجوع، والعطش، وهي تحتاج في إشباعها إلى مساندة اجتماعية مادّية، ثم تليها حاجات إلى الأمن والسلامة، وهي تحتاج لإشباعها إلى مساندة اجتماعية معنوية، أي الشعور بوجود الأخرين والأمان معهم، ثم تليها حاجة الحبّ والانتماء، وهي تحتاج إلى انتماء إلى جماعة، والشعور بالألفة معهم، وهي أيضاً مساندة اجتماعية معنوية، ودعم عاطفي ودعم وجداني، ثم

---

(١) علم الاجتماع.. الأسرة: ٨٥.

(٢) أضواء على الشخصية الإنسانية : ٩٢.

حاجات احترام الذات، والتي تحتاج إلى سلسلة من العلاقات الاجتماعية وإلى روابط اجتماعية لتحقيقها، وهي أيضاً مساندة اجتماعية، ثم الحاجات العقلية، وهي حاجات تحقّقها المساندة الاجتماعية للفرد(١).

وينظر هاري ستاك سوليفان إلى الإنسان من خلال اندماجه وتفاعله مع الأخرين، وهو يرى أنّنا من الصعوبة أن ندرس سمة من سمات الشخصية، أو ظاهرة نفسية أو اجتماعية أو سلوكية بمعزل عن الآخرين؛ لأنّه يرى أنّ أساس فكرة المرء عن نفسه مبنية على أساس علاقته بالأخرين، وأنّ العزلة عن الأخرين سببها فقدان الشعور بالأمن(٢).

واتّضح ذلك من تماسك والتفاف موكب آل الحسين بالسجّاد عليه السلام؛ لما يمثّل لهم من قيمة كبيرة تتمثّل بأنّه مصدراً لإسناد الاجتماعي وشعورهم بالأمن والطمأنينة النفسية بجواره.

أمّا نظرية الجماعة المرجعية فتعرف جماعة الإسناد بأنّها: هي تلك الجماعة التي يلعب فيها الفرد أحب الأدوار الاجتماعية إلى نفسه وأكثرها إشباعاً لحاجته،والفرد يشارك أعضاء الجماعة المرجعية الدوافع والميول والاتّجاهات وقيمهم ومعاييرهم ومثلهم ويتوحّد مع الجماعة، وهكذا يَعَدُ الفرد الجماعة المرجعية جماعته ويَعُّدّ معاييرها معاييره(٣).

وقد اشبعت حاجة الإمام السجّاد عليه السلام من خلال إحساسه بأنّ الدور الذي

---

(١) المصدر السابق: ٩٦ ـ ١٠٣.

(٢) المسؤولية الاجتماعية: ٥٢.

(٣) أصول التربية وعلم النفس: ٨٩ ـ ٩٠.

يلعبه الآن وفي هذه الفترة العصيبة (أي فترة السبي)، هي بالنسبة إليه أحبّ الأدوار إلى نفسه؛ لأنّ ميولهم ودوافعهم واتّجاهاتهم ومعاييرهم كلها متوحّدة وهدفها واحد، وهي إعلاء شأن الحسين عليه السلام ونشر مظلوميته وبأنّهم على حقّ، لا كما يزعم آل يزيد (عليهم اللعنة) بأنّ ما جرى لهم هو عقاب لهم لأنذهم قد عصوا إمام زمانهم.

أمّا علماء النفس الاجتماعي فقد أجمع أغلبهم على أنّ المعيار الاجتماعي هو (تكوين فرضي معناه ميزان أو مقياس أو قاعدة أو إطار مرجعي للخبرة والإدراك الاجتماعي والاتّجاهات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي النموذجي أو المثالي الذي يقبله المجتمع دون رفض أو اعتراض او نقد.

ووفقاً لهذا المنطلق النظري فإنّ تقديم الفرد الإسناد الاجتماعي للأخرين يتوقف على ذخيرته من المعايير الاجتماعية التي تحتّم عليه في ضوئها القيام بهذا السلوك دون غيره

الفصل الثالث

المحور الأوّل: الإمام زين العابدينعليه السلام

إنّا نقرأ في سيرة الإمام السجّادعليه السلام منذ البداية صفحات من النضال الواضح، بحيث لا يمكن تجاوزها، والغضّ عنها بسهولة،فحضوره في كربلاء، ومواقفه في خطبه في الأسر، وتخطيطه عند الوصول الى المدينة، ثلاث محطّات

للتأمّل في سيرة الإمام السجّاد عليه السلام، وفي بدايتها بالضبط، تستدعي التوقّف عندها لأخذ الشواهد العينية لمعرفة أبعاد نضاله المستقبلي.

وإنّي أعدّ هذه البداية مهمّة جداً للبحث، إذ أنّها توقفنا على اتّجاه السهم السياسي الذي أطلقه الإمام السجّاد عليه السلام ليصيب به هدفه الأوّل والأخير، والذي أمتدّ سيره طول حياته الشريفة.

ولو تأمّلنا ما في هذه المحطّات من أعمال، وبظروفها وحوادثها، نرى أنّها لم تقصر في الاعتبار السياسي عن قعقعة السيوف وصليلها، ولا عن عدو الخيول وضبحها وصهيلها، ولا عن وغى العساكر ولجبها، بل تتجاوز في بعض الاعتبارات أثر خروج محدود يؤدّي الى الشهادة، في تلك الظروف الحرجة المعقّدة، التي غطّى فيها التعتيم على الحقائق، وضلّل الإعلام كلّ الأجواء، وأصمّ الدجل كلّ الآذان، وأعمى التزوير كلّ الأبصار، وكدّر الظلم النور المؤدّي الى النظر الصائب.

فلنقف في كلّ نقطة مع أهم ما حفظ لنا من خلال المصادر، ولنقرأ تلك الصفحات:

دور الإمام زين العابدين عليه السلام بعد واقعة الطف: العالم الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مرَّ بمراحل كثيرة وخطيرة، فكان الأئمّة عليهم السلام يواجهون كل مرحلة بما يناسبها من المواقف والأفعال حتى يصحّحوا كل ما قد انحرف عن جادة الإسلام الصحيح، وربّما كانت أخطر مرحلة تلك التي أعقبت كربلاء وما جرى فيها ، حيث استبيح الدم الطاهر، وانتهكت بها حرم الإسلام، وضاعت قيم الدين الحنيف من أنفس الناس، وتولاهم كل منحرف شاذ يحملهم على ترك مخافة الله وارتكاب الموبقات.

وهذه المرحلة عاش فيها الإمام السجّاد عليه السلام أربع وثلاثين عاماً من سني حياته الشريفة وهو يصحّح ما قد انحرف أو زال ، ذلك الإسلام الذي أراده الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله من نفوس الناس .فقد عمل بنو أمية ومن والاهم على صنع نموذج من الإسلام يستطيعون به أن ينعموا بنعم الدنيا ويستعبدوا المسلمين ، وقد دأبوا على ذلك حتى قبل أن يستأثروا بها .

فهذا معاوية بعد أن ركب السلطة وقف ليعلن فصل الدين عن الدولة صراحة ويقول: «يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم له كارهون. ألا إن كل دم أصيب في هذه مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين»[1].

فكانت أبرز سمات وملامح إسلام بني أمية هي:

١ ـ تشويه أهل الحقّ بوضع الأحاديث وتلفيق التفاسير .

٢ ـ تصفية المعارضين جسدياً .

٣ ـ إنشاء الفرق الفكرية المعارضة .

٤ ـ نشر ثقافة السكوت على الظلم والظالمين بين المسلمين بل وتأييدهم، وأنّ الأسلم لهم عند احتدام المعركة بين الحق والباطل الفرار إلى رؤوس الجبال خشية الفتنة .

٥ ـ إرهاب الآمنين من الناس، ومصادرة أموال المعارضين ظلماً وعدواناً .

٦ ـ إغداق أموال الدولة على حزب بني أمية ومؤيّديهم .

٧ ـ تعطيل الحدود وإيقاف الشرع ونشر البدع في الدين .

---

(١) الكامل في التاريخ ٦: ٢٢٠.

هذه السمات وغيرها هي التي جاءت بيزيد إلى الحكم وعلى أساسها حكم وسار كلّ خلفاء بنو أمية على خطاه، وأصبح هذا الفاجر المتجاهر بشرب الخمر وضرب الدفوف أميراً على المسلمين والمتحكّم برقاب الناس، وقد أبى وريث الدوحة المحمّدية المتمثّلة بالإمام الحسين عليه السلام أن يدين لهم بالتمكين، وأصبحت واقعة الطف الجذوة التي لا تنطفئ ولا تبرد في قلوب المؤمنين .

المحور الثاني: مقاومة الإمام زين العابدين عليه السلام

إنّ مقاومة الإمام زين العابدين عليه السلام في مثل هذا الظرف، بل وتمرير خططه، وإنجاح مهمّاته وأهدافه، مع قلّة الأعوان والأنصار، يعدّ معجزة سياسية تحقّقت على يد هذا الإمام العظيم، الذي سار على خطى جدّه الرسول الأعظم في خلقه العظيم.

إنّ البطولة التي أبداها الإمام السجّاد عليه السلام بعد كر بلاء، وهو في أسر الأعداء، وفي الكوفة في مجلس أميرها، وفي الشام في مجلس ملكها، لا تقل هذه البطولة أهميّةً من الناحية السياسية عن بطولة الميدان، وعلى الأقلّ: لا يقف تلك المواقف البطولية مَن هالَتْهُ المصارع الدامية في كر بلاء، أو فجعَتْه التضحيات الجسيمة التي قُدّمَت أمامه، ولا تصدر مثل تلك البطولات ممّن فضّل السلامة.

نعم، لا يمكن أن يصدر مثل ذلك إلا من صاحب قَلْبٍ جسور، صلب يتحمّل كلّ الآلام، ويتصدّى لتحقيق كلّ الآمال، التي من أجلها حضر في ميدان كربلاء مَنْ حضر، وناضل مَنْ ناضل، واستشهد مَنْ استشهد، والآن يقف ليؤدّي دوراً آخر مَنْ بقي حيّاً من أصحاب كربلاء، ولو في الأسر.

إنّ الدور الذي أدّاه الإمام السجّاد عليه السلام بلسانه الذي أفصح عن الحقّ ببلاغة معجزة، فأتمّ الحجّة على الجميع بكلّ وضوحٍ، وكشف عن تزوير الحكّام

الظالمين بكلّ جلاء، وأزاح الستار عن فسادهم وجورهم وانحرافهم عن الإسلام. إنّ هذا الدور كان أنفذ على نظام الحكم الفاسد من أثر سيف واحد، يجرّده الإمام في وجه الظلمة، إذ لم يجد مُعيناً في تلك الظروف الصعبة.

لكنّه كان الشاهد الوحيد الذي حضر معركة كربلاء بجميع مشاهدها، من بدايتها، بمقدّماتها وأحداثها وملابساتها وما تعقّبها، وهو المصدّق الأمين في كلّ ما يرويه ويحكيه عنها.فكان وجوده استمراراً عينيّاً لها، وناطقاً رسميّاً عنها.

مع أنّ وجوده، وهو أفضل مستودع جامع للعلوم الإلهية بكلّ فروع: العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والعرفان، بل المثال الكامل للإسلام في تصرّفاته وسيرته وسنته، والناطق عن القرآن المفسّر الحيّ لآياته، إنّ وجوده حيّاً كان أنفع للإسلام وأنجع للمسلمين في ذلك الفراغ الهائل والجفاف القاتل في المجتمع الإسلامي.

كان وجودُه أقضّ لمضاجع أعداء الإسلام من ألف سيفٍ وسيف؛ لأنّ الإسلام إنّما يحافَظُ عليه ببقاء أفكاره وقيمه، والأعداء إنّما يستهدفون تلك الأفكار والقيم في محاولاتهم ضدّه، وإذا كان شخص مثل الإمام موجوداً في الساحة، فإنّه لا ريب أعظم سدّ أمام محاولات الأعداء.

وكذلك الأعداء إنما يُبادون بضرب أهدافهم، واجتثاب بدعهم، وفضح أحابيلهم، والكشف عن دجلهم، ورفع الأغطية عن نِيّاتهم الشرّيرة تجاه هذا الدين وأهله، والإفصاح عن مخالفة سيرتهم للحق والعدل،وعلى يد الإمام السجّادعليه السلام يمكن أن يتمّ ذلك بأوثق شكل وأتمّ صورة وأعمق تأثير.

ثمّ، إليس الجهاد بالكلمة واحداً من أشكال الجهاد، وإن كان أضعفها؟ بل إذا انحصر الأمر به فهو الجهاد كلّه بل أفضله، في مثل مواقف الإمام

السجّادعليه السلام، كما ورد في الحديث الشريف، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر**».

ولنصغِ إلى الإمام السجّادعليه السلام في بعض تلك المواقف:

فمن كلام لهعليه السلام كان يُعلنه وهو في أسر بني أمية:

«**أيّها الناس، إنّ كلّ صمت ليس فيه فكر فهو عيّ، وكلّ كلامٍ ليس فيه ذكر فهو هباء. ألا، وإنَ الله تعالى أكرم أقواماً بآبائهم، فحفظ الأبناء بالآباء، لقوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾[1]، فأكرمهما. ونحن ـ والله ـ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأكرمونا لأجل رسول الله لأنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في منبره: أحفظوني في عترتي وأهل بيتي، فمن حفظني حفظه الله، ومن آذاني فعليه لعنة الله، ألا، فلعنة الله على من آذاني فيهم..** حتّى قالها ثلاث مرّات. **ونحن ـ والله ـ أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن**».

وبهذه الصراحة، والقوّة، والبلاغة، عرّف الإمام السجّادعليه السلام للمتفرّجين ولمن وراءهم هذا الركب المأسور، الذي نبزوه بأنه ركب الخوارج،ففضح الدعايات، وأعلن بذلك أنه رَكْب يتألّف من أهل بيت الرسولصلى الله عليه وآله، وأفصح بتلاوة الآيات والأحاديث أنّه ركب يحمل القرآن والسنّة، ليعرف المخدوعون أنّ هذا الركب له ارتباط وثيق بالإسلام من خلال مصدريه الكتاب والسنّة.

وهو من لسان هذين المصدرين يصبّ اللعنة والنقمة على مَنْ آذى هذا الركب، من دون أن يمكّن الأعداء من التعرّض له؛ لأنّهعليه السلام إنّما يروي اللعنة الصادرة من الرسول وعلى لسانه.

---

(١) سورة الكهف: ٨٢

كان هذا الموقف، حين أخذ الناسَ الوجومُ، من عظم ما جرى في وقعة كربلاء، وما حلّ بأهل البيت﵈ من التقتيل والأسر، وذُهلوا حينما رأوا الحسينَ سبط الرسول وأهله وأصحابه مجزّرين، ويرون اليوم ابنَه وعيالاته أسرى، يُساقون في العواصم الإسلامية. والأسر في قاموس البشر يُوحي معاني الذلّ والهوان، والضعف والانكسار هذا، والناس يفتخرون بالانتماء إلى دين الرسول وسنّته!

والأنكى من ذلك أنّ الجرائم وقعتْ ولمّا يمضِ على وفاة الرسول جدّ هؤلاء الأسرى نصف قرنٍ من الزمن وموقفه الآخر في مجلس يزيد، فقد أوضح فيه عن هويّته الشخصية، فلم يَدَعْ لجاهل عُذراً في الجلوس المريب، وذلك في المجلس الذي أقامه يزيد، للاحتفال بنشوة الانتصار، ولابدّ أنّه جمع فيه الرؤوس والأعيان، انبرى الإمام السجّاد﵇، في خطبته البليغة الرائعة، التي لم يزل يقول فيها: أنا... أنا... تعريفاً بنفسه، وذاكراً أمجاد أسلافه، حتّى ضجّ المجلسُ بالبكاء والنحيب .

التوصيات:

الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات وإصدار النشرات في مجال فكر أهل البيت﵈ المتضمّن مواضيع عن الإسناد الاجتماعي والأسرة.

المقترحات:

١. إجراء دراسات لقياس العلاقات الارتباطية بين الإسناد الاجتماعي وعدد من المتغيّرات كالصحّة النفسية، القلق، الجمود العاطفي، التعاطف.
٢. إجراء دراسة مشابهة للدراسة الحالية، في فكر أهل البيت.
٣. إجراء دراسة مقارنة في الإسناد الاجتماعي تتناول شرائح اجتماعية مختلفة.

المصادر

أوّلاً: المصادر العربية:

١- الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيّين، شرح وتحقيق السيّد أحمد، منشورات الشريف الرضي، قم.

٢- ابن الأثير، علي بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، (١٣٥٦هـ): الكامل في التاريخ، مصر.

٣- الجنابي، صاحب عبد مرزوك (١٩٩٨): المسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بفاعلية المرشد التربوي، أُطروحة دكتوراه، كلّية التربية، ابن رشد، جامعة بغداد.

٤- الربيعي، طالب عبد سالم (١٩٩٧): الإسناد الاجتماعي وعلاقته بسمة القلق ودوافع الإنجاز لدى موظّفي دوائر الدولة، أطروحة دكتوراه، كلّية الآداب، الجامعة المستنصرية.

٥- حمزة، محمود رفعت (١٩٨٢): أصول التربية وعلم النفس، دار الفكر العربي، جمهورية مصر العربية، القاهرة.

٦- الشنّاوي، عبد الحليم وعبد الرحمان، أحمد (١٩٩٤): سيكولوجية الحياة الزوجية، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، لبنان.

٧- العاني، نزارمحمّد سعيد (١٩٨٩): أضواء على الشخصية الإنسانية، ط١، دار الشوؤن الثقافية العامّة، بغداد.

٨- رضوان، معن خليل وهريدي، محمّد(٢٠٠١): علم الاجتماع.. الأسرة، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن.

٩- ملكوش، رياض (٢٠٠٠): الدعم الاجتماعي والتكيّف الطلابي لدى طلبة الجامعة الأردنية، مجلّة دراسات العلوم الإنسانية، مجلّد (٢٧)، العدد (١).

١٠- حسن، خالد إبراهيم محمود(٢٠١٣): الإسناد الاجتماعي وعلاقته بالضبط الذاتي لدى طلبة المرحلة المتوسّطة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلّية التربية، الجامعة المستنصرية.

١١- الوردي، علي (٢٠٠٠): دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ط(١)، منشورات سعيد بن جبير.

١٢-المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار، طبعة بيروت.

ثانيا: المصادر الأجنبية:

١٣- Barrera, M,& etal(١٩٨١): preliminary Development of ascal of social support: studies on college students. Americon Journal of community psychology. Vol. (٩).no.(٤).

١٤- Barrera, M,& etal(١٩٨٨): support systems community and community mental health, New York, Behavioral publishers.

١٥- Beels R.D.(١٩٨١): person-environment fit: present, and future in cary L.coper, stress research issues for the eighties, chichester, john Wiley and sons.

١٦- Eaton , w. (١٩٧٨): Life Events social supports ,and psychiatrists symptoms: A reanalysis of the New Haven data journal of Health and social Behaviour , vol.(١٩).

١٧- Coyne,N,&doweney. Al.(١٩٩١): social support scales: A methodological, note, schizophrenia Bulletin, P.٤٧-٧٤.



الشيفرة القرآنية

موسوعة الصحيفة السجادية

❑ تحريرية مجلّة رسالة الثقلين

[١]

الشيفرة القرآنيَّة:

تمكّن عد من الباحثين الإسلاميين في إحدى شركات البرمجيّات المصريّة من التوصّل إلى كشفٍ علميٍّ جديدٍ يؤكّد أنّ القرآن الكريم نزل من عند الله سبحانه وتعالى يحمل (شفرة رقميّة ٦) على النبي الأكرم محمّدصلى الله عليه وآله، يستحيل معها على الإنس والجان التعرّض لآيات القرآن الكريم بأيّ تأويل أو تحريف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾، وهو ما أقرّته جامعة الأزهر من خلال إجازة هذا الكشف عبر اللجنة الشرعيّة بالأزهر.

وأكّد الباحثون في بيان لهم أنّه على مدار إحدى عشرة سنة من البحث الدؤوب في مقرّ الشركة بمدينة (سرس الليان) بمحافظة المنوفيّة شمال مصر، والتي يرأسها رجل الأعمال الدكتور إبراهيم كامل، توصّل الباحثون لكشف الشفرات الربانيّة التي يخاطبنا بها الله سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم حتّى اليوم وإلى يوم القيامة.

وقالت هناء جودة سيّد أحمد، نائبة رئيس مجلس إدارة الشركة: توصّلنا بعد أحد عشر عاماً من البحث الدؤوب لفكّ الشفرات الربانيّة للقرآن الكريم، التي

تركّزت في رقم (١٩) من خلال قوله تعالى: ﴿عَلَيْها تسْعَةَ عَشَر﴾[١]. وأضافت: حينما قرأنا الآية القائلة: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذينَ آمَنُوا إيمَاناً وَلاَ يَرْتَابَ الَّذينَ أُوتُوا الْكتَابَ وَالْمُؤْمنُونَ﴾[٢]، وجدنا مجموع حروفها (٥٧) وأنّها تقبل القسمة على (١٩)، ثمّ بحثنا في ترتيب نزول سورة (المدّثر) المباركة فوجدناها الرابعة، ثمّ السورة التالية (الفاتحة) التي وجّهنا المولى عزّ وجلّ لأن نجعلها فهرس القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً منَ الْمَثَاني وَالْقُرْآنَ الْعَظيمَ﴾[٣]، فقمنا بجمع حروف القرآن والآيات الشفع والوتر، فظهرت لنا أرقام تقبل القسمة على (١٩)، وإذا أضفنا لها مجموع حروف (بسم الله الرحمن الرحيم) وجدناها تقبل القسمة أيضاً على (١٩).

وتابعت هناء: أنّ هذا الاكتشاف العلمي يمثّل طفرة تؤكّد استحالة تحريف القرآن الكريم، وإمكانيّة كشف حدوث أيّ تحريف عن طريق هذه الشفرات الربانيّة، وكذلك يمكن استخدامها في كشف التحريف في الكتب السماويّة الأخرى، وقمنا بالفعل بتطبيق ذلك على الصفحات الـ(٢٠٠) الأولى من التوراة، فوجدنا حدوث تحريف في النصّ، وحينما حذفنا كلمة (إسحاق) ووضعنا بدلاً منها (إسماعيل)، تمّ ضبط الشفرة ومطابقتها للنصّ.

وأوضحت أنّه ثبت لديهم يقين رياضي بالإعجاز العددي في القرآن الكريم، ممّا يؤكّد دون أدنى شك أنّه مُنزل من عند الله تعالى، ويستحيل على البشر أو الجنّ الإتيان بمثله، منوّهةً إلى أنّ الشفرات الربانيّة رجّحت احتمال وجود «نموذج رياضي معجز للقرآن الكريم»، وأنّهم يجرون بحوثهم حاليّاً لكشف أسرار هذا النموذج الرياضي.

---

(١) سورة المدّثر: ٣٠.

(٢) سورة المدّثر: ٣٠.

(٣) سورة الحجر: ٨٧.

وأشارت هناء إلى أنّه تمّ تسجيل الكشف الجديد بحقوق الملكيّة الفكريّة الدوليّة، باستخدام البصمة الرقمية من خلال اللجنة الشرعيّة التي يرأسها الدكتور نصر فريد واصل، مفتي الجمهورية الأسبق، وضمّت الدكتور محمّد الشحّات الجندي العميد السَّابق لكليّة الحقوق بجامعة حلوان، والدكتور عبدالله مبروك النجّار أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر، وقام بالإشراف على جميع مراحل التدقيق لجنة المصحف الشريف بمجمع البحوث الإسلامية برئاسة الدكتور أحمد المعصراوي أستاذ علوم القرآن بجامعة الأزهر، وشيخ عموم المقارئ المصريّة.

(٢)

موسوعة الصحيفة السجّادية:

انطلاقاً من عدم توفُّر أيّ عملٍ موسوعيٍّ يتكفَل سبر أغوار مضامين الصحيفة السجّادية، وبملاحظة ما تشكّله الصحيفة من مرجعٍ أساسيٍّ معرفيٍّ وروحيٍّ على المستويين الدِّيني والإنساني، كانت فكرة مشروع الصحيفة السجّادية، التي قام بها معهد المعارف الحكميَّة في بيروت بإشراف الشَّيخ شفيق جرادي.

ويعتمد المخطّط العام للموسوعة من اعتبارات ثلاثة:

أوّلاً: ملاحظة خصوصيّات العمل الموسوعي، وهي ثلاثية: اللّغة، المصطلح، والدّلالة.

وثانياً: خصوصية الصحيفة السجّادية عبر تقسيم المحتوى العلمي والمعرفي إلى أنظمة معرفيّة يكون كلّ واحد منها متضمِّناً لرؤية محددة ومعمَّقة وكاملة.

ثالثاً: المنحى التّفسيري، ويعتمد فيه على ما يطلق عليه تسمية (الوحدة الدعائية)، أي: الدّعاء بما هو موضوع مستقلٌ للخروج برؤيةٍ شاملةٍ ومعمّقةٍ على

أنّ يبقى عنوان الدّعاء وموضوعه المحور الذّاتي الذي يدور حوله كلّ ما ينتج عن عملية التفسير.

والمنشود في المشروع العمل على مراعاة الجمع بين الأكاديمية والموضوعي مع الالتزام بمحتوى النصّ.

تقسيم عمل الموسوعة:

في قراءة متأنّيةٍ تمّ التّخطيط لعمل الموسوعة على أقسامٍ ثلاثة:

١ـ المصطلح (المعجم).

٢ـ الأنظمة المعرفيّة (دراسات وأبحاث).

٣ـ التّفسير بالوحدة الدعائية.

٤ـ بحثٌ في الموضوعات والمفاهيم المستفادة.

الأنظمة المعرفية في الصحيفة:

النّظام هو: مجموعةٌ من الأفكار والمفاهيم التي تتمحور حول موضوعٍ واحدٍ (العوارض الذّاتيّة)، وترتبط فيما بينها لتشكّل اتّجاهاً معرفيّاً خاصاً للاندراج في إطارٍ واحد، وتأليف كلّ منظّمٍ ومنسّق.

والأنظمة المتقرحة هي التالية: النظام المنهجي الأخلاقي، العرفاني، العقائدي، الفلسفي، الإنساني، الأدبي، البلاغي، اللّغوي، التّربوي والنّفسي، الدّعوة والتّبليغ والاتّصال، العبادي، الحقوقي والسِّياسي.

وأمّا كيفيّة العمل بالأنظمة فهو الأخذ بأبرز المصطلحات والمفاهيم الواردة فيه، ومعالجتها على ضوء كُلّيات العلم، وتحديد مرجعياتها الإنسانية والدينية.

التَّفسير بحسب الوحدة الدُّعائيَّة:

اعتبار كلّ دعاء وحدةً متكاملةً لإيجاد تلك الحالة من التّرابط الوثيق بين كافّة أجزاء الدّعاء وعنوانه مع غضّ النظر عن موقعية هذه الأجزاء في الدّعاء.

وخصوصية هذا المنهج التّفسيري أنّه يجمع بين النّمط التّفسيري والموضوعي.

موضوعات الصحيفة السجّادية:

محاولة استخراج مفاهيم أساسيّة إسلامية.

إصدارات الموسوعة السجّادية:

صدر إلى الآن ثلاث مجلّدات هي التالية:

الأوّل: الصحيفة السجّادية، الدّراسة السندية، البيلوغرافيا، النصّ.

الموضوع الأوّل في هذا المجلّد تمّ التعرّض فيه للبحث السّندي، باستعراض كلّ شخصية وقعت في سند الصحيفة، ثمّ عرض الأسانيد والإجازات.

وأمّا الموضوع الثاني فهو حول بيلوغرافيا الصحيفة، من خلال عرض مخطوطات الصحيفة وشروحها وترجماتها.

والموضوع الثّالث هو إدراج متن الصحيفة مع ضبطه.

الثاني: الصحيفة السجّادية، مصادر الصحيفة، دراسة في التّحليل الكمّي.

وأعدّ هذا المجلّد برهان بخاري وعرفان برهان بخاري. وهو عبارةٌ عن معجمٍ يعتمد على أساس المفردة أو الكلمة دون اعتماد نظريّة الجذر المتعارف عليها في المعاجم العربية، مع بيان عدد تكرار كلّ كلمةٍ منها.

الثّالث: الصحيفة السجّادية، المعجم المفهرس لألفاظ الصحيفة.

إعداد: أحمد ماجد، سمير خير الدين.

بالاعتماد على منهجية التَّرتيب الأبجدي؛ لأنّها الأكثر عملانيّة، فيُعيد الألفاظ إلى جذورها الثلاثية التي اشتقّت منها، مع ميّزاتٍ في هذا المعجم، وهي تحديد عدد المرّات التي ورد فيها اللّفظ، مع الإشارة إلى أنّ هناك العدد الكُلِّي الذي يرصد تمام عدد المرّات التي ورد فيها الفعل واشتقاقاته، بالإضافة إلى عدد كلّ اشتقاق على حدة.

(٣)

إصدارت:

* **الكتاب: حياة محمّد صلى الله عليه وآله.**

تأليف: محمّد حسين هيكل.

تعليق: السيّد عبد الرحيم الحصيني.

مراجعة: الشيخ أبوالفضل الإسلامي، الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي والسيّد منذر الحكيم.

تحقيق: حسين رفعت الصالحي، الشيخ عبد الأمير كمال وند، الشيخ علي بهرامي.

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

تاريخ الطبع: ١٤٢٨هـ.

عدد الصفحات: ٨٩٥ صفحة عادية.

تصدّى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام لاختيار كتاب (حياة محمّد) لمؤلّفه الأستاذ محمّد حسين هيكل، بهدف تحقيقه والتعليق عليه؛ فقد كان هذا الكتاب نافذةً لوعية الأمّة ووسيلةً لتقريب وجهات نظرها، وجعل القارئ وجهاً لوجه أمام سيرة نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله. وسيكتشف القارئ أنّ السيرة النبويّة إذا كتبت أو درست بمعايير الرسالة فستكون أداة تقريبٍ وتفعيلٍ لحركة الأمّة وجهادها ووعيها ووحدة صفّها.

وقد لخّص هيكل منهجه في دراسة التاريخ بأنّ على من يدرس التاريخ أنّ يتجنّب سلطان الهو ى وحكم المزاج، ولا سبيل إلى تجنّبها إلا من خلال التقيّد بالطريقة العلميّة أدقّ تقيّد، والناس على اختلاف مشاربهم الفكريّة والعقيديّة وتنوّع أمزجتهم وأهو ائهم لا يجمعهم من وجهة نظره سوى العلم والمنهج العلمي.

وبفعل وجود العديد من مواطن الضعف في مؤلّف الأستاذ هيكل هذا، تصدّى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام للتعليق على جملة من موارده، لكن بالمقدار الذي لا يغيّر هيكليّته وطابعه العام، وقد سجّل المعلّق في مقدّمته التي حملت عنوان (المدخل) جملة من نقاط الضعف الموجودة في الكتاب، وعلّق على بعض مواردها بما يراه مناسباً. ولا تفوتنا الإشارة إلى الجهو د التحقيقيّة التي أمّنت للقارئ إمكانيّة الرجوع إلى المصادر الأم للتحقّق بنفسه ممّا جاء في الكتاب من معلومات.

*** الكتاب: تلخيص كتاب أئمّة أهل البيت عليهم السلام في كتب أهل السنّة.**

تلخيص: حكمت الرحمة.

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

تاريخ الطبع: ١٤٢٨هـ.

عدد الصفحات: ٢٦٦ صفحة رقعي.

صدر عن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام كتاب (تلخيص كتاب أئمّة أهل البيت عليهم السلام في كتب أهل السنّة) للشيخ حكمت الرحمة، وهو جهد مبارك سعى فيه المؤلّف إلى التعريف بأئمّة أهل البيت عليهم السلام كما هم في أعين أهل السنّة. وقد صدّر المؤلّف كتابه بفصلين تطرّق فيهما إلى بعض الآيات والروايات الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام، بينما خصّص الفصول الثمانية التالية لنقل أقوال علماء

وأعلام أهل السنّة في فضلهم، مقتصراً في الروايات على ما صحّ عندهم، دون ما ضعّفوه، إلا ما كان على سبيل الشاهد والمتابع ونحوهما. أمّا الفصل الأخير فقد خصّصه للحديث عن الإمام الحجّة عليه السلام، مشيراً في بدايته إلى مسألة المهدويّة في الفكر الإسلامي، قبل أنّ يتطرّق إلى ولادته، حيث ذكر طائفتين من أقوال علماء أهل السنّة في ذلك.

وفي الخاتمة تناول المؤلّف مسألة التمسّك بأئمّة أهل البيت عليهم السلام، ليختم الكتاب بملحق تعرّض فيه لترجمة أكثر الشخصيّات السنيّة القائلة بولادة الإمام الحجّة ابن الحسن عليه السلام أو بمهدويّته.

*** الكتاب: جهو د أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على السنّة الشريفة.**

تأليف: السيّد علي حسن مطر الهاشمي.

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.

تاريخ الطبع: ١٤٢٨هـ

عدد الصفحات: ٨٥ صفحة متوسّط الحجم.

صدر كذلك عن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام كتيّب (جهو د أهل البيت عليهم السلام في الحفاظ على السنّة الشريفة) للسيّد علي حسن مطر الهاشمي، الذي تناول فيه المسألة باختصار غير مخلّ: فبعد أنّ مهدّ المؤلّف للبحث بمقدّمة بيّن فيها مكانة السنّة في التشريع وأنّها المصدر الثاني للتشريع الذي يقف إلى جانب القرآن الكريم، انتقل إلى المجالات التي نشط فيها أهل البيت عليهم السلام لتحقيق هذا الهدف. والمجال الأوّل هو حثّ أهل البيت عليهم السلام أتباعَهم على تلقّي الحديث وروايته وتدوينه. والمجال الثاني عبارة عن ممارسة أهل البيت عليهم السلام أنفسهم لتدوين الحديث الشريف. وتناول في المجال الثالث إشراف أهل البيت عليهم السلام

المباشر على حركة الحديث روايةً وتدويناً. وتعرّض في المجال الرابع وباختصار إلى ما وضعه أهل البيتعليهم السلام من الضوابط التي تؤدّي إلى العلم بصدور الحديث عنهم أوعدم صدوره، إضافة إلى الضوابط التي يعلم من خلالها صدور الحديث عنهم بنحو الإرادة الجديّة أو على نحو التقيّة.



أبو خالد الكابلي

من حواريي الإمام السجّاد عليه السلام

❑ أبو حسن العاملي

تكمن عظمة الإنسان ـ بل وانحطاطه ـ في أبعادٍ أربعة:

الأوّل: البعد الاعتقادي؛ لما له من الأثر الكبير على الأفعال والأعمال التي يزاولها الإنسان؛ لأنَّ ما يُعقد عليه القلب من أفكار سوف تترجم عمليّاً بما يصدر من الجوارح من أعمال. فإن كان ما عُقد عليه القلب حقّاً فسوف يسمو ويرتفع الإنسان، وإن كان ما عُقد عليه باطلاً فسوف يدنو ويهبط ويكون كالأنعام بل أضلّ سبيلاً.

الثّاني: البعد الانتمائي، وهذا أيضاً من الأبعاد التي تتأثّر بمضمرات النّفوس؛ لأنَّ العقيدة الرّاسخة تقتضي الالتجاء إلى ركنٍ شديد. ولا يمكن أنّ نجد عظيماً من عظماء عالم المعنى قد نجح في البُعد الاعتقادي إلا وانعكس ذلك على انتماءاته. وفي هذا السّياق نفهم قوله تبارك وتعالى في سورة المجادلة:

﴿**لاَ تَجدُ قَوماً يُؤمنُونَ باللَّه وَاليَومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَو كَانُوا آبَاءَهُم أَو أَبنَاءَهُم أَو إِخوَانَهُم أَو عَشيرَتَهُم أُولئكَ كَتَبَ فِي قُلُوبهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بروح منهُ وَيُدخلُهُم جَنَّات تَجري من تَحتهَا الأَنهَارُ خَالدينَ فيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهُم وَرَضُوا عَنهُ أُولئكَ حِزبُ اللَّهِ أَلاَ أَنّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ**

المُفلحُونَ﴾[١]. وفي المقابل لا نجد حقيراً في عالم المعنى إلا وتجده قد أساء في انتمائه وانتسابه، قال تعالى في سورة البقرة: **﴿ وَمنَ الناس مَن يَتَّخذُ من دُون اللّه أَندَاداً يُحبُّونَهُم كَحُبِّ اللّه وَالذينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للّه وَلَويَرَى الذينَ ظَلَمُوا إذ يَرَونَ العَذَابَ أنّ القوّة للّه جَميعاً وَأَنَّ اللّهَ شَديدُ العَذَاب* إذ تَبَرَّأَ الذينَ اتُّبعُوا منَ الذينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَت بهمُ الأَسبَابُ* وَقَالَ الذينَ اتَّبَعُوا لَو أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ منهُم كَمَا تَبَرَّءُوا منَّا كَذلكَ يُريهمُ اللّهُ أَعمَالَهُم حَسَرَات عَلَيهم وَمَا هُم بخَارجينَ منَ النَّار﴾**[٢].

الثَّالث: البعد الأخلاقي، بما يفرز من شمائل وفضائل تحسّنها العقول وتمتدحها النُّفوس تارةً، وتمجّها الألباب ويذمّها العقلاء تارةً أُخرى.

الرَّابع: البعد العملي، الذي ـ كما أسلفتُ ـ يكون من الانعكاسات القهريَّة لما تضمره القلوب من عقيدة وتنطوي عليه السَّريرة من نيّة.

وهذه الأبعاد الأربعة نجدها في الثلّة المؤمنة من أصحاب أهل البيت عليهم السلام بوضوح كبير، وفي هذا المقالة المختصرة نحاول تسليط الضَّوء على إحدى الشَّخصيّات التي تصلح أنّ تكون مناراً لنا في سيرنا الكادح إلى ربّنا؛ وقد وقع اختياري على أحد حواريّ الإمام الرَّابع من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، أعني: الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهو أبوخالد الكابلي؛ لما لهذه الشخصية من مشخّصات بارزة يمكن أنّ تكون مورداً للتأسّي والاقتداء في زمنٍ نحن في أشدّ الحاجة فيه إلى الرُّجوع إلى تعاليم الدِّين الحنيف، وإرشادات النَّبيِّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، المتجلّية في الثلّة الصالحة من أصحابهم وحواريّيهم.

---

(١) سورة المجادلة: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧.

الهوية الذاتية

التّسمية المشهورة: أبوخالد الكابلي.

اسمه: كنكر، وقيل: وردان.

لقبه: قيل: وردان، وقيل: القمّاط.

كنيته: أبوخالد.

موطنه الأصلي: كابل، عاصمة أفغانستان حالياً.

الفترة الزَّمنيَّة التي عاش فيها: عاصر الكابلي ثلاثة من الأئمّة، وهم: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، والإمام محمّد بن علي الباقر، والإمام جعفر بن محمّد الصَّادق عليهم السلام. فيكون قد عاش ما بين العقد السَّابع من الهجرة إلى العقد الرَّابع عشر منها.

أبوخالد الكابلي شخصيَّةٌ معروفةٌ عند أرباب التَّراجم والرِّجال، ولكن قد اختلف في اسمه، فقيل: وردان، وقيل: كنكر. قال الشَّيخ في رجاله عند الحديث عن أصحاب أبي محمّد علي بن الحسين صلى الله عليه وآله: «كنكر، يُكنّى أبا خالد الكابلي، وقيل: أنّ اسمه وردان»[(١)].

وفي أصحاب أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام يظهر منه أنّ كنكر ووردان شخصيّتان: إحداهما من أصحاب السجّاد عليه السلام، والأخرى من أصحاب الباقر عليه السلام، قال: «وردان، أبوخالد الكابلي الأصغر، روى عنه وعن أبي عبد الله عليه السلام، والكبير اسمه كنكر»[(٢)].

وقال في اختيار معرفة الرِّجال: «...أبوخالد الكابلي، واسمه وردان، ولقبه

---

(١) رجال الطوسي: ١١٩، تحقيق: جواد القيّومي الإصفهاني، الطبعة الأُولى ١٤١٥ هـ، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي، قم.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٨.

كنكر...»[١].

ونصّ المير داماد في تعليقته على الاختيار في موضع آخر أنّ هذا الذي اسمه وردان، ولقبه كنكر هو أبوخالد الكابلي الأكبر[٢].

وقد نقل الشَّيخ في الفهرست عن ابن عُقدة أنّ كنكر اسمٌ لأبي خالد القمّاط[٣]. وعدّ أبا خالد القمّاط تحت عنوان كنكر في رجاله في أصحاب أبي عبد الله عليه السلام[٤].

وقد نقل العلّامة نصّ الكشّي المتقدم في الاختيار من كون اسمه وردان ولقبه كنكر[٥]. إلا أنّ ابن داود لا نراه يرجّح هذا القول، فيقول: «**وردان أبوخالد الكابلي الأصغر، والأكبر كنكر، بالنُّون والرّاء المهملة، ورأيته بخطّ الشَّيخ أبي جعفر رحمه الله، وقال بعض الأصحاب: وردان، أبوخالد الكابلي، ولقبه كنكر. والحقّ الأوّل**»[٦].

هذا، والذي نستطيع أنّ نجزم به أنّ أبا خالد الكابلي الذي هو من أصحاب السجّادعليه السلام يُلقّب بكنكر، كما نصّت على ذلك رواية أبي بصير عن أبي جعفرعليه السلام في حديثٍ طويلٍ صرَّح في ابتدائه أنّ أبا خالد الكابلي كان في ابتداء

(١) اختيار معرفة الرّجال ١: ٣٣٢، تعليق: المير داماد الاسترابادي، تحقيق: السيّد مهدي الرّجائي، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٤ هـ.

(٢) المصدر نفسه (التعليقة) ١: ٢٥.

(٣) الفهرست: ٢٦٩، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هـ، نشر مؤسّسة نشر الفقاهة، قم.

(٤) رجال الطوسي: ٢٧٤.

(٥) انظر: خلاصة الأقوال: ١٥٧، تحقيق: الشَّيخ جواد القيّومي، الطَّبعة الأُولى ١٤١٧ هـ، نشر مؤسّسة نشر الفقاهة.

(٦) رجال ابن داود، تحقيق: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات الرّضي نقلاً عن طبعة النَّجف الأشرف ١٣٩٢ هـ، قم.

أمره يخدم محمّد بن الحنفيّة، إلى أنّ قال: «**فلما استأذن عليه (أي: علي بن الحسين عليه السلام)، فأذن له، فلمّا دخل عليه دنا منه، قال: مرحباً يا كنكر، ما كنتَ لنا بزائر؟!..**». وسوف تأتي الرِّواية كاملةً.

ولا يبعد أنّ يكون اسمه عند ولادته هو كنكر؛ كما تصرّح به تكملة الرّواية المتقدّمة، ثمّ عندما جاء إلى بلاد العرب لُقّب أو سُمِّي بوردان، وكيف كان فلا يترتّب على ذلك مزيد أهمّية، والله العالم.

النّصوص الواردة في حقّه

أوّلاً: من الأخبار

١ـ روى الكشّي عن محمّد بن قولويه بإسناده إلى أسباط بن سالم، قال: قال أبوالحسن موسى بن جعفر عليهما السلام: «**... ثمّ ينادي المنادي: أين حواريّي علي بن الحسين عليه السلام؟ فيقوم جبير بن مطعم، ويحيى بن أُمّ الطّويل، وأبوخالد الكابلي، وسعيد بن المسيّب...**»[1].

٢ ـ وعنه أيضاً، بإسناده عمّن سمعه عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «**ارتدّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبوخالد الكابلي، ويحيى بن أُمّ الطَّويل، وجبير ابن مطعم، ثمّ أنّ الناس لحقوا وكثروا**»[2].

٣ ـ وعنه أيضاً، بإسناده إلى أبي بصير، قال: سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: «**كان أبوخالد الكابلي يخدم محمّد بن الحنفيَّة دهراً، وما كان يشكُّ في أنّه إمام. حتّى أتاه ذات يومٍ فقال له: جُعلتُ فداك! أنّ لي حرمةً ومودةً وانقطاعاً،**

(١) اختيار معرفة الرّجال ١: ٤٣.

(٢) المصدر نفسه ١: ٣٣٨.

فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلا أخبرتني: أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه؟ قال: فقال: يا أبا خالد، حلّفتني بالعظيم، الإمام علي بن الحسين عليهما السلام عليَّ وعليك وعلى كلّ مسلمٍ. فأقبل أبوخالد لمّا أنّ سمع ما قاله محمّد بن الحنفيَّة، جاء إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فلمّا استأذن عليه فأُخبر أنّ أبا خالد بالباب، فأذن له، فلمّا دخل عليه دنا منه، قال: مرحباً يا كنكر، ما كنتَ لنا بزائرٍ؟! ما بدا لك فينا؟ فخرّ أبوخالد ساجداً شاكرَ الله تعالى مِمّا سمع من علي ابن الحسين عليهما السلام، فقال: الحمد لله الذي لم يُمتني حتّى عرفت. فقال له علي: وكيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: إنَّك دعوتني باسمي الذي سمّتني أُمّي التي ولدتني، وقد كنتُ في عمياء من أمري، ولقد خدمتُ محمّد بن الحنفيَّة عمراً من عمري ولا أشكّ إلا وأنّه إمام، حتّى إذا كان قريباً سألته بحرمة الله وبحرمة رسوله وبحرمة أمير المؤمنين، فأرشدني إليك، وقال: هو الإمام علي وعليك وعلي خلق الله كُلّهم، ثمّ أذنت لي، فجئتُ فدنوت منك سميّتني باسمي الذي سمّتني أُمّي، فعلمتُ أنّك الإمام الذي فرض الله طاعته علي وعلى كلّ مسلم»[1].

٤ ــ وعنه أيضاً، بإسناده إلى أبي صباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعه يقول: «خدم أبوخالد الكابلي علي بن الحسين عليهما السلام دهراً من عمره. ثمّ أنّه أراد أنّ ينصرف إلى أهله، فأتى علي بن الحسين عليهما السلام، فشكى إليه شدّة شوقه إلى والديه، فقال: يا أبا خالد، يقدم غداً رجلاً من أهل الشَّام له قدرٌ ومالٌ كثيرٌ، وقد أصاب بنتاً له عارضٌ من أهل الأرض، ويريدون أنّ يطلبوا معالجاً يعالجها، فإذا أنت سمعت قدومه فأتِه وقل له أنا أُعالجها لك على أنّني أشترط

(١) المصدر نفسه ١: ٣٣٦.

عليك أنّي أُعالجها على ديتها عشرة آلاف درهم، فلا تطمئنّ إليهم، وسيعطونك ما تطلب منهم. فلمّا أصبحوا قدم الرَّجل ومن معه، وكان رجلاً من عظماء أهل الشَّام في المال والمقدرة، فقال: أما من معالجٍ يُعالج بنت هذا الرَّجل؟ فقال له أبوخالد: أنا أُعالجها على عشرة آلاف درهم، فإن أنتم وفيّتم وفيّتُ لكم على إلا يعود إليها أبداً، فشرطوا له أنّ يُعطوه عشرة آلاف درهم. ثمّ أقبل إلى علي ابن الحسين عليه السلام، فأخبره الخبر، فقال: إنّي لأعلم أنّهم سيغدرون بك، ولا يفون لك. انطلق يا أبا خالد فخذ بأُذن الجارية اليُسرى، ثمّ قل: يا خبيث، يقول لك علي بن الحسين: أُخرج من هذه الجارية ولا تقعد. ففعل أبوخالد ما أمره، وخرج منها، فأفاقت الجارية، فطلب أبوخالد الذي شرطوا له فلم يُعطوه، فرجع مغتماً كئيباً. قال له علي بن الحسين عليهما السلام: ما لي أراك كئيباً يا أبا خالد؟! إنّهم يغدرون بك، دعهم فإنّهم سيعودون إليك، فإذا لقوك فقل لهم: لستُ أُعالجها حتّى تضعوا المال على يديّ علي بن الحسين عليهما السلام، فعادوا إلى أبي خالد يلتمسون مداواتها، فقال لهم: إنّي لا أُعالجها حتّى تضعوا المال على يدي علي ابن الحسين، فرجع أبوخالد إلى الجارية، وأخذ بأذنها اليُسرى، ثمّ قال: يا خبيث، يقول لك علي بن الحسين عليه السلام: اخرج من هذه الجارية ولا تعرض لها إلا بسبيل خير، فإنّك أنّ عُدت أحرقتك بنار الله الموقدة التي تطّلع على الأفئدة، فخرج منها ولم يعد إليها، ودفع المال إلى أبي خالد، فخرج إلى بلاده»[1].

٥ ـ روى الكليني بإسناده عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبوعبد الله عليه السلام: «كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمّد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام...»[2].

---

(١) المصدر نفسه ١: ٣٣٧.

(٢) الكافي ١: ٤٧٢، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، الطبعة الخامسة ١٣٦٣ هـ. ش، دار الكتب الإسلامية، طهران.

هذا، وبعض هذه النصوص وإن كان سنده موصوفاً بالضّعف، إلا أنّ صحّة البعض، واشتهار الرّجل، وصحّة مضامين أخباره التي نُقلت عنه في الأبواب المختلفة، كلّ ذلك يشهد له بالوثاقة، وحسن العقيدة.

ثانياً: من أقوال العلماء

قد تقدّم بعض ما ذكره علماء الرّجال في حقّه، ونُضيف هنا:

١ ـ قال الفضل بن شاذان: «ولم يكن في زمن علي بن الحسين في أوّل أمره إلا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيّب، محمّد بن جبير بن مطعم، يحيى بن أُم الطويل، أبوخالد الكابلي...»[(١)].

٢ـ قال أبوخالد الزّراري في آل أعين: «لهم أُختٌ يقال لها أُمّ الأسود، ويقال: إنّها أوّل من عرف هذا الأمر منهم من جهة أبي خالد الكابلي»[(٢)].

٣ ـ وذكر هو نفسه أنّ حمران بن أعين عرف هذا الأمر عن طريق أبي خالد الكابلي[(٣)].

حصيلة مواصفاته

١ـ إنّه من حواريّ الإمام السجّاد، وبالمقايسة مع إطلاق هذه الكلمة على أصحاب عيسى الخلّص ومواصفاتهم، يعرف أهمّية هذا الوصف لهذا الرّجل الموالي لأهل البيت.

٢ـ إنّه من القلّة الذين بقوا على العقيدة الحقّة في اتّباع الثّقلين بعد استشهاد المولى أبي عبد الله الحسين، وهذا أمرٌ في غاية الخطورة في ذلك الزّمن

---

(١) المصدر نفسه ١: ٣٣٢.

(٢) رسالة في آل أعين: ٢١، تحقيق: السيّد محمّد علي الموسوي الأبطحي، مطبعة ربّاني ١٣٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧.

الذي يُلاحق فيه أتباع أهل البيت عليهم السلام.

٣ـ إنّه كان رحمه الله يُبدي أهمّية كُبرى في معرفة الحقّ، ويبحث عنه، ويستدلّ عليه بالعلامات والبراهين.

٤ـ إنّه تشرّف بخدمة إمام زمانه مدّة مديدة، فطوبى له وحسن مآب.

٥ـ إنّه كان باراً بوالديه عطوفاً عليهما.

٦ـ إنّه كان مورد اهتمام إمام زمانه، فهنيئاً له، ورزقنا الله هذه النّعمة.

٧ـ إنّه كان مسلّماً لله ولرسوله ولإمام زمانه.

٨ـ إنّه لم يكن ثقةً فحسب، بل كان ثقة إمامه.

٩ـ إنّه كان من الدُّعاة النّشطين، وله فضلٌ على كثيرٍ من آل أعين.

فسلامٌ عليه وعلى من سار على نهج رسول الله وعترته الطّاهرة، والحمد لله أوّلاً وآخراً.



تصاريف مفردات وأنساق الدعاء
في الصحيفة السجادية

❑ محمّد نبيل الخيّاط

مقدّمة

لا يستطيع الباحث المتفحّص الممحّص لبنية وبينان هذا النصّ الفريد من نوعه بين النصوص الدينية المأثورة إلا أنّ يقف مشدوهاً مدهوشاً أمام هذا الفيض الجيّاش من الكلمات والعبارات المرصوفة المصفوفة التي تمّ حشدها بغزارة وجمعها بمهارة لتعبر عن مقصد واحد كبير بألفاظ وصيغ لا تكاد تنتهي في تشابهها وتشابكها. هدف هذه الدراسة هو بيان بنيان الدعاء كغرض ونوع نصي لم يسبق للباحثين قيامهم بها، حتّى المهتمين منهم بالنصوص الدينية، ربما لأنّ من يمتلكون الأدوات اللازمة لإجراء مثل هذه الدراسات الكلية النصية السياقية البلاغية للنصوص، وهم في كليتهم غربيون، لا يقيمون وزناً لمثل هذه النصوص التي لا يعرفونها ولا يحبونها، وبالتالي لا يتقنونها.

هذه المحاولة المستعجلة المتواضعة التي تحمل طموح القيام بمثل هذه الدراسات تظل محاولة بسبب قصر المدة التي أعطيت لتحرير مقالات (وليس دراسات) حول الصحيفة السجّادية. ولكن أصالة النصّ وفرادة موضوعه وكثافة

أطروحته، تجعلنا نحاول على عجل القيام بدراسة علمية تبرز على الأقل الخط العام لأرومة منظومة الدعاء السجّادي. لا يمكن استكشاف ولا استشراف هذا الخط أو الخيط إلا من خلال تبصر بنية وبنيان هذا الدعاء الطويل الممتد على مدى ثلاث وثمانين ديباجة.

ماذا نعني بالبنية والبنيان ؟

تحدّث أبو هلال العسكري في فروقه عن أصل استعمال البنية عند أهل اللغة[١]، وتحدث الجرجاني في أسرار البلاغة كذلك عن بنية الكلام وصورته[٢]، ويهمنا من حقيقة معنى اللفظ ومجازه استعماله في البناء، ولذلك أردفناه بلفظ البنيان حتّى لا يساور أحداً الشكُّ في اعتبار النصّ بنية بمعنى البنيان، بمعنى أنّ من يحرر كلاماً لا يحرره كيفما اتفق، وإنما يحرره ضمن منظومة ونظام للكلام حتّى ولو كان يريد بكلامه الفوضى نفسها، فكيف إذا كان النصّ فيوضات روح عالية في النقاء والصفاء؟! أنّ بنية الكلام في هكذا نص تعني هنا نظام منظومته ومنظومة نظامه، إنّها الهندسية التحتية الخلفية التي تضبط وترقم وتنظم بعفوية ووعي مضامين وأنساق كلامه. وقليل أنّ يقال في الصحيفة: إنّها بناء وبنية وبنيان ونظم ونظام ومنظومة؛ لأنّها نص من متانة الروح ومكانة الروع بمكان بحيث لا يمكن للقارئ الممعن في التمعن إلا الانبهار بانتظام كلماتها وعباراتها في معانيها ومقاصدها قبل انبهاره بها في بلاغتها وأدبها.

---

(١) يهمنا فيه تعريف أهل اللغة : «الفرق بين البنية والتأليف: ...وأهل اللغة يجرونها على البناء ..وقال بعضهم بنى بنية من البناء وبنية من المجد» الفروق اللغوية ١ : ١٠٦.

(٢) وهو يتحدّث عن وظيفة حرف الكاف في التشبيه : «إذ لا تصلُ إلى الكاف حتّى تُبطل بِنْيةَ الكلام وتُبدِّل صورته» أسرار البلاغة للجرجاني ١ : ٢٤٧.

إنّ ترتيب نصوص الصحيفة على شكل ٨٣ دعاء ومناجاة ليس هو الذي تعنى به هذه الدراسة، وإنما تعنى بهندسة بناء كلّ دعاء، كبر أم صغر، في قلب وعقل وروح الإمام السجّاد، وحين نتحدّث عن هندسة بناء فإنّنا نقصد بذلك ترتيب عناصره، أي أساساته وأعمدته وسطوحه وجدرانه وسقوفه وأبوابه ونوافذه. هذا ما نعنيه بتوصيفنا نص الصحيفة بالبنية والبنيان؛ لأنّها نص واحد قوامه أصل وأرومة شجرة الدعاء المباركة التي تفرّعت لأكثر من ثمانين دعاء ومناجاة تختلف في موضوعاتها وسياقاتها، لكن تتفق في مقاماتها، إذا اعتبرناها تراتيل وترانيم ومزامير.

بنية الدعاء عبر الصحيفة السجّادية

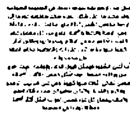
باشتمالها على ثلاثة وثمانين دعاء تطول وتقصر، تعتبر الصحيفة السجّادية ديواناً مثالياً تتيح لنا نصوصه العديدة فرصة دراسة بنية الدعاء، أي جمع وحصر مختلف العناصر التي يمكن أنّ تدخل في نسيج ديباجته. قد لا يجمع نص الدعاء الواحد جميع هذه العناصر، لكن مجموع هذه الأدعية في الصحيفة السجّادية يسمح برؤية مرتسم العناصر الأساسية المكونة لدعاء افتراضي جامع يطلق عليه أهل الاختصاص في علوم الدلالة اسم البنية العميقة لأي دعاء يمكن أنّ تلهج به مهجة متعبّد صادق في توجهه وطلبه وسؤاله لربه. فالصحيفة تمثل إذاً نصّاً أصلياً في فن الدعاء.

وهو نصّ غاية في الكثافة والرهافة بحيث يصعب توصيفه دون دراسة معمّقة تتبع توزع خيوط وخطوط، أي اتجاهات، عناصر نسيجه المتشابكة. وقد أوصلتنا دراسة مختلف ديباجاته وسياقاته إلى رؤية مجرته الجارية في فضاءات الدعاء آفاقاً وأعماقاً، ويمكن تمثيلها على شكل شجرة صغيرة أسميناها الشجرة السجّادية (انظر الشكل المرافق) تشبه في شكلها العام عرق زنبق تخرج أوراقه

وأزهاره من ضلع رئيس يتصاعد إهليجياً وقد ظهر له بوضوح أربعة مفاصل تضم في أليافها ونسغها أربع مجموعات من المفردات والعبارات تمثل كلّ مجموعة من المجموعات الثلاث الدنيا منها غرضاً من أغراض الدعاء الثلاثة الرئيسة بحيث يمكن تسمية الأولى بمقام الرهبة والثانية بمقام الرغبة والثالثة بمقام المحبة. أما الرابعة فتمثل مقام القبول والإجابة الذي يتخلل ذكره نسيج المجموعات الثلاث السابقة. تخرج من كلّ مفصل ورقتان كبيرة تمثّل عبارات الثناء عليه تعالى تحميداً وتسبيحاً وتمجيداً، وصغيرة تمثل عبارات الصلاة على النبي وآله. وفي أعلى عرق الزنبق تخرج من بين الورقتين خمس مجموعات زهر تمثل كبراها عائلة رحمته تعالى والثانية الأصغر منها قليلاً عائلة كرمه والثالثة عائلة قدرته، وهي أقل من سابقتيها تواراداً في الصحيفة، بينما تبرز من بين هذه المجموعات الكبيرة الثلاث من الزهر مجموعتان صغيرتان تمثّلان عائلتي ملكه تعالى وعلمه قليلتي التوارد في الصحيفة. ونعني بعائلة المفردات مجموعة الألفاظ المنضوية تحت لواء معنى رئيس وغالب. وتمثل العائلات الخمس مجموع أسمائه الحسنى المنتمية إلى رحمته وكرمه وقدرته وملكه وعلمه، تماماً كما وردت في عبارات الثناء عليه تعالى بين يدي كلّ دعاء.

ومن خلال قراءتنا التفكيكية لنصوص الصحيفة استطعنا تبين وجود خمسة مقامات رئيسة تتشكل منها عموماً بنية الديباجة العميقة للدعاء السجّادي. هذه العناصر كلية مركّبة ولست جزئية بسيطة:

مقام الثناء على الله تعالى تحميداً وتسبيحاً وتمجيداً، في بداية كلّ دعاء تقريباً، وفي ثنايا متنه وفي نهايته، قبل التعبير عن الحاجة والطلب، وبعدها مقام الاعتراف بالذنب على درجات تبتدئ بالتذلل إلى الله، وتمتد بالشكوى من النفس إلى التعبير عن الطمع والأمل، لتصعد إلى الإقرار بالتقصير والمخالفة .



الشجرة الشهادية

وضعف الحيلة وقلة القدرة، وتنتهي بالاعتراف الصريح باقتراف الذنوب، وهنا تغلب الرهبة من الله على الرغبة إليه. مقام التوبة إلى الله التي تبتدئ بالثناء على الله، تعالى فاتحِ بابِها في كتابه الكريم، لتمر بالتأكيد على صدق العزم عليها، وتنتهي بسؤاله تعالى قبولها، وهنا تغلب الرغبة على الرهبة. مقام السؤال أو الطلب الذي قسّمناه إلى قسمين أوّلهما: الحاجة إلى الله وحده وسؤاله دون غيره بكل لغات وصيغ الإقبال عليه والعزوف عن غيره، وهنا تتناوب الرهبة والرغبة، حسب درجة الحاجة وحرارة الطلب، وثانيهما: رجاء الاصطفاء الذي بتجاوز طلب قضاء الحاجة ليرتقي إلى التعبير عن الرغبة الخالصة إلى الله والمحبة الصادقة له ابتداء بطلب العافية والسلامة وانتهاء برجاء القرب والزلفى وجعل الداعي من أهل الاصطفاء والصفوة والأولياء، وهنا تغلب الرغبة بمعنى المحبة على الرهبة. مقام الصلاة على محمّد وآله الذي يتكامل مع الثناء على الله تعالى فيتخذ له مكانه المميز في ثنايا الدعاء قبل أو بعد كلّ طلب، كما يتخذ شكل ثناء

على الرسول الأعظم وآله الطيبين والطاهرين في أي مكان من الديباجة يريده الإمام عليه السلام، ولاسيما في عبارات الختام.

كل هذه المقامات يغلب عليها بروز شخصية الإمام العابد، ولكن يحدث أنّ تظهر هنا وهناك فجأة، ولاسيما في النصوص الطويلة نسبياً، فيوضات تقصر أو تطول تتّخذ شكل خطاب أو رسالة في النصّ استدعى تحريرها السياق الظرفي للدعاء، وهي تتعلق بخصوصيات الأيام والشعائر الإسلامية أو بآيات الله في الآفاق أو بحقوق الناس من أهل وجيران وأولياء وأعداء وغير ذلك، يمكن إضافة هذه النصوص إلى أساس بنيان الصحيفة وتسميته بمقام الرسائل الذي تظهر فيه شخصية الإمام العالم الراسخ في علم الأكوان رسوخه في علم القرآن. يستحق هذا المقام دراسة خاصّة ليس مكانها هنا.

توزّعات عائلات الألفاظ

أشرنا آنفاً في إجمال إلى انتظام ألفاظ وأنساق الأدعية السجّادية في عائلات مفردات تضم عدداً من الكلمات والأنساق متقاربة الدلالة ترسم في توزع تواردداتها وتنوع شبكات علاقاتها مع مفردات وأنساق عائلات أخرى وجهة الدعاء ومضمونه ومقصوده. تكمن أهمية هذه العائلات في تكرار تواردها في جل أنّ لم يكن كلّ ديباجات الأدعية الثلاثة الثمانين. ويلاحظ أي قارئ متمعّن لأدعية الصحيفة غلبة توارد مفردات وأنساق ثلاث عائلات، هي: عائلة الرحمة وعائلة الكرم وعائلة القدرة على غيرها من عائلات أسمائه الحسنى تعالى التي قد تستدعي بعض السياقات ظهورها، ولاسيما عائلتا الملك والعلم.

تترادف مفردات هذه العائلات وتتراصف وتتراص ترادفاً وتراصفاً وتراصاً بديعاً على شكل عقد تصغر فتتوارد مثنى مثنى، وتكبر فتتتالى ثلاثاً ورباعاً وخماساً وأكثر في سياقات تصدع وتضرع وتتلألأ وتتوقد عاكسة سمات شخصية عابد عالم يخاطب ربه خطاباً مباشراً كأنّه يراه.

كلّ فنون الدعاء حاضرة بقوّة في ديباجة الدعاء ابتداء من النداء بمختلف صيغه حمداً وتسبيحاً وثناءً وتعظيماً لله ومروراً بالبوح بخواطر الخوف والخشية والرهبة وما يرافق ذلك من إقرار واعتراف باقتراف وتداول وتحمل الذنوب والخطايا، أو بمشاعر الرغبة والطمع والأمل والرجاء، وما يرافق ذلك من إعلان للندم والتوبة، وصولاً إلى تحرير الطلب والحاجة والسؤال عبر استدعاء رحمته وعفوه ومغفرته ابتداء من طلب الرزق والفرج وإقالة العثرات وانتهاء برجاء الاصطفاء عند الله.

منهجية دراسة التصاريف

تتطلّب دراسة بنية وبنيان الدعاء في الصحيفة السجّادية جهوداً متعدّدة الاتّجاهات، منها ما هو مفرداتي نحتي ونحوي، ومنها ما هو سيميائي بلاغي، ومنها ما هو حقوقي إنساني، وكلّ من هذه الدراسات يتطلّب جهداً اختصاصياً كبيراً إذا أردنا بلوغ درجة العلمية والعالمية في دراساتنا. وباعتبار أنّ المطلوب مقالة، هي منهجياً دون الدراسة، فقد اضطررنا إلى اختصار المنهج دون الإساءة إلى أدواته، واكتفينا بالقيام بدراسة تصاريف مفردات وأنساق أدعية الصحيفة السجّادية وصولاً إلى رسم بنيوي وظيفي لبنية ونظام ديباجة الدعاء في الصحيفة السجّادية. هذه الدراسة المفرداتية تعتبر أساساً وتمهيدا لأية دراسة سيميائية[1] بلاغية ضرورة لا يسمح حجم وطموح مقالة بالقيام بها.

---

(١) علم السيمياء هو: علم حياة العلامات اللغوية في النصوص، ويقابل السيمياء في الفرنسية كلمة ⇐

لقد أكثرنا من النظر فيما قدمناه من ملاحظات أولية عامة، ونحتاج الآن إلى القيام بدراسة عملية لبنية الدعاء عبر دراسة تصاريف مفرداتها وأنساقها. ونعني بالتصاريف نحو وصرف المفردات والجمل وانخراطها في منظومة علاقات تجاور وتبادل تدور خيوطها وخطوطها في أفق دعاءٍ موضوعُهُ سؤالُ حاجة وطريقتُهُ الثناء على الله والصلاة على محمّد وآله بغية الوصول إلى القبول والإجابة. هي سياحة وسباحة في خضم نصّ يشبه البحر في حركة لجّته الدائمة الدائبة، نحاول في نهايتها بلوغ شاطئ الفهم والرسم والهضم.

عائلات الرحمة والكرم والقدرة

سنحاول تتبّع حضور وتواجد مفردات هذه العائلات الثلاث في أنساقها الخاصّة بغية فهم مكان وتموضع كلّ مقام في السياق الذي حرّر للتعبير عنه. نقول هذا لأنّنا تحققنا من خلال دراستنا لنصوص الأدعية من ظهو ر وبروز ألفاظ وعبارات هذه العائلات في كلّ دعاء بصورة مباشرة وغير مباشرة، بل أنّ حضور كلّ المقامات إنّما يرتبط في سياقه وأنساقه بطريقة استدعاء رحمته تعالى وكرمه وقدرته، فلكلّ مقام فلكه الذي يجري فيه عبر فضاءات الرحمة والكرم والقدرة.

⇐

Sémiotique، وهو علم حديث أنشأه غريماس الفرنسي، ويتمثل غرضه في دراسة حياة اللفظ في النصّ كيف يكتسب مكونات معناه انطلاقاً من أصله استعماله عند القوم وحسب سياق النصّ العام والظرفي. وخير نص ينطبق عليه بجدارة هذا العلم النظري هو القرآن الكريم؛ لأنّه كتاب مفاهيم، وتلي الصحيفة السجّادية في أهميتها القرآن من حيث إمكانية تطويع وتطبيق أدوات علم السيمياء عليها. ونرجو أن نكون قد نجحنا بأمانة في القيام بدراسة داخلية موضوعية حيادية لا تدخل فيها من قبل الدارس وصولاً إلى رسم حالة النصّ الثابتة كما استقرت في ذهن مدبجه الحقيقي.

ليس في ديباجات الصحيفة فوضى في الدلالات حتّى ولو اشتدّ تدفق الفيوضات؛ لأنّ الناطق بكلمات الدعاء عالم وعابد، تفوّه بها عن وعي ولا وعي، وشعور ولا شعور. هذه الطمأنينة إلى تماسك النظام ورسوخ البنيان تفرضها روح وريحانة الصدق في النطق الذي يتأتّى إلهاماً وإكراماً في لغة علوية رفيعة بيضاء ناصعة.

وَهَل يَرحَمُ.. إلا

لنبدأ إثبات حضور عائلة الرحمة الغالب على ديباجة الدعاء رقم ٦١ وسياقه التذلّل لله تعالى. فماذا نلاحظ؟ نلاحظ أوّلاً ارتسام النصّ على شكل نداء ثنائي بلفظ «مولاي مولاي» قبل أي دعاء. تكرّر هذا النداء المثنّى اثنتي عشرة مرّة، تماماً كما تكرّر سؤال «وهل يرحم» اثنتي عشرة مرّة. ثمّ بنيت جميع جمل هذا الدعاء- النداء عل شكل مقابلة بين حال العبد وحال الرب تبدأ بتقرير خبري يغلب عليه الطباق (اثنا عشر طباقاً) يفضي إلى سؤال تحضيضي على الرحمة معروف جوابه فسكت علنه تأكيداً لحسن الظن بالله تعالى الراحم لمن يسترحمه صادقاً:

«مَولايَ مَولايَ، أَنتَ المَولَى وَأَنَا العَبدُ، وَهَل يَرحَمُ العَبدَ إلا المَولَى؟

مَولايَ مَولايَ، أَنتَ العَزِيزُ وَأَنَا الذَّلِيلُ، وَهَل يَرحَمُ الذَّلِيلَ إلا العَزِيزُ؟

مَولايَ مَولايَ، أَنتَ الخَالِقُ وَأَنَا المَخلُوقُ، وَهَل يَرحَمُ المَخلُوقَ إلا الخَالِقُ؟

مَولايَ مَولايَ، أَنتَ المُعطِي وَأَنَا السَّآئِلُ وَهَل يَرحَمُ السَّآئِلَ إلا المُعطِي؟

مَولايَ مَولايَ أَنتَ المُغيثُ وأَنَا المُستَغيثُ، وَهَل يَرحَمُ المُستَغيثَ إلا المُغيثُ؟

مَولايَ مَولايَ، أَنتَ البَاقي وأَنَا الفَاني، وَهَل يَرحَمُ الفَانيَ إلا البَاقي ؟
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ الدَّآئمُ وأَنَا الزَّآئلُ، وَهَل يَرحَمُ الزَّآئلَ إلا الدَّآئمُ ؟
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ الحَيُّ وأَنَا المَيِّتُ، وَهَل يَرحَمُ المَيِّتَ إلا الحَيُّ ؟
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ القَويُّ وأَنَا الضَّعيفُ، وَهَل يَرحَمُ الضَّعيفَ إلا القَويُّ ؟
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ الغَنيُّ وأَنَا الفَقيرُ، وَهَل يَرحَمُ الفَقيرَ إلا الغَنيُّ؟
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ الكَبيرُ وأَنَا الصَّغيرُ، وَهَل يَرحَمُ الصَّغيرَ إلا الكَبيرُ
مَولايَ مَولايَ، أَنتَ المَالكُ وأَنَا المَملُوكُ، وَهَل يَرحَمُ المَملُوكَ إلا المَالكُ؟»(رقم ٦١ في التذلُّل).

لقد هيمنت عائلة الرحمة بلفظ فعل الرحمة وحده هيمنة قل نظيرها على ديباجات الأدعية الأخرى مما استدعى التنويه به ابتداء.

لنشرع الآن في بيان هيمنة العائلات الثلاث بمنهجية عامة تستعرض عموميات الصحيفة وخصوصيات كثير من الأدعية جمعاً للوفاء والكفاية في الشرح دون الاستغراق في التحليل الذي هو من طقوس الدراسات العلمية.

المناجاة نموذجاً لهذا التوزّع

لعلّ خير نموذج يختصر بيان جمال وجلال توزّع عائلات الرحمة والكرم والقدرة وما يقوم بينها، ومع غيرها من العائلات، من علاقات تجاور هو نصوص المناجاة الخمس عشرة التي تمّ تصدير كلّ منها بالبسملة وختمها بنداء يا أرحم الراحمين، لقد ضمن هذا الترصيع أربعة تواردات على الأقل لعائلة الرحمة

بلفظها. وقد اختصرنا نصوص هذه المناجاة إلى الحد الذي تضمنت فيه فقط ألفاظ وعبارات أسماء الله الحسنى، فتأكّد بذلك حضور عائلة الرحمة بألفاظها المختلفة في جميع النصوص تقريباً، تليها في الكثافة عائلة الكرم التي قد تزاحم عائلة الرحمة في بعض السياقات، مثل الشكر. وكانت عائلة القدرة في المرتبة الثالثة بسبب غلبة الاسترحام على السياق العام للدعاء.

ومن الجدير بالذكر هنا هو قلّة حضور أسماء الله الحسنى الأخرى، حيث لم نرصد سوى حضور محدود لعائلة العلم ولعائلة الملك في سياقات نصوص محدودة اقتضى السياق الخاص للدعاء استحضارها دون أنّ يؤثر ذلك كثيراً على هيمنة عائلات الرحمة والكرم والقدرة.

وعليه، فليست إحصائياتنا أدناه ترفاً، وإنما هي رصد ثمّ فهم ثمّ رسم لوقائع النصوص التي لا تقل متانة ورصانة عن دعائم الأبنية. إنّ حضور بعض أسماء الله الحسنى ـ وعلى رأسها الرحمة ـ هو من صميم نسغ ونسيج وغزل الدعاء شكلاً ومضموناً.

لنتابع تواردات ألفاظ عائلات الرحمة والكرم والقدرة في تشابك علاقاتها كما رسمها فيض عبارات وعبرات الدعاء :

(رقم ٦٩ مناجاة التائبين، المناجاة رقم ١)

عائلة الرحمة سبع مرّات في ستة ألفاظ (رحمان، رحيم، ترحم، رحمة، أرحم، راحمين) بالتحاور مع شقيقها العفو أربع مرّات وشقيقتها المغفرة ثلاث مرّات والصفح مرّة والرأفة مرّة والحلم مرّة، بما مجموعه سبعة عشر تواردأ لعائلة الرحمة. وكانت عائلة القدرة حاضرة ثلاث مرّات مرّة عبر لفظها ومرّتين مع

شقيقتها العزة. أما عائلة الكرم فكان لها نفس الحضور ثلاث مرّات عبر ثلاثة ألفاظ هي الكرم والجود والمنّ. ويلاحظ حضور وحيد للعلم متساوقاً مع الحلم مبنى ومعنى: «بسمِ اللَّه الرَّحمَان الرَّحيمِ إلَهي .. فوَعزَّتكَ مَآ أَجدُ لذُنُوبي سوَاكَ غافراً ولا أَرَى لكَسري غَيركَ جَابراً .. أَسأَلُكَ يَا غَافرَ الذَّنب الكَبير وَيَا جَابرَ العَظمِ الكَسير .. وَلا تُخلني في مَشهَد القيَامَة من بَرد عَفوكَ وَغَفركَ وَلا تُعرني من جَميلِ صَفحكَ وَستركَ. إلَهي، ظَلِّل عَلَى ذُنُوبي غَمَامَ رَحمَتكَ وَأَرسل عَلَى عُيُوبي سَحَابَ رَأفَتكَ ..فَإنِّي وَعزَّتكَ منَ النَّادمينَ ..لَكَ العُتبَى حتّى ترضَى. إلَهي، بقُدرَتكَ عليّ تُب عليّ وَبحلمكَ عَنِّي اعفُ عَنِّي وَبعلمكَ بي ارفُق بي. إلَهي، أَنتَ الذي فَتَحتَ لعبَادكَ بَاباً إلى عَفوكَ سَمَّيتَهُ التَّوبَةَ .. فَليَحسُن العَفومن عندكَ إلَهي... استَشفَعتُ بجُودكَ وَكَرَمكَ إلَيكَ وَتوَسَّلتُ بجَنابكَ وَتَرَحُّمكَ لَدَيكَ فَاستَجب دُعَآئي وَلا تُخَيِّب فيكَ رَجَآئي ... بمَنِّكَ وَرَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٠ مناجاة الشاكين، المناجاة رقم ٢)

عائلة الرحمة خمس مرّات في خمسة ألفاظ وعائلة القدرة مرّة: «بسمِ اللَّه الرَّحمَان الرَّحيمِ .. إلَهي، لا حَولَ لي وَلا قُوَّةَ إلا بقُدرَتكَ .. برَأفَتكَ وَرَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧١ مناجاة الخائفين، المناجاة رقم ٣)

حضور عائلة الرحمة سبع مرّات في ثلاثة ألفاظ (رحمان مرّتين، رحيم مرّتين، رحمة ثلاث مرات) مع حضور مساند للصفح (مرّة) للعفو(مرّة) والرأفة

(مرّة) والحنان (مرّة) والمغفرة (مرّة). وحضرت عائلة القدرة بألفاظ لا تنضوي تحتها جميعها ولكنّها في سياقها هنا، وهي العظمة والمجد والجلال والقهر والجبر. أما عائلة الكرم فاقتصر حضورها على لفظ منّان من المنّ. وهيمنة سياق الخوف من وراء غلبة حضور الرحمة والقدرة: «**بِسمِ اللَّـه الرَّحمَان الرَّحيمِ إلَهي.. أَم مَعَ رَجَآئي لِرَحمَتكَ وَصَفحكَ تَحرمُني أَم مَعَ استجَارَتي بعَفوكَ تُسلمُني.. هَل تُسَوِّدُ وُجُوهاً خَرَّت سَاجدَةً لعَظَمَتكَ أَو تُخرسُ أَلسنَةً نَطَقَت بالثَّنَآء عَلَى مَجدكَ وَجَلالَتكَ.. أَو تَغُلُّ أَكُفّاً رَفَعَتهَا الامَالُ إلَيكَ رَجَآءَ رَأفَتكَ أَو تُعَاقبُ أَبدَاناً عَملَت بطَاعَتكَ.. إلَهي، لا تُغلق عَلَى مُوَحِّديكَ أَبوَابَ رَحمَتكَ.. يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ يَا رَحيمُ يَا رَحمَانُ يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ يَا غَفَّارُ يَا سَتَّارُ، نَجِّني برَحمَتكَ من عَذَابِ النَّار**».

(رقم ٧٢ مناجاة الراجين، المناجاة رقم ٤)

عائلة الرحمة ستّ مرّات عبر خمسة ألفاظ (رحمان ورحيم ورحمة وأرحم وراحمين)، ولعلّ هيمنة سياق الرجاء من وراء هيمنة عائلة الكرم التي وردت ثماني مرّات في أربع ألفاظ (كرم ثلاث مرات، وعطاء ثلاث مرات، ومرّة لكلّ من الإحسان والفضل. أما عائلة القدرة فغائبة: «**بِسمِ اللَّه الرَّحمَان الرَّحيمِ يَا مَن إذا سَأَلَهُ عَبدٌ أَعطَاهُ .. وَلَستُ أَعرفُ سوَاكَ مَولىً بالاحسَان مَوصُوفاً ..وَقَد أَولَيتَني مَا لَم أَسأَلهُ من فَضلكَ .. يَا مَن سَعدَ برَحمَته القَاصدُونَ وَلَم يَشقَ بنَقمَته المُستَغفرُونَ .. إلَهي، بذَيلِ كَرَمكَ أَعلَقتُ يَدي وَلنَيلِ عَطَايَاكَ بَسَطتُ أَمَلي .. يَا خَيرَ مَرجُو وَيَآ أَكرَمَ مَدعُوٍّ.. أَسأَلُكَ بكَرَمكَ أَنّ تَمُنَّ علي من عَطَآئكَ... برَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ**».

(رقم ٧٣ مناجاة الراغبين، المناجاة رقم ٥)

حضور عائلة الرحمة ثلاث عشرة مرّة سبع مرّات بلفظها في خمسة ألفاظ (رحمان ورحيم ورحمة ثلاث مرات، وأرحم وراحمين) تضاف إليها ثلاث مرّات لشقيقتها المغفرة ومرّتين لشقيقها العطف ولشقيقها اللطف مرّة. أما عائلة الكرم فحاضرة بقوّة ثلاث عشرة مرّة بمعظم أفرادها (الكرم ثلاث مرّات والفضل مرّتين والمنة مرّتين ومرّة لكلّ من الآلاء والبر والإنعام والإحسان والهبة والرعاية). أما عائلة القدرة فحاضرة ثلاث مرّات عبر ثلاثة ألفاظ هي الطول والعظمة والجلال. والمجموع تسع وعشرون مرّة لأسماء الله الحسنى في سياق الرغبة. يلاحظ حضور واحد للعلم في سياق الغفران: «**بسم اللّه الرَّحمَان الرَّحيمِ إلَهي.. فَقَد نَبَّهَتني المَعرفَةُ بكَرَمكَ وَآلائكَ ...فقَد آنَسَني بُشرَى الغُفرَان وَالرِّضوَان.. وَأَبتَهلُ إلَيكَ بعَوَاطف رَحمَتكَ وَلَطَآئف برِّكَ أنّ تُحقِّقَ ظَنِّي بمَآ أُؤَمِّلُهُ من جَزيل إكرامكَ وَجَميل إنعَامكَ.. وَهَآ أَنا مُتَعَرِّضٌ لنَفحَات رَوحكَ وَعَطفكَ.. مُعَوِّلٌ عَلَى مَواهبكَ مُفتَقرٌ إلى رعَايَتكَ إلَهي.. وَمَا وَهَبتَ لي من كَرَمكَ فَلا تَسلُبهُ .. وَمَا عَلمتَهُ من قَبيح فعلي فَاغفرهُ.. طَامعاً في إحسَانكَ راغباً في امتنانكَ مُستَسقياً وَابلَ طَولكَ مُستَمطراً غَمَامَ فَضلكَ طَالباً مَرضَاتكَ.. مُستَكيناً لعَظَمَتكَ وَجَلالكَ، فَافعَل بي مَا أَنتَ أَهلُهُ منَ المَغفرَة وَالرَّحمَة.. برَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ**».

(رقم ٧٤ مناجاة الشاكرين، المناجاة رقم ٦)

حضور متواضع لعائلة الرحمة ثماني مرّات منها ست مرّات للفظها (رحمان ورحيم ورحمة مرّتين وأرحم وراحمين) ومرّة لرأفة ومرّة للطف. أما عائلة الكرم

فغالبة الحضور، لأنّ السياق سياق شكر، مع اثنين وعشرين تواردأ اشترك فيه جل أفراد العائلة (أربع مرّات لنعماء ونعم مع ثلاث مرّات لسبوغها وثلاث مرّات للكرم وثلاث مرّات للبر ومرّتين للآلاء ومرّة لكلّ من الفضل والعوائد والعوارف والأيادي والصنع وحسن البلاء والندى). أما عائلة القدرة فحاضرة عبر الطول والعز والعظمة مرّة لكلّ من الثلاثة فقط : «بسمِ اللَّه الرّحمَان الـرَّحيم إلَهي، أَذهَلَني عَن إقَامَة شُكركَ تَتَابُعُ طَولكَ وأَعجَزَني عَن إحصَاَء ثَنَاَئكَ فَيضُ فَضلكَ وَشَغَلَني عَن ذكر مَحَامدكَ تَرَادُفُ عَوَاَئدكَ وأَعيَاني عَن نَشر عَوَارفكَ تَوَالي أَيَاديكَ، وَهَذَا مَقَامُ مَن اعتَرَفَ بسُبُوغ النَّعمَاَء.. وأَنتَ الرَّءوفُ الرَّحيمُ البَرُّ الكَريمُ.. إلَهي، تَصَاغَرَ عندَ تَعَاظُم آلائكَ شُكري وَتَضَاءَلَ في جَنب إكرَامكَ إيَّايَ ثَنَاَئي.. وَضَرَبَت علي لَطَاَئفُ برِّكَ منَ العزِّ كلَلاً.. فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ.. وَنَعمَاَؤُكَ كَثيرَةٌ.. إلَهي، فَكَمَا غَذَّيتَنَا بلُطفكَ وَرَبَّيتَنَا بصُنعكَ فَتَمِّم عَلَينَا سَوَابغَ النِّعَم .. وَلَكَ الحَمدُ عَلَى حُسنِ بَلائكَ وَسُبُوغِ نَعمَاَئكَ حَمداً يُوافقُ رضَاكَ وَيَمتَري العَظيمَ من برِّكَ وَنَدَاكَ يَا عَظيمُ يَا كَريمُ برَحمَتكَ يَاَ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٥ مناجاة المطيعين، المناجاة رقم ٧)

عائلة الرحمة في أربعة مشتقّات (رحمان، رحيم، أرحم، راحمين) متجاورة مع عائلة القدرة بلفظ (قدير) مرّة، بما مجموعه خمسة تواردات : «بسمِ اللَّه الرَّحمَانِ الرَّحيمِ اللَّهُمَّ.. إنَّكَ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ .. برَحمَتكَ يَاَ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٦ مناجاة المريدين، المناجاة رقم ٨)

عائلة الرحمة خمس مرّات في أربعة مشتقات (رحمان، رحيم، أرحم،

راحمين) متجاورة مع ثلاثة أشقاء، هم العطف (مرّتين) والود (مرّة) والرأفة (مرّة)،كما تجاورت مع عائلة الكرم بلفظ الفضل (مرّتين)، بما مجموعه أحد عشر تواردا: «بِسمِ اللَّه الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ ..وَقَضَيتَ لَهُم من فَضلكَ المَآرِبَ .. فَيَا مَن هو عَلَى المُقبلينَ عَلَيه مُقبلٌ وَبالعَطف عَلَيهم عَآئدٌ مُفضلٌ وَبالغَافلينَ عَن ذكرِه رَحِيمٌ رَءُوفٌ وَبجَذبِهم إلَى بَابِه وَدُودٌ عَطُوفٌ ..يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٧ مناجاة المحبين، المناجاة رقم ٩)

فقط عائلة الرحمة أربع مرّات في أربع مشتقات (رحمان، رحيم، أرحم، راحمين) متحاورة مع شقيقين هما العطف والود، بما مجموعه ست مرّات: «بِسمِ اللَّه الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ إلَهِي .. .. وَانظُر بِعَينِ الوُدِّ وَالعَطف إلَيَّ .. يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٨ مناجاة المتوسّلين، المناجاة رقم ١٠)

عائلة الرحمة ست مرّات في خمسة ألفظ (رحمان ورحيم ورحمة وأرحم مرّتين وراحمين) ومرّتين لشقيقها العطف ومرّة مع شقيقتها الرأفة مرّة ومرّة لكلّ من شقيقيها الغفران والعفو. أما عائلة الكرم خاصّة بلفظ الكرم ثلاث مرّات والجود مرّة . يلاحظ ورود السمع في سياق إجابة الدعاء : «بِسمِ اللَّه الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ إلَهِي، لَيسَ لي وَسِيلَةٌ إلَيكَ إلا عَوَاطفُ رَأفَتكَ وَلا لي ذَرِيعَةٌ إلَيكَ إلا عَوَارفُ رَحمَتكَ.. فَاجعَلهُمَا لي سَبَباً إلَى نَيلِ غُفرَانكَ وَصَيِّرهُمَا لي وُصلَةً إلَى الفَوزِ برِضوَانكَ، وَقَد حَلَّ رَجَآئي بحَرَمِ كَرَمكَ وَحَطَّ طَمَعي بفنَآءِ جُودكَ.. مَن لا يَفدُ الوَافدُونَ عَلَى أَكرَمَ منهُ وَلا يَجدُ القَاصدُونَ أَرحَمَ منهُ .. وَيَآ أَعطَفَ مَن آوَى إلَيه طَرِيدٌ إلى سَعَة عَفوكَ مَدَدتُ يَدي وَبذَيلِ كَرَمكَ أَعلَقتُ كَفِّي.. يَا سَميعَ الدُّعَآءِ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٧٩ مناجاة المفتقرين، المناجاة رقم ١١)

ثماني مرّات للرحمة في ستة ألفاظ (رحمان، رحيم، رحمة، ارحم، أرحم، راحمين) متجاورة مع الرأفة (مرّة) والعفو(مرّة). وقد جاءت في سياق ذكر أربعة أشقاء أُخر هم اللطف والحنان والعطف والصفح (مرّة لكلٍّ)، بما مجموعه أربع عشرة مرّة للعائلة. وقد تجاورت عائلة الرحمة في ديباجة هذه المناجاة مع عائلة الكرم عشر مرّات بألفاظ الكرم (أربع مرات) والإحسان (مرّة) والبر (مرّة) والفضل (مرّة) والمنّة والامتنان (مرّتين) والنعم (مرّة)، وكذلك مع عائلة القدرة بألفاظ الطول (مرّتين) والسلطان (مرّة)، بما مجموعه ٢٧ تواردًا للعائلات الثلاث: **«بِسمِ اللّه الرَّحمَانِ الرَّحيمِ إلَهي، كَسرِي لا يَجبُرُهُ إلا لُطفُكَ وَحَنَانُكَ وَفَقرِي لا يُغنيه إلا عَطفُكَ وَإحسَانُكَ وَرَوعَتي لا يُسكِّنُهَآ إلا أَمَانُكَ وَذِلَّتي لا يُعزُّهَآ إلا سُلطَانُكَ وَأُمنِيَتِي لا يُبَلِّغُنيهَآ إلا فَضلُكَ وَخَلَّتي لا يَسُدُّهَآ إلا طَولُكَ.. وَكَربي لا يُفَرِّجُهُ سوَى رَحمَتكَ وَضُرِّي لا يَكشفُهُ غَيرُ رَأفَتكَ .. وَجُرحي لا يُبرِئُهُ إلا صَفحُكَ وَرَينُ قَلبي لا يَجلُوهُ إلا عَفوُكَ.. وَيَآ أَكرَمَ الاكرَمينَ وَيَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ.. وَتُديمَ عليَّ نعَمَ امتنَانكَ وَهَآ أَنَا بِبَابِ كَرَمكَ وَاقفٌ وَلنَفَحَات بِرِّكَ مُتَعَرِّضٌ ... إلَهي ارحَم عَبدَكَ .. وَامنُن عَلَيه بِطَولكَ الجَزِيلِ ... يَا كَرِيمُ يَا جَميلُ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».**

(رقم ٨٠ مناجاة العارفين، المناجاة رقم ١٢)

وردت عائلة الرحمة خمس مرّات في خمسة ألفاظ (رحمان، رحيم، رحمة، أرحم، راحمين) متجاورة مع عائلة القدرة مرّتين بلفظي العظمة والجلال، ومع عائلة الكرم بلفظي الكرم والنوال، بما مجموعه تسع مرّات: **«بِسمِ اللّهِ الرَّحمَانِ**

الرَّحِيمِ إِلَهِي ...وأَخلَصِ عُبَّادكَ يَا عَظِيمُ يَا جَلِيلُ يَا كَرِيمُ يَـا مُنِيـلُ بِرَحمَتِـكَ وَمَنِّكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ».

(رقم ٨١ مناجاة الذاكرين، المناجاة رقم ١٣)

فقط عائلة الرحمة أربع مرّات في ثلاثة مشتقات (رحمان، رحيم، أرحم، راحمين): «**بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ إِلَهِي .... وَيَآ أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ**».

(رقم ٨٢ مناجاة المعتصمين، لمناجاة رقم ١٤)

وردت الرحمة ست مرّات في خمسة مشتقات (رحمان، رحيم، راحم راحمين، رحمة، أرحم) مقابل مرّة لأشقائها الأربعة عفو وصفح وعطف ورأفة، بينما وردت عائلة القدرة مرّتين بلفظي القدرة والعز مرّة لكلٍّ، بما مجموعه ثماني مرّات لعائلة الرحمة ومرّتين لعائلة القدرة : «**بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ اللَّهُمَّ وَيَـا رَاحِمَ المَسَاكِينَ وَيَا مُجِيبَ المُضطَرِّينَ.. أنّ لَم أَعُذ بِعِزَّتِكَ فَبِمَن أَعُوذُ، وَإِن لَم أَلُذ بِقُدرَتِكَ فَبِمَن أَلُوذُ وَقَد أَلجَأَتنِي الـذُّنُوبُ إِلـى التَّـشَبُّث بِأَذيَـال عَفـوِكَ وَأَحوَجَتنِي الخَطَايَآ إِلى استِفتَاحِ أَبوَابِ صَفحِكَ وَدَعَتنِي الاسَآءَةُ إِلـى الانَاخَـة بِفِنَآءِ عِزِّكَ وَحَمَلَتنِي المَخَافَةُ مِن نَقمَتِكَ عَلَى التَّمَسُّك بِعُروَة عَطفِكَ .. وَلا يَلِيقُ بِمَنِ استَجَارَ بِعِزِّكَ أنّ يُسلَمَ أَو يُهمَلَ.. بِرَأفَتِكَ وَرَحمَتِكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ**».

(رقم ٨٣ مناجاة الزاهدين، المناجاة رقم ١٥)

وردت الرحمة خمس مرّات في خمسة مشتقات (رحمان، رحيم، رحمة، أرحم، راحمين) متجاورة مع المواهب (وردت مرّة واحدة) ومع الكرم بصيغة

التفضيل (أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين)، بينما لم يرد شقيقها العفو وشقيقتها المغفرة إلا مرّة واحدة لكلّ متجاورين، بما مجموعه سبع مرّات لعائلة الرحمة (٣ ألفاظ) وثلاث مرّات لعائلة الكرم (لفظين) : «**بسمِ اللَّه الرَّحمَانِ الرَّحِيمِ ..وأَوفِر مَزِيدَنَا من سَعَةِ رَحمَتِكَ وَأَجمِل صلاتَنا من فَيضِ مَوَاهِبِكَ وَأَذِقنَا حَلاوَةَ عَفوِكَ وَلَذَّةَ مَغفِرَتِكَ ..يَاَ أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ وَيَاَ أَكرَمَ الأكرَمِينَ**».

توزّع عائلات الرحمة والكرم والقدرة على نصوص الصحيفة الأخرى

وهذه نماذج أخرى من نصوص متميّزة متفرّقة من الصحيفة غلب فيها حضور هذه العائلات الثلاث على حضور غيرها من أسمائه الحسنى تعالى.

(رقم ٣٩ في طلب العفو)

يبتدئ هذا النصّ بحضور غالب لعائلة الرحمة، ثمّ تتناوب الحضور في وسطه عائلتا الرحمة والكرم، لينتهي بغلبة عائلة الكرم. حضور عائلة الرحمة غالب كالعادة بألفاظ العفو(ست مرات) والرحمة (أربع مرات) والغفران (مرّة) والتجاوز (مرّة)، تليها عائلة الكرم بألفاظ الفضل (مرّتين) والمنة (مرّة) والصنع (مرّة). وقد اقتضى حضوراً خاطفاً لعائلات السياق، كالقدرة والعدل والعظمة. والمميّز لهذا الدعاء تخلّق الإمام بخلق الرب في العفو(مرّتين له مقابل أربع مرّات لله): «**فَاغفِر لَهُ مَاَ أَلَمَّ بِهِ مِنِّي وَاعفُ لَهُ عمّا أَدبَرَ بِهِ عَنِّي ..وَاجعَل مَا سَمَحتُ بِهِ منَ العَفوِ عَنهُم.. وَعَوِّضني من عَفوِي عَنهُم عَفوَكَ وَمن دُعَاَئي لَهُم رَحمَتَكَ حتّى يَسعَدَ كلّ وَاحد منَّا بفَضلكَ وَيَنجُو كُلٌّ منَّا بمَنِّكَ .. وَإلَّا تَغَمَّدني برَحمَتكَ تُوبِقني .. أَستَوهِبُكَ ـ يَاَ إلَهِي ـ نَفسيَ .. أَنشَأتَهَا إثبَاتاً لقُدرَتكَ .. وَوَكِّل رَحمَتَكَ بِاحتِمَالِ إِصرِي، فَكَم قَد لَحِقَت رَحمَتُكَ بِالمُسِيئِينَ، وَكَم قَد شَمِلَ**

عَفوُكَ الظَّالمينَ .. وَاجعَلني أُسوةَ مَن أَنهَضتَهُ بتَجَاوزكَ عَن مَصَارِعِ الخَاطئينَ وَخلَّصتَهُ بتَوفيقكَ من وَرَطَات المُجرمينَ فَأَصبَحَ طَليقَ عَفوكَ من إسَار سُخطكَ وَعَتيقَ صُنعكَ من وَثَاق عَدلكَ .. لأَنَّكَ الرَّبُّ العَظيمُ الذي لا يَمنَعُ أَحَداً فَضلَهُ.. وَفَشَت نعمَتُكَ في جَميعِ المَخلوقينَ».

(رقم ٤١ في طلب الستر والوقاية)

النص قصير ولم يتضمّن سوى حضور ضعيف لعائلة الرحمة بلفظها (مرّة) ولفظ الغفران (مرّة)، ومع ذلك فهذا الحضور هذا مهم باعتبار عائلة الرحمة الخيط والخطّ الثابت في مقصود كلّ دعاء عموماً: «وَأَفرشني مهَادَ كَرَامَتكَ وَأَوردني مَشَارِعَ رَحمَتكَ .. وَلا تَحمِل عَلَى ميزَانِ الإنصَاف عَمَلي .. وَأَكمل كَرَامَتي بغُفرَانكَ ».

(رقم ٤٢ عند خَتمه القرآنَ)

ليس ثمّة حضور كبير للدعاء بسبب غلبة تعظيم القرآن والثناء على رسول الله على ديباجته، ومع ذلك فعائلة الرحمة حاضرة خمس مرّات في بعض مفاصله وخاتمته، ولاسيما بلفظ "رحمة"، وكذلك عائلة الكرم بلفظ "كريم" (مرّة) وخاصة لفظ "فضل" الوارد مرّتين مسنداً إلى الله وثالثة مسنداً إلى القرآن: «..وَعَرَّفتَنَا برَحمَتكَ شَرَفَهُ وَفَضلَهُ ...وَافسَح لَنَا برَحمَتكَ في ضيق مَلاحدنَا ..وَارحَم بالقُرآنِ في مَوقف العَرضِ عَلَيكَ .. وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى محمّد وَآله صَلاةً تُبَلِّغُهُ بهَا أَفضَلَ مَا يَأمُلُ من خَيركَ وَفَضلكَ وَكَرَامَتكَ إنَّكَ ذُو رَحمَةٍ وَاسعة وَفَضلٍ كَريمٍ .. وَالسَّلامُ عَلَيه وَعَلَى آله الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ وَرَحمَةُ اللَّه وَبَرَكَاتُهُ».

(رقم ٤٣ إذا نظر إلى الهلال)

غلبة التأمّل في آيات الله في الآفاق على هذا النصّ جعلته أحد النصوص النادرة الخالية من توارد مفردات عائلة الرحمة، مع حضور قليل لعائلة الملك بلفظي الملك والسلطان (مرّتين) ولعائلة الكرم مع لفظي النعمة (مرّة) والمنة (مرّتين) : «.. **وَجَعَلَكَ آيَةً من آيَات مُلكه وَعَلامةً من عَلامَات سُلطَانه .. وَأَلطَفَ مَا صَنَعَ في شَأنكَ! .. وَأَوزعنَا فيه شُكرَ نعمَتكَ .. وَأَتمم عَلَينَا باستكمَال طَاعَتكَ فيه المنَّةَ إنَّكَ المَنَّانُ الحَميدُ** ».

(رقم ٤٤ لدخول شهر رمضان)

تعظيم رمضان وتكريمه حدّ من حضور ألفاظ الثناء عليه تعالى، وناسبه غلبة عائلة الكرم بلفظ الإحسان مرّتين والمنة والإفضال والعطية مرّة لكلّ، بينما اقتصر حضور عائلة الرحمة على توارد ثلاثة ألفاظ هي «رحمة» و«عفو» و«صفح» مرّة لكلّ، مع تواجد لعائلة القدرة عبر لفظ «فعال». وهذا النصّ هو الثاني في التخلّق بأخلاق الرب عبر إسناد البر والإفضال والعطية إلى لبشر صلة بالجيران: «..**وَجَعَلَنَا من أَهله لنَكُونَ لإحسَانه منَ الشَّاكرينَ ..وَسَبَّلَنَا في سُبُل إحسَانه لنَسلُكَهَا بمَنِّه إلى رضوَانه .. وَوَفِّقنَا فيه لأَن نَصلَ أَرحَامَنَا بالبرِّ وَالصِّلَة وَأَن نَتَعَاهَدَ جيرَانَنَا بالافضَال وَالعَطيَّة.. وَاجعَلنَا في نَظم مَن استَحَقَّ الرَّفيعَ الأَعلَى برَحمَتكَ.. رقَابٌ يُعتقُهَا عَفوُكَ أَو يَهَبُهَا صَفحُكَ.. إنَّكَ فَعَّالٌ لمَا تُريدُ**».

(رقم ٤٥ لوداع شهر رمضان)

هذا النصّ الجميل تحية ندية لرمضان وتعريف بمقاصد الصيام وأعمال البرّ، وهو مقام إكرام تميّز بحضور غامر لعائلة الكرم بجلّ ألفاظها حتّى النادر منها

من عطاء (سبع مرات)، ولاسيما عبارة العطاء المهنا، وفضل (ست مرات) وتفضّل (مرّتين) ومن (أربع مرات) ومنّة (مرّتين) وامتنان (مرّة) وعائدة (مرّة) وإحسان (ثلاث مرات) ونعمة (مرّة) وبر (مرّة) وكرم (ثلاث مرات) ووهب (مرّة) وخزائن (مرّة)، بما مجموعه ثلاثة وثلاثون تواردا، وهو أكبر حضور لهذه العائلة في نصوص الصحيفة. أما عائلة الرحمة فحاضرة بأقل من نصف عائلة الكرم بخمس عشرة تواردا عبر ألفاظ العفو(ست مرات) والرحمة (مرّتين) والحلم (مرّتين) والرأفة (مرّة) والمغفرة (مرّة) والتجاوز (مرّة) والعطف (مرّة) والأناة (مرّة). وأما عائلة القدرة فحاضرة قليلاً عبر لفظي القدرة (مرّتين) والطول (مرّة) :

«.. وَيَا مَن لا يَندَمُ عَلَى العَطَآء ... منّتُكَ ابتدَآءٌ وَعَفوُكَ تَفضُّلٌ وَعُقُوبَتُكَ عَدلٌ وَقَضَآؤُكَ خيَرَةٌ، أنّ أَعطَيتَ لَم تَشُب عَطَآءَكَ بمَنٍّ .. بَنَيتَ أَفعَالَكَ عَلَى التَّفضُّل وَأَجرَيتَ قُدرَتَكَ عَلَى التَّجَاوز وَتَلَقَّيتَ مَن عَصَاكَ بالحلم .. تَستَنظرُهُم بأَنَاتكَ إلى الإنَابَة .. كَرَماً من عفوكَ يَا كَريمُ وَعَآئدَةً من عَطفكَ يَا حَليمُ، أَنتَ الذي فَتَحتَ لعبَادكَ بَاباً إلى عَفوكَ .. فَذَكَرُوكَ بمَنِّكَ وَشَكَرُوكَ بفَضلكَ ..وَلَو دَلَّ مَخلُوقٌ مَخلُوقاً من نَفسه عَلَى مثل الذي دَلَلتَ عَلَيه عبَادَكَ منكَ كَانَ مَوصُوفاً بالإحسَان وَمَنعُوتاً بالامتنَان وَمَحمُوداً بكُلِّ لسَان ...يَا مَن تَحَمَّدَ إلى عبَاده بالإحسَان وَالفَضل وَغَمَرَهُم بالمَنِّ وَالطَّول مَآ أَفشَى فينَا نعمَتَكَ، وَأَسبَغَ عَلَينَا منَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا ببرِّكَ.. لمَا عَرَّضتَنَا لَهُ من رَحمَتكَ ... وَوَفَّقتَنَا بمَنِّكَ لَهُ ..وَاستُرنَا بستركَ وَاعفُ عَنَّا بعَفوكَ .. وَاستَعملنَا بمَا يَكُونُ حطَّةً وَكَفَّارَةً لمَآ أَنكَرتَ منَّا فيه برَأفَتكَ التي لا تَنفَدُ وَفَضلكَ الذي لا يَنقُصُ ...وَاجعَلهُ من خَير يَوم مَرَّ عَلَينَآ أَجلَبه لعَفو وَأَمحَاهُ لذَنب وَاغفر لَنَا مَا خَفيَ من ذُنُوبنَا... وَعَطَفَت رَحمَتَكَ عَلَيه فَهَب لَنَا مثلَهُ من وجدكَ وَأَعطنَآ أَضعَافَهُ من فَضلكَ، فَإنَّ فَضلَكَ لا

يَغيضُ، وَإنَّ خزَآئنَكَ لا تَنقُصُ بَل تَفيضُ، وَإنَّ مَعَادنَ إحسَانكَ لا تفنَى، وَإنَّ عَطَآءكَ لَلعَطَآءُ المُهَنَّا .. اللَّهُمَّ، تجَاوز عَن آبَآئنَا وَأُمَّهَاتنَا وَأهل ديننَا جَميعاً مَن سَلَفَ منهُم وَمَن غَبَرَ .. إنَّكَ أَكرَمُ مَن رُغبَ إلَيه وَأكفَى مَن تُوكِّلَ عَلَيه وَأَعطَى مَن سُئلَ مِن فَضله، وَأَنتَ عَلَى كلّ شَيءٍ قَديرٌ».

(رقم ٤٦ لعيد الفطر والجُمُعَة)

تمجيد الله في العيد هو الغالب فغلبت مفردات تنتمي على عائلات الكرم والعفو والملك، بما يناسب جلال الدعاء فعائلة الكرم حاضرة بقوّة عبر الكرم (ثلاث مرات) والنعمة (ثلاث مرات) والجود (مرّتين) والفضل والإحسان (ثلاث مرات)، وكانت الإغاثة (مرّة) من ضيوف العائلة في هذا النص. أما عائلة الرحمة حاضرة بألفاظ تناسب المقام كالأناة (أربع مرات) والتجاوز (مرّة) والحلم (مرّة) ولكن ابتدئ بذكر الرحمة (مرّتين)، وكل ذلك تناسقاً مع حضور عائلة الملك عبر ألفاظ الملك (مرّة) العلو(أربع مرات) والمجد (مرّتين) والجلال (مرّتين) والسلطان (مرّتين) والعظمة (مرّة) ، وناسب ذلك ختم الديباجة بذكر قدرته تعالى (مرّة): «يَا مَن يَرحَمُ مَن لا يَرحَمُهُ العبَادُ .. وَيَا مَن لا يُغَيِّرُ النِّعمَةَ وَلا يُبَادرُ بالنَّقمَة، وَيَا مَن يُثمرُ الحَسَنَةَ حتّى يُنَمِّيَهَا وَيَتَجَاوَزُ عَن السَّيِّئَة .. انصَرَفَت الآمَالُ دُونَ مَدَى كَرَمكَ بالحَاجَات وَامتلأت بفَيض جُودكَ أَوعيَةُ الطَّلبَات وَتَفَسَّخَت دُونَ بُلُوغ نَعتكَ الصِّفَاتُ، فَلَكَ العُلُو الأعلَى فَوقَ كلّ عَال وَالجَلالُ الأمجَدُ فَوقَ كلّ جَلال .. وَأَجدَبَ المُنتَجعُونَ إلا مَن انتجَعَ فَضلَكَ، بَابُكَ مَفتُوحٌ للرَّاغبينَ وَجُودُكَ مُبَاحٌ للسَّآئلينَ وَإغَاثَتُكَ قَريبَةٌ منَ المُستَغيثينَ، لا يَخيبُ منكَ الآملُونَ وَلا ييأَسُ من عَطَآئكَ المُتَعَرِّضُونَ .. وَحلمُكَ مُعتَرضٌ لمَن نَاوَاكَ عَادَتُكَ الإحسَانُ إلى المُسيئينَ .. حتّى لَقَد غرَّتهم أَنَاتُكَ ..وَإنَّمَا تَأَنَّيتَ بهِم ليَفيئُوآ إلى أَمركَ وَأَمهلتَهُم ثقَةً بدَوَام مُلككَ .. لَم يَهن عَلَى طُول مُدَّتهم

سُلطَانُكَ .. حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ لا تُدحَضُ وَسُلطَانُكَ ثَابتٌ لا يَزُولُ، فَالوَيـلُ الـدَّآئِمُ لِمَن جَنَحَ عَنكَ .. عَدلاً من قَضَائِكَ لا تَجُورُ فيه وَإنصَافاً من حُكمكَ لا تَحيفُ عَلَيه .. وَتَأَنَّيت وَأَنتَ مَلِيءٌ بِالمُبَادَرَة لَم تَكُن أَنَاتُكَ عَجزاً .. بَل لِتَكُونَ حُجَّتُكَ أَبلَغَ وَكَرَمُكَ أَكمَلَ وَإحسَانُكَ أَوفَى وَنعمَتُكَ أَتَمَّ ..وَمَجدُكَ أَرفَعُ من أَنّ يُحَـدَّ بكُنهه، وَنعمَتُكَ أَكثَرُ من أنّ تُحصَى بِأَسرهَا، وَإحسَانُكَ أَكثَرُ من أَنّ تُشكَرَ عَلَى أَقَلِّه .. وَأَكرِم من عندكَ مُنصَرَفِي .. وَأَنتَ عَلَى كلِّ شَيءٍ قَـديرٌ، وَلا حَـولَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّه العَلي العَظِيمِ».

(رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)

نصّ شامل لجلّ مقاصد الدعاء في الصحيفة وأكثرها ثراء في الثناء على الله بكل ألفاظ عائلات أسمائه الحسنى التي تعودنا على حضورها في العديد من الأدعية، لكنّه هنا هو الأرهف والألطف، وكأنّ هذه الأسماء قد احتشدت لتشارك في تلبية يوم عرفة. وتأتي عائلة الكرم الأولى بخمسة عشر لفظاً بعضها لم يظهر بعضها إلا في هذا الدعاء : نعمة (ست مرّات ومرّتين للسبوغ) فضل (خمس مرات) ومن اسماً وفعلاً (أربع مرات) وفوائد (ثلاث مرات) وجود (ثلاث مرات) وإحسان (مرّتين) ومواهب (مرّتين) وعطاء (مرّتين) ومرّة لكلّ من بسط يد وصنع ونحل ونوافل وعوائد ونوال، أي بما مجموعه خمسة وثلاثون تواردا، تليها عائلة الرحمة في كثافة الحضور بأحد عشر اسماً من أسماء رحمته الحسنى: رحمة (تسع مرات) عفو(خمس مرات) رأفة (أربع مرات) مغفرة (ثلاث مرّات) لطف (مرّتين) ومرّة لكلّ من التعطّف والتحنّن والتجاوز والصفح والحلم والأناة، أي بما مجموعه ٣٢ تواردا لعائلة الرحمة. وحضرت عائلة الملك بستّة ألفاظ هي رفعة (مرّتين) وملك (مرّة) وعظمة (مرّة) وبهاء (مرّة) ومجد (مرّة) وكبرياء (مرّة). أمّا عائلة القدرة فمثّلت بلفظ الطول وعائلة العلم بلفظ العلم

(مرّة) لكـلّ: «فَكَانَ حَتماً مَآ أَرَدتَ وَقَضَيتَ، فَكَانَ عَدلاً مَا قَـضَيتَ وَحَكَمـتَ، فَكَانَ نصفاً مَا حَكَمتَ .. وَلَم يَقُم لسُلطَانكَ سُلطَانٌ ..سُبحَانَكَ مـن لَطيـف مَـآ أَلطَفَكَ! وَرَءُوف مَآ أَرأَفَكَ! وَحَكيم مَآ أَعرَفَكَ! سُبحَانَكَ من مَليك مَآ أَمنعَـكَ! وَجَوَاد مَآ أَوسَعَكَ! وَرَفيع مَآ أَرفَعَكَ! ذُو البَهَآء وَالمَجـد وَالكبريَـآء وَالحَمـد، سُبحَانَكَ بَسَطتَ بالخَيرَات يَدَكَ .. خَضَعَ لَكَ مَن جَـرَى فـي علمـكَ وَخَـشَعَ لعَظَمَتكَ مَا دُونَ عَرشكَ .. قَولُكَ حُكمٌ وَقَضَآؤُكَ حَتمٌ وَإرَادَتُك عَزمٌ .. حَمـداً خَالداً بنعمَتكَ وَلَكَ الحَمدُ حَمداً يُوَازي صُـنعَكَ .. وَلا يَعـرفُ أَحَـدٌ سـوَاكَ فَضلَهُ.... صَلاةً تُجزلُ لَهُم بهَا من نحَلكَ وَكَرَامَتكَ وَتُكمـلُ لَهُـمُ الأشـيَآءَ مـن عَطَايَاكَ وَنَوَافلكَ وَتُوَفِّرُ عَلَيهمُ الحَظَّ من عَوَآئدكَ وَفَوَآئدكَ... هَـب لَنَـا رَأفَتَـهُ وَرَحمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ... إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ وَخَيـرُ الغَـافرينَ، وَاجعَلنَـا مَعَهُم في دَار السَّلام برَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الـرَّاحمينَ. اللَّهُـمَّ، هَـذَا يَـومُ عَرَفَـةَ .. نَشَرتَ فيه رَحمَتَكَ وَمَنَنتَ فيه بعَفوكَ وَأَجزَلتَ فيه عَطيَّتَكَ وَتَفضَّلتَ به عَلَـى عبَادكَ. اللَّهُمَّ، وَأَنَا عَبدُكَ الذي أَنعَمتَ عَلَيه .. رَاجياً لعَفـوكَ وَاثقـاً بتَجَـاوُزكَ وَكَانَ أَحَقَّ عبَادكَ مَعَ مَا مَنَنـتَ عَلَيـه أَلا يَفعَـلَ .. مُـستَجيراً بـصَفحكَ لائـذاً برَحمَتكَ .. وَجُد علي بمَا تَجُودُ به عَلَى مَن أَلقَى بيَده إلَيكَ من عَفوكَ، وَامـنُن علي بمَا لا يَتَعَاظَمُكَ أَنّ تَمُنَّ به عَلَى مَن أَمَّلَكَ من غُفرَانكَ .. وَبَلِّغني مَبَالغَ مَن عُنيتَ به وَأَنعَمتَ عَلَيه وَرَضيتَ عَنهُ ..وَجَلِّلني سَـوَابغَ نَعمَآئـكَ وَظَـاهر لَـدَيَّ فَضلَكَ وَطَولَكَ وَأَيِّدني بتَوفيقكَ وَتَـسديدكَ.. وَإنَّـكَ أَولَـى بالفَـضل وَأَعـوَدُ بالإحسَان وَأَهلُ التَّقوَى وَأَهلُ المَغفرَة وَأَنَّكَ بأَن تعفُوأَولَى منـكَ بـأَن تُعَاقـبَ وَأَنَّكَ بأَن تَستُرَ أَقرَبُ منكَ إلى أنّ تَشهرَ .. تَغَمَّدني في مَا اطَّلَعتَ عَلَيه منِّي بمَا يَتَغَمَّدُ به القَادرُ عَلَى البَطش لَولا حلمُهُ وَالآخذُ عَلَى الجَريرَة لَولا أَنَاتُهُ .. وَاشفَع لي أَوَآئلَ مننكَ بأَوَاخرهَا وَقَديمَ فَوَآئدكَ بحَوَادثهَـا... وَأَوجـدني بَـردَ عَفـوكَ وحَلاوَةَ رَحمَتكَ وَرَوحكَ وَرَيحَانكَ وَجَنَّة نَعيمكَ، وَأَذقني طَعـمَ الفَـرَاغ لمَـا

تُحبُّ بسَعَة من سَعَتكَ ... وَتَمِّم سُبُوغَ نعمَتكَ علي وَظَاهر كَرَامَاتهَا لَدَيَّ، وَاملأ من فَوَآئدكَ يَدَيَّ وَسُق كرَآئم مَوَاهبكَ إلَيَّ ... وَاجعَل لي في الحَقِّ طَريقاً من كلِّ رَحمَة، أَجزل لي قسَمَ المَوَاهب من نَوَالكَ، وَوَفِّر علي حُظُوظَ الاحسَان من إفضَالكَ... وَافتَح لي أَبوَابَ توبَتكَ وَرَحمَتكَ وَرَأفَتكَ وَرزقكَ الوَاسع، إنِّي إلَيكَ منَ الرَّاغبينَ، وَأَتمم لي إنعَامَكَ إنَّكَ خَيرُ المُنعمينَ».

(رقم ٤٨ يوم الأضحى والجُمُعَة)

ويستمرّ فيض يوم عرفة في يوم الأضحى والجمعة مع حضور مكثّف لعائلتي الرحمة والكرم. وكانت عائلة الرحمة هي الأولى عبر ستّة ألفاظ هي رحمة (عشر مرات) وعفو(خمس مرات) ومغفرة (خمس مرات) وحلم (ثلاث مرات) ومرّة لكلّ من الحنان والعطف، أي بما مجموعه خمس وعشرون توارداً. تلتها عائلة الكرم بثمانية ألفاظ، هي الكرم (سبع مرات) وفضل (ثلاث مرات) ومن (مرّتين) ومرّة لكلّ من الجود والرفد والجائزة والهبة والعطاء، أي بما مجموعه سبعة عشر تواردًا. وأما عائلة الملك فحضرت بلفظي الملك (مرّتين) وجلال وإكرام (مرّة)، وأما عائلة القدرة فحضرت بلفظ قدرة (ثلاث مرّات): «..فَأَسأَلُكَ بجُودكَ وَكَرَمكَ .. وَأَسأَلُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا بأَنَّ لَكَ المُلكَ وَلَكَ الحَمدَ لا إلَهَ إلا أَنتَ الحَليمُ الكَريمُ الحَنَّانُ المَنَّانُ ذُوالجَلال وَالإكرَام .. أَوخَير تَمُنُّ به عَلَيهم .. وَأَسأَلُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا بأَنَّ لَكَ المُلكَ ...وَأَن تَغفرَ لَنَا وَلَهُم إنَّكَ عَلَى كلِّ شَيء قَديرٌ ... وَإنِّي بمَغفرَتكَ وَرَحمَتكَ أَوثَقُ منِّي بعَمَلي وَلَمَغفرَتُكَ وَرَحمَتُكَ أَوسَعُ من ذُنُوبي .. وَتَولَّ قَضَآءَ كلِّ حَاجَة هيَ لي بقُدرَتكَ عَلَيهَا .. فَإلَيكَ يَا مَولايَ كَانَت اليَومَ تَهيئَتي وَتَعبئَتي وَإعدَادي وَاستعدَادي رَجَآءَ عَفوكَ وَرفدكَ وَطَلَبَ نَيلكَ وَجَآئزَتكَ... أَتَيتُكَ أَرجُو عَظيمَ عَفوكَ الذي عَفَوتَ به عَن

الخَاطِئينَ ثمّ لَم يَمنَعكَ طُولُ عُكُوفِهم عَلَى عَظِيمِ الجُرمِ أنّ عُدتَ عَلَيهم بالرَّحمَةِ وَالمَغفرَةِ فَيَا مَن رَحمَتُهُ وَاسعَةٌ وَعَفوُهُ عَظِيمٌ، يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ، صَلِّ عَلَى محمّد وَآل محمّد وَعُد علي بِرَحمَتكَ وَتَعَطَّف علي بفَضلكَ وَتَوَسَّع علي بِمَغفرَتكَ ... اللَّهُمَّ، لَيسَ يَرُدُّ غَضبَكَ إلا حلمُكَ وَلا يَرُدُّ سَخَطَكَ إلا عَفوُكَ وَلا يُجيرُ من عقَابكَ إلا رَحمَتُكَ ... وَهَب لَنَا يَآ إلَهِي من لَدُنكَ فَرَجاً بالقُدرَةِ التي بهَا تُحيي أَموَاتَ العبَاد .. وَإن أَكرَمتَني فَمَن ذَا الذي يُهينُني؟ وَإن أَهَنتَني فَمَن ذَا الذي يُكرِمُني؟ وَإن عَذَّبتَني فَمَن ذَا الذي يَرحَمُني؟... وَأَستَرحمُكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَارحَمني...يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ يَا ذَا الجَلال وَالإكرَام .. وَتَفَضَّل علي به وَأَسعدني بمَا تُعطيني منهُ وَزدني من فَضلكَ وَسَعَة مَا عندَكَ فَإنَّكَ وَاسعٌ كَريمٌ، وَصل ذَلكَ بخَير الآخرَة وَنَعيمهَا يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٤٩ دفع كيد الأعداء)

غلبة لعائلة الكرم في تسع تواردات بألفاظ النعمة (ثلاث مرات) وإحسان (مرّتين) ومرّة لكلّ من العطاء والفضل والامتنان والهبة. تليها عائلة القدرة بسبع تواردات بألفاظ قدرة (أربع مرات) وتطول (مرّتين) وقوة (مرّة). وأخيراً عائلة الرحمة بخمسة تواردات بلفظي رحمة (أربع مرات) وأناة (مرّة). لقد اقتضى طلب النصرة غلبة الكرم والقدرة على الرحمة في هذا النصّ: «..وَشَدَدتَ أَزري بقُوَّتكَ ..وَقَد كَادَ أنّ يَحُلَّ بي لَولا رَحمَتُكَ مَا حَلَّ ... فَحَصَّنتَني من بَأسه بقُدرَتكَ .. وَجَدَاول رَحمَة نَشَرتَهَا وَعَافيَة أَلبَستَهَا .. كلّ ذَلكَ إنعَاماً وَتَطَوُّلاً منكَ .. لَم تَمنَعكَ إسَاءَتي عَن إتمَام إحسَانكَ ... وَلَقَد سُئلتَ فَأَعطَيتَ ..

وَاستُميحَ فَضلُكَ فَمَآ أَكدَيتَ أبيتَ يَا مَولاي إلا إحسَاناً وَامتنَاناً وَتَطَوُّلاً وَإنعَاماً... فَلَكَ الحَمدُ إلَهي من مُقتَدرٍ لا يُغلَبُ وَذي أَنَاة لا يَعجَلُ. هَذَا مَقَامُ مَن اعتَرَفَ بسُبُوغ النِّعَم وَقَابَلَهَا بالتَّقصير وَشَهدَ عَلَى نَفسه .. فَإنَّ ذَلكَ لا يَضيقُ عَليكَ في وُجدكَ وَلا يَتكَأَّدُكَ في قُدرَتكَ، وَأَنتَ عَلَى كلّ شَيءٍ قَديرٌ، فَهَب لي يَآ إلَهي من رَحمَتكَ وَدَوَام توفيقكَ.. يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ».

(رقم ٥١ في التضرُّع والاستكانة)

غلبة لعائلة الكرم على النصّ بسبعة عشر تواردا بألفاظ الصنيع وفعل الاصطناع (أربع مرات) وسبوغ (خمس مرات) النعمة والنعماء والنعمى (خمس مرات) التي تناوب ذكرها على طول الديباجة يتخلّلها ذكر العطاء والتفضيل والإحسان مرّة لكلّ. لكن النصّ اختتم بعائلة الرحمة في ستّة تواردات متتالية بألفاظ العفو(مرّة) والمغفرة (ثلاث مرات) والرحمة (مرّتين) : «وَأَنتَ للحَمد أَهلٌ عَلَى حُسن صَنيعكَ إلَيَّ وَسُبُوغ نَعمَآئكَ عليَّ وَجَزيل عَطَآئكَ عندي وَعَلَى مَا فَضَّلتَني من رَحمَتكَ وَأَسبَغتَ علي من نعمَتكَ، فَقَد اصطَنَعتَ عندي مَا يَعجزُ عَنهُ شُكري، وَلَولا إحسَانُكَ إلَيَّ وَسُبُوغُ نَعمَآئكَ علي ... وَلكنَّكَ ابتَدَأتَني بالإحسَان . .كَم من نعمَة سَابغَة أَقرَرتَ بهَا عَيني، وَكَم من صَنيعَة كَريمَة لَكَ عندي .. وَوَجَدتُ نُعمَاكَ علي سَابغَةً ..وَصَنيعُكَ لَدَيَّ مَبرُورٌ .. أَسأَلُكَ أنّ تعفُو عَنّي وَتَغفرَ لي .. وَاغفر لي مَا تعلَمُ من ذُنُوبي .. وَإن تَغفر فَأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحمينَ».

(رقم ٥٢ في الإلحاح)

يتميّز سياق الإلحاح بحضور غالب نادر لعائلة ملكه تعالى (مرّة) التي ضممنا

إليها سلطانه (مرّتين) لتشابكه معها (وهذا من خصوصيات هذا النص)، وكذلك مع القدرة (مرّة) التي تعودنا ربط السلطان بها في نصوص الصحيفة. واختتم سياق الإلحاح بذكر عائلة كرمه (مرّتين) ونعمه (مرّة) وجوده (مرّة) متشابكة مع عائلة رحمته التي لم تحضر إلا بلفظ الرحمة : «.. **كَيفَ يَنجُو منكَ مَن لا مَذهَبَ لَهُ في غَيرِ مُلكِكَ؟ .. سُبحَانَكَ لا يَنقُصُ سُلطَانَكَ .. وَلا يَمتَنِعُ منكَ مَن كَذَّبَ بِقُدرَتِكَ .. سُبحَانَكَ مَآ أَعظَمَ شَأنَكَ وَأَقهَرَ سُلطَانَكَ وَأَشَدَّ قُوَّتَكَ .. وَقَلبُهُ مَفتونٌ بِكَثرَةِ النِّعَمِ عَلَيه .. وَبِجَلال وَجهِكَ الكَرِيمِ ..وَأَن تُثنِيَني بِالكَثِيرِ مِن كَرَامَتِكَ بِرَحمَتِكَ .. وَعَلَى جُودِكَ وَكَرَمِكَ أَتَّكِلُ**».

(رقم ٥٩ في الكرب والإقالة)

استهلّ الدعاء بعائلة القدرة بلفظ القدرة (مرّتين) في البداية ثمّ الجلال مرّتين في الوسط وأخيراً العزة (مرّة) في النهاية، وتلاها ذكر عائلة الكرم بألفاظ العوائد (مرّة) والإنعام (مرّتين) والإكرام (مرّتين) والفضل (مرّة) والنعمة (مرّة) والتحنّن (مرّة) والمنة (مرّة) متشابكة مع عائلة الرحمة بلفظ الرحمة (ثلاث مرّات)، بما مجموعه ستة عشرة تواردًا : «.. **أنّ قُدرَتَكَ عَلَى كَشف مَآ أَنَا فيه كَقُدرَتِكَ عَلَى مَا ابتَلَيتَني به وَإِنَّ ذِكرَ عَوَآئدِكَ يُؤنِسُني وَالرَّجَآءَ في إنعَامِكَ وَفَضلِكَ يُقَوِّيني، لأَنِّي لَم أَخلُ من نعمَتِكَ ..وَالذَّآبُّ عَنِّي المُتَحَنِّنُ علي الرَّحِيمُ بي... فَكُن يَا ذَا الجَلال وَالإكرَامِ .. وَارحَم ضَعفِي ..وَامنُن علي بِذَلِكَ .. وَلا تُجَازِني بالاستحقَاق وَلَكِن بِرَحمَتِكَ التي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ، يَا ذَا الجَلال وَالإكرَامِ.. وَاسمَع وَأَجِب يَا عَزِيزُ**».

(رقم ٦٠ ممّا يَحذَرُهُ ويخاف)

حضور ضعيف لهذه العائلات الثلاث باستثناء توارد واحد لكلّ من الحلم

والعفو والرحمة في سياق الخوف والحذر: «**إلَهي، أنّه لَيسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إلا حِلمُكَ، وَلا يُنجِي مِن عِقَابِكَ إلا عَفوَكَ وَلا يُخَلِّصُ مِنكَ إلا رَحمَتُكَ**».

مقام الثناء على الله وحضور خمسة عائلات

وثالث نموذج نقدّمه لبيان حضور عائلات الرحمة والكرم والقدرة في نصوص الصحيفة هو عبارات المناجاة-النداء التي يفتتح بها الكثير من ديباجات الأدعية، ولاسيما في بعض الديباجات التي خصصت للثناء عليه تعالى. لكن هذه النصوص قد تميّزت عن غيرها بتخصيص مساحات وافية لحضور عائلتي الملك والعلم الغائبتين نسبياً عن غالب الأدعية. نبدأ بعرض بعض نصوص الأدعية التي تفيض تعظيماً وتمجيداً لله، وتتميز بالتالي بحضور عائلة الملك، مثل بداية الدعاء (رقم ٣٢ في صلاة الليل)

حضرت العائلة وحيدة باثني عشر تواردا، وهذا من نوادر حال نصوص الصحيفة، وثمانية ألفاظ الملك (مرّتين) والسلطان (مرّتين) والعزّ (مرّتين) والعلو(مرّتين) والكبرياء والدوام والتأبد والخلود (مرّة) لكلّ: «**اللَّهُمَّ يَا ذَا المُلك المُتَأبِّد بالخُلُود وَالسُّلطَان المُمتَنِع بغَير جُنُود وَلا أعوَان وَالعزِّ البَاقي عَلَى مَرِّ .. عَزَّ سُلطَانُكَ عزاً لا حَدَّ لَهُ بأوَّليَّة وَلا مُنتَهَى لَهُ بآخَريَّة وَاستَعلَى مُلكُكَ عُلُواً سَقَطَت الأشيَاءُ دُونَ بُلُوغ أمَده وَلا يَبلُغُ أدنَى مَا استَأثَرتَ به من ذَلكَ أقصَى نَعت النَّاعتينَ ..وَحَارَت في كبريَائكَ لَطَائفُ الأوهَام، كَذَلكَ أنتَ اللَّهُ الأوَّلُ في أوَّليَّتكَ، وَعَلَى ذَلكَ أنتَ دَائمٌ لا تَزُولُ...**». (رقم ٣٢ في صلاة الليل)

والنص رقم ٥٥ المخصّص للتسبيح حضرت فيه بوضوح عائلة العلم بأحد عشر تواردا عبر أربعة ألفاظ، هي فعل العلم (ست مرات) والرؤية (مرّتين)

والسمع (مرّتين) واسم فاعل المشاهدة (مرّة). أما حضور عائلة الملك فاثنتي عشرة مرّة بألفاظ العظمة (أربع مرات) والعلو(ثلاث مرات) والقداسة (ثلاث مرّات لنفس اللفظ) ومرّة لكلّ من السلطان والكبرياء. وحضرت عائلة الرحمة فقط بلفظ الحنّان: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَنَانَيكَ، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَعَالَيت، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالعزُّ إزَارُكَ، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالعَظَمَةُ ردَآؤُكَ، سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالكبريَاءُ سُلطَانُكَ، سُبحَانَكَ من عَظيمٍ مَآ أَعظَمَكَ، سُبحَانَكَ سُبِّحتَ في الأعلَى تَسمَعُ وَتَرَى مَا تحتَ الثَّرَى، سُبحَانَكَ أَنتَ شَاهدُ كلّ نَجوَى، سُبحَانَكَ مَوضعُ كلّ شَكوَى، سُبحَانَكَ حَاضرُ كلّ مَلا، سُبحَانَكَ عَظيمُ الرَّجَآء، سُبحَانَكَ تَرَى مَا في قَعرِ المَآء، سُبحَانَكَ تَسمَعُ أَنفَاسَ الحيتَان في قُعُور البحَار، سُبحَانَكَ تعلَمُ وَزنَ السَّمَوَات، سُبحَانَكَ تَعلَمُ وَزنَ الأَرضينَ، سُبحَانَكَ تَعلَمُ وَزنَ الشَّمس وَالقَمَر سُبحَانَكَ تَعلَمُ وَزنَ الظُّلمَة وَالنُّور، سُبحَانَكَ تَعلَمُ وَزنَ الفَيء وَالهواء، سُبحَانَكَ تَعلَمُ وَزنَ الرِّيحِ كَم هيَ من مثقَال ذَرَّة، سُبحَانَكَ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، سُبحَانَكَ عَجَباً مَن عَرَفَكَ كَيفَ لا يَخَافُكَ؟! سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبحَمدكَ، سُبحَانَ اللَّه العلي العَظيم**». (رقم ٥٥ في التسبيح لله تعالى)

وكان أوّل نصّ في الصحيفة مخصّصاً لتحميده تعالى، وبالتالي لتعظيمه، ومع ذلك فقد حضرت عائلتا الرحمة والكرم في بعض مقاطعه : حضرت الرحمة عبر ألفاظ الرحمة والتأنّي والمغفرة والعفو والرأفة والحلم (مرّة) لكلّ، بينما حضرت عائلة الكرم بألفاظ الفضل (أربع مرات) والمنّ والتكرّم وحسن البلاء والإحسان (مرّة) لكلّ : «**وَالحَمدُ للَّه الذي ..أَغنَانَا بفَضله وَأَقنَانَا بمَنِّه ثمّ أَمَرَنَا ليَختَبرَ طَاعَتَنَا .. فَخَالَفنَا عَن طَريق أَمره .. فَلَم يَبتَدرنَا بعُقُوبَته .. بَل تَأَنَّانَا برَحمَته تَكَرُّمَاً وَانتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا برَأفَته حلماً، وَالحَمدُ للَّه الذي دَلَّنَا عَلَى التَّوبَة التي لَم نُفدهَا**

إلا من فَضله فَلَو لَم نَعتَدد من فَضله إلا بهَا، لَقَد حَسُنَ بَلاؤُهُ عندَنَا وَجَلّ إحسَانُهُ إلَينَا وَجَسُمَ فَضلُهُ عَلَينَا ...حَمداً يَكُونُ وُصلَةً إلى طَاعَته وَعَفوه وَسَبَباً إلى رضوَانه وَذَريعةً إلى مَغفرَته وَطَريقاً إلى جَنَّته ..» (رقم ١ التحميد).

أما النصّ رقم ٦ في دعاء الصباح والمساء فتحضر فيه عائلة الرحمة خمس مرّات بألفاظ الرحمة (ثلاث مرات) والرأفة (مرّة) والغفران (مرّة) بأقوى من حضور عائلة الملك التي تمثّلت بلفظ الملك (مرّتين) : «.. اللَّهُمَّ إنِّي أُشهدُكَ وَكَفَى بكَ شَهيداً وَأُشهدُ سَمَآءَكَ وَأرضَكَ وَمَن أَسكَنتَهُمَا من مَلائكَتكَ وَسَآئر خَلقكَ في يَومي هَذَا، سَاعَتي هَذه وَلَيلَتي هَذه وَمُستَقَرِّي هَذَا، أنِّي أَشهَدُ أَنَّكَ أَنتَ اللَّهُ الذي لا إلَهَ إلا أَنتَ قَآئمٌ بالقسط عَدلٌ في الحُكم رَءوفٌ بالعبَاد مَالكُ المُلك رَحيمٌ بالخَلق...إنَّك أَنتَ المَنَّانُ بالجَسيم وَالغَافرُ للعَظيم، وَأَنتَ أَرحَمُ من كلّ رَحيمٍ» (رقم ٦ ي الصباح والمساء).

وفي النصّ رقم ١٣ حضرت عائلة الكرم وحدها استجداء لكرمه تعالى : نعم (مرّة) وعطايا (مرّة) وامتنان (مرّة) وخزائن (مرّة) : «اللَّهُمَّ، يَا مُنتَهَى مَطلَب الحَاجَات وَيَا مَن عندَهُ نَيلُ الطَّلبَات وَيَا مَن لا يَبيعُ نعَمَهُ بالأثمَان وَيَا مَن لا يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بالامتنَان وَيَا مَن يُستَغنَى به وَلا يُستَغنَى عَنهُ وَيَا مَن يُرغَبُ إلَيه وَلا يُرغَبُ عَنهُ وَيَا مَن لا تُفني خَزَآئنَهُ المَسَآئلُ وَيَا مَن لا تُبَدّلُ حكمَتَهُ الوَسَآئلُ وَيَا مَن لا تَنقَطعُ عَنهُ حَوَآئجُ المُحتَاجينَ وَيَا مَن لا يُعَنِّيه دُعَآءُ الدَّاعينَ، تَمَدَّحتَ بالغَنَآء عَن خَلقكَ وَأَنتَ أَهلُ الغنَى عَنهُم ..» (رقم ١٣ في طلب الحوائج).

وفي نصّ الاستقالة رقم ١٦ حضرت عائلتا الرحمة والكرم في نوع من التناوب : رحمة (ثلاث مات) وعفو(مرّة) مقابل إحسان (مرّة) ونعم (مرّة) وعطاء

(مرّة) : «اللَّهُمَّ، يَا مَن برَحمَته يَستَغيثُ المُذنبُونَ وَيَا مَن إلى ذكر إحسَانه يَفزَعُ المُضطَرُّونَ وَيَا مَن لخيفَته يَنتَحبُ الخَاطئُونَ يَآ أُنسَ كلّ مُستَوحش غَريب وَيَا فَرَجَ كلّ مَكرُوب كَئيب وَيَا غَوثَ كلّ مَخذُول فَريد وَيَا عَضُدَ كلّ مُحتَاج طَريد، أَنتَ الذي وَسعتَ كلّ شَيء رَحمَةً وَعلماً، وَأَنتَ الذي جَعَلتَ لكلّ مَخلُوق في نعَمكَ سَهماً، وَأَنتَ الذي عَفوُهُ أَعلَى من عقَابه، وَأَنتَ الذي تَسعَى رَحمَتُهُ أَمَامَ غَضَبه، وَأَنتَ الذي عَطَآؤُهُ أَكثَرُ من مَنعه، وَأَنتَ الذي اتَّسَعَ الخَلائقُ كُلُّهُم في وُسعه ..» (رقم ١٦ في الاستقالة).

وفي نصّ يوم عرفة الثري جدّاً حضور لافت ثانٍ في الصحيفة لعائلة الملك : عظيم متعظّم (مرّتين) كبير متكبّر (مرّتين) علي متعالٍ عالٍ علو(أربع مرّات) و(مرّة) لكلّ من بهاء وجد وكبرياء. أمّا عائلة العلم فحاضرة بألفاظ عليم وحكيم وسميع وبصير وخبير (مرّة) لكلٍّ. وعائلة الرحمة حاضرة بلفظي رحمان رحيم (مرّتين) : «.. وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ الكَريمُ المُتَكَرِّمُ العَظيمُ المُتَعَظِّمُ الكَبيرُ المُتَكَبِّرُ، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ العلي المُتَعَال الشَّديدُ المحَال، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ الرَّحمنُ الرَّحيمُ العَليمُ الحَكيمُ، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ السَّميعُ البَصيرُ القَديمُ الخَبيرُ، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ الكَريمُ الأَكرَمُ الدَّآئمُ الأدوَمُ، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ الدَّاني في عُلُوِّه وَالعَالي في دُنُوِّه، وَأَنتَ اللَّهُ لا إلَهَ إلا أَنتَ ذُو البَهَآء وَالمَجد وَالكبريَآء وَالحَمد ..» (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة) .

ونؤكّد في ختام دراسة تصاريف مقام الثناء على خصوصية هي من أخص خصوصيات أيّ دعاء، وهي الحضور الدائم المتكرّر للفظ الجلالة في صيغتي «اللهمّ» و«إلهي» اللّتين يمكن اعتبارهما مفتاحاً لكلّ جملة دعاء على طول وعرض ديباجات الصحيفة السجّادية. وهذا الحضور هو افتتاح لابدّ منه للدعاء.

وعليه، فإنّ مكان توارد وتواجد أسمائه الحسنى تعالى المنتمية إلى الرحمة والكرم والقدرة هو في ثنايا تدبيج الطلب وتحريره. وقد يحلّ أحياناً لفظ الربّ محلّ لفظ الإله، ولكن حضوره لا يقلّل من هيمنة الصيغتين آنفتي الذكر على كلّ ديباجات الدعاء. وجدير بالذكر هنا ترافق ورود لفظ الجلالة «اللهم» مع الصلاة على محمّد وآله في نوع من التلازم، هو من خصوصيات الدعاء السجّادي. وسنعرض في مقام الصلاة على محمّد وآله نصّاً يمثّل نموذجاً لهذا التلازم.

دراسة مقامات الدعاء

ربّما لا تتبدى أهمّية متانة المكانة التي استوجبت حضور الرحمة والكرم والقدرة في طول وعرض ديباجات الدعاء إلا من خلال عرض السياقات التي حتّمت ظهو رها، وقد سبق لنا تسمية هذه السياقات بالمقامات، لجمال ترتيبها وتركيبها مفردات وجملا. ثمّ إنّ دراسة تشكيلة المفردات والأنساق التي وردت فيها مقامات الدعاء الرئيسة الأربعة هي من الخصوصية والفرادة بمكان بحيث تستحق بذل قصارى الجهد في سبيل بيان جماليات أسلوبية الصحيفة السجّادية، ولو في أدنى المستويات التي بلغتها، وهو مستوى رصف العبارات تجسيداً للعَبَرات . ونعترف ابتداء بأنّ فرز وتصنيف المفردات لم يكن بالأمر السهل نظراً لكثرتها وكثافتها من جهة ولتداخل السياقات التي استدعتها، ذلك أنّ الدعاء يحكمه منطق الروح وليس روح المنطق، ولاسيما الصوري منه. ولعلّ من خصوصيات جميع النصوص الأصيلة غلبة الكثافة والرهافة فيها على النظم والرصف، بمعنى أنّها ليست أشكال هندسة جامدة ولكن لوحات فسيفساء نابضة. ويصح هذا بشكل خاص على تواجد كلّ من الرهبة والرغبة والمحبة في أفلاك متشابكة لا يمكن فصل خطوطها وخيوطها بعضها عن بعض.

أوّلاً: مقام الاعتراف (أو مقام الرهبة)

التذلّل لله

المدهش هنا ليس كثرة توارد لفظ الذلة بمشتقاته المختلفة (سبع مرّات) فهذا ما يمكن أنّ يجري على لسان أيّ داع وطالب حاجة من حاجات الدنيا الفانية، ولكن المدهش هو تجاور الذلة مع عائلات مختلفة جمعها في الصحيفة قاسم مشترك هو الفقر إلى الله والاستجارة به، وتبرز في الدعاء رقم ٢١ المسكنة والاستكانة والضعف والضرر والحقارة والمهانة في إطار خوف العبد من ربّه، ويجتمع في الوقوف بباب عزّته تعالى الاستسلام والبؤس والإعالة حياءً (رقم ١٢)، ويتوالى في مقام الحياء المتكرر وروده ذكر الخشوع والخضوع والرغبة والرهبة والرجاء والخشية (رقم ٣٢)، ويتحول الوقوف والمقام إلى مثول بين يدي الله مع التضرّع والتخشّع والطأطأة، ويتكرّر كذلك ذكر الخضوع والخشوع متجاورين مع الاستغاثة بعد التذلّل (رقم ٣١) والدمع يفيض استقالة (رقم ١٦) بلغات الخيفة والوجيب والخشية والهيبة شعوراً بالخزي. وتتجاور المذلّة مع المسكنة في المناجاة (رقم ١ من الدعاء رقم ٦٩) ليتبعهما شقيقاهما التذلّل والاستكانة إنابةً وحسنَ ظنٍّ ورجاءً في دعاء يوم عرفة (رقم ٤٧) حيث يتكرّر ذكر أفراد عائلة المسكنة المذكورين في الدعاء رقم ٢١ مع تجاور الخيفة والتضرع تعوذاً وتلوذاً لا تكبراً ولا تعالياً. ولا نغادر يوم عرفة إلا بعد تكرار ذكر الخشوع والخضوع والخوف مُصَدَّرَةً بجديد لم يذكر من قبل، وهو الصغار، وذلك بين يدي ذكر ثالث للاستجارة، ثمّ اللوذ برحمته في يدي الاعتراف بتحمّل الذنوب والخطايا: «**فَإِنِّي عَبدُكَ المسكينُ المُستَكينُ الضَّعيفُ الضَّريرُ الذَّليلُ الحَقيرُ المَهينُ الفَقيرُ الخَائِفُ المُستَجيرُ** (رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزَنَه أمرٌ)/

فَهَآ أَنَا ذَا يَآ إلَهي وَاقفٌ بِبَاب عزِّكَ وقُوفَ المُستَسلمِ الـذَّليل وَسَـآئلُكَ عَلَـى الحَيَآء منِّي سُؤَالَ البَآئس المُعيلِ (في الاعتراف والتوبة رقـم ١٢)/ وَهَذَا مَقَامُ مَن استَحيَا لنَفسه منكَ..فَتَلقَّاكَ بنَفس خَاشعَة ورَقَبَة خَاضعَة ..وَاقفاً بَينَ الرَّغبَة إلَيكَ وَالرَّهبَة منكَ وَأَنتَ أَولَى مَن رَجَاهُ وَأَحَقُّ مَن خَشيَهُ وَاتَّقَاهُ (رقـم ٣٢ فـي صـلاة الليـل)/ فَمَثَلَ بَينَ يَدَيكَ مُتَضَرِّعاً وَغَمَّض بَصَرَهُ إلى الأرض مُتَخَـشِّعاً وَطَأطَـأَ رَأسَهُ لعزَّتكَ مُتَذَلِّلاً وَأَبَثَّكَ من سرِّه ..خُـضُوعاً وَعَـدَّدَ مـن ذُنُوبـه .. خُـشُوعاً وَاستَغَاثَ بكَ ..(رقم ٣١ في التوبة)/ قَد تَرَى يَآ إلَهي فَيضَ دَمعي مـن خيفَتـكَ وَوَجيبَ قَلبي من خَشيَتكَ وَانتفَاضَ جَوَارحي من هَيبَتكَ، كلّ ذَلكَ حَيَآءً منِّـي بسُوء عَمَلي .. (رقم ١٦ في الاستقالة)/ اللَّهُمَّ فَارحَم وَحدَتي بَينَ يَدَيكَ وَوَجيبَ قَلبي من خَشيَتكَ وَاضطرَابَ أَركَاني من هَيبَتكَ، فَقَد أَقَامَتني يَا رَبِّ ذُنُوبي مَقَامَ الخزي بفنَآئكَ .. (رقم ٣١ في التوبة) / الَهـي أَلبَـستَني الخَطَايَـا ثَـوبَ مَـذَلَّتي وَجَلَّلَنـي التَّبَاعُـدُ منـكَ لبَـاسَ مَـسكَنَتي(رقـم ٦٩ المُنَاجَاتُ الأولَـى مُنَاجَاتُ التَّآئبينَ)/ ثمّ أَتبَعتُ ذَلكَ بالإنَابَة إلَيكَ وَالتَّذَلُّل وَالاستكَانَة لَكَ وَحُسن الظَّنِّ بكَ وَالثِّقَة بمَا عندَكَ وَشَفَعتُهُ برَجَآئكَ الذي قَلَّ مَا يَخيبُ عَلَيه رَاجيـكَ ..وَسَـأَلتُكَ مَسأَلَةَ الحَقير الذَّليل البَآئس الفَقير الخَآئف المُستَجير، وَمَعَ ذَلكَ خيفَةً وَتَـضَرُّعاً وَتَعَوُّذَا وَتَلَوُّذاً، لا مُستَطيلاً بتَكبُّر المُتَكبِّـرينَ وَلا مُتَعَاليـاً بدَآلَّـة المُطيعـينَ وَلا مُستَطيلاً بشَفَاعَة الشَّافعينَ، وَأَنَا بَعدُ أَقَلُّ الأَقَلِّينَ وَأَذَلُّ الأَذَلِّينَ وَمثـلُ الـذَّرَّة أَو دُونَهَا (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ وَهَآ أَنَا ذَا بَينَ يَدَيكَ صَاغراً ذَليلاً خَاضعاً خَاشعاً خَآئفاً مُعتَرفاً بعَظيم منَ الذُّنُوب تَحَمَّلتُهُ .. مُستَجيراً بـصَفحكَ لائـذاً برَحمَتـكَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ هَآ أَنَا ذَا يَا رَبِّ مَطرُوحٌ بَينَ يَدَيكَ، أَنَا الـذي أَوقَـرَت الخَطَايَا ظَهرَهُ .. (رقم ١٦ في الاستقالة)».

الشكوى من النفس

تكرّر لفظ الشكوى من نفس طويلة الأمل موسومة بالأمارة بالسوء والميل إلى اللعب واللهو والإسراع إلى الحوبة والتسويف في التوبة، ومن شيطان يغوي يعاضد الهو ى ويحول دون الزلفى، وشكوى ثالثة من قلب قاس يغلب عليه الوسواس والرين والطبع، ورابعة من عين جامدة عن البكاء، كلّ ذلك كشف وإبراز للأسباب المؤدية إلى العصيان وتداول الذنوب، وكان طبيعياً تحرير كلّ هذا التحليل الفيضي في ديباجة مناجاة الشاكين الثانية رقم ٧٠: «**إلَهي إلَيكَ أَشكُو نَفساً بالسُّوء أَمَّارَةً .. كَثيرَةَ العلَلِ طَويلَةَ الأمَلِ ..مَيَّالَةً إلى اللَّعبِ وَاللَّهو .. تُسرِعُ بي إلى الحَوبَة وَتُسَوِّفُني بالتَّوبَة ..إلَهي أَشكُو إلَيكَ شَيطَاناً يُغوِيني.. يُعَاضِدُ ليَ الهوى ..وَيَحُولُ بَيني وَبَينَ الطَّاعَة وَالزُّلفَى، أَشكُو قَلباً قَاسياً مَعَ الوَسوَاسِ مُتَقَلِّباً وَبالرَّين وَالطَّبعِ مُتَلَبِّساً، وَعَيناً عَنِ البُكَاءِ من خَوفكَ جَامِدَةً..** (رقم ٧٠ **الثَّانيَةُ مُنَاجَاتُ الشَّاكينَ**)».

التعلّق بالأمل والطمع والرغبة

ذكر الأمل بمعناه السلبي في الشكوى أعلاه، ولكنه مذكور هنا مرفقاً بالرغبة والطمع، مما يعطيه شحنة إيجابية ولاسيما أنّه يأتي في سياق التوبة (رقم ٣١)، كما جاء في سياق الرجاء في مناجاة المتوسّلين (رقم ٧٨) متجاوراً مع الاستحياء والثقة والخوف، حيث يلاحظ تكرّر لفظي الأمل والطمع مشحونين إيجابياً باستدعاء كرمه تعالى وجوده : «.. **فَأَقبَلَ نَحوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ مُستَحيياً منكَ وَوَجَّهَ رَغبَتَهُ إلَيكَ ثقَةً بكَ فَأَمَّكَ بطَمَعه يَقيناً وَقَصَدَكَ بخَوفه إخلاصاً** (رقم ٣١ في التوبة)/ **وَقَد حَلَّ رَجَائي بحَرَمِ كَرَمكَ وَحَطَّ طَمَعي بفنَاءِ جُودكَ، فَحَقِّق فيكَ أَمَلي، وَاختم بالخَيرِ عَمَلي** (الرقم ٧٨ **العَاشرَةُ مُنَاجَاتُ المُتَوَسِّلينَ**)».

العجز عن الهرب والفرار

ذكر العجز عن الهرب اعتراف ضمني بقوّته وقدرته تعالى، ولذلك كان طبيعيا نفي إمكان هرب العاصي من ربّه أو فراره منه لأنّه مدركه (الدعاء رقم ٥٠)، ولذلك قرّر الراجي والداعي واللاجئ إلى الله الفرار إليه عوضاً عن الهرب منه، خوفاً منه واستغاثة به واستعانةً وإيماناً وثقة واتّكالاً على كرمه وجوده تعالى، وكلّها لغات إلحاح في الطلب: «**وَلَو أَنَّ أَحَداً استَطَاعَ الهَرَبَ من ربِّه لَكُنتُ أَنَا أَحَقَّ بالهَرَب منكَ، وأَنتَ لا تَخفَى عَلَيكَ خَافيَةٌ في الارض وَلا في السَّمَآء إلا أَتيتَ بهَا، وكَفَى بكَ جَازياً وكَفى بكَ حَسيباً. اللَّهُمَّ، إنَّكَ طَالبي أنْ أَنَا هَرَبتُ وَمُدركي أنْ أَنَا فَرَرتُ** (رقم ٥٠ دعاؤه في الرهبة)/ **فَلَستُ بَريئاً فَأَعتَذرَ وَلا بذي قُوَّة فَأَنتَصرَ وَلا مَفَرَّ لي فَأَفرَّ** (رقم ٥١ في التضرُّع والاستكانة)/. **فَإلَيكَ أَفرُّ وَمنكَ أَخَافُ وَبكَ أَستَغيثُ وَإيَّاكَ أَرجُو وَلَكَ أَدعُو وَإلَيكَ أَلجَأُ وَبكَ أَثقُ وَإيَّاكَ أَستَعينُ وَبكَ أُؤمنُ وَعَلَيكَ أَتَوكَّلُ وَعَلَى جُودكَ وَكَرَمكَ أَتَّكلُ** (رقم ٥٢ دعاؤه في الإلحاح)».

إقرارات

يأتي الآن دور العديد من ديباجات الاعتراف والإقرار بالذنب التي لا نزعم حصرها هنا، وإنما اختيار الأصرح والأصدق منها، وهي على درجات تبدأ بالاعتراف بالتقصير، ثمّ بمخالفة أمره تعالى، ثمّ بضعف القوّة وقلّة الحيلة، ثمّ بالعجز عن حمل باهظ، وأخيراً بالاعتراف الصريح بتحمّل واقتراف الذنوب:

بالتقصير والتفريط

يتكرّر الإقرار بالتقصير في سياقات متعدّدة من تسويل للخطأ وعدم

استدراك للفضل المرغوب ولاسيّما شكر النعمة الواجب، ويتكرّر ذكره متجاوراً مع التفريط والتضييع والإهمال: «**وَسَوَّلَ لِيَ الخَطَآءَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطتُ** (رقم ٣٢ في صلاة الليل)/.. **فَأجُرنَا عَلَى مَآ أصَابَنَا فيه منَ التَّفريط أجراً نَستَدركُ به الفَضلَ المَرغُوبَ فيه .. وَأَوجِب لَنَا عُذرَكَ عَلَى مَا قَصَّرنَا فيه مِن حَقِّكَ** (رقم ٤٥ لوداع شهر رمضان)/.. **وَقَابَلَهَا بالتَّقصير وَشَهدَ عَلَى نَفسه بالتَّضييع** (رقم ٤٩ في دفع كيد الأعداء) **وَقَابَلَهَا بالتَّقصير وَشَهدَ عَلَى نَفسه بالإهمَال وَالتَّضييع** (رقم ٧٤ السَّادسَةُ مُنَاجَاتُ الشَّاكرينَ/ **وَأَعبَدُهُم لَك مقَصِّرٌ عَن طَاعَتكَ... وَكُلٌّ مُقرٌّ عَلَى نَفسه بالتَّقصير عمّا استَوجَبتَ....** (رقم ٣٧ في شكره تعالى)/.. **وَنِعمَةٌ أَنعَمتَ بِهَا علي فَقَصَّرتُ فِي شُكرِهَا** (في الاعتراف والتوبة رقم ١٢).

بمخالفة الأمر

تتّخذ مخالفة أوامره تعالى، ولاسيما نواهيه، صيغاً متعدّدة جوهرها عدم الائتمار وعدم الانزجار، وأعراضها اللهو وركوب المعاصي والقسوة والترك: «**إلَهِي، هَدَيتَني فَلَهوتُ وَوَعَظتَ فَقَسَوتُ وَأَبلَيتَ الجَميلَ فَعَصَيتُ** ... (رقم ٤٩ في دفع كيد الأعداء)/ **اللّهُمّ، إنَّكَ أَمَرتَني فتَرَكتُ وَنَهَيتَني فرَكبتُ** (رقم ٣٢ في صلاة الليل)/ **ثمّ أَمَرتَهُ فَلَم يَأتَمر وَزَجَرتَهُ فَلَم يَنزَجِر وَنَهَيتَهُ عَن مَعصيَتكَ فَخَالَفَ أَمرَكَ إلى نَهيكَ ..** (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)».

بضعف القوّة وقلة الحيلة

يتكرّر ذكر الضعف مطلقاً أو ضعف القوّة والنفس والوسيلة أو ضعف العبد

عموماً (سبع مرّات في سبع نصوص) متجاوراً مع قلّة الحيلة وانقطاعها والمسكنة والوهن والحسرة وكثرة الذنوب والزلات والعثرات واشتداد الفاقة ومتلازماً مع التفريط وجسامة الأمل (بالمعنى السلبي) والغفلة واختيار الباطل وغيرها من مسوّغات الذنوب، يذكر ذلك كلّه في سياق طلب للرحمة متكرّراً: «وَأَعتَرِفُ بِضَعفِ قُوَّتِي وَقِلَّةِ حِيلَتِي (رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزَنَه أمرٌ)/ أَسأَلُكَ سُؤَالَ مَن اشتَدَّت فَاقَتُهُ وَضَعُفَت قُوَّتُهُ وَكَثُرَت ذُنُوبُهُ (رقم ٥٤ في استكشاف الهموم)/ أَشكُو إِلَيكَ يَآ إِلَهِي ضَعفَ نَفسِي عَنِ المُسَارَعَةِ فِيمَا وَعَدتَهُ أَولِيَآءَكَ وَالمُجَانَبَةِ عمّا حَذَّرتَهُ أَعدَآءَكَ وَكَثرَةَ هُمُومِي وَوَسوَسَةَ نَفسِي (رقم ٥١ في التضرُّع والاستكانة)/ ..أَدعُوكَ دُعَآءَ مَن ضَعُفَت وَسِيلَتُهُ وَانقَطَعَت حِيلَتُهُ وَاقتَرَبَ أَجَلُهُ وَتَدَانَى فِي الدُّنيَآ أَمَلُهُ وَاشتَدَّت إلى رَحمَتِكَ فَاقَتُهُ وَعَظُمَت لِتَفرِيطِهِ حَسرَتُهُ وَكَثُرَت زَلَّتُهُ وَعَثرَتُهُ وَخَلُصَت لِوَجهِكَ تَوبَتُهُ (رقم ٦٥ في يوم الأربعاء)/. وَأَنَا العَبدُ الضَّعِيفُ عَمَلاً الجَسِيمُ أَمَلاً خَرَجَت من يَدِي أَسبَابُ الوُصُلاتِ (رقم ٣٢ في صلاة الليل)/ ارحَم شَيبَتِي وَنَفَادَ أَيَّامِي وَاقتِرَابَ أَجَلِي وَضَعفِي وَمَسكَنَتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي .. يَا غَفلَتِي عمّا يُرَادُ بِي (رقم ٥٣ دعاؤه في التذلل)/ وَلا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَينَ نُفُوسِنَا وَاختِيَارِهَا فإِنّها مُختَارَةٌ لِلبَاطِلِ إلا مَا وَفَّقتَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إلا مَا رَحِمتَ اللَّهُمَّ، وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعفِ خَلَقتَنَا وَعَلَى الوَهنِ بَنَيتَنَا (رقم ٩ في طلب المغفرة)».

بالعجز وقلّة القدرة وبهظ الحمل

ولا تنتهي القائمة، ولكن تتميّز بعض الإقرارات بإعلان انعدام الحول والقوة وطلب عدم الإحالة على النفس وبهظ الحمل وثقله، مما يدفع المقرّ المعترف بذنبه إلى إحالة الحمل إلى الله تعالى بلغات الاستحمال والاستعانة والتوكّل عليه:

«وَمن مَآء مَهين ابتَدَأتَنا، فَلا حَولَ لَنَآ إلا بقُوَّتكَ وَلا قُوَّةَ لَنَآ إلا بعَونكَ (رقم ٩ في طلب المغفرة)/ فَإنَّكَ أنّ وَكَلتَني إلى نَفسي عَجَزتُ عَنهَا وَلَم أُقم مَا فيه مَصلَحَتُهَا (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/ اللّهُمَّ، إنَّكَ كَلَّفتَني من نَفسي مَآ أَنتَ أَملَكُ به منِّي وَقُدرَتُكَ عَلَيه وَعلي أَغلَبُ من قُدرَتي ... (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/ وَقَد نَزَلَ بي يَا رَبِّ مَا قَد تَكَأَّدَني ثقلُهُ، وَأَلَمَّ بي مَا قَد بَهَظَني حَملُهُ (رقم ٧ في النوازل: طلب الفرج)/ وَأَستَحملُكَ من ذُنُوبي مَا قَد بَهَظَني حَملُهُ وَأَستَعينُ بكَ عَلَى مَا قَد فَدَحَني ثقلُهُ .. وَوَكِّل رَحمَتَكَ باحتمَال إصري (رقم ٣٩ في طلب العفو)».

بالذنوب والخطايا

نصل إلى صميم ديباجات الاعتراف بالذنب والخطيئة التي يتخلّلها الاعتراف بالتقصير والتفريط والجهل وغلبة الأمل وطوله وفتنة الهو ى والجرأة على الله، وكلها في سياقات من التذلّل إلى الله والاستقالة والمسكنة وتوبيخ النفس بين يدي طلب العفو والرحمة والرأفة والنجاة والعتق. تلاحظ غزارة نادرة التنوّع في تحرير عبارات اقتراف الذنوب من تعاطي وتداول وإفحام وإسراف وارتهان وانقطاع يرافقها استقباح لهذه الذنوب وتشنيع بها بلغات التهوّر والردى والأسر والبلية والتغرير والعثار. وقد عرض ذلك في لغة ندية ثرية تستدعي بلاغتها تحليلاً بلاغياً للاستعارات والكنايات، يعتبر النصّ من أخصب حقول البحث لبيان تشكّلاتها وتحوّلاتها وتقلّباتها: «...هَذَا مَقَامُ مَن تَدَاوَلَتهُ أَيدي الذُّنُوب وَقَادَتهُ أَزمَّةُ الخَطَايَا وَاستَحوَذَ عَلَيه الشَّيطَانُ، فَقَصَّرَ عمّا أَمَرتَ به تَفريطاً وَتَعَاطَى مَا نَهيتَ عَنهُ تَغريراً، كَالجَاهل بقُدرَتكَ عَليه أَوكَالمُنكر فَضلَ

إحسَانكَ إلَيه (رقم ٣١ في التوبـة)/ اللَّهُمَّ، إنِّي أُصبِحُ وَأُمسي مُستَقلّاً لعَمَلي مُعتَرفاً بذَنبي مُقرّاً بخَطَايَايَ، أَنَا بإسرَافي عَلَى نَفسي ذَليلٌ عَمَلي أَهلَكَني وَهـو ايَ أَردَاني وَشَهو اتي حَرَمَتني، فَأَسأَلُكَ يَا مَولايَ سُؤَالَ مَن نَفسُهُ لاهيَةٌ لطُول أَمَله وَبَدَنُهُ غَافلٌ لسُكُون عُرُوقه .. سُؤَالَ مَن قَد غَلَبَ عَلَيه الأَمَلُ وَفَتَنَهُ الهوى.. سُؤَالَ مَن استَكثَرَ ذُنُوبَهُ وَاعتَرَفَ بخَطيئَته (رقم ٥٢ دعاؤه في الالحاح)/ رَبِّ، أَفحَمَتني ذُنُوبي وَانقَطَعَت مَقَالَتي فَلا حُجَّةَ لي، فَأَنَا الأَسيرُ ببَليَّتي المُرتَهَنُ بعَمَلي المُتَرَدِّدُ في خَطيئَتي المُتَحَيِّرُ عَن قَصدي المُنقَطعُ بي، قَد أَوقَفتُ نَفسي مَوقفَ الأَذلاء المُذنبينَ.. أَيَّ جُرأَة اجتَرَأتُ عَلَيكَ؟ وَأَيَّ تَغرير غَرَّرتُ بنَفسي؟ (رقم ٥٣ دعاؤه في التذلل)/ فَأَنَا المُقرُّ بذَنبي المُعتَرفُ بخَطيئَتي، وَهـذه يَـدي وَنَاصيَتي أَستَكينُ بالقَوَد من نَفسي (رقم ٥٣ دعاؤه في التذلل)/ أَنَا المُسيءُ المُعتَرفُ الخَاطئُ العَاثرُ، أَنَا الذي أَقدَمَ عَلَيكَ مُجتَرئاً، أَنَا الذي عَصَاكَ مُتَعَمِّداً.. أَنَا الجَاني عَلَى نَفسه، أَنَا المُرتَهَنُ ببَليَّته، أَنَا القَليلُ الحَيَاَء .. (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ بَل أَنَا يَاَ إلَهي أَكثَرُ ذُنُوباً وَأَقبَحُ آثَاراً وَأَشنَعُ أَفعَالاً وَأَشَدُّ في البَاطل تَهو راً .. وَإنَّمَاَ أُوبِّخُ بهَذَا نَفسي طَمَعاً في رَأفَتكَ التي بهَا صَلاحُ أَمر المُذنبينَ وَرَجَاَءً لرَحمَتكَ التي بهَا فَكَاكُ رقَاب الخَاطئينَ. اللَّهُمَّ، وَهَذه رَقَبَتي قَد أَرَقَّتهَا الذُّنُوبُ .. وَأَعتقهَا بعَفوكَ وَهَذَا ظَهري قَد أَثقَلَتهُ الخَطَايَا .. وَخَفِّف عَنهُ بمَنِّكَ يَاَ إلَهي (رقم ١٦ في الاستقالة)/ فَهَل يَنفَعُني يَاَ إلَهي إقرَاري عندَكَ بسُوء مَا اكتَسَبتُ؟ وَهَل يُنجيني منكَ اعترَافي لَكَ بقَبيح مَا ارتَكَبتُ؟ أَم أَوجَبتَ لي في مَقَامي هَذَا سُخطَكَ؟ أَم لَزمَني في وَقت دُعَاَئي مَقتُكَ؟ (في الاعتراف والتوبة رقم ١٢)/ لَو بَكَيتُ إلَيكَ حتّى تَسقُطَ أَشفَارُ عَينَيَّ وَانتَحَبتُ حتّى يَنقَطعَ صَوتي وَقُمتُ لَكَ حتّى تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ وَرَكَعتُ لَكَ حتّى يَنخَلعَ صُلبي وَسَجَدتُ لَكَ

حتّى تَتَفقّأَ حَدَقَتَايَ وَأَكَلتُ تُرَابَ الأرضِ طُولَ عُمرِي وَشَرِبتُ مَآءَ الرَّمَاد آخِرَ دَهرِي وَذَكَرتُكَ فِي خلالِ ذَلِكَ حتّى يَكِلَّ لِسَانِي ثمّ لَم أَرفَع طَرفِي إلى آفَاقِ السَّمَآءِ استحيَآءً مِنكَ، مَا استَوجَبتُ بِذَلِكَ مَحوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِن سَيِّئَاتِي (رقم ١٦ في الاستقالة)».

ثانياً: مقام التوبة (أو مقام الرغبة)

توبة مقبولة

بسيطة عموماً ديباجات بالتوبة؛ لأن مفتاحها هو لفظ التوبة نفسه، وتأتي مفردات الرحمة والكرم وكأنها مرادفات لها، كما هو الحال خاصّة في الدعاء رقم ٤٥، ثمّ تمّ عطف الرحمة والرأفة على التوبة في الدعاء رقم ٤٧. ويحدث أنّ تتجاور التوبة المحبوبة مع مكروهها منفياً، ولاسيّما المعصية والذنب (الدعاء رقم ٩)، وهي على درجات أوّلها الانطلاق من إعلانه تعالى في كتابه عن فتح باب التوبة (الدعاءين ٤٥ و٤٧) بدعوة العاصين إليها، ثمّ يتمّ الانتقال إلى طلب فتح هذا الباب وقبولها مع تصيير العبد إلى محبوب هذه التوبة وليس مكروهها، أي عدم تحديث النفس بمعصية، ويعني قبول التوبة العفو عن السيئات ومحوها (الدعاء رقم ٣١): «**دَلَّنَا عَلَى التَّوبَةِ التِي لَم نُفِدهَآ إلا مِن فَضلِهِ فَلَو لَم نَعتَدِد مِن فَضلِهِ إلا بِهَا لَقَد حَسُنَ بَلاؤُهُ عِندَنَا** ..(رقم ١ التحميد لله عزّ وجلّ)/ **وَتَركُ مُعَاجَلَتِهِم إلى التَّوبَةِ لِكَيلا يَهلِكَ عَلَيكَ هَالِكُهُم وَلا يَشقَى بِنِعمَتِكَ شَقِيُّهُم إلا عَن طُولِ الإعذَارِ .. أَنتَ الذِي فَتَحتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إلى عَفوِكَ وَسَمَّيتَهُ التَّوبَةَ .. فَمَا عُذرُ مَن أَغفَلَ دُخُولَ ذَلِكَ المَنزِلِ بَعدَ فَتحِ البَابِ وَإقَامَةِ الدَّلِيلِ؟** (رقم ٤٥ لوداع شهر رمضان)/. **وَلا تُحبِط حَسَنَاتِي بِمَا يَشُوبُهَا مِن مَعصِيَتِكَ وَلا خَلَوَاتِي**

بِمَا يَعرضُ لِي مِن نَزَغَات فتنَتكَ، وَافتَح لِي أَبوَابَ تَوبَتكَ وَرَحمَتكَ وَرَأفَتكَ وَرزقكَ الوَاسعِ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/. وَصَيِّرنَا إلى مَحبُوبكَ منَ التَّوبَة وَأَزلنا عَن مَكرُوهكَ منَ الإصرَار اللَّهُمَّ، وَمَتَى وَقَفنَا بَينَ نَقصَين في دين أَودُنيَا فَأَوقع النَّقص بأَسرَعهمَا فنَاءً وَاجعَل التَّوبَةَ في أَطوَلهمَا بَقَاءً ..(رقم ٩ في طلب المغفرة)/.. وَاجعَل ختَامَ مَا تُحصي عَلَينَا كَتَبَةُ أَعمَالنَا تَوبَةً مَقبُولَةً، لا تُوقفُنَا بَعدَهَا عَلَى ذَنب اجترَحنَاهُ، وَلا مَعصيَة اقتَرَفنَاهَا ..(رقم ١١ دعاؤه بخواتم الخير)/ اللَّهُمَّ، إنِّي أَتُوبُ إلَيكَ في مَقَامي هَذَا من كَبَائر ذُنُوبي وَصَغَائرهَا .. تَوبَةَ مَن لا يُحَدِّثُ نَفسَهُ بمَعصيَة وَلا يُضمرُ أنّ يَعُودَ في خَطيئَة، وَقَد قُلتَ يَا إلَهي في مُحكَم كتَابكَ: إنَّكَ تَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عبَادكَ وَتَعفُوعَن السَّيِّئَات وَتُحبُّ التَّوَّابينَ فَاقبَل تَوبَتي كَمَا وَعَدت، وَاعفُ عَن سَيِّئَاتي كَمَا ضَمنتَ.. (رقم ٣١ في التوبة))».

النّدم توبة

تتميز المقتطفات أدناه باقتران التوبة بالندم، وكأنّه تعريف ثان لها، ويتم تعريف التوبة أو الندم بترك الذنب وقرنه بالاستغفار، ولكن هذه التوبة بعدم مخالفة أمره تعالى وعن الزوال عن المحبّة، وبعدم فسخها، أي بعدم العودة إلى الذنب والخطيئة. وهذه تعريفات قواعد في علم التوبة، وهي صائبة؛ لأنّها تنبئ عن الحال ولا تقتصر على المقال. وننوّه في الختام بتجاور التوبة مع السلامة فهي حقيقتها، وبهذا تكون التوبة واحدة؛ لأنّها موجبة لمحوما سلف وللسلامة، فيما بقي: «أَتُوبُ إلَيكَ في مَقَامي هَذَا تَوبَةَ نَادم عَلَى مَا فَرَطَ منهُ مُشفق ممَّا اجتَمَعَ عَلَيه خَالص الحَيَاء ممَّا وَقَعَ فيه (في الاعتراف والتوبة رقم ١٢)/ وَلَكن لتَسمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَن فيهَا وَأَرضُكَ وَمَن عَلَيهَا مَا أَظهَرتُ لَكَ منَ النَّدَم وَلَجَأتُ إلَيكَ فيه منَ التَّوبَة ...اللَّهُمَّ، أنّ يَكُن النَّدَمُ تَوبَةً إلَيكَ فَأَنَا أَندَمُ النَّادمينَ، وَإن يَكُن

التَّركُ لمَعصيَتكَ إنَابَةً فَأَنَا أَوّلُ المُنيبينَ، وَإن يَكن الاستغفَارُ حطَّةً للذُّنوب فَإنِّي لَكَ منَ المُستَغفرينَ (رقم ٣١ في التَوبـة)/ إلَهي، أنّ كانَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنب توبَـةً فَإنِّي وَعزَّتكَ منَ النَّادمينَ، وَإن كَانَ الاستغفَارُ منَ الخَطيئَة حطَّةً فَإنِّي لَكَ مـنَ المُستَغفرينَ .. (رقم ٦٩ المُنَاجَاتُ الاولَى مُنَاجَاتُ التَّآئبينَ)/ اللَّهُمَّ، إنِّـي أَعتَـذرُ إلَيكَ منَ جَهلي وَأَستَوهبُكَ سُوءَ فعلي، فَاضمُمني إلَى كَنَف رَحمَتكَ تَطَـوُّلاً.. اَللَّهُمَّ، وَإنِّي أَتُوبُ إلَيكَ من كلّ مَا خَالَفَ إرَادَتَكَ أَو زَالَ عَن مَحَبَّتكَ.. اللَّهُـمَّ، أَيُّمَا عَبد تَابَ إلَيكَ وَهوَ في علم الغَيب عندَكَ فَاسخٌ لتَوبَته وَعَآئـدٌ فـي ذَنبـه وَخَطيئَته فَإنِّي أَعُوذُ بكَ أنّ أَكُونَ كذَلكَ، فَاجعَل تَوبَتي هـذه تَوبَـةً لا أَحتَـاجُ بَعدَهَا إلَى تَوبَة تَوبَةً مُوجبَةً لمَحو مَا سَلَفَ وَالسَّلامَة فيمَـا بَقـيَ (رقـم ٣١ فـي التوبة)».

توبة ورغبة

النصّ رقم ٣٤ تابع لما سبق، ولكن ميّزناه لتجاور التوبة مع الرغبة في ختام ما اقتطفناه منـه : «فَاجعَل مَا سَترتَ منَ العَورَة وَأَخفَيتَ مـنَ الدَّخيلَـة وَاعظـاً لَنـا وَزَاجراً عَن سُوء الخُلق وَاقترَاف الخَطيئَة وَسَعياً إلَى التَّوبَة المَاحيَـة وَالطَّريـق المَحمُودَة، وَقَرِّب الوَقتَ فيه وَلاَ تَسُمنَا الغَفلَةَ عَنكَ، إنَّآ إلَيـكَ رَاغبُـونَ وَمـنَ الذُّنُوب تَآئبُونَ (رقم ٣٤ إذَا ابتُليَ أو رأى مبتلى)».

قبول التوبة

تمّ طلب قبول التوبة عرضاً فيما اقتطفناه أعلاه، ولكن الديباجات أدناه تؤكّد علـى قبـول التوبـة وعـدم الخيبـة، مـع اسـتنفار كـلّ عبـارات التوسّـل والتـرحّم واستحـضار أسـماء الله الحـسنى المنتميـة إلـى عـائلتي الرحمـة والكـرم خاصـة، والتعهّـد بـإخلاص التوبـة ونـصحها وخلوصـها : «اللَّهُـمَّ، فَكَمَـا أَمَـرتَ بالتَّوبَـة وَضَمنتَ القَبُولَ وَحَثَثتَ عَلَى الدُّعَآء وَوَعَدتَ الإجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآلـه

وَاقبَل تَوبَتي، وَلا تَرجعني مَرجعَ الخَيبَة من رَحمَتكَ، إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ عَلَى المُذنبينَ وَالرَّحيمُ للخَاطئينَ المُنيبينَ ..(رقم ٣١ في التوبة)/ استَشفَعتُ بجُودكَ وَكَرَمكَ إلَيكَ وَتوَسَّلتُ بجَنابكَ وَتَرَحُّمكَ لَدَيكَ، فَاستَجب دُعَآئي وَلا تُخَيِّب فيكَ رَجَآئي وَتَقَبَّل تَوبَتي وَكَفِّر خَطيئَتي بمَنِّكَ وَرَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ (رقم ٦٩ المُنَاجَاتُ الاولَى مُنَاجَاتُ التَّآئبينَ)/ اللَّهُمَّ، إنَّا نَتُوبُ إلَيكَ في يَوم فطرنَا .. تَوبَةَ مَن لا يَنطَوي عَلَى رُجُوع إلى ذَنب وَلا يَعُودُ بَعدَهَا في خَطيئَة.. تَوبَةً نَصُوحاً خَلَصَت منَ الشَّكِّ وَالارتيَاب، فَتَقَبَّلهَا منَّا وَارضَ عَنَّا وَثَبِّتنَا عَلَيهَا (رقم ٤٥ لوداع شهر رمضان)/ وتُب عَلي تَوبَةً نَصُوحاً لا تُبق مَعَهَا ذُنُوباً صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً وَلا تَذَر مَعَهَا عَلانيَةً وَلا سَريرَةً (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)».

التوبة والعصمة

تكرّر سؤال العصمة في عدد من الأدعية، ولكن العصمة اقترنت هنا بالتوبة وكأنّها شرط لوفائها كيما تكون توبة مانعة، ونلاحظ هنا استحضار عائلة قدرته تعالى بلفظ القوّة المناسب للسياق : «وَإنَّهُ لا وَفَآءَ لي بالتَّوبَة إلا بعصمَتكَ وَلا استمسَاكَ بي عَن الخَطَايَآ إلا عَن قُوَّتكَ، فَقَوِّني بقُوَّة كَافيَة وَتَوَلَّني بعصمَة مَانعَة (رقم ٣١ في التوبة)».

ثالثاً: مقام السؤال أوالطلب (أو مقام المحبة)

١ـ الحاجة إلى الله تعالى وحده

إخلاص الدعاء له تعالى وتعمّد الحاجة إليه والطلب منه والشكوى إليه وسؤاله ورجاؤه والأمل به وحده. نلاحظ هنا توارد ألفاظ الدعاء الشكوى والسؤال، تجاورها ألفاظ الحاجة والفقر والفاقة والمسكنة والمطلب، متلازمة مع الرجاء والأمل : «وَأُخلصُ لَكَ دُعَآئي تَعَرُّضاً للإجَابَة وَأُقيمُ عَلَى طَاعَتكَ رَجَاءً

للإثَابَة (رقم ٦٢ في يوم الأحـد)/ وَالحَمدُ للَّه الذي أَغلَقَ عَنَّا بَـابَ الحَاجَـة إلا إلَيه (رقم ١ التحميد لله عزّ وجلّ)/ اللَّهُمَّ، إلَيكَ تَعَمَّدتُ بحَاجَتي وَبِـكَ أَنزلْـتُ اليَـومَ فَقـري وَفَـاقَتي وَمَـسكَنَتي (رقـم ٤٨ طلـب الحـوائج فـي يـوم الأضـحى والجُمُعَة)/ لَيسَ لحَاجَتي مَطلَبٌ سوَاكَ وَلا لـذَنبي غَـافرٌ غَيـرُكَ حَاشَـاكَ، وَلا أَخَافُ عَلَى نَفسي إلا إيَّاكَ (في الاعتراف والتوبة رقم ١٢)/ اللَّهُمَّ، لا أَشـكُوإلَى أَحَد سوَاكَ وَلا أَستَعينُ بحَاكمٍ غَيركَ حَاشَاكَ (فـي الظلامـات ١٤)/ فَـلا أَدعُـو سوَاكَ وَلا أَرجُوغَيرَكَ (رقم ٥١ في التضرُّع والاستكانة)/ سُؤَالَ مَـن لا رَبَّ لَـهُ غَيرُكَ وَلا وَليَّ لَهُ دُونَكَ وَلا مُنقذَ لَهُ منكَ وَلا مَلجَأَ لَهُ منكَ إلا إلَيـكَ (رقـم ٥٢ دعاؤه في الإلحاح)/ لَم أَجد السَّبيلَ إلى شَيءٍ من أَمَلي غَيرَكَ وَلَم أَقدر عَلَى مَا عندَكَ بمَعُونَة سوَاكَ(رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزَنَه أمرٌ)».

يأس من الخلق وخلو الطمع منهم وصرف الوجه عنهم وعدم الحاجة أو الرغبـة إلـيهم. نلاحـظ تكـرار ألفـاظ الرجـاء والطمـع والطلـب والرغبـة والثقـة: «وَيَئستُ ممَّا عندَ خَلقكَ فَلَم يَبقَ لي إلا رَجَآؤُكَ علي .. فَإنِّي لا أَرجُـو لـدَفع ذَلكَ غَيرَكَ وَلا أَعتَمدُ فيه إلا عَلَيكَ (رقـم ٥٩ فـي الكـرب والاقالـة)/قَـد خَـلا طَمَعُهُ من كلّ مَطمُوعٍ فيه غَيركَ وَأَفرَخَ رَوعُهُ من كلّ مَحذُور منهُ سوَاكَ (رقـم ٣١ في التوبـة)/وَصَرَفتُ وَجهي عَمَّن يَحتَاجُ إلى رفدكَ وَقَلَبتُ مَسأَلَتي عَمَّن لَم يَستَغنِ عَن فَضلكَ وَرَأَيتُ أنّ طَلَبَ المُحتَاجِ إلى المُحتَاجِ سَفَهٌ من رَأيه وَضَلَّةٌ من عَقله.. فَأَنتَ يَا مَولايَ دُونَ كلّ مَسئُول مَوضعُ مَسأَلَتي وَدُونَ كلّ مَطلُـوبٍ إلَيه وَليُّ حَاجَتي أَنتَ المَخصُوصُ قَبلَ كلّ مَدعُو بدَعوَتي لا يَشرَكُكَ أَحَدٌ في رَجَآئي وَلا يَتَّفقُ أَحَدٌ مَعَكَ في دُعَآئي وَلا يَنظمُهُ وَإيَّـاكَ نـدَآئي (رقـم ٢٨ فـي التَفـزُّع)/ وَقُلتُ: سُبحَانَ رَبِّي كَيفَ يَسأَلُ مُحتَاجٌ مُحتَاجاً؟ وَأَنَّى يَرغَـبُ مُعـدمٌ

إلى مُعدمٍ؟ فَقَصَدتُكَ يَآ إِلَهي بالرَّغبَةِ وَأَوفَدتُ عَلَيكَ رَجَآئي بالثِّقَةِ بِكَ (في طلب الحوائج ١٣)».

صون الوجه عن الطلب إلى العالمين والوحشة من شرار الخلق وعدم الوكالة إليهم. يلاحظ استمرار حضور ألفاظ الطلب والحاجة : «وَصُن وَجهي عَنِ الطَّلَبِ إلى أَحَدٍ منَ العَالَمينَ وَذُبَّني عَن التمَاسِ مَا عندَ الفَاسقينَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ وَأَلبِس قَلبي الوَحشَةَ من شِرَارِ خَلقكَ ..وَلا تَجعَل لِفَاجِرٍ وَلا كَافِرٍ علي مِنَّةً وَلا لَهُ عندي يَداً وَلا بي إِلَيهِم حَاجَةً ..(رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزنه أمرٌ)/ وَلا تَكِلني إلى خَلقكَ (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/ وَإِن وَكَلتَني إلى خَلقكَ تَجَهَّمُوني وَإِن أَلجَأتَني إلى قَرَابَتي حَرَمُوني وَإِن أَعطَوآ أَعطَوا قَليلاً نَكداً وَمَنُّوا عليّ طَويلاً وَذَمُّوا كَثيراً (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)».

طلب تفرّده تعالى بقضاء الحاجة وتولّيه إيّاها هي والكفاية، مع استمرار ذكر لفظي الحاجة والفقر وانضمام لفظ الخير إليهما: «بَل تَفَرَّد بِحَاجَتي وَتَوَلَّ كفَايَتي وَانظُر إِلَيَّ وَانظُر لي في جَميعِ أُمُوري .. (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/ وَتَوَلَّ قَضَآءَ كلّ حَاجَة هِيَ لي بِقُدرَتكَ عَلَيهَا .. وَبِفَقري إِلَيكَ وَغنَاكَ عَنِّي، فَإِنِّي لَم أُصب خَيراً قطٌّ إِلّا منكَ، وَلَم يَصرف عَنِّي سُوءاً قَطٌّ أَحَدٌ غَيرُكَ، وَلا أَرجُو لأمرِ آخِرَتي وَدُنيَايَ سِوَاكَ (رقم ٤٨ طلب الحوائج في يوم الأضحى والجُمُعَة)».

طلب عدم التخييب أو الطرد أو الوضع. يتمّ التعبير عن ضرورة الإجابة بطلب استبعاد الخيبة والطرد والوضع (نقيض الرفع) مع تكرار العوذ واللوذ إليه تعالى دون غيره: «إِلَهي، لا تُخَيِّب مَن لا يَجدُ مُعطياً غَيرَكَ وَلا تَخذُل مَن لا يَستَغني عَنكَ بِأَحَدٍ دُونَكَ (رقم ١٦ في الاستقالة)/ فَإِن طَرَدتَني من بَابكَ فَبِمَن أَلُوذُ؟ وَإِن رَدَدتَني عن جَنَابكَ فَبِمَن أَعُوذُ؟ (رقم ٦٩ المُنَاجَاتُ الأُولَى مُنَاجَاتُ

التَّآئبينَ)...إن لَم أَعُذ بعِزَّتكَ فَبمَن أَعُوذُ؟ وَإن لَم أَلُذ بقُدرَتكَ فَبمَن أَلُوذُ؟ (رقم ٨٢ مناجاة المعتصمين(١٤))/ يَا رَبِّ، أنّ ترفَعني فَمَن يَضعُني؟ وَإن تَضعني فَمَن يَرفَعُني؟ (رقم ٦٠ فيما يَحذَرُهُ ويخاف)».

يلاحظ أنّ المقتطفات أدناه شبيهة بالمقتطفات أعلاه، لكن مع التحوّل إلى استفهام استبعادي للحرمان والتسليم والتخييب وتسويد الوجوه وإخراس الألسنة والصرف. ويتلازم ذلك كلّه مع رجاء رحمته تعالى والاستجارة بعفوه والتعبير عن محبته وتعظيمه والاعتصام به وطلب عدم الإهمال والإخلاء من حمايته ورعايته : «إلَهي، أَتُرَاكَ .. مَعَ رَجَآئي لرَحمَتكَ وَصَفحكَ تَحرمُني أَم مَعَ استجَارَتي بعَفوكَ تُسلمُني؟ حَاشَا لوَجهكَ الكَريم أنّ تُخَيِّبَني(الرقم ٧١ الثَّالثَةُ مُنَاجَاةُ الخَآئفينَ)/ إلَهي، هَل تُسَوِّدُ وُجُوهاً خَرَّت سَاجدَةً لعَظَمَتكَ أَو تُخرسُ أَلسنَةً نَطقَت بالثَّنَآء عَلَى مَجدكَ وَجَلالَتكَ أَو تَطبَعُ عَلَى قُلُوب انطَوَت عَلَى مَحَبَّتكَ أَو تُصمُّ أَسمَاعاً تَلَذَّذَت بسَمَاع ذكركَ في إرَادَتكَ أَو تَغُلُّ أَكُفّاً رَفَعَتهَا الآمَالُ إلَيكَ رَجَآءَ رَأفَتكَ أَو تُعَاقبُ أَبدَاناً عَملَت بطَاعَتكَ حتّى نَحلَت في مُجَاهَدَتكَ أَو تُعَذِّبُ أَرجُلاً سَعَت في عبَادَتكَ؟.. (الرقم ٧١ الثَّالثَةُ مُنَاجَاةُ الخَآئفينَ)/ أَيَحسُنُ أنّ أَرجعَ عَن بَابكَ بالخَيبَة مَصرُوفاً وَلَستُ أَعرفُ سوَاكَ مَولًى بالإحسَان مَوصُوفاً كَيفَ أَرجُو غَيرَكَ وَالخَيرُ كلّه بيَدكَ؟ وَكَيفَ أُؤَمِّلُ سوَاكَ وَالخَلقُ وَالأمر لَكَ؟.. (الرقم ٧٢ الرَّابعَةُ مُنَاجَاةُ الرَّاجينَ)/ وَمَآ أَحَقُّ مَن اعتَصَمَ بحَبلكَ أنّ يُخذَلَ وَلا يَليقُ بمَن استَجَارَ بعزِّكَ أنّ يُسلَمَ أَو يُهمَلَ؟ إلَهي فَلا تُخلنَا من حمَايَتكَ وَلا تُعرنَا من رعَايَتكَ وَذُدنَا عَن مَوَارد الهَلَكَة، فَإنَّا بعَينكَ وَفي كَنَفكَ وَلَكَ (رقم ٨٢ مناجاة المعتصمين(١٤))».

٢ ـ رجاء الاصطفاء

بالعافية

يبدأ رجاء الاصطفاء بالعافية التي هي صحة الروح أو سلامة القلب، وبالتالي فهي أوّل درجات الارتقاء باتّجاه الاصطفاء عند الله. وكان تكرار لفظ العافية، على عادة الإمام السجّاد في تكرار ما يريد التأكيد عليه، إحدى خصوصيات ديباجة الدعاء رقم ٢٣. وجاء في ديباجة دعاء يوم عرفة المتألق المتميز على طول الخط ما يعرف هذه العافية، فهي «**الغِنَى وَالعَفَافَ وَالدَّعَةَ... وَالصِّحَّةَ وَالسَّعَةَ وَالطُّمَأنِينَةَ**» بقدر ما هي المعافاة والعافية، وكل ذلك في إطار من طلب العفو والتجاوز والتفضّل والإحسان والتطوّل والامتنان التي طالب بها داعي ذي الجلال والإكرام في الدعاء رقم ١٥، وهو على ما يبدو مريض بغية إعانته على إيجاد العافية وذوق طعم أختها السلامة : «... **وَأَلبِسنِي عَافِيَتَكَ وَجَلِّلنِي عَافِيَتَكَ وَحَصِّنِّي بِعَافِيَتِكَ وَأَكرِمنِي بِعَافِيَتِكَ وَأَغنِنِي بِعَافِيَتِكَ وَتَصَدَّق عَلَي بِعَافِيَتِكَ وَهَب لِي عَافِيَتَكَ وَأَفرِشنِي عَافِيَتَكَ وَأَصلِح لِي عَافِيَتَكَ وَلا تُفَرِّق بَينِي وَبَينَ عَافِيَتِكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَة ... وَعَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً عَافِيَةً تُوَلِّدُ فِي بَدَنِي العَافِيَةَ عَافِيَةَ الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَامنُن علي بِالصِّحَّة وَالأَمن وَالسَّلامَة فِي دِينِي وَبَدَنِي وَالبَصِيرَة فِي قَلبِي وَالنَّفَاذ فِي أُمُورِي وَالخَشيَة لَكَ وَالخَوف مِنكَ وَالقُوَّة عَلَى مَآ أَمَرتَنِي بِه مِن طَاعَتِكَ وَالاجتِنَاب لِمَا نَهَيتَنِي عَنهُ مِن مَعصِيَتِكَ..** (رقم ٢٣ في العافية)/ **اللَّهُمَّ وَسَربِلنِي بِسربَال عَافِيَتِكَ وَرَدِّنِي رِدَآءَ مُعَافَاتِكَ وَجَلِّلنِي سَوَابِغَ نِعمَآئِكَ .. وَأَشرِب قَلبِي عِندَ ذُهو ل العُقُول طَاعَتَكَ وَاجمَع لِيَ الغِنَى وَالعَفَافَ وَالدَّعَةَ وَالمُعَافَاةَ وَالصِّحَّةَ وَالسَّعَةَ وَالطُّمَأنِينَةَ وَالعَافِيَةَ** (رقم ٤٧

في يوم عَرَفَة)/.. فَاجعَل يَا وَلِيِّي وَسَيِّدِي فِيمَا قَدَّرتَ وَقَضَيتَ علي وَخَتَمتَ عَافِيَتي وَمَا فيه صَلاحي وَخَلاصي ممَّآ أَنَا فيه (رقم ٥٩ في الكرب والإقالة)/ وَأَوجدني حَلاوَةَ العَافِيَة وَأَذقني بَردَ السَّلامَة وَاجعَل مَخرَجي عَن علَّتي إلى عَفوكَ وَمُتَحَوَّلي عَن صَرعَتي إلى تَجَاوُزكَ، إنَّكَ المُتَفَضِّلُ بالإحسَان المُتَطَوِّلُ بالامتنَان الوَهَّابُ الكَرِيمُ ذُو الجَلال وَالاكرَام (في المرض ١٥)».

بالرغبة

لنتمعّن هنا في دلالات الرغبة التي التقيناها في مواضع عديدة من الصحيفة والتي تتجاور مع الرهبة في الدعاء رقم ٥٤ وسياقه استكشاف الهموم، لكنها تصبح في يوم عرفة فوق رغبة الراغبين متجاورة مع حمد هو فوق حمد الحامدين، وهذه درجة ارتقاء خاصة. لذلك ليس غريباً أنّ تصبح من مكوّنات المحبّة في النصّ رقم ٢١ وتاليتُها التقوى، لتكون زاداً للإمام في رحلته إلى رحمة الله، ومع ذلك فهي لا تغادر نوعاً راقياً من الخوف والوجل، لتظلّ رغبة بمعنى الفرار إلى الله، وهذا هو جوهر الرحلة إلى الرحمة. كما أنّها رغبة في العمل للآخرة ترتقي إلى درجة الصدق لتكون نوعاً من الزهد في الدنيا، وبالتالي شوقاً إلى عمل الحسنات، دون أنّ يغادرها فيه فرقه وخوفه من الله، كلّ ذلك في الدعاء رقم ٢٢ الذي تأكّد مضمون صدق الرغبة فيه وشوقها مرّة ثانية في الدعاء رقم ٥٤ الذي نختم به هذه المقتطفات كما بدأناها به :«.. اللَّهُمَّ، اجعَل رَغبَتي في مَسأَلَتي مثلَ رَغبَة أَوليَآئكَ في مَسَآئلهم وَرَهبَتي مثلَ رَهبَة أَوليَآئكَ، وَاستَعملني في مَرضَاتكَ عَمَلاً لا أَترُكُ مَعَهُ شَيئاً من دينكَ مَخَافَةَ أَحَد من خَلقكَ (رقم ٥٤ في استكشاف الهموم)/ وَاجعَل رَغبَتي إلَيكَ فَوقَ رَغبَة الرَّاغبينَ وَحَمدي إيَّاكَ

فَوقَ حَمد الحَامدينَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ وَفَرِّغ قَلبِي لمَحَبَّتكَ وَاشغَلهُ بذكركَ وَانعَشهُ بخَوفكَ وَبالوَجَل منكَ وَقَوِّه بالرَّغبَة إلَيكَ وَأَملهُ إلى طَاعَتكَ وَاجر به في أَحَبِّ السُّبُل إلَيكَ وَذَلِّلهُ بالرَّغبَة فيمَا عندَكَ أَيَّامَ حَيَاتي كلّها وَاجعَل تَقوَاكَ منَ الدُّنيَا زَادي وَإلَى رَحمَتكَ رحلَتي ..وَاجعَل فرَاري إلَيكَ وَرَغبَتي فيمَا عندَكَ (رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزَنَه أمرٌ)/ وَارزُقني الرَّغبَةَ في العَمَل لَكَ لآخرَتي حتّى أَعرفَ صدقَ ذَلكَ من قَلبي وَحَتَّى يَكُونَ الغَالبُ علي الزُّهدَ في دُنيَايَ وَحَتَّى أَعمَلَ الحَسَنَات شَوقاً وَآمَنَ منَ السَّيِّئات فَرَقاً وَخَوفاً.. (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/ وَاقبض عَلَى الصِّدق نَفسي وَاقطَع منَ الدُّنيَا حَاجَتي وَاجعَل فيمَا عندَكَ رَغبَتي شَوقاً إلى لقَائكَ وَهَب لي صدقَ التَّوكُّل عَلَيكَ. (رقم ٥٤ في استكشاف الهموم)».

بالرضا والمرضاة

ونبقى مع الدعاء رقم ٢١ داخلين في رحاب الرضا وقد أصبح هو ى نفس الإمام وصولاً إلى مرضاته تعالى. والرضا حال من القوّة وروح بمعنى الطمأنينة يطلب من ربّه أنّ يهبه إيّاها وأن يعطيها له في كلّ الأحوال (الدعاء رقم ٢٢) حتّى يحبّب إليه ما يرضاه له (الدعاء رقم ١٥)، فيصعد في مراقي التوبة والطاعة والزلفى والمكانة كيما يتغمّده بها ويتوحّده بها، فيتعب نفسه ويجهدها إدراكاً لمرضاة الله (الدعاء رقم ٤٧) التي أعلن في الدعاء ٢١ عن دخولها فيها : «وَفي مَرضَاتكَ مَدخَلي وَاجعَل في جَنَّتكَ مَثوَايَ وَهَب لي قُوَّةً أَحتَملُ بهَا جَميعَ مَرضَاتكَ (رقم ٢١ دعاؤه إذا أحزَنَه أمرٌ)/ فَأَعطني من نَفسي مَا يُرضيكَ عَنِّي وَخُذ لنَفسكَ رضَاهَا من نَفسي في عَافيَةٍ ... وَاجعَل هو ايَ عندَكَ وَرضَايَ فيمَا

يَردُ علي منكَ ... حتّى أَتعَرَّفَ من نَفسي رَوحَ الرِّضَا وَطُمَأنينَةَ النَّفس منِّي بمَا يَجبُ لَكَ فيمَا يَحدُثُ في حَال الخَوف وَالأمن وَالرِّضَا وَالسُّخط وَالضُّرِّ وَالنَّفع (رقم ٢٢ دعاؤه عند الشدّة)/... وَحَبِّب إلَيَّ مَا رَضيتَ لي وَيَسِّر لي مَآ أَحلَلتَ بي وَطَهِّرني من دَنَسِ مَآ أَسلَفتُ وَامحُ عَنِّي شَرَّ مَا قَدَّمتُ (في المرض ١٥)/ تَغَمَّدني في يَومي هَذَا بمَا تَتغَمَّدُ به مَن جَأَرَ إلَيكَ مُتَنصِّلاً وَعَاذَ باستغفَاركَ تَآئباً وَتولَّني بمَا تَتوَلَّى به أَهلَ طَاعَتكَ وَالزُّلفَى لَدَيكَ وَالمَكَانَة منكَ، وَتَوَحَّدني بمَا تَتَوَحَّدُ به مَن وَفَى بعَهدكَ وَأَتعَبَ نَفسَهُ في ذَاتكَ وَأَجهَدَهَا في مَرضَاتكَ.. وَلا تَشغَلني بمَا لا أُدركُهُ إلا بكَ عمّا لا يُرضيكَ عَنِّي غَيرُهُ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)».

بوفرة الحظّ والنصيب

وهذه المرضاة تتحوّل إلى رضوان في نفس الدعاء رقم ٤٧، حيث يطلب الداعي نوال حظ منه ليجعل له به طريقاً إلى رحمته تعالى، ويتحوّل طلب الحظّ إلى طلب مواهب وحظوظ من الإحسان والإفضال، ويتم تعريف واقع هذا الحظ حيث هو ما يمنّ به عليه ربه «من خَيرٍ أَو عَافيَةٍ أَو بَركَةٍ أَو هُدًى أَو عَمَلٍ بطَاعَتكَ أَو خَيرٍ» في الدعاء التالي رقم ٤٨. وتزداد حرارة نفس الطلب في الدعاء رقم ٧٦ حيث تتم المطالبة بتوفير أوفر وأعلى وأجزل وأفضل حظ وقسم و نصيب من خيري الدنيا والآخرة: «وَاجعَل لي في هَذَا اليَوم نَصيباً أَنَالُ به حَظّاً من رضوَانكَ، وَلا تَردُّني صفراً ممَّا يَنقَلبُ به المُتَعَبِّدُونَ لَكَ من عبَادكَ.. وَاجعَل لي في الحَقِّ طَريقاً من كلّ رَحمَة، وَأَجزل لي قسَمَ المَوَاهب من نَوَالكَ، وَوَفِّر عليَّ حُظُوظَ الإحسَان من إفضَالكَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/

وَأَسأَلُكَ اللَّهُمَّ ... مَهمَا قَسَمتَ بَينَ عِبَادِكَ المُؤمنينَ من خَير أَو عَافيَة أَو بَرَكَة أَو هُدًى أَو عَمَلٍ بطَاعَتكَ أَوخَيرٍ تَمُنُّ به عَلَيهم تَهديهم به إِلَيكَ أَو تَرفَعُ لَهُم عندَكَ دَرَجَةً أَو تُعطيهم به خَيراً من خَير الدُّنيَا وَالآخرَة أنّ تُوَفِّرَ حَظِّي وَنَصيبي منهُ (رقم ٤٨ طلب الحوائج في يوم الأضحى والجُمُعَة)/ أَسأَلُكَ أنّ تَجعَلَني من أَوفَرِهم منكَ حَظّاً وَأَعلاهُم عندَكَ مَنزِلاً وَأَجزَلِهم من وُدِّكَ قسماً وَأَفضَلِهم في مَعرِفَتكَ نَصيباً (رقم ٧٦ الثَّامنَةُ مُنَاجَاةُ المُريدينَ)».

بالمناجاة والتهجد والخلوص والصفاء

ولذلك ثمن يتمثّل في طلب تزيين التفرّد بالمناجاة في كلّ الأوقات ووهب العصمة والقرب من الخشية تطهيراً من دنس العصيان ودرن الخطايا، وهو دعاء يتكرّر تفرّداً في التهجّد والتجرّد وصولاً إلى برد عفوه تعالى وحلاوة رحمته وروحه وريحانه وتفرّغاً لما يحبّه وتزلّفاً لديه (رقم ٤٧ في يوم عرفة)، ويؤكد المبتهل على إتحافه بعواطف هذه الرحمة ولطائف برّها تقرّباً منه تعالى وزلفى إليه، ليكون من الخالصة التي أخلصها بخالصة توحيده ومن صفوة عباده: «وَزَيِّن ليَ التَّفَرُّدَ بمُنَاجَاتكَ باللَّيل وَالنَّهَار، وَهَب لي عصمَةً تُدنيني من خَشيَتكَ وَتَقطَعُني عَن رُكُوب مَحَارمكَ وَتَفُكُّني من أَسر العَظَائم وَهَب ليَ التَّطهيرَ من دَنَس العصيَان وَأَذهب عَنِّي دَرَنَ الخَطَايَا... وَاعمُر لَيلي بإيقَاظي فيه لعبَادَتكَ وَتَفَرُّدي بالتَّهَجُّد لَكَ وَتَجَرُّدي بسُكُوني إلَيكَ وَإنزَال حَوَائجي بكَ وَمُنَازَلَتي إيَّاكَ في فَكَاك رَقَبَتي من نَاركَ وَإجَارَتي ممَّا فيه أَهلُهَا من عَذَابكَ ... وَأَوجدني بَردَ عَفوكَ وحَلاوَةَ رَحمَتكَ وَرَوحكَ وَرَيحَانكَ وَجَنَّة نَعيمكَ، وَأَذقني طَعمَ الفَرَاغِ لمَا تُحبُّ بسَعَةٍ من سَعَتكَ وَالاجتهَاد فيمَا يُزلفُ لَدَيكَ

وَعِندَكَ، وَأَتحفني بتُحفَةٍ من تُحفَاتكَ، وَاجعَل تجَارَتي رَابحَةً وَكَرَّتي غَيرَ خَاسرَةٍ، وَأَخفني مَقَامَكَ وَشَوِّقني لقَاءَكَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ **أَسأَلُكَ بسُبُحَات وَجهكَ وَبأَنوار قُدسكَ وَأَبتَهلُ إلَيكَ بعَوَاطف رَحمَتكَ وَلَطَآئف برِّكَ أنّ تُحقِّقَ ظَنِّي بمَا أُؤَمِّلُهُ من جَزيل إكرَامكَ وَجَميل إنعَامكَ في القُربَى منكَ وَالزُّلفَى لَدَيكَ وَالتَّمَتُّع بالنَّظَر إلَيكَ** (رقم ٧٣ الخَامسَةُ مُنَاجَاةُ الرَّاغبينَ)/ **وَاجعَل قَلبي وَاثقاً بمَا عندَكَ وَهَمِّي مُستَفرَغاً لمَا هو لَكَ، وَاستَعملني بمَا تَستَعملُ به خَالصَتَكَ** (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ **إلَهي، بذَيل كَرَمكَ أَعلَقتُ يَدي وَلنَيل عَطَايَاكَ بَسَطتُ أَمَلي، فَأَخلصني بخَالصَة تَوحيدكَ وَاجعَلني من صَفوَة عَبيدكَ** (الرقم ٧٢ الرَّابعَةُ مُنَاجَاةُ الرَّاجينَ)».

بالمحبّة

ويصل بنا مقام الرغبة في رقيه إلى مراقي جديدة فَتَجاوُرُ الرغبة الآن هو مع المراد، لكنّه من الشدّة بمكان بحيث يصل إلى درجة السهر والسهاد، وهذان الحالان ليسا بحال حزن بل حال قرة عين ومنى ثمّ شوق ومحبة ينتميان إلى الهوى والصبابة، فيضمّان فيما يضمّان إليهما الرضا والحاجة والطلب والسؤل، فتبلغ المناجاة حالة من الروح والراحة فيها دواء العلة وشفاء الغلة وبرد اللوعة وكشف الكربة، فيصبح الرب المدعو هو المرجو، لأنّه صار هو النعيم والجنّة بل الدنيا والآخرة؛ لأنّه أرحم الراحمين. هذه هي بعض معالم المحبة التي ارتقت إليها الرغبة، رتبة ما بعدها رتبة في العلو: «**فَقَد انقَطَعَت إلَيكَ همَّتي وَانصَرَفَت نَحوَكَ رَغبَتي، فَأَنتَ لا غَيرُكَ مُرَادي وَلَكَ لا لسوَاكَ سَهَري وَسُهَادي وَلقَاؤُكَ قُرَّةُ عَيني وَوَصلُكَ مُنَى نَفسي وَإلَيكَ شَوقي وَفي مَحَبَّتكَ وَلَهي وَإلَى هوَاكَ**

صَبَابَتي وَرِضَاكَ بُغيَتي وَرُؤيَتُكَ حَاجَتي وَجوَارُكَ طَلَبي وَقُربُكَ غايَةُ سُؤلي وَفي مُناجَاتكَ رَوحي وَرَاحَتي وَعندَكَ دَوَآءُ علَّتي وَشفَاءُ غُلَّتي وَبَردُ لَوعَتي وَكَشفُ كُربَتي .. وَلا تَقطَعني عَنكَ وَلا تُبعدني منكَ يَا نَعيمي وَجَنَّتي يَا دُنيَايَ وَآخرَتي يَاَ أَرحَمَ الرَّاحمينَ(رقم ٧٦ الثَّامنَةُ مُنَاجَاةُ المُريدينَ)/ إلَهي مَن ذَا الذي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتكَ فرَامَ منكَ بَدَلاً، وَمَن ذَا الذي أَنسَ بقُربكَ فَابتَغى عَنكَ حوَلاً؟ أَسأَلكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحبُّكَ وَحُبَّ كلّ عَمَلٍ يُوصلُني إلى قُربكَ، وَأَن تَجعَلَكَ أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا سوَاكَ، وَأَن تَجعَلَ حُبِّي إيَّاكَ قَآئداً إلى رضوَانكَ وَشَوقي إلَيكَ ذَآئداً عَن عصيَانكَ (الرقم ٧٧ التَّاسعَةُ مُنَاجَاةُ المُحبِّينَ)».

بالخيرة والصلاح والبرّ

لذلك يستطيع المناجي الآن التصريح بأصل طلبه وغاية رَغَبه، أنّه جعل الله إيّاه من المصطفين الأخيار والصالحين الأبرار والسابقين إلى المكرمات والمسارعين إلى الخيرات والعاملين للباقيات الصالحات سعياً إلى رفيع الدرجات (مناجاة المطيعين رقم ٧٥)، ويريد كذلك وبنفس الزخم أنّ يكون من صفوته تعالى المبوئين دار الكرامة والوارثين منازل الصدق بجواره تعالى (مناجاة المتوسّلين رقم ٧٨)، وكذلك من أهل الإسعاد والحظوة الذين تقرّ أعينهم بالنظر إليه تعالى (مناجاة المحبّين رقم ٧٧) وكان قد طلب القنوت والتعبّد وسلوك مسلك الخيرات والمسابقة إليها بعد طلب البعد والمشاحة عن نقيضها في دعاء يوم عرفة (رقم ٤٧) : «إلَهي، اجعَلني منَ المُصطَفَينَ الأخيَار وَأَلحقني بالصَّالحينَ الأبرَار السَّابقينَ إلى المَكرُمَات المُسَارعينَ إلى الخَيرات العَاملينَ للبَاقيَات الصَّالحَات السَّاعينَ إلى رَفيع الدَّرَجَات، إنَّكَ عَلَى كلّ شَيءٍ قَديرٌ

وَبالإجَابَة جَديرٌ، برَحمَتكَ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ(رقم ٧٥ السَّابعَةُ مُنَاجَاةُ المُطيعينَ للّه)/ وَاجعَلني من صَفوَتكَ الذينَ أَحلَلتَهُم بُحبُوحَةَ جَنَّتكَ وَبَوَّأتَهُم دَارَ كَرَامَتكَ وَأَقرَرتَ أَعيُنَهُم بالنَّظَر إلَيكَ يَومَ لقَآئكَ وَأَورَثتَهُم مَنَازلَ الصِّدق في جَوَاركَ .. يَا سَميعَ الدُّعَآء يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ(الرقم ٧٨ العَاشرَةُ مُنَاجَاةُ المُتَوَسِّلينَ)/ وَاجعَل لي لسَانَ صدق في الغَابرينَ وَذكراً نَامياً في الآخرينَ وَوَاف بي عَرصَةَ الأوَّلينَ.. وَجَاور بيَ الأَطيَبينَ من أَوليَآئكَ في الجنَان التي زَيَّنتَهَا لأَصفيَآئكَ وَجَلِّلني شَرَآئفَ نحَلكَ في المَقَامَات المُعَدَّة لأحبَّآئكَ، وَاجعَل لي عندَكَ مَقيلاً آوي إليه مُطمَئنّاً وَمَثَابَةً أَتَبَوَّءُهَا وَأَقَرُّ عَيناً (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)/ وَامنُن بالنَّظَر إلَيكَ علي وَانظُر بعَين الوُدِّ وَالعَطف إلَيَّ، وَلا تَصرف عَنِّي وَجهَكَ، وَاجعَلني من أَهل الإسعَاد وَالحَظوَة عندَكَ، يَا مُجيبُ يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ (الرقم ٧٧ التَّاسعَةُ مُنَاجَاةُ المُحبِّينَ)/ وَخُذ بقَلبي إلى مَا استَعمَلتَ به القَانتينَ وَاستَعبَدتَ به المُتَعَبِّدينَ وَاستَنقَذتَ به المُتَهَاونينَ، وَأَعذني ممَّا يُبَاعدُني عَنكَ وَيَحُولُ بَيني وَبَينَ حَظِّي منكَ وَيَصُدُّني عمّا أُحَاولُ لَديكَ، وَسَهِّل لي مَسلَكَ الخَيرَات إلَيكَ وَالمسَابَقَة إلَيهَا من حَيثُ أَمَرتَ وَالمُشَاحَّةَ فيهَا عَلَى مَآ أَرَدتَ (رقم ٤٧ في يوم عَرَفَة)».

مقام الصلاة على محمّد وآله

اعتبرنا الصلاة على محمّد وآله مقاماً؛ لكثرة تواردها في صميم نسيج ديباجة جلّ أنّ لم نقل كلّ الأدعية السجّادية. والمتكرّر دائماً هو الصيغة المختصرة : «**اللهم صل على محمّد وآله**» قبل الكثرة الغالبة من الأدعية، وكأنّها مفتاح بركة للدعاء له بعد النداء بلفظ الجلالة «اللهم»، كما أنّ خواتيم، وأحياناً ثنايا الأدعية، لا تخلومن الثناء على محمّد وآله من باب الثناء عليه وعليهم بلغة

الصلاة وذكر دعوة الرسول واصطفاء أهله. وهذه مقتطفات من بعض الديباجات الممثلة لروح الصلاة على محمّد وآله:

«.. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله أَكثَرَ مَا صَلَّيتَ عَلَى أَحَد من خَلقكَ، وَآته عَنَّاَ أَفضَلَ مَا آتَيتَ أَحَداً من عبَادكَ، وَاجزه عَنَّاَ أَفضَلَ وَأَكرَمَ مَا جَزَيتَ أَحَداً من أَنبيَآئكَ عَن أُمَّته، إنَّك أَنتَ المَنَّانُ بالجَسيم وَالغَافرُ للعَظيم، وَأَنتَ أَرحَمُ من كلّ رَحيمٍ، فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ الأَخيَار الأَنجَبينَ(رقم ٢ في الصلاة على محمد)».

«وَأَسأَلُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا بأَنَّ لَكَ المُلكَ وَلَكَ الحَمدَ لا إلَهَ إلا أَنتَ أنّ تُصَلِّيَ عَلَى محمّد عَبدكَ وَرَسُولكَ وَحَبيبكَ وَصَفوَتكَ وَخيَرَتكَ من خَلقكَ وَعَلَى آل محمّد الأَبرَار الطَّاهرينَ الأَخيَار صَلاةً لا يَقوَى عَلَى إحصَآئهَآ إلا أَنتَ، وَأَن تُشركَنَا في صَالح مَن دَعَاكَ في هَذَا اليَوم من عبَادكَ المُؤمنينَ يَا رَبَّ العَالَمينَ، وَأَن تَغفرَ لَنَا وَلَهُم إنَّك عَلَى كلّ شَيءٍ قَديرٌ (رقم ٤٨ طلب الحوائج في يوم الأضحى والجُمُعَة)».

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمّد نَبيِّنَا وَآله كَمَا صَلَّيتَ عَلَى مَلائكَتكَ المُقَرَّبينَ، وَصَلِّ عَلَيه وَآله كَمَا صَلَّيتَ عَلَى أَنبيَآئكَ المُرسَلينَ، وَصَلِّ عَلَيه وَآله كَمَا صَلَّيتَ عَلَى عبَادكَ الصَّالحينَ وَأَفضَل من ذَلكَ يَا رَبَّ العَالَمينَ صَلاةً تَبلُغُنَا بَركَتُهَا وَيَنَالُنَا نَفعُهَا وَيُستَجَابُ لَهَا دُعَآؤُنَا، إنَّكَ أَكرَمُ مَن رُغبَ إلَيه وَأَكفَى مَن تُوكِّلَ عَلَيه وَأَعطَى مَن سُئلَ من فَضله وَأَنتَ عَلَى كلّ شَيءٍ قَديرٌ (رقم ٤٥ لوداع شهر رمضان)».

«وَصَلِّ عَلَى خِيَرَتِكَ اللَّهُمَّ من خَلقِكَ محمّد وَعترَته الصَّفوَة من بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ وَاجعَلنَا لَهُم سَامعينَ وَمُطيعينَ كَمَآ أَمَرتَ (رقم ٣٤ إذا ابتُلِيَ أو رأى مبتلى)».

«إنَّ هَذَا المَقَامَ لخُلَفَآئكَ وَأَصفيَآئكَ وَمَوَاضِعَ أُمَنَآئكَ في الدَّرَجَة الرَّفيعَة التي اختَصَصتَهُم بهَا قَد ابتَزُّوهَا وَأَنتَ المُقَدِّرُ لذَلكَ لا يُغَالَبُ أَمرُكَ وَلا يُجَاوَزُ المَحتومُ من تَدبيركَ كَيفَ شئتَ وَأَنَّى شئتَ وَلمَآ أَنتَ أَعلَمُ به غَيرُ مُتَّهَمٍ عَلَى خَلقكَ وَلا لإرَادَتكَ (رقم ٤٨ طلب الحوائج في يوم الأضحى والجُمُعَة)».

«رَبِّ صَلِّ عَلَى أَطَآئب أَهلِ بَيته الذينَ اختَرتَهُم لأَمركَ وَجَعَلتَهُم خَزَنَةَ علمكَ وَحَفَظَةَ دينكَ وَخُلَفَآءَكَ في أَرضكَ وَحُجَجَكَ عَلَى عبَادكَ وَطَهَّرتَهُم منَ الرِّجسِ وَالدَّنَسِ تَطهيراً بإرَادَتكَ وَجَعَلتَهُمُ الوَسيلَةَ إلَيكَ وَالمَسلَكَ إلَى جَنَّتكَ، رَبِّ صَلِّ عَلَى محمّد وَآله صَلاةً تُجزلُ لَهُم بهَا من نحَلكَ وَكَرَامَتكَ وَتُكملُ لَهُمُ الأشيَآءَ من عَطَايَاكَ وَنَوَافلكَ وَتُوَفِّرُ عَلَيهمُ الحَظَّ من عَوَآئدكَ وَفَوَآئدكَ (رقم ٤٧ في يوم عرفة)».

وقد اخترنا أدناه النصّ رقم ٥ كنموذج للمكانة التي تحتلها الصلاة على محمّد وآله في نسيج الدعاء السجّادي: «يَا مَن لا تَنقَضي عَجَآئبُ عَظَمَته، صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاحجُبنَا عَن الإلحَاد في عَظَمَتكَ، وَيَا مَن لا تَنتَهي مُدَّةُ مُلكه صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَأَعتق رقَابَنَا من نَقمَتكَ، وَيَا مَن لا تفنَى خَزَآئنُ رَحمَته صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاجعَل لَنَا نَصيبًا في رَحمَتكَ، وَيَا مَن تَنقَطعُ دُونَ رُؤيَته الأبصَارُ صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَأَدننَآ إلَى قُربكَ، وَيَا مَن تَصغُرُ عندَ خَطَره الأخطَارُ صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَكَرِّمنَا عَلَيكَ، وَيَا مَن تَظهَرُ عندَهُ بَوَاطنُ الأخبَار صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَلا تَفضَحنَا لَدَيكَ. اللَّهُمَّ، أَغننَا عَن هبَة الوَهَّابينَ بهبَتكَ

وَاكفِنَا وَحشَةَ القَاطعينَ بصلَتكَ حتّى لا نَرغَبَ إلى أَحَد مَعَ بَذلكَ وَلا نَستَوحشَ من أَحَد مَعَ فضلكَ. اللّهُمَّ، فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَكد لَنَا وَلاَ تكد عَلَينا وَامكُر لَنَا وَلا تَمكُر بنَا وَأَدل لَنَا وَلا تدلّ منَّا. اللّهُمَّ، صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَقنَا منكَ وَاحفَظنَا بكَ وَاهدنَا إلَيكَ وَلا تُبَاعدنَا عَنكَ أنّ مَن تَقه يَسلَم وَمَن تَهده يَعلَم وَمَن تُقَرِّبهُ إليكَ يَغنَم. اللّهُمَّ، صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاكفنَا حَدَّ نَوَآئب الزَّمَان وَشَرَّ مَصَآئد الشَّيطَان وَمَرَارَةَ صَولَة السُّلطَان. اللّهُمَّ، إنّما يَكتَفي المُكتَفُونَ بفَضل قُوَّتكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاكفنَا، وَإنَّمَا يُعطي المُعطُونَ من فَضل جدَتكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَأَعطنَا، إنَّمَا يَهتَدي المُهتَدُونَ بنُور وَجهكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاهدنَا. اللّهُمَّ، إنَّكَ مَن وَاليتَ لَم يَضرُرهُ خذلانُ الخَاذلينَ وَمَن أَعطَيتَ لَم يَنقُصهُ مَنعُ المَانعينَ وَمَن هَدَيتَ لَم يُغوه إضلالُ المُضلِّينَ، فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَامنَعنَا بعزِّكَ من عبَادكَ وَأَغننَا عَن غَيركَ بإرفَادكَ وَاسلُك بنَا سَبيلَ الحَقِّ بإرشَادكَ. اللّهُمَّ، صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاجعَل سَلامَةَ قُلُوبنَا في ذكر عَظَمَتكَ وَفَرَاغَ أَبدَاننَا في شُكر نعمَتكَ وَانطلاقَ أَلسنَتنَا في وَصف منَّتكَ. اللّهُمَّ، صَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَاجعَلنَا من دُعَاتكَ الدَّاعينَ إلَيكَ وَهُدَاتكَ الدَّالِّينَ عَلَيكَ وَمن خَاصَّتكَ الخَاصِّينَ لَدَيكَ، يَآ أَرحَمَ الرَّاحمينَ(رقم ٥ دعاؤه لنفسه وخاصّته)».

خلاصات وملاحظات

لا تبلغ هذه الدراسة درجة استيفاء التحليل السيميائي المفرداتي الشامل لبنية وبنيان الدعاء في الصحيفة السجّادية، وكل ما ندعي التوصّل إليه هو إعطاء صورة عامة فيها قدر لا بأس به من التفصيل عن هذه البنية، بل نعترف بأننا حرّرنا

الكثير من التحليلات على عجلة لم توصلها لا إلى حافة الأفق ولا إلى قعور العمق. وكان هذا ضرورياً، لولا التضييق في المهلة الذي نرجو تلافيه في مؤتمرات قادمة. كذلك مما نأسف له عدم استطاعتنا (بسبب اختيارنا منهجية التحليل السيميائي المفرداتي الضرورية ابتداء لأيّة دراسة نصّية) القيام بدراسة سيميائية بلاغية، تبرز عبقرية الإمام زين العابدين عليه السلام العفوية (أي صنعته لا تصنّيعه ولا تصنعه، بلغة شوقي ضيف)[1] التي تعبّر عن بعض سماتها صوره البيانية التي تدخل في فضائها مفرداته وتنبثق عنها عباراته، دراسة توصلنا إلى معرفة روح دعائه ومنظومته العقدية، وبالتالي رسم معالم شخصيته المتمثّلة في الرحمة والعفو والكرم والمحبّة، ليس لله ورسوله وآل بيته وحسب، بل كذلك للمسلمين جميعاً، ولجميع ذوي الحقوق من العالمين.

أمّا النصوص المتعلّقة بالثناء على رسول الله وكتاب الله والإحسان إلى الأهل والجيران والدعاء للمجاهدين وتعظيم بعض الأيّام وتعظيم رمضان وعرفة والجمعة والعيد وغيرها من النصوص الوصفية الجميلة جدّاً بخصوص آلاء الله وخلقه، فتحتاج إلى دراسة سيميائية مفرداتية بلاغية نفسية اجتماعية تاريخية تبرز خصوصية وأهمّية مذهب الإمام المجسد للرحمة انطلاقاً من كتاب الله وسنّة وسيرة رسوله، هو وآله الطيّبون وأصحابه المنتجبون، ومن لحق يلحق بهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين.

ونعترف في النهاية بأن أصل دراستنا هذه كان في البداية البحث عن الجذور القرآنية للدعاء السجّادي، فلما شرعنا في دراستها وشممنا عبقها

(١) انظر كتابه وأطروحته في هذا المجال: «الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي».

واكتشفنا ألقها وجدنا أنّه من المخجل أنّ تقول لعالم قرآني أصيل ذو خبرة ودراية : أنت تنهل من القرآن !. هذا تحصيل حاصل، فجميع المفردات المفتاحية الداخلة في صميم نسيج وغزل النصّ السجّادي هي من روح وريحان القرآن، زاد عليها زيادات يحتاج بيانها إلى دراسة خاصة.

نأخذ على ذلك مثالاً واحداً فقط، وهو قوله تعالى: ﴿..**وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِم**..﴾[1]، حيث أصبحت من المفردات الأساسية في استدعاء رحمته تعالى اسماً وفعلاً، هي وغيرها من المفردات القرآنية، ناهيك عمّا ابتدعه هو من مفردات وعبارات خاصّة بصحيفته...



(١) سورة الأحقاف: ١٦.

ظاهرة التكرار في الصحيفة السجادية

❑ الدكتور رسول بلاوي

الملخّص:

إنّ التكرار من الصنايع الأدبية في كلام العرب وهو أسلوب من أساليب البلاغة يستعملونه في خطاباتهم، لأنّه يزيد الكلام بلاغة إذا كان في محلّه وقد جاء وفقاً لمقتضى الحال. ظاهرة التكرار تُعدّ من الظواهر البارزة في النص، ولا شكّ أنها ترتبط بعلاقةٍ ما مع صاحب النصّ، فهو من خلال التكرار يحاول تأكيد فكرةٍ ما تسيطر على خياله وشعوره، ويعد وسيلة من وسائل تشكيل الموسيقى الداخلية. التكرار لا يقوم فقط على مجرّد تكرار اللفظة في السياق، وإنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقّي، وبذلك فإنّه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النصّ الذي ورد فيه، فكلّ تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق.

وأدعية الصحيفة السجّادية للإمام زين العابدين عليه السلام فضلاً عن المعاني الساميّة فإنّها تضمّ بين دفتيها آليات وأساليب فنيّة تدلّ على مدى جماليات النصّ وروعته، وتساعد على عملية إيصال الفكرة للمتلقّي؛ والتكرار من هذه الظواهر

الحاضرة بشدّة في الصحيفة وقد يوحي بدلالات ومعان عميقة حسب السياق؛ الصحيفة السجّادية مشتملة على معان سامية لا تستوعبها الكلمات المحدودة فاقتضى التكرار في ألفاظها كأُسلوب أدبي لإبلاغ المعاني.

وفي هذا المقال وفقاً للمنهج الوصفي ـ التحليلي، قمنا بدراسة ظاهرة التكرار في الصحيفة السجّادية والتي تشكّلت هذه الظاهرة في النصّ بأشكال متنوّعة، فهي تبدأ من الحرف وتمتدّ إلى الكلمة والعبارة، وكلّ شكل يعمل على إبراز جانب تأثيري خاصّ. وقد توصّلنا إلى أنّ التكرار في الصحيفة السجّادية مثير للانتباه، وداعي للاهتمام بالشيء المكرّر، ومن ثمّ فقد حقّق تفاعلاً عاطفياً وشعورياً وإيقاعياً مع المتلقي بكافّة أشكاله. وأيّاً كانت صور هذا التكرار فإنّه سلّط الضوء على بعض الجوانب اللاشعورية في نفس الإمام، والتي تلحّ عليه كأنّه لا يودّ مجاوزة العبارة المكرّرة إلى غيرها.

الكلمات الدليلية: الإمام السجّادعليه السلام؛ الصحيفة السجّادية؛ التكرار؛ الأسلوب.

المقدّمة:

تعتبر ظاهرة التكرار من أهم الظواهر الأُسلوبية التي يعني بها البحث اللغوي الأُسلوبي، من حيث إنّها تحيل إلى دلالات أعمق تتوارى خلف البنية السطحية للخطاب، لذلك تتوفّر في الكتابات، على أنّها سمة أدبية تستدعي الانتباه والاهتمام من قبل قارئ الخطاب الأدبي، فقد تكون «طبيعة الموضوع المعالج تقتضي تكرار معان بعينها وأفكار بعينها لتوظّف فنيّاً وتقنيّاً في مواقف سردية معينة»[(١)].

وقد درس البلاغيّون والأُدباء هذه الظاهرة الفنيّة وعُنوا بها عناية واسعة؛ فسمّوها تارة «التكرار»، وأخرى «الإعادة» أو«التَّرداد»، وحاولوا أنّ يبيّنوا صورها وأسبابها وفوائدها.

ولا يخفى أنّ من فوائد التكرار: التأكيد والتقرير، الموعظة، رعاية الموسيقى الداخلية، المبالغة في المدح أوالذّم، التفسير والتوضيح، التأثير في عمق النفوس، التفكر والتدبّر في أسرار التكرار.

وقد وجدنا هذه الظاهرة الأُسلوبية وفوائدها متجسّدة في الصحيفة السجّادية للإمام السجّادعليه‌السلام. فالصحيفة السجّادية هي الوثيقة الثابتة التي أكّدت إمامة الإمام السجّادعليه‌السلام ،وهي مناجاة الإمام السجّاد لله سبحانه وتعالى، وهي عبادته وسجوده وطاعته، وهي التبتّل، وهي العروج إلى الله. المعارف الإسلامية في الصحيفة السجّادية صيغت بالدعاء، وهذا الأمر يشير إلى الظروف السياسية التي سادت بعد استشهاد الإمام الحسينعليه‌السلام، فالصحيفة السجّادية هي ما أمكن أنّ

---

(١) تحليل الخطاب السردي، مرتاض عبدالملك: ٢٦٨.

يعطيه الإمام زين العابدين عليه السلام للأُمّة من معارف الإسلام دون أنّ يتمكّن السلطان الظالم من أنّ يراقب هذه المعارف.

فهذه الصحيفة تمتاز بأُسلوبها الفنّي وخطابها البلاغي، فهي من النصوص الخالدة الخصبة بمادّتها وعطائها؛ وهذا ما دعانا أنّ نقوم بدراستها بغية الكشف عن بعض جوانبها الجمالية. وقد رشحنا ظاهرة التكرار لتكون محوراً لهذا البحث لما فيها من جماليات ودلالات عميقة. فالتكرار أضفى جمالاً وثراءً لنص الصحيفة، وقد أخرجه من السطحية إلى الظرافة والبراعة الفنيّة؛ كما ساهم في خلق أجواء مموسقة تدفع القارئ إلى التلذّذ والتمتّع بنصّها وتبعده عن التعب والملل.

وإنّنا نهدف في هذه الدراسة أنّ نبيّن الجماليات الكامنة وراء ظاهرة التكرار في الصحيفة ودورها في دعم المعاني المقصودة وخلقها للإيقاع. وسوف نحاول أنّ نجيب على الأسئلة التالية:

ـ ما هي القيمة الفنيّة للصحيفة السجّادية؟

ـ ما هو سبب الإلحاح على الأساليب البلاغية والجمالية في الصحيفة السجّادية؟

ـ ما مدى تأثير وفاعلية ظاهرة التكرار في الصحيفة السجّادية؟

خلفية البحث

لقد اهتمّت عدّة دراسات من الباحثين المعاصرين بأُسلوب التكرار ومظاهره وآثاره في القرآن الكريم، أو في شعر شاعر معيّن، كمقال «التكرار في الفاصلة القرآنية: الجزء الأخير من القرآن الكريم نموذجاً» لفيصل حسين طحيمر غوادرة في جامعة القدس المفتوحة. وكدراسة حول «ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي» قام بتأليفها زهير أحمد المنصور؛ كما فعل موسى ربايعة في بحثه المقدّم

لمؤتمر النقد الأدبي الثاني بجامعة اليرموك سنة ١٩٨٨م، الذي يحمل عنوان «التكرار في الشعر الجاهلي»؛ كما نجد في مقال دهنون آمال الموسوم بـ«جماليات التكرار في القصيدة المعاصرة» في مجلّة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ ومقال «التكرار ودلالته في ديوان الموت في الحياة لعبدالوهاب البياتي» لإلياس مستيري في مجلّة كلية الآداب واللغات.

أمّا الدراسات التي تناولت موضوعات أدبية حول الصحيفة السجّادية فقليلة جدّاً، منها: «الجمالية في الصحيفة السجّادية»، لغلامرضا كريمي فرد، مجلّة العلوم الإنسانية، العدد الثاني عشر؛ و«بينامتنيت قرآني در صحيفه سجّاديه» (التناصّ القرآني في الصحيفة السجّادية) لعبّاس إقبالي وفاطمة حسن خاني؛ و«أدبيات سخنان امام سجادعليه السلام وصحيفه سجاديه» (أدب كلام الإمام السجّاد والصحيفة السجّادية) للسيّد فضل الله ميرقادري، مجلّة انديشه ديني، العدد الخامس عشر؛ و«آرايه‌هاى بديعي در صحيفه سجاديه» (المحسّنات البديعية في الصحيفة السجّادية)، لصدّيقة مظفّري والسيّد محمدرضا ابن‌الرسول، مجلّة كاوش‌نامه، العدد السابع عشر. وكذلك وجدنا رسالة لنيل درجة الماجستير عنوانها «آرايه‌هاى بديعي در صحيفه سجاديه» بجامعة أصفهان باللغة الفارسية، إعداد الطالبة صدّيقة مظفّري تحت إشراف السيّد محمدرضا ابن الرسول وبمساعدة محمّد الخاقاني، ومقال موسوم بـ«دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية» للباحث حسن خلف وآخرون في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها المنشورة من جامعة أصفهان.

وإنّنا لم نعثر على دراسة حتّى الآن مخصّصة لموضوع التكرار في الصحيفة السجّادية، وهذه الدراسة هي الأُولى والفريدة من نوعها.

شخصيّة الإمام السجّاد عليه السلام:

ولد بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة. وقبض بالمدينة سنة خمس وتسعين، وله يومئذٍ سبع وخمسون سنة. وأمّه شاه زنان بنت شيرويه بن كسرى أبرويز، وقبره ببقيع المدينة[١].

قال أهل البيت عليهم السلام: إنّ الذي سمّاه (زين العابدين) جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث أخبر أنّه سيولد للحسين ولدٌ يسمّيه علياً، ينادى يوم القيامة بزين العابدين[٢].

كنيته: أبومحمّد، ويكنّى بأبي الحسن أيضاً، وبأبي القاسم.

لقبه: سيّد العابدين، وزين العابدين، والسجّاد، وذو الثفنات.

كانت أشدّ الظروف التي مرّت على الإمام: كربلاء، والأسر، وأيّام وقعة الحرّة، وفترة سيطرة ابن الزبير على المدينة بعد هلاك يزيد.

فالإمام عليه السلام متألهٌ كلّ حبّه لربّه، وكلّ فكره وذكره وخشوعه ودموعه، في يومه وليله، وحلّه وترحاله؛ وهو مع ربّه عزّ وجلّ في غاية الأدب، ينتقي في تصرّفاته الحركة والسكون؛ لأنّه يعيش في محضر ربّه عزّ وجلّ"[٣].

الدعاء:

الدعاء يُعدّ نوعاً من الممارسة الوجدانية حيال الله؛ ويفترق عن سائر ألوان

---

(١) المقنعة، المفيد: ٤٧٢.

(٢) جواهر التاريخ، علي الكوراني: ٨

(٣) المصدر السابق: ٢٠.

التعبير الفنّـي بكونـه يجسّد تجربـة داخليـة تتواصـل مـع الله مباشـرة. يّظـل البعـد الوجداني هو البطانة العامّة لأدب الدعاء بمـا فـي ذلـك: الـنمط الموضـوعي منـه، بصفة أنّ الداعي ينفعل بالحقائق الموضوعية التي يتّجه بالدعاء من خلالها.

وقد يستخدم الداعي في مناجاتـه تقنيّـة (المونولـوج)؛ فهـذه تقنيـة تتمحـور حول أحادية الصوت، إنّها حوار باطني أكثر غوراً في أعماق الـنفس، كـشفاً عـن المشاعر والخلجات الداخلية التي تعتمل في مكنون النفس، حيـث «تنـشطر الأنـا إلى قسمين، وكأنّ نصف الذات ينفصم عن الآخر، ليكون شاهداً عليه ومحاكمـاً له»[١].

الدعاء في الصحيفة:

إنّ أهمية الدعاء غير خفية على أحد لما نزل في الكتاب وورد في الروايات؛ والذي نريد تسليط الضوء عليه هنا هو ما تمثّله أدعية الإمام علي بن الحسين زيـن العابدين عليه السلام من دور بنّاء ضـروري فـي حيـاة المـؤمن؛ لمـا تحملـه مـن أسـاليب ومعان راقية في دعاء المولى سبحانه، وبنفس الوقت هي دستور حياتي في المُثل والأخلاق والفضائل يتربّى على مبادئها كلّ إنسان يريد الكمال وبلوغ الذروة في خط الإنسانية.

الصحيفة السجّادية التي جمعت أدعية الإمام ومناجاته وابتهاله والقيم العاليـة والتي سمّيت بإنجيل أهل البيت عليهم السلام وزبور آل محمد صلى الله عليه وآله بما ضمّت من مبادئ الأخلاق والحقوق والواجبات والآداب، تعـالج مـشاكل الفـرد والمجتمـع وتنـشر أجواء روحية تدعو إلى الثبات عندما تعصف المغريات وتـشدّ الإنـسان إلـى ربّـه

(١) الحوار وكشف خلجات النفس عند ناتالي ساروت، شفيقة منصور: ٣٨٩.

حينما تجرّه الأرض إليها. وليس للمؤمن غنىً عنها في كلّ مفاصل حياته ظالماً أراد السير على الصراط المستقيم.

كتابٌ لم يعرفه الناس، تَبهُرُك فيه قدرة معماره على بناء العبارة العربية، فهو أقدر من المؤلّف البليغ الممسك باللغة وتراكيبها؛ تجد مفردات العربية تدور فيه كالنجوم أفعالاً وأسماءً وحروفاً وصِيغَ تعبير، تعرض نفسها على أنامل فكر الإمامعليه السلام ليجعلها آجرَّةً في أحد صروحه، أو لُحمةً في إحدى لوحاته. من أفق جمالي عالٍ، ينحدر كلام الإمامعليه السلام، أروعَ من عقد الجوهر، وأجمل من نظيم الورد، معانيَ ونسيماً، جائيةً من معدن أعلى ومنبع أغنى[(١)].

هذه الصحيفة السجّادية ليست دعاء للمهزومين، وليست دعاء للضعفاء، وليست دعاء للزاهدين في الدنيا، هذه الصحيفة هي دعاء المجاهدين، هي كلمات المجاهدين ومناجاة المجاهدين، هي روحهم، هي مشروعهم الذي هو خطّ النبوة وخطّ الإسلام وإقامة العدل الإلهي في العالم، هذا هو المشروع. «فإنّ الصحيفة السجّادية ليست أدعية وكفي بل هي مدرسة المبدأ والعقيدة والصبر والتضحية والتسامح والرحمة والثورة على الشرّ والفساد بشتّى ألوانه وأشكاله... إلى كلّ مكرمة وفضيلة». (مغنية، د.ت، ص ٤٢-٤٣).

أمّا أُسلوب الصحيفة وسماتها فمن الصعب على أيّ كاتب أنّ يصفه على حقيقته أو يصف الأثر الذي يتركه في نفس القارئ والسامع، ولكن يمكن أنّ نشير إلى بعض خصائص أدب الدعاء فيها.

«يظلّ البناء الفنّي عند الإمام السجّادعليه السلام مطبوعاً لسمات أولاها أنّ يقترن

---

(١) جواهر التاريخ ، علي الكوراني ٤: ٢٥.

الدعاء ـ مهما كان نمطه ـ بالتمجيد لله تعالى من جانب، وبالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله من جانب آخر، فمادام الدعاء هو محاورة انفرادية مع الله تعالى فحينئذ تظلّ أولى سماته هي الخطأبية من نحو عبارة: «اللهمّ أو إلهي» وسواهما حيث تستدعي مثل هذه العبارات حمداً أو ثناء بالضرورة، كما تقترن في الغالب بالصلاة على محمّد وآله أيضاً بصفتهم عليهم السلام وسائل للتقرّب إلى الله تعالى». (البستاني، ١٤١٣، ص٣٦٦).

التكرار لغة واصطلاحاً:

الكرّ: الرجوع، يقال: كَرَّه وكَرَّ بنفسه... والكَرُّ: مصدر كَرَّ عليه يَكرُّ كَرّاً وكُروراً وتَكراراً: عَطَفَ... وكَرَّرَ الشَّيءَ وكَركَره: أعاده مرّة بعد أخرى... والكَرُّ: الرّجوع على الشّيء، ومنه التَّكرارُ... قال الجوهريّ: كَرَّرتُ الشّيءَ تَكريراً وتَكراراً؛ قال أبوسعيد الضّرير: قلتُ لأبي‌عمرو: ما بين تفعِال وتَفعال؟ فقال: تِفعالٌ اسمٌ، وتَفعالٌ بالفتح مصدرٌ[1].

وفي الاصطلاح البلاغي: «تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرّة في سياقٍ واحد لنكتة»[2]، ولهذه الظاهرة موقع خاصّ في علوم البلاغة؛ إذ ترتبط بالتأكيد من جانب، وبالإطناب من جانب آخر، مع ما بها من خصائص تمتاز بها عن الجميع.

ولأُسلوب التكرار أهمّية خاصّة؛ إذ هو : أُسلوب تعبيري يصوّر انفعال

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٣٥.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني: ٣٤.

النفس بمثير... ، واللفظ المكرّر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة، لاتّصاله الوثيق بالوجدان؛ فالمتكلّم إنّما يكرّر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحبّ في الوقت نفسه أنّ ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو مَن هم في حكم المخاطبين ممّن يصل القول إليهم على بُعد الزمان والديار» (السيد، ١٤٠٧هـ، ص ١٣٦).

ويلعب التكرار دوراً مهمّاً في بعث الموسيقى الداخليّة؛ كما أنّ له وظيفة مزدوجة الأداء «تحمل مع التوثيق للمعنى، ودفع المساهلة في القصد إليه قيمة صوتيّة وفنّية تزيد القلب له قبولاً، والوجدان به تعلّقاً»[١]، ولذا فقد اتُّخذ التكرار وسيلة لتحقيق الموسيقى، التي هي بلا شكّ «أقوى وسائل الإيحاء، وأقربُ إلى الدلالات اللغوية النفسيّة في سيولة أنغامها»[٢].

التكرار في الصحيفة:

ومن خلال متابعتنا للصحيفة السجّادية وجدنا أنّ التكرار قد جاء فيها على قسمين: القسم الأوّل هو تكرار صوتي يتمثّل بتكرار الحروف، والقسم الآخر تكرار لفظي يتمثّل بتكرار الكلمة وتكرار العبارة بصور مختلفة.

فيتحقّق التكرار في الصحيفة عبر عدّة أنواع:

١- تكرار الحرف: وهو يقتضي تكرار حروف بعينها في الكلام، ممّا يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعاداً تكشف عن حالة نفسية.

٢- تكرار اللفظة: وهو تكرار بعيد اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ، وإكسابها قوةً تأثيرية.

---

(١) الموقف والتشكيل الجمالي، القاضي النعمان: ٨٨

(٢) مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، سالم أحمد الحمداني: ٢٤٦.

٣- تكرار العبارة أو الجملة: وهو تكرار يعكس الأهمّية التي يوليها المتكلّم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخّاه المتكلم، إضافة إلى ما تحقّقه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه.

تكرار الحرف:

تكرار الحرف الواحد الذي هو من بنية الكلمة، وهذا النوع من التكرار لا يقتصر دوره على مجرّد تحسين الكلام، بل يمكن أنّ يكون من الوسائل المهمّة التي تلعب دورها العضوي في أداء المضمون. يُعدّ هذا التكرار أبسط أنواع التكرار؛ لقلّة ما تحمله هذه الحروف من معان وقيم شعورية قد لا ترتقي إلى مستوى تأثير الأفعال والأسماء والتراكيب.

يلعب تكرارُ الحروفِ دوراً عظيماً في الموسيقى اللّفظية، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقيّة عظيمة، وقيمة نغمية جليلة تؤدّي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون[(١)].

والتكرار الصوتي ناتج من تكرار الحروف التي تعدّ بمثابة المادّة الرئيسة التي تثري الإيقاع الداخلي للنصّ بلون خاصّ و«يحمل في ثناياه قيمة دلالية؛ إذ يضيف إلى موسيقية العبارة نغمات جديدة»[(٢)]. وسنرى في التالي مدى استفادة الإمام من الطاقة الدلالية الكامنة لهذه الأصوات:

---

(١) الموقف والتشكيل الجمالي، القاضي النعمان: ٥٠١.

(٢) المؤثّرات الإيقاعية في لغة الشعر، عبدالرحمن ممدوح: ٩٤.

يقول عليه السلام في دعائه إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية: «**أم وقتُ العلّة التّي مَحّصتَني بها والنِّعَم التي أتحَفتَني بها، تَخفيفاً لما ثَقُلَ به على ظَهري منَ الخَطيئات وتَطهيراً لما انغَمَستُ فيه منَ السَّيئات وتَنبيهاً لتَناوُل التَّوبَة وتَذكيراً لمَحوالحَوبَة بقَديم النِّعمَة**»[(١)].

نلاحظ في هذه الفقرات أنّ حرف التاء تكرّر تسع عشر مرّة وأعطى النصّ نغماً موسيقياً داخلياً، لها وقع في الآذان والأسماع، وهو من الحروف المهموسة التي توحي بنوع من الحزن والكآبة. ومما يزيد في جمالية موسيقى هذه الفقرات تتابع حرف التاء وتكراره النسقي في أوّل الكلمات الأربع «تَنبيهاً، تَناوُل، التَّوبَة وتَذكيراً» حتّى أنّه ليصوّر لنا عن طريق توالي حرف التاء تداوم حزن الإمام زين العابدين[(٢)].

وتسير الميم التي تعدّ من الحروف الشفوية جنباً إلى جنب التاء، ويرى الناقد محمّد مفتاح «أنّ الحروف الشفوية تدلّ على الحزن»[(٣)].

وهذا ما نلمحه في دعائه عليه السلام في استكشاف الهموم حيث يقول: «**يا فارجَ الهَمِّ وكاشفَ الغَمِّ يا رَحمَنَ الدّنُيا والآخرَة ورَحيمَهُما صَلِّ على محمّد وآل محمّد وافرُج هَمّي واكشف غَمّي**»[(٤)].

فقد وردت الميم في هذا النصّ إحدى عشرة مرّة، فخلق نغمة موسيقى تنقل القارئ إلى جو النصّ وإلى طبيعة الموقف الذي عاش فيه الإمام من الحزن والهمّ.

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء الخامس عشر.

(٢) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية، خلف حسن وآخرون: ٧١.

(٣) في سيماء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية، مفتاح محمّد: ٦٢.

(٤) الصحيفة السجّادية، الدعاء الرابع والخمسون.

وكذلك يتّضح التكرار الحرفي المكثّف لحرف الحاء في النصّ التالي الذي قاله في الدعاء لأهل الثغور، حيث يقول: «**وَاشحَذ أسلحَتَهُم واحرُس حَوزَتَهُم وامنَع حَومَتَهُم وألّف جَمعَهُم ودبِّر أمرَهُم**»[١].

نلاحظ أنّ حرف الحاء قد تكرّر خمس مرّات، و«هو من الأصوات المهموسة» (أنيس، د.ت: ص٧٦)، فتولّدت عنه موسيقية عذبة رقيقة تلائم مضمون الكلام؛ لأنّه «يتّصف صوت هذا الحرف بأنّه أغنى الأصوات عاطفةً وأكثرها حرارة، وأقدرها على التعبير عن خلجات القلب ورعشاته، ليتحوّل مثل هذا الصوت مع البحّة الحائية في طبقاته العليا، إلى ذوب من الأحاسيس وعُصارة من عواطف الحب والحنين والأشواق»[٢]. فالإمام عليه السلام يظهر عن طريق استخدامه لهذا الحرف، حبّه وشوقه إلى حُماة ثغور المسلمين ويرغّبهم في عملهم ويدعو الله لهم أنّ يعضدهم بالنصر أمام أعدائهم.

وفي مايلي كرّر حرف «النون» كثيراً: «**مَلَكَ المَوت وَأعوانه، وَمُنكَر وَنَكير، وَرُومَانَ فَتَّان القُبُور، وَالطَّائفينَ بالبَيت المَعمُور، وَمَالك، وَالخَزَنَة، وَرُضوَانَ، وَسَدَنَة الجنَان وَالذينَ لاَ يَعصُونَ اللّهَ مَا أمَرَهُم وَيَفعَلُونَ مَا يُؤمَرُونَ. وَالذينَ يَقُولُونَ: سَلاَمٌ عَلَيكُم ...**»[٣].

يُلحّ على تكرار حرف «النون»، فيورده سبعة عشر مرّة هنا، ممّا أكسب النصّ إيقاعاً موسيقياً، حيث أنّ حرف «النون» يعدّ من أكثر الحروف ارتباطاً بالصوت، وهو في أكثر المفردات اللغوية ذو أثر عظيم في تعديل الصوت وتلطيفه (السيّد، ١٩٧٨م: ٨٠).

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء السابع والعشرون.

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها، عبّاس حسن: ١٧٨.

(٣) الصحيفة السجّادية، الدعاء الثالث.

وفي ما يلي تكرار حرف «السين»: ﴿**لِيَجزِيَ الذينَ أَساءُوا بِمَا عَمِلُوا، ويَجزِيَ الذينَ أَحسَنُوا بالحُسنَى عَدلاً منهُ تَقَدَّسَت أَسمَآؤُهُ، وَتَظَاهَرَت آلاؤُهُ، لاَ يُسأَلُ عمّا يَفعَلُ وَهُم يُسأَلُونَ ...**﴾[١].

فقد شاع حرفُ السين، وهو حرف عالي الصفير، حادُّ الجَرس، حيث أنّ التشكيل الموسيقيّ قد اصطبغ بصبغته، وهو حرف ينبئ بالموسيقى وتناغم الأصداء، مما يضفي على هذا النصّ جمالاً موسيقياً وصوتياً.

والشاهد التالي لتكرار حرف «الدال»: «**وَتَرك النُّهَمَة فيمَا تَحويه أيدي العبَاد لتَرُدَّهُم إلى الرَّغبَة إلَيكَ وَالرَّهبَة منكَ، وَتُزَهِّدُهُم في سَعَة العَاجل، وَتُحَبِّبُ إلَيهمُ العَمَلَ للآجل**»[٢].

نلاحظ أنّ حرفَ «الدال» قد تكرّر هنا كثيراً، وهو من الأصوات الشديدة الانفجارية، فتولّدت عنه موسيقى صاخبة مجلجلة تخدم الصورة والمعنى.

وقد جاء هذا التكرار في المقبوس التالي أيضاً: «**اللهُمَّ، فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآله وَكد لَنَا وَلا تَكد عَلَينَا، وَامكُر لَنَا وَلاَ تَمكُر بنَا، وَأدل لَنَا وَلاَ تدلّ منّا**»[٣].

يمكننا القول بأنّ هذا التنويع في بناء الحروف يحقّق وحدة صوتية متناغمة ومنسجمة، يكسب الكلمات قيمة جمالية من خلال جرسها المميّز ومن الانسجام والتناسق بين الحروف مخرجاً وصفة وحركة، تتكوّن إيقاعية الكلمة وموسيقاها وهذه الإيقاعية مرتبطة بأداء المعنى، ولا تنفصل عنه[٤].

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء الأوّل.

(٢) الصحيفة السجّادية، الدعاء الرابع.

(٣) الصحيفة السجّادية، الدعاء الخامس.

(٤) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية: خلف حسن وآخرون: ٧٢.

تكرار الكلمة:

يمتلك تكرار الكلمة في النصّ أثراً عظيماً في موسَقَته. القيمة السمعيّة لهذا التكرار أكبر من قيمة تكرار الحرف الواحد في الكلمة. ويكون هذا التكرار ناتجاً عن أهمّية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى، حيث تأتي مرّة للتأكيد أو التحريض ولكشف اللبس، إضافة إلى ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النصّ.

«هذا النوع من أبسط أنواع التكرار وأكثرها شيوعاً بين أشكاله المختلفة»[١]، و«تكرار الكلمات يمنح النصّ إمتداداً وتنامياً في الصور والأحداث، لذلك يعدّ نقطة إرتكاز أساسية لتوالد الصور والأحداث وتنامي حركة النصّ»[٢]، وممّا لا شكّ فيه أنّ الكلمات تتكوّن من أصوات وطاقات، لذلك فإنّ أحسن إستخدام الكلمات المكرّرة يضفي على النصّ حلّية إيقاعية ودلالة موحية. ولا يفوتنا هنا الانتباه بأنّ «القاعدة الأساسية في التكرار أنّ اللفظ المكرّر ينبغي أنّ يكون وثيق الارتباط بالمعنى العامّ، وإلا كان لفظية متكلّفة لا سبيل إلى قبولها. كما أنّه لا بدّ أنّ يخضع لكلّ ما يخضع له النصّ عموماً من قواعد ذوقية وجمالية»[٣].

والصحيفة السجّادية مكتظّة بالكلمات المكرّرة التي لها أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقي وإيحاء معنى الكلام؛ لأنّها وردت في مكانها اللائق من النصّ حيث يستدعيه السياق الهندسي.

---

(١) التكرار في شعر محمود درويش، عاشور فهد ناصر: ٦٠.
(٢) حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، حسن الغرفي: ٨٤
(٣) قضايا الشعر العربي المعاصر، نازك الملائكة: ٢٣١.

ومن ذلك لفظة «عافية» فيما يلي من دعائه عليه السلام إذا سأل الله تعالى العافية وشكرها: «**اَللّهُمّ، صَلِّ على محمّد وَآله، وألبسني عافيَتك، وجَلّلني عافيتَك، وحَصِّني بعافيتك، وأكرِمني بعافيتك، وأغنني بعافيتك، وتَصَدَّق على بعافيتك، وهَب لي عافيَتك، وأفرِشني عافيَتك، وأصلِح لي عافيتَك، ولا تُفرِّق بَيني وبَينَ عافيتك في الدُّنيا والآخِرَة**»[١].

لقد وظّف الإمام في هذا المقطع كلمة «عافية» عشر مرّات ليدلّل على أنّها محور الموضوع، وهي بالغة الأهمّية في الدنيا والآخرة. فنرى أنّ هذه الكلمة المكرّرة متينة الإرتباط بسياق النصّ. إضافة على الجانب المعنوي، ففي المستوى الصوتي أضفى تكرارها على النصّ نغمةً موسيقية متميزة تطرب أذن السامع[٢].

ونظير هذا تكراره لكلمة «شهر» في دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان حيث يقول: «**والحَمدُ لله الذي جَعَلَ من تلك السُّبُلِ شَهرَهُ رَمَضانَ، شَهرَ الصِّيامِ وشَهرَ الإسلام وشَهرَ الطُّهو ر وشَهرَ التَّمحيصِ وشَهرَ القِيامِ ﴿الذي أُنزِلَ فِيه القُرآنَ هُدى لِلنّاسِ وَبَيِّناتٍ منَ الهُدَى وَالفُرقانِ﴾**»[٣].

نلاحظ أنّ كلمة شهر تكرّرت في هذا المقطع ستّ مرّات، فتولدت عنه موسيقية جميلة مفرحة، وهذا يشفّ عن فرح الإمام بسبب دخوله في شهر رمضان كأنّنا نراه ينشد أنشودة ويكرّرها مستمرّاً ليعبّر عن مدى فرحه ويرغّب السامعين للاستفادة من هذا الشهر الذي كلّه سعادة للإنسان[٤].

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء الثالث والعشرون.
(٢) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية، خلف حسن وآخرون: ٧٢.
(٣) الصحيفة السجّادية، الدعاء الرابع والأربعون.
(٤) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية، خلف حسن وآخرون: ٧٢.

وفي المقبوس التالي لقد ألحّ على تكرار«حمداً»: «**وَالحَمدُ لله عَلَى مَا عَرَّفَنا من نَفسه... حَمداً نُعَمَّرُ به فيمَن حَمدَهُ من خَلقه... حَمداً يُضيءُ لَنَا به ظُلُمَاتِ البَرزَخِ.... حَمداً يَرتَفِعُ مِنَّا إلى أَعلَى عليينَ... حَمداً تَقَرُّ به عُيُونُنَا... حَمداً نُعتَقُ به من أَليمِ نَارِ الله... حَمداً نُزَاحِمُ به مَلائكَتَهُ المُقَرَّبينَ...**»(١).

فتكرار هذه الكلمة بصورة مكثّفة تدلّ على ما تنطوي عليه نفس الإمام من الإقرار بحمد الله والتوجّه إليه.

وفي ما يلي يقول الإمام: «**اللّهُمَّ، إنّكَ مَن وَالَيتَ لَم يَضرُرهُ خذلانُ الخَاذلينَ، وَمَن أعطَيتَ لَم يَنقُصهُ مَنعُ المَانعينَ، وَمَن هَدَيتَ لَم يُغوِه إضلالُ المُضِلِّينَ**»(٢).

فقد قام بتكرار «من» الموصولة.

وأيضاً له: «**يا مَن لا يَفِدُ الوافِدُونَ عَلى أَكرَمَ منهُ، وَلا يَجِدُ القاصِدُونَ أَرحَمَ منهُ، يا خَيرَ مَن خَلا به وَحيدٌ، وَيا أَعطَفَ مَن أَوى إلَيه طَريدٌ، إلى سَعَة عَفوكَ مَدَدتُ يَدِي وَبِذَيلِ كَرَمِكَ أَعلَقتُ كَفِّي، فَلا تُولِني الحِرمانَ، وَلا تُبلِني بِالخَيبَةِ وَالخُسرانِ، يا سَمِيعَ الدُّعاءِ يا أَرحَمَ الرَّاحمينَ**»(٣).

فقد ألحّ على تكرار حرف النداء «يا» لكي يقرّب نفسه لله ويتلذّذ بمنادته.

والنوع الآخر من التكرار في الصحيفة هو تكرار كلمات معيّنة يتابعها الإمام في بداية بعض المقاطع ليعطي النصّ نغمة موسيقية.

ومن ذلك قوله: «**أنتَ الذي وَسِعتَ كلَّ شَيءٍ رَحمَةً وعِلماً، وأنتَ الذي**

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء الأوّل.

(٢) الصحيفة السجّادية، الدعاء الخامس.

(٣) الصحيفة السجّادية، الدعاء الثامن والسبعون.

جَعَلتَ لكلّ مَخلُوق في نِعَمِكَ سَهماً، وأنتَ الذي عَفوُهُ أعلى من عقابه، وأنت الذي تسعى رحمته أمام غضبه، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه، وأنت الـذي اتّسع الخلائق كلّهم في وسعه، وأنت الذي لا يرغب في جزاء من أعطاه، وأنت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه»[1].

يبدو لنا في هذه المقاطع ـ من جهة اللفظ والموسيقى ـ ذلك التناغم الموسيقي البديع والإيقاع الجميل بسبب تكرار كلمتي «أنت الذي» اللّتين أحدثتا نوعاً من الهندسة اللفظية والموسيقية العذبة. فقد حقّق الإمامعليه السلام بتكراره هاتين الكلمتين الموسيقية العذبة التي تطرب الأذن لسماعهما، فما يكاد ينتهي المقطع السابق حتّى تعود ألحان المقطع التالي عبر الكلمتين المكرّرتين، وأمّا من جهة الدلالة فنرى أنّ الإمام يلحّ على هاتين الكلمتين ليدلّ على قربه من الله تعالى والذوبان فيه، حتّى كأنّهعليه السلام لا يرى في الكائنات أحداً سوى الله.

هذا الصنف من التكرار كثير في الصحيفة، ولا مجال لنا في ذكر جميعه. ينظر الدعاء الثالث عشر، حيث يكرّر كلمة «يا من» في صدر عشر المقاطع، وكذلك يكرّر نفس الكلمة في صدر أحد عشر مقطعاً في الدعاء السادس والأربعين، ويكرّر كلمتي «أنا الذي» في صدر خمس مقاطع في الدعاء السابع والأربعين، وغير ذلك من الأدعية التي يتابع بعض الألفاظ في صدور المقاطع ويحقّق القيم الصوتية والإيقاعية المتولّدة من إعادة هذه الألفاظ وترتيبها، وهذا يؤدّي إلى زيادة التفاعل في كلامه وإثارة انفعالات المتلقّي وتلذّذ أسماعه بفعل ذلك التناغم.

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء السادس عشر.

تكرار الجملة:

تكرار العبارة أو الجملة هو تكرار يعكس الأهمّية التي يوليها المتكلّم لمضمون تلك الجمل المكرّرة باعتبارها مفتاحاً لفهم المضمون العام الذي يتوخّاه المتكلّم، إضافة إلى ما تحقّقه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه؛ وربّما تكون هذه العبارة هي المرتكز الأساس الذي يقوم عليه البناء الدلالي للنصّ فضلاً عن المهمّة النغمية التي يؤدّيها التكرار.

يعدّ تكرار الكلمة في النصّ وتكرار الجملة في السياق ذا أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقيّ، ولهذا التكرار من القيمة السمعيّة ما هو أكبر ممّا هو لتكرار الحرف الواحد في الكلمة أو في الكلام (السيّد، ١٩٧٨م: ٨٠).

يعتبر هذا النمط أشدّ إيقاعاً من النمط السابق؛ إذ يكرّر في هذا النمط كلمات متعدّدة متتالية، فحين تكرّر الجملة أكثر من مرّة فهذا يعني أنّ فيه تأكيداً وتقوية للمعنى، وكذلك يدلّ على ترنّم الموسيقى، فعلى قدر الكلمات والأصوات المكرّرة تتمّ الموسيقى.

وهذا الأمر نجده واضحاً في صحيفة مولانا الإمام زين‌العابدين فنرى أنّ هذا النوع من التكرار يستغرق المساحة الأكبر من سائر التكرارات في الصحيفة.

ومن ذلك تكراره لعبارة «أنت الله لا إله إلا أنت» من دعائه عليه السلام في يوم عرفة حيث يقول: «**أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الأحَدُ المُتَوَحِّدُ الفَردُ المُتَفَرِّدُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الكريمُ المُتَكَرِّمُ العَظيمُ المُتَعَظِّمُ الكبيرُ المُتَكَبِّرُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، العلي المُتَعالُ الشَّديدُ المِحالُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الرَّحمنُ الرَّحيمُ العَليمُ الحَكيمُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، السَّميعُ البَصيرُ القَديمُ الخَبيرُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الكريمُ الأكبَرُ الدّائمُ الأدوَمُ وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ،**

الأوَّلُ قَبلَ كلّ أَحَد والآخرُ بَعدَ كلّ عَدَد وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الدّاني في عُلُوِّه والعالي في دُنُوِّه وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلّا أنتَ، ذُو البَهاء والمَجد والكبرياء والحَمد وأنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ، الذي أنشَأتَ الأشياءَ من غَير سِنخٍ وصَوَّرتَ ما صَوَّرتَ من غَير مثال وأبتَدَعتَ المُبتَدَعات بلا احتداء»(١).

فنراه عليه السلام يكرّر العبارة «**أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ**» عشر مرّات للتأكيد على وحدانية الله تعالى وتنزيه ساحته من الشريك والندّ. ولا يخفى أنّ تكرار العبارة في هذه المقاطع يبعث نوعاً من التناغم الداخلي في النصّ. فضلاً عن أنّ الكلمات التي تأتي خلف هذه العبارة المكرّرة تدعم موسيقى النصّ، لأنّنا نرى تناسقاً كبيراً بين الكلمات في كلّ جملة، فحينا نلاحظ الكلمات كلّها تختم بحرف مشترك بينها (مثل الشطر الأوّل والثاني الذين يختمان بحرف الدال المجهو رة والميم الشفوية) وحيناً آخر نشاهد بأنّ التناسب في الوزن (مثل: الرحيم العليم الحكيم) والاشتقاق (مثل: **الكريمُ المُتَكرِّمُ العَظِيمُ المُتَعَظِّمُ الكبيرُ المُتَكبِّرُ**) يجمع بين الكلمات ويقوّي جرس الكلام(٢).

ومنه أيضاً قوله عليه السلام في دعائه في يوم عرفة، حيث يقول: «**لَك الحَمدُ حَمداً يدُومُ بدَوامك، ولَك الحَمدُ حَمداً خالداً بنعمَتك، ولَك الحَمدُ حَمداً يوازي صُنعَك ولَك الحَمدُ حَمداً يزيدُ على رِضاك ولَك الحَمدُ حَمداً مَعَ حَمد كلّ حامدٍ وشُكراً يقصُرُ عَنهُ شُكرُ كلّ شاكرٍ**»(٣).

لا يخفى على قارئ هذه المقاطع ما فيها من موسيقى داخلية تمثّلت في تكرار العبارة «**ولَك الحَمدُ حَمداً**» ممّا أضفى نغمةً موسيقياً جميلاً على النصّ.

---

(١) الصحيفة السجّادية، الدعاء السابع والأربعون.

(٢) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية: خلف حسن وآخرون: ٧٤.

(٣) الصحيفة السجّادية، الدعاء السابع والأربعون.

إضافة على ذلك، لقد أسهم في توفير موسيقى هذا النصّ تكرار كلمة شكر ومشتقّاته في الشطر الآخر بحيث وهب النصّ قيمة صوتية عظيمة يأنس إليه السمع وتميل إليه النفس، إضافة إلى ما اشتمل عليه من الأثر الخطابي المتمثّل في التعبير عن مشاعر الشكر والرضا عن الله تعالى(١).

ودعاء مكارم الأخلاق فيما يتضمّن عشرين مقطعاً، كلّ واحد منها يتناول موضوعاً محدّداً، وكل موضوع تنتظّمه جملة من المفردات، تستهل بفقرة (اللهم صل على محمّد وآل محمد) تدليلاً على السمة (الموضوعية) من جانب، وعلى السمة (الهندسية) التي يتطلّبها الانتقال من موضوع لآخر وصلها برباط فكري يوحّد بين أجزائها من جانب آخر:

«اللهمّ، صل على محمّد وآله، وبلّغ بإيماني أكمل الإيمان وبيقيني... اللهمّ، صلّ على محمّد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به... اللهمّ، صلّ على محمّد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا.. اللهمّ، صلّ على محمّد وآله، ومتّعني بهدىً صالح لا استبدل به... اللهمّ، صلّ على محمّد وآله، وأبدلني من بغضة أهل الشنآن المحبّة... اللهمّ، صلّ على محمّد وآله، واجعل لي يداً على من ظلمني...» (٢) إلخ.

إنّ هذا (الدعاء) الذي يشكّل (وثيقة نفسية) من حيث تضمّنه لمبادئ السلوك الصحّي، مصوغ وفق عمارة هندسية بالغة الدهشة. وفقرة (اللهم صل على محمّد وآل محمد) وُظّفت فنّياً بحيث شكّلت نقلة فنّية من (الذات) إلى (الموضوع) من جانب، وأداة وصل وتلاحم بين الموضوعات من جانب آخر.

---

(١) دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية: خلف حسن وآخرون: ٧٢.

(٢) الصحيفة السجّادية، الدعاء العشرون.

النتيجة:

يتبيّن لنا من خلال هذا البحث ما يلي:

ـ التكرار ظاهرة واضحة في الصحيفة السجّادية، وهو يُعدّ أحد المنابع الأساسيّة للموسيقى الداخليّة.

ـ الدعاء يظل أكثر الأشكال التشريعية احتشاداً بأدوات الفنّ، بخاصّة عنصر الإيقاع. ولعلّ السرّ الفنّي وراء ذلك كامن في طبيعة عنصر التلاوة التي يمتاز بها الدعاء عن غيره. وممّا يساعد على خلق أجواء موسيقية هو عنصر التكرار.

ـ التكرار في الصحيفة السجّادية ليس للزينة، وليس من نافلة القول الذي يمكن الاستغناء عنه لعدم فائدته، وإنّما هو ذو فائدة موسيقيّة لا تتحقّق إلا به، إضافة إلى الفائدة المعنويّة التي تتحقّق عن طريق الأنغام وأصوات الحروف.

التكرار ذو صلة وثيقة بدلالات الكلام وأغراضه، ففي الصحيفة عندما تتكرّر بعض الحروف فهذا يدلّ على ميزة هذا الحرف ودلالته الصوتية، وكذلك عندما تتكرّر الكلمات والعبارات يشعر المتلقّي بأنّ لتلك الكلمة أو العبارة أهمّية بالغة في كلام الإمام، إضافة عن الإيقاع الذي يحدث في الكلام.

ـ الإيقاع الناتج من تكرار الحروف والكلمات يجذب أذن السامع إليه ويوحي إليه حالات نفسية ودلاليّة.

المصادر:

١ ـ الصحيفة السجّادية.

٢ ـ ابن معصوم المدني، علي بن نظام الدين. (١٩٦٨م): أنوار الربيع في أنواع البديع. (تحقيق شاكر هادي شكر). (ج٥). النجف الأشرف: مطبعة النعمان.

٣- ابن منظور، محمّد بن مكرّم. (١٤١٤هـ): لسان العرب. (ط٣). (ج٥). بيروت: دار صادر.

٤- الحمداني، سالم أحمد (١٩٨٩م): مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربيّ الحديث، الموصل، مطبعة التعليم العالي.

٥- خلف، حسن وآخرون (١٣٩٢ش): «دراسة الموسيقى الداخلية في الصحيفة السجّادية»، أصفهان، مجلّة بحوث في اللغة العربية وآدابها، العدد ٨، ص ٦٧ ـ ٧٩.

٦- السيّد، عزّ الدين علي (١٩٧٨م): التكرير بين المثير والتأثير، ط٢، بيروت، عالم الكتب.

٧ ـ شفيقة، منصور(٢٠٠٢م): «الحوار وكشف خلجات النفس عند ناتالي ساروت»، مصر، مجلّة فصول، العدد ٦٠.

٨ ـ عاشور، فهد ناصر (٢٠٠٤): التكرار في شعر محمود درويش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٩ـ عباس، حسن (١٩٩٨): خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتّحاد الكتاب العرب، دمشق.

١٠- عبدالرحمن، ممدوح (١٩٩٤): المؤثرات الإيقاعية في لغة الشعر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

١١- الغرفي، حسن (٢٠٠١): حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، إفريقيا الشرق، المغرب.

١٢- القاضي، النعمان (١٩٨١م): أبوفراس الحمدانيّ الموقف والتشكيل الجماليّ، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ودار التوفيق النموذجيّة للطباعة والجمع الآلي.

١٣- مرتاض، عبد الملك (١٩٩٥م): تحليل الخطاب السردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية «زقاق المدق»)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

١٤- مفتاح، محمّد (١٩٨٢): في سيماء الشعر القديم دراسة نظرية وتطبيقية، الطبعة الأولى، دار البيضاء، المغرب.

١٥- المفيد (١٤١٠هـ): المقنعة، مؤسّسة النشر الإسلامي، ط٢، قم.

١٦- الملائكة، نازك (١٩٦٧): قضايا الشعر العربي المعاصر، الطبعة الثالثة، منشورات مكتبة النهضة، بغداد.

١٧- الكوراني العاملي، علي (١٤٢٧م): جواهر التاريخ، المجلّد الرابع، دار الهدى، ط١، قم.



مرض الإمام السجّاد عليه السلام

والعناية الإلهية

❐ بسّام حسين

تمهيد

ممّا يميِّز وقعة الطّف وما رافقها من أحداث أنّ المصائب التي جرت فيها لم تقفَ عند الجانب المأساوي الذي يقتصر فيه الإنسان على استشعار الحزن، واستدرار الدُّموع فحسب بل تعدّت ذلك لتأخذ مفردات لها دلالاتها وأبعادها المختلفة، التي تستوقف الباحث، وتلفت الناظر فيما يتعلّق بتاريخ الأمّة ومستقبلها...

ومن هذه المفردات الأليمة والمهمّة في وقتٍ واحد، المرض الذي أصاب الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، والذي شاءت الحكمة الإلهية بقاءه بعد تلك الواقعة المفجعة؛ لطفاً بالخلق، ولئلا تخلوالأرض من نسل آل محمّد صلى الله عليه وآله.

ومن الطَّبيعي أنّ أمراً كهذا يبعث في الأذهان التّساؤلات المختلفة:

فما هي طبيعة هذا المرض الذي أصاب هذا الإمام العظيم؟

وكيف ترك آثاره عليه؟

ومتى أصيب به؟ وكم استمرّ معه؟

وما هي أبعاده في مجال حفظ حياته المباركة، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين؟

أسئلةٌ تحتاج إلى بحثٍ ودراسة سنحاول الإجابة عليها في هذه المقالة، ومن الله نستمدُّ العون والتوفيق.

مرض الإمام عليه السلام:

جاء في المصادر المختلفة أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام الذي حضر وقعة الطَّفِّ مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام كان وقتئذٍ مريضاً عليلاً[(١)].

وعن طبيعة هذا المرض الذي أصاب الإمام عليه السلام ونوعه، تُحدِّثنا بعض الرِّوايات عن أنّه كان مبطوناً:

منها: ما رواه الصّفار، بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام، في حديثٍ له: »**وكان علي بن الحسين مبطوناً، لا يرون إلا أنّه لما به**«[(٢)].

وعن الشَّيخ المفيد رحمه الله وغيره: أنّه كان مريضاً بالذّرب[(٣)].

والمبطون في اللّغة: العليل البطن، ومن يشتكي من بطنه[(٤)]، أو من به إسهالٌ

---

(١) نصّ على مرضه عليه السلام الكثير من المؤرِّخين وأرباب المقاتل، منهم المفيد في الإرشاد ٢: ٩٣، ١١٢، وابن طاووس في اللّهو ف: ٦٣، وابن نما في مثير الأحزان: ٨٣، والطَّبري في تاريخه ٤: ٢٩٣، ٣١٧، ٣٤٧، وأبوالفرج في مقاتل الطَّالبين: ١١٣، وأبونصر البخاري في سرِّ السَّلسلة العلويَّة: ٣١، وابن العنبري في تاريخ مختصر الدُّول: ١١٠، وابن الجوزي في المنتظم ٥: ٣٤٥، والمزي في تهذيب الكمال ٢٠: ٣٨٤، والذهبي في تذكرة الحفّاظ ١: ٧٤، وسير أعلام النُّبلاء ٣: ٣٠٩، وابن الأثير في الكامل ٣: ٤٣٤، وسبط ابن الجوزية في تذكرة الخواص: ٢٥٦، والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٣٨، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٢٣١، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ١: ١٦٣، وغيرهم الكثير.

(٢) بصائر الدرجات: ١٦٨، الحديث: (٩)، تصحيح وتعليق الحاج ميرزا حسن، منشورات الأعلمي ١٤٠٤ هـ، مطبعة الأحمدي، طهران.

(٣) الإرشاد ٢: ١١٤، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

(٤) لسان العرب، مادّة (بطن).

أو انتفاخٌ في البطن[١]. والذَّرب الدَّاء الذي يعرض للمعدة؛ فلا تهضم الطَّعام، ويفسد فيها ولا تمسكه[٢].

والذَّرب من الأمراض مأخوذٌ من الجرح الذي لا يبرأ، واستعير من الجرح للمرض المعروف[٣].

فالإمامعليه السلام كان مصاباً بنوعٍ من الإسهال، والظّاهر أنّه كان حادّاً، كما يوحي بذلك التّعبير عنه بالذّرب الذي يدلُّ على الحدّة وعدم البرء، كما قد عرفت.

وبملاحظة ما تقدَّم لا يُصغى إلى ما حكاه في المناقب عن كتاب المقتل، قال أحمد بن حنبل: إنّه كان سبب مرض الإمام زين العابدينعليه السلام في كربلاء أنّه أُلبس درعاً ففضل عنه، فأخذ الفضلة بيده ومزَّقه[٤]؛ إذ ـ مضافاً لمخالفته لما تقدَّم ـ لم يتَّضح الرَّبط بين المرض وتمزيقه عليه السلام لفضلة الدِّرع بيده بحيث يرجع إلى معنى واضح.

شدّة المرض:

الظاهر من النّصوص المختلفة أنّ الإمام عليه السلام كان قد أخذ المرض منه مأخذه، ففي الخبر السَّابق عن الباقرعليه السلام: »... **لا يرون إلا أنّه لما به...**«.

وفي أعلام الورى بسنده عن الإمام الباقرعليه السلام أيضاً أنّه قال: »... **وكان علي**

---

(١) مجمع البحرين ٦: ٢١٥، تحقيق السيّد أحمد الحسيني، نشر مكتب نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.

(٢) راجع: لسان العرب ومجمع البحرين، مادة (ذرب).

(٣) ترتيب كتاب العين للفراهيدي، مادّة (ذرب).

(٤) ابن شهرآشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٨٤، تحقيق لجنة من أساتذة النّجف الأشرف، نشر المطبعة الحيدرية ١٣٧٦هـ.

ابن الحسين مريضاً لا يرون أنّه يبقى بعده...»[١].

وقد تقدّم أنّ التعبير بالذّرب لا يخلو من ظهو رٍ في شدّة المرض، خصوصاً بملاحظة استعماله في المرض الذي لا يبرأ[٢].

ومن هنا نجد الشيخ المفيد يقول: «وهو مريضٌ بالذّرب، وقد أشفى»[٣]، أي: قرُب من الموت. وكذلك نجد أنّ تعبيرات جملة من الرُّواة والمؤرِّخين صريحةٌ في صعوبة المرض، وبلوغه أشدّ حالاته، كتعبيرهم عنه بما يلي:

ـ إنّه كان عليلاً دنفاً[٤]، والدّنف: المرض الملازم المخامر، ومدنف: أبراه المرض حتّى أشفى على الموت[٥].

ـ إنّه كان شديد العلّة[٦].

ـ إنّه كان شديد المرض[٧].

ـ إنّه كان يومئذ عليلاً لا يملك من نفسه شيئاً[٨].

ـ إنّه كان منبسطاً على فراشه[٩]، أو نائماً عليه[١٠].

---

(١) أمين الإسلام الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٨٣، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى ١٤١٧ هـ.

(٢) راجع: لسان العرب لابن منظور، مادّة (ذرب).

(٣) الإرشاد ٢: ١١٤.

(٤) القاضي المغربي، النعمان بن محمّد، شرح الأخبار ٣: ١٥٤، ١٩٦، ٢٥٠، تحقيق السيّد الجلالي، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي، قم.

(٥) راجع: لسان العرب لابن منظور، مادّة (دنف).

(٦) شرح الأخبار ٣: ١٥٦.

(٧) الإرشاد ٢: ١١٢.

(٨) شرح الأخبار ٣: ١٥٢.

(٩) الإرشاد ٢: ١١٢.

(١٠) راجع: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله لابن سعد: ٧٨، من القسم غير المطبوع مع التاريخ، تحقيق الطّباطبائي.

ـ إنّه أنهكه المرض، أوالعلّة، أو الأوجاع[١].

ـ ويصفه بعضهم عند ابن زياد في الكوفة: وهو على ما ترى من العلّة، وما أراه إلا ميّتاً عن قريب[٢].

ـ وممّا يوحي أيضاً بشدّة المرض بحسب العادة ما ورد من: أنّ العقيلة زينب عليها السلام كانت تمرّضه، وفي بعض المصادر: أنّ النّساء كُنَّ يُمرّضنه[٣].

إلى غير ذلك ممّا يراه الباحث منثوراً في كلماتهم المختلفة.

متى بدأ المرض؟ وكم استمرَّ؟

لم تحدّد المصادر التي تعرَّضت لمرضه عليه السلام الزّمان الذي أُصيب فيه بالتَّحديد، ولكنَّ الأمر المعلوم أنّ مرضه عليه السلام كان متقدِّماً على اليوم العاشر؛ حيث نُقل عنه عليه السلام قوله: »**وإنِّي جالسٌ في تلك العشيَّة التي قُتل أبي في صبيحتها، وعندي عمَّتي زينب تمرِّضني...**«[٤].

وعن آخر: »**... وأنا عليلٌ ...**«[٥].

وعن ثالث: »**... قرب المساء ... وأنا مريضٌ ...**«[٦].

وهذا يعنيً أنّ يوم التاسع من محرَّم قد مرّ والإمام فيه عليلٌ. وفي اليوم

(١) راجع: مطالب السُّؤل لابن طلحة الشّافعي، واللّهوف لابن طاووس، والفصول المهمّة لابن الصّباغ المالكي.

(٢) شرح الأخبار ٣: ٢٥٢.

(٣) انظر: الإرشاد ٢: ٩٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣١٨، نشر مؤسّسة الأعلمي، بيروت لبنان، شرح الأخبار ٣: ٢٥١.

(٤) لاحظ مصادر الهامش السابق.

(٥) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين: ٧٥، تقديم وإشراف كاظم المظفّر، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

(٦) لاحظ: وقعة الطّف لأبي مخنف: ١٩٧، تحقيق الشيخ اليوسفي الغروي، الطبعة الأُولى.

العاشر استمرّ مرضه عليه السلام، وقد تدهورت حالته الصّحيَّة إلى أشدّها؛ حيث ينقل الرّواة والمؤرِّخون أنّه عندما انتهى إليه القوم - وفيهم شمر بن ذي الجوشن- وأرادوا قتله، وجدوه منبسطاً على فراشه مريضاً[1]، ويصف بعضهم حالته ببعض ما تقدَّم ذكره.

وبعد العاشر لم يكن حال الإمام عليه السلام أفضل منه فيه؛ حيث وُصف حاله عندما أُخذ أسيراً بأنَّ المرض كان شديداً عليه، بل كان قد أشفَى وقارب الموت[2].

وفي الكوفة كانت لا يزال وضعه الصحِّي على حاله، أنّ لم نقل بأنَه قد ازداد سوءً بسبب الأسر وما حلّ به من مصائب مفجعة.

فقد روى شيخ الطَّائفة في الأمالي بسنده إلى حذلم بن ستير[3]، قال: «قدمتُ الكوفة في المحرّم من سنة إحدى وستِّين، منصرف علي بن الحسين عليهما السلام بالنّسوة من كربلاء، ومعهم الأجناد يُحيطون بهم، وقد خرج الناس للنّظر إليهم، فلمّا أَقبل بهم على الجمال بغير وطاء، جعل نساء الكوفة يبكين ويلتدمن، فسمعتُ علي بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل، وقد نهكته العلَّة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه: **أنّ هؤلاء النّسوة يبكين، فمن قتلنا؟!**...»[4].

وفي الشّام كان عليه السلام على حاله من العلّة أيضاً[5] بل قد رجع منها مريضاً، كما أفاده بعضهم[6].

---

(١) راجع: الإرشاد ٢: ١١٢. طبقات ابن سعد ٥: ٢١٢، دار صادر بيروت. تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٧.

(٢)الإرشاد ٢: ١١٤.

(٣) وفي نسخة: كثير.

(٤) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ٩١، الطبعة الأُولى ١٤١٤، نشر دار الثقافة، قم.

(٥) شرح الأخبار ٣: ٢٥٣.

(٦) ذكر ذلك الصّبان في إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار للشبلنجي: ٢١٦.

دور المرض في حفظ الإمام عليه السلام:

لا ريب أنّ مرض الإمام عليه السلام كان له الدّور الأساس في حفظ حياته وبقائه. ويظهر هذا من بعض النّصوص الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام، والتي تذكر بأنّه كان عليه السلام مريضاً، وكان القوم لا يرون أنّه يبقى بعد أبيه الإمام الحسين عليه السلام[(١)].

وهذا أيضاً ما توضّحه النّصوص التي ذكرها المؤرِّخون والرّواة، حينما مال القوم على ثقل الحسين عليه السلام، وهجموا على خيامه.

يقول حميد بن مسلم: «انتهينا إلى علي بن الحسين عليهما السلام، وهو منبسطٌ على فراش، وهو شديد المرض، ومع شمر جماعةٌ من الرّجالة، فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلتُ: سبحان الله! أيُقتل الصّبيان؟! إنّما هو صبيٌّ وإنَّه لما به، فلم أزل حتّى رددتهم عنه. وجاء عمر بن سعد، فصاح النساءُ في وجهه وبكينَ، فقال لأصحابه: لا يدخل أحدٌ منكم بيوت هؤلاء النِّسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض، وسألته النِّسوة ليسترجع ما أُخذ منهنَّ ليتستَّرنَ به، فقال: مَن أخذ من متاعهنَّ شيئاً فليردّه عليهنَّ. فوالله، ما ردَّ أحدٌ منهم شيئاً، فوكَّل بالفسطاط وبيوت النِّساء وعلي بن الحسين جماعةً ممَّن كانوا معه، وقال: احفظوهم؛ لئلا يخرج منهم أحدٌ، ولا تسيئنّ إليهم»[(٢)].

وقد علَّل عددٌ منهم بقاء الإمام عليه السلام حيّاً بأنّه كان مريضاً[(٣)].

---

(١) الصّفار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات: ١٦٨، تحقيق ميرزا محسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٣٦٨هـ. ش.

(٢) راجع: الإرشاد ٢: ١١٣، تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٣٤٧.

(٣) انظر: الذهبي، محمّد بن أحمد، سير أعلام النبلاء ٣: ٣٢٠، إشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت.

وممّا لا يصحُّ:

أ ـ رجلٌ يدافع عنه:

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب، عن أبي مخنف، عن الجلودي، أنّه لمّا قُتل الحسينعليه السلام، كان علي بن الحسين نائماً، فجعل رجلٌ يدافع عن كلّ من أراد به سوءاً[١].

وقد يظهر منه، أنّ هذا الرّجل كان هو السّبب في حفظ الإمامعليه السلام من القتل.

ولا يمكن المصير إليه؛ إذ من الواضح أنّ أحداً لم يكن بإمكانه دفع أُولئك القوم عن قتله لولا وجود المرض الذي جعلهم يظنُّون أنّ الإمامعليه السلام لا يبقى بعده، وبذلك يكون المرض قد كفاهم مؤونة قتله وسفك دمه.

ولا يستبعد ـ أنّ صحَّت الرِّواية ـ أنّ يكون المراد بهذا الشَّخص حميد بن مسلم، الذي روى الحديث المتقدِّم، والذي يذكر فيه هجوم القوم على خيام الحسينعليه السلام، خصوصاً إذا لاحظنا ما نقله عنه الطبري، حيث قال: «فما زال ذلك دأبي أدفع عنه كلّ ما جاء...»[٢]. وعليه، فتُوجَّه الرِّواية حينئذٍ بأنَّ هذا الرجل دافع عنه بعد أنّ حاولوا قتله وتركوه بسبب مرضه.

ب ـ كون الإمامعليه السلام صغيراً:

وفي كلمات بعضهم «كان صغيراً يوم الطَّف»[٣]، وعن بعضهم أنّه: «كان قد راهق»[٤]، والظَّاهر أنّ هناك من علّل ترك القوم للإمامعليه السلام بصغر سِنّه الشَّريف[٥].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٤٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٧.

(٣) الفتوح لابن أعثم ٥: ١٣١.

(٤) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطِّوال: ٢٥٩، تحقيق عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى ١٩٦٠م، دار إحياء الكتاب العربي.

(٥) طبقات ابن سعد ٥: ٢٢١.

وهذا غير صحيح، وذلك بملاحظة ما يلي:

أوّلاً: لقد صرَّح بعضهم أنّهعليه السلام كان وقتئذ فتى شابّاً، بل رجلاً[(١)].

وثانياً: أنّ الثابت عن جملة من المؤرّخين والرّواة أنّ ولادة الإمام السجّادعليه السلام كانت في أيّام حكومة جدّه أمير المؤمنينعليه السلام، في حدود سنة ثمان وثلاثين[(٢)].

وعليه فيكون عمره في وقعة الطّف ما يقارب ٢٣سنة، فلاحظ.

وثالثاً: من الثابت أيضاً أنّ الإمام الباقرعليه السلام وُلد قبل وقعة الطّفّ، سنة سبع وخمسين من الهجرة[(٣)]، ومعه فكيف يكون أبوهعليه السلام صغيراً، أو قد راهق كما زعم بعضهم؟!

قال ابن سعد في الطبقات ـ بعد نقله القول بأنّ علي بن الحسينعليهما السلام مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة ـ: «قال محمّد بن عمر: فهذا يدلّل على أنّ علي بن الحسين كان مع أبيه وهو ابن ثلاث أو أربع وعشرين سنة، وليس قول من قال: أنّه كان صغيراً ولم يكن أنبت بشيء، ولكنّه كان يومئذ مريضاً لم يقاتل، وكيف يكون يومئذٍ لم ينبت وقد ولد له أبوجعفر محمّد بن عليّ؟!»[(٤)].

وقفة مع القول بصغر السِّن:

وعلى هامش القول بصغر سنّ الإمامعليه السلام لا بأس بالإشارة إلى أُمور:

---

(١) راجع: شرح الأخبار ٣: ٢٦٥. النيسابوري، محمّد بن الفتال، روضة الواعظين: ١٩١، منشورات الشريف الرضي، قم.

(٢) الإرشاد ٢: ١٣٧. مناقب آل أبي طالب ٤: ١٧٥.

(٣) نقل ذلك العلامة المجلسي في الجزء (٤٦) من البحار عن جمعٍ كبير من العلماء.

(٤) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٢.

الأمر الأوّل: ذهبت الفرقة المعروفة بـ(الكيسانيَّة)، إلى القول بإمامة محمّد ابن الحنفيّة، وأنكرت إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام، ومن جملة ما احتجُّوا به في زعمهم هذا، قولهم: «إنَّ الذي بقي من ولد الحسين ـ وهو زين العابدين ـ كان صبيّاً ولم يكن أهلاً للإمامة، فتعيّن محمّد لها»[1].

وليس من البعيد أنّ يكون هؤلاء قد أشاعوا هذا الأمر، حتّى تناقله الرّواة وأُثبت في كتب التاريخ.

وقد ردّ المحقّق الطوسي هذا الزّعم بقوله: «... أمَّا ما قالوا: أنّ زين العابدين بعد الحسين كان صبيّاً، فليس كذلك؛ لأنّه كان ابن ثلاث وعشرين سنة، وإنَّما لم يحارب يوم الطّف، لأنّه كان مريضاً...»[2].

وفي شرح الأخبار للقاضي النعمان: «وزعم عوام الناس أنّه كان يوم قتل أبوه طفلاً، وأنّ أباه أوصى به إلى غيره ليعدلوا بالإمامة عنه. أمَّا أهل العلم بالأخبار والأنساب والتَّواريخ منهم، فقد قالوا مثل ما ذكرنا أنّه كان رجلاً...»[3].

الأمر الثاني: الظَّاهر أنّ هناك خلطاً قد وقع بين الإمام زين العابدين عليه السلام، وبين ولد آخر يُذكر للإمام الحسين عليه السلام يُقال له علي الأصغر، على ما ذكره بعضهم[4].

إذ قد جاء وصف الإمام زين العابدين لدى بعضهم بعلي الأصغر[5]، ولعلَّ

---

(١) راجع: تلخيص المحصّل المعروف نقد المحصل: ٤١٣.
(٢) المصدر نفسه: ٤١٤.
(٣) شرح الأخبار ٣: ٢٦٥.
(٤) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٧، مطالب السّؤول: ٦٩.
(٥) راجع: المجدي في الأنساب للعمري: ٩١. لباب الأنساب لابن فندق ١: ٣٤٩.

هذا من الأسباب التي أدَّت إلى توهُّم صغر سنِّ الإمامعليه السلام؛ ذلك لاعتقادهم بأنّ علياً الأصغر هو زين العابدينعليه السلام، وليس شخصاً آخر.

وتحقيق القول بوجود ابن ثالث للإمام الحسينعليه السلام، ومسمّى بعلي الأصغر، يكون غير علي الأكبر الشهيد، وغير الإمام زين العابدينعليه السلام، وإثبات اتّحاده مع عبد الله الرَّضيع، أو اختلافه عنه، يحتاج إلى دراسة مستقلَّة لا مجال للتَّعرض لها هنا.

الأمر الثالث: يظهر من بعضهم أنّ هناك خلطاً آخر وقع لدى الرّواة لعلّه يكون السّبب في نسبة صغر السِّنِّ إلى الإمامعليه السلام، فقد ذكر أبو نصر البخاري النّسابة الشّهير في سرِّ السِّلسلة العلويّة ما نصّه:«... وأمَّا قول أبي مخنف لوط بن يحيى وهشام الكلبي: إنّه كان صغيراً ففتَّشه ابن زياد، وقال: انظروا هل أدرك؟ ليقتله، فلا يصحُّ ذلك بل هذه القصَّة كانت مع عمر بن الحسنعليه السلام؛ فإنّه كان من جملة الأسارى...»[1].

عوامل أخرى في حفظ الإمامعليه السلام:

لا يسعنا أنّ ننكر وجود عوامل أُخرى ـ مضافاً إلى السّبب الأساسي وهو المرض ـ ساعدت في حفظ الإمام زين العابدينعليه السلام حيّاً، وكان لها دورٌ في بقائه ونجاته من يد الأعداء:

فمنها: موقف العقيلة زينبعليها السلام، عندما حاول القوم قتل الإمامعليه السلام، وقد تكرّر منها هذا الموقف؛ حيث قامت به في كربلاء، وعاودت فعله أيضاً في الكوفة.

(١) البخاري، أبونصر، سرّ السِّلسلة العلوية: ٣١، الطبعة الأولى ١٤١٣، انتشارات الشريف الرضي، قم.

ففي كربلاء يذكر بعضهم تدخّل العقيلة زينب عليها السلام، ومنعها القوم من قتل الإمام عليه السلام قائلة: «لا يقتل حتّى أقتل دونه»، فكفُّوا عنه[١].

وأمَّا في الكوفة، فنراها أيضاً قد انبرت للدّفاع عنه عليه السلام وتعلَّقت به، عندما أراد ابن زياد قتله، وخاطبته قائلة: «يا ابن زياد، حسبك منّا، أما رويت من دمائنا»؟ واعتنقت عليّاً عليه السلام، وقالت: «أسألك بالله يا ابن زياد أنّ قتلته أنّ تقتلني معه...» إلى أنّ انصرف ابن زياد عن قتله، وقال بعد أنّ نظر إليها ساعة، ثمّ نظر إلى القوم: «عجباً للرّحم، والله إنِّي لأظنَّها ودّت لوأنّي قتلته وأنّي قتلتها معه...»[٢].

ومنها: ما قد يقال ـ وهو غير بعيد ـ: من أنّ القوم بقتلهم لعلي الأكبر عليه السلام، ظنُّوا أنَّهم قضوا على خطِّ الإمامة، ولم يُبقوا لأهل هذا البيت ذكراً يذكر.

وذلك لأنّ علي الأكبر كان هو الابن المبرَّز للإمام الحسين عليه السلام، وأشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسول الله صلى الله عليه وآله، وبالتَّالي فإنّ الأنظار ستنشدُّ إليه، باعتباره المؤهَّل لوراثة أبيه من بعده.

وليكن هذا الأمر أُسلوباً من الأساليب المتعمّدة في الحفاظ على حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، صرفاً لوجوه الناس عنه، وضماناً لسلامته من يد القوم في تلك المرحلة. وربّما يؤيِّد هذا الوجه ما جاء عن معاوية حينما سأل: من أحقُّ الناس بهذا الأمر؟ قالوا: أنت، قال: «لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي عليه السلام، جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أميَّة، وزهو ثقيف»[٣].

---

(١) راجع: مقتل الحسين عليه السلام للمقرّم ٢: ٣٨، طبعة النّجف الأشرف.

(٢) راجع مثير الأحزان لابن نما: ٧٢، نشر المطبعة الحيدرية ١٣٦٩، النجف الأشرف.

(٣) راجع: مقاتل الطالبيين: ٨٦ ولا يخفى على القارئ ما في هذا الكلام من مدحٍ للنّفس، وذلك من ⇐

ويؤيِّده أيضاً ما ذكروه عن ابن زياد حينما سأل زين العابدين عليه السلام: من أنت؟ فقال: «**أنا علي بن الحسين**»، فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟!.. إلى آخر ما جرى بينه وبين الإمام عليه السلام من حديث يطول ذكره(١).

ومنها: أنّ ممّا يساعد على بقاء الإمام عليه السلام حيّاً عدم مشاركته في القتال بسبب المرض، وقد جاء هذا الأمر كتعليل لسلامة الإمام عليه السلام ونجاته من يد القوم في بعض المصادر.

ففي طبقات ابن سعد: «وكان علي بن الحسين مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضاً نائماً على فراشه، فلمّا قُتِل الحسين عليه السلام قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا!، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله! أتقتل فتىً حدثاً مريضاً لم يقاتل؟! وجاء عمر بن سعد فقال: لا تتعرَّضوا لهؤلاء النِّسوة ولا لهذا المريض»(٢).

وفي مناقب ابن شهر آشوب: «ولم يُقتَل زين العابدين؛ لأنّ أباه لم يأذن له في الحرب، وكان مريضاً»(٣).

وغيرهما ممّن نصّ على عدم مشاركة الإمام عليه السلام في الحرب والقتال(٤).

وممّا يؤيِّد ذلك ويقوّيه:

⇐

خلال نسبة سخاء علي الأكبر إلى بني أُميّة؛ لأنّ ليلى أمّه أمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، مع أنّ الكرم نبتت أُصوله في البيت الهاشمي، وتشعّبت فروعه، وللكلام مقامٌ آخر.

(١) الإرشاد ٢: ١١٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ١١٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤: ٣٨٦.

أ ـ أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن ليعرِّض ولده السجّاد عليه السلام ـ وهو البقيّة الباقية من أولاده وأبو الأئمّة من بعده ـ إلى خطر الحرب وما يرافق القتال من ضرب السّيوف وطعن الرِّماح، والقوم على ما هم عليه من الحقد والقسوة والشدّة، وقد عزموا على إبادة أهل هذا البيت الطّاهر، وقد نُزعت من قلوبهم الرّحمة، ولم يسلم من عدائهم حتّى الطّفل الرَّضيع وهو في حجر أبيه الحسين عليه السلام.

فما بالك لو نظروا إلى ولده زين العابدين عليه السلام، يقاتلهم في أرض المعركة، فهل تراهم يدعوه، أويتركوه سالماً؟!

وممّا يصلح شاهداً لما قلناه ما رواه المجلسيّ في البحار عن بعضهم: «... ثمّ التفت الحسين عليه السلام عن يمينه فلم يرَ أحداً من الرِّجال، والتفت عن يساره فلم يرَ أحداً، فخرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكان مريضاً لا يقدر أنّ يقلّ سيفه، وأم كلثوم تنادي خلفه: يا بنيّ، ارجع! فقال: **يا عمّتاه، ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله** صلى الله عليه وآله، فقال الحسين عليه السلام: **يا أمّ كلثوم خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمّد** صلى الله عليه وآله**...**»[1].

ب ـ جاء في بعض المقاتل: أنّ شّمراً عندما أراد قتل الإمام عليه السلام، وحاول القوم منعه، قال لهم عندئذ: أنّ ابن زياد أمر بقتل أولاد الحسين عليه السلام[2].

وقد تقدَّم سابقاً أنّ الذي أوجب تراجعهم عن قتله الحالة التي كان عليها الإمام عليه السلام من المرض والعلَّة، مضافاً إلى أنّه لم يقاتل، كما سبق نقله عن بعضهم. ولولا ذلك لكان لشمر وغيره من الأعداء أنّ يعتذروا عن قتله بأنّه شارك

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٢.

(٢) نفس المهموم للقمي: ٣٧١.

في القتال وخاض عباب الحرب، ومن الطّبيعي حينئذ أنّ ينال جزاءه، ويجهزوا عليه، لطالما أنّ أحداً لم يكن بإمكانه أنّ يحميه ويستنقذه من بين أيديهم، كما تيسَّر ذلك للحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام الذي كان جريحاً، فتشفّع به أسماء بن خارجة الفزاري من أخواله، فسَلُم من القتل وأنجاه الله تعالى[(١)].

ج ـ أنّ مرض الإمام عليه السلام كان شديداً كما تقدّم ، ولم تكن حالته الصحيّة على ما يظهر تسمح له بحمل السّلاح، وقد تقدّم عن قريب أنّه لم يكن يقدر على حمل سيفه. وسبق أنّه عليه السلام كان مريضاً من اليوم التاسع أيضاً، ومقتضى الحال أنّ حالته كانت تزداد سوءاً ساعةً بعد ساعة؛ ممّا يبعد احتمال أنّ يكون قد قاتل في وقت من الأوقات، ثمّ أصابه المرض، أو اشتدّ عليه، خصوصاً بملاحظة ما تقدّم من أنّ زينب عليها السلام كانت تمرّضه في ليلة سابقة على اليوم العاشر.

ومن هنا يعلم الضّعف في ما ذكره الفضيل بن الزّبير، من: أنّه ارتُثَّ يومئذ، وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه[(٢)].

وقد تفرّد على ما يظهر بهذا، حيث لم أعثر ـ فيما تتبَّعت ـ على نصٍّ أو شاهد آخر يدعم قوله، أو يذكر للإمام عليه السلام وصفاً لقتاله في أرض المعركة، خصوصاً وأنَّ العديد من الرُّواة والمؤرِّخين قد تتبّعوا ذلك وذكروه في حقّ من هو أقلُّ شأناً من الإمام زين العابدين عليه السلام، ممّا يبعد معه خفاء هذا الأمر عليهم، كيف وهو ابن الإمام الحسين عليه السلام والبقيَّة الباقية بعده؟!

وفي ما قدَّمناه من وجوه ما يكفي لاستبعاد ما ذكره الفضيل، بل وردِّه.

(١) سرّ السّلسلة العلوية: ٥.

(٢) مجلّة تراثنا الصادرة عن مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: ١٥٠، [تسمية مَن قُتِل مع الحسين عليه السلام] للفضيل بن الزبير، العدد الثاني، السنة الأولى.

هذا، ويضاف إلى ذلك أيضاً أنّه كان زيديّ المذهب[1]، فلعلّه أراد بهذا القول تعزيز المذهب الزيدي القائل بضرورة كون الإمام خارجاً بالسّيف، كما هي عقيدتهم في الإمام، والله العالم بحقيقة الحال.



(١) المصدر نفسه: ١٤٢.

دراسة أسلوبية في خطب الإمام السجّاد عليه السلام

خطبته في مجلس «يزيد» بالشام أنموذجاً

❑ الدكتور عاطي عبيات، وابتسام نژاد سبهانی، وكبری صالحی

ملخَّص

لا جدال بأنّ قبيلة قريش أفصح العرب، وبلغتهم نزل القرآن، وأفصح قريش هم بنو هاشم، وأفصح بني هاشم رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأولاده أئمّة العصمة ابتداءً من الإمام الحسن عليه السلام ووصولاً إلى المهدى المنتظر عجل الله فرجه.

ومن جملة ذرّية النبي والذي شغل الناس قديماً وحديثاً بذكر الفصاحة وأساليبه الأدبية والبلاغية، هو الإمام السجّاد عليه السلام الذي يعدّ سنداً وركيزة من ركائز تخليد الثورة الحسينية ومحيياً جديداً للرسالة السماوية بعدما حاولت السلطة الأموية بزعامة معاوية وابنه يزيد الطاغية طمسها، لذلك انبرى الإمام السجّاد عليه السلام بعد حادثة كربلاء للتصدّي بكلّ حزم لتلك الممارسات اليائسة والفاشلة. فاتّخذ من الخطب والدعاء والنجوى سلاحاً حاداً يقضّ مضاجع الأعداء، فكانت خطبته الشهيرة في مجلس يزيد الطاغية في الشام بمثابة زلزال مدوٍ هدم أركان سلطان بني أمية بينما كان العدو اللدود يهلهل بنشيد النصر ويهزّ بسيوف الجور فخراً.

فمن الناحية الأدبية كان الإمام يمتلك ناصية أدب الدعاء والنجوى، وبهذا الأسلوب الرائع استطاع أن يهزّ المشاعر، ويكشف الحقيقة، مما جعل يزيداً يخضع لكلّ مطالب الإمام في الرجوع إلى المدينة وإنهاء عملية السبي. فالطريقة الأدبية التي اتّخذها كانت أسلوباً مبتكراً في إيصال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصلية إلى القلوب الضمّآء، والأفئدة التي تهوى إليها لتقتطف من ثمرّاتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق عملية تربوية نموذجية رائعة استلهم الإمام جوانبها من سِير الأنبياء وسنن المرسلين.

وهذه الدراسة عبر المنهج التحليلي بصدد دراسة أسلوبية لخطبة الإمام السجّاد عليه السلام فى الشام على المستوى الصوتى والتركيبي، في محاولة لفهم القوّة الأدبية الكامنة في هذه الخطبة وبيان مدى تأثيرها في إيقاظ الوعي المعرفي وتحفيز عواطف المتلقّي تجاه ما حدث فى كربلاء وما تمخّض من تبعات وخيمة على الصعيد السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

المقدّمة

ولد الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. وعاش سبعاً وخمسين سنة تقريباً، قضي ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وارتوى من نمير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين.

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلي في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون

جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته.

وقد اتّخذ الإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من الدعاء والخطب أساساً لدرء هذا الخطر الكبير(الخطر الأموي) الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها.

فالبحث الذي نحن بصدده هو دراسة أسلوبية في منهج خطب الإمام السجّاد وعلى رأس هذه الخطب خطبته في دمشق.فالأسلوبية كما عرّفها الباحثون هي: علم يتعرّض للجانب اللغوي من الكلام ويتناول الجانب البلاغي والتركيبي والمستوى اللساني وغير ذلك، فهي علم يدرس من خلاله تناسق العناصر المؤلّفة للكلام فضلاً عن دراسته لوظائف العناصر[(١)].

فالأسلوبية كما يقال هي: جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلّم وبيان التأثير على السامع. وتكمن أهمّيتها في قدرتها على معرفة مختلف أدوات التعبير وفي إحداث نموذج للأساليب البيانية.فأورد الإمام السجّاد في خطبه، ومنها خطبته الشهيرة في دمشق، تلك العناصر اللبيانية التي تشدّ جسم الكلام شدّاً وتعمل على إقناع السامع بوسائل متعدّدة ليصبح أسيراً لموقف الخطيب كما يقال، فهي تعتبر نظام كامل من الوسائل الإقناعية.

ففي هذه الدراسة نحن بصدد معالجة أهم العناصر الأسلوبية في خطبة الإمام السجّاد عليه السلام، والعمل على بيان أثرها على المتلقّي، وبيان مكانة الإمام الأدبية.

---

(١) مقالات في الأسلوبية : ٩٦.

الأسلوب والأسلوبية

العمل الأدبي هو رسالة موجّهة من المنشئ إلى المتلقّي، يستخدم فيها النظام اللغوي المشترك فيما بينهما. يقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكوّن نظام اللغة المشتركة، وهذا النظام يلبّي متطلّبات عملية الإتصال بين أفراد الجامعة اللغوية.

إذاً في جامعة لغوية واحدة، ما الذي يميّز المنشئ باستعماله الخاص من اللغة المشتركة أو بأسلوبه عن سواه؟.

يرى بعض الباحثين أنَّ اللغة هي عبارة عن قائمة هائلة من الإمكانات المُتاحة للتعبير، ومن ثمَّ فإنَّ الأسلوب يمكن تعريفه بأنّه: اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معيّنة بغرض التعبير عن موقف معيّن، ويدلّ هذا الاختيار أو الانتقاء على إيثار المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة. ومجموعة الاختيارات الخاصّة بمنشئ معيّن هي التي تشكّل أسلوبه الذي يمتاز به من غيره من المنشئين[1].

ولا شكّ أنّ مجموعة الاختيار أو الانتقاء لسمات لغوية معيّنة يمكننا أن نعبّر عنها بالأسلوب[2]، تعود إلى الفكرة والنزعة الخاصّة في التفكير لدى المنشئ وهذا مما يدلّ على العلاقة الوثيقة فيما بين الأسلوب والفكرة أو المعنى. يقول الدكتور أحمد الشايب تأييداً لذلك: «إنّ الأسلوب معانٍ مرتَّبة قبل أن يكون ألفاظاً منسّقة، وهو يتكوّن في العقل قبل أن ينطق به اللسان أو

(١) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) style.

يجري به القلم»[١].

استنتاجاً لذلك يمكننا القول: إنّ الصورة اللفظية التي هي حصيلة الاختيار أو الانتقاء لسمات لغوية معيّنة والتي الصحيح أن يطلَق عليها بالأسلوب، كلّما زادت حصّتها من الرصانة والمتانة والقوّة في التعبير، فذاك يدلُّ على مدى رُقِيّ الفكرة وسموّ المعنى لدى صاحبها، وعكس ذلك واضح. فعلى هذا لا نستبعد إذا قلنا: إنّ كلمة الأسلوب تكاد ترادف كلمة الشخصية في المعنى.

الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النقدية والبلاغية واللغوية[٢]، وقد ظهرت على أنَّها منهج نقدي في بدايات القرن العشرين، وكان ذلك ناتجاً عن تطوّر الدراسات اللغوية الحديثة[٣]، يطلق على هذا المصطلح فى الإنجليزية stylistics وفي الفرنسية stylisticque[٤]. الأسلوبية أو علم الأسلوب بحث علمي للطرائق المستعملة في التعبير عن الفكرة أو المعنى، أو بعبارة أخرى: بحث علمي يدرّس الأسلوب؛ وهو يختلف في موضوعه عن دراسة اللغة؛ لأنّ هذه تقتصر على تأمين المادّة التي يعمد إليها المتكلّم أم الكاتب ليفصح بها عن فكّرته، أمّا الأُسلوبية فهي ترشدنا إلى التختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معيّن من التأثير في السامع والقارئ، شريطة احترام ما اتّفق عليه العلماء من مدلولات لفظية وقواعد صرفية ونحوية وبيانية.

توسّع المفهوم العصري للأسلوبية، فشمل كلَّ ما يتعلّق باللغة من أصوات

---

(١) الأسلوب: ٤٠.

(٢) الأسلوبية والأسلوب: ٧٧ .

(٣) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: ١٨.

(٤) البلاغة والأسلوبية: ١٨٥.

وصيغ وكلمات وتراكيب وتداخل مع علم الأصوات والصرف والدّلالات والتراكيب، وكلٌّ ذلك لتوضيح الغاية منها وإرساء مبادئها ومناهجها في سبيل تحسين الإبانة عن الخواطر والانفعالات والصور وبلوغ أقصى درجات التأثير الفني[1].

إذاً فالأسلوبية «تتجاوز مجرّد نقل المعنى إلى عمق الاستعمال اللغوي المتمثّل في وضع الكلمات في أنساق معيّنة وكيفية انتظامها، وانتظام الجمل والمفردات، ورسم الصور، وانتظام ذلك كلّه مع المعنى، فالكلمة هي مادة التشكيل الفنّي لدى الأديب»[2].

فمن هنا تأتى أهمّية اللغة في فهم النصّ الأدبي في الدراسات الأسلوبية؛ فهي الأداة التي يستخدمها المنشئ في تشكيل مادّته الفنية تشكيلاً يعكس الأفكار والمشاعر إلى المتلقّي، سواء كانت بادية أم كامنة؛ فيفضي عليها بذلك ملامح جديدة وأبعاداً مختلفة تميّزه عن سواه.

وعلى هذا الأساس، فسوف تكون أداتنا الأولى في دراستنا الأسلوبية هذه، هي اللغة التي اخترنا في هذه الدراسة أن نستعد لدراستها معتمدين على مستويين لغويين: الصوتي والتركيبي سعياً للكشف من خلالهما عمّا يسكن خلف ستار الصورة المرئية لنصّ الخطبة ووصولاً إلى الخصائص الأسلوبية في الخطبة من خلال نافذتي الصوتية والتركيبية التي قد منحتها الصورة الفنّية المائزة عمّا سواها.

---

(١) المعجم الأدبي: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي: ١١٣.

تطبيق المستوى الصوتي والمستوى التركيبي في خطبة الإمام السجّادعليه السلام في مجلس «يزيد»

المستوى الصوتي في خطبة الإمام السجّادعليه السلام في مجلس «يزيد»

لا ريب أنّ الدراسة الصوتية تقع فى صميم دراسة النصوص الأدبية؛ لأنّ التحليل الأُسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيراً في فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها بالإضافة إلى ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها و«ليس يخفى أنَّ مادَّة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنَّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدّاً أو غُنَّة أو ليناً أو شدّة»[1]. و ليس يخفى ارتباط مستويات اللغة المختلفة ببعضها.

وتعتبر دراسة مستوى الصوتي الخطوة الأولى لدراسة المستويات الأخرى، فعلى سبيل المثال، لا يمكن دراسة الصرف دراسة صحيحة إلا بالاعتماد على الوصف الصوتي»[2].

ومن المعروف أنّ الكلمة تنتهي في أبسط عناصرها إلى «الصوت اللغوي»[3]. الصوت اللغوي هو الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة ما من نقاط الجهاز الصوتي[4]. ووصف الصوت بأنه لغوي، حتى لا يختلط

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية: ١٦٩.

(٢) أصوات اللغة العربية: ١٥.

(٣) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٢٦ .

(٤) المحيط فى الأصوات العربية ونحوها وصرفها: ٢١٣ .

بالأصوات غير اللغوية التي تصدر عن الكائنات غير الإنسان. فما يسمّى بمواء القطط ونباح الكلاب وعواء الذئاب وصهيل الخيل...ليس من اللغة في شيء. فالكلمة إذن لا تتكوّن إلا من أصوات لغوية بالمعنى المصطلح عليه[١].

لقد صنّف علماء اللغة العربية أصوات الحروف في مجموعات كثيرة، تارة بحسب مخارجها، وتارة بحسب كيفية النطق بها، وتارة ثالثة بحسب سهولة أو صعوبة النطق بها وما إلى ذلك، إلا أنّنا سنكتفي منها جميعاً بثلاث:

١ ـ الأصوات الصامتة[٢] والصائتة[٣]: الأصوات الصامتة هي جميع الحروف الهجائية، باستثناء الصائتة. والأصوات الصائتة هي (الألف، الواو، الياء). ويقال لها تارة: حروف اللين[٤].

٢ ـ الأصوات المجهورة والمهموسة: الأصوات اللغوية التي تصدر بطريقة ذبذبة الوترين في الحنجرة تسمّى بالأصوات المجهورة[٥]. الأصوات المجهورة في اللغة العربية فهي: (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن)[٦]، والأصوت المهموسة هي التي لا يهتزّ معها الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق بها. الأصوات المهموسة في اللغة العربية فهي: (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ)[٧].

---

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية: ٢٦.

(٢) cosonant.

(٣) vowel.

(٤) خصائص الحروف العربية: ٢٧.

(٥) الأصوات اللغوية: ٢٢

(٦) نفس المصدر: ٢٢

(٧) نفس المصدر.

٣- الشدّة والرخاوة وما بينهما: الشدّة في المعنى اللغوي تقف عند كلمة الصلابة(١)، في حين أنّه عند المعنى الإصطلاحي تنطبق على عملية حبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً كاملاً في موضع من المواضع، ومن ثم إطلاق سراح المجرى الهوائي بشكل فجائي بعد أن ضغط الهواء من خلال حبسه(٢). الأصوات التي تحدث من خلال هذه العملية تسمّى: بالأصوات الشديدة.

استعمال مصطلح (الشدّة) يعدّ من الاستعمالات الشائعة في كتب علماء اللغة القدماء، أمّا المحدّثون فقد انصرفوا عن استخدام مصطلح «الشدة» انصرافاً شبه تام، واستبدلوا مصطلحاً شائعاً الآن في كتب المحدّثين، وهو مصطلح «الانفجارية»(٣). إطلاق مصطلح «الانفجاري»(٤) على هذه الأصوات يعود للإنفصال الفجائي للأعضاء التي تحدثها، حتى إذا انفصلت فجأة، حدث الصوت كأنّه انفجار؛ وذلك كالانفجار الفجائي في صوت الباء(٥).

الأصوات الانفجارية في اللغة العربية هي: (ب، ت، د، ط، ض، ك، ق، أ)(٦). والحروف الرخوة(٧) هي التي لا ينحبس فيها النفس. وهي مرتّبة بحسب درجة رخاوتها: (س، ز، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ) ويسمّيها الدكتور بشير: بالحروف الاحتكاكية(٨). كما يضيف إليها حرفي (ع ، غ)(٩)، وأمّا الحروف

(١) لسان العرب، مادة شد.
(٢) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١١٥.
(٣) نفس المصدر: ١١٩.
(٤) plosive.
(٥) خصائص الحروف العربية: ٢٩ .
(٦) علم الأصوات: ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
(٧) liquids.
(٨) fricatives.
(٩) خصائص الحروف العربية: ٢٩.

المتوسّطة بين الشدّة والرخاوة فهذ: (ر، ع، ل، م، ن)[1].

بعد نظرة سريعة على الصوت اللغوي ودراسة بعض أنماطه، نتقدّم بدراسة المستوى الصوتي في خطبة الإمامعليه السلام بناءً على ثلاثة ملامح صوتية: الانفجار، الجهر والهمس، مع الاهتمام بالأصوات الليّنة، معتمدين في ذلك على توظيف المنهج الإحصائي الذي نقوم من خلاله بإحصاء الأصوات في النص بغرض تجلية السمات الأُسلوبية في المستوى الصوتي سالكين في ذلك الطرق التحليلية بناءً على الايحاءات الصوتية كشفاً عن جماليات النصّ وإعانة القارئ على لمس ما لم يظهر في الأغلب إلا بعد الوقوف الطويل والتثبّت.

أ ـ الأصوات الانفجارية: توزّع ورود الأصوات الانفجارية في خطبة الإمام السجّادعليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرّات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
أ	٨٣	٦٢	٥	٩	٧	-	-
ب	٨٨	٢٢	٤	٢٦	٣١	٣	٢
ت	٣٨	٢٤	٣	٧	-	٤	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-
ض	٨	٥	-	١	-	٢	-
ق	٢٣	١٢	٣	٦	٢	-	-

(١) الأصوات اللغوية: ٢٦ .

د	٢٨	١٠	٢	٩	٤	٣	-
ك	١٨	٦	-	٤	٥	٣	-
المجموع	٣٠٤	١٥١	١٩	٦٢	٥١	١٥	٢

ب ـ الأصوات المجهورة: توزَّع ورود الأصوات المجهورة في خطبة الإمام السجّاد عليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرّات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
ر	٦٩	٢٨	٦	٢٣	٧	٢	٣
م	١١٤	٤٧	٢٣	٢٧	١٠	٣	٤
ن	١٤٦	٥٦	٣٠	٢١	٢٥	١	١٣
ب	٨٨	٢٢	٤	٢٦	٣١	٢	٣
د	٢٨	١٠	٢	٩	٤	-	٣
ذ	٣	٢	-	-	١	-	-
ج	١٦	١١	-	٣	١	١	-
ض	٨	٥	-	١	-	٢	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-
ع	٣٧	٢٢	١	٨	٥	١	-
غ	١	١	-	-	-	-	-
ز	٥	٣	-	١	١	-	-
ل	١١٣	٢٢	٢	١٧	٥٨	١	١٣
المجموع	٦٤٦	٢٣٩	٧٠	١٤٠	١٤٥	١٣	٣٩

ج ـ الأصوات المهموسة: توزّع ورود الأصوات المهموسة في خطبة الإمام السجّاد عليه السلام حسب الجدول كما يلي:

الصوت	عدد مرّات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتشديد	عدد الاستعمال بالتنوين
ت	٣٨	٢٤	٣	٧	-	٤	-
ث	٦	١	٢	٢	١	-	-
ح	٣٧	١٨	٦	٨	٤	-	١
س	٤١	١٦	٥	٧	٩	٤	-
ش	١٤	١٠	١	١	٢	-	-
ص	١٦	٧	-	٣	٣	٣	-
ط	١٨	١٠	٢	٤	٢	-	-
ف	١٧	١٠	١	٣	٣	-	-
ق	٢٣	١٢	٣	٦	٢	-	-
ك	١٨	٦	-	٤	٥	٣	-
هـ	٢٥	١٣	٣	٧	٢	-	-
المجموع	٢٥٣	١٢٧	٢٥	٥٢	٣٣	١٤	١

تشير الجداول السابقة إلى أنّ النظام الصوتي في خطبة الإمام عليه السلام جاء متنوّعاً وحاوياً على تشكيلات صوتية متباينة صفةً ومخرجاً، وفي استنطاقنا لهذه الجداول والأرقام برزت لنا حقائق من أعماق الخطبة وهي على النحو التالي:

يتعلّق الجدول الأوّل بالأصوات الانفجارية، حيث بلغ عدد انتشارها في النص ٣٠٤ مرّات وهي كمّية صوتية تتطلّب جهداً صوتياً عالياً ونفساً طويلاً

لنطقها رغم دونها من أنواع الأصوات؛ حيث تتكوّن الوقفات الانفجارية بقطع النظر عن اللغة المعيّنة، بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تامّاً في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً. فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها «بالوقفات» (stops)، ولكنّها باعتبار الانفجار قد تسمّى: بالأصوات الانفجارية (plosives)[(١)].

السبب في هذا التواتر الكبير فى الأصوات الانفجارية بوصفها المائز فى خطبة الإمام السجّاد عليه السلام، تدلّ على تواجد فسحة رحيبة للمعاني الراقية وبالغة الأهمية فى الخطبة، حيث تستوجب انتشار الأصوات الانفجارية فى النصّ بتواتر كبير ومُلِح؛ وذلك لما تمتاز هذه النوعية من المادّة الصوتية بالميزانية الكبرى من القوّة فى شخوص المعاني الراقية والمهمة وبروزها فى النصّ كما يليق.

من الملاحظ على الجدول الأوّل المتكوِّن من الأصوات الانفجارية، أنّ صوت الباء طغى على بقية الأصوات الانفجارية، إذ بلغ عدد تواتره فى النص ٨٨ مرّة، وجاء ذلك مناسباً لأغراض الخطبة؛و على الأغلب أنّ هذا الانتشار جاء ضرورياً لسياق الفخر بالحسب النسيب الذي يشكِّل المحور الرئيس للخطبة المعنيّة.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: أنّ صوت الباء «صوت شديد مجهور. يتكوّن بأن يمرّ الهواء أوّلاً بالحنجرة، فيحرّك الوترين الصوتين، ثمّ يتّخذ مجراه بالحلق ثمَّ الفم حتّى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً. فإذا انفرجت الشفتان

(١) علم الأصوات: ٢٤٧.

سمعنا ذلك الصوت الانفجارى الذي يسمّى بالباء. فللنطق بالباء تنطبق الشفتان أوّلاً حين انحباس الهواء عندهما، ثمّ تنفرجان، فيسمع صوت الباء»[(١)] .

فطرية اللغة العربية، هى نظرية لغوية تعتقد على أنّ معنى كلّ كلمة عربية هو بالضرورة محصّلة معاني الحروف التى تشارك فى تركيبها[(٢)]، وأنّ معاني الحروف العربية هى صدى صوتها فى الوجدان أو النفس[(٣)]. وعلى هذا تقوم هذه النظرية بإرساء مبادئها على أنَّ أصول اللغة العربية قد اقتبست مباشرة من الطبيعة، وليست مجرّد مصطلحات عقلية قد تواضع الناس على معاني ألفاظها[(٤)].

فإذا أردنا اتّباع هذه النظرية اللغوية، ومن ثمّ القيام باستجداء إيحاءات صوتية لحرف الباء عبر طريقة الاستبطان، نجد أنّ صوت الباء يوحي بعدّة معانٍ كالانبثاق، الظهور، الانفراج، الاتّساع والشّق[(٥)]؛ ذلك ممّا يوافق خصائصه الصوتية ويحاكي خروج صوت الباء من بين الشفتين بعد الانطباق والانفراج.

«**أَنَا ابنُ مَن بَلَغَ بِهِ جِبرَئِيلُ إِلَى سِدرَةِ المُنتَهَى**»، هذه العبارة من العبارات التى قد استخدم فيها صوت الباء بصورة واضحة. فتجلَّى صوت الباء فى هذه العبارة واضحاً من خلال تواتره ٤ مرّات، وجاء هذا التواتر مناسباً للفخر والاعتزاز بالانتماء إلى العلوّ الأعلى، النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ذلك لأنَّ الفخر من معانٍ تلتمس القوّة فى التعبير اللفظى وأنّ صوت الباء من حيث إنّه صوت

---

(١) الأصوات اللغوية: ٤٧.
(٢) حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها: ٨٤.
(٣) خصائص الحروف العربية: ٢.
(٤) حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها: ٨٤.
(٥) خصائص الحروف العربية: ٦٢ ـ ٦٣.

انفجاری شدید، فلدیه ما یکفي من القوّة للتساهم فی التعبیر عن مفهوم الفخر کما یجدر. لا یخفی علی المتأمِّل أنَّ تکرار صوت الباء وإعادة خصائصه النطقیة بفواصل قریبة؛ أي ضغط الشفة علی الشفة بشيء من الشُّدة حبساً للنفس ومن ثمَّ انفراجهما الفجائي عن بعضهما البعض بشيء من الانفجار، إستطاع أن یصوّر عظمة المشهد من حیث إنّه لیس ممّا تعتاد علیه الحیاة البشریة، والحقیقة إن هو إلا فضل من الله سبحانه قد شرّفه به النبي الأکرم. ولا نبعد إذا قلنا: إنّ صوت الباء فی هذه العبارة قد عاضد علی شخوص مضمون التباهي وبروز إحساس الإمامعليه السلام بالفخر الکبیر للانتماء إلی خیر حسب ونسب علی الإطلاق بغرض إثارة نفوس الهامدة وتجییش العواطف السلیمة فی نفوس السامعین، اللذین طویا فی طومار الغفلة منذ أمد بعید.

نظراً إلی مضمون الفخر فی هذه العبارة ونظراً للإیحاءات الصوتیة لحرف الباء وتکراره، لا نبعد إذا قلنا: إنّ هذه العبارة رغم التعبیر عن الفخر بانتماء الإمام السجّادعليه السلام إلی خاتم الأنبیاء، محمّد المصطفیصلى الله عليه وآله، وأمیرالمؤمنین الإمام عليعليه السلام، والسیّدة فاطمة الزهراءعليها السلام، والإمام الحسنعليه السلام والإمام الحسینعليه السلام، الذین أضاءوا الدنیا بنور توحیدهم وإیمانهم العمیق بالله تعالی، تتضمَّن معنی «التأکید» علی مدی هذا الاعتزاز الفرید وفسحته الرحیبة التي لا یدری أین منتهاه.

فاق توتُّر الأصوات المجهورة علی الأصوات المهموسة، إذ بلغ تواتر الأصوات المجهورة ٦٤٦ مرة، فی مقابل ذلك نجد تواتر الأصوات المهموسة بلغ ٢٥٣ مرّة، وفی ذلك تفاوت واضح بین هذه الأصوات، ما یوافق محتویات الخطبة، ونظراً لأغراضها وموضوعاتها التي جاءت للفخر بالحسب النسیب العاطر

والتّباهي على أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومقامه السامي، وذكر مواقفه الفريدة من نوعها التي لم يتشرّف بها من أنبياء الله سوى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وذكر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وعلوّ مقامه ومواقفه الشجاعة والبطولية في محاربة الأعداء ومناصرة الدين، كان لصوت النون الانتشار الواضح، إذ بلغ تواتره ١٤٦ مرّة، وهو من أكثر الأصوات وروداً في الخطبة.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: إَنّ «النون صوت مجهور متوسّط بين الشدّة والرخاوة. ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محرّكاً الوترين الصوتيين، ثم يتّخذ مجراه في الحلق أوّلاً، حتى إذا وصل إلى أقصى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى، فيسدّ بهبوطه فتحة الفم ويتسرّب الهواء من التجويف الأنفي محدثاً في مروره نوعاً من الخفيف لا يكاد يسمع، فهي كالميم تماماً، غير أنَّه يفرق بينهما أنَّ طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا»[(١)].

وعن إيحاءاتها الصوتية يقول الدكتور حسن عبّاس: «إنّ صوت النون إذا لفظ مخَفَّفاً مُرقَّقاً أوحى بالأَناقة والرقّة والاستكانة، وإذا لفظ مشدّداً بعض الشيء، أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية، أمّا إذا لفظ بشيء من الشدّة والتوتّر، فلابدّ لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف) أوحى بالنتانة والخسّة».

وإذن فإنَّ موحيات صوت هذا الحرف ومعانيه تتغيّر بحسب كيفية النطق به،

---

(١) الأصوات اللغوية: ٥٨.

فهو يوحي تارة بالحركة من الداخل إلى الخارج، وهو الانبثاق، كما يوحي تارة أخرى بالحركة من الخارج إلى الداخل، وهو النفاذ فى الأشياء.

«**وَفُضِلنَا بِأَنّ مِنّا النّبي المُختَارَ محمّداً**» من الملاحظ أنّ صوت النون عبر تواترة ٤ مرّات وظهوره بشكل مشدَّد قد استخدم بصورة واضحة وجلية فى هذه العبارة. فالنون صوت أسنانيّ لثويّ مجهور[1]؛ استطاع بتكراره وتكرار المعنى الإيحائي أي البطون والصميمية والنفوذ إلى الداخل، أن يصوّر في أذهان السامعين ذَوَبان هذا الفضل وانصهاره حصرياً فى أهل البيتعليهم السلام. وكذلك معناه الإيحائي الذي كاد أن يُلمَس من كثرة تكراره، استطاع أن يلقي إلى السامعين بحقيقة تواجد ثمَّة نسبة دموية فيما بين أهل البيتعليهم السلام والنبي المختار محمّد المصطفىصلى الله عليه وآله، التي كان يسعى الإمام السجّاد عليه السلام ببيانها بشكل غير مباشر ومن غير اعتماد على الألفاظ التي تحوي هذا المضمون، ممَّا لهذه الطريقة الحظ الوافر فى استقرار المعنى وتسرُّبه فى النفوس.

فإذا كان صوت النون يتمتّع بحضوره الجليّ والمائز فى هذه العبارة، فإنّنا لا يمكننا تجاهل حضور الألف الليّنة المتكرّرة ٤ مرّات فى العبارة ودورها الفعّال فى انتقال المعاني الدقيقة. عند النطق بالأصوات اللّينة؛ أى«ألف، وأو، الياء» التى بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة[2][الأصوات الصامتة]؛ يستلزم أن يكون مجرى الهوى معها حرّاً طليقاً وأن تكون فتحة المزمار حين النطق بها منبسطة منفرجة[3]، ففي حصول صوت الألف اللّينة الذي يخرج الهواء عند النطق به حراً

---

(١) علم الأصوات: ٣٤٩

(٢) الأصوات اللغوية: ٨٠.

(٣) المصدر السابق: ٨٦

طليقاً، يخرج الصوت من جوف الفم مع حركة انفتاح الفكّين وارتفاع الرأس إلى أعلى، فيوحي صوتها بالامتداد إلى الأعلى[١].

في هذه العبارة الألف الليّنة نظراً إلى خصائصها الصوتية، استطاعت أن تكون خير عاضد في انتقال مدى سموّ الفضل المعني في هذه العبارة وعلوّه الأعلى إلى السامعين، ومن ثمَّ استطاعت الخصيصة الصوتية ـ أي حركة الصعود من التحت إلى الفوق ـ أن تفرز الكمّية الكبرى من الأثر البالغ في العبارة بغاية إثارة وإنهاض عواطفهم الهامدة في نفوسهم؛ كلَّما نُطِقَ بصوتها المُمتَدّ إلى الأعلى وكلّما تكرّرت تلك الحركة الإيمائية.

فإذا كان للأصوات الانفجارية والأصوات المجهورة السهم الوافر في شخوص المعاني وبروزها، فلا يمكننا أن نتجاهل حضور الأصوات المهموسة وقيامها ببعض المهمات المعنائية.

الجملات والعبارات التي حوت الحروف المهموسة في خطبة الإمام السجّاد عليه السلام كثيرة؛ ومن أبرز الأصوات المهموسة التي ظهرت في الخطبة صوت السين الذي بلغ عدد تواتره في الخطبة ٤١ مرّة، وكان ذلك واضحاً في هذه العبارة: «**وَ فُضِّلْنَا بِأَنّ... منّا أَسَدُ اللهَ وأَسَدُ رَسُوله**»[٢].

وردت السين في هذه العبارة ٣ مرّات، وتكرّرت بفواصل قريبة، ممّا جعل أن يبرز صوت السين في العبارة بوضوح. السين صوت رخو مهموس؛ عند النطق به يندفع الهواء مارّاً بالحنجرة، فلا يحرّك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه، وعند التقاء طرف اللسان بالثنايا السفلى أو

(١) حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها: ٨٨.
(٢) الأسد استعارة من حمزة رحمه الله.

العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيّق جداً يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصفير العالي. قيل أنّ الأصوات التى يسمع لها صفير هي: (ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف). تختلف هذه الأصوات فى نسبة وضوح صفيرها، وأعلاها صفيراً هى السين والزاي والصاد .

إذا تأمّلنا العبارة النموذجية من الخطبة ووقفنا عندها وقوف المدقّق الصبور، رأينا أنَّ صوت السين بتواتره الثلاثي وحضوره القوي من خلال تكراره بفواصل قريبة، ومن ثمَّ تكرار جرسه الصوتي الرائع أي صفيره الحاد العالي، أنَّه قد نجح فى أن يصوّر ببراعة وبشكل رهيف حدّة حمزة وشجاعته فى محاربة أعداء الله ورسوله ومواجهتهم كالسيف الحادّ.

المستوى التركيبي فى خطبة الإمام السجّاد عليه السلام فى مجلس «يزيد»

المستوى التركيبي يستنبط من خلال الجملة المنطوقة أو المكتوبة على المستوى التحليلي أو التركيبي، ويطلق على هذا النوع من الدلالة الوظائف النحوية أو المعاني النحوية[1].

وعلم الأسلوب يرى فى هذا المستوى عنصراً هاماً فى بحث الخصائص المميّزه لنصٍّ أدبيّ ما، وهو فى الأغلب يتوجه الى بحث العناصر التالية: دراسة طول الجملة وقصرها، دراسة أركان التركيب كالمبتدأ والخبر، الفعل والفاعل، والعلاقة بين الصفة والموصوف، والإضافة والصلة وغير ذلك، دراسة ترتيب التركيب، لأنّ تقديم عنصر أو تأخيره يؤدّي الى تغيير الدلالة، ولأنّ الأديب لا

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٧٨.

يلتزم دائماً بلقواعد الترتيب العامّة التي يرصدها اللغويّون، دراسة الروابط كبحث استعمال الواو، الفاء، ثمّ، اذن، وانعكاسات ذلك على الأُسلوب، دراسة الفصائل النحوية، كالتذكير والتأنيث، التعريف والتنكير، العدد، ودراسة الصيغ الفعلية وتركيباتها والزمن وتتابعه، ودراسة البناء للمعلوم والبناء للمجهول.

وجانب آخر من المستوى يمكن أن يستنبط من المعاني العامّة للجمل والأساليب الدالّة على الخبر والإنشاء، والإثبات أو النفي، والتأكيد والطلب كالاستفهام، الأمر، النهي، العرض، التخصيص، التمنّي، الترجّي، النداء، والشرط باستخدام الأدوات الدالّة على هذه الأساليب[1]، وذلك بغرض التوصُّل إلى السمات الأسلوبية فى هذا المستوى التي يمكننا من خلالها الكشف عن معانٍ عادةً لا تبدو للقارئ إلا إذا أطلّ على النصّ من نافذة الأدب.

في هذا البحث وفقا لتنقيب وإمعان النظر في الخطابة حاولنا التركيز على أهم السمات البارزة في المستوى التركيبي للنص المدروس، فجاءت دراستنا لهذا المستوى في ما يلي:

* افتتح الإمام السجّاد عليه السلام خطابه بحرف النداء (أيّها)، وهذا اختيار حسن وموفّق وفي غاية الدقة يتماشى مع غايته والموقف الذي يسعى إلى التعبير عنه. فأداة النداء كانت وكأنَّها سوط يرفع ويهوي على النفوس الهامدة بغية إيقاظها، وكانت خير عاملٍ في إثارة السامعين ووعيهم وحملهم على الالتفات أكثر فأكثر.

وثاني اختيار نجده في لفظة «النّاس» دون غيرها من الألفاظ؛ فالإمام عليه السلام لا

(١) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية: ٤٣.

يخاطب يزيد فحسب، بل يطلب إقبال كل من كان حاضراً في مجلس يزيد، ووجّه كلامه إلى عامة الناس، إذ كان لجهل الناس الأثر الكبير في وصول الأمر الى هذه الحالة. فينقل لنا الإمام عبر هذا الأسلوب مجموعة من المدلولات التي تعمل على إيقاظ من طوته الغفلة وتقوم على توعية الرأي العام.

عند الاحتفاء بدراسة سياق الجملة في الخطابة المعنية ظهرت الجمل الاسمية بصورة ملفتة للانتباه، وهذا الظهور المكثّف إنّما يبرزه الملمح الأسلوبي. إنّ المتتبّع لهندسة الجمل في الخطبة يلحظ أنّ الإمام عليه السلام بنى نص خطبته على الجمل الاسمية ـ التي تتألّف من المبتدأ والخبر، أي من مسند إليه ومسند، فقلّما يستعمل الإمام عليه السلام الجمل الفعلية: «**أُعطِينا ستّاً وفَضُّلْنا بسبعْ ـ أشْهدُ أنَّ محمّداً رسَولُ الله ـ شَهد بها شَعرْي وبَشَري ولحْمي ودَمَي**». يقول اللغويون: إنّ الجملة الاسمية تفيد الثبوت، ولعلّ هذا هو ما نفسّر به اختيار الإمام للجمل الاسمية.

فإليك الآن أُنموذجاً من الجملات الاسمية التي تَبوَّأت مَكاناً مكاناً سامياً في البناء الجملي للخطبة:

«**أنا ابنُ مَكَّةَ ومنى، أَنا ابنُ زَمزَمَ والصَّفا، أَنا ابنُ مَن حَملَ الرُّكنَ بأَطرافَ الرِّدا، أنا ابنُ خيرَ مَنِ ائتزر وارتدى، أَنا ابنُ خير مَنِ انتعل واحتفى، أنا ابنُ خير من طافَ وسَعى، أنا ابن خير من حَجَّ ولَبى، أنا ابنُ مَن حُملَ على البراق في الهواء، أنا ابنُ من أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابنُ مَن بَلَغَ به جِبرئيلُ إلى سدرةَ المنتهى،... أنا ابن المرتضى، أنا ابن من ضربَ خَراطيم الخَلقَ حتّى قالوا : لا إله إلّا الله....أَنا ابنُ فاطمَةَ الزَّهراء، أنا ابن سَيّدة النساء، أنا ابن الحسين القتيل بكربلاءَ، أَنا ابن المرَمَّلَ بالدِّماء**».

فقد حملت لنا الجمل الاسمية هنا معنى الثبات والاستقرار، إذ يكنّى ويوحي

الإمام من خلالها بأنّ شرفه ثابت لم يتغيّر وإن حاول خدشه الحكّام الأمويّين وغيرهم من الأعداء. إنّ الحقائق أمور ثابتة لا تتغيّر بسهولة، فمهما فعل يزيد والعدو اللدود لمحو سمو مكانة أهل بيت النبوّة وخطر شأنهم فإنّه لا يجد إلى ذلك سبيلاً، فهو كالراقم على الماء.

والدلالة الأخرى لطغيان الجمل الاسمية في الخطاب هي استقلاله عن الزمن، فالإمام عليه السلام في مقام إشادته بفضائل العترة الطاهرة يعكس حالة الوصف ويستقل عن الزمن وحركيّته، ويوحي بأنّ منزلتهم السامية لا تتوقّف في زمن معيّن فهي سوف تبقى شامخة وعالية على مدى العصور على الرغم من محاولات الأعداء. فتكثيف استخدام الجملة الاسمية رغبة من السجّاد عليه السلام يتوافق مع الدلالات المقصودة لكونها وصفاً لأحداث وموجودات ثابتة.

أمّا أوّل ما نلحظه من خلال تقصّينا للجمل الاسمية هو تكرار نفس المبتدأ، ألا وهو ضمير المتكلّم للوحدة(أنا) المتواتر في الخطبة في ٢٦ مرة. فقد أطنب الإمام في هذا الأسلوب، وذلك بهدف إعلان قمّة التعظيم والإكبار والفخر والكشف عن تراكماته الشعورية والإنماء عن نفسيته المتألمة في نفس الوقت، فلا شكّ أنّ الإطناب في فلسفة اللغة من أرقى أساليب البلاغة ومن أروع صورها ووجوهها.

«أنا ابنُ مَن حُملَ على البراق في الهواء، أنا ابنُ من أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى،أَنا ابنُ مَن بَلَغَ بِهِ جَبرئيلُ إلى سدرةَ المُنتَهى، أَنا ابنُ مَن دَنا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوسَين أَو أَدنَى، أَنَا ابنُ مَن صَلَّى بِمَلائكَةِ السَّماء....أَنَا ابنُ مَن بَكَى عَلَيه الجِنُّ في الظَّلماءِ، أَنا ابنُ مَن نَاحَ عَلَيهِ الطُّيُور فِي الهَواءِ» .

فالملاحظ هنا ميل الإمام إلى التعبير عن فكرة الفخر وعلو الشأن من خلال ضمير المتكلّم للفرد وتأطير خطابه بالإطار الشخصي، فيبلغ تمجيد الذات ذروته بحيث تردّد صدى الأنا في النص بوضوح. في التزام الإمام سيّدالساجدين عليه السلام بذكر هويّته الشخصية (أنا) إضافة على التمجيد، حكمة وتدبير سياسيّ واع، إذا لم يكن له في مثل هذا المكان والزمان أن يتطرّق الى شيء من القضايا الهامّة. لكنّ كلام الإمام لم يكن في الحقيقة إلا كلاماً مليئاً بالتذكير والإيماء، التذكير والتنويه بنسبه الشريف، واتّصاله بالإسلام، وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله. وقد ذكّر الإمام زين العابدين عليه السلام بكل المواقع الجغرافية، والمواقف التاريخية الحاسمة في الإسلام، وربط نفسه بكلّ ذلك، فسرد ـ وبلغة شخصية ـ حوادث تاريخ الإسلام، معبّراً بذلك عن رفضه للواقع السياسي الذي لم يحسن أداء أمانة الخلافة.

من السمات الأسلوبية البارزة الأخرى التي يعمد السجّاد عليه السلام إلى توظيفها هي استعماله أسلوب الوصف. بما أنّ موضوع الخطابة جاء في معرض تعريف الإمام بشخصه وهويته وبالأسرة النبوية وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله تعالى وما قامت به من أعمال جهادية في سبيل إحقاق الحقّ، فإنّ اختيار أسلوب الوصف اختيار يتناسب وطبيعة الغرض المراد، وذلك لما في الوصف من خصائص أُسلوبية توضّح الدلالة وتبرزها للمتلقّي بصورة وكأنّها لوحة مرسومة بعناية تلخّص رؤية الإمام لأصله ونسبه.

يصف الإمام حسبه النسيب بحشد هائل من المواصفات الفاضلة:

«أَنَا ابنُ خَير مَن ائتَزَرَ وارتَدى، أَنا ابنُ خَير مَن انتَعَلَ واحتَفى، أَنا ابن خير مَن طافَ وسَعى، أَنا ابنُ خَير مَن حَجَّ ولَبى... أَنا ابنُ مَن ضَرَبَ بين يدي رسول لله بِسَيفين وطَعَنَ بِرُمحَين وهاجَرَ الهَجرَتين وبايَعَ البيعَتين وقاتَلَ بِبَدرٍ

وحُنَين ولَم يَكفُر بالله طَرفَةَ عَين....سَمِحٌ سَخيٌّ، بُهلولٌ، زَكيٌّ، أَبطَحيٌّ، رَضيٌّ، مقدامٌ هُمَامٌ، صَابِرٌ صَوَّابٌ، مُهذَّبٌ، قَوَّامٌ.... أَسَدٌ بَاسِلٌ.... لَيث الحجَاز، وكَبشُ العراقِ، مَكِّيٌّ مَدَنيٌّ ... عَقَبي، بَدرِيٌّ أحُديٌّ، شَجَرِيٌّ، مُهاجِريٌّ....».

إنّ هذا التكثيف في اُستخدام اُسلوب الوصف جاء بغرض توضيح الصفات الخلقية والدينية لأهل بيت النبوّة، ووصف تضحياتهم في سبيل الدين، وعلو منزلتهم ، وعظيم دورهم في بناء الإسلام في نفوس الناس. فكلّ الصفات التي مرّ ذكرها تجعل منهم مثلاً أعلى في الأخلاق وقمّة سامقة في الإيمان والإصلاح وما شابه ذلك من الصفات التي تضفي الجلال والقداسة على ذات أهل البيت، فهم خير أهل الأرض فعلاً؛ لأنّهم في أخلاقهم وخصوصياتهم يفوقون البشر. فالإمام عبر هذا الأسلوب ينافح عن البيت النبوي والعلوي، ويجمع الأنصار من حوله لمجابهة نظام الطغاة.

ومن اللافت في النص المتّخذ للدراسة تكرار اسم الفاعل بصورة تجعله ظاهرة أسلوبية بارزة. قبل الولوج إلى صلب الموضوع المراد لابدّ من التعريف باسم الفاعل وبيان دلالته:

اسم الفاعل: «وصفٌ يشتق من مضارع الفعل المبني للمعلوم لمن وقع منه الفعل أو قام به، ويشبه المضارع الذي يشتق منه في أمرين: أحدهما لفظي والآخر معنوي، فمن حيث اللفظ يشبه اسم الفاعل مضارعه في تتابع حركاته وسكناته تمام الشبه. ثمّ إذا أريد باسم الفاعل الحال أو استقبال كالمضارع فيكون بذلك قد شابهه في المعنى»(١). و اسم الفاعل يعدّ صفة في المعنى، والصفة هنا تدل على الموصوف بما تحمله من معنى الحدث. وهذا ما أشار إليه

(١) المدخل الى علم النحو والصرف: ٨٣

الزمخشري في قوله: «الصفة هي: الاسم الدال على أحوال الذات، وذلك نحو طويل وقصير وعاقل وقائم وقاعد»[١]. ويقول فاضل صالح السامرّائي : إنّ اسم الفاعل «يدلّ على الحدث والحدوث وفاعله»[٢] ويقصد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت، فـ«قائم» ـ مثلاً ـ اسم فاعل يدلّ على القيام، وهو الحدث، وعلى الحدوث أي التغيّر، فالقيام ليس ملازماً لصاحبه، ويدلّ على ذات الفاعل أي صاحب القيام.

الإمام زين العابدين عليه السلام في معرض فخره بالمنزلة العظيمة التي تتمتّع بها العترة النبوية ـ وبخاصة حين يصف الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والعلمية والجسدية لجدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ يستخدم اسم الفاعل للدلالة على كثرة فاعليتهم بالحياة الاجتماعية والدينية والسياسية (المحامي، المجاهد، قاطع، مفرّق، قاصم، مبيد، ناصر)، كما أنّ صياغة الألفاظ على اسم الفاعل يفيد التجدد والاستمرارية أيضاً.

«أَنا ابنُ صَالِحِ المُؤمنين، ووَارِثِ النَّبيين وقَامِعِ المُلحِدين.... أَنَا ابنُ المُحَامي عَن حَرَمِ المُسلمين وقَاتِلِ المَارقين والنَّاكثين والقَاسِطين ...و المُجَاهِد أَعداءَهُ النَّاصِبين...وَ قاطِعا للأَصلابِ ومُفَرِّقُ الأَحزابِ...وَ قَاصِم المُعتَدِين ومبيد المشركين، وناصر دين الله».

استخدام الإسم الفاعل بشكلٍ مُلح وانتشاره المُكثّف في نص الخطبة، كان من السمات اللغوية التي تميّزَ بالحضور البارز والمُلفت، وكان لهذا الحضور البهي، الوافر من الحظ في تعزيز المعنى وإثراء الإيقاع الداخلي إلى أن استطاع

(١) شرح المفصّل ٣: ٤٦.

(٢) معاني الأبنية في العربية: ٤١.

أن يكمن كمّية هائلة من الاستعداد لتسرّب المعاني واستقرارها في نفوس السامعين.

جاء استخدام الإمام للإضافة استخداماً متميّزاً وملفتاً للنظر، ممّا أحدث تجاوباً موسيقياً وتنغيماً إيقاعياً. الإضافة: نسبة اسم إلى اسم آخر وإسناده إليه. وقد استقرّ الأمر مؤخّراً على أنّ الإضافة، إما تكون بمعنى «اللام» نحو «كتاب محمّد» أي كتاب لمحمّد، أو تكون بمعنى «من»، وذلك إذا كان المضاف إليه جنساً للمضاف كـ«خاتم فضة» أي خاتم من فضة، أو تكون بمعنى «في»، وذلك إن كان المضاف إليه ظرفاً واقعاً فيه المضاف نحو: ﴿**بل مكر الليل والنّهار**﴾[1][2].

«**أنا ابنُ صالح المؤمنين و وَارث النَّبيِّين وقَامع المُلحدين ويَعسُوب المُسلمين ونُور المُجَاهدين وزَين العَابدين وتَاج البَكّائين وأَصبَر الصَّابرين وأَفضَل القائمين من آل ياسين رَسُول رَبِّ العَالَمين....وَ أَوّلُ مَن جَابَ واستَجَابَ لله ولِرَسُوله منَ المُؤمنين وأَوّلَ السَّابقين**».

يبرز التركيب الإضافي بوضوح عبر الأسطر المذكورة نموذجاً، حيث نجده يتكرّر في مختلف أجزاء الخطاب، ويعود ذلك لأسس اختيار الإمام الأسلوبية حيث وجد في الإضافة نوعاً من التركيب المساعد لإيصال الدلالة. فإضافة «صالح»، «يعسوب»، «نور»، «زين»، «تاج»، «أصبر» و«أفضل» مثلاً جاءت لزيادة المعنى عمقاً وتحديداً، إذ تشير إلى تفوّق البيت النبوي على جميع من يملكون الصفات الحسنة، وكون البيت النبوي قمّة كلّ فضيلة ومنقبة.

---

(١) سورة سبأ: ٣٣.

(٢) معاني النحو ٣: ١١٧ ـ ١١٨.

النتيجة

في طيّات هذه الدراسة نتائج مبثوثة في ثناياها، نجملها فيما يلي:

١ـ وظّف التعبير الخطابي أصوات الانفجار والجهر والهمس توظيفاً يقصد إلى تصوير المواقف وتشخيصها تشخيصاً يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من دلالات ومعانٍ، وإنّ هذا النظام الصوتي جاء حاوياً تشكيلات صوتية بما فيها من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية أضافت على النص الخطابي أجواءً نفسية مؤثّرة.

٢ ـ تمثّل الجمل الاسمية ظاهرة أسلوبية في الخطابة، إذ طغى ورودها ووفقاً لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والدوام، استخدم الإمام هذه الجمل ليوحي من خلالها بأنّ مكانته وشرفه ثابتتان لم تتغيّر وإن حاول خدشه الحكّام الأمويّين وغيرهم من الأعداء. كما أنّ لطغيان الجمل الاسمية في الخطاب دلالة أخرى وهي استقلاله عن الزمن، فالإمام عليه السلام في مقام إشادته بفضائل العترة الطاهرة يستقل عن الزمن، ويوحي بأنّ منزلتهم السامية لا تنحصر في زمن معيّن، فهي سوف تبقى شامخة وعالية على مدى العصور.

٣ ـ تكرَّر اسم الفاعل ـ والدال على الحدث والحدوث وفاعله ـ بصورة ملفتة جعل الدارس يعيره اهتمامه ويلتمس آثاره. الإمام زين العابدين عليه السلام في معرض فخره بمنزلة الأسرة النبوية السامية ـ وبخاصّة حين يصف الفضائل الإنسانية والكمالات الروحية والعلمية والجسدية لجدّه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ يستخدم اسم الفاعل للدلالة على كثرة فاعليتهم بالحياة الإجتماعية والدينية والسياسية.

٤ ـ بما أنّ موضوع الخطابة جاء في معرض تعريف الإمام بشخصه وهويته

وبالأسرة النبوية وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله تعالى وما قامت به من أعمال جهادية في سبيل إحقاق الحقّ، جنح الإمام إلى توظيف أسلوب الوصف. فكلّ المواصفات الفاضلة التي ذكرها الإمام في خطبته تجعل منهم مثلاً أعلى في الأخلاق وقمّة سامقة في الإيمان والإصلاح، وتضفي الجلال والقداسة على ذات أهل البيت. فالإمام عبر هذا الأسلوب ينافح عن البيت النبوي والعلوي ويجمع الأنصار من حوله لمجابهة نظام الطغاة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

الكتب:

١ ـ إعجاز القرآن والبلاغة والنبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار المنار، مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢ ـ أصوات اللغة العربية، عبد الغفّار حامد هلال، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣ ـ الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، مصر، القاهرة، ١٩٩٢م.

٤ ـ الأسلوبية والأسلوب، عبد السَّلام المسدي، الدار العربية للكتاب.

٥ ـ الأسلوب، أحمد الشايب، www.lib.eshia.ir.

٦ ـ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، مصر، القاهرة.

٧ ـ البلاغة والأسلوبية، محمّد عبد المطّلب، مكتبة لبنان ناشرون ، لبنان، بيروت، ١٩٩٤م.

٨ ـ خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عبّاس، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٨م.

٩ ـ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، دارغريب، مصر، القاهرة.

١٠ ـ شرح المفصّل، ابن يعيش (موفّق الدين يعيش بن علي)، عالم الكتب، لبنان، بيروت.

١١ ـ علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢ ـ علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيق، فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة، ١٤١٩ق.

١٣ ـ لسان العرب، ابن منظور، أدب الحوزة، إيران، قم، ١٤٠٥هـ.

١٤ ـ اللغة العربية معناها ومبناها، تمّام حسّان، عالم الكتب، مصر، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٥ ـ المعجم الأدبي، جبّور عبد النور، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

١٦ ـ المصطلح الصوتي فى الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر المعاص، لبنان، بيروت، سورية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.

١٧ ـ معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرّائي، دار عمّار، عمان ـ الأردن، ٢٠٠٧م.

١٨ ـ المدخل الى علم النحو والصرف، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، لبنان، بيروت، ١٩٧٤م.

١٩ ـ المنهج الصوتى للبنية (رؤية جديدة فى الصرف)، شاهين عبد الصبور، مؤسّسة الرسالة، لبنان، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٠ ـ المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمّد الأنطاكى، دار اشرق العربي، لبنان، بيروت.

٢١ ـ معاني النحو، فاضل صالح السامرّائي، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٠م.

المقالات والمجلات

٢٢ ـ حول معاني حروف المعاني وأصول استعمالها، حسن عبّاس، اللسان العربي (٣٩٢)، ١٩٩٦م.

٢٣ ـ المنهج الأسلوبي فى دراسة النصّ الأدبي، خليل عودة، مجلّة النجاح للأبحاث (٨)، ١٩٩٤م.



مصطلحات العرفان وعرفان الصحيفة

دراسة تطبيقية بين المصطلحات العرفانية الحاضرة والقضايا العرفانية في الصحيفة السجّادية

❐ محسن مدني نجاد، وراضية لوني، ومحمّد مدني نجاد

العرفان الإسلامي مصطلح جذري وأصيل في الثقافة الإسلامية ونشأ منذ العهود الأولى من بزوغ فجر الإسلام. شاهد العرفان الإسلامي تطوّراً كبيراً بعد مرور بضعة عهود عن انطلاقه، وشيئاً فشيئاً برز كَعلمٍ مدروس من جانب الباحثين وحظي بالاهتمام البالغ من قبل المستشرقين في السنوات الأخيرة. والملفت للنظر أنّه بعد ملل البشرية من الحياة الميكانيكية، سرعان ما توجّه الإنسان إلى خلل الروحانية وراح يبحث عن ملجأ يلجأ إليه لتلبية هذه الحاجة الفطرية. وهنا نرى أهمّية تبيين ما جاء في الصحيفة السجّادية حول العرفان الحقيقي. والجدير بالذكر أنّه لم نجد مثل هذه الأبحاث في الدراسات الموجودة في الساحات العلمية رغم أهمّية النصوص الدينية وأخذ المفاهيم الأصلية من مثل هذه النصوص.

المقالة تسعى أن تبيين العرفان الموجود في الصحيفة السجّادية، وتقوم بدراسة تطبيقية بينه وبين بعض المصطلحات العرفانية الموجودة في علم العرفان الناظرة إلى المضامين الموجودة في الصحيفة.

أمّا الكلمات الرئيسة فهي معروفة تقريبا للأُخوة الأعزّاء واختيرت لأهمّيتها

في هذا البحث. ويلزمنا التذكار بأنه للشمولية الأكثرية على الموضوع ومراعاة الاختصار في هذه المقالة درسنا عشرة مداخل من المداخل العرفانية للصحيفة السجّادية، وقسنا هذه المداخل العشرة بالمصطلحات العرفانية الموجودة في الكتب العرفانية. كذلك أتينا في هذه المقالة ببعض المصطلحات الجديدة التي برأينا تصلح أن تكون مصطلحاً عرفانياً لكنّه ما شهدنا مجيئها في كتب العرفان. والجدير بالذكر أنّ كتّاب المقالة لمراعاة عدد الصفحات، أتوا بمثالين من نصّ الصحيفة فقط من بين الأمثلة الكثيرة والمناسبة للذكر، وذكروا بعض الأمثلة في الهامش.

١ - الرضا والسخط:

اللّفظتان اللّتان استعملت في الصحيفة مشتقاتهما مثل الرضوان والرضا. واللفظة في الحقيقة اللغوية بمعنى الرضا القلبي[(١)]، وهي ضدّ السخط[(٢)] وتأتي بمعنى الاختيار[(٣)] كذلك، وأصل المادة يدل على ملائمة ميل الإنسان مع الذي يواجهه[(٤)]. الرضا يعني رفع الكراهة وتحمل مرارة أحكام القضاء والقدر، ومقام الرضا يأتي بعد مقام التوكّل[(٥)].

إذن الرضا هو ترك السخط، والسخط يعني يطلب الإنسان غير ما قدّره له

(١) ترجمة وتحقيق مفردات ألفاظ القرآن ٢: ٨٠.
(٢) قاموس القرآن ٣: ١٠٤.
(٣) مصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢٣٠.
(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٤: ١٥٢.
(٥) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٢٣١.

ربّه يرى ذلك الغير لنفسه أولي ممّا آتاه الله. وهذا حرام ومنهي عنه في الشريعة المقدّسة[١].

وفي الاصطلاح بمعنى ترك الاعتراض علي المقدّرات الإلهية في الباطن والظاهر، قولاً وفعلاً[٢] بحيث لا يطلب العبد مقاماً أكثر ممّا جعله الله له[٣]، وهذا من أعلى درجهات التكامل؛ لأن للتكامل درجات: الأوّل: الصبر، الثاني: تنزيه الرب، الثالث: الشكر والحمد لله، الرابع: الرضا بالقضاء الإلهي[٤].

ورد في الكشاف: الرضا في إصطلاح أهل السلوك هو التلذذ بالبلوى وقيل: الخروج من رضا النفس والدخول في رضا الربّ[٥]. بعبارة أخرى الرضا هو رضا القلب بالقضاء الحادث والالتذاذ بالبلاء ورفع الكراهة وتحمّل مرارة أحكام القضاء والقدر[٦]. وجاء في الطبقات: الصبر والرضا شكلان، إذا تعمّدت في العمل فإنّ أوّله صبر وآخره رضا، وإذا أردت أن تكون في راحة فكل ما أصبت والبس ما وجدت وارض بما قضى الله عليك[٧]. وكذلك جاء: إنّ من ضعف اليقين أن تسخط الناس بسخط الله، وأن تحمد على رزق الله، وأن تذمّهم على ما لم يؤتك الله[٨]، وقال صاحب العدّة: «اللهمّ، إنّي أسألك بالرضا بعد القضاء وبرد

---

(١) راه نجات(ترجمه كتاب منهاج النجات): ١٧٥.

(٢) معراج السعاده: ٦١٢.

(٣) شرح منازل السائرين: ١١٤.

(٤) تفسير نور ٧ : ٤١٢.

(٥) الكشاف: ٥٩٧.

(٦) شاخ نبات حافظ، مادة الرضا.

(٧) الطبقات الكبرى: ٦٦.

(٨) المصدر السابق.

العيش بعد الموت»[١].

وقال البعض: إنّ الرضا من أوائل مسالك أهل الخصوص وأشقّها على العامّة ومن هنا يعتقد هذا الباحث: أنّ مقام الرضا أعلى مرتبة من مقام الصبر؛ لأنّه جَعَل الصبر في البحث الماضي من منازل العامّة. ولكن من الصحيح هنا القول: بأنّ الرضا مقام فوق مقام الصبر؛ لأنّ الصبر قد يكون صبراً على مضض، ولكنّ الرضا يعني: عدم المضض، ويعني: حبّه لما يريده اللَّه تعالى كما مضى عن الحسين عليه السلام قوله: «... **رضا اللَّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أجور الصابرين**».

والرضا على قسمين:

الأوّل: الرضا الذي يكون من ثمار الحبّ، فإنّ رضا المحبّ في رضا محبوبه، وإن كان رضا محبوبه في موت المحبّ لأحبّ الموت، أو في ابتلائه لأحبّ الابتلاء.

والثاني: قسم آخر للرضا أقلّ مرتبة من ذاك، وهو: الرضا الذي يكون من ثمرّات العلم بأنّ اللَّه تعالى لا يقدّر لعبده إلا ما فيه خيره. و... والروايات تؤيّد هذين النوعين[٢].

و الرضا من صفات الفعل لا من صفات الذات؛ لأنّه لو كان من الصفات الذاتية و كان الله في ذاته متّصفاً به، لم تكن لتغيّر هذه الصفة ولا تزول، والحال أنه لو يعمل الإنسان الحسنات فسوف يرضا الله منه، ولو يعمل السيئات لم يرض

---

(١) العدّة ٣ : ٤٠.

(٢) تزكية النفس، الفصل الثالث والعشرون:٣٢٢.

منه الله، ولو تاب بعده فسيرضى الله منه ثانية[١].

مقابل الرضا هو«السخط»، وعندما ننسب هاتين الكلمتين إلى الله (الذي ليس عنده نفس ولا قلب) المراد منه الثواب والعقاب... لأنّه محال أن يقع الله تعالى في معرض الحوادث[٢].

ومن فوائد رضا العبد بالقضاء الإلهي، هو رضا الله منه، وهذا أكبر مرحلة السعادة في الدارين، ولا توجد في الجنة نعمة أعلى منها[٣]. إذن معنى رضى الله من العبد هو محبّته وفي الآخرة يسبّب دوام نظره وتجلّيه الذي لا يوجد مرحلة أعلى منها[٤].

فائدتا صفة الرضا:

الأولى أنّها تسبب فراغ القلب وتقليل الحزن من الإنسان. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أعلم الناس بالله أرضاهم من الله**»[٥].

الثانية: أنّها تمنعنا عن خطر أكبر والنفاق الذي يسبّبه عدم الرضا من القضاء الإلهي[٦]. وطبقاً لكلام الإمام علي عليه السلام: «**الرضا هو ثمرة اليقين**»[٧].

---

(١) تفسير أحسن الحديث ٤: ٣٠٢.

(٢) ترجمه تفسير الميزان ١٨: ٤٢٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٢ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

(٤) علم أخلاق إسلامي(ترجمة كتاب جامع السعادات)، ترجمة سيّد جلال الدين مجتبوي٣: ٢٥٨.

(٥) أصول الكافي ٣: ٩٩. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَرْضَاهُمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ».

(٦) منهاج النجاة: ١٧٦-١٧٩.

(٧) شرح آقا جمال الدين خوانسارى علي غرر الحكم ١: ١٩١.

والرضا على ثلاث درجات: **الأولى**: الرضا العامّ، وهو الرضا بمقام الربوبية؛ يعني يجعل العبد السالك نفسه تحت الربوبية الإلهية ويخرج نفسه عن سلطنة الشيطان و... **الثانية**: الرضا بالقضاء والقدر؛ يعني الرضا من كلّ ما يحدث، وهذا أعم من البليّات والأمراض والأفراح و... **الثالثة**: الرضا برضا الله، وهو أن لا يرى العبد من عند نفسه غضب ولا فرح. في هذه الحالة كل ما يختار له الربّ يصبح حسناً عنده... ويعبّر عنها بـ «الرضا برضا اللّه»[1].

أمّا الآن نشير إلى استعمالين من استعمالات كلمة ومصطلح الرضا في الصحيفة السجّادية:

١ - «**وحَقِّقْ في رَجآءِ رَحْمَتِكَ أَمَلي، وسَهِّلْ إِلى بُلُوغِ رِضاكَ و...**»[2].

هنا يريد السالك من الرب أن يسهّل طريق وصوله إلى محبوبه، وهو نفس الله تعالى.

٢ - «**وَاجْعَلْنا لَهُ سامِعينَ مُطيعينَ، وفي رِضاه ساعينَ ...**»[3].

و هنا يطلب السالك من الله تعالى أن يجعله من المجتهدين في طريق الوصول إلى رضاه. وفي العبارات التالية نرى أن مغزى الكلام هو التوفيق لأعمال يوجب رضا الله والإمام عليه السلام بعنوان إمام السالكين والتوفيق للوصول إلى نية رضي الرب في الأمور، وعدّ الوصول إلى رضا الله من أهداف دعائه.

---

(١) شرح حديث جنود عقل وجهل: ٥٠٣.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٢٠؛ خط ١.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٦٢؛ خط ٦، وص٣١٥، خط ٤ وص٨٩ خط٦، وص ١٢٠، خط ١.

٢ - الحمد والشكر:

هذا المصطلح ينسب إلى الله وإلى العباد كذلك، ولكن في معنيين:

الشكر الذي ينسب إلى العباد ونراه في مثل: ﴿**لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾، وشكروك بفضلك و... يعادل شكر العبد من منعمه وربّه[1]. إذاً «الشُكر» هنا بمعنى ذكر النعم وإظهار ونشره[2].

أمّا الشكر الذي جاء في بعض العبارات مثل: «**يا من يشكر علي القليل و...**» فهو بمعنى العمل إلى الوعد وإعطاء االثواب أو بمعنى دفع البلية مقابل الأعمال الحسنة. والله من هذه الجهة فهو شاكر وشكور[3][4]. الشكر في اللغة بمعنى الكشف عن الحمد وإظهار الشكر، و«الحَمد» كذلك بمعنى الثناء والتبجي[5]. الشكر في عرف العلماء يعني إظهار نعمة المنعم باعتراف القلب واللسان. يذكر أبوبكر الكتاني: «الشكر في موضع الاستغفار ذنب، والاستغفار في موضع الشكر ذنب»[6]. وجاء في شرح المنازل: «الشكر اسم لمعرفة النعمة؛ لأنّها السبيل إلى معرفة المنعم»[7].

و الحمد في الاصطلاح عبارة عن: العمل الحسن والصفة المحمودة التي

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٢: ٢٨٠، فرهنگ ابجدي عربي - فارسي، ص ٨١ و٥١٢.

(٢) لسان العرب ٤: ٤٢٣، المفردات في غريب القرآن، ٤٦١، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٦: ٩٩ و١٠٠.

(٣) لسان العرب ٤: ٤٢٣.

(٤) سورة البقرة: ١٥٨ ، وسورة فاطر: ٣٠.

(٥) لسان العرب ٣: ١٥٥، كتاب العين ٣: ١٨٨و ١٨٩، فرهنگ ابجدي عربي - فارسي:ص ٢٥.

(٦) الطبقات الكبرى : ٣٧٤.

(٧) مصباح الهداية:٤٨٤، شرح تعرف: ١٣٨، دستور العلماء٢: ٢٢٢.

يقوم به الشخص اختيارياً ثمّة يظهر[١]. بعبارة أخرى هذه المفردة في مصطلح الصوفية يعني إظهار كمال المحبوب الأزلي في صفات الجمال ونعوت الجلال على سبيل التعظيم والتجليل، وهو إما مرتبة من مرّاتب الجمع على الجمع أو مرتبة من مرّاتب الفرق على الفرق... أو هو من مرتبة الجمع على الفرق مثل إفاضة نور الوجود على حقائق وأعيان الموجودات الذي يعبّر عنه بالفيض المقّدس[٢].

علاقة واختلاف الشكر والحمد:

أـ الشكر يؤتى به مقابل نعمة خاصّة باللسان والقلب وسائر أعضاء الجسد؛ في هذه الصورة، يعد الحمد اللساني من مصاديق الشكر[٣].

ب ـ كان الحمد التحميد الحسن والجميل للتعظيم مقابل النعمة وغيرها، والحال أنّ الشكر كان حمداً بقصد التعظيم مقابل النعمة[٤].

يقسم العرفاء الشكر إلى ثلاثة أقسام: اللساني، القلبي (العلمي) والعملي[٥]. الشكر اللساني هو الاعتراف بالنعمة، والشكر القلبي هو معرفة النعم الإلهية، والشكر العملي هو طاعة المنعم[٦]. القشيري والجيلاني[٧] عرفاء الشكر القلبي

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١: ١٩، دفتر انتشارات اسلامي، قم، ١٤١٧ ق؛ أنوار درخشان، تحقيق، بهبودير ١: ١٥، كتابفروشى لطفي، طهران، ١٤٠٤ق؛

(٢) رياض السياحة: ١٨، أشعه اللمعات: ١٨.

(٣) الكشّاف ١: ٨ و٩.

(٤) مجمع البحرين ٣: ٣٩، «الحمد».

(٥) محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكّية، بيروت ، كمال الدين عبدالرزاق كاشاني، لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام:٢١١، طبع مجيد هادي‌زاده، طهران ١٣٧٩ش.

(٦) عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، الرسالة القشيرية:١٧٤، طبع معروف زريو وعبدالحميد بلطه‌چي، دمشق ١٣٦٧/١٩٩٨ أو ١٣٦٩/١٩٩٠، ومحمّد الغزإلى، إحياء علوم الدين: ٣٣٥، ط شيخ العيدروس، بيروت ١٤١٢/١٩٩٢ هـ.

(٧) عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، الرسالة القشيرية: ١٧٥، طبع معروف زريو وعبدالحميد ⇐

بعبارة الملازمة على بساط الشهود مع مراعاة الحرمة. يرى عز الدين الكاشاني[١] الاعتراف القلبي واللساني «كمال الشكر» ويرى ابن العربي[٢] الشكر العلمي أو القلبي «حق الشكر». علي رأي العرفا لا يكون الشكر العملي إلا بالأعضاء والجوارح الذي هو بمعنى استعمال النعم الإلهية في سبيل الإطاعة وعدم العصيان بها، بحيث إنّ شكر كل عضو هو استعماله في ما يناسبه من هدف خلقته[٣]. ونقل من الجنيد: «الشكر هو عدم عصيان الله بأنعمه»[٤].

شرط الشكر: يرى الغزإلي صرف النعم في سبيل الطاعة شرطاً للشكر[٥]، ومن وجهة نظهره الشكر هو تعظيم وإعظام للمنعم[٦]، لكن مثل هذا التعظيم لا بد له أن يكفه كحائل ومانع من معصية المنعم وعصيانه. ويرى ابن عربي الآية الثالثة عشر من سورة سبأ[٧] دليلاً على الشكر العملي[٨].

⇒

بلطه‌چي، دمشق ١٩٩٨/١٣٦٧ أو ١٩٩٠/١٣٦٩، عبدالقادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالبي الحقّ عزّ وجلّ ١: ٦٠٢، القاهرة ١٤٢٧/٢٠٠٦ هـ.

(١) عزالدين محمود كاشاني، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية: ١: ٢٦٧، طبع عفت كرباسي ومحمّدرضا برزگر خالقي، طهران ١٣٨١ش.

(٢) محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية ٢: ٢٠٢، بيروت.

(٣) إسماعيل ابن محمّد عبدالله مستملي بخاري، شرح التعرف لمذهب التصوف، ج٣، ص١٢٩٠، طبع محمّد روشن، ١٣٦٣، وعبدالقادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالبي الحقّ عزّوجلّ١: ٦٠٢، القاهرة ١٤٢٧/٢٠٠٦، أحمد ابن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين: ٢٦٣، طبع عبدالله الليثي الأنصاري، بيروت ١٤١٩ /١٩٩٨، مرآة العشاق، طبع مرضية سليماني ١: ٣٣٢، طهران ١٣٨٠ ش.

(٤) عمادالدين الأموي، حياة القلوب ١: ٢٢٤، في حاشية أبي طالب مكّي.

(٥) محمّد الغزالي، كيمياي سعادت: ٣٦٣، طبع حسين خديو جم، طهران ١٣٦٤ش.

(٦) محمّد الغزالى، منهاج العابدين، ترجمة عمر ابن عبدالجبارسعدي ساوي: ١٩٥، طبع أحمد شريعتي، طهران ١٣٥٩ش.

(٧) التصفية في أحوال المتصوّفة «صوفي نامه»، طبع غلام حسين اليوسفي، طهران ١٣٦٨ش.

(٨) محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية: ٢: ٢٠٢، بيروت.

بعض العرفاء قسّموا الشكر (العملي) إلى قسمين: شكر العوام «على المأكولات والمشروبات»، وشكر الخواص، «على الواردات القلبية والمعنوية على القلوب»(١). «ويرى عبد الرزاق الكاشاني معرفة النعمة وقبولها والعمل بها شكراً عامّاً، ويرى الاشتغال بالشهود بدل الشكر شكراً خاصّاً»(٢)(٣).

حول النسبة الموجودة بين الشكر والحمد يعتقد التهانوي أنّ بينهما عموماً وخصوصاً من وجه(٤)، وعلّله بأنّ الحمد من جهة المتعلّق أعم من الشكر، ومن جهة المصداق الشكر أعم من الحمد. والتفت البعض الآخر(٥) فقط إلى عمومية الحمد بالنسبة إلى الشكر، لأنّ الشكر والحمد فقط يأتي مقبل النعم، لكن الحمد يتعلّق بالنعمة وغيرها. وذكر مولوي مثال الجمال والشجاعة وقال: مثل هذه الأمور تُحمَد ولا تُشكَر(٦).

وحول نسبة الشكر والصبر ذهب أكثر العرفاء إلى أفضلية الشكر على الصبر(٧). لكن عزّ الدين الكاشاني(١) قدّم الصبر على الشكر، وقال: «لأنّ ثمرة

(١) عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، الرسالة القشيرية: ١٧٥، طبع معروف زريو وعبدالحميد بلطهچي، دمشق ١٩٩٨/١٣٦٧ أو ١٩٩٠/١٣٦٩. عبدالقادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالبي الحقّ عزّ وجلّ ١: ٦٠٢، القاهرة ١٤٢٧/٢٠٠٦، عمادالدين الأموي، حياة القلوب ١: ٢٢٥.

(٢) كمال‌الدين عبدالرزاق كاشاني، شرح منازل السائرين: ٢١٢-٢١٣، طبع بيدارفر، قم ١٤١٣ هـ.

(٣)عمادالدين الأموي، حياة القلوب ١: ٢٢٥-٢٢٦ ، عين القضاة همداني، نامه‌هاي عين القضاة ١: ٢٦١، طبع علي نقي منزوي وعفيف عسيران، طهران ١٣٨٠ش.

(٤) محمّد علي تهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١: ١٠٣٨-١٠٣٩، طبع رفيق العجم، لبنان.

(٥) محمّد الغزالى، منهاج العابدين، ترجمة عمرابن عبدالجبارسعدي ساوي، طبع أحمد شريعتي، طهران ١٣٥٩ش، فخرالدين الرازي، التفسير الكبير ١: ٢١٩، طبع عماد زكي البارودي، القاهرة ٢٠٠٣م، جلال‌الدين محمّد مولوي بلخي، فيه مافيه: ١٨٢، طبع بديع الزمان فروزانفر، طهران ١٣٦٢ش.

(٦) جلال‌الدين محمّد مولوي بلخي، فيه مافيه،ص١٨٢، طبع بديع الزمان فروزانفر، طهران١٣٦٢ ش.

(٧) محمّد غزإلى، منهاج العابدين، ترجمة عمر بن عبدالجبّارسعدي ساوي: ١٩٧، طبع أحمد ⇐

الصبر الجميل هو الثواب الجزيل، وأداء الشكر يتعلّق بحصول النعمة، فلا بد من تقديم الصبر على الشكر». لكن الغزإلى مرّة حكم على التساوي بينهما، ومرّة قدّم واحداً على الآخر[٢]. مثلاً: هو فضّل الصبر علي الشكر استناداً إلى حديث «الصبر حال الفقير والشكر حال الغني»، وصرّح أنّ تفضيل الصبر علي الشكر هو لإقناع العوام، لكن لا يكفي لأهل العلم والتحقيق ثم أشار إلى المعاني الثلاثة للشكر (العلم، الحال والعمل)، وثمة أثبت تساوي مقام الشكر والصبر أو أفضلية الشكر على الصبر[٣].

مرّاتب الشكر

يجعل خواجة عبدالله الأنصاري ثلاث درجات للشكر: الشكر على المحاب، الشكر على المكروهات، والمرتبة الثالثة ـ وهي أعلي مرّاتبها ـ هي مرتبة الاستغراق في مشاهدة المنعِم، بحيث يمنع الشاكر من مشاهدة النعمة[٤]. وأعلى مرّاتب هذا النوع من الشهود هو شهود المنعِم من منظار التفريد. وفي هذه الحالة يصل السالك إلى مقام لا يشاهد غير الرب، لا النعمة ولا الشدّة. وهناك اتّفاق بين

⇒

شريعتي، طهران ١٣٥٩ش، جلال‌الدين محمّد مولوي بلخي، فيه مافيه،ص١٨١، طبع بديع الزمان فروزانفر، طهران١٣٦٢ ش، إسماعيل حقّي البروسوي، تفسير روح البيان ٧: ٩٩، بيروت، ١٩٨٥.

(١) عزالدين محمود كاشاني، مصباح الهداية ومفتاح الكفاية ١: ٢٦٦ ـ ٢٦٧، طبع عفت كرباسي ومحمّدرضا برزگر خالقي، طهران ١٣٨١ش.

(٢) محمّد الغزالى، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٤٠٢-٤١٠، طبع شيخ العيدروس، بيروت ١٩٩٢/٤١٢

(٣) محمّد الغزالى، منهاج العابدين، ترجمة عمر بن عبدالجبّارسعدي ساوي: ١٩٧، طبع أحمد شريعتي، طهران ١٣٥٩ش.

(٤) كمال‌الدين عبدالرزاق كاشاني، شرح منازل السائرين: ٢١٣ـ ٢١٦، طبع بيدارفر، قم١٣٧٢.

كل العرفاء في أنّ أكمل أنواع الشكر هو الشكر علي الشكر[(١)(٢)(٣)].

في العبارة التالية المنقولة من الصحيفة السجّادية نستطيع أن نشاهد بوضوح متعلّقات الحمد والشكر وأسبابهما، ولكن توضيحها وتبيينها يحتاج إلى مجال أوسع:

١ - «وَالحمد للّه عَلى ما عَرَّفَنا منْ نَفْسه، وألْهَمَنا منْ شُكْره، وَ...»[(٤)].

٢ ـ «والحَمْدُ للّه الّذي دَلَّنا عَلَى التَّوْبَة الّتي لَمْ نُفدْها إلا منْ فَضْله، و...»[(٥)(٦)(٧)(٨)].

---

(١) عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، الرسالة القشيرية: ١٧٤، طبع معروف زريو وعبدالحميد بلطه‌چي، دمشق ١٩٩٨/١٣٦٧ أو ١٩٩٠/١٣٦٩، عبدالقادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالبي الحق عزّ وجلّ١: ٦٠٢، القاهرة ١٤٢٧ هـ أحمد الكمشخانوي النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء الطرق الصوفية ٢. ٢٣٨، طبع أديب نصرالله، بيروت، ١٩٩٧م.

(٢) قطب‌الدين منصوربن أردشير عبّادي، التصفية في أحوال المتصوفة «صوفي نامه»، طبع غلام حسين يوسفي، طهران١٣٦٨ش، إسماعيل حقّي البروسوي، تفسير روح البيان ٧: ٣٤٥، بيروت، ١٩٨٥.

(٣) جلال‌الدين محمّد مولوي بلخي، مثنوي معنوي، طبع رينولد نيكلسون، طهران١٣٨٦ش. دفتر ششم، بيت ٢٧٨٥، دفتر پنجم، بيت٢٣٥٧، عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، الرسالة القشيرية: ١٧٥، طبع معروف زريو وعبدالحميد بلطه‌چي، دمشق ١٩٩٨/١٣٦٧ أو ١٩٩٠/١٣٦٩. عبدالقادر الجيلاني الحسني، الغنية لطالبي الحقّ عزّ وجلّ١: ٦٠٢، القاهرة ٢٠٠٠٦، أحمد الكمشخانوي النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء الطرق الصوفية ٢: ٢٣٨، طبع أديب نصرالله، بيروت، ١٩٩٧.

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٣٥؛ خط ٥.

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٣٨؛ خط ٤.

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٣٧ خط ٤: «الَّذي أغْلَقَ عَنّا بابَ الْحاجَة إلاّ إليه، فَكَيْفَ نُطيقُ حَمْدَهُ؟».

(٧) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٧٣ خط ٣: «يا مَنْ ذكْرُهُ شَرَفٌ للذّاكرينَ، ويا مَنْ شُكْرُه فَوْزٌ للشّاكرينَ».

(٨) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٩٢خط ٢: «عبادكَ عاجزٌ عَنْ شُكْرِك، وأَعْبَدُهُمْ مُقصِّرٌ عَنْ طاعَتكَ».

٣ - البلاء:

يطلق البلاء والابتلاء على أيّ نوع من الامتحانات الإلهية. يقول الشيخ عبد الرحمان بن محمّد الفاسي حول أضرب البلاء: «البلاء على ثلاث أضرب: منها: تعجيل عقوبته للعبد، ومنها: امتحانه ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربّه، ومنها: كرامة ليزداد عنده كرامة وقربة»(١). كما يرى الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي حقيقة البلاء قسمين ويقول: «حقيقة البلاء على وجهين: بلاء رحمة، وبلاء عقوبة. فبلاء الرحمة يبعث صاحبه إظهار فقره إلى اللّه. وبلاء العقوبة أن يكل صاحبه على اختياره وتدبيره»(٢).

في حينها يذكر الشيخ أبو محمّد الجريري حول تاثير البلاء: «البلاء على ثلاثة أوجه: على المخلصين نقم وعقوبات، وعلى السابقين تمحيص وكفّارات، وعلى الأولياء والصدّيقين نوع من الاختبارات»(٣).

وحول حقيقة الارتقاء بواسطة البلاء يذكر ابن عربي: إن قيل: قد يرتقي الإنسان بالبلاء مقامات لا يوصله إليها عمل، والبلاء ليس بعمل، وهذا غلط؛ فإنّ البلاء لا يعطي مقاماً أصلاً، ولا يرقي أحداً عند اللّه درجة، ولو كان البلاء بما هو بلاء يرفع درجات من قام به عند اللّه وينال به السعادة الأبدية لنالها أهل البلاء من المشركين والكفّار، بل هو في حقّهم تعجيل لعذابهم، كما قال تعالى في المحاربين: ﴿**أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ منْ خلاف أَوْ يُنْفَوْا منَ الْأَرْضِ**﴾، ثم قال: ﴿**ذٰلكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ**

(١) الشيخ عبد الرحمن بن محمّد الفاسي، شرح حزب البرّ: ١٢٦.
(٢) الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي، جامع الأصول في الأولياء ١: ١٧٩.
(٣) الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي، حقائق التفسير: ١١٦٥.

عَظِيمٌ﴾[١]. ويقول في مكان آخر: «البلاء في الدنيا نعمة معجّلة من اللّه تعالى على عباده المؤمنين، قال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾**. فالبلاء على قدر المراتب عند اللّه تعالى»[٢].

ويذكر الشيخ سهل بن عبد اللّه التستري حول مقدار الابتلاءات التي يلمسها السالك: «على قدر مشاهدته يعرف الابتلاء، وعلى قدر معرفته بالابتلاء يطلب العصمة، وعلى قدر إظهار فقره وفاقته إلى اللّه يتعرّف الضرّ والنفع ويزداد علما وفهماً وبصراً»[٣]؛ كما يقول الشيخ عبد الوهاب الشعراني: «البلاء يكون على قدر الاتّباع والإرث لرسول اللّه محمّد صلى الله عليه وآله»[٤].

وجاء أمير الكلام بخير الكلام في هذا الباب: **«اللّه يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه»**[٥]، كما قال ابنه الحكيم الإمام محمّد الباقر عليه السلام: **«إنّ العبد ليكون له عند اللّه الدرجة السنية العظيمة الشريفة، فيبتليه بالبلاء؛ لكي ينال تلك الدرجة، فيعيدوا إليه الناس أفواجاً يعزّونه ويتوجّعون له ممّا أصابه، ولو علموا ما آتاه اللّه من تلك الدرجة لم يتوجع له أحد ولم يعزّه أحد»**[٦].

---

(١) سورة المائدة: ٣٣.

(٢) الشيخ ابن عربي، كتاب الكتب: ٤١.

(٣) د. محمّد كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقاً وتجربةً ومذهباً: ٣١١.

(٤) الشيخ عبد الوهاب الشعراني، لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة اللّه على الإطلاق ٢ : ٩٣ (بتصرّف).

(٥) الشيخ محمّد عبده، شرح نهج البلاغة ٢: ١٤٨.

(٦) الشيخ علي الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار:٢٩١.

وأمّا ابنه الإمام السجّاد عليه السلام في صحيفته القيّمة أوّلاً يستعيذ بالله من الابتلاءات، وثانياً يشير إلى إحدى نماذج الامتحان والابتلاء، وهو ابتلاء العبد في المعيشة والفقر:

١ - «اَللَّهُمَّ، لا طاقَةَ لي بِالْجَهْدِ، ولاصَبْرَ لي عَلَى البَلاءِ، ولا قُوَّةَ...»[(١)].

٢ - «اَللَّهُمَّ، إِنَّكَ ابْتَلَيتنا في أَرْزاقِنا بِسُوءِ الظَّنِّ، وفي آجالِنا بِطُولِ...»[(٢)].

٤ - الذكر:

استعملت هذه المفردة في عدّة معان، مثل: خلاف النسيان، ذكر اللسان، إحضار الأمور في الذهن، المراقبة علي العمل، ذكر القلب، الحفظ و.... وفي اصطلاح السالكين هو: الخروج من ميدان الغفلة والدخول في فضاء المشاهدة بسبب غلبة الخوف أو ازدياد الحب، وقالوا: «الذكر الجلوس على بساط الاستقبال بعد اختيار مفارقة الناس»[(٣)]. وللذكر ثلاثة أنواع: الذكر اللساني، والذكر الجناني، والذكر القلبي[(٤)]. وهناك تعاريف للذكر الخفي وذكر القلب[(٥)].

يقول السالك المجتهد الملا صدرا الشيرازي في هذا الباب: «المقصود من الذكر المطلق (المطلوب) من العبد في اصطلاح السالك من العرفاء أن يذكر الله

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٧ ، خط ١.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان:١٦٠ ، خط ٧.

(٣) الكشاف: ٢١٥.

(٤) شرح تعرف: ١٥٦، شرح كلمات بابا: ١٣٨.

(٥)فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٢٢٢و ٢٢٣.

باللسان ويكون حاضراً بقلبه وروحه وجميع قواه الإدراكية، بحيث يكون العبد بكلية كونه إنساناً وعبداً متوجّهاً إلى باريه وربّه، فتنتفي الخواطر وينقطع أحاديث النفس عنه. ثمّ إذا داوم عليه بهذا الوجه مع الشرائط المقرّرة المذكورة من تخلية البيت عن الحطام وتنقية الجوف عن الحرام وتنظيف الثوب والبدن عن الأجناس والأرجاس وتهذيب النفس والروح عن الخبائث والأدناس وتنزيه العقل والسرّ عن الوسواس والتوجّه الى البدء الأعلى بالمنطق والقياس، ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه، ولا يزال يذكر بذلك، ويرد وهذه الكلمة على لسانه على مواطاة القلب حتى تصير الكلمة متأصّلة في القلب مزيلة لحديث النفس بنور معناها في القلب عن كلّ حديث النفس. فإذا استولت الكلمة وتجوهرت في القلب يتذكّر القلب وإن سكت اللسان وذهب صورة الكلمة من اللسان وبتجوهرها يستكن نور اليقين في قلب السالك الذاكر حتى يتجلّى له الحق من وراء استار غيوبه، فيتنوّر باطن العبد بحكمة وأشرقت الأرض بنور ربّها، وهذا هو التجلّي الأفعالي في عرفهم.. ثم لا يزال هكذا حتى ينكشف الحجب متدرجاً ويقل في حقّه الأستار شيئاً فشيئاً، الى أن يرتقى الى التحليات الصفاتية والأسمائية ثم الذاتية، فتبقي العبد في الحقّ فيذكر الحقّ نفسه ممّا يليق بجماله وجلاله، فيكون الحقّ ذاكراً ومذكوراً بلسان العبد، ولسان العبد كشجرة أيمن، كما نقل عن الإمام الهمام قدوة الأنام جعفر الصادقعليه السلام أنّه قال حين سئل عن صيرورته مغشياً عليه عند تلاوة القرآن: «**ما زلت اكرر هذه الآية حتى سمعتها من المتكلّم بها**»[1].

(١) مجموعة الرسائل التسعة، ملاصدرا ١ : ٢٣٢.

في هذا الباب وردت كلمات ذات معان جميلة وكثيرة. والإمام عليه السلام تكلّم فيها من الشوق إلى الذكر الإلهي وعظمته وآثاره على سلامة قلب السالك وروحه:

١ - «الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آلائكَ، وَ...»[١].

٢ - «اللهمّ، صلّ على محمّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ سَلامَةَ قُلُوبِنا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَ...»[٢][٣][٤][٥].

٥ - المحبّة:

يعني الحب والصداقة الواقعية، وهي مثل سائر الأمور الوجدانية خفية الماهية، وهي عبارة عن: غليان القلب في مقام الاشتياق إلى لقاء المحبوب[٦]. يقول أبو القاسم القشيري: «المحبّة هي محو المحبّ بصفاته وإثبات المحبوب بذاته والذي ينفي تمام صفاته في طلب المحبوب»[٧][٨].

---

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٤٥ ،خط ٦.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٥٦ ، خط ٦.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٧٣ ،خط ٥: «وَاشْغَلْ قُلوُبَنا بِذِكْرِك عَنْ كُلِّ ذِكْر، وَاَلْسِنَتَنا بِشُكْرِكَ عَنْ».

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان:١٢٠ ،خط ٣: « محمّد والِه، ونَبِّهْني لِذكْرِكَ في اَوْقاتِ الْغَفْلَة، وَاسْتَعْمِلْني».

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٣٤، خط ٣ «بِحَمْدِكَ وشُكْرِكَ وذِكْرِكَ وحُسْنِ الثَّناَء عَلَيْكَ لِساني».

(٦) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٤١٥.

(٧) كشف المحجوب ص ٤٨٧ وكشاف أسرار:٩٤.

(٨) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٤١٥ ـ ٤١٨.

وكما يذكر الشيخ عمر السهروردي عندنا نوعان من المحبّة: أحدهما المحبّة العامّة، والأخرى هي المحبّة الخاصّة: «القبض والبسط لهما موسم معلوم ووقت محتوم لا يكونان قبله ولا يكونان بعده، ووقتهما وموسمهما في أوائل حال المحبّة الخاصّة لا في نهايتها، ولا قبل حال المحبّة الخاصّة. فمن هو في مقام المحبّة الثابتة بحكم الإيمان لا يكون له قبض ولا بسط، وإنّما يكون له خوف ورجاء، وقد يجد شبه حال القبض وشبه حال البسط، ويظنّ ذلك قبضاً وبسطاً، وليس هو ذلك، وإنّما هو هم يعتريه فيظنّه قبضاً، واهتزاز نفساني ونشاط طبعي يظنّه بسطاً... فإذا ارتقى من حال المحبّة العامّة إلى أوائل المحبّة الخاصّة يصير ذا حال وذا قلب وذا نفس لوّامة، ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك؛ لأنّه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإيقان وحال المحبّة الخاصّة، فيقبضه الحق تارة ويبسطه أخرى...»[(١)].

و الإمام عليه السلام بعد الإشارة إلى هذا المقام ومقامات عرفانية أخرى في الأدعية المختلفة من الصحيفة يشير إلى سبيل ومسلك المحبّة إلى محبّة العبد إلى الربّ، وكذلك محبّة الربّ إلى عبده، وأيضاً يشير إلى إليات اكتساب محبّة الربّ:

١ - «**وبَعَثَهُمْ في سَبيلِ مَحَبَّته...**»[(٢)].

٢ - «**وأنَّ أحَبَّ عِبادِكَ إليكَ مَنْ تَرَكَ الاسْتِكْبارَ عَلَيْكَ، و...**»[(٣)(٤)(٥)(٦)].

---

(١) الشيخ النفري الرندي، غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ١ :٢٣٠.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٣٣ ، خط ٧.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٧٩، خط ٢.

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٥٠ ، خط ٥ : «**كانُوا مُنْطَوينَ عَلى مَحَبَّته يَرْجُونَ تجارَةً لَنْ تَبُورَ في مَوَدَّته**».

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٦١، خط ٢ : «**مَعْصيَتكَ، هادِياً إلى طاعَتكَ، مُسْتَعْملاً لمَحَبَّتكَ. اَللَّهُمَّ...**».

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٢٠، خط ٤ : «**بِطاعَتِكَ في أيّامِ الْمُهْلَة، وَانْهَجْ لي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً**».

٦ – البرد:

حول مادة (ب ر د) جاء: «بَرَدَ الجو: هبطت حرارته. وبَرَدَ الشخص: فَتَرَ وقلّ حماسه»[١]. وجاءت هذه المفردة مع مشتقاتها في القرآن الكريم ٥ مرّات[٢]. وذكر في مصطلح الصوفيين في معان مختلفة، وهذه المعاني لم يقصد في فقرات الصحيفة السجّادية[٣][٤]. ولكن الأنسب بين المعاني الموجود في الكتب العرفانية هو المعنى الذي ذكره الشيخ عبد الغني النابلسي: «البَرْد: هو المراقبة لله»[٥].

وما جاء في الصحيفة السجّادية هو برد السلامة وبرد العفو:

١ - «وَأَذقْني بَرْدَ السَّلامَة، و...»[٦].

٢ - «ولاَ مُمْتَهَناً إلا بِالانْتِقَامِ لَكَ، وأوْجِدْني بَرْدَ عَفْوِكَ، و...»[٧].

٧ – الوله:

حول الوله جاء أنّه إحدى بروج القلب، وجاء في تعريف بروج قلب نقلاً

---

(١) المعجم العربي الأساسي: ١٤٤.

(٢) الأنبياء:٦٩: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.

(٣) يقول الشيخ عبد الحق بن سبعين: « البرودة : هي جمد أجزاء الهيولي» : الشيخ ابن سبعين ـ بدا العارف: ١١٤.

(٤) وأضاف الشيخ قائلاً: «من حقق البرودة: علم أنّها جمود أجزاء الهيولي، والحرارة بضدّها؛ لأنّها غليان أجزاء الهيولي، واليبوسة تماسكها، والرطوبة سيلانها» : د. عبد الرحمن بدوي، رسائل ابن سبعين: ٢٥٥.

(٥) الشيخ عبد الغني النابلسي–مخطوطة أعذب المشارب في السلوك والمناقب: ٢٣.

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان:٩٠ ، خط ٩.

(٧) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٧٧، خط ٦.

عن الإمام القشيري: «هي مطالع أنوارها ومشارق شموسها ونجومها. وتلك النجوم التي هي نجوم القلوب كالعقل والفهم والبصيرة والعلم»[١]، كما جاء في كتاب تفسير الصوفي: «بروج القلب هي برج الإيمان، وبرج المعرفة، وبرج العقل، وبرج اليقين، وبرج الإسلام، وبرج الإحسان، وبرج التوكّل، وبرج الخوف، وبرج الرجاء، وبرج المحبّة، وبرج الشوق، وبرج الوله. فهذه اثنا عشر برجاً بها دوام صلاح القلب»[٢].

والوله استعمل في الصحيفة السجّادية في توصيف الملائكة:

١ - «**ولا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إليكَ، وإِسْرافيلُ صاحِبُ الصُّورِ، الشّاخِصُ**»[٣].

٨ - **العجب:**

هو في الواقع أن يرى الإنسان نفسه ويعظمها، وهو أمر مذموم، وأصله شيئان: أحدهما: الرجاء إلى الخلق ومدحهم ،والثاني هوك أن يمدح فاعل الخير على عمله حتى يعجب بنفسه[٤]. ويذكر الشاه الكرماني: «ما أعجب عبد بنفسه حتي يكون محجوباً عن ربّه»[٥].

كما جاء: أنّ إبليس اللعين - نعوذ بالله تعالى منه - كان أصل هلاكه من عجبه بنفسه، وأنّه خلق من النار، وأنّه خير من آدم، فتكبّر عليه، فكان من الظالمين الهالكين.

---

(١) الإمام القشيري، تفسير لطائف الإشارات ٤: ٣١٩.

(٢) د. علي زيعور، التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق: ١٧٩.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٤٤، خط ٣.

(٤) كشف المحجوب: ٦٩.

(٥) الطبقات الكبرى: ١٩٤.

ترك العجب شرط في حسن وكمال الأخلاق، وتربية النفوس تكون بالتخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل. والعجب هو أساس الرذائل، فأوّل الترك تركه. وهو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجودها تركه كذلك.

ومن لم يكن معجباً بنفسه كان بمدرجة التخلّق بمحاسن الأخلاق والتنزّه عن نقائصها؛ لأنّ الإنسان مجبول على محبّة الكمال وكراهة النقص، فإذا سلم من العجب فإنّ تلك الجبلة تدعوه إلى ذلك التخلّق والتنزّه، فإذا نبّه على نقصه لم تأخذه العزّة، وإذا رغب في الكمال كانت له إليه هزّة، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية والجبلة الإنسانية الخلقية يتهذّب ويتشذّب، حتى يبلغ ما قدر له من كمال. ولهذه المعاني التي تتصل بتفسير هذه الآية الكريمة -وهي أصول في علم الأخلاق ـ عَنْوَنَّا عليها بآية الأخلاق[1].

و كما ورد أنّ حقيقة العجب استعظام النفس وخصالها التي هي من النعم، والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم والأمن من زوالها. فإن أضاف إليه أن رأى لنفسه عند اللّه حقّاً ومكاناً، سمّي ذلك إدلالاً؛ وفي الخبر: أنّ صلاة المدلّ لا ترتفع فوق رأسه، وعلامة إدلاله أن يتعجّب من ردّ دعائه، ويتعجّب من استقامة حال من يؤذيه. والعجب هو سبب الكبر، ولكن الكبر يستدعي متكبّراً عليه، والعجب مقصور على الانفراد. والعلم المحض هو علاج العجب الذي هو جهل محض[2].

ورأى الإمامعليه السلام في الصحيفة السجّادية العجب سبباً لفساد الأعمال، وعدّه من الرذائل الأخلاقية التي لا بد للسالك أن يصلحها:

(١) تفسير ابن باديس، ابن باديس ١ : ١٠٩.

(٢) الأربعين في أصول الدين للغزالي١ : ٩٨.

١ - «... غشٍّ أحَد، وَأنْ نُعْجَبَ بأعْمالنا، ونَمُدَّ في آمالنا، و...»[١].

٢ - «ولاتُفْسِدْ عِبادَتي بِالْعُجْب، وَأجْرِ لِلنّاسِ عَلى يَدِيَ»[٢].

٩ - الفقر:

الفقر في مصطلح الصوفية عبارة عن فقد مايحتاج إليه. وقال أبوتراب النخشبي: «حقيقة الغنى هو أن تكون مستغنياً عن كل مثلك، وحقيقة الفقر هو أن تحتاج كل من هو مثلك...»[٣] . وأصل مذهب الصوفية هو الفقر وحقيقته الحاجة إلى الربّ لأن العبد مملوك والمملوك محتاج إلى مالكه. الغني الحق هو الخالق والفقير هو العبد المخلوق. والفقر هو أن لا تمتلك مالاً أو تمتلك، لكنّه لم يكن لك. (و الأفضل برأيي أن يقال: لو كان لديك مال لا تتعلّق وتتقيّد به) .

وقيل: إنّ الفقر هو الفناء في الله واتّحاد القطرة بالبحار[٤][٥]؛ لأنّ الفناء هو سقوط الأوصاف المذمومة من السالك الذي يحصل بكثرة الرياضات. والنوع الآخر من الفناء هو عدم إحساس السالك لعالم الملك والملكوت واستغراقه في عظمة الله تعالى ومشاهدة الحقّ. وهذا هو السرّ في قول مشايخ الصوفية بأنّ: «الفقر سواد الوجه في الدارين.»[٦] كما جاء في هذا الشعر أيضا في أن الغني في

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٦٨ ، خط ١.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٠٩ ، خط ٢.

(٣) تذكرة الأولياء ١: ٢٩٧، طبقات الصوفية: ٢٥٠، ولمزيد من الاطلاع راجع شرح تعرف ٣: ١١٨ ـ ١٢٠

(٤) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٣٦٣.

(٥) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني: ٣٦٣ ـ ٣٦٦.

(٦) قشرية: ٣٦، هجويري: ٣١١، الفتوحات المكية ٢: ٥١٢، مصباح الهداية: ٤٢٦.

عدم الحاجة بالنسبة إلى المخلوقين والإعتقاد بالفقر الواقعي أمام الرب:

ما لي سوى فقري إليك وسيلة بالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى فزعي لبابك حيلة فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع[1]

و أكّد الإمام عليه السلام في الصحيفة على هذه النقطة يعني أولا نحن فقراء بشدّة ومحتاجون إلى الله تعالى وثانياً لا بد لنا أن لا نمد أيدي السؤال والتكدي نحو الأخرين. يقول الإمام عليه السلام:

١ - «ونَعُوذُ بكَ منْ... ومنَ الْفَقْرِ الَى الاَكْفاء، ومنْ...»[2].

٢ - «... وانَا اَفْقَرُ الْفُقَرآءِ إليك، فَاجْبُرْ فَاقَتَنا بوُسْعكَ...»[3][4][5][6].

١٠ - الغنى:

الغنى هو: فقدان الحاجة والفقر، ويقابله القنا، وهو اتّخاذ وجمع لنفسه، أي طلب وتحصيل أمور وجمعها لديه للحاجة إليها، ومرجع حقيقة القنا إلى الفقر الباطني والاحتياج، وإن كان في الظاهر ذا مال وثروة. كما أنّ حقيقة الغنى هو

---

(١) محاسبة النفس، تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي ١ : ١٨٦.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٦٨ ، خط ٥.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٧١ ، خط ٨.

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٦٣، خط ٦ : «اَللّهُمَّ حَبِّبْ إلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرآء، وأعنّي عَلى صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ».

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٩٣ ؛ خط ٥ : «لَكَ وَجْهَهُ تَذَلُّلاً؟ أمْ أَنْتَ مُغْنٍ مَنْ شَكى إليكَ فَقْرَهُ تَوَكُّلاً؟».

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٨١ ، خط ٦ : «سَدَّ خَلَّته منْ عنْدكَ، وَرامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسه بكَ، فَقَدْ...».

الغنى القلبي وإن كان فاقداً للثروة. والمراد من الغني عندما ينسب إلى العبد ليس بمعنى الثري، بل هو بمعنى غني النفس، والغني الصحيح هو أن يرى العبد نفسه في غنى عن كل المخلوقين والعالم. وعندما وجد الحق لا يعتني إلى سوى الله[1].

و في أن الغنى يتعلّق بالحياة الطيّبة جاء: لا ريب أنّ الحياة الطيّبة هي حياة الغنى، وقد بينا أن الغنى هو القنوع؛ لأنّه إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلّهم حاجة إلى الناس، ولذلك كان الله تعالى أغنى الأغنياء؛ لأنّه لا حاجة به إلى شيء، وعلى هذا دلّ النبي بقوله صلى الله عليه وآله: «**ليس الغنى بكثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس**»[2].

في الصحيفة السجّادية نرى أنّ الإمام عليه السلام يجعل صفة الغنى في عداد الصفات المخصوصة بالله، ويرى أنّه لا بد للعبد أن يطرق باب بيت الغني المطلق وكذلك لا يلجأ إلى سائر المخلوقين المحتاجين:

١- «**... يا غَنِيَّ الأَغْنِيآءِ،...**»[3].

٢- «**... ويا مَنْ يُسْتَغْنى به ولا يُسْتَغْنى عَنْهُ، و...**»[4][5][6].

أمّا من بين مجموعة من الكلمات التي رأيناها صالحة لجعلها مصطلحات عرفانية التي تدلّ على منازل ومقامات عرفانية ويحتاج توضيحها وبسطها إلى

(١) فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ٢: ٣٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٩: ٥٥.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٧١، خط ٧.

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٨١، خط ٨

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٨١، خط ٤: «**تَمَدَّحْتَ بِالْغَنآءِ عَنْ خَلْقِكَ وانْتَ اَهْلُ الْغِنى عَنْهُمْ**».

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٨٢، خط ٣: «**يَرْفَعُ حَوآئِجَهُ إليكَ، وَلايَسْتَغْنى في طَلَباته عَنْكَ، وهِيَ زَلَّةٌ**».

مقالة مستقلة أخرى، إخترنا هنا عشرة منها، وقد نشير إلى ما قصدناه منها بصورة وجيزة ومختصرة جدّاً مع ذكر استعمال منها في الصحيفة السجّادية:

١ – العتيق والعتق: هو العتيق من قيود الهوى ووالوساوس الشيطانية. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«... صَلِّ عَلى محمّد وَاله، وَاَعْتِقْ رِقابَنا مِنْ نَقِمَتِكَ...»[١].

٢ – اليأس والقنوط: اليأس هو إحدى اليات الشيطان الذي يناضله السالك في لحظات سلوكه. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«... بِكَ الصِّدّيقُونَ، ولا يَيْأسَ مِنْكَ الْمُجْرِمُونَ؛ لأنَّكَ الرَّبُّ»[٢].

٣ – الشرف: مقام الشرافة ملازمة لمقام القرب الإلهي وكل من يكون أقرب عند الله هو أشرف عند الله وخلقه. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«يُلْحِقُني عِنْدَكَ شَناراً، شَرِّفْ دَرَجَتي بِرِضْوانِكَ، و...»[٣].

٤ – الغفران: هو أحد المعطيات الإلهية نتيجة لأعمال السالك له من قبل الله تعالى. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«...لأنَّكَ الرَّبُّ الْكَريمُ الَّذي لا يَتَعاظَمُهُ غُفْرانُ الذَّنْبِ الْعَظيمِ»[٤].

٥ ـ الرضوان: هو الجنّة الخالدة التي وعدها الله المتّقين. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«وَاعْصِمْنا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ ودَواعي النِّفاقِ، حَتّى يَكُونَ لَنا في الْقِيامَةِ إلى

---

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٥٣، خط ٨.
(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٠٢ ، خط ٤.
(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٠٦، خط ١.
(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ١٦٦، خط ٦.

رِضْوانك وجِنانكَ»[١].

٦ – المراد: الغاية ونهاية هدف السالك هو الوصول إلى مراده، يعني حضرة الحق المتعال. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«...، **ولا نَبْتَغي فيه مُراداً سِواكَ. اَللَّهُمَّ، صَلِّ عَلى محمّد...**»[٢].

٧ – الانخداع: هذه مرتبة تخادع النفس وقواها فيها السالك ويقع السالك في خيوطها، والنفس فيها تخالف السلوك ومشية السالك في طريقه. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«**وَجَنِّبْنَا الالْحادَ في تَوْحيدكَ...، والانْخداعَ لعَدُوِّكَ...**»[٣].

٨ – الدعاء: إحدى الآليات الأصلية للسالك في جلبه الرحمة والرحمانية الإلهية. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«**اَللَّهُمَّ، صَلِّ عَلى محمّد وَآله، وَاجْعَلْنا منْ دُعاتكَ...**»[٤].

٩- التفريط والتقصير: تقصير السالك في خطوه الخطوات السلوكية نحو الله تعالى. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«**حَتّى لا يَشْهَدَ نَهارُهُ عَلَيْنا بغَفْلَة، ولا لَيْلُهُ بتَفْريط....**»[٥].

١٠ – اللذة: الحال والنشوة التي تنتاب السالك بصورة قهرية ونتيجة لانجازاته في السلوك. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«**حَتّى نَجدَ لَذَّةَ ما نَدْعُوكَ به، وَ...**»[٦].

---

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢١٢، خط ٥.

(٢) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٢٢، خط ٤.

(٣) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٢٥، خط ٢.

(٤) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٥٦ ، خط ٨.

(٥) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٢٦ ، خط ٦.

(٦) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان: ٢٤٢، خط ٦

١١ – كآبة: حالة التعب التي يجعلها الشيطان في مسير السلوك لعرقلة حركة السالك في سلوكه. كما جاء في الصحيفة السجّادية:

«اَللّهُمَّ، ارْزُقْنا خَوْفَ عقابِ الْوَعيد، وشَوْقَ ثَوابِ الْمَوْعُود، حَتّى نَجِدَ لَذَّةَ ما نَدْعُوكَ بِهِ، وكَآبَةَ ما نَسْتَجيرُكَ مِنْهُ..»[1].

النتيجة

استطعنا في هذه المقالة ـ وذلك بعد تعريف مختصر حول بعض المصطلحات العرفانية التي كانت ترتبط بالصحيفة المباركة السجّادية باللفظ والمعنى وذكر مصاديق عينية من الصحيفة ـ أن نبيّن للمخاطب اتّصال كثير من المصادر العرفانية الإسلامية بمنبع الوحي والعترة عليهم السلام من جهة، ومن جهة أخرى نعلن له أنّه لا بد في بعض المصطلحات العرفانية أن نركز روح الكلام والمعنى على نقاط أكّدت عليها مصادرنا الأساسية، يعني القرآن الكريم والروايات الشريفة، وكذلك في دراستنا للصحيفة السجّادية واجهنا بعض المفردات التي ما بحث عنها كتاب عرفاني قط، وكان يحق لمثل هذه المفردة أن يُجعل لها منزل أو مقام، لكن مع الأسف لم يتعامل شخص مع هذه المفردات كمصطلح عرفاني غني. ذكر مثل هذه الموارد يلفتنا بأنّه قد بقيت كثير من النصوص الروائية عندنا غريبة وتحتاج إلى الدراسة، هناك مجال للإتيان بأمور حديثة. وهذا يعتبر بداية للذين يحبون أن يبحثوا في حقل العرفان والمباحث العرفانية، وبهذا العمل يؤدّوا دينهم بالنسبة إلى القرآن الكريم والأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

---

(١) الصحيفة السجّادية مع ترجمة شيخ حسين أنصاريان:٢٤٢، خط ٦.

المصادر

*القرآن الكريم

١ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مصطفوى، حسن، بنگاه ترجمه ونشر كتاب، طهران، ١٣٦٠ ش.

٢ ـ إحياء علوم الدين، غزإلى، محمّد، طبع شيخ العيدروس، بيروت ١٤١٢ق/١٩٩٢م.

٣ ـ أنصاريان، حسين، صحيفه سجاديه به همراه ترجمه، نشر پيام آزادي ١٣٨٠ش.

٤ ـ الكافي، شيخ كليني، حاج سيد جواد مصطفوي، طهران، كتاب فروشي علمية إسلامية.

٥ ـ أنوار درخشان، حسيني همداني، سيد محمّد حسين، تحقيق، بهبودي، محمّد باقر، كتاب فروشي لطفي، طهران، ١٤٠٤ق.

٦ ـ أشعة اللمعات، جامي، نورالدين عبدالرحمان، تصحيح ومقابلة: حامد رباني، كتابفروشي حامدي، طهران.

٧ ـ الأربعين في أصول الدين، الغزّالي، محمّد بن محمّد، دار الجيل، بيروت.

٨ ـ أعذب المشارب في السلوك والمناقب، النابلسي، الشيخ عبد الغني، مكتبة الأوقاف العامّة، بغداد.

٩ ـ بد العارف، ابن سبعين (عبد الحق)، تحقيق جورج كتورة، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠ ـ تفسير كبير، رازي، فخرالدين، طبع عماد زكي البارودي، القاهرة ١٣٨٢ش/٢٠٠٣م.

١١ ـ تزكية النفس، الحسيني الحائري، السيد كاظم، دار البشير، قم، ١٣٨٩ش.
١٢ ـ تفسير روح البيان، البروسوي، إسماعيل حقي، ج٧، بيروت، ١٤٠٥ق/ ١٩٨٥م.
١٣ ـ التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، حسن، طهران، ١٣٦٨ش.
١٤ ـ التصفية في أحوال المتصوفة «صوفي نامه»، قطب‌الدين منصور بن أردشير عبّادي، طبع غلام حسين يوسفي، طهران١٣٦٨ش.
١٥ ـ التصوّف طريقاً وتجربة ومذهباً، محمّد كمل إبراهيم جعفر، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٠م.
١٦ ـ ترجمة تفسير الميزان، الطباطبايي،محمّد حسين، موسوى همداني، سيّد محمّد باقر، دفتر انتشارات إسلامي جامعة مدرسين حوزة علمية، قم، ١٣٧٤ ش.
١٧ ـ تفسير نور، قرائتي، محسن، مركز فرهنگي درسهايي از قرآن، طهران، ١٣٨٣ ش.
١٨ ـ تفسير أحسن الحديث، قرشي، سيّد علي أكبر، بنياد بعثت، طهران، ١٣٧٧ ش.
١٩ ـ التفسير الصوفي للقرآن عند الصادق عليه السلام، د.علي زيعور، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٠ ـ تفسير ابن باديس، ابن باديس، نشره محمّد الصالح وتوفيق محمّد، ١٩٤٨م.
٢١ ـ تذكرة الأولياء، نيشابوري، عطّار، تصحيح: محمّد استعلامي، نشر زوّار، ١٣٩٣ش.
٢٢ ـ حياة القلوب، الأموي، عمادالدين، بيروت.

۲۳ ـ جامع الأصول في الاولياء الطرق الصوفيه، الكمشخانوي النقشبندي، أحمد، طبع أديب نصرالله، بيروت، ۱۹۹۷م.

۲٤ ـ حقائق التفسير، محمّد بن حسين سلمي، مقدّمة سيّدعمران، طبع سيّد عمران، بيروت ۱٤۲۱ق/۲۰۰۱م.

۲۵ ـ شرح آقا جمال الدين خوانساري بر غرر الحكم، خوانساري، آقا جمال الدين، انتشارات دانشگاه طهران، طهران، ۱۳٦٦ش.

۲٦ ـ شرح نهج البلاغة، شيخ محمّد عبده، دفتر تبليغات إسلامي، قم، ۱٤۱۱ ق.

۲۷ ـ شرح كلمات بابا طاهر، الهمداني، عبدالله بن محمّد المعروف بـ «عين القضاة»، وزارت فرهنگ وإرشاد إسلامي، طهران، ۱۳۷۵ش.

۲۸ ـ شرح حزب البر المعروف بالحزب الكبير، الشاذلي، أبو الحسن، تحقيق: محمّد عطية خميس، المكتبة الأزهرية للتراث، ۲۰۰۲م.

۲۹ ـ شرح منازل السائرين، أنصاري، خواجه عبدالله، ترجمه وشرح عبدالرزاق لاهيجي كاشاني، انتشارات آيت اشراق، قم، ۱۳۸٦ ش. ؛ وطبع بيدارفر، قم، ۱۳۷۲ش.

۳۰ ـ شاخ نبات حافظ، محمّد رضا برزگر خالقي، انتشارات زوّار، ۱۳۸۲ش.

۳۱ ـ شرح حديث جنود عقل وجهل، إمام خميني قدس سره، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني(ره)، طهران، ۱۳۷۷ش.

۳۲ ـ شرح التعرّف لمذهب التصوّف، البخاري، إسماعيل ابن محمّد عبدالله مستملي، طبع محمّد روشن، ۱۳٦۳ ش.

۳۳ ـ رياض السياحة، شيرواني، زين العابدين، طبع أصغر حامد ربّاني، طهران، ۱۳۳۹ق.

٣٤ ـ راه نجات (ترجمة كتاب منهاج النجاة)، فيض كاشاني، ملا محسن، رضا رجب زاده، پيام آزادي، طهران، ١٣٨٢ش.

٣٥ ـ الرسالة القشيرية، عبدالكريم هوازن القشيري النيشابوري، طبع معروف زريو وعبدالحميد بلطهچي، دمشق ١٩٩٨م/١٣٦٧ق.

٣٦ ـ رسائل ابن سبعين، تحقيق د .عبد الرحمن بدوي، المؤسّسة المصرية، القاهرة.

٣٧ ـ عبدالله بن محمّد انصاري، طبقات الصوفية، طبع محمّد سرور مولائي، طهران ١٣٦٢ ش.

٣٨ ـ عدّة الدّاعي ونجاح الساعي، حلي، ابن فهد، كتابفروشي جعفري، مشهد، ١٣٦٢ش.

٣٩ ـ الغنية لطالبي الحقّ عزّ وجلّ، الجيلاني الحسني، عبدالقادر، القاهرة ١٤٢٧ق/٢٠٠٦م.

٤٠ ـ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، رندي ابن عباد، محمّد، اعتناء: عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة، ١٣٨٠ق/١٩٧٠م.

٤١ ـ الفتوحات المكّية، ابن عربي، محيي الدين، بيروت.

٤٢ ـ فيه ما فيه، جلال‌الدين بلخي، محمّد مولوي، طبع بديع الزمان فروزانفر، طهران،١٣٦٢ ش.

٤٣ ـ فرهنگ ابجدي، بستاني، فؤاد أفرام، انتشارات إسلامي، طهران، ١٣٧٥ش.

٤٤ ـ فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني، سجّادي، سيّد جعفر، كتابخانه طهوري، طهران،١٣٦٢ش/ ١٩٨٣م.

٤٥ ـ قاموس قرآن، قرشي سيّد علي أكبر، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧١ ش.
٤٦ ـ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، محمود، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ ق.
٤٧ ـ كشف المحجوب، هجويري، أبوالحسن علي بن عثمان، تصحيح وتعليقات محمود عابدي، نشر سروش، طهران، ١٣٨٦ش.
٤٨ ـ كيمياي سعادت، غزإلى، محمّد، طبع حسين خديو جم، طهران ١٣٦٤ش.
٤٩ ـ كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمّد علي تهانوي، طبع رفيق العجم، لبنان.
٥٠ ـ كتاب العين، فراهيدي، خليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٥١ ـ كشف المحجوب، أبو الحسن علي بن عثمان هجويري، اعتناء: محمود عابدي، نشر سروش، طهران، ١٣٨٣ش.
٥٢ ـ لسان العرب، ابن منظور، محمّد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ ق.
٥٣ ـ لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، كاشاني، كمالالدين عبدالرزّاق، طبع مجيد هاديزاده، طهران، ١٣٧٩ش.
٥٤ ـ لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، المحقّق: إبراهيم البسيوني، نشر الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ٢٠١٠ م.

٥٥ ـ لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدّث بنعمة الله على الإطلاق، الشعراني، عبد الوهاب، هامشه: ابن عطاء الله السكندري، المطبعة الميمنية، مصر،١٣٢١هـ / ١٩٠٣م.

٥٦ ـ مثنوي معنوي، بلخي، جلال‌الدين محمّد مولوي، طبع رينولد نيكلسون، طهران ، ١٣٨٦ش.

٥٧ ـ منهاج النجاة، كاشاني، ملا محسن فيض، نشر پيام آزادي،١٣٧٢ ش.

٥٨ ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، فضل‌بن‌حسن، المترجم: مهدي هوشمندي، دار الثقلين، قم، ١٣٧٩ش.

٥٩ ـ مجمع البحرين، فخرالدين طريحي، تحقيق سيّد أحمد حسيني، ١٤٠٨ ق.

٦٠ ـ مختصر منهاج القاصدين، مقدسي، ابن قدامة، طبع شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، دمشق، ١٣٩٨ق/ ١٩٧٨م.

٦١ ـ مجموعة الرسائل التسعة، شيرازي، صدرالدين محمّد بن إبراهيم، مكتبة المصطفوي، قم، ١٣٠٢ ق.

٦٢ ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني،حسين بن محمّد، ترجمة وتحقيق: خسروى حسينى، سيّد غلام رضا، انتشارات مرتضوى، طهران، ١٣٧٥ش.

٦٣ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المقرّي الفيّومي، أحمد ابن محمّد، قدفتر تبليغات.

٦٤ ـ مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، عزّ الدين محمود كاشاني، طبع عفت كرباسي ومحمّدرضا برزگر خالقي، طهران، ١٣٨١ش.

٦٥ ـ معراج السعادة، نراقي، ملا أحمد، زهير، قم، ١٣٨٦ش.

٦٦ ـ مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، أحمد ابن عبدالرحمن، طبع عبدالله الليثي الأنصاري، بيروت، ١٤١٩ق /١٩٩٨م.

٦٧ ـ مرآة العشّاق، المؤلّف مجهول، طبع مرضية سليماني، طهران ١٣٨٠ ش.

٦٨ ـ منهاج العابدين، غزإلی، محمّد، ترجمة عمر بن عبدالجبارسعدي ساوي، طبع أحمد شريعتي، طهران، ١٣٥٩ش.

٦٩ ـ المعجم العربي الأساسي، تإلیف وإعداد جماعة من كبار اللغويّين العرب، المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، طبعة لاروس، ١٩٨٩م.

٧٠ ـ محاسبة النفس، الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن علي، المحقّق: حسّون، نشر مؤسّسة قائم آل محمّد عجّل الله فرجه، قم، ١٤١٣ق/ ١٣٧١ش.

٧١ ـ نامههاي عين القضاة، همداني، عين القضاة، طبع علي نقي منزوي وعفيف عسيران، طهران ، ١٣٨٠ش.



الأثر القرآني في ديوان الإمام السجّاد عليه السلام

❑ الدكتور عاطي عبيات، والأستاذ حسين الساعدي

الملخّص

يعتبر القرآن الكريم من أهمّ المصادر الفنية التي استقى منه الكثير من الشعراء والأدباء والكتّاب والمفكّرين قديماً وحديثاً في إغناء تجاربهم الفنية. فقد حظي القرآن الكريم بنصيب وافر من الدراسات الأدبية والفكرية؛ نظراً لما له من أسلوب معجز وقيمة سامية، ولذلك تأثّر الأدباء والشعراء بمعانيه وأساليبه وقصصه، عبر إلية(الاقتباس قديماً- أو التناص حديثاً) وراحوا يستثمرون معانيه ومفاهيمه وقيمه وإيحاءاته في ابداعتهم.

ومن جملة حملة القرآن(الدوحة النبوية) الذين تأثّروا كثيراً بهذا الكتاب المعجز هو الإمام السجّاد عليه السلام، فراح من خلال القرآن يدعو إلى الزهد والابتعاد عن ملذّات الدنيا، وزجر النفس عن اتّباع الهوى، ومناصرة الحقّ والوقوف بوجه الظلم، والدعوة والإنابة إلى الله عزّ وجلّ، والتذكير بالآخرة ونعيمها، وزوال الدّنيا ولذائذها، وما شابه ذلك.

فحاولت هذه الدراسة قدر الإمكان الكشف عن معطيات التناص الديني المتمثّل بـ(القرآن) في الديوان المنسوب إلى لإمام زين العابدين عليه السلام، فكانت هذه المعطيات بالمحصّلة لها الأثر المشهود في تطوير وتخصيب تجربة الإمام الفنية.

تُعنى هذه الدراسة بتناول أثر القرآن الكريم عبر آلية(التناص) في الديوان المنسوب إلى الإمام السجّاد عليه السلام، في محاولة لاستكشاف العلاقة الوطيدة بين الإمام ومرجعيته الدينية، ممثّلة بالقرآن الكريم، ثمّ الكشف عن مدى تأثّر الإمام بتراثه الذي يأتي القرآن الكريم في المنزلة العليا من منازله.

يهدف المقال عبر المنهج الوصفي ـ التحليلي الوقوف على آلية توظيف القرآن الكريم وأشكاله، ومعرفة أثر هذا التوظيف في تطوير الحقول الدلالية للنصّ الشعري للإمام السجّاد عليه السلام، ومعرفة أثر هذا الاستدعاء على ذهنية المتلقّي. فقد اعتمد الباحث على القرآن الكريم والديوان المنسوب إلى لإمام «زين العابدين» في إغناء دراسته الفنية، فانعكس ذلك على إثبات النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

المقدّمة

يشكّل القرآن الكريم منبعاً ثرّاً، وعطاءً مستمراً، وملاذاً خصباً، يلجأ إليه الشعراء والأدباء في أعمالهم الأدبية المختلفة؛ لأنّه يشكّل جزءاً ثابتاً من حياتهم المعيشة، ويحمل نواة بقائهم ووجودهم واندماجهم بالحياة. وقد وجد الشعراء منذ زمن بعيد في القرآن الكريم ضالتهم التي ينشدونها للتعبير عمّا يجيش في خواطرهم من رؤى، فلجأ إليه مستلهمين معانيه وأحداثه المختلفة محاولين ربط الأحداث المعاصرة به مما يعطي أشعارهم أبعاداً عميقة في القوة والتأثير، لا سيما أنّهم وجدوا شبهاً واضحاً بين أحداث اليوم وأحداث الزمن الغابر. فلقد كان للّغة القران الكريم أثر في لغة شعراء صدر الإسلام هذا الأثر انعكس على الألفاظ ودلالات تلك اللغة؛ إذ بدأ الشاعر يستعمل مفرداتها

ودلالاتها في رسم صورهِ الشعرية والتعبير عنها[١].

والحقّ أن الحركة الشعرية لا تستطيعُ أن تقطع أشواط الصلة بجذور التراث الأدبي، فهو يمثل الاصالة التي تُعطي للقصيدة هويتها، ولذلك يمكن أن نقول: إنّ اللغة الشعرية تتخلص من الغريب والمهجور والمعقد إذا ازدادت ثقافة الأُمة[٢]، فاللغة الشعرية تحمل طاقات انفعالية جمالية تمدّ جسوراً بين المتلقي والشاعر، عندها ينبغي للشاعر أن يوصل تجاربه الخاصّة بمنتهي القوة النافذة[٣]. فظلّ القرآن الكريم مصدراً يستلهم منه الأدباء معانيهم مستغلّين طاقاتهم الإبداعية في الوصل بين تجاربهم ونصوصه؛ وهم بذلك يثبتون أنّ التراث الديني مستمر ودائم وقابل للتشكيل وإعادة الصياغة[٤].

لذلك شكلّ القرآن وأحداثه حضوراً فاعلاً في الشعر العربي طيلة العصور، ولذلك عَمَدَ الشعراء على توظيف النص القرآني واستثماره والعمل على امتصاص لغته وأساليبه ومضامينه، فتكثيف استدعاء النص القرآني عبر(التناص) جاء وفقاً لما «تتميّز بهِ اللغة القرآنية من إشعاع وتجدّد، ولما فيها من طاقات إبداعية، تصل بين الشاعر والمتلقّي، بحيث تستطيع التأثير في المتلقّي بشكل مباشر. يضاف إلى ذلك قابليتها المستمرّة لإعادة التشكيل والصياغة من جديد، بحيث يستطيع عدّة شعراء أن يستثمروا الآية الواحدة، من خلال إسقاط مغزاها،

(١) اللغة في شعر أبي أسحاق الألبيري: ٢٣٥.
(٢) أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: ١٣٦- ١٣٩.
(٣) قواعد النقد الأدبي: ٣٤.
(٤) الشعر والتاريخ : ١٥.

أو شكلها،على أزماتهم الخاصّة، لتعبّر عن تجاربهم الفردية من دون أن يلتزموا صيغة واحدة»[١]. ولإثراء تجاربهم وتطوير أدواتهم التعبيرية عمدوا إلى تفجير الطاقات الكامنة في النص القرآني ووظفوا آياته «بآليات متخالفة مرّة ومتآلفة مرّات، وهذا يدلّ على أنّهم لم يتعاملوا معه بصورة إلية أو ميكانيكية أُحادية الدلالة، بل تعاملوا معه بوعي فكري ونفسي ووجداني، تتعدّد فيها الدلالة وتتحوّل الآية أو "الشخصية القرآنية" إلى عالم يزخر بدلالات ومنظورات متعددة ومتكّثرة، دون انفصال عن نسيج القصيدة، وتوهّج التجربة الشعرية»[٢].

واعتبر النص القرآني مصدراً غنياً للتناص وللإلهام الشعري على مستوى الدلالة والرؤية، و«ذلك أنَّ استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر، يعني إعطاء مصداقية وتميُّز لدلالات النصوص الشعرية، انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني، وقداسته وإعجازه»[٣].

فالقرآن الكريم، بألفاظه ومعانيه وتراكيبه وصوره، كان حاضراً في شعر الإمام السجّادعليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً، فأغنى الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده. ولعلّ استحضار تلك الصور كان أدق وأخفى على المتتبّع؛ إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمّه هذا الكتاب الكريم بين دفّتيه من أسرار البيان وكنوزه.

وهذا البحث ينطوي على محورين أساسيين: فالمحور الأول تركّز على

---

(١) التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً: ١٠٠.

(٢) آفاق الرؤيا الشعرية : ٢٥.

(٣) القرآنية في شعر الرواد: ١٣٤.

أهمية التناص أو الاقتباس القرآني في النص الأدبي، والمحور الثاني تركز على أنواع التناص في شعر الإمام السجّادعليه السلام ومدى تأثيره على تجربة الإمام الفنية وبيان مدى تأثيره في نقل التجربة الشعرية والشعورية للمتلقيّ.

١- حياة الإمام السجّادعليه السلام وسيرته العلمية والأدبية

هو الإمام عليّ بن الحسينعليه السلام رابع أئمّة أهل البيتعليهم السلام، وجدّه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصيّ رسول اللهصلى الله عليه وآله، وأوّل من أسلم وآمن برسالته، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، كما صحّ في الحديث عنه[1]. وجدّته فاطمة الزهراء بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله وبضعته، وفلذة كبده، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها. وأبوه الإمام الحسينعليه السلام أحد سيِّدَيْ شباب أهل الجنّة، سبط الرسول وريحانته ومن قال فيه جدّهصلى الله عليه وآله: «**حسين منّي، وأنا من حسين**»، وهو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين. وهو أحد الأئمّة الاثني عشرعليهم السلام الذين نصّ عليهم النبيّصلى الله عليه وآله كما جاء في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، إذ قال: «**الخلفاء بعدي اثنا عشر كلّهم من قريش**»[2].

وقد ولد الإمام علي بن الحسينعليهما السلام في سنة ثمان وثلاثين للهجرة، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. وعاش سبعة وخمسين سنة تقريباً، قضى ما يقارب سنتين أو أربع منها في كنف جدّه الإمام عليّعليه السلام، ثمّ ترعرع في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسينعليهما السلام سبطي الرسول الأعظمصلى الله عليه وآله، وارتوى من نمير العلوم النبوية، واستقى من ينبوع أهل البيت الطاهرين.

---

(١) صحيح مسلم٧: ١٢١، نقلاً عن النسخة الكترونية لأعلام الهداية الإمام على بن الحسينعليه السلام.

(٢) إثبات الهداة ٢: ٣٢٠، حديث١١٦، نقلاً عن أعلام الهداية (الموقع الأكتروني).

برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، واعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليّته، وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيّته. كان للمسلمين عموماً تعلّق عاطفي شديد بهذا الإمام، وولاء روحي عميق له، وكانت قواعده الشعبية ممتدّة في كلّ مكان من العالم الإسلامي، كما يشير إلى ذلك موقف الحجيج الأعظم منه، حينما حجّ هشام بن عبد الملك[١].

لم تكن ثقة الأُمّة بالإمام زين العابدين عليه السلام ـ على اختلاف اتّجاهاتها ومذاهبها ـ مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً، ومفزعاً في كلّ مشاكل الحياة وقضاياها، بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين. ومن هنا نجد أنّ عبد الملك بن مروان قد استنجد بالإمام زين العابدين عليه السلام لحلّ مشكلة التعامل بالنقود الرومية إبّان تهديد الملك الروماني له بإذلال المسلمين[٢]. وقد قدّر للإمام زين العابدين أن يتسلّم مسؤولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه عليه السلام، فمارسها خلال النصف الثاني من القرن الأوّل، في مرحلة من أدقّ المراحل التي مرّت بها الأُمة وقتئذٍ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأُولى، فقد امتدّت هذه الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي، فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وضمّت شعوباً مختلفة وبلاداً واسعة إلى الدعوة الجديدة، وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدّن وقتئذ خلال نصف قرن.

---

(١) اختيار معرفة الرجال:١٢٩ـ ١٣٢.

(٢) دراسات وبحوث للعاملي ١: ١٢٧ ـ ١٣٧.

تعرّضت الأُمّة الإسلامية في عصر هذا الإمام عليه السلام لخطرين كبيرين:

الخطر الأوّل: هو خطر الانفتاح على الثقافات المتنوّعة، والذي قد ينتهي بالأمة إلى التميّع والذوبان وفقدان أصالتها، فكان لابدّ من عمل علمي يؤكّد للمسلمين أصالتهم الفكرية وشخصيّتهم التشريعية المتميّزة المستمدّة من الكتاب والسنّة. وكان لابدّ من تأصيل للشخصية الإسلامية، وذلك من خلال زرع بذور الاجتهاد. وهذا ما قام به الإمام علي بن الحسين عليه السلام فقد بدأ حلقة من البحث والدرس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وأخذ يحدّث الناس بصنوف المعرفة الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتربية وعرفان، وراح يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين. وهكذا تخرّج من هذه الحلقة الدراسيّة عدد مهمّ من فقهاء المسلمين، وكانت هذه الحلقة المباركة هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس الفقه الإسلامي وكانت الأساس لحركة الفقه الناشطة.

الخطر الثاني: هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذّات الحياة الدنيا والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وبالتالي ضمور الشعور بالقيم الخلقية. وقد اتّخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من الدعاء أساساً لدرء هذا الخطر الكبير الذي ينخر في الشخصية الإسلامية ويهزّها من داخلها هزّاً عنيفاً ويحول بينها وبين الاستمرار في أداء رسالتها. ومن هنا كانت «الصحيفة السجّادية» تعبيراً صادقاً عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام عليه السلام إضافة إلى كونها تراثاً ربّانياً فريداً يظلّ على مرّ الدهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب، وتظلّ الإنسانية بحاجة إلى هذا التراث المحمّدي العلوي، وتزداد إليه حاجة كلّما ازداد الشيطان للإنسانية إغراءً والدنيا فتنةً له[1].

فاتّفق المسلمون على تعظيم الإمام زين العابدين عليه السلام وأجمعوا على

(١) لاحظ مقدّمة الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره على الصحيفة السجّادية، نقلاً عن أعلام الهداية (الموقع الاكتروني).

الاعتراف له بالفضل، وأنّه علم شاهق في هذه الدنيا، لا يدانيه أحد في فضائله وعلمه وتقواه، وكان من مظاهر تبجيلهم له أنّهم كانوا يتبرّكون بتقبيل يده ووضعها على عيونهم[1]، ولم يقتصر تعظيمه على الذين صحبوه أو التقوا به، وإنّما شمل المؤرّخين على اختلاف ميولهم واتّجاهاتهم، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته، وأضفوا عليه جميع الألقاب الكريمة والنعوت الشريفة.

الدراسات السابقة

الدراسة التي نحن بصددها على حد ظنيّ والله أعلم، لم يفرد أحد من الباحثين بحثاً مستقلاً تناول شعر الإمام السجّاد عليه السلام بل كل ما وجدناه هي أبحاث تركّزت حول الصحيفة السجّادية وحول الأدعية الواردة وحول حقوق الإنسان وحول الشخصية العرفانية وحول الزهد في الصحيفة السجّادية وحول بلاغة الإمام وما إلى ذلك من أبحاث تركّزت على الجانب الديني والعقائدي والدور التاريخي للإمام في إحياء الثورة الحسينية.

٢- التناص في اللغة والاصطلاح

٢-١- مفهوم التناص لغة:

التناص: مصطلح نقدي حديث وافد من الغرب، فرض حضوره في مجمل الدراسات الغربية والعربية منها مؤخّراً. وهو حديث الوفادة على المشرق العربي، ولقد اختلفت النظريات والمفاهيم والتفسيرات حوله باختلاف التيارات الفكرية

---

(١) العقد الفريد ٢ : ٢٥١.

والمدارس النقدية أساساً في الغرب. والتناص لفظ يعود إلى جذره اللغوي (نصص)، وقد أورد أصحاب المعاجم اللغوية مجموعة من المعاني تفسّر هذا الجذر، فقد جاء في لسان العرب أنّ النص: «رفعك الشيء. نصّ الحديث ينصه نصاً: رفعه وكل ما أظهر فقد نصّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصل لحديث من الزهوي: أي أرفع له وأسند... ونص المتاع نصّاً: جعل بعضه على بعض...والنص: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها... والنصّ: الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنص التوقيف، والنصّ التعيين على شيء ما»(١). فالجذر نصص تتولّد عنه عدّة دوال ومعان متقاربة، تنتمي جميعها إلى حقل دلالي واحد، «وربما كان أكثرها اتصالا بالمنطقة النقدية، هو دلالتها على عملية (التوثيق) ونسبة الحديث إلى صاحبه، وذلك عن طريق متابعة ما عند صاحب الحديث لاستخراج كل عناصره حتى بلوغ منتهاها»(٢). أمّا التراكم الذي يكون (بجعل الشيء بعضه فوق بعض) فلا يقوم إلا على التمايز والتفاعل والتشارك.

وفي إطار هذا المفهوم نستطيع أن نجد علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للتناص، إذا علمنا أنّ مادة التناص بصورتها اللفظية تحتوي على المفاعلة؛ والمفاعلة لا يمكن تحققّها الفعلي إلا إذا توفّر التمايز والتعّدد على نحو من الأنحاء(٣).

٢-٢- التناص اصطلاحاً

يعتبر التناص (intersexuality) من أبرز تقنيات الشعر الحداثي، وقد ظهر

---

(١) لسان العرب، مادة (نصّ).

(٢) قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، ص١٣٧.

(٣) المصدر نفسه.

كمصطلح نقدي جديد في الآونة الأخيرة وارتبط هذا المصطلح بالمدارس النقدية الأجنبية،رغم أنّ ظاهرة التناص لها جذور عميقة في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم، حيث «إنّ التضمين والاقتباس والمعارضة والمناقضة تقترب إلى حدّ كبير من مصطلح التناص، مع الإقرار بأنّ التناص بصورته النقدية الآنية أكثر تطوّراً وتعقيداً من هذه المصطلحات النقدية العربية القديمة، إذ إنّه يحمل طابع العصر ويدلّ على معانٍ وأنواع أكثر تعدّداً وتنوعاً وتعقيداً»[١]. ولقد برز هذا المصطلح على يد "جوليا كريستيفا"، غير أنّ الولادة الحقيقية له كانت على أيدي الشكلانيين الروس أمثال شكلوفسكي وميخائيل باختين، حيث كثير من النقّاد يعتقدون «أنّ الأخير هو أوّل من صاغ نظرية في تداخل النصوص. على حين أنّ جوليا كرستيفا قد استحدثت هذا المصطلح(التناص)،عند تقديمها لكتاب "باختين" عن ديستوفسكي»[٢]. فالتناص عند"جوليا" يقصد به: «أنّ كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى»[٣]. بمعنى آخر أنّ كلّ نصّ يظهر للوجود من خلال إعادة إنتاجه من نصوصه المختلفة.

فالتناص بمعنى: تداخل النصوص وتفاعلها من الظواهر التي تتسم بها النصوص الأدبية المنتجة بعامة، فالنص لابدّ له بصورة أو أخرى من أن يتفاعل مع غيره من النصوص الأخرى؛ لإنتاج نص أدبي جديد، يستقي أشياء كثيرة من

---

(١) التناص في شعر فوزي عيسى: ١٤.

(٢) التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً: ١٤.

(٣) التناص في شعر فوزي عيسى: ١٥.

تجربة الشاعر الذاتية،تنضاف إليها التناصات المقتبسة عمداً أو عفواً[١]، فالتناص كما يقال ليس عملية شكلية تتأسس على التواصل الشكلي بين النصوص، وإنّما يعني التناص الفاعل تمازجا وتشابكاً وتلاحماً بين النصوص التي تقيض للقارئ فرصة معاينة النصوص معاينة قائمة على إثارة وعيه وإدراكه واستنفار معرفته وخبرته في النص الوافد وما طرأ عليه من تحوّلات في تغيير دلالاته عندما يدخل في نسيج النص الجديد ويصبح جزءاً لايتجزّأ منه، فالنصّ المستقبل ممكن أن يحور ويبدّل ويغيّر في النص الوافد، وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع.فالتناص يقوم بمزج وتركيب وإذابة النص في تركيب جديد مما يعطيه بُعداً دلالياً آخر للنصّ الغائب في تركيبته الجديدة وتنشأ علاقة وطيدة وحميمة ما بين النصّين تبدأ بالإشارة وتنتهي عند إحاطة القارئ بمناخ دلالية تدفع به نحو قراءة تأويلية تقوّه على التفكيك وإعادة البناء[٢]. فالتناص «يكسب النص جانباً مهمّاً من قيمته ومعناه، مما يمكننا من استجلاء المعاني التي يطرحها، ويعمّق فهمنا لها، كما يمكننا من طرح عدّة توقّعات حين نواجه النصّ، فيشبع فينا هذه التوقّعات، ويزوّدنا بالمسلّمات التي تعيننا على فهم النص الذي نتعامل معه، والتي أرسلتها نصوص سابقة، ويتعامل معها كل نص جديد بطريقته الخاصّة، فينمّيها ويرسّخها، ويضيف إليها، فالتناص بؤرة مزدوجة يلفت من خلالها الانتباه إلى النصوص الغائبة فتتخلى عن استقلاليتها، ويدعو إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكوّنات لشيفرة خاصة تساعد على فهم النص الذي نتعامل معه، وتفضّ مغإلىقه»[٣].

---

(١) التناص في مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة: ٨٤

(٢) من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن: ١٦٥.

(٣) دراسات نقدية وقراءات تطبيقية: ٤٩.

٣-أهمّية استدعاء التناص في النص الأدبي

ترجع أهمّية توظيف تقنية التناص لما تشكّله هذه الظاهرة من أبعاد فنية وإجراءات أسلوبية تكشف التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص، إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المتعدّدة الدينية والشعرية والتاريخية على أساس وظيفي يجسّد التفاعل الخلاق بين الماضي والحاضر. فالتناص عند «أحمد الزغبي» يقوم على أن يتضمّن « نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه، عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكّل نصّ جديد واحد متكامل»[1]. وفي هذا الإطار يرى محمّد عبدالمطّلب أنّ النضج الحقيقي، فنياً وإبداعياً، لا يتمّ للشاعر إلا من خلال تمثّل مبدأ التناص[2] الذي يمثّل « الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان، فلا حياة له بدونهما ولا عيشاً له خارجهما»[3]. لكن التناص لا يعني أن يستسلم الشاعر للنصوص السابقة، فيصبح نصه إعادة الية لما سبقه من نصوص؛ لأنّ الكلمة حينما تدخل النص الجديد تشحن بدلالات ومعان مختلفة وتحمل معها إيحاءات إلى حد ما، قد تقارب الإيحاءات السابقة، ولكنّها تحتفظ لنفسها بخصوصية تضمن لها تحقيق ذاتها بعيداً عن ذوات الأخرين، وعندما تتراكب الكلمات ضمن سياقاتها الجديدة تجعل اللغة تتحرك وتنهض من ركام الذاكرة

---

(١) تبسيط الخطاب الشعري: ٩.

(٢) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: ١٤.

(٣) تحليل الخطاب الشعري: ١٣٢.

وفوضى الأشياء في عالم فاجع، لتؤسّس كيانها وخصوصية ذاتها التي تنبع من خصوصية قولها، وتقدم تشكيلاً جديداً للعالم والأشياء[1].

٤-التراث الديني(القرآن) في شعر الإمام السجّاد عليه السلام

كان التراث الديني (القرآني) في كل العصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية. وقد شكّل التراث الديني مرجعية دلالية، لها حضورها القوي والفعّال في القصيدة العربية وتميّزه وقدرته على النهوض بانفعالات المبدع وتجاربه، والتأثير مع الوجدان الجمعي؛ لأنّ المعطيات الدينية «تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة، بما قدّمت من تصوّرات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوّعة»[2]. فقد وجدنا أنّ الإمام عليه السلام يقتبس من القرآن الكريم آياته المحكمات، وهذا الاقتباس وقع على نمطين: إمّا بالنقل الحرفي أو بالنقل الضمني، وفي كلا الحالين سمت هذه العملية بالأبيات نحو الأبداع الفنّي والشعرية فتمتعت الأبيات بالأجواء القرآنية المقدّسة التي تحدّثت عن الإيمان بالله تعالى وذمّ الدنيا ومشاهد القيامة والجزاء والجنّة والنار والتقوى والإيمان بالقضاء والقدر والتوكّل على الله في الرزق والصبر والقناعة وغير ذلك. وقد ظهر هذا التأثّر بالمعاني القرآنية في جوانب مختلفة كاللغة واللفظ والمعنى. أمّا في مجال الصورة فقد انماز التصوير الفني في هذه الأبيات بالأجواء المقدسة حيث الارتباط بالسماء وقيمها الخالدة فتطلعنا الى مشاهد القيامة والحساب والجزاء

(١) الرمز الشعري عند الصوفية: ٣٤.
(٢) المصدر نفسه: ٣٥.

والجنة والنار والكافر والمؤمن وما أعده الله للصالحين من ثواب ونعيم مقيم في جنّة الفردوس حيث الروح والريحان والراحة والسلسبيل، وليس ذلك إلا إمتداداً للجدّة والأصالة والذي ظهر في أنواع الصور الأصلية والإيحائية والمنقولة.

٥-الأثر القرآني(التناص) في شعر الإمام السجّاد عليه السلام

تأثّر الإمام عليه السلام بالصورة القرآنية فعمد إلى اقتباسها لإثراء أبعاد صورته الشعرية، فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف إليها من أسلوبه وشاعريته. وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الآخر وساعة قيام الساعة أو الجنّة والنار الدنيا والغرور والزاد والتقوى والفلاح وغير ذلك. وعمد الإمام إلى استدعاء الصورة الإيحائية فهي تلك الصورة التي «تومئ الى اللفظة القرآنية من بعيد، فهي تتضمّن شيئاً من الصورة القرآنية ولكن المتلقّي لا يستطيع أن يمسك عناصر الصورة القرآنية الا بالتلميح والتقرّب، وهي بهذا تتفاوت في بعدها وقربها وفقاً لدرجة النباهة وبالحضور الذهني لدى القارئ»[(١)]. فالشاعر فيها يعبّر عن صورة يستدعيها من سياقها القرآني ويضعها في بنيته الشعرية تشع فيها هذه اللفظة بطاقات إيحائية تسهم في إثراء صورته الشعرية والدافع من قيمتها«هكذا تكون اللفظة الواحدة كافية لاشاعة الظلال التي تربط المتلقّي بالشاعر ليعي ما يقدّمه له، حين تكون هناك ملكة خلاقة تقوى على استغلال طاقتها التصويرية وامتداداتها النفسية»[(٢)].

ومن هنا نستطيع أن نقول: إنّ الآثر القرآني(التناص القرآني) يزيد في فاعلية

---

(١) أثر القرآن في الشعر الحديث: ١٢٤.

(٢) أثر القران في الشعر الجزائري ١: ٢٤٢.

النص تأثيراً وإبداعاً، فترتاح إليه النفس وتلتفت الى السحر المبدع الذي ألفته في آيات الذكر الحكيم.وما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج كما يقال في صُلب الخطاب الأدبي إلا عبارة عن حضور للنصّ القُرآني في ذهن الشاعر وإلحاحه على اتّخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعلية النص الشَعري والتأثير إيجابياً في المتلقّين. فلقد تأثّرت بنية النَص الشعري للإمام ببنية النص القرآني، إذ كثيراً ما نجده قد اقتبس جملاً وعبارات قرآنية استلهمها واستعملها في أشعاره لنقل أحاسيس ومشاعر وأفكار وعواطف جالت في خلجات نفسه أو أحاسيس أراد نقلها وتوصيلها إلى نفس المتلقّي. فمحاولة الأديب الاقتباس من القرآن الكريم يعني «محاولة التقرّب من تلك الذروة العالية، وكلمّا أكثر الشعراء من اقتباسه كان أقرب الى تلك الذروة»[1].

لقد تضمّن شعر الإمام عليه السلام حشداً كبيراً من المفردات ذات البعد القرآني والبعد الإسلامي استخدمها القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف .وهذا يدلّ فيما يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام ذو ثقافة دينية واسعة، وقد قام بامتصاص دلالات المفردات المتناصة. وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية خاصة ذات تأثير عميق في نفس المتلقّي بعد أن يمنحها رؤيته الخاصّة.لا تكاد قصيدة واحدة من قصائد ديوان الإمام السجّاد عليه السلام تخلو من التناص الديني وربما تجد مئات المواقع المتناصة مع القرآن متناثرة في مجموع شعره، تضفي على نصوصه ثراء وتمنحه قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري والأدبي، كما أن التناص من شأنه أن يساهم في تقوية النص وتصوير أفكاره وتجليته مما يزيده قيمة وفاعلية في وجدان الناس وجمالاً ورونقاً وبهاءً.

(١) اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن: ١٧

٦- أشكال التناص في شعر الإمام السجّاد عليه السلام

١- ٦- التناص النصي (الاقتباس النصّي):

يعمد الشاعر أو الأديب في هذا النمط من الاقتباس إلى استدعاء النص القرآني في سياق بيته الشعري دون أن يقوم بتغيير النص أو تحويره وإنما يُشار إليه على أنه نص من القرآن الكريم «لأنّ ما ينبّه عليه يدخل في باب الاستشهاد»(١). ومن هنا نستطيع أن نقول: إنّ الاقتباس القرآني يزيد في فاعلية النص تأثيراً وإبداعاً، فترتاح إليه النفس وتلتفت الى السحر المبدع الذي ألفته في آيات الذكر الحكيم. و«ما الاستشهاد أو الاحتجاج المندرج في صُلب الخطاب الأدبي إلا حضور للنص القُرآني في ذهن الشاعر وإلحاحه على اتّخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية وإسهامه في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير إيجابياً في المتلقّين»(٢) والحقّ أنّ الاقتباس النصي لا يتحقّق إلا بإتيان الشاعر النص القرآني وتراكيبه.

ومن ذلك قول الإمام السجّاد عليه السلام:

وكيف يلذّ العيش من هو موقن   بموقف عدل حين تبلى السرائر

فالإمام قد استدعى نص الآية القرآنية: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ* فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ**﴾(٣). فاستضافها في بنية نصه الشعري مع تبنّيه على أنه نصٌ قرآني،فكان أن جاءت الصياغة التركيبية مطابقة على مستوى بنيتها السطحية، أمّا على مستوى بنيتها العميقة فقد جاء استعمالها الدلإلى موافقاً أيضاً. فاقتبس الإمام قوله تعالى:

---

(١) حسن التوسّل في صناعة الترسّل: ٣٢٣.

(٢) فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العبّاسي: ٣٢٧.

(٣) سورة الطارق: ٩-١٠.

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ في عجز بيته بأكمله من حيث الصياغة التركيبية مع زيادة لفظة (حين) بدل(يوم) ليكتمل البيت الشعري.

وفي مقطع آخر قال الإمام السجّاد عليه السلام[1]:

ويفنى ما حواه المرؤ أصلاً   وفعل الخير عند الله باق

فقد اقتبس الإمام عليه السلام عبارة (عند الله باق) في عجز شعره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] دون أن يحدث أي تغيير على البنية السطحية للنص الشعري، فجاءت البنية السطحية موافقاً الصياغة التركيبية. فالإمام عليه السلام هنا اقتبس الآية القرآنية الشريفة كلها أو جزءاً منها دون الإشارة إلى فعل الاقتباس مُحدثاً بذلك التحاماً بين النص القرآني والنص الشعري، فكما يقال هو التحام تلاصق وتجاور لا تداخل.

وفي مقطع أخر أنشد الإمام عليه السلام[3]:

وما ترجو النجاة به وشيكاً   وفوزاً يوم يؤخذ بالنواصي

فلست تنال عفو الله إلاّ   بتطهير النفوس من المعاصي

فنص الإمام عليه السلام يتشرّب بالنصّ القرآني الذي استدعاه في عجز بيته الشعري من قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي

(١) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام: ٤٢

(٢) سورة النحل: ٩٥-٩٧.

(٣) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام: ٤٧

وَالأَقْدَامِ﴾[١]، فعلى مستوى الصياغة التركيبية حدث تغيير طفيف، حيث وظّف الإمام (يوم) بدل (الفاء) لتتحقّق استقامة الوزن في البيت الشعري، فالسياق الشعري جاء موافقاً دلالة النص القرآني الذي يؤكّد أنّ الله عزّ وجلّ يجزي كلّ نفس بما كسبت في الدنيا ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فهو لا يظلم أحداً من خلقه، فالإمام يحث المتلقي ويشجعه على النجاة والسلامة إذا أرداها، وتحقيق ذلك يتمّ عن طريق تطهير النفس وغسلها من الذنوب والأدران والإنابة إلى الله وطلب العفو والمغفرة منه.

وقوله أيضاً[٢]:

وعفو الله أوسع كلّ شيء تعالى الله خلاق الأنام

يا من يجيب دعا المضطر في الظُّلم يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

وقد استوحى الإمام هذا المعنى في صدر البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]، وأجرى الإمام عليه السلام تعديلاً طفيفاً بالنص الغائب المستحضر، فبدل همزة النداء استعمل (الياء) للنداء بهدف تقريب العون ووصول العون والمساعدة للنفس المضطرّ من قبل الله عزّ وجلّ.

فآيات القرآن الكريم وأساليبها في الدعاء والذمّ والتعجّب والرجاء وغير ذلك أصبحت المصدر الأول الذي يستنبط منه الإمام استشهاداته؛ لما لها من دلالات مهمّة وأبعاد أدبية عميقة.

---

(١) سورة الرحمن: ٤١.

(٢) ديوان الإمام السجّادعليه السلام: ٦٨.

(٣) سورة النمل: ٦٢.

٢ ـ ٦ ـ الاقتباس الإشاري

إنّ الاقتباس الإشاري يعني: ما أشار إليه الشاعر في الآيات من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، أو هو: ما كان الشاعر يشير فيه الى آية من الآيات القرآنية. ففيه «يعمد الشاعر الى الاختصار والتكثيف اقتصاراً منه على الدلالات الإيحائية والإشارات الرمزية»(١). فالشاعر ينطلق من مبدأ أساسه «الإقرار بقداسة النصّ القرآني، فيتعامل معه بشيءٍ من التحريك والتحويل لا ينفي الأصل ولا يُحدث الشاعر ما يمسّ جوهره، ولا يتعارض معه»(٢)، محدثاً بذلك امتزاجاً بين البنية القرآنية المعجزة والشعر، منتجاً بذلك بنية جديدة.

كقول الإمام السجّادعليه السلام(٣):

فما صرفت كفّ المنية إذ أتت ... مبادرة تهوي إليه الذخائر

ولا دفعت عنه الحصون التي بنى ... وحفّ بها أنهارها والدساكر

فليس له من كربة الموت فارج ... وليس له ممّا يحاذر ناصر

فالاقتباس واضح الإشارة إلى الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٤)، فإنّ هذا المفهوم يتواشج دلاليا مع ملفوظ النص الغائب، ويؤازر دلالته، ويدعم فكرته. وهنا تتجلّى فاعلية الامتصاص الشعري للتركيب القرآني حيث وظّفه الإمامعليه السلام بصياغة جديدة أكسبها نوعاً من الخصوصية، فالتناص هنا لم يعتمد على التمثّل الخفي للتركيب

(١) القرآنية في شعر الروّاد: ٨٠.

(٢) فاعلية التعبير القراني في الشعر المحدث العباسي: ٣١٧.

(٣) ديوان الإمام السجّادعليه السلام: ٣٨-٣٩.

(٤) سورة النساء: ٧٨.

القرآني بشكل يثير في نفس المتلقّي قدرة إيحائية خاصة تمكّنه أن يستجلي النص الشعري ومدى تأثّره بالنص القرآني، ومدى استقطابه لبعض اللمحات والومضات القرآنية.

ويقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد:

وإنّ متـاع دنيانا قليل   وما يجدي القليل من المتاع

وقد استوحى الإمام عليه السلام تلك الفكرة من قوله تعالى في سورة النساء: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾(١).

وفي هذا المقطع الشعري تركّز حضور الخطاب القرآني حضوراً فاعلاً لشحن النص الشعري بكم هائل من من الإيحاءات.فلقد كان الإمام من خلال هذه الدفقة الشهرية يدعو الى ذمّ الدنيا ومتاعها، فمقام الإنسان فيها قليل، فهو يدعو الى التزوّد فيها لدار القرار دار البقاء والخلود، والتزوّد فيها يكون بالتقوى، فهي خير زاد يتزوّد به الإنسان لآخرته، فمن طلب العزّ ليبقى له فإنّ عزّ المرء يكون بتقواه.

٣-٦-الاقتباس المحور:

إن هذا النوع من الاقتباس يعني: أن يقوم الشاعر بـ« استدعاء البنية القرآنية

---

(١) المصدر نفسه.

ذوإضافتها في خطابه الشعري وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التحويرية للنص القرآني لفظاً ودلالة، حذفاً وتوليداً، تكثيفاً وتوسيعاً»[1] .

يقول الإمام السجّاد حول الدنيا وزينتها ومكرها تجاه الأهل وما يربح الإنسان منها[2]:

فـــلا تَغُرِّنكَ الدُّنيا وَزينَتُـــها وانْظُرْ إلى فِعْلها في الأَهْلِ والوَطَنِ

وانْظرْ إِلىمنْ حَوَى الدُّنيا بِأَجْمَعها هَلْ رَاحَ مِنْهـــا بِغَيْرِ الحَنْطِ والكَفَنِ

فالإمام عليه السلام قد أجرى بعض التغيير، فحور في النصّ القرآني الداخل في نصّه الشعري الذي هو: ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾[3] ، فأبدل ضمير الجمع للخطاب بالضمير المفرد، وحذف الحياة وأبقى لفظة الدنيا وأردفها بلفظة زينتها، ووجّه للخطاب للنفسه كي لا تغرّه الحياة بزينتها ويتّخذ الحذر من بريقها. وأمّا دلالة التركيب فتكاد تقترب من روح النص القرآني الذي جاء ليعبّر عن معنى واضح ، وهو: أنّ الدنيا تفتك بمن يهواها وسيصيبه الغرور نتيجة حبّه للدنيا ويغترّ ببريقها وزخارفها، وبذلك سيبتعد عن الأهل والأصدقاء ويصيبه الغرور والتكبّر ويبتعد عن الله نهائياً.

وفي هذا الصدد سئل الإمام زين لعابدين عليه السلام عن أفضل الأعمال عند الله، فقال: «**ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإنّ لذلك شعباً كثيرة، وإنّ للمعاصي شعباً، فأوّل ما عصي الله به الكبر، وهو معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، والحسد،**

(١) القرآنية في شعر الرّواد: ٣٠.

(٢) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام،ص٧٣

(٣) سورة لقمان: ٣٣.

وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعّب من ذلك حبّ النساء، وحبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الراحة، وحبّ الكلام، وحبّ العلو، وحبّ الثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهنّ في حبّ الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دار بلاء..» [1].

إنّ حبّ الدنيا أساس البلاء، ومصدر الفتن، والأخطاء التي يمنى بها الإنسان، فإنّ تهالكه على الدنيا يجرّ له كثيراً من المعاصي والآثام، ويلقيه في شرّ عظيم، وقد ذكر الإمام عليه السلام بعض الآفات من حب الدنيا، والتي منها: التكبّر، الحسد- حبّ النساء، حبّ الرياسة، حبّ الراحة، حبّ الكلام، حبّ العلو على الغير، حبّ الثروة. وهذه الآفات قد جعلت الإنسان يسلك في المنعطفات، وأغرقته في الآثام، وأبعدته عن طريق الحق.

وفي مقطع آخر يقول الإمام عن التقوى وضرورة التزوّد بالتقوى والزاد قبل دنو الموت، حيث يقول[2]:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التُقى ... ولاقيت قبل الموت من قد تزوّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وإنّك لم ترصد لما كان أرصدا

فلقد استمد الإمام هذا المضمون من قوله عزّ وجلّ: **﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾**[3].

---

(١) الكافي، باب ذمّ الدنيا.

(٢) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام: ٦٢.

(٣) سورة البقرة: ١٩٧.

والاقتباس في هذه القطعة الشعرية واضح وهو مما «يزداد به الكلام حلاوة ويكتسب به رونقاً وطلاة، ولا سيما إذا كان الاقتباس بآيات من القرآن الكريم، فإنّها تكون في الكلام كالشاهدة له، والمنادية على سداده»[1].

وفي محور آخر يقول الإمام عليه السلام[2]:

فمن حسُنت أفعاله فهو فائز   ومن قبُحت أفعاله فهو زاهق

إنّنا نستشف في النص الشعري قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[3]، ولكن هذا الاستدعاء لم يخلو من التحوير بحيث أبدل الإمام(ثقلت- للنص الغائب) بدل حسُنت في النص الحاضر،كما أبدل المفلحون بالفائز وإن هي في معنى واحد، وأبدل الإمام عليه السلام(خفّت -للنص الغائب) بقبحت، كما أبدل لفظة خسروا القرآنية بلفظة زهق والتي تعني الباطل والخسارة أيضاً. فقد امتاح الإمام عليه السلام من مفردات القرآن الكريم وتأثّر بالروح العامّة لصياغاته الأسلوبية وإيقاعاته الإيحائية التي أضفت على نص الشاعر صفة القداسة، وجذبت اهتمام المتلقّي وأحدثت تأثيرًا بالغًا عبر تحريك القيم الكامنة في وجدانه باكتشاف الفعّاليات التناصية التي يقيمها النصّ الشعري مع القرآن، ممّا يسهل عليه إدراك حقيقة التناص وحفظ النص، ومواصلة الترنم بأسلوبه، واستحضار الشبكة الدلالية للأسلوب القرآني.

وفي مقطع آخر يرسم الإمام القيامة وأهوالها ويصوّر ذلك اليوم بعدسة

---

(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: ٢٣٢.

(٢) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام: ٥٣.

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٣.

قرآنية إذا جاز التعبير،حيث يقول(الديوان:٤٦)[١]:

عظيم هـوله والـناس فيـه حيارى مثل مثبوث الفراش

هنالك منك ما قدّمت يبدو فعيبك ظاهر والسرُّ فـاش

فلقد قام الإمام ﵇ باستدعاء بنية الـنص القرآنـي فـي خطابـه الـشعري عـن طريق العملية التحويرية للنص الذي أخذه من قوله تعـالى: **﴿يَوْمَ يَكُـونُ النَّـاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾**[٢]، فدلالة النَص الشعري قريبة من روح النص القرآني الدالة عن القيامة وأهوالها. فالمشهد المعروض فـي الآية والمعنى المستوحاة منه في لغة الإمـام مـشهد مخيـف «وهـول مـادّي يبـدو الناس في ظله ضئالاً على كثرتهم، فهم "كالفراش المبثـوث" مـستطارون كـذلك مستخفون؛ وتبدو الجبال الثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح الهوج»[٣].

وبعد هذا يمكننـا أن نقـول: إنَّ الاقتبـاس الـذي أدّاه الإمـام﵇ قـد تـم عـن طريق اقتباس لآيات كاملة وتراكيب بعينها ضمنها في أبياته الشعرية أو عن طريق اقتباس شبه كامل للآيات أو التراكيب القرآنية، وقد يكون الاقتبـاس إشـارات أو رموزًا لآيات معيّنة أو سور قرآنية بالاعتماد على ثقافة المتلقّي القرآنية فضلاً عن ذكاءه وفطنته التي ترشده الى فهمها بالإشارة أو الرمز.

وأنشد الإمام في مقطع آخر[٤]:

إذا نصب الميزان للفصـل والقضاء وأبلس محجاج وأخرس ناطق

---

(١) ديوان الإمام السجّاد﵇: ٤٦.

(٢) سورة القارعة : ٤-٥.

(٣) مشاهد القيامة في القرآن: ٦٥.

(٤) ديوان الإمام السجّاد﵇: ٦٢-٦٣.

وأجّجت النيران واشتدّ غيظها　　　إذا فتحت أبوابها والمغالق

وفي هذا القطعة الشعرية يوجد تناص أو اقتباس محوري مع أكثر من آية في الموضع الواحد، وهذه الكثافة التناصية تعود إلى تعدد السياقات داخل النص الحاضر أو تعدّد الإشارات الصادرة منه.وقد استدعى الإمام السجّاد عليه السلام في نصه البيت الأوّل قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ* وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1]، وفي البيت الثاني قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً* وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[3]، وفي هذه الآيات تصدر إشارات دلالية واحد تشدّ النص الشعري إلى دائرتها وتحركه في فلكها.فالإمام عليه السلام قد تمثّل معاني القرآن الكريم دون أن يتقيّد بتراكيبه وعباراته، فقد عمد إلى اقتباس لفظة قرآنية أو عبارة قرآنية واحدة مستفيداً بما فيها من طاقات تعبيرية وتصويرية موحية، فضلا عن أنّ الأديب قد يعمد إلى استعمال عدّة عبارات لإفادة التعبير والتصوير، فضلاً عن تأثّر قصيدة واحدة بمعانٍ كثيرة من القرآن الكريم.

---

(١) سورة المرسلات: ٣٥-٣٦.

(٢) سورة الفرقان: ١٢-١٣.

(٣) سورة الزمر: ٧٢-٧٣.

٧- المعجم الشعري:

عندما نطالع الديوان الشعري المنسوب إلى الإمام السجّاد عليه السلام نجد أصداء المعجم القرآني بكثرة كاثرة في لغة شعر الإمام عليه السلام، فالقرآن يعتبر المصدر الأوّل لثقافة الإمام عليه السلام، ومن هنا نقول: إنّ ذلك كله يكاد يجري في ميدان لغوي واحد يتمسّك بمقوّمات اللغة الأم ولا يفرط بها ممّا يؤدّي الى بقاء بصمات التراث اللغوي شاخصة فيما يلي من أجيال وبظهور من أساليب الكلام[1] وتبقى عبقرية الشاعر والأديب وقفاً على إختياره ألفاظه وحسن تنسيقه لها، وتعدّ اللفظة هي الحجر الأساس في بنية القصيدة الشعرية وفي تلاحمها هي والألفاظ الأخرى تقديماً أو تأخيراً، حذفاً أو إضافة تتشكّل الصورة الشعرية، فاختيار اللفظة المناسبة ليس بالأمر اليسير لذلك قال أحد النقاد لعمري: إنّها لعملية شاقّة، فعلى الإنسان أن يغرق نفسه في الألفاظ وأن يغوص فيها حقيقة لا مجازاً حتى يشكل اللائق المناسب منها في الصورة المنشودة في الوقت المناسب. فاللفظة لا تحمل معناها المعجمي فقط بل تحمل طاقة إيحائية تشعُّ مع غيرها لخلق الإبداع الفني.ومن هنا يستطيع الشاعر أن يتحكّم بحرّية غير مألوفة في غير الشعر، فيمنح تلك اللغة قيمتها الشعرية، لا من خلال ما قرّرته من قواعد نحوية أو صرفية فهي تستمدّ قيمتها من خلال ارتباطها بعضها ببعض في إطار فني، فنجدها تعتمد أحيانا على التقديم والتأخير او الحذف أو التعريف والتنكير[2]، وقد حفل المعجم الشعري بالألفاظ القرآنية التي كشفت عن تقوى الشاعر وإيمانه العميق بقيم

---

(١) من تراثنا اللغوي القديم: ٦.

(٢) التعريفات: ٥٢.

السماء، وكشفت لنا عن موقعه من الحياة والعمل الصالح والتقوى من أجل الحياة الآخرة، كقول الإمام عليه السلام[١]:

وإذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ... ذُخـــراً يكونُ كسائر الأعمال

فهو يرى أن لا شيءَ ينفعُ الإنسان في قبره عند موته إلا التقوى والعمل الصالح، فهما خير زادٍ يتزود به الانسان لآخرته. وفي مقطع آخر يضمّن الإمام شعره بالعبارة القرآنية حيث يقول[٢]:

وكيف يلذّ العيش من هو موقن ... بموقف عدل حين تبلى السرائر

وعن المحاسبة الدقيقة في يوم الحساب بحيث لايظلم أحد يقول الإمام عليه السلام[٣]:

وألفى كلّ صالحة أتاها ... وسيّئة جنـــاها في الكتاب

فمفردات الشاعر الموحية المعبّرة عن مشاعره وأحاسيسه كانت قادرة على حمل أفكاره وما يحتمل في نفسه، وهي في محصلتها تمثيل صادق للإنسان المسلم المؤمن الذي لا يفارق الخوف والخشية من الله قلبه وعقله أبداً.

شكّل المعجم الشعري للإمام السجّاد عليه السلام نقلة نوعية في الأدب الإسلامي حيث تضمّن هذا المعجم العديد من المفردات القرآنية والإسلامية والتي راحت تعبّر عن روئ وآراء ودلالات نابعة من الصميم القرآني. ومن هنا عبّر الإمام عليه السلام من خلال صياغته اللغوية ومفردات تراكيبه التي استقاها من المنبع الخصب الذي لا ينضب (القرآن الكريم) عن موقفه من الحياة والموت والبعث

(١) ديوان الإمام السجّاد عليه السلام: ٥٦.

(٢) المصدرنفسه: ٤٠.

(٣) المصدرنفسه: ٤٨.

والقيامة والقضاء والقدر والتوكّل على الله والصبر والقناعة بما قسمه الله، وهو بذلك نجح في التعبير عن الوجدان الجماعي من خلال وجدانه الذاتي. ومن هذه المفردات التي كثرت بكثرة في المعجم الشعري لفظة الجلالة وصفاته (١٤) (الله، الباري، عليم حكيم، المهيمن، ذو العرش، العادل، القاهر، ذو قوّة متين، ذو الجلال، قيّوم، رؤوف، التوّاب، الرحيم)، ومفردة الموت حيث جاءت (٣٠) مرّة في معاني مترادفة كـ: (المنية- الترحال، الرحيل، المنون، الردى، الآجل، سهم المنايا، والحتف بغتة)، ومن المفردات التي شكّلت ثقلاً لا يستهان به في معجمه الشعري مفردة الدنيا حيث جاءت (٢٩) مرّة بالألفاظ مترادفة كـ: (الدنيا، دار العناء، دار الفناء، ودار الغرور)، وتصدّرت أيضاً لفظة القبر بعشرة مرّات. وراحت تتوالى ألفاظ قرآنية مثل نار جهنم(١) والنيران(١) واشتدّ غيظها(١)، وألفاظ إيمانية مثل تقوى الله(٣) والزاد وزاد التقوى(٩) والآخرة(٥) والجنّات(٣) والكتاب(٦) والصراط(٢) والشواظ(١) وبرّ الوالدين(١) والعروة الوثقى(١) والحساب(٤)، وأسماء القيامة ست مرّات، وهي (يوم الدين، مبثوث الفراش، يوم الحشر، يوم القيامة، يوم النشور، يوم الحساب)، والعمل الصالح والخير(٨)، وعفو الله(٢)، وأهل البيت(٢)، وأبناء المصطفى(١)، والبلى(٢)، والرميم(٢)، واللهو والملذّات(٢)، والتهجّد(١)، والغرور(٤)، وألفاظ دينية أخرى.

ومن ألفاظ هذه الأبيات ومعانيها يتكشّف لنا مدى التزام الإمام بالزهد والأخلاق والابتعاد عن الدنيا والانقطاع إلى الآخرة ودعوته الى معرفة حقيقة الإنسان والكون والفناء، وهو بذلك يريد أن يجعل الإنسان يعتبر ويهتدي ويتمسّك بالإيمان والقناعة والتوكّل والصبر وأنماط السلوك الصحيحة الأخرى. كلها هذه الألفاظ القرآنية المشعّة والموحية جاء بها الإمام ليؤثّر في المتلقّي

ويحثّه نحو الحياة الأخروية والتمتّع بقدر ما سمح به الله عزّ وجلّ من الدنيا والاستعداد ليوم الرحيل والفوز برضا الله وجنّاته.

لقد حفل شعر الإمام بشواهد كثيرة لم تُعنَ بحرفية النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف قدر عنايتها باستلهام الروح الإيمانية الذي يحقّقه الجهد الشعري. إذ جاءت هذه الألفاظ بلسان الحقيقة والوضوح والصراحة والجزالة ولا سيّما أنها قد اشتملت على معاني القرآن الكريم الذي يصلح لكل زمان ومكان. إنّ تأثّر شعر الإمام بأسلوب القرآن الكريم الذي يميل الى الوضوح ومخاطبة العقول بالحقائق جعل لغة هذا الشعر تميل نحو الوضوح والسهولة.

النتيجة:

القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه وتراكيبه وصوره كان حاضراً في شعر الإمام السجّادعليه السلام، وكان أثره واضحاً جلياً فأغنى الإمام بهذا النبع الثري صوره الأدبية التي حفلت بها قصائده، ولعلّ استحضار تلك الصور كان أدق وأخفى على المتتبّع، إذ يستدعي معرفة عميقة بما ضمّه هذا الكتاب الكريم بين دفتيه من أسرار البيان وكنوزه. فالإمام باعتباره القرآن الناطق أغنى أسلوبه من هذا الكنز اللغوي والمعرفي الفريد، وقد وظفّ النص القرآني لرسم صورة من خياله الخصب مقتبساً من النص القرآني لفظه ومعناه أحياناً.

وقد توزّعت ظواهر التناص أو الاقتباس عدّة محاور في شعر الإمامعليه السلام، كان لكلّ منها دوره الهام في إنتاج الدلالة، أو توجيهها وجهة معيّنة، كما أنّها كانت تأخذ أشكالاً مختلفة، بحيث تتفاعل المحاور مع الأشكال فتعطي التناص طبيعة داخلية وخارجية في آن واحد.

وقد كانت محاور التناص تتمثّل في المفردة القرآنية، وكذلك التركيب القرآني، ثم التناص مع أكثر من آية في الموضع الشعري الواحد، ثم التناص مع الآية كاملة، حيث رأينا الظاهرة تخرج من نطاق التناص إلى دائرة التنصيص، ثم الإضافة، حيث يضيف الإمام كلمة أو ضميراً إلى النص القرآني، فيخرج ذلك النص عن مساره القرآني إلى مساره الشعري الجديد.

وقد رأينا أنّ النص القرآني أذكى شعرية الإمام عليه السلام، بما يحمله من دلالات ومعانٍ وصور من خلال زيادة الغنى الدلالي للجملة الشعرية، ومن خلال عمق الصورة المستوحاة منه عبر استدعاء سياقات دلالية قرآنية تطابق في بعض الأحيان الدلالة المباشرة للجملة الشعرية، وقد تكمل في أحيان أخرى المعنى الذي بقي في ضمير الإمام. فعمد الإمام الى اقتباس الصورة القرآنية لإثراء أبعاد صورته الشعرية، فهو ينقل جوهر الحدث في صورته الشعرية ويضيف إليها من أسلوبه وشاعريته. وتدور غالبية موضوعاتها حول اليوم الآخر وساعة القيام، والموت، والتقوى، والزهد، والجنّة والنار، والتحذير من الدنيا وزخارفها، والإرشاد والهداية، وغير ذلك من المفاهيم الإسلامية العريقة.

المراجع والمآخذ

القرآن الكريم

١ ـ إثبات الهداة، الحرّ العاملي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، بيروت.

٢ ـ أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي، غضيب أحمد شاكر، رسالة ماجستير، جامعة بغداد كلّية الآداب، العراق، بغداد،١٩٨٩م.

٣ ـ أثر القران في الشعر الجزائري، محمّد ناصر أبوحجام، غردابة،الجزائر،١٩٨٧م.

٤ ـ أثر القران في الشعر الحديث، عبّود شرّاد شلتاغ، دار المعرفة،سورية، دمشق، ١٩٨٧م.

٥ ـ اختيار معرفة الرجال، محمّد بن عمرالكشّي، مؤسّسة آل البيتعليهم السلام، ايران،قم.

٦ ـ اقتباس شعراء صدر الإسلام من القرآن، مكّي العاني، مجلّة آداب المستنصرية، العدد ٢٠،١٩٩١م.

٧ ـ آفاق الرؤيا الشعرية، إبراهيم نمرموسى، فلسطين، رام الله،٢٠٠٥م.

٨ ـ تبسيط الخطاب الشعري دراسة في بنية اللغة الشعرية ومصادرها عند حيدر محمود، زياد الزعبي، منشورات أمانة عمّان الكبرى، عمّان، ١٩٩٥م.

٩ ـ تحليل الخطاب الشعري، محمّد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، لبنان، بيروت،١٩٨٥م.

١٠ ـ التعريفات، أبو الحسن الحسني الجرجاني،تحقيق د.أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامّة، العراق، بغداد، ١٩٨٦م.

١١ ـ التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً، أحمد طعمة حلبي، الهيئة السورية للكتاب،سورية، دمشق،٢٠٠٧م.

١٢ ـ التناص في شعر فوزي عيسى، سالم عبدالرزّاق سليمان، دارالمعرفة الجامعية، مصر، الأسكندرية،٢٠١١م.

١٣ ـ التناص في مختارات من شعر انتفاضة الأقصى المباركة، عبدالرحيم حمدان، مجلّة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، مجلّد٣، العدد ٣، ٢٠٠٦م.

١٤ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)، تحقيق مصطفي جواد جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي،العراق، بغداد، ١٩٦٥م.

١٥ ـ حسن التوسّل في صناعة الترسّل، الحلبي (ت٧٢٥هـ)، تحقيق أكرم عثمان،

وزارة الثقافة والإعلام، العراق بغداد، ١٩٨٠م.

١٦ ـ دراسات نقدية وقراءات تطبيقية،حافظ صبري، دار الشرقيات، مصر، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٧ ـ دراسات وبحوثات للعاملي، نقلاً عن أعلام الهداية (الموقع الاكتروني).

١٨ ـ ديوان الإمام السجّادعليه السلام، علي بن الحسين السجّاد، ماجد أحمد العطية، مؤسّسة النور للمطبوعات،لبنان، بيروت،٢٠٠٢م.

١٩ ـ الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر،، دار الأندلس، لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٠ ـ الشعر والتاريخ، عبده قاسم، مجلّة الفصول، المجلد٣، العدد٢، ١٩٩٤م.

٢١ ـ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري(ت٢٦١هـ)، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة، دار إحياء الشعب، مصر.

٢٢ ـ العقد الفريد، الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمّد ابن عبد ربّه (ت٣٢٨هـ)، تحقيق أحمد أمين إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التإلىف والترجمة والنشر، ط٣، مصر، القاهرة.

٢٣ ـ فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدّث العبّاسي، عبدالله الحذيفي، أُطروحة دكتوراه، كلّية الآداب الجامعة، ١٩٩٩م.

٢٤ ـ قراءات أُسلوبية في الشعر الحديث، محمّد عبد المطّلب، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ١٩٩٥م.

٢٥ ـ القرآنية في شعر الروّاد، محمّد التميمي، رسالة ماجستير، كلّية الآداب، العراق، القادسية، ٢٠٠٠م.

٢٦ ـ قواعد النقد الأدبي، لاسل أُبركرمبي، ترجمة محمّد عوض محمّد، ط٣،مصر،القاهرة،١٩٥٤م.

٢٧ ـ لسان العرب،محمّدبن مكرم، ابن منظور، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت.

٢٨ ـ مشاهد القيامة في القرآن، القاهرة، سيّد قطب، دار المعارف، مصر،٢٠٠٣م.

٢٩ ـ مقدّمة الشهيد محمّد باقر الصدرقُدِّسَ سِرُّه على الصحيفة السجّادية، آية الله الشهيد محمّد باقر الصدر، العراق، النجف الأشرف.

٣٠ ـ من تراثنا اللغوي القديم، طه باقر، مطبعة المجمع العلمي العراقي،العراق، بغداد، ١٩٨٠م.

٣١ ـ من معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن،خليل إبراهيم محمود، دار مجد لاوي، عمّان، ٢٠٠٦م.



أهل البيت عليهم السلام في شعر الإمام زين العابدين عليه السلام

مدحا ورثاءً

❑ السيّد محمّد كلامي

الخلاصة

اشتهر بين العلماء والكتّاب الحديث عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام بما هو إمام منصوب من الله تعالى، أو بما أنّه رجل صالح كثير العبادة، أو بما أنّه ألّف الأدعية العظيمة المعروفة بالصحيفة السجّادية، وغير ذلك من الأمور المعروفة عن شخصيته ومكانته في الإسلام ؛ غير أنّهم لم يبحثوا عن شاعريته إلا بشكل ضئيل جداً.

وهذه المقالة قد التفتت الى هذه الجانب المهم بما تضمنه من أشعار له عليه السلام.

شعر الإمام علي بن الحسين عليه السلام متعدّد الجوانب والاتّجاهات حول اُمور الدين والدنيا والزهد والأخلاق وبعض القضايا الاجتماعية، والبحث عن هذه الاُمور يحتاج الى كتاب كبير، ولكنّنا اكتفينا من شعره بذلك الشعر المخصوص بالرثاء والآخر المخصوص بالمدح .

حياة الشاعر

من المتعارف المشهور بين الذين يكتبون عن أحد الشعراء أن يكتبوا عنه مقدّمة سواء كانت تفصيلية أم مختصرة تلقي بأضوائها على جوانب معيّنة من شخصيته وعلى فكرة حول شعره. وطبقاً لهذا المنهج فسوف نذكر شيئاً مختصراً عن علي بن الحسين بما يتناسب وحجم هذه المقالة.

نسبه الشريف

أبو الحسن ـ وقيل: كنيته ـ أبو بكر علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ونكتفي بهذا المقدار من نسبه الكريم الذي يعبّر غاية التعبير عن مكانة مرموقة جدّاً يرثها من أبيه وجدّه (سلام الله عليهما).

حياته العلمية

باعتبار أنّ علي بن الحسين إمام منصوب من الله فإنّ الله تعالى هو الذي يلهمه العلوم، وهذا هو المصدر الأكبر لعلومه ومعارفه الجمّة. إضافة الى ما تلقّاه من علوم أبيه وعمّه الحسن المجتبى عليهما السلام، فكان عالماً كبيراً في شريعة جدّه المصطفي ومعلّماً للقرآن الكريم وأستاذاً بارعاً في التربية والأخلاق وغير ذلك.

قال الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد عن علوم زين العابدين: «ولقد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يُحصى كثرةً، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيّام ما هو مشهور بين العلماء، ولو قصدنا الى شرح ذلك لطال به الخطاب وانقضى به الزمان»[١].

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ١٥٣.

حياته السياسية

كان الإمام علي بن الحسين يعيش ظروفا سياسية قاسية في ظلال الدولة الأموية حيث ان الانسان يقتل او يسجن لأبسط الأمور ولقد شاهد الإمام بأم عينيه مصارع أبيه وأهل بيته في مأساة كربلاء وقد حضرها مؤيدا لأبيه في الخروج على الظالم من الحكام ، ولولا انه كان مريضا لقاتل معه حتى الشهادة .

وكان بصورة أو بأخرى من الصور الذكية ينتقد الحكومة الأموية ويبين مساوءها كما سنرى في شعره الآتي ، وكانت له رسائل سياسية وخطب سياسية بما في ذلك أكثر من خطبة له حول مجازر كربلاء وظلم الدولة الحاكمة .

لقد استطاع علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام كما ذكروا أن يجمع بين الشؤون الروحية والمنطلقات السياسية جمعا لا يخامره التعسف ولا يشوبه الريب ، فهو العابد المتهجد ، الزاهد ، الخاشع، الأواب ، وهو المربي المقاوم للظلم والاستبداد والسند القوي للمستظعفين ليشهد العالم ان الإسلام: دين الروحية والعقيدة ودين القيادة والسياسة فلا فصل بين العبادة والسياسة في الإسلام بل هما وحدة متكاملة بمنزلة الروح والجسد .

حياته الأدبية

أنتجت مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في البلاغة والأدب جيلاً عظيم الشأن من أُدباء العلماء وبلغاء الفقهاء، وقد تبيّن ذلك في أولاده وأحفاده وعدد كبير من شيعته . وكان علي بن الحسين واحداً من أبرز هؤلاء، وكانت له يد طولى في البلاغة والأدب والكلمات القصار، وذكر الرواة والعلماء له شعراً كثيراً، وسوف تبيّن هذه المقالة أمثلة منها مقتصرة على جانب الرثاء وجانب المديح.

ولا نعني بذلك أنّه عليه السلام كان شاعراً ممتهناً مثل بعض شعراء عصره كالفرزدق وجرير وأعشى همدان وعمر بن أبي ربيعة، بل كان يقول من الشعر ما تقتضيه بعض الأغراض العقائدية أو الروحية أو السياسية .

شعر المدح

المدح هو: ذكر محاسن الممدوح والإشادة بصفاته الإيجابية وهو شيء يفرح له الممدوح ويستحسنه وكثيراً ما يعطي هدية أو جائزة ثمينة للمادح، وخصوصاً إذا كان الممدوح ملكاً، أو خليفةً أو رئيساً، وبسبب هذه الجوائز الثمينة يسرع الكثير من الشعراء الى مدح الأمراء والخلفاء وغيرهم، فيحصلون على الأموال الكثيرة والممتلكات الواسعة ؛ بل إنّ كثيراً من الشعراء يكذب متعمّداً في توصيف من يمدحونه بصفات عالية لم تكن موجودة فيه ولا تطبع سلوكه ومسيرته في أية حالة من الأحوال، بل قد يكون على الضد منها، كما نرى ذلك في أكثر الذين يمدحهم جرير أو الفرزدق أو الأخطل أو قيس الرقيات .

ولمّا كان الإمام العابدين عليه السلام إماماً في الدين وزاهداً في زخارف الدنيا، وصادقاً في كلّ ما يقول، فلذلك لم يكن مادحاً لغير مَن يستحقّون المدح والتبجيل حقيقةً .

شعــر الرثاء

الرثاء هو: ذكر محاسن الممدوح والإشادة بصفاته الإيجابية، إذن هو وشعر المدح متساويان، إلا أن هناك بعض الاختلاف بينهما، وهو أنّ الشعر المدح يقال

عن الأحياء وشعر الرثاء يقال عن الأموات، وفيه التفجّع والحزن وذكر خسارة فَقد المرثي[(١)]. أيضا دائرة الرثاء أوسع من دائرة المدح؛ لأنّه يشمل الخلفاء والرؤساء والأصدقاء والأقرباء وغيرهم. وهذا فارق كبير بينه وبين شعر المديح، إضافة إلا إنّه كثيراً ما يكون لغير التكسّب وطلب الأموال، وهنا فارق آخر يتمثّل في الإخلاص للميّت وصدق الارتباط والتفجّع بذكره .

وأمّا بالنسبة الى شعر الرثاء عند الإمام علي بن الحسين فإنّه يقتصر على رثائه أبناء الرسول الشهداء في أرض كربلاء، وهو شعر مؤثّر وحزين ينبض من قلب متفجّع عارف بحقّهم العظيم .

المدح

مدح أهل البيت عليهم السلام في شعره

لمّا كان الإمام زين العابدين إماماً عظيماً من أئمّة الدين وأنّه عليه السلام من رموز ذلك البيت النبوي الطاهر، إذاً لا عجب أن يخصّ أهل البيت بأبيات شعرية كثيرة، فيمدحهم فيها ويذكر فضائلهم ومناقبهم ويشير الى مقاماتهم الإلهية الشامخة .

يمكن تقسيم مديح الإمام زين العابدين لأهل البيت الى قسمين، وذلك أنّه مدحهم وذكرهم بالخير والفضيلة بشكل عام ، وأنّ له شعراً في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وآخر في مدح الإمام علي عليه السلام.

---

(١) انظر على سبيل المثال ديوان متمّم بن نويرة والذي أكثره في رثاء أخيه مالك .

مدح أهل البيت عليهم السلام بشكل عام

قال الإمام زين العابدين وهو يمدح أهل البيت (في بحر المتقارب):

لنحن على الحوض روّادُهُ   نَذودُ ويسعد وُرّادُهُ
وما فاز من فازَ إلا بنا   وما خاب من حُبُّنا زادُهُ
ومَن سرنا نال منّا السرور   ومن ساءنا ساء ميلادُهُ
ومَن كان غاصبنا حَقَّنا   فيومُ القيامةِ ميعادُهُ[1]

إذا ما مدح الشعراء الملوك والأُمراء بصفات معيّنة مثل الشجاعة والكرم والقوّة والانتصار على الأعداء، فإنّهم لا يستطيعون عادة أن يمدحوهم بواقعية وصدق في المقامات العلياء يوم الدين.

أما مثل أهل البيت الذين نصّ القرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله على مكانتهم الدينية والإلهية الكبرى فهم أهلٌ أن تمدح مكانتهم في الآخرة وأن تذكر منزلتهم الرفيعة يوم يقوم الناس لربّ العالمين. فمن هو من الملوك والرؤساء عدا أهل البيت عليهم السلام يستطيع القائل أن يقول عنهم بحقّ وصدق:

وما فاز من فاز إلا بنا   وما خاب من حُبُّنا زادُهُ

وفي أبيات أُخرى يشير الإمام زين العابدين عليه السلام الى مدح أهل البيت عن طريق الإيماء إلى أنّهم هم بالتحديد المستحقّون لخلافة وقيادة الناس. فيقول (من بحر الوافر):

لكم ما تدّعون بغير حقّ   إذا ميِّز الصحاح من المراضِ
عرفتم حقنا فجحتمونا   كما عرف السواد من البياضِ

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٦. بشارة المصطفى:: ١١٣.

كتاب الله شاهدنا عليكم فقاضيـــنا الإله فنعم قاضٍ[1]

في هذه الأبيات الرائعة يقيم الإمام زين العابدين عليه السلام الدنيا ولا يقعدها على رووس الظالمين المستبدّين من الحكّام والرؤساء الذين غصبوا حقوق آل محمّد، وانتزعوا الخلافة منهم ظلماً وعدواناً بعد علمهم أنّ الخلافة لآل البيت لا لهم، فهم يعرفون ذلك كمعرفة السواد من البياض، ولكنّهم قد غلب عليهم حبّ الدنيا ونسيان الآخرة، فهم في أمر مريج . ومَن أضلّ ممّن يرى كتاب الله يشهد بالخلافة لأهل البيت عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[2]، ثمّ لا يهتمون بكتاب الله ولا يخشى القضاء في يوم الجزاء.

كتاب الله شاهدنا عليكم وقاضينا إلــه فنعم قاض

مدح رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل خاص

كان الناس قبل البعثة النبوية يسيرون في سبل كثيرة من الأهواء والضلالات والانحرافات الدينية والفكرية، فمن عبادة الأصنام عند أكثر العرب، إلى ديانة نصرانية ابتعدت عن الدين الأصيل، الى ديانة يهودية منحرفة من مسارها الصحيح، إلى ما هنالك من الانحرافات.

فجاء النبي محمّد صلى الله عليه وآله لينقذ الناس من هذه السبل الضالة ويهديهم الى صراط مستقيم (من بحر البسيط):

إليسَ جدّي رسول الله ويحَكُمُ أهدى البرية من سُبل المضلّينا[3]

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٤.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

(٣) القندوزي الحنفي، ينابيع المودة: ٣٥.

فقد مدح زين العابدين بهذه البيت من الشعر رسول الله بأهمّ صفة كريمة من صفاته العظيمة، وهي صفة هداية الناس الى الحق وتخليصهم من سبل المضلّين.

مدح أمير المؤمنينعليه السلام بشكل خاصّ

١ ـ حديث المنزلة

أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام صاحب المناقب الكثيرة جدّاً والتي ملأت بطون الكتب وبهرت العقول، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً منها ـ ليس الآن محل ذكرها ـ وأشاد النبيصلى الله عليه وآله بعدد كبير منها مثل حديثه المعروف بحديث المنزلة: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبي بعدي**»، وهو حديث مشهور اتّفق عليه المسلمون. وكانت منزلة هارون من موسىعليه السلام هي منزلة الخلافة والقيادة العامّة المعروفة من قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ مُوسَى لأَخيه هَـرُونَ اخْلُفْني في قَوْمي وَأَصْلحْ وَلا تَتَّبعْ سَبيلَ الْمُفْسدينَ**﴾[1].

وجاء شعر الإمام زين العابدينعليه السلام ليؤكّد على هذه المنقبة الجليلة ويلفت الأنظار إليها بقوله (من بحر الطويل) :

ومَن شَرَّفَ الأقوامَ يوماً برأيه ... فإنّ علياً شرفته المناقبُ
وقول رسول الله والحقّ قوله ... وإن رُغمت منه أُنوف كواذبُ
بأنّك بعدي يا علي معالناً ... كهارون من موسى أخٌ لي وصاحبُ[2]

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٢ .

(٢) المقنع في الإمامة، للشيخ عبيد الله بن عبد الله الأسدآبادي: ٩٢ ـ ٩٣.

⇐

٢ ـ وقعة بدر

وفي ختام هذه الأبيات يشير الإمام زين العابدين عليه السلام الى واقعة بدر، وهو يشيد بشجاعة الإمام أمير المؤمنين وبطولته الخارقة، حيث جدّل الأبطال وأطاح بالفرسان بسيفه:

دعـــاه ببدر فاستجاب لربّه   وسارع في ذات الإله يضاربُ
فما زال يعلــوهم به وكأنّه   شهــابٌ تلقاه القوابسُ ثاقبُ[1]

الرثــاء

إذا وقع الظلم الشديد على أي إنسان مهما كان دينه وعقيدته فانّنا نتأثر ونتألّم كثيراً لذلك، وكلّما كان الشخص أعمق إنسانية وشرفاً وغيرةً فإنّه يتألّم ويتوجّع على ذلك أكثر.

وأمّا إذا كان المظلوم على مستوى رفيع من العلم والأخلاق والدين فإنّ المصيبة به تكون أعظم وأشدّ. ويقف على أعتاب مظلوميته المفكّرون والشعراء والكتّاب ليقولوا كلمتهم عنه ويتأسذفوا لما وقع عليه، وقد يذرفون عليه الدموع.

ولقد اشتدّت المصائب على أهل البيت وعظمت محنتهم بشكل عجيب حتى لقد أكثر الأُدباء من بكائهم ورثاء حالهم، وهذا هو الإمام علي زين العابدين عليه السلام يقف على المصائب التي لحقت بالإمام الحسين عليه السلام وبأهل بيته وأصحابه في كربلاء من القتل وقطع الرؤوس الى فاجعة السبايا، وهم يسيرون

⇐

وأيضاً تروى هذه الأبيات لزيد الشهيد ابن علي بن الحسين عليه السلام، كما في تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ٣: ٣١٢.

(١) المصدر نفسه.

من كربلاء الى الكوفة ثم إلى الشام، فيندبهم ويرثيهم نثراً وشعراً، كما في قوله (من بحر الخفيف):

عين جودي بعبرة وعويلِ ... واندبي إن ندبت آلَ الرسولِ
واندبي تسعةً لصلب عليٍ ... قد أُصيبوا وخمسةً لعقيلِ
وابن عمّ النبي عوناً أخاهم ... ليس فيما ينوبهم بخَذولِ
وسمي النبي غودر فيهم ... قد علوه بصارم مصقولِ
واندبي كَهلهم فليس إذا ما ... عُدَّ في الخير كَهلهم كالكهولِ
فلعمري لقد أصيبت ذوي ... القربى فَبَكّي على المصاب الطويلِ
فإذا ما بكيت عيني فجودي ... بدموعَ تسيل كلّ مسيلِ
لعن الله حيث كان زياداً ... وابنه والعجوزَ ذات البعولِ[1]

وكذلك يقول عليه السلام (بحر البسيط):

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ... ماذا صنعتم وأنتم آخر الأُممِ
بعترتي وبأهلي بعد منقلبي ... منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدمِ
ماكان هذا جزائي اذ نصحت لكم ... خلفتموني بسوء في ذوي رحمي
ضيّعتم حقّنا والله أوجبه ... وقد رعى الفيلُ حقّ البيت والحرمِ
إنّي لأخشى عليكم أن يحلّ بكم ... مثلُ العذاب الذي أودى على إرمِ[2]

---

(١) ديوان الإمام زين العابدين عليه السلام (مخطوط)، جمع وتحقيق محمود محمّد مناف الموسوي، قافية اللام.

(٢) ممّن نسبها إلى لإمام زين العابدين عليه السلام العلامة أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح ٥: ٢٤٥. وأيضا ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين ٢: ٦٣ البيتين الأوّل والثاني، ونسبهما إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

إنّ الذين تعمّدوا القيام بالمجزرة الكبرى سواء من المخطّطين أو المنفّذين هم ممّن يتظاهر بالإيمان ويعلن الشهادتين ويدّعي أنّ الخلافة آنذاك خلافة إسلامية تستمدّ تعاليمها وأحكامها من القرآن وسنّة النبي محمّد صلى الله عليه وآله، فجاء شعر الإمام زين العابدين عليه السلام استنكاراً لجرائمهم وتذكيراً لهم بأنّ رسول الله لا يقبل مثل هذه الأعمال المنكرة، فماذا يقولون ويجيبون لو قال لهم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم؟ إنّهم لم يفعلوا سوى الشرّ والظلم بعد وفاته عليه السلام، أو كما جاء في الشعر: خلفتموني بسوء في ذوي رحمي.

فهل من العدالة أن يكرم آل النبي ويبجّل شأنهم أو من العدالة أن يكونوا المظلومين المحرومين (منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم) ؟

وهل من تعاليم القرآن الكريم أو السنّة النبوية قتل الأبرياء وسفك الدماء بغير حقّ، ثم أسْرُ بنات الرسالة إلى حرق الخيام على النساء والأطفال!

المسيرة الحزينة

لقد عاصر الإمام زين العابدين أحداث كربلاء وعايشها كما عاصر وعايش تسيير آل محمّد أُسارى مغلوباً على أمرهم ومقيّدين في الأصفاد مئات الكيلومترات وعلى الجمال العارية من الغطاء.

وهذا المشهد حزين ومؤلم جدّاً ولا سيّما أنّ زين العابدين واحد من هؤلاء الأسراء، فإذا به عليه السلام يقول (من بحر البسيط):

ساد العلوج فما ترضى بذا العربُ ... وصار يقدم رأس الأُمّة الذنبُ
يا للرجال لما يأتي الزمان به ... من العجيب الذي ما مثله عجبُ
آل الرسول على الأقتاب عارية ... وآل مروان تسري تحتهم نُجُبُ

وأيضاً يقول عليه السلام (من بحر البسيط كذلك):

وهـو الزمـان فمـا تفنـى عجائبُـهُ مـن الكـرام ومـا تفنـى مـصائبُهُ
فليت شعري إلى كم ذا يجاذبنا بـصرفه وإلـى كـم ذا نجاذبُـهُ
يسري بنا فوق أقتاب[1] بلا وطؤ[2] وسائق عيس يحمي عنه غاربُهُ
كأنّنا من أُسارى الروم بينهم أو كلّ ما قاله المختارُ كاذبُهُ
كفرتم برسول الله ويحكم فكنتم مثل من ضلّت مذاهبُهُ[3]

المصاب الأعظم

كلّ ما نقل من الشعر عن الإمام زين العابدينعليه السلام حول الرثاء فإنّه مخصوص بفاجعة كربلاء العظيمة، وحتّى هذه الأبيات الآتية فإنّها كذلك عن فاجعة كربلاء، ولكنّ الإمام زين العابدين يؤكّد فيها أنّ مصيبة الإمام أمير المؤمنينعليه السلام أعظم من مصيبة الإمام الحسين، وهذا حقّ لا ريب فيه؛ لأن مصيبة الإمام الحسينعليه السلام فرع من مصيبة أمير المؤمنين، ولو أنّ أمير المؤمنين لم يظلم وتغتصب حقوقه الجليلة لما وجدت واقعة كربلاء.

(١) القتب: الخشب الذي يكون فوق الدابة.

(٢) غطاء يوضع فوق البعير.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٢٧

والأبيات التي أشرنا إليها هي قوله:

لا غروَ إنّ (في) قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أصاب حسيناً كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر روحي فداؤه جزاء الذي أرداه نار جهنّما[(١)]

الخاتمة

تعتبر وسائل التعبير عن أفكار الإنسان ومشاعره كثيرة، مثل الرسائل والقصص والمقالات والخطب وغيرها، ويعتبر الشعر إحدى هذه الوسائل المهمّة التي يكشف بها الإنسان عن رؤيته وأحاسيسه.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام شعراً متعدّد الأغراض والمواضيع، وأجاد في ما قال، وأنشأ بما في ذلك شعره في المدح والرثاء.

علماً بأنّ الشعر من المدح والرثاء الخاص عن أهل البيت عليهم السلام أو عن شيعتهم قد يكلّف أحياناً ثمناً باهظاً، كما في العصر الأموي والعصر العبّاسي؛ فقد سجن هشام بن عبد الملك الكميت بن زيد لمّا سمع بقصائده المعروف بالهاشميات، وهارون الرشيد لما سمع بمدح منصور النمري للإمام أمير المؤمنين ورثائه للإمام الحسين عليه السلام أمر بأن يقتل ولكنّهم وجدوه ميّتاً.

لقد ذكرنا في بحثنا هذا شعر الإمام علي بن الحسين عليه السلام الخاص بالمدح والرثاء، فإنّ شعره في هذه المجال وإن كان جميلاً ورائعاً إلا إنّا لم نرَ من بحث فيه، فيكون هذه البحث جديداً في موقعه؛ إنّ كلّ مُوال ومحبّ لهم حقيقة المحبّة سيجد بهذين النمطين من الشعر (المدح والرثاء) ماً يتّخذه زاداً غنيّاً في طريق مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومصائبهم الكبيرة.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٤١، بحار الانوار ٥: ١١٣ .

لمحات

من سيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

ممّا نقله المؤرّخون

المعروف بين المحدّثين أنّ اسم الإمام زين العابدين هو: ابن الخيرتين، فأبوه الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمّه من بنات الملوك.

وقد ذهب أكثر الرواة إلى أنّ ولادته بين الخامس والعاشر من شهر شعبان سنة ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين من الهجرة.

وكان له من العمر حينما قام بأعباء الإمامة، بعد مقتل أبيه ـ بناءً على ما سبق ـ اثنان وعشرون عاماً، أو ثلاثة وعشرون عاماً.

واستمرت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، عاصر فيها ملك يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبدالملك.

وكانت وفاة الإمام في الخامس والعشرين من محرّم، سنة ٩٥ هجرية.

أشهر ألقابه: زين العابدين، والسجّاد، وذو الثفنات ، والبكّاء ، والعابد.

وجاء في المرويات عن محمّد بن شهاب الزهري ، أنه كان يقول:

«ينادي منادي يوم القيامة: «ليقم سيّد العابدين في زمانه، فيقوم علي بن الحسين عليه السلام»، كما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله

سمّاه بهذا الاسم.

وجاء في تسميته بذي الثفنات، كما في والكافي للكليني رحمه الله أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال:

«كان لأبي في موضع سجوده آثار ثابتة، يقطعها في كل سنة، من طول سجوده وكثرته».

وجاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، أنّه قال:

«البكّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعلي بن الحسين عليه السلام».

وبعد أن يعدّد هؤلاء، يقول: «**وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فلقد بكى على أبيه أكثر من ثلاثين سنة**». ولم يقدّم له طعام وشراب إلا وقال: «**كيف آكل وقد قتل أبو عبدالله جائعاً؟ وكيف أشرب، وقد قتل أبو عبدالله عطشاناً؟**».

إلى غير ذلك ممّا رواه الرواة عن حزنه.

وكان حزنه إعلاناً بمظلومية أبيه الحسين عليه السلام، وجهاداً في سبيل أن يشحن النفوس، ويهيّئها للثورة على الظلم والظالمين الذين يستبيحون المحارم، ويستهترون بالقيم والأديان، وقد أعطت مواقفه ثمارها، وهيّأت جماهير الإسلام في الحجاز والعراق وغيرها للثورة، فأعلنت الكوفة عصيانها، وأظهر أهلها الندم، لموقفهم المتخاذل من الإمام الحسين عليه السلام.

وأحسّ أهل المدينة بأنّ تلك الصدمة قد أصابت الإسلام في الصميم، فأنكروا على يزيد طغيانه، وطردوا ولاته.

أمّا صفة الإمام ولباسه، فلقد جاء في صفته عن الفرزدق الشاعر: أنّه كان وسيماً جميلاً، من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجادة ـ يعني بذلك أن أثر السجود كان بارزاً بين عينيه. ولذلك لقب بذي الثفنات ـ وقال في

وصفه ـ كما جاء في قصيدته الميمية المشهورة ـ:

ينشق ثوب الدجى عن نور غُرّته   كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
الله شرّفه قدماً وعظّمه   جرى بذاك له في لوحة القلم

وكان مع ذلك، أفضل أهل زمانه في أخلاقه، وصدقاته وعطفه على الفقراء، وأنصحهم للمسلمين، معظّماً مهاباً عند القريب والبعيد، يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً، ثم يبيعه بعد فصل الشتاء، ويتصدّق بثمنه على الفقراء.

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**كان أبي علي بن الحسين إذا انقضى الشتاء، يتصدّق بكسوته على الفقراء، وإذا انقضى الصيف يتصدّق بها أيضاً، والخز هو الغالب عليها**».

لقد نشأ علي بن الحسين عليه السلام في بيت النبوّة، ومهبط الوحي، في البيت الذي تحمّل أقسى ما يتصوّر من الألم والمحن والمصائب في سبيل الله.

واستقبل في طفولته الطريّة، محنة جدّه الأعظم، وهو يتخبّط بدمه في بيت الله، وبعدها وهو مقبل على الشباب، محنة عمّه الحسن عليه السلام، وهو يلفظ كبده من السم، الذي دسّه إليه معاوية بن هند، آكلة الأكباد.

وشاهد في شبابه ـ وهو طريح الفراش من المرض الذي كان يفتك بجسمه ـ مصرع أبيه وإخوته وبني عمومته، وسبي عمّاته وأخواته من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ورؤوس الأهل والأصحاب على الرماح، يتقدّمها رأس أبيه.

وشاهد عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية ينكتان ثنايا أبيه تشفّياً وانتقاماً، وقد أرادا قتله أكثر من مرّة، ولكن مشيئة الله كانت تحول بينهم وبين ما يريدون.

وقد روى الإمام علي بن الحسين عليه السلام الكثير من أخبار الطف وما جرى فيه من المعارك، وخطبة أبيه في أهل الكوفة قبيل وفاته.

وفي اللحظات الأخيرة من حياة أبيه، دخل عليه، وأوصاه بوصاياه، وسلّمه

مواريث النبوة والإمامة.

وكان آخر وصيّة أوصاه بها:

«**يا بني، أوصيك بما أوصى به جدّك رسول الله عليّاً حين وفاته، وبما أوصى به جدّك علي عمّك الحسن، وبما أوصاني به عمّك: إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله**»، ثمّ ودّعه ومضى إلى المعركة الأخيرة.

وهو الذي دفن أباه الحسين، والقتلى من أهله وأنصاره.

وله خطب كثيرة، في مسيرته إلى الكوفة، والشام.

منها قوله عليه السلام في الشام:

«**أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مَن حمل الزكاة بأطراف الردى، أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدى، أنا ابن خير مَن انتعل واحتفى، أنا ابن خير مَن طاف وسعى، أنا ابن خير من حج البيت الحرام ولبّى** ... ولم يزل يقول: «**أنا.. أنا.. أنا...**» إلى أنّ ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وبذلك عرّفهم منزلته، وأنّ الأمر ليس كما يقول يزيد بأنّه قتل الخارجين على ملكه، إنّه قتل الحسين، وأهل بيت الحسين سلام الله عليه.

وما زال يقول كذلك، حتى خشي يزيد أن ينتفض أهل الشام عليه، فأمر المؤذّن أن يؤذن ليقطع حديثه، فلمّا قال المؤذّن: الله أكبر، قال عليه السلام: «**لا شيء أكبر من الله**»، ولمّا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الإمام عليه السلام : «**شهد بها لحمي ودمي وشعري**» ولمّا قال: أشهد أن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، التفت علي ابن الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية، وقال: «**محمّد هذا جدّي أم جدّك؟! فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدّي فلم قتلت عترته؟**».

وعندما كانت ثورة المدينة العارمة، حيث قام مسلم بن عقبة المري بتلك

الفجائع، كان يزيد قد أوصى هذا القائد بألا يتعرّض لبيت الإمام السجّاد بسوء، خوفاً من غضب الأمّة المتزايد، فتح الإمام بيته للذين التجأوا إليه من أهل المدينة، وقد اشتهر بين الرواة والمؤرّخين، أنّ الذي انضمّوا إلى علي بن الحسين يزيدون على أربعمائة عائلة.

وجاء في ربيع الأبرار للزمخشري: أنّه لمّا أرسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لقتال أهل المدينة واستباحتها، كفل الإمام زين العابدين أربعمئة امرأة مع أولادهن وحشمهن، وضمّهن إلى عياله، وقام بنفقتهنّ وإطعامهنّ، إلى أن خرج جيش ابن عقبة من المدينة، وقد أقسمت واحدة منهنّ، أنّها ما رأت في دار أبيها وأمّها من الراحة والعيش الهنيء، ما رأته في دار علي بن الحسين عليه السلام.

واتّجه الإمام (سلام الله عليه)، بعد تلك المآسي المروّعة، إلى القيام بشؤون الإمامة، كالعبادة، ونشر الأحكام والأخلاق، وتفقّد الفقراء والمساكين، وما إلى ذلك من المهمّات التي اتّجه إليها وتفانى في سبيلها، بعد أن لم يكن من الممكن الدخول في صراع سياسي، وأسّس مدرسة في الفقه والحديث، التي كانت تضمّ الكثير من الموالي والتابعين.

وقد أحصى الشيخ الطوسي في رجاله وغيره من المؤلّفين في الرجال أكثر من مئة وستّين من التابعين والموالي، كانوا ينهلون من معينه ويروون عنه في مختلف المواضيع، وعدّوا منهم سعيد بن المسيب، وابن جبير، وجبير بن مطعم، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، ويحيى بن أم الطويل، وأمثال هذه الطبقة من أعلام التابعين.

وجاء في طبقات ابن سعد: أنّ علي بن الحسين عليه السلام كان ثقة، مأموناً، كثير الحديث، عالماً، رفيعاً، ورعاً.

وفي محاضرات الراغب الإصفهاني، ومناقب ابن الجوزي: أنّ عمر بن

عبدالعزيز ـ وقد قام من مجلسه علي بن الحسين ـ قال لمن حوله: من أشرف الناس؟ فقال من في مجلسه من المتزلّفين: أنتم يا أمير المؤمنين، فقال: كلا، أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً من أحبّ الناس أن يكونوا منه، ولم يحبّ أن يكون من أحد.

وروى الشيخ الصدوق في علل الشرائع، بسنده إلى سفيان بن عيينة أنّه قال: قلت للزهري لقيت علي بن الحسين؟ قال: نعم لقيته، وما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟ فقال: لأنّي لم أرَ أحداً ـ وإن كان يحبّه ـ إلا وهو لشدّة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً ـ وإن كان يبغضه ـ إلا وهو لشدّة مداراته له يُداريه.

وقال المفيد في إرشاده: لقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام، ما هو مشهور بين العلماء.

وقد أجمع المؤرّخون على أنّه قد انصرف إلى العبادة والعلم والدارية، إنّه وجد في ذلك غذاء لقلبه، وسلوة لنفسه، وكان يقدّر العالم سواءً أكان رفيعاً في أعين الناس، أم كان غير رفيع.

وكان إلى جانب انصرافه إلى نشر العلم والفقه، رحيماً بالناس جواداً، سخياً حليماً، لم يحدّث التاريخ عن أحد بمثل ما حدّث عنه، فقد روى الكليني عنه في الكافي أنّه قال:

«ما تجرّعت جرعة أحبّ إليَّ من جرعة غيظ لا أكافئ بها صاحبها».

ووقف عليه رجل من بني عمومته، فأسمعه كلاماً مرّاً وشتمه فلم يكلّمه، فلمّا انصرف، قال لجلسائه: **«قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحبّ أن تبلغوا**

معي حتّى تسمعوا ردّي عليه، فمضوا معه وهو يقول: ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾»[1].

فخرج الرجل متوثّباً للشرّ، وهو لا يشكّ أنه إنّما جاءه مكافياً له، على بعض ما كان منه.

فقال له علي بن الحسين: **«يا أخي، إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً، وقلت ما قلت، فإن كنت قد قلت ما فيَّ، فأنا استغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيَّ فغفر الله لك»**.

فأقبل عليه الرجل معتذراً، وقال: لقد قلت ما ليس فيك، وأنا أحق به.

وجاء في مناقب ابن شهرآشوب وكشف الغمة: أنّ ضيوفاً طرقوا الإمام عليه السلام، فاستعجل خادمٌ له بشواء كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً، فسقط السفود منه على رأس طفل له، فقتله، فتحيّر الخادم واضطرب، فلما نظر إليه الإمام ـ وهو بتلك الحالة ـ قال له: **«إنّك لم تتعمّده؛ اذهب فأنت حرّ لوجه الله»**.

وقد روى الرواة عشرات الحوادث، عن عفوه وسماحته، كما رووا عن كرمه ومعروفه.

فما علم أنّ على أحد ديناً، وقصده مستعيناً به إلا أدّاه عنه، وما قصده معسر إلا ووسّع عليه، ولا سائل إلا وأعطاه ما يغنيه عن سؤال غيره.

ودخل يوماً على محمّد بن أُسامة بن زيد يعوده، فوجده يبكي، فقال: **«ما يُبكيك؟»** قال: دين عليَّ خمسة عشر ألف دينار، فقال الإمام: **«هي عليَّ بكاملها»**. ووفاه عنه من ساعته.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

وكان إذا جاءه سائل يقول: «**مرحباً بمَن يحمل زادي ليوم القيامة**»، ولا يأكل طعاماً حتّى يتصدّق بمثله، ويعول مع ذلك بمئة بيت في المدينة، كما في رواية أحمد بن حنبل والصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام.

وقال أبو نعيم في حلية الأولياء: كانت بيوت في المدينة تعيش من صدقات علي بن الحسين، ولا تدري من أين تعيش! فلمّا مات علي بن الحسين، فقدوا ما كان يأتيهم، فعلموا بأنّه هو الذي كان يعيلهم. وقالوا: ما فقدنا صدقة السرّ، حتّى فقدنا علي بن الحسين زين العابدين.

وكان يطرق بيوت الفقراء وهو متلثّم، وأكثرهم كانوا يقفون على أبواب بيوتهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا به، وقالوا: جاءنا صاحب الجراب.

وروى ابن طاووس في الإقبال، بسندٍ ينتهي إلى الإمام الصادق عليه السلام، يخبر فيه عن عطف الإمام زين العابدين على عبيده وإمائه، وإحسانه إليهم، وإذا أذنب عبد له أو أمَة يسجّل ذلك عليهم، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم يعرض عليهم سيّئاتهم، فيعترفون بها، فيقول لهم: «**قولوا: يا علي بن الحسين، إنّ ربّك قد أحصى عليك كلّما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ واصفح يعفُ عنك المليك ويصفح**»، وهو واقف بينهم يبكي ويقول: «**ربّنا إنّك أمرت أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد عفونا كما أمرت، فاعفُ عنّا، فإنّك أولى بذلك منّا، ومن المأمورين**».

ثمّ يقبل عليهم ويقول: «**لقد عفوت عنكم، فهل عفوتم ما كان منّي إليكم؟ اذهبوا فقد أعتقت رقابكم طمعاً في عفو الله وعتق رقبتي من النار**». فإذا كان

يوم العيد، أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس.

وهذا أُسلوب آخرُ من أساليبهعليه السلام للنفوذ في أعماق المجتمع من جهة، وتحريك المجتمع للسير نحو أهل البيت.

كما أنّ له أُسلوباً آخر لتحرير العبيد، من ربقة ذل العبودية، وما أكثر حسنات أهل البيتعليهم السلام.

وروى الرواة: أنّه إذا كان يتوضّأ للصلاة اصفرّ لونه، فيقال له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: «**أتدرون بين يدي مَن أُريد أن أقف؟!**» وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فيقال له: مالك يابن رسول الله؟ فيقول: «**ما تدرون لمن أُريد أن أُناجي؟**».

وكان على ورعه وتواضعه مهاباً معظّماً، فقد دخل على عبدالملك بن مروان ـ وكان حاقداً عليه ـ فلمّا نظر إليه مقبلاً عليه، قام إليه وأجلسه إلى جنبه، وأكرمه، فقيل له في ذلك، فقال: لمّا رأيته امتلأ قلبي رعباً.

ولمّا دخل على مسلم بن عقبة في المدينة، قال: لقد مُلئ قلبي منه خيفة.

وجاء في رواية السبكي، في طبقات الشافعية: أنّ هشام بن عبدالملك حجّ في بعض السنين، فطاف حول البيت، وحاول أن يلمس الحجر الأسود، فلم يجد لذلك سبيلاً من كثرة الزحام. فوُضِعَ له كرسي في ناحية من نواحي الزحام، وجلس عليه ينتظر أن يخفّ الزحام عن الحجر ليلمسه، ووقف حوله أهل الشام، وفيما هو ينظر إلى الناس، إذ أقبل الإمام زين العابدين، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم أرجاً ـ على حدّ تعبير الراوي ـ فطاف بالبيت، فلمّا بلغ الحجر انفرج الناس عنه، ووقفوا له إجلالاً وتعظيماً، حتّى إذا استلم الحجر، وقبّله، والناس وقوف ينظرون إليه، وكأنّما على رؤوسهم الطير، فلمّا مضى عنه عادوا إلى طوافهم.

هذا ، وهشام بن عبدالملك، ومَن معه من أهل الشام يرون كلّ ذلك، ونفس هشام يعبث فيها الحقد والحسد. أمّا مَن كان معه من وجوه الشام، فكانوا لا يعرفون الرجل الذي هابه الناس، وافرجوا له عن الحجر، والخليفة حاول هو وجنده أن يجدوا ممرّاً إلى الحجر فلم تُجْدهم المحاولة.

فالتفت أحدهم إلى هشام بن عبدالملك وسأله مَن هذا الذي هابه الناس هذه المهابة؟! فقال: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام.

وكان الفرزدق الشاعر حاضراً، فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: ومَن هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله، ومضى على البديهة في وسط تلك الجموع المحتشدة يقول:

يا سائلي أين حلّ الجود والكرم ... عندي بيان إذا طلابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي أحمد المختار والده ... صلّى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن مَن قد جاء يلثمه ... لخرّ يلثم منه ما وطا القدم
هذا علي رسول الله والده ... أمست بنور هداه تهتدي الأُمم
هذا الذي عمّه الطيّار جعفر والمقـ ... ـتول حمزة ليث حبّه قسم
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة ... وابن الوصي الذي في سيفه نقم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك مَن هذا بضائره ... العرب تعرف مَن أنكرت والعجم
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلّم إلا حين يبتسم

ينجاب نور الدجى عن نور غرّته — كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم
يكفّه خيزران ريحه عبق — من كفّ أروع في عرنينه شمم
ما قال لا قط إلا في تشهّده — لولا التشهّد كانت لاؤه نعم
مشتقّة من رسول الله نبعته — طابت عناصره والخيم والشيم
حمّال أثقال أقوام إذا فُدحوا — حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما يهوى جميعهم — وإن تكلّم يوماً زانه الكلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله — بجدّه أنبياء الله قد خُتِموا

إلى آخر تلك القصيدة الغرّاء، التي أنشدها الفرزدق أمام هشام بن عبدالملك.

ويروي بعض الرواة: أنّه بلغ عبدالملك بن مروان أنّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله موجود عند الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، فبعث إليه يستوهبه إيّاه، وألحّ عليه في الطلب، فأبى عليه، فكتب إليه عبدالملك يهدّده ويتوعّده بقطع رزقه من بيت المال، وفي رواية ثانية: أنّه أرسل إلى الحجاز مَن يأتيه به مقيّداً إلى الشام، فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب جاء فيه: «**أمّا بعد، فإنّ الله ضمن للمتّقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون**». وقال تعالى في كتابه: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[1] فانظر أيّنا أولى بهذه الآية».

والرواية التي تنصّ على أنّه أرسل مَن يحمله إليه مقيّداً، ذكرها سبط ابن الجوزي في تذكرته ، وجاء فيها:

إنّ عبداللك حمل علي بن الحسين مقيّداً من المدينة، ووكّل به حفظة، قال

(١) سورة لقمان: ١٨.

الزهري: استأذنتهم في وداعه، فأذنوا لي فدخلت عليه، والقيد في رجليه، والغلّ في يديه، فبكيت وقلت: وددتُ أنّي مكانك، وأنت سالم، فقال: «**يا زهري! أتظنّ أن ما ترى عليّ وفي عنقي يكرهني، أما لو شئت لما كان، وإنّه ليذكّرني عذاب الله**».

ومضى محمّد بن شهاب يقول: ثمّ إنّه أخرج يديه ورجليه من القيد، وما مضت إلا أربع ليال، وإذا بالموكّلين به قد رجعوا إلى المدينة يطلبونه فلم يجدوه، فسألت بعضهم، فقال: لقد فقدناه فلم نجده، ووجدنا الحديد الذي كان في يديه ورجليه.

أمّا الحديث عن الصحيفة السجّادية المنقولة عنه عليه السلام: فإنّ الإمام عليه السلام قد وجد في عصر، استسلم الناس فيه لشهواتهم، وطغت عليهم سيرة حكّامهم، فابتعدوا عن مفاهيم الرسالة، وأخلاق الإسلام وآدابه، ولكن ثورة الحسين (سلام الله عليه)، قد أوجدت فيهم أخلاقية جديدة، وواصل الإمام علي بن الحسين هذه الثورة الأخلاقية ، ولكن بأسلوب آخر، فإنّه لم يتسنّ له أن يرتقي المنابر، ويقف في المجتمعات لإرشاد الناس إلى ما يصلحهم، من أخلاق الإسلام وآدابه، وأحكامه، وإنقاذهم من أئمّة الجور، الذين شوّهوا وجه الإسلام بسلوكهم وطغيانهم، فجعل ينشر رسالة الإسلام ويدعوا الناس إلى الرجوع إلى دينهم وكتابهم بأسلوب آخر، ذلك هو أُسلوب الدعاء. وكان يحرص فيه على أن يضع الناس على اختلاف طبقاتهم، ومنازلهم، تجاه مسؤولياتهم، وما يجب عليهم لله والناس، وذلك بأسلوب الحوار مع الله، ومناجاته واستعطافه وتمجيده في أكثر من خمسين دعاء، عرفت بالصحيفة السجّادية، رواها عنه الإمام الباقر عليه السلام، وولده زيد بن علي، وتداولته الشيعة من بعده، وممّا جاء في بعض أدعيتها:

«**إِلهِي، ارْحَمْنِي إِذا انْقَطَعَتْ حُجَّتِي وَكَلَّ عَنْ جَوابِكَ لِسانِي وَطاشَ عِنْدَ**

سُؤالكَ إيّايَ لَبّي، ... إلهي، إنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أَوْلى منْكَ بالعَفْو وَإنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أَعْدَلُ منْكَ في الحُكْمِ . ارْحَمْ في هذه الدُّنْيا غُرْبَتي وَعنْدَ المَوْت كُرْبَتي وَفي القَبْر وَحْدَتي وَفي اللَّحْد وَحْشَتي... وَارْحَمْني صَريعاً عَلى الفراش تُقَلِّبُني أَيْدي أَحبَّتي، وَتَفضَّلْ عَليَّ مَمْدُوداً عَلى المُغْتَسَلِ يُقَلِّبُني[1] صالحُ جيرَتي، وَتَحَنَّنْ عَلَيَّ مَحْمُولاً قَدْ تَناوَلَ الأَقْرِباءُ أَطْرافَ جَنازَتي... وَارْحَمْ في ذلكَ البَيْت الجَديد غُرْبَتي...».

ويمضيعليه السلام في الدعاء لنفسه وأهله فيقول:

« إلهي وَسَيِّدي، وَعزَّتكَ وَجَلالكَ لَئنْ طالَبْتَني بذُنُوبي لأُطالبَنَّكَ بعَفْوكَ، وَلَئنْ طالَبْتَني بلُؤْمي لأُطالبَنَّكَ بكَرَمكَ، وَلَئنْ أَدْخَلْتَني النّار لأُخْبرَنَّ أَهْلَ النّار بحُبّي لَكَ...

إلهي وَسَيِّدي، إنْ كُنْتَ لا تَغْفرُ إلا لأَوْليائكَ وَأَهْلِ طاعَتكَ فَإلى مَنْ يَفْزَعُ المُذْنبُونَ؟ وَإنْ كُنْتَ لا تُكْرمُ إلا أَهْلَ الوَفاء بكَ فَبمَنْ يَسْتَغيثُ المُسيئُونَ؟...

إلهي، إنْ أَدْخَلْتَني النّارَ فَفي ذلكَ سُرُورُ عَدُوِّكَ ، وَإنْ أَدْخَلْتَني الجَنَّةَ فَفي ذلكَ سُرُورُ نَبيِّكَ، وَأَنا وَالله أَعْلَمُ أَنَّ سُرُورَ نَبيِّكَ أَحَبُّ إلَيْكَ منْ سُرُور عَدُوِّكَ...

اللّهُمَّ، أَعْطني بَصيرَةً في دينكَ وَفَهْماً في حُكْمكَ وَفقْهاً في علْمكَ وَكفْلَيْنِ منْ رَحْمَتكَ وَوَرَعاً يَحْجُزُني عَنْ مَعاصيكَ...

وَأَعُوذُ بكَ منْ نَفْس لا تَقْنَعُ وَبَطْن لا يَشْبَعُ وَقَلْب لا يَخْشَعُ وَدُعاء لا يُسْمَعُ وَعَمَل لا يَنْفَعُ...

اللّهُمَّ، إنّي أَعُوذُ بكَ منَ الكَسَلِ وَالفَشَلِ وَالهَمِّ وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالغَفْلَة

١ ـ يُغَسِّلُني ـ خ ـ.

وَالقَسْوَة[1] وَالمَسْكَنَة وَالفَقْر وَالفاقَة...

اللّهُمَّ، إنَّكَ أَنْزَلْتَ في كِتابكَ[2] أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنا وَقَدْ ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فَاعْفُ عَنّا فَإِنَّكَ أَوْلى بِذلكَ مِنّا...».

ومن دعائه في الآداب والأخلاق:

«... وَوَسِّعْ عَلَيَّ في رِزْقِكَ وَلا تَفْتِنّي بِالْبَطر وَأَعِزَّني وَلا تَبْتَلِيَني بِالكِبْر، وَعَبِّدْني لَكَ وَلاتُفْسِدْ عِبادَتي بِالعُجْب، وَأَجْرِ للْناسِ عَلى يَدَيَّ الخَيْرَ وَلا تَمْحَقْهُ بِالمَنِّ ...

وَلا تَرْفَعْني في النّاس دَرَجَةً إلا حطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهراً إلا أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها ...

اللّهُمَّ، لاتَدَعْ خصْلَةً تُعابُ مِنّي إلا أَصْلَحْتَها وَلا عائِبَةً أُؤَنَّبُ بِها إلا أَحْسَنْتَها وَلا أُكْرُومَةً فِيَّ ناقصَةً إلا أَتْمَمْتَها ...

وَوَفِّقْني لِطاعَةِ مَنْ سَدَّدَني وَمُتابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَني.

اللّهُمَّ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله وَسَدِّدْني لأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْح وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالبِرِّ وَأُثيبَ مَنْ حَرَمَني بِالبَذْل وَأُكافِيَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَة وَأُخالِفَ مَنْ اغْتابَني إلى حُسْن الذِّكْر ، وَأَنْ أَشْكُرَ الحَسَنَةَ وَأُغْضي عَن السَّيِّئَة».

ومن دعائه عليه السلام للمرابطين والمجاهدين:

«اللّهُمَّ، اشْغَل الْمُشْركينَ بِالْمُشْركينَ عَنْ تَناوُل أَطْراف الْمُسلمينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْص عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَة عَن الاْحْتِشاد عَلَيْهِمْ.

اللّهُمَّ، أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَة، وَأَبْدانَهُمْ مِنَ القُوَّة، وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَن

---

(١) في بعض النسخ : وَالقَسْوَة وَالذِّلَّة ـ خ ـ.

(٢) كتابكَ العَفْوَ وَأَمَرْتَنا ـ خ ـ.

الأَحْتيال، وَأَوْهِنْ أَرْكانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَة الرِّجال، وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَـة الأَبْطـال، ... وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْـدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ».

وتشتمل الصحيفة السجّادية بالإضافة إلى هذه المقتطفات من بعض الأدعية، على عشرات الأدعية في طلب الرزق وقضاء الدين، وطلب الحوائج والعفو والمغفرة، ودفع كيد الأعداء، ولصحابة النبي والتابعين وغير ذلك.

ثمّ إنّ للإمام رسالة، اشتهرت باسم «رسالة الحقوق».

ولقد روى المحدّثون في مجاميعهم: أنّ الإمام زين العابدين، بعد أن عاصر الأحداث التي مرّت على آبائه، ورأى ما تعانيه الأمّة ، وضع رسالة لأصحابه وشيعته تتضمّن ما يجب عليهم، وما يجب لهم، تشتمل على خمسين مادّة، وقد عرفت بـ«رسالة الحقوق»، رواها عن الإمامعليه السلام الصدوق في الخصال، بسند معتبر كما يصفه أكثر المؤلّفين، وفي أحوال الإمام زين العابدين، وكما رواها علي بن شعبة الحرّاني في كتابه «تحف العقول» بسندٍ ينتهي إلى أبي حمزة الثمالي، وقد افتتحها الإمامعليه السلام بقوله:

«اعلم رحمك الله، أنّ لله عليك حقوقاً، محيطة بك، في كلّ حركة تحرّكتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تفرّدت بها، وأكبر حقوق الله عليك، ما أوجبه عليك لنفسك، من قرنك إلى قدميك على اختلاف جورحك ، فجعل لبصرك عليك حقّاً، ولسمعك عليك حقّاً، وللسانك عليك حقّاً، وليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً».

ثم ينتقل الإمام من حقوق الجوارح، إلى حقوق الأفعال، منها ما على الإنسان من حقوق لمجتمعه وإخوانه وجيرانه وسلطانه وأعوانه وجلسائه

وأصحابه وشركائه وخدمه وزوجاته وغير ذلك.

فمثلاً: قال في تحديد موقف الإنسان ممّا في يده من الأموال:

«إنّ عليك ألا تأخذه إلا من حلّه، ولا تنفقه إلا في حلّه، ولا تحرّفه عن مواضعه، ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه، وسبباً إلى الله، ولا تُؤثّر به على نفسك، من لعلّه لا يحمدك، ولا يعمل فيه بطاعة ربّك، فيذهب بالغنيمة، وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة».

وينسب إلى الإمام بعض الشعر منه قوله:

نحن ذوو المصطفى ذوو غصص | يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محنتنا | أوّلنا مبتلىً وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم | ونحن أعيادنا مآتمنا
والناس في الأمن والسرور وما | يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصصنا به من الشرف الطائل | بين الأنام آفتنا
يحكم فينا والحكم فيه لنا | جاحدنا حقّنا وغاصبنا

وأنشد عند يزيد بن معاوية:

لا تطمعوا أن تهينونا فنكرمكم | وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
والله يعلم أنا لا نحبّكم | ولا نلومكم أن لا تحبّونا

وله عليه السلام في التقى:

من عرف الربّ فلم تغنه | معرفة الربّ فذاك الشقي
ما ساء مَن طاع بما ناله | في طاعة الله وماذا لقي

مـا يـصنع العبـد بغيـر التقـى   والعـزّ كـل العـزّ للمتقـي

وله عليه السلام وقد تعلّق بأستار الكعبة:

يا من يجيب دعا المضطرّ في الظلم
يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت قاطبـة
وأنت وحدك يا قيّوم لم تنـم
أدعوك ربّي دعاء قد أمـرت به
فارحم بكائي بحقّ البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرفٍ
فمَن يجود على العاصين بالنعـم

ومن كلماته القصار، أنّه قال عليه السلام:

«التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ لكتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتّقي تقاة».

قيل له: وما يتّقي تقاة؟!

قال: **«يخاف جبّاراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى»**.

وهنا يقرّر الإمام قاعدة عقلائية ، وهي التّقية، وليست التّقية إلا تكتيكاً يقوم به الإنسان الداعية إلى الله لأجل أن يحتفظ بقواه، ثمّ ينتفض فيحقّق ما يريد.

وقال عليه السلام:

«أبغض الناس إلى الله، مَن يقتدي بسنّة إمام، ولا يقتدي بأعماله».

وقال عليه السلام:

«كم من مفتون بحسن القول فيه، وكم من مغرور بحسن الستر عليه، وكم

من مستدرج بالإحسان إليه».

وقال عليه السلام:

«كمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلّة مرائه وحلمه وصبره وحسن خلقه».

وقال عليه السلام:

«ما من شيء أحبّ الى الله، بعد معرفة نفسه، من عفّة البطن والفرج».

وقال عليه السلام:

«من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن جائع طاو، قال الله تبارك وتعالى: [ملائكتي اشهدوا على هذا العبد أنّي أمرته فعصانيٍ وأطاع غيري، فوكلته إلى عمله، وعزّتي وجلاتي ، لا غفرت له أبداً]».

وقال عليه السلام:

«الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

وأخيراً، فلم يشأ الوليد بن عبدالملك بن مروان أن يرى نجم الإمام (سلام الله عليه) يعلو في الأمّة ، فدسّ له السمّ، وكان بذلك وفاته، في الخامس والعشرين من المحرم سنّة خمس وتسعين للهجرة، وقد دُفن في البقيع مع عمّه الحسن عليهما السلام، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وهكذا طويت صفحة مشرقة متلألئة من صفحات أهل البيت ابتدأت بولادة الإمام علي بن الحسين، واختتمت بوفاته مسوماً مظلوماً، من قبل الظالمين، مجاهداً في حياته لإعلاء كلمة الله.

وسيبقى الإمام(سلام الله عليه) نبراساً خالداً للبشرية تمشي على هداه، وتستجلي أنواره السخيّة، وتمشي على سنّته.

اللهمّ اجعلنا من المتمسّكين بحبل أهل البيت عليهم السلام.

اللهمّ، اجعلنا من الراكبين في سفينة أهل البيت عليهم السلام.

اللهمّ، اجعلنا من المتمسّكين بالثقلين: كتاب الله، وعترة النبي وأهل بيته عليهم السلام، إنّك السميع المجيب.



امام سجاد کی لازوال علمی میراث

ـــــــصحیفہ سجادیہ

❑ مرقال رضا خیرآبادی

مقدمہ

کربلاکے روح فرسا، ہوشربا واقعہ کے بعد سیاسی حالات نے امام سجاد کوظاہری طور پر اجتماعی ومذہبی امور کو انجام دینے سے باز رکھا اسلام کے معارف قرآنی اصول اور مذہبی آئین کو پہونچانے کی جو منصبی ذمہ داری و فریضہ تھا حالات اجازت نہیں دے رہے تھے کہ امام ظاہری طور پر انجام دیں لہذا محراب عبادت، رازونیاز، عبادت و دعا کے ذریعہ اپنے فرائض منصبی کو پورا کرنے سے گریز نہ فرمایا دعاؤں کے ذریعہ اسلام کے علوم و معارف کو برابر نشر کرتے رہے انہیں معارف کے مجموعہ کا نام صحیفہ سجادیہ۔

صحیفہ سجادیہ نہ ختم ہونے والی ایسی دولت ہے جو الٰہی تحفہ ، فضائل وکمالات کا سرچشمہ ہے جو قالب عا میں بیان ہوا ہے عصمتی زبان سے نکلے ہوئے جملات و الفاظ ہیں جس میں معارف کا بحر بیکراں پوشیدہ ہے ، اصول و فروع دین کا مکمل ضابطہ ہے جس کے ذریعہ ہم راہ حق وحقیقت کو تلاش کرسکتے ہیں۔

صحیفہ سجادیہ زبور آل محمد انجیل اہل بیت اور اخت القرآن کے نام سے جانی پہچانی جاتی ہے جو اس کی عظمت و فضیلت کا بین ثبوت ہیں۔

امام سجاد کے دور امامت پر غورو فکر کیا جائے تو بآسانی یہ بات کہی جاسکتی ہےکہ اس پر آشوب دور اور نامساعد حالات میں امام کے پاس اس کے علاوہ کوئی چارہ کارنہ تھا ایک طرف خاندان کی شہادت کا زخم جو مندمل نہیں ہوسکتا تھا تو دوسری طرف حکومتی مشینری کا جارحانہ تیور ، چاہنے والوں پر ظلم وشکنجہ ، معاشرہ کی مذہبی و دینی حالت کی ابتری، حکومت کی جانب سے حد درجہ فشار نے امام کو مجبور کردیا کہ معارف اسلامی کی تبیین و تشریح کا مروجہ طرز تبدیل کرکے ایسا طرز تبلیغ ایجاد کیا جائے جس سے عاشورائی تمدن، اہل بیت کی مظلومیت ذہنوں میں راسخ ہوسکے اور عملی و عبادتی سیرت کے خطوط روشن اور عمومی مواعظہ کا عمل بھی امکان پذیر ہو شاگردوں و اصحاب کی پرورش و تربیت، معاشرہ میں پھیلی ہوئی بے اطمینانی کو ختم کیا جاسکے اور ہمہ جہت منصبی فرائض کی ادائیگی عمل میں آئے۔

امام سجاد کی ۳۴ یا ۳۵ سالہ دور امامت کی دشواریوں و مشکلات کو امام سجاد کی زبانی ملاحظہ فرمائیں

فكم من عدوانتضي على سيف عداوته و شحذلي طبة مدينه و ارهف لي شاحده و داف لي قواتل سمومه وسدد نحوي صوائب سهامه و لم تنم عنى عين حراسته اضمران يسومني المكروه و يجر عني زقاق مرارته... واضبأ الى اضباء السبع لطريدته انتظاراً لانتهاز الفرصة لفريسته وهو يظهر لى بشاشة الملق وينظرني على شدة الحنق (صحیفہ سجادیہ دعانمبر ۴۹)

کتنے ہی دشمن ہیں جنھوں نے میرے خلاف دشمنی کی تلوار کھینچی اور اپنی چھری کی دھار کو تیز کرلیا اپنی سختیوں کی باڑھ کو تیز تربنا لیا اور میرے لئے قاتل زہر پانی میں ملادیا اور میری طرف اپنے ہدف تک

پہونچ جانے والے تیروں کا رخ کردیا ہے اور ایک لمحہ کے لیے بھی ان کی تعاقب کی نگاہیں غافل نہیں ہوئیں اور وہ دل میں یہ عزم لئے رہے کہ مجھے ناخوشگوار حالات میں مبتلا کردیں اور اپنی تلخیوں کے گھونٹ پلادیں لیکن پروردگار جب تونے دیکھا کہ میں ان سنگینیوں کو برداشت کرنے سے کمزور ہوں اور آمادہ جنگ افراد کے مقابلہ سے قاصر ہوں اور دشمنوں اور مجھے نشانہ ستم بنانے والوں کی کثیر تعداد کے سامنےاکیلا ہوں تو میں نے تو اس سلسلہ میں کچھ سوچا بھی نہیں تھا لیکن تونے بلا کہے میری مدد کردی اور میری کمر کو مضبوط کردیا میری خاطر دشمن کی باڑھ کو کند کردیا اور اسے کثیر لشکر جمع کرنے کے بعد بھی اکیلا بنادیا اور میرے پایہ کو اس سے بلند ترکردیا اور جس تیر کا رخ اس نے میری طرف کیا تھا اسے اس کی طرف پلٹا دیا کہ نہ اس کا غصہ فرو ہوسکا اور نہ اس کے دل کی آگ ٹھنڈی ہوسکی ۔ اس نے اپنی ہی بوٹیاں کاٹ لیں اور اس طرح ناکام ہوکر منہ پھرایا کہ اس کے لشکروں نے بھی غداری کردی اور کتنے ہی ایسے باغی ہیں جنھوں نے اپنی دسیسہ کاریوں سے مجھ پر ظلم کیا۔اپنے شکاری جال میری راہ میں بچھائے اور اپنی نگاہ غضب کا مجھ پر پہرہ لگایا اور اس طرح گھات لگاکر بیٹھ گئے جس طرح کوئی درندہ اپنے شکار کے انتظار میں بیٹھتا ہے کہ کب موقع ملے اور اسے پھاڑ ڈالے اور اس کے بعد بھی میرے سامنے خوشامد کی مسرت کا اظہار کرتے رہے اور انتہائی کینہ ور نظروں سے دیکھتے رہے۔

معنی صحیفہ:

لغوی اعتبار سے صحیفہ کتاب کے معنی میں ہے (الصحاح تاج اللغۃ و صحاح العربیہ ج۴ ص۱۳۸۴) یا اس چیز کو کہتے ہیں جس پر کچھ لکھاجائے (لسان العرب ج ۹ ص ۱۸۶)لغت کی کتابوں میں بیان ہوا ہے **المبسوط من الشي** (مفردات الفاظ قرآن راغب ص ۴۷۶) بعض لوگوں نے صحیفہ سفید پوست کا ٹکڑایاورق کا ٹکڑا کے معنی میں لیا ہے جس پر لکھا جائے : **قطعة من ادم ابيض اوورق يكتب فيه**(معجم الفروق اللغویہ ص ۲۳۲)

قرآن کریم میں بھی جمع کی صورت میں یہ لفظ استعمال ہوا ہے یعنی صحف (اگرچہ عربی لغت میں صحف ، صحائف اور مصحف بھی جمع بیان کی گئی ہے (مختار الصحاح ص ۱۸۹)

﴿ام لم ينبابما في صحف موسي﴾ (نجم/۳۶)

﴿ان هذالفي الصحف الاولي صحف ابراهيم و موسي﴾ (اعلیٰ/۱۸/۱۹)

﴿واذا الصحف نشرت﴾ (تكوير/۱۰)

﴿اولم تاتهم بينة مافي الصحف الاولیٰ﴾ (طه/۱۳۳)

صحیفہ سجادیہ چون (۵۴) دعاؤں کا مجموعہ ہے جو امام سجاد سے ماثور ہیں جس کے ظاہری مخاطبین میں امام محمد باقر وزید ہیں لیکن در حقیقت عالم بشریت مخاطب ہے اور ہر وہ شخص اس کا مخاطب ہے جو معارف و علوم کا پیاسا ہے ۔ علامہ مجلسی بحار الانوار میں تحریر فرماتے ہیں۔

ولاشك لنا في انها من سيد الساجدين امامن جهة الاسناد فانها كالقرآن وهي متواترة من طرق الزيديه ايضا وامامن حيث العبارة فهي اظهر ان يذكرفهو كالقرآن المجيد في نهاية الفصاحة و امامن جهة الاحاطة بالعلوم

الالهية فهو ايضا ظاهر لمن كـان ادنـيٰ معرفـة بـالعلوم (ج ۱۰۷ بحـارالانوار ص ۵۹)

اس بات میں کسی طرح کاشک نہیں ہے کہ یہ سید الساجدین امام زین العابدین کی ادعیہ کا مجموعہ ہےجو سند کے اعتبار سے مثل قرآن ہے اور زیدی فرقہ بھی اس کو متواتر تسلیم کرتاہے ، عبارت کے لحاظ سے بھی روشن ہے اور محتاج ذکر نہیں ہے کہ فصاحت و بلاغت میں مثل قرآن ہے، جو علوم الہیہ اس میں بیان ہوئے ہیں اس سے بھی واضح ہوجاتا ہے اگر انسان کو معمولی علوم کی معرفت بھی حاصل ہو۔

صحیفہ سجادیہ کی حقیقت:

صحیفہ سجادیہ دعاؤں کا مجموعہ ہے جس کی سند امام زین العابدین پر منتہی ہوتی ہے اس کو اخت القرآن ، زبور آل محمد ، انجیل اہل بیت اور صحیفہ کاملہ کے نام سے یاد کیاجاتا ہے ۔

علامہ شہر آشوب معالم العلماء میں متوکل ابن عمیر کے حالات کے ضمن میں زبور آل محمد اور یحی ابن محمد الحسینی الدلفی کے حالات میں انجیل اہل بیت کے نام سے یاد کرتے ہیں اور اسلامی دنیا کی چھٹی تصنیف صحیفہ سجادیہ کو بتایاگیا ہے۔

الصحيح ان اول من صنف امير المومنين ثم سلمان ثم الاصبغ بن نباته ثم عبيد الله بن ابي رافع ثم صنف الصحيفة الكاملة (معالم العلماء ص ۳۸)

صحیح یہ ہے کہ سب سے پہلی تصنیف امیر المومنین کی ہے پھر سلمان، اس کے بعد ابوذر، پھر اصبغ بن نباتہ، عبید اللہ ابن ابی رافع کی تصانیف ہیں پھر صحیفہ کاملہ ہے ۔

صاحبان قلم و ارباب علم و دانش نے متعدد شرحیں تالیف کیں ہیں جس

کی تعداد ساٹھ سے متجاوز ہے علامہ بزرگ تہرانی نے کتاب الذریعہ ج ۱۳ ص ۳۴۵ کے بعد کے صفحات پر صحیفہ سجادیہ کی شرحوں کا تعارف درج فرمایا ہے ۔

چون (۵۴) دعاؤں پر مشتمل ہے جس میں پہلی دعا حمد باری اور آخری دعاء میں استکشاف ہم و غم کے مواد و مضامین پائے جاتے ہیں ۔

علماء فریقین نے صحیفہ سجادیہ کو اپنے ہاتھوں سے کتابت کیا ہے جس سے نسخہ جات آج بھی دنیا کے متعدد کتب خانوں میں پائے جاتے ہیں جن میں مشہور نام یہ ہیں۔

ابن ادریس حلی، ابن سکون، سدیدالدین علی ابن احمد حلی شہید اول، پدر شیخ بہائی ، تقی الدین ابراہیم بن علی کفعمی، ابن ابی جمہور احسائی، شہید ثانی، ملا محمد تقی مجلسی وغیرہ۔

تفصیلات کے لئے مراجعہ فرمائیں،فصلنامہ تخصصی مطالعات قرآن و حدیث ''سفینہ' شمارہ ۷ ۱۳۸۴ھ ش،ص ۱۰۹ تا ۱۱۶ ۔

علماء تشیع نے مستدرکات الصحیفہ نام سے کچھ کتابیں تالیف کی ہیں جن میں ان دعاؤں کو جمع کیا گیا ہے جو امام زین العابدین سے مروی ہیں مگر صحیفہ سجادیہ میں درج نہیں ہیں جو حسب ذیل ہیں ۔

۱۔ الصحیفۃ السجادیہ الثانیہ یہ صاحب وسائل الشیعہ محدث بزرگوار شیخ حر عاملی کی تالیف کردہ ہے ۔

۲۔ الصحیفۃ السجادیۃ الثالثہ صاحب ریاض العلما میرزا عبداللہ آفندی کی تالیف ہے

۳۔ الصحیفۃ السجادیۃ الرابعہ خاتم المحدثین مرزا حسین نوری طبرسی صاحب مستدرک الوسائل کی تالیف ہے ۔

۴۔ الصحیفۃ السجادیہ الخامسہ صاحب اعیان الشیعہ سید محسن امین عاملی کی تالیف کردہ ہے

۵۔ الصحیفۃ السجادیۃ السادسہ آیۃ اللہ شیخ محمد صالح حائری مازندرانی کی تالیف کردہ ہے

سید محمد باقر ابطحی نے متذکرہ بالا پانچوں مستدرکات اور صحیفہ کاملہ کو ایک ساتھ جمع کیا ہے نیز ان کے علاوہ بھی کچھ دیگر روایات کو اکٹھا کرکے الصحیفۃ السجادیۃ الجامعہ نام سے مرتب کرکے طبع فرمایا ہے جس میں تمام دعاؤں کی جمع آوری کے علاوہ مفید توضیحات بھی درج کی ہیں جو مؤسسہ امام مہدی عج کی طرف سےنشر کی گئی ہے ۔ اس میں دعاؤں کی تعداد ۲۷۰ ہے اس کے اسناد، ماخذ، سلسلہ رواۃ پر بے انتہا عرق ریزی سے تحقیق کا فریضہ انجام دیا ہے ،(مجلہ تخصصی سفینہ شمارہ ۷ص ۱۵۲ ۱۳۸۴ھ)

معروف صحیفہ سجادیہ میں درج دعاؤں کی عناوین حسب ذیل ہیں

۱۔ حمد پروردگار ۲۔ صلوات بر محمد و آل محمد۳۔ صلوات بر حاملان عرش، ۴۔ صلوات بر مصدقین رسل،۵۔ اپنے اور اپنے خواص کے لیے دعا،۶۔ صبح وشام کی دعا،۷۔ اہم امور کی دعا،۸۔ خداکی پناہ چاہنے کی دعا، ۹۔ اشتیاق طلب مغفرت کی دعا،۱۰۔ پروردگار سے التجا کرنے کی دعا،۱۱۔ خاتمہ بالخیر ہونے کی دعا،۱۲۔ اعتراف کی دعا،۱۳۔ طلب حوائج کی دعا،۱۴۔ مصائب سے فریاد کرنے کی دعا،۱۵۔ بیماری میں دعا،۱۶۔ طلب معذرت کی دعا، ۱۷۔ شیطان کے خلاف دعا،۱۸۔ ناخوشگوار حالات میں دعا،۱۹۔ طلب باراں کی دعا، ۲۰۔ مکارم اخلاق کی دعا، ۲۱۔ تکلیف دہ حالات میں دعا،۲۲۔سختیوں میں دعا،۲۳۔ عافیت کی دعا،۲۴۔ والدین کے

لیے دعا،۲۵۔ اولاد کے حق میں دعا،۲۶۔ ہمسایہ کے بارے میں دعا،۲۷۔ سرحدوں کے محافظوں کے حق میں دعا،۲۸۔ یکسوئی کی دعا، ۲۹۔ تنگیٔ رزق کے حالات میں دعا، ۳۰۔ ادائے قرض کی امداد کی دعا،۳۱۔دعائے توبہ، ۳۲۔ نماز شب کی دعا،۳۳۔ استخارہ کی دعا، ۳۴۔ کسی کو مبتلائے گناہ دیکھ کر دعا، ۳۵۔ قضائے الہی سے راضی ہونے کی دعا،۳۶۔ بادلوں کی گرج سن کر دعا،۳۷۔ شکر الہی کی دعا، ۳۸۔ معذرت کی دعا، ۳۹۔ طلب عفو کی دعا، ۴۰۔ یاد موت کے وقت کی دعا، ۴۱۔ طلب حفظ و عافیت کی دعا، ۴۲۔ ختم قرآن کی دعا، ۴۳۔ رویت ہلال کی دعا، ۴۴۔ استقبال ماہ رمضان کی دعا، ۴۵۔ وداع ماہ رمضان کی دعا، ۴۶۔ عیدین و جمعہ کی دعا، ۴۷۔ دعائے عرفہ،۴۸۔عید قربان اور روز جمعہ کی دعا، ۴۹۔ دشمنوں کے مکر کو دفع کرنے کی دعا، ۵۰۔ خوف خداکی دعا،۵۱تضرع اور مسکینی کی بارگاہ الہی میں دعا،۵۲۔ گڑگڑانے کی دعا،۵۳۔ بارگاہ الہی میں اظہار فروتنی کی دعا،۵۴۔ رنج وغم کے دفع ہونے کی دعا۔

اسناد صحیفہ سجادیہ:

صحیفہ سجادیہ کے اسناد کے حوالہ سے مندرجہ ذیل تین مباحث اہم ہیں جن پر مختصراً و اجمالاً روشنی ڈالی جائے گی۔

الف: شہرت کے اعتبار سے صحیفہ سجادیہ کے معتبر ہونے

ب: متن صحیفہ سجادیہ کا اعتبار

ج: روایت کے اعتبار سے صحیفہ سجادیہ کی حیثیت

صحیفہ سجادیہ کی امام سجاد کی طرف نسبت علما کے درمیان ہمیشہ سے مشہور رہی ہے اس سلسلہ میں ابن حلی کا کلام نہایت اہمیت کا حامل ہے وہ فرماتے ہیں۔

صحیفہ سجادیہ عظیم ترین شفاخانہ ہےجس سے اہل تعبد اپنے معالجہ کے لیے استعانت کرتے ہیں(الذریعہ ج۱۳، ص ۱۵۸ ش ۱۳۲۶)

ابن ادریس حلی کے کلام سے یہ بات واضح ہوجاتی ہیکہ اس دور کے علما کے درمیان صحیفہ سجادیہ کو شہرت حاصل تھی اورعلما اس دور میں بھی صحیفہ کو اہمیت و عظمت کی نگاہ سے دیکھتے تھے

میر باقر داماد فرماتے ہیں :

صحیفہ کریمہ سجادیہ جس کو انجیل اہل بیت و زبور آل رسول کے نام سے یاد کیاجاتاہے متواتر ہے جیسے تمام کتب کی نسبت ان کے مولفین کی طرف متواتر ہے ایسی صورت میں اسناد کا تذکرہ صرف اس رسم و سنت کی وجہ سے جو مشائخ اجازات کے درمیان مرسوم تھی اور نقل حدیث و اجازہ روایت کی وضاحت کی غرض سے ہے (شرح صحیفہ میر داماد ص ۵۶)

شارح صحیفہ سجادیہ سید علی خانی تحریر کرتے ہیں

صحیفہ کا امام سجاد سے منسوب ہونا تواتر کی حد تک ثابت ہے (ریاض السالکین ج ۱ ص ۵۸)

ہر دور اور زمانہ میں علما کا صحیفہ کی روایات کو نقل کرنے کے سلسلے میں اہتمام ، نیز اجازات میں اس کا تذکرہ اور نجاشی کی فہرست ، فہرست شیخ الطائفہ طوسی و ابن شہرآشوب میں اس کی شروح کا تذکرہ کرنا اس بات کو پایہ ثبوت تک پہونچا دیتا ہے کہ امام سجاد کی طرف نسبت قطعی ہے کسی طرح کا شک و تردید باقی نہیں رہ جاتی ہے -

متذکرہ بالا مطالب سے قطع نظر اسلامی ممالک میں اس کی شہرت ، بے شمار قدیمی نسخہ جات کا پایا جانا بہترین دلیل ہے کہ یہ نسبت قطعی و

یقینی ہے ۔ ہردور و زمانہ میں محققین، ارباب دانش و بینش نے اپنی توانائی بھر صحیفہ سجادیہ کے حوالہ سے خامہ فرسائی کیا ہے جس کا احصا امکان پذیر نہیں ہے انہیں عظیم خدمات کی بنا پر دشمنان آل محمد کی تشکیک و تردید کی ہرکوشش ناکام ہوگئی۔

مصر کے مرکز علم ودانش الازہر کے استاذ کا بیان اگر نقل کیا جائے تو دل چسپی سے خالی نہ ہوگا اور افادہ و استفادہ میں معاون و مددگار ہوگا، استاد فیلسوف طنطاوی جوہری کا مضمون ’’ **ادعیة علي زين العابدين وماذايستفيد منها المسلمون** ‘‘کے عنوان سے رسالہ’’ هدي الاسلام‘‘مصر کی متعدد اشاعتوں میں شائع ہواہے موصوف تحریر کرتے ہیں :

جامعہ ازہر کے نوجوان ہندوستانی طالب علم سید مجتبی حسن (یہ علامہ مجتبی کامونپوری اعلی اللہ مقامہ ہیں)نے مجھے ایک کتاب سے مطلع کیا جس میں کچه دعائیں، مناجات حضرت علی ابن الحسین کی جانب منسوب موجود ہیں میں نے اس کتاب کو غورسے پڑھا مجه پر ہیبت طاری ہوگئی۔ ان دعاؤں کی عظمت میرے دل میں جاگزیں ہوئیں اور میں نے کہا کہ عجیب بات ہے کیوں کر مسلمان اب تک اس ذخیرہ سے ناواقف رہے اور کس طرح وہ صدیوں اور پھر صدیوں تک خواب غفلت میں مبتلارہے اور انہیں احساس نہ ہواکہ اتنابڑاعلمی ذخیرہ خدانے ان کے لیے مہیا کررکھا ہے اور وہ ان خزانوں‌کو کھول کر دیکھیں اور اسرار و رموز پر مطلع ہوں تو سمجھیں کہ سنی و شیعہ دونوں خواہ مخواہ کے لیے باہمی افتراق میں مبتلا ہیں اور باہمی عداوت کے نشہ میں سرشار ہیں (ترجمہ صحیفہ سجادیہ از مفتی جعفر حسین صاحب ص ۴۹)

آگے بڑھ کر طنطاوی بارگاہ پروردگار میں شکوہ کرتے ہوئے

رقمطراز ہیں۔

خداوندا تیری کتاب موجود ہے اور یہ اہل بیت میں سے ایک بزرگ ہستی کے ارشادات ہیں یہ دونوں کلام ہیں وہ آسمان سے نازل شدہ کلام ہےاور یہ اہل بیت کے صدیقین میں سے ایک صدیق کی زبان سے نکلاہوا کلام دونوں بالکل متفق ہیں ۔ اب میں باآواز بلند پکارتا ہوں ہندوستان میں اور تمام اسلامی ممالک میں بسنے والے فرزندان اسلام کو اے اہل سنت ، اے اہل تشیع، کیا اب بھی وقت نہیں آیا ہے کہ تم قرآن و اہل بیت کے مواعظ سے سبق حاصل کرو یہ دونوں تم کو بلارہے ہیں (مقدمہ ترجمہ صحیفہ سجادیہ از مفتی جعفر حسین صاحب ص ۵۷)

متذکرہ بالا اقتباسات سے یہ بات بہر حال طے ہوجاتی ہے کہ کلام امام ہے اگر انہیں کسی پہلو سے کوئی نقص و خامی نظر آتی تو خاموش نہ رہتے اس کا اظہار ضرور کرتے مگر کسی طرح کے شبہ کا اظہار نہ کرنا اس حقیقت کو بیان کرتا ہے کہ ان کے نزدیک کلام امام ہونا ثابت ہے اور کسی طرح شک و شبہ کی گنجائش باقی نہیں رہ جاتی ہے ۔

مفتی جعفر صاحب صحیفہ سجادیہ کے متن سے کلام امام ہونے کا اثبات کرتے ہوئے رقمطراز ہیں:

ہرکلام کی خصوصیت ہوتی ہے جن سے انتساب کے سلسلہ میں بڑی حد تک مدد ملتی ہے ، لب ولہجہ و اسلوب بیان کو دیکھ کر متکلم کو پہچانا جا سکتا ہے کیونکہ کلام متکلم کا آئینہ دار ہوتا ہے تو صحیفہ کے الفاظ کا حسن، معنی کی کشش اور کلام کی دل آویزی دلیل ہے کہ ان کےغیر کی طرف اس کی نسبت نہیں دی جاسکتی ہے اس کے ایک ایک جملہ کی ساحرانہ بلاغت ، ایک ایک فقرہ کی معجزانہ فصاحت اس کی شاہد ہیکہ

اس کا سر چشمہ دود مان رسالت ہے جس کا کلام فوق کلام بشر تسلیم کیا جا چکاہے ۔ صحیفہ سجادیہ اگر ایک طرف آل محمد کی فصاحت و بلاغت کا آئینہ دار ہے تو دوسری طرف ان کے ذاتی کمالات و خصوصیات کا بھی ترجمان ہے (مقدمہ ترجمہ صحیفہ سجادیہ از مفتی جعفر حسین صاحب ص ١٠)

جامعہ ازہر کے پروفیسر محمد کامل حسین امام سجاد کی دعاؤں پر اپنے تاثرات (جو رسالہ الرضوان ماہ جمادی الثانیہ ١٣٧٧ھ کے شمارہ میں شائع ہوا ہے) کا اظہار کرتے ہوئے تحریر کرتے ہیں (اس مضمون کا ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین صاحب نے ترجمہ صحیفہ کے مقدمہ میں درج کیا ہے اسی سے نقل کیا جارہاہے)

یہ سب میں نے لکھ ڈالا اس حالت میں کہ میرے سامنے ایک کتاب ہے، جو حجم کے لحاظ سے تو چھوٹی ہے مگر قدروقیمت میں بہت بڑی ہے یہ سیدنا امام زین العابدین کی بعض دعاؤں کا مجموعہ ہے مجھے آرزو تھی کہ میں ان دعاؤں کی نسبت لکھتا اور بتلاتا کہ ان میں کتنی روشن دلیلیں ہیں اس بات پر کہ زین العابدین مثل دوسرے اہل بیت طاہرین کے بالکل رسول اللہ کی تعلیمی روح کے حامل اور عبادات و پر ہیز گاری میں آپ کے تابع تھے لیکن مجھے وہ الفاظ کہاں مل سکتے ہیں جو میرے تاثرات کو ظاہرکریں اس وقت جب میں ان معجز نما کلمات کو پڑھتاہوں جن کی تشریح میں زبان عاجز ہوکر ٹھہرتی اور عقل حیران ہوجاتی ہے اور قلم لرزہ براندام ہوکر رک جاتا ہے لہذا اس موقع پر میں صرف اپنے عجز اور کوتاہ بیانی کا اعتراف کرنا اچھا سمجھتا ہوں بہ نسبت اس کے کہ میں قلم اٹھاؤں اور پھر موضوع کے حق کو ادانہ کرسکوں کیونکہ میرا

تاثر اور قلبی احساس حضرت سجاد کی دعاؤں کے پڑھنے کے موقع پر میری طاقت اظہار سے بالاتر ہے ۔

موصوف مزید تحریر کرتے ہیں :

تم نے عربی کلام میں کبھی جاودانہ کیف اس کلام سے زیادہ بھی دیکھا ہے اور کوئی کلام جو اپنے خوشنما الفاظ اور بڑے معانی کے ساتھ دل میں بیٹھ جائے اور نفس انسانی کو ان بلند مرتبوں تک پہونچا ئے جن میں صرف پاک و پاکیزہ اور ہوس دنیا سے خالی اور صاف دل ہی پہونچ سکتے ہیں اس کلام سے زیادہ سنا ہے ؟ یہ دینی ادب ہے جس سے دل چاشنی گیر اور لذت اندوز ہوتے ہیں اور اس کی بلندی کے سامنے سجدہ ریز نظر آتے ہیں کان اسکو سنتے ہیں تو اس کے نغموں کے ساتھ مترنم ہوجاتے ہیں اور عقل ان کے معانی پر غور کرتی ہے تو ایک دوسری فضا میں جو اس فضا کے علاوہ ہے پرواز کرنے لگتی ہے (مقدمہ ترجمہ صحیفہ سجادیہ از مفتی جعفر حسین صاحب ص ۵۹،۶۰)

اعتبار متن صحیفہ سجادیہ:

صحیفہ سجادیہ امام زین العابدین نے انشاء فرمایا ہے پروردگار عالم نے حکمت و بصیرت چشمہ زبان امامت پر جاری فرمایا ایسی شخصیت کے دہن مبارک سے نکلے ہوئے کلمات ہیں جس کے شب وروز عبادت الہی میں بسر ہوتے تھے زندگی کی ہرسانس مرضی معبود کے مطابق تھی۔

صحیفہ صرف دعاؤں کا مجموعہ نہیں ہے بلکہ علم و عقائد ، معاشرتی آداب و سیاسی طور طریقہ کا انسائکلو پیڈیاہے جس کی جاودانی ہر دور کے صاحبان علم و دانش کو تفکر و تدبر کی دعوت دیتی رہے گی۔

متن صحیفہ کے معتبر و صحیح ہونے کے حوالہ سے علماء کے بیانات پر غور کرنا بہت ضروری ہے ذیل میں ہم چند علماء کے اقوال وبیانات درج کررہے ہیں :

میرداماد فرماتے ہیں: انجیل اہل بیت ، زبور آل محمد میں اسرار آسمانی، الفاظ الہی، اسلوب و حیانی اور جلوہ فرقانی پایا جاتا ہے (شرح صحیفہ میرداماد ص ۵۵)

سید علی خان رقمطراز ہیں : صحیفہ سجادیہ علم الہی کی علامت، کلام نبوی کی معطر خوشبو سے لبریز ہے اور ایسا ہونا بھی چاہئے کہ چراغ رسالت کے نور کے ٹکڑے سے صادر ہوئی ہے اور بوستان امامت کی شمیم کا ایک حصہ ہے حقائق معرفت کے انوار ، باغ حکمت کے اثمار سے مملو ہے اسی وجہ سے اس کو وحی آسمانی و صحف الہی و ملکوت کی نظیر بتایاگیا ہے (ریاض السالکین ج ۱ ص ۵۱)

مولیٰ محمد تقی مجلسی فرماتے ہیں:

بے شک صحیفہ کاملہ سجادیہ امام سجاد کا عظیم سرمایہ ہے کیونکہ اس کے مطالب ، فصاحت و بلاغت اور علوم الہی کا احاطہ اس بات پر بہترین گواہ ہے کہ معصوم کے علاوہ کسی اور فرد بشر سے ممکن نہیں ہے اللہ رب العالمین کا بے پناہ شکر و بے شمار حمد و ثنا کہ اس نے اس عظیم نعمت کو ہم شیعوں سے مختص کیا ہے (بحار الانوار ج ۱۱۰ ص ۶۶)

علامہ مجلسی صحیفہ سجادیہ کے بے شمار طرق روائی کے تذکرہ کے بعد فرماتے ہیں :

صحیفہ کی عبارت بیان سے بالاتر و واضح تر ہے یہ کتاب قرآن کی

مانند فصاحت کے بلند ترین مقام پر ہے اور علوم الہی پر مشتمل ہونا ہر اس شخص پر آشکار ہوجائے گا جو معمولی علم بھی رکھتا ہو(بحار الانوار ج ۱۱۰ص ۵۹)

صحیفہ کاملہ کے معتبر ہونے کے لیے کافی ہے کہ جلیل القدر علماء و محدثین نے اس کو معتبر جانا ہے اور اپنی اپنی گرانقدر تصانیف میں نقل کیا ہے مثلاً شیخ الطائفہ طوسی نے کتاب مصباح المتہجد میں ، شیخ قطب الدین راوندی سے سلوۃ الحزین و تحفۃ العلیل میں اور سید ابن طاوٗس نے اپنی کتب ادعیہ میں۔

میرداماد فرماتے ہیں:

طرق مشایخ کے اسانیدو اساتیذفن کا صحیفہ کو نقل کرنا کہ متواتر ہے البتہ نقل کی کیفیت و شکل مختلف ہے (شرح صحیفہ سجادیہ میرداماد ص ۵۶)

آفندی نے بیان کیا ہے کہ :

میں نے صحیفہ سجادیہ کے بعض ایسے نسخہ جات بھی دیکھے ہیں جو غیر مشہور طریقہ سے مروی ہیں اور ان طرق کی تعداد دس کے قریب ہے (صحیفہ ثالثہ ص ۱۱)

علامہ مجلسی نے بعض طرق صحیفہ کاملہ کے نقل کرنے کے بعد تحریر کیا ہے :

صحیفہ کے غیر مشہور اسانید جو میں نے دیکھے ہیں ان کا شمار کرنا مشکل ہے اور بلاشک و تردید یہ امام سجاد کی ہی دعاوٗں کا مجموعہ ہے لیکن اسناد کے اعتبار سے مثل قرآن قطعی ہے زید یہ بھی تواتر کے ساتھ نقل کرتے رہے ہیں (بحار الانوار ج ۱۱۰ ص ۵۹)

صحیفہ کاملہ کا مشہور و متداول نسخہ دوروایت پر منتہی ہوتا ہے روایت ابن اعلم مصری و محمد بن احمد بن مسلم بن مطہر جیساکہ مقدمہ صحیفہ سے مستفاد ہے یہی دو طریقہ تمام نسخوں میں درج ہیں ، سب سے پہلے جس عالم جلیل نے اس کو رواج بخشا وہ شہید اول تھے جنھوں نے کم از کم دو مرتبہ کتابت کیا جو ان کے نزدیک اہمیت صحیفہ کا بین ثبوت ہے اور پھر ان کے شاگردوں کے ذریعہ یہ صحیفہ کاملہ نسخہ برداری کے عمل سے گذرا اور تمام مناطق میں منتشرہوا۔اس کے بعد شہید ثانی نے اپنے نسخہ کا شہید اول کے نسخہ سے مقایسہ کرکے نشر کیا گیا رہویں صدی میں شیخ بہاء الدین محمد عاملی اور علامہ مجلسی اور ان کے فرزند محمد باقر مجلسی نے اسلامی ممالک میں اس کے نسخہ جات کی تقسیم و نشر کی بےحد کوشش کیا۔

مجلسی اول نے شرح مشیخہ من لایحضرہ الفقیہ میں بعض اجازات میں اس نسخہ کے نشر ہونے کی اصلی علت کو یوں بیان کیا ہے :

اوائل بلوغ میں رضایت الہی کے حصول میں کوشاں رہتا تھا ذکر خداکے بغیر مجھے آرام و قرار نہیں ملتا تھا یہاں تک کہ عالم کوخواب و بیداری (غنودگی) میں امام عصر عج کو دیکھا کہ مسجد جامع اصفہان میں باب طینی کےپاس (جو میری درسگاہ تھی) قیام فرماہیں میں نے سلام کرکے قدم بوسی کرنا چاہا حضرت نے مجھے قدم بوسی کے شرف سے محروم کردیا اور مجھے پکڑا میں نے دست بوسی کیا اور ان مسائل میں جومیرے نزدیک مردودمشکوک تھے آنحضرت عج سے استفسار کیا۔

ان میں ایک مسئلہ یہ تھا کہ میں نے عرض کیا کہ مولا میں ہر وقت آپ کی بارگاہ میں حاضری نہیں دے پاتا ہوں مجھے ایسی کوئی کتاب

عنایت فرمائیں جس پر ہمیشہ عمل کرتا رہوں امام نے فرمایا تمہاری مطلوبہ کتاب مولانا محمد تاج کو دے دیا ہے جاؤ اور جاکر ان سے لے لو۔ میں مسجد کے اس دروازہ سے جو دارالبطیخ (اصفہان کا ایک محلہ ہے) کی طرف تھا نکلا اور جب مولانا محمد تاج کے پاس پہونچا تو انھوں نے دیکھتے ہی کہا تم کو امام زمانہ عج نے میرے پاس بھیجاہے؟

میں نے اثبات میں جواب دیا انھوں نے گریبان سے ایک خوبصورت کتاب نکال کر کھولا میں نے دیکھا کہ وہ دعا کی کتاب ہے کتاب کو بوسہ دیا آنکھوں سے لگایا اور وہاں سے حضرت کی طرف چل پڑا کہ ناگہاں آنکہ کھل گئی لیکن اس کتاب کو نہیں پایا کتاب نہ ملنے کے غم میں صبح تک عالم تضرع و زاری میں رہا اور اشک حسرت آنکھوں سے جاری رہے۔

نماز و تعقیبات سے فراغت کے بعد میرے ذہن میں آیا کہ مولانا محمد تاج شیخ بہائی ہیں جو علماء کے درمیان تاج کے لقب سے مشہور ہیں۔ جب میں ان کے محل تدریس جو مسجد جامع کے جوار میں تھا پہونچا تو دیکھا کہ شیخ بہائی صحیفہ کو سن رہے ہیں اور سید صالح امیر ذوالفقار گلپائگانی اس کی قرأت کررہے ہیں تھوڑی دیر ٹھہراتا کہ یہ سلسلہ ختم ہو چونکہ بظاہر وہ اسناد صحیفہ کی قرائت کررہے تھے لیکن جو حسرت و یاس میرے دل میں جاگزیں تھی اس کے سبب ان کی گفتگو کچھ سمجھ میں نہیں آرہی تھی میں رونے لگا اور شیخ کے پاس جاکر پورا خواب بیان کیا اور بتایا کہ اس کتاب کے نہ ملنے کی وجہ سے میں گریاں ہوں۔

شیخ نے مجھے علوم و معارف الہی، اور اس چیز کی جمع آوری کی بشارت دی جس کی تلاش میں تھا مگر ان باتوں سے بھی سکون خاطر

میسرنہ ہوا گریہ کرتا ہوا وحشتناک حالت میں ان کے پاس سے اٹھ گیا اور سوچاکہ اس سمت چلوں جہاں پر عالم خواب میں حضرت عج سے ملاقات ہوئی تھی جب دار بطیخ کے پاس پہونچا توایک مردصالح جن کا نام حسن اور لقب تاجاتھا موجود تھے ان کو سلام کیا انھوں نے مجھ سے کہاکہ کچھ موقوفہ کتب میرے پاس ہیں طلبہ چونکہ شرائط وقف پر عمل نہیں کررہے ہیں لہذا انھیں نہیں دیا ہے آپ ان کی رعایت کرسکتے ہیں لہذا میرے ہمراہ چلو اور جو آپ کی ضرورت کی ہوں لے لیں ان کے ہمراہ کتب خانہ گیا پہلی کتاب جو دیا وہی تھی جو میں نے خواب میں دیکھا تھا جیسے ہی کتاب پر نظر پڑی رودیا اور کہا یہی کافی ہے مجھے یاد نہیں کہ میں نے خواب ان سے بیان کیا تھا یا نہیں۔

کتاب لے کر شیخ بہائی کے پاس آیا اور اس کتاب سے جو ان کے جدنے نسخہ شہید سے نسخہ برداری کیا تھا مقایسہ کیا شہید نے عمیدالروٗسا و ابن سکون کے نسخہ کے مطابق تحریر کیا تھا اور ابن ادریس کے نسخہ سے باواسطہ یا بلاوسطہ مقایسہ کیا تھا وہ نسخہ جو حضرت امام زمانہ عج نے مجھے عطا فرمایا تھا وہ شہید کے خط سے کتابت شدہ تھا اور بالکل موافق تھا حتی حواشی۔

میرے اس عمل کے بعد دیگر افراد نے بھی میرے نسخہ سے مقایسہ کیا اور امام زمانہ کے عطیہ کی برکت سے صحیفہ کاملہ تمام ممالک میں منتشر ہوئی بالاخص اصفہان ۔ بہت سے لوگوں کے پاس متعدد نسخہ تھے جن میں اکثر افراد صالحین و اہل دعا تھے بعض ان میں مستجاب الدعوات تھے یہ آثار و برکات حضرت عج کا معجزہ تھا وہ علوم جواس صحیفہ کی برکت سے مجھے حاصل ہوئے الفاظ میں بیان نہیں ہوسکتے ہیں یہ اللہ کا

فضل و کرم ہے مجه پر اور بندوں پر والحمد لله رب العالمین (شرح من لایحضرہ الفقیہ ج ۱۴ ص ۴۱۸)

اس واقعہ کے باعث مجلسی اول ہمیشہ مقام فخر میں فرماتے تھے کہ مجھے امام زمانہ کی زیارت کا شرف حاصل ہوا ہے اور اس بات کا تذکرہ بھی انھوں نے متعدد اجازات میں فرمایا ہے جس کا تذکرہ خوف طوالت سے ترک کیا جارہا ہے ۔

صحیفہ چشمہ زلال معارف اسلامی:

آج کے دور میں جب بحروبر مصائب و آلام کی آماجگاہ بنے ہوئے ہیں خزانہ ارض انسانی اقدار کو پائمال کرنے کا سبب قرارپاچکاہے ، سمندر رحمت و کرم کا سرچشمہ ہونے کے بجائے آلام و مصائب کا چشمہ بنا ہواہے ان معارف و علوم کی زیادہ ضرورت محسوس کی جارہی ہے جو امام سجاد نے دعا کے قالب میں بیان کئے ہیں ۔

امام سجاد نے خداشناسی ، جہاں شناسی، عالم غیب ، رسالت پیامبران الہی ، فضائل و کمالات اخلاقی ، اجتماعی و اقتصادی مسائل کو دعا کے الفاظ میں اتنے حسین انداز میں پیش کیا ہے کہ آج تک صاحبان فکروخیال کی قوت ادراک کے احاطہ سے باہر ہے ۔ اس مضمون میں ہم چند معارف دینی کی طرف اجمالا اشارہ کرتے ہیں طالبان حق و حقیقت ارباب علم و تحقیق مزید خامہ فرسائی کریں اور معارف گہر ہای آبدار و درشاہوا رسلامی دنیا کے سامنے پیش کریں۔

۱۔ خدا شناسی:

معرفت خدا اس نہائی مقصد تک پہونچنے کی کلید ہے کیونکہ جتنی

معرفت کی منزلیں بلند ہوتی جائیں گی انسان خداسے قریب تر ہوتا جائیگا، اخلاق الٰہی سے آراستہ و پیراستہ ہونا، ایمان ، تقوی ، توکل وغیرہ اسی معرفت کے مرہون منت ہیں اسی مقصد کے تحت صحیفہ کاملہ کی پہلی دعامیں حمد و شکر کے ضمن میں معرفت الٰہی پر تاکید فرماتے ہیں :

ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا و اختر عهم علي مشيته اختراعا ثم سلك بهم طريق ارادته و بعتهم في سبيل محبته لايملكون تاخيراً عما قدمهم اليه ولا يستطيعون تقدما الى ما اخرهم عنه (دعاء اول صحيفه)

اس نے اپنی مخلوقات کو اپنی قدرت کے ذریعہ بلاکسی مادہ کے پیداکیا ہے اور اس کائنات کو اپنی مشیت کے زور پر بلاکسی نمونہ کے ایجاد کیا ہے پھر سب کو اپنے ارادہ کے راستے پر لگادیا ہے اور اپنی محبت کی راہ پر چلنے کے لیے آمادہ کردیا جس طرف ان کو بڑھادیاہے اس سے پیچھے ہٹنے کا اختیار نہیں ہے اور جہاں سے پیچھے ہٹادیا ہے وہاں سے آگے بڑھنے کا دم نہیں ہے ۔

اس دعا میں امام نے ان نکات کی طرف اشارہ فرمایا ہے کہ ذات خداقابل روٗیت نہیں ہے نیز خالقیت کی وضاحت کرتے ہوئے بندوں کو اس کی معرفت کی طرف ہدایت فرمایا ہے ۔

دعا عرفہ میں خدا شناسی کو بیان کرتے ہوئے ارشاد فرمایا :

انت لذي لم يعنك على خلقك شريك ولم يوازرك في امرك و زيرولم يكن لك مشاهد ولانظير. (دعاء عرفہ صحیفہ)

تو وہ ہے جس کا کار تخلیق میں کوئی شریک نہیں ہے اور جس کا امور مملکت میں کوئی وزیر نہیں اور جس کے کاموں کی دیکھ بھال میں کوئی نگرانی کرنے والا مثل و نظیر نہیں ہے ۔

یہ بات ملحوظ خاطر رہنا چاہئے کہ معرفت خدابغیر الٰہی عنایات کے

امکان پذیر نہیں ہے ایک الہی نعمت ہے جس کا شکر بندہ پر لازم و ضروری ہے اس نکتہ کی طرف اشارہ فرماتے ہوئے امام سجاد فرماتے ہیں -

الحمد لله على ماعرفنا من نفسه والهمنا من شكره و فتح لنا من ابواب العلم بربوبيته و دلنا عليه من الاخلاص له في توحيده و جنبنا من الالحاد (دعاء اول صحيفه)

ساری حمد اللہ کے لیے ہے کہ اس نے اپنے نفس کی معرفت عطاکی ہے اور اپنے شکر کا الہام کیا ہے اور ہمارے لیے ربوبیت کی معرفت کے دروازے کھول دیئے ہیں اور ہمیں توحید میں اخلاص کی طرف رہنمائی کردی ہے اور بے دینی اور اس کے معاملات میں شک سے بچالیا ہے

روز عرفہ کی دعا جو امام سجاد سے منسوب ہے اگر اس میں غور کیا جائے تویہ بات واضح ہوجائے گی کہ دعا عرفہ کے تین بنیادی محور ہیں جن میں سے ایک خدا شناسی ہے -

امام نے خدا شناسی کے ضمن میں توحید، علم ، قضاءوقدراور خالقیت جیسے عناوین کو بیان فرمایا ہے پہلے توحید کا اقرار فرمایا ہے جو خداشناسی کا رکن رکین ہے ارشاد ہوتا ہے :

الحمد لله رب العالمين اللهم لك الحمد بديع السموات والارض... انت الله لااله الا انت الاحد المتوحد الفرد المتفرد (دعاء روز عرفه صحيفه سجاديه)

ساری حمد اللہ کے لیے جو عالمین کا پروردگار ہے خدایا ساری حمد تیرے لیے ہے کہ تو آسمان کا موجد ، صاحب جلال و اکرام، پالنے والا والوں کا پالنے والا معبودوں کا معبود، مخلوقات کا خالق اور ہرشی کا مالک ہے تیرا جیسا کوئی نہیں ہے اور تیرے علم سے کوئی شی بعید نہیں ہے تو تمام اشیا پر محیط اور ہرشی کی نگرانی کرنے والا ہے تو وہ

خداہے جس کے علاوہ کوئی خدانہیں ہے تو اکیلا ایک یکتا اور یگانہ ہے تیرے علاوہ کوئی خدا نہیں ہے ۔

علم الہی تمام امور پر احاطہ کئے ہے خواہ و ہ جزئی ہوں یاکلی، ماضی سے متعلق ہوں یا مستقبل سے، مخفی ہوں یا آشکار ہر طرح کے امور پر محیط ہے، علم الہی خداشناسی کے ارکان میں سے ہے امام سجاد اس سلسلے میں ارشاد فرماتے ہیں۔

ولایعزب عنه علم شی وهو بکل شي محیط وهو علی کـل شـي رقیـب (دعاء روز عرفه صحیفه)

تو تمام اشیاء پر محیط اور ہرشی کی نگرانی کرنے والا ہے تیرے علم سے کوئی شی بعید نہیں ہے ۔

قضاء وقدر الہی کو بیان کرتے ہوئے بارگاہ معبود میں امام التجاء فرماتے ہیں:

سبحانك قولك حكم وقضاؤك ختم وارادتك عزم سبحانك لاراد لمشيتك ولامبدل لكلماتك (دعاء عرفہ صحیفہ)

تو پاک و بے نیاز ہے تیرا قول حکم، تیرا فیصلہ حتمی اور تیرا ارادہ یقینی ہے تو پاک و بے نیاز ہے کوئی تیری مشیت کو ٹال نہیں سکتا ہے اور کوئی تیرے کلمات کو بدل نہیں سکتا ہے ؛

خداشناسی کی عظمت و افادیت کو بیان کرتے ہوئے مولانے اس بات کی طرف اشارہ فرمایا ہے کہ جب انسان خداشناس ہوجائے گا اور عرفان الہی حاصل ہوجائے گا تو پھر زبان حمد و شکر میں غرق، رفتار و گفتار میں الہی رنگ نمایاں ہوگا لہذا ضرورت ہے کہ انسان حمدوشکر کے طور طریقہ سے بھی آگاہ ہوتا کہ واقعی و شایان شان حمد و تشکر کا فریضہ

انجام دے سکے۔

امام سجاد بارگاہ ایزد پناہ میں دست بدعا ہیں :

لك الحمد حمدا يدوم بدوامك ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك... حمداً لم يحمدك خلق مثله ولايعرف احد سواك فضله (دعاء عرفہ صحیفہ)

تیرے لیے ایسی حمد ہے جو تیرے دوام کے ساتھ برقرار ہے اور تیرے لیے ایسی تعریف ہے جو تیری نعمتوں کے ساتھ ہمیشہ رہے اور تیرے لیے ایسی تعریف ہے جو تیری صنعت کے مثل ہو اور تیرے لیے ایسی حمد ہے جو تیری رضا میں اضافہ کراسکے اور تیرے لیے ایسی حمد ہے جو ہر حمد کرنے والے کی حمد کے ساتھ چل سکے اور ایسا شکر ہے جس سے ہر شکر کرنے والے کا شکر کمتر رہے وہ حمد جو تیرے علاوہ کسی کے لیے سزاوارنہ ہو اور جس سے صرف تیراہی قرب حاصل کیا جاسکے ۔

۲۔ امام شناسی:

معرفت امام اہم ترین مباحث میں سے ہے کیونکہ انسان اس نہائی کمال و ہدف تک بغیر کسی راہنمائی و منظم دستورالعمل کے رسائی حاصل نہیں کرسکتا ہے لہذا خدا نے بندوں کی ہدایت و رشادت کے لیے پیغمبروں کا سلسلہ قائم کیا اور جب سلسلہ نبوت کی آخری کڑی حضرت محمد مصطفی نے دار فانی سے رخ موڑ لیا تو بلافاصلہ امامت کا ایسا سلسلہ قائم کیا جو صبح قیامت تک جاری و ساری رہے گا۔ ائمہ کرام کی اہمیت کا اندازہ صرف ایک جملہ سے لگایا جاسکتا ہے کہ ائمہ نہ ہوتے تو اساس و اصول اسلامی نیست و نابود ہوجاتے وصال مرسل اعظم کے بعد جو حالات رونما ہوئے ا ن کا بنظر غائر مطالعہ اس بات کا بہترین گواہ ہے کہ ائمہ کی

لازوال نعمت نے حقائق و معارف اسلامی کے خزانہ کی قزاقوں سے حفاظت فرمایا اور لوگوں کو ان سے متعارف کرایا:

امام سجاد دعاء عرفہ میں معرفت امام کے سلسلے میں ارشاد فرماتے ہیں:

اللهم انك ايدت دينك في كل اوان بامام اقمته علما لعبادك ومناراً في بلادك بعد ان وصلت حبله بحبلك و جعلته الذريعة الى رضوانك (دعاء عرفہ صحیفہ)

خدایا تونے ہردور میں اپنے دین کی تائید ایک امام کے ذریعہ کی ہے جو بندوں کے لیے پرچم ہدایت اور شہروں کے لیے منارہ نور تھا اس کی ریسمان ہدایت کو اپنی ہستی سے متصل کردیا اور اسے اپنی رضا کا وسیلہ بنایا۔

وجود ائمہ کے برکات و آثار کو بیان کرتے ہوئے فرمایا کہ ائمہ خداوسعادت تک رسائی کے وسیلہ و دستاویز ہیں انہیں کے ذریعہ انسان دنیاوی و اخروی سعادت نصیب ہوتی ہے دعا فرماتے ہیں :

وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك الى جتتك (دعاء عرفہ صحیفہ)

اور انہیں اپنی بارگاہ کے لیے وسیلہ اپنی جنت کا راستہ بنادیا ہے

ائمہ معصومین کے خصوصیات و صفات کو بیان کرتے ہوئے بارگاہ رب الارباب میں التجاء فرماتے ہیں

رب صل على اطائب اهل بيته الذين اختر تهم لامرك و جعلتهم خزنه علمك وحفظة دينك و خلفاءك في ارضك و حججك على عبادك و طهرتهم من الرجس والدنس تطهيرا بارادتك-

خدایا پیغمبر کے ان طیب و طاہر اہل بیت پر رحمت نازل فرما جنہیں

تونے اپنے امر کے لیے منتخب فرمایا (دعاء عرفہ صحیفہ سجادیہ)اور اپنے علم کا خزانہ دار اپنے دین کامحافظ اپنی زمین کا خلیفہ اور اپنے بندوں پر اپنی حجت قرار دیا ہے اور انہیں اپنے ارادہ سے ہر رجس اور آلودگی سے اس طرح پاک کیا ہے جو پاکیزگی کا حق ہے۔ان کلمات میں امام نے ائمہ کے مندرجہ ذیل صفات کا تذکرہ فرمایاہے۔

۱۔ راہ سعادت کی راہبر ہیں ۲۔ علم الٰہی کے خزینہ دار ۳۔ محافظ دین ۴۔ جانشین خدا ، ۵۔ حجت الٰہی، ۶۔ کثافت و دناست سے پاک و پاکیزہ ، ۷۔ خدا تک پہونچنے کا وسیلہ ہیں ۔

اس کے بعد امام نے لوگوں کے فرائض ائمہ معصومین کی نسبت سے کیا ہیں اس کی وضاحت بھی فرمایا ہے ارشاد فرماتے ہیں:

وافترضت طاعته و حذرت معصيته وامرت بامتثال اوامره والانتهاء عند نهيه والايتقدمه متقدم ولايتاخر عنه متاخر فهو عصمة اللائذين وكهف المومنين وعروة المتمسكين وبهاء العالمين (دعاء عرفہ صحیفہ)

اس کی اطاعت کو فرج قرار دیا اور اس کی نافرمانی سے ڈرا یا اس کے اوامر کے امتثال کا حکم دیا اور اس کے مناہی سے رکنے کاحکم دیا اور یہ فرمایا کہ خبردار کوئی اس سے آگے نہ بڑھے اور کوئی اس سے پیچھے نہ رہ جائے کہ وہ پناہ گزینوں کی حفاظت ، مومنین کی پناہ گا، تمسک کرنے والوں کا سہارا اور عالمین کا نور ہوتا ہے ۔

۳۔ قرآن شناسی و قرآن فہمی:

قرآن وہ الٰہی کتاب ہے جس میں صبح قیامت تک آنے والی بشریت کے تمام تر فلاح و بہبود کے فرامین و اصول بیان کئے گئے ہیں جس پر عمل پیرا ہوکر انسانیت کے درد کا مداو نیز دینوی فلاح اور اخروی سعادت کا

حصول ممکن ہے تاہم اسلامی معاشرہ ہمیشہ سے اس عظیم ذخیرہ سعادت سے دور رہا ہے ائمہ کرام نے اپنے اپنے دور اور زمانہ میں مسلسل لوگوں کو اس جانب متوجہ فرمایا ہے ائمہ کرام خود عالم و عامل قرآن ہونے کے ساتھ ساتھ بہترین قاری قرآن بھی تھے ان کی زندگیوں میں قرآن رچ بس گیا تھا ائمہ اپنی گفتگو ودعاؤں میں آیات قرآنی کو استعمال کرتے تھے چنانچہ صحیفہ سجادیہ میں بھی امام زین العابدین نے متعدد مقامات پر آیات قرآنی کو بیان کیا ہے کبھی کلام الہی ہونے کو بیان کیا ہے تو کسی مقام پر آیات قرآنی سے استشہاد فرمایا ہے۔

امام ارشاد فرماتے ہیں:

فقلت و قولك الحق الاصدق و اقسمت و قسمك الابرالاوفي وفي السماء رزقكم وماتوعدون ثم قلت فورب السماء والارض انه لحق مثل ماانكم تنطقون(دعاء نمبر ۲۹ صحیفہ)

تونے صاف کہہ دیا ہے اور تیرا قول حق و صداقت ہے اور تونے قسم بھی کھالی ہے جبکہ تیری قسم سے زیادہ کسی کی قسم سچی نہیں ہے آسمان میں تمہارا رزق بھی ہے اور وہ تمام چیزیں بھی ہیں جن کا تم سے وعدہ کیا گیا ہے آسمان وزمین کے مالک کی قسم یہ اسی طرح برحق ہے جس طرح تم بول رہے ہو۔

اس دعا میں امام نے سورہ ذاریات کی آیت نمبر ۲۲، ۲۳ سے استفادہ فرمایا ہے

امام سجاد نے قرآن کے سایہ میں زندگی گذارنے کے فوائد کو بیان کرتے ہوئے ارشاد فرمایا ہے:

لومات من بين المشرق والمغرب لما استو حشت بعد ان يكون القرآن

معي(کافی ج ۲ ص ۶۰۲)

اگر مغرب ومشرق کے تمام افراد موت سے ہم کنار ہوجائیں اور میرے پاس قرآن ہے تو مجھے کوئی وحشت و خوف نہیں ہوگا

قرآن سے انس و محبت کے کچھ مراحل امام زین العابدین نے صحیفہ کاملہ کی دعاوٴں میں بیان فرمایا ہے جس کو اجمالاً بیان کیا جارہاہے

پہلا مرحلہ آسمانی کتاب ہونے کا اعتراف کرنا ہے ارشاد ہوتا ہے

واجعلنا ممن يعترف بانه من عندك حتى لايعارضنا الشك في تصديقه ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه (دعاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

اور ہمیں ان لوگوں میں قرار دیدے جو اس امر کا اعتراف کرتےہوں کہ یہ قرآن تیری طرف سے نازل ہوا ہے تاکہ ہم اس کی تصدیق میں کسی شک سے دو چارنہ ہوں اور اس کے سید ہے راستہ میں کوئی کبھی شامل حال نہ ہونے پائے۔

دوسرا مرحلہ استماع قرآن ہے قرآن کا غورسے سننا انسانی تکامل میں بے حد موثر ہے صحیفہ میں امام نے اس نکتہ کی طرف اشارہ کرتے ہوئے فرمایا-**وشفاء لمن انصت بفهم التصديق الىٰ استماعه**(دعاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

اسے ان لوگوں کے واسطے نسخہ شفابنادیا ہے جو فہم و تصدیق کے ساتہ اس کی باتوں کو کان دھر کر سنیں

تیسرا مرحلہ تلاوت قرآن بالاخص تمام شرائط و آداب کی رعایت کے ساتہ خاص اوقات میں ۔ اس کی بے انتہاتاکید فرمایا ہے ارشاد ہوتا ہے:

اجعل هيبتي في وعيدك وحزري من اعذارك وانذارك ورهبتي عند تلاوة آياتك (دعاء نمبر ۴۷ صحیفہ کاملہ)

میرے خوف کو اپنی وعید و سرزنش میں اور میری احتیاط کو اپنے اتمام حجت اور انذار میں قرار دینامیرے خوف و ہراس کو تلاوت قرآن کے وقت قرار دینا۔

ایک دعا میں امام بارگاہ خدا میں دعا فرماتے ہوئے ارشاد فرماتے ہیں:

وقف بناآثار الذين قاموا لك به اناء الليل و اطراف النهار حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره وتقفوا بنا اثار الذين استضاؤً ابنوره ولم يلههم الامل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره. (دعاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

اور ہمیں ان کے نقش قدم پر چلادے جو رات کے لمحات اور ان کے اطراف میں تیرے حضور میں کھڑے رہتے ہیں تاکہ تو ہمیں ہرکثافت سے پاک بنادے اور ہمیں ان کے آثار پر چلادے جنھوں نے اس کے نور سے روشنی حاصل کی ہے اور انھیں بیجا امیدوں نے عمل سے غافل نہیں کیا کہ غرور کی فریب کاری کے ذریعہ اعمال سے منقطع کردے۔

تدبر و تفکر آیات قرآنی میں ایک مرحلہ ہے کیونکہ قرآن نے خود اس کی اہمیت کو بیان فرمایاہے ارشاد ہوتا ہے **افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها(محمد /۲۴)**

صحیفہ سجادیہ میں بعض مقامات پر ایسے اشارے ملتے ہیں جن سے سمجھ میں آتا ہے کہ تدبرو تفکر آیات الہی میں امام کےنزدیک حد درجہ اہمیت کا حامل ہے ماہ رمضان کی آمد کے موقع پر امام نے بارگاہ خدامیں جو دعا فرمائی تھی اس میں ارشاد فرمایا

والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان....الذي انزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان (دعاء نمبر ۴۴ صحیفہ کاملہ)

ساری حمد اس خدا کے لیے ہے جس نے ہمارے خیر کے راستوں میں

سے ایک راستہ اپنے مہینہ کو قراردیا ہے جو رمضان کا مہینہ ہے روزہ کا مہینہ ہے اسلام کا اور طہارت کا مہینہ ہے امتحان نیز راتوں کو قیام کا مہینہ ہے جسمیں اس نے قرآن کو نازل کیا ہے اور اسے لوگوں کے لیے ہدایت اور ہدایت کے ساتھ حق وباطل میں امتیاز کی کھلی نشانی قرار دیا ہے ، اس جملہ میں امام نے لوگوں کی ہدایت اور قرآن کا فرقان ہونا قرآن میں تدبر وتفکر کے بغیر ممکن نہیں ہے۔

دعا نمبر ۴۲ میں امام بارگاہ خدامیں التجا کرتے ہیں :

وجعلته نوراً تهتدي من ظلم الضلالة و الجهالــة باتباعــه (دعـاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

ایسا نور قرار دیاہے جس کا اتباع کرکے ہم گمراہی کی تاریکیوں اور جہالت کے اندھیروں میں ہدایت پاسکیں

ایک مرحلہ آیات قرآنی پر عمل پیرا ہونا ہے جب تک قرآن عملی زندگی میں وارد نہ ہوگا اس وقت تک خاطر خواہ نتائج برآمد نہ ہوں گے بعض مقامات پر دعاؤں میں ایسی تعبیرات آئی ہیں جن سے یہ استفادہ ہوتا ہے کہ عمل ضروری ہے نتائج کو حاصل کرنے کے لیے امام فرماتے ہیں :

اللهم صل علي محمدوآله وادم بالقرآن صلاح ظاهرنا وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الاخلاق(دعاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

خدایا محمد آل محمد پر رحمت نازل فرما اور قرآن کے ذریعہ ہمارے ظاہر کی صلاح کو دائمی بنادے اور ہمارے ضمیر کی صحت سے وسوسوں کے توہمات کو دور کردے اور ہمارے دلوں کی کثافت اور ہمارے گناہوں کی آلودگیوں کو دھودے.....ہمیں بری عادات اور پست اخلاق

سے دور رکھنا۔

ایک مقام پر ارشاد فرماتے ہیں:

الاخلاق وفرقنافرقت به بين حلالك وحرامك و قرآنا اعربت به عن شرائع احكامك وكتابا فصلته لعبادتك تفصيلا (دعاء نمبر ۴۲ صحیفہ کاملہ)

ایسا نقطہ امتیاز بنادیا ہے جس سے حق وباطل میں امتیاز قائم کیا جا سکے اور ایسا قرآن بنادیا ہیکہ جس کے ذریعہ تمام قوانین شریعت کا اظہار ہوسکے اور ایسی کتاب بنادی ہے جسے اپنے بندوں کے لیے شرح وتفصیل کے ساتہ واضح کیا ہے ۔

۴۔اہداف تربیتی صحیفہ سجادیہ:

تعلیم و تربیت کا ہدف یہ ہیکہ انسان اس مطلوب و مقصود واقعی تک پہونچے جس کے لیے قرآن کی روسے انسان کی تخلیق ہوئی ہے اور انبیاء و مرسلین نیز ائمہ کرام کو بھیجا گیا ہے صحیفہ سجادیہ کی دعاؤں کے مطالعہ سے انسان اس نتیجہ تک پہنچتا ہے کہ امام نے صحیفہ میں تعلیم و تربیت کا ہدف نہائی ذات خداوند متعال کو قرار دیا ہے تمام دعاؤں میں پروردگار کی لامتناہی ذات کی طرف راہنمائی فرمایا ہے خدا کو محور قرار دے کر ہمیں اس بات کو سمجھانے کی کوشش کی گئی ہے کہ زندگی کے تمام شئوں وحالات میں ہمارے حد نظر ذات باری ہونا چاہئے یعنی ہر لمحہ و ہرآن ہماری زندگی میں ذات باری کو حاضر و ناظر جانیں تاکہ ہماری زندگی جادہ حق و حقیقت سے منحرف نہ ہونے پائے۔

خداسے انسان کا رابطہ یہ ایک ضمنی ہدف ہے جو انسان کو اس ہدف نہائی تک پہونچانے میں معاون و مددگار ہوتا ہے خداسے انسان کا رابطہ معرفت ذات باری سے شروع ہوکر عبادت و توکل ، ایمان و تقوی پر متفرع

ہوتا ہے ، خدا خواہی و خدا جوئی انسانی شرست و فطرت کاجزء ہے یہ تو ممکن ہے کہ ذات خدا کے مصداق واقعی کی تلاش میں غلطیوں کا مرتکب ہوجائے لیکن خدا جوئی کے جذبہ سے انسانی فطرت کبھی بھی خالی نہیں ہوسکتی ہے امام نے خدا خواہی کے مفاہیم کو بیان کرکے انسانوں کو متوجہ کرنا چاہا ہے کہ انسان جب خدا کی طرف متوجہ ہوجائے گا تو اس کی رفتار و گفتار میں نمایاں فرق پیدا ہوگا اور ذات الہی کے جلوے اس کی زندگی کی ہر رفتار و گفتار میں ظاہر ہوں گے اور گناہ و معصیت کی آلودگیوں سے خودکو بچاتے ہوئے کمال اخلاص کے ساتھ ذات خدا سے قربت کی راہیں تلاش کرے گا۔

صحیفہ کی دعاء نمبر ۲۰۔۲۱۔ ۲۸۔۵۰۔میں امام نے مختلف الفاظ میں اس بات کو بیان کیا ہے کہ انسان کی حس خدا جوئی مصائب و آلام میں شدید سے شدید تر ہوجاتی ہے ارشاد ہوتا ہے۔

(دعاء نمبر ۲۰ صحیفہ کاملہ) **اللهم اجعلني اصول بك عند الضرورة و اسالك عند الحاجة واتضرع اليك عند المسكنة ولا تفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت ولا بالخضوع لسوال غيرك اذا فتقرت ولا بالتضرع الى من دونك.** پروردگارا مجھے ایسابنادے کہ ضرورت کے وقت تیرے ذریعہ حملہ کروں اور حاجت کے موقع پر تجہ سے سوال کروں مسکینی میں تیری بارگاہ میں گڑ گڑاؤں اور مجھے ایسی آزمائش میں نہ ڈال دیناکہ مجبوری میں تیرے غیر سے مدد مانگنے لگوں اور فقیری میں غیر کے دروازہ پر ہاتہ پھیلا کر خضوع کا اظہار کروں۔

امام نے ہوائے نفسانی و شہوت پرستی کو سبب قراردیا ہے کہ انسان اپنی خداجوئی کی فطرت سے روگردانی کرنے لگتا ہے اور مسیر ہدایت و

سعادت سے منحرف ہوجاتا ہے حس خداجوئی کی تقویت کے لیے نفسانی خواہشات سے اجتناب کرنا ضروری اور لازم ہے امام بارگاہ خدا میں ارشاد فرماتے ہیں:

اللهم اللهم اني اصبح و امسي مستقلا لعملي معترفابذنبي مقراً بخطاياي انا باسرافي علي نفسي ذليل عملي اهلكني وهواي ارداني وشهواتي حرمتني (دعاء نمبر ۵۲صحیفہ کاملہ)

خدایا میں نے اس عالم میں صبح وشام کی ہے کہ اپنے عمل کو قلیل تصور کرتا ہوں اپنے گناہوں کا معترف ہوں اپنی خطاؤں کا اقرار کرتاہوں میں اپنے نفس پر ظلم کی بناپر ذلیل ہوں کہ میرے عمل نے مجھے ہلاک کردیا اور میرے خواہشات نے مجھے تباہ کردیا شہوتوں نے مجھے ہر شی سے محروم کردیا ہے۔

ہم نوع افراد سے رابطہ کی نوعیت : انسان انفرادی زندگی کے علاوہ ایک اجتماعی زندگی کا حامل بھی ہوتا ہے اجتماعی روابط مختلف النوع ہوتے ہیں جس کے لیے خاص تربیتی نظام کی بھی ضرورت ہوتی ہے چونکہ اجتماعی روابط کبھی صرف معاشرتی حد تک محدود ہوتے ہیں اور کبھی سیاسی و اقتصادی حدود سے متعلق ہوتے ہیں لہذا ان تینوں جہتوں سے اصول و روابط کی جستجو ضروری ہے ایک انسان کا دوسرے انسان سے اجتماعی و معاشرتی رابطہ کی نوعیت کیا ہونی چاہئے اور سیاسی و اقتصادی رابطہ کی کیفیت کیسی ہونی چاہئے صحیفہ سجادیہ میں اجتماعی، سیاسی و اقتصادی روابط کو بامقصد بنانے کے ہر ممکن اصول بیان ہوئے ہیں ہم ذیل میں صرف چند نمونہ بطور اختصار پیش کرنے پر اکتفا کرتے ہیں۔

اجتماعی روابط میں اہم ترین رابط والدین کے ساتہ سلوک و برتاوٗ کی

نوعیت سے متعلق ہے امام سجاد نے اولاد کو والدین کے احترام و اطاعت نیز احسان کی تاکید فرمایا ہے اور تشویق و ترغیب دلایاہے۔

اللهم خفض لهما صوتي واطب لهما كلامي والن لهما عريكتي واعطف عليهماقلبي وصيرني بهما رفيقا و عليهما شفيقا(دعاء نمبر۲۴ صحیفہ کاملہ)

خدایا ان کے سامنے میری آواز کو دبادے میرے کلام کو خوش گواربنادے میرے مزاج کو نرم کردے میرے دل کو مہربان بنادے مجھے ان کا رفیق اور ان کے حال پر شفیق بنادے۔

متذکرہ بالاہداف تربیتی کے علاوہ بھی کچھ اہداف بیان ہوئے ہیں مگر چونکہ مذکورہ بالادو ہدف کی افادیت و اہمیت ہمہ گیر تھی لہذا درج کردیا گیا بقیہ خوف طوالت سے ذکر نہیں کئے گئے ہیں۔

۵. مفہوم موت:

ہمارے سماج میں موت کو فنا کے نام سے یاد کیا جاتا ہے، موت نابودی و نیستی کے مرادف سمجھی جاتی ہے جبکہ ادعیہ و احادیث معصومین سے یہ پتہ چلتا ہے کہ موت عدم کا نام نہیں ہے دنیاوی زندگی کی شام اور اخروی حیات کی صبح کا نام ہے انسان دارفانی سے دار بقاء کی طرف کوچ کرتا ہے۔

امام سجاد نے موت کا تذکرہ کسی نہ کسی اعتبار سے ہر دعا میں فرمایا ہے دعاء نمبر ۴۰ گرچہ عبارت و حجم کے اعتبار سے مختصر ہے مگر غور کرنے والوں کے لیے بے شمار مطالب و مفاہیم موجود ہیں امام بارگاہ الٰہی میں دست بدعا ہیں:

حتى يكون الموت مانسنا الذي نأنس به ومالفنا الذي نشتاق اليه و حامتنا التي نحب الدنو منها فاذا اوردته علينا و انزلته بنا فاسعد نابه زائراوآنسنا به

قادما ولاتشقنا بضيافته ولاتخزنا بزيارته (دعاء نمبر ۴۰)

موت ہمارا مرکز انس ہو جس سے ہم مانوس ہوں اور وہ محل الفت ہو جس کے ہم مشتاق رہیں اور ایک ایسی عزیز بن جائے جس سے قربت کی چاہت رہے اور اس کے بعد جب اس منزل میں وارد ہوجائیں اور وہ ہم پر نازل ہوجائے تو اسے بہترین ملاقات کرنے والا اور مانوس ترین آنے والا قرار دیدینا اور ہمیں اس کی مہمانی سے بدبخت نہ بنادینا اور اس کی ملاقات سے رسوا نہ کردینا۔

موت کی منظر کشی کرتے ہوئے ارشاد فرماتے ہیں :

اللهم صل على محمد و آله وهون بالقرآن عند الموت على انفسنا كرب السياق و جهد الانين وترادف الحشارج اذا بلغت النفوس التراقي و قيل من راق و حجلي ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا باسهم و حشة الفراق وداف لها من ذعاف الموت كاسامسمومة المذاق ودنا منا الى الاخرة رحيل و انطلاق وصارت الاعمال قلائد في الاعناق وكانت القبور هي الماوي الى ميقات يوم التلاق (دعاء نمبر۴۲ صحیفہ کاملہ)

خدایا محمد و آل محمد رحمت نازل فرما اور موت کے وقت اس قرآن کے ذریعہ ہماری سخت جانکنی کو آسان بنا دینا اور کراہنے کی سختیوں اور مسلسل ہچکیوں سے بچالینا جب جان گلے تک پہونچ جائے اور پوچھاجائے کہ اب جھاڑ پھونک کرنے والا کون ہے اور ملک الموت گیب کے پردہ سے قبض روح کے لیے نکل آئیں اور نفس کو موت کی کمان سے چلنے والے وحشت فراق کے تیروں کو نشانہ بنادیں اور موت کے زہریلے مشروب کا وہ جام پلادیں جس کا ذائقہ بھی زہر یلا ہواور آخرت کی طرف کوچ اور روانگی کا وقت قریب آجائے اور اعمال گلے کا طوق بن جائیں اور قبریں ہی قیامت تک رہنے کاٹھکانہ بن جائیں۔

موت کے خصائص و اقسام کو بھی امام نے متعدد ادعیہ میں واضح فرمایا ہے اگر صحیفہ کاملہ کی ادعیہ میں غور کیا جائے تو موت کے مندرجہ ذیل خصائص سامنے آتے ہیں۔

الف: مرگ سعید: یہ وہ موت ہے جس میں زندگی ذات حق کی رضا و خوشنودی نیز عنایات کے زیر سایہ بسر ہوایسی صورت میں موت گویا ایک حسین و پرنور زندگی کا آغاز ہے (دعاء نمبر۴۷۔۱۰۵ نمبر بند)

ب: مرگ حسین: وہ موت جس کے داہنی طرف ایک نور ہوتا ہے ایسی موت در حقیقت ایک پرنور وحسین زندگی کی درخواست ہوتی ہے (دعاء نمبر۴۷۔۱۱۷)

ج:مغرت و رحمت حق کے ساتھ موت: حضرت امام سجاد بارگاہ خدا میں التجاء فرمارہے ہیں پروردگارا موت کو مغفرت کا دروازہ اور رحمت کی کلید قرار دے (دعا نمبر ۴۷۔ بند ۱۱۷)

د: عزت و نشاط کے ساتھ موت : امام دعا فرمارہے ہیں پروردگارا مجھے غم و اندوہ کے ساتھ موت نہ دینا(دعاء نمبر ۴۸۔بند۱۴)اور موت کے وقت احساس ذلت وخواری نہ ہو (دعاءنمبر ۴۰ بند۴)

متذکرہ بالاخصائص حیات دنیاوی سے بیزاری کی علامت نہیں ہیں امام کی نگاہ میں اگر طولانی عمر غضب خدا،

ناشائشتہ اعمال اور غیر مقدس حیات کے ساتھ ہو تو اس کا کوئی فائدہ نہیں ہے دعاء مکارم الاخلاق میں امام فرماتے ہیں۔

وعمري ماكان عمري بذله في طاعتك فاذا كان عمـري مرتعـا للـشيطان فاقبضني اليك قبل ان يسبق مقتك اليّ او يستحكم غضبك عليّ(دعاء نمبر ۲۰ صحیفہ کاملہ)

اور مجھے اس وقت تک زندہ رکھنا جب تک زندگی تیری راہ میں خرچ ہوتی رہے اس کے بعد اگر اس کے شیطانی چراگاہ بن جانے کا امکان پیدا ہوجائے تو مجھے اٹھا لینا قبل اس کے کہ تیرے غضب کا رخ میری طرف ہویا تیرا غضب میرے حق میں مستحکم ہوجائے۔

۶۔ نماز اور صحیفہ:

نماز متقین کی علامت، نور چشم پیغمبر اکرم، تکبر کی دوا، بہشت کی کلید، قربت خداکا ذریعہ، منکرات سے روکنے والی اور ذات اکبر کی یاد ہے جس سے شیطان کو سرکوب کیا جاتا ہے ، امام سجاد نے صحیفہ کی دعاؤں میں اوقات نما، نماز کی تشویق و اہمیت نماز کو متعدد مقامات پر واضح طور پر بیان کیا ہے امام سجاد بارگاہ خدا میں دست بہ دعا ہیں۔

وانزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها الحافظين لاركانها المودين لها في اوقاتها على ماسنه عبدك ورسولك صلواتك عليه و آله في ركوعها وسجودها و جميع فواضلها على اتم الطهور و اسبغه و ابين الخشوع وابلغه (دعاء نمبر۴۴ صحیفہ)

اور اس منزل نماز میں ہمیں ان کے مرتبہ تک پہونچادے جو اس کی منزلوں کے حاصل کرنے والے اور اس کے ارکان کی حفاظت کرنے والے اور اسے بروقت انجام دینے والے ہیں جس طرح تیرے بندے اور رسول نے رکوع و سجود اور تمام اداب کو مقرر کیا ہے مکمل طہارت اور پوری پاکیزگی اور کامل و نمایاں خشوع وخضوع کے ساتھ۔

کامل نماز جو بارگاہ معبود میں مقبول ہے بغیر الطاف الہی کے ممکن نہیں ہے وہ افراد جو نماز کو تمام شرائط و اداب کے ساتھ بجالاتے ہیں در اصل رحمت الہی ان کے شامل حال ہوتی ہے امام فرماتے ہیں:

یاالهي لوبکیت الیك حتی تسقط اشفارعیني و انتحبت حتی ینقطع صوتي و قمت لك حتی تتنشر قدماي ورکعت لك حتی ینخلع صلبي و سجدت لـك حتي تتفقا حدقتاي و اکلت تراب الارض طول عمري........ماستوجبت بـذلك محوسیئة واحدة من سیئاتي(دعاء نمبر۱۶ صحیفہ)

خدایا اگر میں تیری بار گاہ میں اس قدر بھی گریہ کروں کہ میری پلکیں جھڑجائیں اور اس قدر بھی فریاد کروں کہ آواز بند ہوجائے اور اس قدر کھڑارہوں کہ پیروں پر ورم آجائے اور اس قدر رکوع کروں کہ ریڑھ کی ہڈیاں اکھڑجائیں اور اس قدر سجدے کروں کہ آنکھیں اندر کی طرف دھنس جائیں اور زندگی بھر خاک پھانکتا رہوں اور آخر حیات تک گدلاپانی پیتا رہوں اور اس درمیان اس قدر تیرا ذکر کروں کہ زبان گنگ ہوجائے اور شرم کے مارے آسمان کی طرف نظر بھی نہ اٹھاوٴں تب بھی کسی ایک گناہ کے محو کردینے کا حق نہیں پیدا کرسکتا ہوں اور اگر تو طلب مغفرت کے وقت بخش دیتا ہے یا مستحق معافی سمجھ کر معاف کردیتا ہے تو یہ درحقیقت میرا استحقاق نہیں ہے اور نہ میں اس کا اہل اور سزاوار ہوں۔

امام سجاد تعقیبات نماز کو بھی بیان کرتے ہیں اور خدا سے ملتجی ہیں کہ ذکر و تعقیبات نماز کی توفیق کرامت فرمائے:

اللهم لا تنسني ذکرهما في ادبار صلواتي وفي اناء من اناء لیلي و في کل ساعة من ساعات نهاري (دعاء نمبر۲۴ صحیفہ)

خدایا مجھے ان کی یاد سے غافل نہ ہونے دینا نہ نمازوں کے بعد اور نہ رات کے لمحات میں اور نہ دن کی ساعات میں.

۷. اجتماعی اخلاق اور صحیفہ:

اجتماعی زندگی کچھ خاص و منظم اصول وآئین کی محتاج ہوتی ہے تاکہ معاشرہ کے نظام میں کوئی خلل پیدا نہ ہوسکے یہ بات دنیا کے تمام

مذاہب کے صاحبان عقل وشعور متفقہ تسلیم کرتے ہیں امام سجاد اس دین و آئین کے راہبر و امام ہیں جس نے پوری بشریت کو سعادت کی طرف بلایا ہے جس کا تذکرہ اخبار و روایات میں پایاجاتا ہے اور دعاوٗں میں بھی ائمہ نے باگاہ خداوندذوالجلال میں ہمیشہ اس سعادت و نیکی کی التجاء فرمایا ہے۔

صحیفہ سجادیہ کی دعاء مکارم الاخلاق میں امام سجاد نے خدا سے دعافرماتے ہوئے خود کو زیور صالحین زینت متقین سے آراستہ و پیراستہ ہونے کا مطالبہ فرمایا ہے ہم ذیل میں ان نیک صفات اور اخلاق اجتماعی کو جس کا مطالبہ امام نے خدا سے فرمایا تھا فہرست و ار درج کررہے ہیں ۔

۱۔ **بسط العدل**: معاشرہ پر عدل کی حکومت ہوتمام افراد کےحقوق ادا ہوں اور ظلم و ستم کا خاتمہ ہو

۲۔ **کظم الغیظ**: غصہ کو ختم کرنا اس لیے بھی ضروری ہے عالم غضب میں انسان حق کو حق تسلیم کرنے سے گریز کرتا ہے اور جادہ اعتدال سے منحرف ہوجاتا ہے ، عمل میں تعادل ختم ہوجاتا ہے۔

۳۔ **اطفاء النائرہ**: دشمنی و کینہ کی آگ کو خاموش کرنا کیونکہ بسا اوقات انسان فتنہ کی آگ کو شعلہ ور کردیتا ہے اپنے عمل و گفتار سے یہ کمال نہیں ہے بلکہ فتنہ وفساد کے بھڑکتے شعلوں کو کنٹرول کرکے صلح و صفا کے آب زلال سے بجھا دینا ہنر ہے۔

۴۔ ضم اہل الفرقۃ : جدائیوں کو قربت سے، افتراق و تفرقہ کو اتحاد سے بدل دینا، اتحاد و اتفاق کی راہ ہموار کرنا اختلافات کی خلیج کو پاٹ دینا یہ کمال ہے۔

۵۔ **اصلاح ذات البیٖن** : آپسی اختلافات کو ختم کرنا دوپڑوسیوں کے مابین کسی مسئلہ پر اختلاف ہویا افراد خانہ کے درمیان کسی معاملہ میں نااتفاقی کو ختم کردینا الٰہی عمل ہے۔

۶۔ **افشاء العارفه**: نیکیوں کو رواج دینا تاکہ دوسروں کے اعمال نیک اور امور خیر کے تذکرہ سے لوگوں کے دلوں میں اچھے امور انجام دینے کا جذبہ پیدا ہو۔

۷۔ **ستر العئبه**: عیوب کو چھاپانا، خدا ستار العیوب ہے لہذا خداکے بندے بھی کم از کم دوسروں کے نقائص و عیوب کو برملا نہ کریں اور دوسروں کی عزت وآبرو کے محافظ بن کر زندگی بسر کریں

۸۔ **لیٖن العریکه**: اخلاق و تواضع رکھنا ضروری ہے نرم مزاج ہونا چاہئے

۹۔ **خفض الجناح**: منکسر و فروتنی پائی جانی چاہئے

۱۰۔ **حسن السیره**: اپنے ہم نوع افراد کے ساته اچھا سلوک کرنا چاہئے

۱۱۔ **سکون الریٖح** : بردباری اور حلم ضروری ہے شدت و تندروی سے اجتناب کرنا لازم ہے

۱۲۔ **طیب المخالقه**: اخلاق پاکیزہ ہو

۱۳۔ **السبق الی الفضیله**: فضائل و مکارم کے حصول میں پیش قدم ہو

۱۴۔ **ترك التعییر**: ملامت و سرزنش سے اجتناب کرنا ضروری ہے کیونکہ اس کے سبب کینہ پیدا ہوتا ہے

متذکرہ بالا مطالب کے علاوہ بھی مطالب بیان ہوئے ہیں خوف طوالت کے سبب صرف چودہ کی مبارک عدد پر اکتفا کیا جارہا ہے ۔ یہ بات بھی ذہن نشین رہنا چاہئے کہ مندرجہ بالا ہر ایک مطلب میں مفاہیم کی ایک

دنیا ہے جس کی تشریح و توضیح کے لیے صفحات درکار ہیں۔

ایک پڑوسی کے ساتھ کس قسم کے روابط ہونے چاہئے اور ہماری ذمہ داریاں پڑوسی کے لیے اسلام نے کیا بیان کیا ہے ان مطالب کی وضاحت کرتے ہوئے مولاصحیفہ سجادیہ کی دعاء میں فرماتے ہیں۔

ووفقهم لاقامة سنتك والاخذ بمحاسن ادبك في ارفاق ضعيفهم و سدخلتهم وعيادة مريضهم و هداية مسترشدهم ومناصحة مستشيرهم و تعهد قادمهم وكتمان اسرارهم وستر عوراتهم و نضرة مظلومهم وحسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجدة والافضال واعطاء مايجب لهم قبل السؤال (دعاء نمبر ۲۶ صحیفہ)

اور انہیں توفیق دے کہ تیری سنت کو قائم کرنے، کمزوروں کے ساتھ نرمی برتنے، ان کی حاجت روائی کرنے ان کے مریضوں کی عیادت کرنے ان کے طالبان ہدایت کی ہدایت کرنے، مشورہ لینے والوں کو صحیح مشورہ دینے، وارد ہونے والے سے ملاقات کرنے، اسرار کو پوشیدہ رکھنے، عیوب کو چھپانے، مظلوم کی امداد کرنے، ظروف کے معاملہ میں ہمدردی کرنے، بخشش و انعام کے ذریعہ انہیں فائدہ پہونچانے اور سوال سے پہلے عطاکرنے میں بہترین ادب کا مظاہرہ کریں۔

اسی دعا کے آخری کلمات میں امام فرماتے ہیں:

واجعلني اللهم اجزي الاحسان مسيئهم و اعرض بالتجاوز عن ظالمهم واستعمل حسن الظن في كافتهم واتولىٰ بالبر عامتهم واغض عنهم عفة والين جانبي لهم تواضعا وارق على اهل البلاء منهم رحمة واسرلهم بالغيب مودة واحب بقاء النعمة عندهم نصحا واوجب لهم ماوجب لحامتي وارعي لهم مارعي لخاصتي (دعاء نمبر ۲۶ صحیفہ)

اور مجھے بھی توفیق دے کہ میں ان کے بدسلوکوں کو اچھا بدلہ دوں

،ان کے ظالموں سے درگذر کروں، سب کے بارے میں حسن ظن سے کام لوں، عام لوگوں کے ساتھ نیک برتاوٗ کروں، بربنائے عفت نگاہوں کو نیچا رکھوں ، تواضع کے ساتھ اپنے پہلو کو نرم رکھوں جو مبتلائے مصیبت ہوجائیں ان کے ساتھ نرمی اور مہربانی کا برتاوٗ کروں جو نگاہوں سے غائب ہوں ان کی بھی محبت دل میں رکھوں اخلاص کے ساتھ ان کی نعمتوں کی بقاء کی خواہش کروں اور جو کچھ اپنے قرابتداروں کے لیے لازم قرار دیتا ہوں ان کے لیے بھی لازم قراردوں اور جن باتوں کا اپنے خواص کے بارے میں خیال کرتا ہوں ان کے بارے میں بھی خیال رکھوں۔

مدارک و منابع

۱۔ الصحاح
۲۔ لسان العرب
۳۔ مفردات راغب
۴۔ معجم الفروق اللغویہ
۵ ۔ مختار الصحاح
۶۔ قرآن
۷ ۔ بحارالانوار
۸ ۔ معالم العلماء
۹۔ الذریعہ
۱۰۔ مجلہ سفینہ
۱۱ ۔ شرح صحیفہ سجادیہ میر باقر داماد
۱۲۔ ریاض السالکین
۱۳ ۔ ترجمہ شرح صحیفہ سجادیہ از مفتی جعفر حسین صاحب
۱۴۔ الصحیفۃ الثالثہ
۱۵ ۔ شرح من لایحضرہ الفقیہ
۱۶ صحیفہ سجادیہ

انسان شناسی
صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

❒ نقیب حیدر

خلاصہ مقالہ:

صحیفہ سجادیہ با وجود اس کے کہ نہایت ظریف و دقیق راز و نیاز کو اپنے اندر سموئے ہو ئے ہے اور انسان و خداوند متعال کے عاشقانہ رابطہ کی خوبصورت شکل میں تصویر کشی کر رہی ہے، بہت سارے مو ضوعات سیاسی ، اجتماعی، اخلاقی، روانشناسی، فلسفی،علمی و اقتصادی زاویہ سے بھی شامل ہیں لیکن جو اس مقالہ میں بیان کرنے کی کوشش کی گئی ہے وہ "انسان شناسی صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں "ہے جو اس کتاب شریف کی بعض دعاوں کی تحلیل و تفسیر کے ذریعہ انجام پائی ہے

مقالہ میں کلی اعتبار سے موضوع "شناخت انسان" کو بیان کیا گیا ہے اس کے بعد انسان کے مثبت ومنفی صفات و قوی وضعیف پہلو اور اس کی ترقی و تنزلی کے عوامل کو بیان کیا گیا ہے اور آخر میں انسان کامل کو کہ جسے پہچنوانا تمام انبیا و ائمہ معصومین کا ہدف تھا، بیان کیا گیا ہے

الفاظ کلیدی: انسان

مقدمہ:

تمام پیغمبروں اور اولیا ءالٰہی کی تمام موثورہ دعاؤں میں بندگان خدا کی اپنے معبود سے عاشقانہ رابطہ کی جلوہ گری کے علاوہ اآموزندہ نکات اور دوسری معرفت بھی پائی جاتی ہے کہ جسے حتی المقدور ان دعاوں کے مطالعہ سے ان بلند وعمیق نکات کو حاصل کریں گے۔

صحیفہ سجادیہ اور حضرت امام سجاد کی دعائیں آنحضرت کی تاریخی موقعیت اورا س زمانہ کی سیاسی و وحشتناک وضعیت کی بنا پرمحتلف زاویہ سے آ پ ہی کی ذات اقدس سے منحصر ہےکیونکہ آپ کے لئے اصل معارف دینی کی تبلیغ کے لئے مناسب مواقع فراہم نہیں تھےاور اس زمانہ کے افراد حکام جور کے خوف سے نہ صرف یہ کہ آپ سے دینی مسائل کو نہیں سیکھتے تھے بلکہ ہر طرح کے رابطہ سے بھی پرہیز کرتے تھےاسی بنا پر حضرت امام سجاد نے بہت سے اخلاقی ،سیاسی ، اجتماعی اور دیگر دینی معارف کو اپنے معبودسے دعا اور راز و نیاز کی شکل میں آشکار کیا ہے

جو اس مقالہ میں پیش کیا گیا ہے وہ "انسان کی شناخت حضرت مام سجاد کی نظر سے "ہے کہ جسے صحیفہ سجادیہ کی عبارات میں دقت و غورسے بیان کرنے کی کو شش کی گئی ہے۔

کلیات:

اصل موضوع کو بیان کرنے سےپہلے ہم ابتدائی طور پر اسلامی زاویہ سے انسان کے اوپر نظر کریں گے:

خلقت انسان سےمتعلق قرآن کریم کی آیات کے مطالعہ سے یہ معلوم ہوتا ہے کہ انسا ن ایک دو بعدی موجود کا نام ہے جس کا بعض حصہ

وجود مادی ہے :

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم من طين لاَّزِب﴾.[۱]

ترجمہ:اب ذرا ان سے دریافت کرو کہ یہ زیادہ دشوار گذار مخلوق ہیں یا جن کو ہم پیدا کر چکے ہیں ہم نے ان سب کو ایک لسدار مٹی سے پیدا کیا ہے۔

اس کا دوسرا حصہ روحی و معنوی ہے ،آیت قرآن کریم کے مطابق خداوند متعال نے اپنی روح آدم ابوالبشر میں پھونک کر ان کو ایک انسانی حیات بخشا ہے:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[۲]

ترجمہ:اور اس وقت کو یاد کروکہ جب تمہارے پروردگار نے ملائکہ سے کہا تھا کہ میں سیاہی مائل نرم کھنکھناتی ہو ئی مٹی سے ایک بشر پیدا کرنے والا ہوں پھر جب مکمل کرلوں اور اس میں روح حیات پھونک دوں تو سب کے سب اس روح الٰہی کی عظمت و احترام میں سجدہ گر جانا ۔

اسلامی زاویہ سےانسان کے اندر اپنی وجودی خلقت کی بنا پر اچھے یا برے ہونے کی استعداد وصلاحیت پائی جاتی ہےاور اپنے ارادہ و اختیار سے کہ جسے خداوندمتعال نے اسے عنایت کیا ہے راہ حیوانیت یا الوہیت کا انتخاب کرسکتا ہے:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.[۳]

۱۔ سورہ صافات، آیت ۱۱ .

۲۔ سورہ حجر، آیت ۲۸ و۲۹.

۳۔ سورہ شمس آیت ۷۔۱۰ .

ترجمہ:اور نفس کی قسم اور جس نے اس کو درست کیا پھر بدی اور تقویٰ کی ہدایت دی ہے بیشک وہ کامیاب ہو گیا جس نے نفس کو پاکیزہ بنا لیا اور وہ نا مراد ہو گیا جس نے اسے آلودہ کر لیا ہے۔

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.[۱]

ترجمہ:یقینا ہم نے انسان کو راہ حق و باطل کی ہدایت دیدی ہے اب چاہےوہ ہدایت قبول کر کے اس نعمتوں کا شکر گزار ہو جائے یا کفران نعمت کرنے ولا ہو جائے۔

در حقیقت انسان دین مبین اسلام کی نگاہ میں ایک طبیعی، ذاتی و فطری موجود ہے لہٰذا اگر اس کے اوپر غرائز حکم کریں گے تو حیوانیت و بد بختی کی طرف جائےگا اور اگر فطرت اس کے اوپر حکم رانی کرےگی تو کمال اور قرب خدا کے راستہ پر گامزن ہوگا۔

انسان صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

پیدائش و خلقت انسان

اگر ہم چاہتے ہیں کہ انسان کے اخلاق ،رفتار اور اس کے ضعف و قوی نقاط اسباب کے منشاکو صحیح طریقہ سے پہچانیں تو سب سے پہلے لازم یہ ہو گا کہ ہم ایک کلی و اجمالی نگاہ خلقت انسان کے اوپر کریں اور وہ تما م بنیادی و اہم امکانات وسہولیات کہ جو پروردگار نے اس کے حوالہ کی ہیں اور ان تمام چیزوں کے مقابلہ میں جس چیز کااس سے مطالبہ کیا ہے، ایک سرسری نظر ڈالیں۔

۱۔آغازانسان

صحیفہ سجادیہ کی مختلف دعاؤں کی بنا پر اانسان ایک غیر ازلی

۱۔ سورہ انسان، آیت ۳ .

مخلوق کا نام ہے کہ جسے خداوند متعال نے بدون قصد وارادہ خلق نہیں فرمایا ہے بلکہ حق کے ساتھ جیسا چاہا پیدا کیا ہے

حضرت امام سجاد خدائے بزرگ و برتر کی حمدو ثنا کرتے ہو ئے اس بارے میں فرماتے ہیں:

«ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً واخترعهم علیٰ مشیته اختراعا»[١]

اس نے کائنات (منجملہ انسان)کو اپنی قدرت و مشیت کاملہ سے پیدا کیا اور اور اپنے منشائے ازلی سے جیسا چاہا انہیں ایجاد کیا [٢]

«وانت الله لا اله الا انت الاول قبل کل احد والآخر بعد کل عدد»[٣]

اورتو ہی وہ معبود ہے کہ تیرے علاوہ کوئی معبود نہیں جو ہر شی سے پہلے اور ہر شمار میں آنے والی شی کے بعدہے[٤]

حضرت امام سجاد کی نگاہ میں خدا وندمتعال ہر چیز سے پہلے اور ہر چیز کے بعد میں ہے اور ہر موجود منجملہ انسان سے مقدم و موخر ہےاور انسان ایک ایسی ممکن الوجودموجود کا نام ہے کہ جو آغاز و نجام رکھتا ہے۔

٢۔ انسان کی اخلاقی صلاحیت

حضرت امام زین العابدین انسان کی ہدایت و ضلالت اور اس کے

١۔ صحیفه سجادیه دعا ١ .

٢۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ١٠٣ .

٣۔ صحیفه سجادیه دعا ٤٧ .

٤۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٣٥٠ .

شکران وکفران کی بنیاد کو اسکے وجود کو بتاتے ہیں اور جیسا کہ خود قرآن کریم میں بھی اسی بات کی نشاندہی کی گئ ہے کہ انسان کے ندر بلندی و خدائی اور حیوانات بلکہ حیوانات سے پست تر ہو نے کا بھی امکان پایا جاتا ہےجیسا کہ امام فرماتے ہیں:

«ثم سلك بهم طريق ارادته و بعثهم فى سبيل محبّته».[١]

(خداوند متعال نےموجودات کو پیدا کیا)پھر انہیں اپنے ارادہ کےراستہ پرچلایا اور اپنی محبت کی راہ پر ابھارا[٢]۔

اسی وجہ سے انسان کے وجود میں خداوندمتعال کی طرف سے رغبت ،توجہ اور پاکیزگی کو بطور امانت رکھا گیا ہےاور یہ انسان ہی ہے کہ جو کبھی اپنی عقل وارادہ سے اس فطری کشش کا مثبت جواب دیتا ہے یا پھر دوسرے راستہ کا اپنی حیوانیت و بدبختی کی بنا پر اختیا ر کرتا ہے اور یہ وہی راستہ ہے کہ جس کے شر سے حضرت امام سجاد خداوند متعال سے پناہ طلب کرتے ہیں :

اور میں اپنے نفس کے شر سے خداوندمتعال سے پناہ مانگتا ہوں کیونکہ نفس ہمیشہ برائیوںکا حکم دیتا ہےمگر یہ کہ میرا پروردگار مجھ پر رحم فرمائے۔

٣. خدا طلبی

اگر آدمی اپنے گردو پیش کی تاثیرات سے محفوظ رہے توبطور فطری

١ـ صحیفه سجادیه دعا ١ .

٢ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ١٠٣ .

خدائے واحد کی جانب میل و رغبت پیدا کر لے گااور بارگاہ معبود میں اپنے سر تسلیم کو خم کردے گا حضرت امام سجاد نے دعا کی شکل میں متعدد مقامات پر خدا طلبی اور انسان کی توحید گرائی کو خوبصورت انداز میں بیان فرمایا ہےکبھی بعنوان حمد و ثنائے پروردگار انسان کے دکه درد کے جذبہ کو خالق کائنات سے بیان کرتےہیں ہے تو کبھی مقام درخواست میں اس حقیقت کو خوبصورت الفاظ کے لبا س میں بیان فرما یا ہے بعنوان مثال آنحضرت صحیفہ سجادیہ کی پہلی دعا میں۔ اس حمدو ثنائے پروردگار کے بعدجو ایسا اول ہے جس کے پہلے کوئی اول نہ تھا اور ایسا آخر ہے کہ جس کے بعد کو ئی آخر نہ ہوگا۔فرماتے ہیں:

«ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم علی مشيته اختراعاثم سلك بهم طريق ارادته و بعثهم فی سبيل محبته».[1]

اس نے کائنات (منجملہ انسان)کو اپنی قدرت و مشیت کاملہ سے پیدا کیا اور اور اپنے منشائے ازلی سے جیسا چاہا انہیں ایجاد کیا پھر انہیں اپنے ارادہ کےراستہ پرچلایا اور اپنی محبت کی راہ پر ابھارا[2]یا بعبارت دیگر سارے انسانوں کو فطری اعتبار سے خدا جو و خدا دوست پیدا کیا۔

٤۔ خدا کی افضل و برتر مخلوق

جیسا کہ قرآن کریم میں بھی انسا ن کو خلیفہ خدا اور خداوندمتعال کی سب سے افضل و برتر مخلوق کے طور پر یاد کیا ہے اور خدا نے جس کو خلق کرنے کے بعد اپنے آپ کو تبریک کہا ہے حضرت اما م سجاد نے بھی خدائے متعال کی تعریف و شکر کے ضمن میں انسان کی تمام

۱۔ صحیفه سجادیه دعا ۱.

۲۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ۱۰۳ .

مخلوقات پر افضلیت کی طرف اشارہ فرمایا ہے:

«والحمد لله الذی اختارلنا محاسن الخلق و اجریٰ علینا طیبات الرزق و جعل لنا الفضیلة بالملکة علیٰ جمیع الخلق».[1]

تمام تعریف اس اللہ کے لئے ہے جس نے خلقت و آفرینش کی تمام خوبیاں ہمارے لئے منتخب کیں اور پاک وپاکیزہ رزق کا سلسلہ ہمارے لئے جاری کیا اور ہمیں غلبہ و تسلط دے کر تمام مخلوقات پر برتری عطا کی [2]۔

۵. مادہ سے بلند وبالا

حضرت امام سجا د نے مختلف دعاوں میں پروردگار عالم سے جو حاجتیں طلب کی ہیں وہ اس بات کی بطور واضح عکاسی کرتی ہیں کہ انسان مادہ سے بلند وبالا موجود کا نام ہے اور وہ اسی وقت اپنے مخصوص کما ل تک پہونچ سکتا ہے جب وہ جسمانی وروحانی دونوں‌اعتبا ر سے درجہ کمال پر فائز ہو انسان کی وہ معنوی حاجتیں کہ جو اس بات کو بیان کرتی ہیں کہ اس کا وجود مادہ سے بالا تر ہے ، اس کی معنوی حاجات و ضروریات کے لحاظ سے بہت ہی زیادہ اہمیت کا حامل ہےجیسا کہ حضرت امام سجاد صحیفہ سجادیہ میں ایک مقام پر پروردگار سے طلب کرتے ہیں :

«وَأَنْزِعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْياً دَنِيَّة تَنْهى عَمّا عِنْدَكَ، وَتَصُدُّ عَنِ ابْتِغاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْكَ، وَتُذْهِلُ عَنِ التَّقَرُّبِ مِنْكَ».[3]

(بار الٰہا) اس پست دنیا کی محبت کہ جو تیرے یہاں کی سعادت ابدی کی

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص ۱۰۵ .

۳۔ صحیفہ سجادیہ ص۴۷ .

طرف متوجہ ہونے سے مانع اور تیری طرف وسیلہ طلب کرنے سے سد راہ اور تیرا تقرب حاصل کرنے سے غافل کرنے والی ہے ، میرے دل سے نکال دے[١]۔

اور ایک دوسرے مقام پر فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَفَرِّغْ قَلْبي لَمحَبَّتكَ، وَاشْغَلْهُ، بِذكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفكَ، وَبِالْوَجَلِ منْكَ، وَقَوِّه بِالرَّغْبَة إِلَيْكَ».[٢]

اے اللہ! محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما اور زندگی بھر میرے دل کو اپنی محبت کے لئے فارغ کردے اور اپنی یاد میں اسے مشغول رکھ اور اپنے خوف وہراس کے ذریعہ (گناہوں کی)تلافی کا موقع دے اورا پنی طرف رجوع ہونے سے ا س کو قوت توانائی بخش[٣]۔

٦۔ انسان موجود دنیوی و اخروی

حضرت امام سجادقرآن کریم کی اتباع کرتے ہوئے انسان کو دونوں جہان کی مخلوق معرفی کرتے ہیں کہ اس کی زندگی فقط مادی دنیا اور دنیوی حیات میں محدود نہیں ہے بلکہ موت اس کے لئے ،دنیائے ابدی (قیامت) کے لئے ایک پل کے مانند ہے صحیفہ سجادیہ میں مختلف مقامات پر اس کی تصویر کشی کی گئی ہے اور متوجہ کیا گیا ہے کہ ایک نجات یافتہ انسان ، اس دنیا میں بہترین طریقہ سے زندگی گذارنے کی فکر کے علاوہ ،دوسری دنیا سے کہ جو حیات جاودانی ہے ، ہرگز غافل نہیں رہتا ہے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

١۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٣٦٤ .

٢۔ صحیفه سجادیه دعا ٢١ .

٣۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٢٢٢ .

«وَلا تُهْلِكْني يَوْمَ تُبْلَى السَّرائرُ». [١]

پروردگارا !جس دن پردے ہٹائے جائیں(قیامت) اور دلوں کے بھید جانچے جائیں ،مجھے ہلاک نہ کرنا[٢]۔

حضرت امام سجاد اس حاجت کو عرض کرنے کے بعد بلا فاصلہ اپنی دنیوی ضروریات کے برطرف ہو نے کی خداوند متعال سے دعا کرتے ہیں:

«واجْمَعْ لِيَ الْغِنى وَالْعَفافَ، وَالدَّعَةَ وَالْمُعافاةَ، وَالصِّحَّةَ وَالسَّعَةَ، وَالطُّمَأْنينَةَ وَالْعافيَةَ، وَلا تُحْبِطْ حَسَناتي بما يَشوبُها منْ مَعْصيَتكَ ». [٣]

اور میرے لئے مخلوقات سے تونگری و بے نیازی ، ناجائز کاموں سے پاکدامنی ، زندگی میں آسائش ، سلامتی ، تندرستی ، روزی میں فراخی، اطمینان اور عافیت کو جمع کردےاور میری نیکیوں کو گناہوں کی آمیزش کی وجہ سے تباہ نہ کر[٤]۔

٧۔انسان مختار اور صاحب ارادہ

جیسا کہ قرآن کریم نے انسان کو مختار بتایا ہے :

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾. [٥]

یقینا ہم نے انسان کو راہ حق و باطل کی ہدایت دیدی ہے اب چاہےوہ ہدایت قبول کر کے اس نعمتوں کا شکر گزار ہو جائے یا کفران نعمت

١۔ صحیفه سجادیه دعا ٤٧ .

٢۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٣٦٩.

٣۔ صحیفه سجادیه دعا ٤٧.

٤ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٣٦٩

٥۔ سوره انسان، آیت ٣.

کرنے والا ہو جائے۔

حضرت امام سجاد نے بھی انسان کو صاحب اختیار و ارادہ بتایا ہے کہ جو خود اپنے تمام اعمال کا ذمہ دار ہے :

« اللّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذي أَنْعَمْتَ عَلَيْه قَبْلَ خَلْقكَ لَهُ، وَبَعْدَ خَلْقكَ إيّاهُ، فَجَعَلْتَهُ ممَّنْ هَدَيْتَهُ لدينكَ، وَوَفَّقْتَهُ لحَقِّكَ، وَعَصَمْتَهُ بحَبْلكَ، وَأَدْخَلْتَهُ في حزْبكَ، وَأَرْشَدْتَهُ لمُوالاة أَوْليائكَ، وَمُعاداة أَعْدائكَ. ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجرْ، وَنَهَيْتَهُ عَنْ مَعْصيَتكَ فَخالَفَ أَمْرَكَ إلى نَهْيكَ»[1]

اے اللہ ! میں تیرا وہ بندہ ہوں جس پر تو نے اس کی خلقت سے پہلے اور خلقت کے بعدانعام و احسان فرمایا ہے اس طرح سے کہ اسے ان لوگوں میں سے قرار دیا جنہیں تو نے اپنے دین کی ہدایت کی ، اپنے ادائے حق کی توفیق بخشی، جن کی اپنی ریسما ں کے ذریعہ حفاظت کی ، جنہیں اپنی جماعت میں داخل کیا اور اپنے دوستوں کی دوستی او دشمنوں کی دشمنی کی ہدایت فرمائی ہے اس کے بعد تو نے اسے حکم دیا تو اس نے حکم نہ مانا اور منع کیا تو تو وہ باز نہ آیا اور اپنی معصیت سے روکا تو وہ تیرے حکم کے خلاف امر ممنوع کا مرتکب ہوا[2]۔

حضرت امام زین العابدین کی دعاوں کے درمیان کے فقرات انسان کو ایک حد تک مختار بتاتے ہیں کہ جو خداوند متعال کی ہدایت اور امر و نہی کے باوجود بھی مخالفت کرتا ہے اور معصیت کے راستہ کو اپنا لیتا ہے۔

٨۔اپنے اختیار میں

حضرت امام سجاد ٥٢ ویں دعا میں انسانوں کے اوپر گناہوں کے

١۔ صحیفه سجادیه دعا ٤٧.

٢ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٣٨٥.

نقصانا ت اور اس کے آثار کے ضمن میں اس بات کی تصریح فرماتے ہیں کہ انسان کی سرنوشت اور تقدیر کے ذمہ دار خود اس کے اعمال ہیں اور وہ خود اپنی سعادت یا شقاوت کا بنانے ولا ہے اسی طرح آنحضرت ایک دوسرے مقام پر ایک گنہگار اور پشیمان کی زبان حال میں فرماتے ہیں :

«اللّهُمَّ... أَنَا بِإِسْرافي عَلى نَفسي ذَليلٌ، عَمَلي أَهْلَكَني».[١]

خدایا!.... میں اپنے نفس پر ظلم وزیادتی کے باعث ذلیل وخوار ہوں ، میرے کردار نے مجھے ہلاک کردیا[٢]۔

٩۔ دوستی ،محبت وہمدردی

انسان کی ایک بہترین خصوصیت محبت ،رفاقت وہمدردی ہے کہ جس کا منشاء اس کی فطرت ہے اور جس کی طرف صحیفہ سجادیہ کے مختلف حصوں میں اشارہ کیا گیا ہےمثلا ٣٩ ویں دعا لوگوں کے ساتھ بہترین سلوک جو لوگوں سے ایک سچی محبت ورفاقت ہے بہ زبان دعا بیان ہوئی ہے اسی طرح طرح ماہ مبار ک رمضان کی آمد پرحضرت سید الساجدین امام زین العابدین خداوند متعال سے لوگوں کی زیادہ سے زیادہ خدمت کرنےکی توفیق کا مطالبہ کرتے ہیں کہ جس کی اصل و بنیاد لوگوں کے ساتھ دوستی، محبت و ہمدردی ہے:

«وَوَفِّقْنا فيه لأنْ نَصلَ أَرْحامَنا بالْبِرِّ وَالصِّلَة، وَأَنْ نَتَعاهَدَ جيرانَنا بالأفْضال وَالْعَطيَّة، وَأَنْ نُخَلِّصَ أَمْوالَنا منَ التَّبعات، وَأَنْ نُطَهِّرَها بِإِخْراجِ الزَّكَوات».[٣]

اور ہمیں اس مہینہ میں توفیق دے کہ نیکی واحسان کے ذریعہ عزیزوں

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٥٢ .

٢ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٣٩٨.

٣۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٤ .

کے ساتھ صلہ رحمی اور انعام و بخشش سے ہمسایوں کی خبر گیری کریں اور اپنے اموال کو مظلوموں سے پاک و صاف کریں اور زکوٰۃ دے کر انہیں پا کیزہ ، طیب بنا لیں[١]۔

حضرت امام زین العابدین اس دعاء مبارکہ میں لوگوں سےمحبت ، رفاقت ، دوستی و ہمدردی کے مراتب کے ساتھ ساتھ اس پر عمل کرنے کے مختلف طریقوں کی طرف بھی اشارہ کرتے ہیں

انسان کی منفی خصوصیا ت صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

حضرت سید الساجدین امام زین العابدین خداوند متعال سے اپنی دعا و مناجات کے ضمن میں انسان کے نقائص اور اس کی منفی خصوصیات کیطرف اشارہ کرتے ہیں اور یہ بتایا ہے کہ یہ انسانی زندگی کے ضعیف پہلو ہیں کہ جن میں سےبعض نقائص کی طرف اب ہم بطور اختصاراشارہ کرتےہیں:

١۔ خود اسیری

انسان کا ایک ضعیف پہلو و نکتہ اس پر حیوانی و نفسانی خواہشات کا غالب آنا اور اپنے جال میں اسیر ہونا ہے جیسا کہ قرآن کریم میں ارشاد ہوتا ہے :

﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.[٢]

ترجمہ:نفس بہر حال برائیوں کا حکم دینے والا ہےمگر یہ کہ میرا پروردگا ر رحم کرے۔

---

١ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٣٢٧.

٢۔ سوره یوسف، آیت ٥٣.

حضرت امام سجا د نے مختلف مقاما ت پر انسان کے اس ضعیف پہلو کی طرف ا شارہ فرمایا ہے کہ انسان کے اوپر خواہشات نفس غالب آجائے تو وہ اپنے میں اسیر ہو جاتا ہے بطور مثال آنحضرت ایک دعامیں خدا وند متعال سے برے نفس سے پناہ مانگتے ہیں اور اس پناہ کی دلیل "نفس کا ہمیشہ برائیوں کی طرف مائل ہونا" بتاتے ہیں۔

آنحضرت ایک دوسرے مقام پر خداوند متعال سے مخاطب ہو تے ہیں:

«اللّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذي أَنْعَمْتَ عَلَيْه قَبْلَ خَلْقكَ لَهُ، وَبَعْدَ خَلْقكَ إيّاهُ... ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجِرْ، وَنَهَيْتَهُ عَنْ مَعْصيَتكَ فَخالَفَ أَمْرَكَ إلى نَهْيكَ، لامُعانَدَةً لَكَ، وَلاَ اسْتكْباراً عَلَيْكَ، بَلْ دَعاهُ هَواهُ إلى ما زَيَّلْتَهُ وَإلى ما حَذَّرْتَهُ».[1]

اے اللہ! میں تیرا وہ بندہ ہوں جس پر تو نے اس کی خلقت سے پہلے اور خلقت کے بعد انعام و احسان فرمایا -----اس کے بعد تو نے اسے حکم دیا تو اس نے حکم نہ مانا اور منع کیاتو وہ باز نہ آیا اور اپنی معصیت سے روکا تو وہ تیرے حکم کےخلاف امر ممنوع کا مرتکب ہوا یہ تجه سے عناد اور تیرے مقابلہ میں تکبر کی رو سے نہ تها بلکہ خواہش نفس نے اسے ایسے کاموں کی دعوت دی جن سے تو نے روکا اور ڈرایا تها[2]۔

۲۔ حاسد اور تنگ نظر ہونا

انسان کا دوسراضعیف پہلو ،دوسرے افراد کی کامیابی و کامرانی کو برداشت نہ کر پاناہے مثلا چونکہ حضرت اما سجاد خدا وند متعال کی اس

---

۱ ـ صحیفه سجادیه دعا ٤٧.

۲ ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص۳٥۸.

بنا پر حمد وستائش کر رہے ہیں کہ ا س نے آپ کے پاس رکھی ہو ئی چیزوں کو حاسدو ں کے شر وآزار سے محفوظ رکھا ہے اور ایک دوسرے مقام آنحضرت خداوند متعال سے دوسروں سے ملاقات کے وقت اپنی کمزوری و ضعف کے آشکار نہ ہو نے کی دعا فرما رہے ہیں [1] اسی طرح ایک دوسرے مقام پر "حسد" کو شیطا ن کا عمل بتاتے ہیں اور خداو ند متعال کی یاد اور اس کی قدرت میں تفکر کو انسان کے اس ضعیف پہلو سے مقابلہ کا ذریعہ شمار کرتے ہیں:

«اللّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقي الشَّيْطانُ في رُوعي مِنَ الَّتمَنّي وَالتَّظَنّي وَالْحَسَد، ذِكْراً لِعَظَمَتكَ، وَتَفَكُّراً في قُدْرَتكَ، وَتَدْبيراً عَلى عَدُوِّكَ». [2]

خدایا! جو حرص ، بدگمانی اور حسد کے جذبات شیطان میرے دل میں پیدا کرے انہیں اپنی عظمت کی یاد ،اپنی قدرت میں تفکر اور دشمن ے مقابلہ میں تدبیر و چارہ سازی کے تصورات سے بدل دے [3]۔

۳۔ صابر و بردبا ر نہ ہونا

انسان کی منفی خصوصیات میں سے ایک گناہ، مصیبت ، فقر ،لذت اور اطاعت الٰہی کے مقابلہ میں صببر نہ کرنا اور اور وقتی حرام منافع کو دائمی حلا ل منافع کے اوپر ترجیح دینا ہےکہ جسے قرآن کریم نے ”عجل ہ“ سے تعبیر کیا ہے [4]۔

حضرت امام سجاد انسان کے اس ضعیف نکتہ کی طرف اشارہ کرتے

---

۱ ۔ صحیفه سجادیه دعا ۳۵

۲ ۔ صحیفه سجادیه دعا ۲۰

۳ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص۲۰۰

٤۔ سوره اسراء، آیت ۱۱.

ہو ئے فرماتے ہیں یہ صبر و برد باری انسان کو بہ آسانی حاصل ہو نے والی نہیں ہے:

«اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجانِ الْحِرْصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ».[١]

اے اللہ! میں تجھ سے پناہ مانگتاہو ں حرص کی طغیانی ، غضب کی شدت ، حسد کی چیرہ دستی اور بے صبری سے[٢]۔

«اللّهُمَّ لا طاقَةَ لي بِالْجَهْدِ، وَلا صَبْرَ لي عَلى الْبَلاءِ، وَلا قُوَّةَ لي عَلى الْفَقْرِ».[٣]

بار الہا! مجھ میں مشقت کے مقابلہ میں ہمت،مصیبت کے مقابلہ میں صبر اور فقر و احتیاج کے مقابلہ میں قوت نہیں ہے[٤]۔

دنیا کی مصیبت و ابتلا اور زمانہ کی شدت و سختی سے کم و بیش ہر شخص کو دوچار ہو نا پڑتا ہے ایسے وقت میں ضابط سے ضابط انسان بھی بے صبری کا مظاہرہ کربیٹھتا ہے اور مصیبتوں سے گھبرا کر کر کبھی مقدرکا گلہ کرتا ہے تو کبھی فلک کج رفتا کا ، کبھی زمانہ کا شکوہ کرتا ہے تو کبھی اہل زمانہ کا لہذا ایسے ہی مواقع کے لئے آنحضرت نے خداوندمتعال سے اس کمی کورفع کرنے کی مدد کا مطالبہ کیا ہے ۔

---

١ ۔ صحیفه سجادیه دعا٨.

٢ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص١٤٠.

٣ ۔ صحیفه سجادیه دعا ٢٢.

٤ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٢٢٥.

٤۔ خواہشات کے مقابلہ میں کمزوری

قرآن کریم نے اگرچہ انسان کو دنیا کی برترین مخلوق بتایا ہے لیکن بعض مقام پر اس کے ضعیف ہو نے کی طرف بھی اشارہ فرمایاہے جیسا کہ ارشاد ہو تاہے:

﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾.[1]

مراد یہ ہے کہ انسان اپنی خواہشات نفسانی کے مقابلہ میں نہایت ضعیف ہے۔

حضرت امام زین العابدین نے بھی متعدد مقامات پر اس ضعف کی طرف اشارہ فرمایا ہے اور اس کو دور کرنے کے سلسلہ میں خداوند متعال سے مدد طلب کی ہے جیسا کہ آ پ فرماتے ہیں:

«وَإذا هَمَمْنا بهَمَّيْن يُرْضيكَ أَحَدُهُما عَنّا وَيسْخطُكَ الآخَرُ عَلَيْنا، فَملْ بنا إلى ما يُرْضيكَ عَنّا، وَأَوْهنْ قُوَّتَنا عَمّا يُسْخطُكَ عَلَيْنا، وَلا تُخَلِّ في ذلكَ بَيْنَ نُفُوسنا وَاخْتيارها، فَإنَّها مُخْتارَةٌ للْباطل، إلاّ ما وَفَّقْتَ، أَمّارَةٌ بالسُّوء، إلاّ ما رَحمْتَ».[2]

اور جب ہم ایسے دو کاموں کا ارادہ کریں کہ ان میں سے ایک تیری خوشنودی کا اور دوسرا تیری ناراضی کا باعث ہو تو ہمیں اس کام کی طرف مائل کرنا جو تجھے خوش کرنے والا ہو اور اس کام سے ہمیں بے دست وپا کردینا جو تجھے ناراض کرنے والا ہو اور اس مرحلہ پر ہمیں اختیار دے کر آزاد نہ چھوڑدے کیونکہ نفس تو باطل ہی کو اختیار کرنے والا ہےمگر جہاں تیری توفیق شامل حال ہوئی ہو اور برائی کا حکم دینے ولا ہےمگر جہاں تیرا رحم کار فرما ہو[3]۔

۱۔ سورہ نساء، آیت ٢٨.

٢ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٩.

٣ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص ١٤٩.

«اللّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنا، وَعَلى الْوَهْنِ بَنَيْتَنا».[١]

بار الٰہا! تو نے ہمیں کمزور اور سست بنیاد پیدا کیا ہے[٢]۔

«إلهي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً داخِراً لَك، لا أَمْلكُ لِنَفْسي نَفْعاً وَلا ضَـرّاً إلاّ بِكَ، أَشْهَدُ بِذلِكَ عَلى نَفْسي، وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتي، وَقِلَّة حيلَتي».[٣]

اے اللہ! میں صبح وشام گذارتا ہوں جبکہ میں تیرا ہر حال میں ذلیل بندہ ہوں تیری مدد کے بغیر میں اپنے سود و زیاں کا مالک نہیں میں اس عجز و بے بضاعتی کی اپنے بارے میں گواہی دیتا ہوں اور پنی کمزوری و بے چارگی کا اعتراف کرتا ہوں[٤]۔

۵.آرزوں کے جال میں اسیر ہو نا

اگر آرزو ،ہمت ، قدرت و توانائی اور انسانی امکانات کےا ندر رابطہ پایا جائے تو انسا ن کے اندر تغیر و تبدل واقع ہو سکتا ہےلیکن مشکل یہ ہے کہ اکثرو بیشتر انسانی آرزو دنیوی ہیں کہ جس تک اس کی رسائی ناممکن ہے اور اس کی قدرت و توان سےباہر ہےجس کی بنا پر انسان پنی زندگی میں نا مید ہو جاتا ہے اور بہترین فرصت کو کھو بیٹھتا ہے جس کی طرف حضرت امام سجاد نے بھی متعدد انسان کے اس ضعیف نکتہ کی طرف اشارہ فرمایا ہے:

---

١ ـ صحیفه سجادیه دعا ٩.

٢ ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ١٤٩.

٣ ـ صحیفه سجادیه دعا ٢١.

٤ ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٢٢١.

«سُؤالَ مَنْ نَفْسُهُ لاهِيَةٌ لِطُولِ أَمَلِه، ... سُؤالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الأَمَلُ، وَفَتَنَهُ الْهَوى»[١].

اے میرے مالک! میں تجھ سے ایسے شخص کی طرح سوال کرتا ہوں جس کا نفس طولانی امیدوں کے باعث بے کا ر کاموں میں مشغول ہو گیاہے ، میرا سوال اس شخص کی مانند ہے جس پر آرزؤں نے غلبہ پالیا ہو اور جسے خواہشات نفس نے ورغلایا ہو[٢]۔

٦. تکبر و خود پسندی

تکبر بھی انسان کے ایک بہت بڑی کمزوری ہے کہ جس کی طرف حضرت امام سجاد نے بہت سے مقامات پر اشارہ فرمایا ہے اور اس کے آثار و نتائج کو دعا کی زبان میں بیان فرمایا ہےمثلا آنحضرت نے بیسویں دعا میں غرورو تکبر کو عبادت کے لئے مفسد بتایا ہے اور خداوند متعال سے مدد طلب کی ہے:

«وَأَعِزَّني، وَلا تَبْتَلِيَنّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْني لَكَ، وَلا تُفْسِدْ عِبادَتي بِالْعُجْبِ».[٣]

مجھے عزت و توقیر دے کبر و غرور سے دوچار نہ ہو نے دے اور میرے نفس کو بندگی وعبادت کے لئے رام کر اور خودپسندی سے میری عبادت کو فاسد نہ ہو نے دے[٤]۔

اس کے بعد اسی دعا میں بارگاہ الٰہی میں عرض کرتے ہیں:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَلا تَرْفَعْني فِي النّاسِ دَرَجَةً إِلاّ حَطَطْتَني عِنْدَ

---

١ ۔ صحیفه سجادیه دعا ٥٢.

٢ ۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص٣٩٩.

٣۔ صحیفه سجادیه دعا ٢٠.

٤۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ١٩٧.

نَفْسي مِثْلَها، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً إِلاّ أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها».[١]

بار الٰہا! محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما اور لوگوں میں میرا درجہ جتنا بلند کرے اتنا ہی مجھے خود اپنی نظروں میں پست کردے اور جتنی ظاہری عزت مجھے دے اتنا ہی میر ےنفس میں باطنی بے وقعتی کا احساس پیدا کردے[٢]۔

٧. جہالت و نادانی

بدون شک وتردید زیادہ تر خطا و گناہوں کا سبب جہالت و نادانی ہے اگر انسان خطرات و برائیوں کو پہچانتا اور نیک و برے اعمال کے آثا ر سے واقف ہو تا تو کبھی برائیوں کا مرتکب نہ ہوتا اور نیکیوں کو ترک نہ کرتا حضرت امام سجاد نے دعائے توبہ میں فرمایا ہے کہ انسان کی ضلالت و گمراہی کا سرچشمہ اس کی جہالت و نادانی ہے:

«اللّهُمَّ إِنّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلي».[٣]

اے اللہ! میں اپنی جہالوں سے تیری بارگاہ میں عذر خواہ ہوں [٤]۔

میں وہی ہو ں کہ جس کے گناہ نے اس کی عمر کو وتباہ کردیا ہے اور میں وہی ہوں کہ جس کی نادانی اس کےگناہ و عصیان کا باعث بنی ہے۔

١ـ صحیفه سجادیه دعا ٢٠.

٢ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص١٩٧.

٣ـ صحیفه سجادیه دعا ٣١.

٤ـ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٢٦٥.

٨.غفلت کے جال میں

مندرجہ ذیل آیہ شریفہ غفلت اور غافلین کے مقام کو بہترین انداز سے بیان فرمارہی ہے:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَيَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَيُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَيَسْمَعُونَ بِهَا أُولئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]

اور یقینا ہم نے انسان وجنات کی ایک کثیر تعداد کو گویا جھنم کے لئے پیدا کیا ہے کہ ان کے پاس دل ہیں مگر سمجھتے نہیں ہیں اور آنکھیں ہیں مگر دیکھتے نہیں ہیں اور کا ن ہیں مگر سنتے نہیں ہیں یہ چوپایوں جیسے ہیں بلکہ ان سے بھی زیادہ گمراہ ہیں اور یہی لو گ اصل میں غافل ہیں۔

حضرت امام سجاد نے متعدد مقامات پر اس خصوصیت کو بیان فرمایا ہے اور اسی کو انسان کی گمراہی و گناہ کا سبب بھی بتا یا ہے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

اگرتم مجھ پر عذاب نازل کروگے تو اس لئے ہے کہ میں نے اپنے نفس پر ظلم کیا اور راہ خطا کو اختیار کیا اور اپنے حق میں کوتاہی کی اور اپنے حصہ سے غافل رہا اور اگر میرے گناہوں کو بخش دو تو تم سب سے زیادہ مہربان ہو[2]۔

ایک دوسری دعا میں فرما یا ہے کہ "غفلت" انسان کو اس کے ہدف خلقت (عبادت الٰہی اور اپنی ذمہ داریوں پر عمل پیرا ہونا) سے دور کر دیتی ہے:

١۔ سورہ اعراف، آیت ١٧٩.

٢۔ صحیفه سجادیه دعا ١ ص٥٥٣.

«يا غَفْلَتي عَمّا يُرادُ بي».[۱]

ہائے میری غفلت و بے خبری اس سے جو اب میرے لئے چاہا جارہا ہے[۲]۔

۹۔ نا شکری

انسان کی منفی خصوصیات میں سے ایک دوسری خاصیت نا شکری اور کفران نعمت ہےکہ جسے قرآن کریم نے ۱۵سے زیادہ مواردمیں بطور نمونہ ذکر کیا ہے مثلا:

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾.[۳] بیشک انسان بڑا انکار کرنے والا اور ناشکرا ہے۔

حضرت امام سجا د نے بھی انسان کی اس منفی خصوصیت کی طرف متعد د مقامات پر اشارہ کیا ہے اور بتا یا ہے کہ انسان ہر حال میں خواہ نیکی کے مقابلہ میں ،خواہ نعمت الٰہی کی بہ نسبت بہت ناشکرا اور قدر ناشناس ہے:

«وَالْحَمْدُ للّه الَّذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عباده مَعْرِفَةَ حَمْده عَلى ما أَبْلاهُمْ منْ مِنَنه الْمُتَتابِعَة، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ منْ نِعَمه الْمُتَظاهِرَة، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنه فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا في رِزْقه فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُود الإِنسانِيَّة إِلى حَدِّ الْبَهيمِيَّة».[٤]

تمام تعریف اس اللہ کے لئے ہے کہ اگر وہ اپنے بندوں کو حمدو شکر کی معرفت سے محروم رکھتا ان پیہم عطیوں پر جو اس نے دیئے ہیں اور

۱۔ صحیفه سجادیه دعا ٥٣.

۲۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ٤٠٢.

۳۔ سوره حج، آیت ٦٦.

٤۔ صحیفه سجادیه دعا ۱.

ان پے در پے نعمتوں پر جو اس نے فراوانی سے بخشی ہیں تو وہ اس کی نعمتوں میں تصرف تو کرتے مگر اس کی حمد نہ کرتے اور اس کے رزق میں فارغ البالی سے بسر تو کرتے مگر اس کا شکر بجا نہ لاتے ۔

حضرت امام سجاد اسی دعا میں ایک عجیب و غریب تعبیر کے ذریعہ اس منفی خصوصیت کے عیب کو بیان کرتے ہیں اور فرماتے ہیں:

اگر انسان ایسے ہو تے تو انسانیت کی حدوں سے نکل کر چوپایوں کی کی حد میں آجاتے [1]۔

نتیجہ

حضرت امام زین العابدین نے دیگر ائمہ معصومین کی طرح ہدایت اور تبیین دین کے سنگین وظیفہ کو فرض سمجھتے ہوئے بخوبی انجام دیالیکن امام سجاد کی یہ روش دیگر ائمہ معصومین کی روش سے سیا سی و اجتماعی وضعیت کے اعتبار سے مختلف تھی کیونکہ آنحضرت نے دین کی تعلیم اور دینی تربیت کے لئے جس بہترین روش کا انتخاب کیا وہ خداوند متعال سے راز و نیاز کے ضمن میں تھی جیسا کہ آپ نے ملاحظہ فرما یا کہ آنحضرت نے اپنی دعاؤں میں انسا ن کی کمی و زیادتی ، نقائص و فضائل،منفی خصوصیات ، اخلاقی خصوصیت اور خداوند کے مقابلہ میں اس کے قوی و ضعیف پہلو کو بخوبی بیان کیا ہے نیز یہ توجہ دلا ئی ہے کہ اس بارگا ہ میں انسان کامل ہی ہے کہ جو اپنی اصلاح اور خود کو کامل کرتا ہے اور ایک موجود الٰہی کے عنوان سے مادی ومعنوی ضروریات کو پوراکرتے ہو ئے اپنی دنیا وآخرت کو بھی آباد کرتا ہے جس کے نتیجہ میں انسان کے اندر عبودیت، تو اضع لوگوں کی خدمت ، ظلم

١۔ صحیفه سجادیه ترجمه علامه مفتی جعفر حسین ص ١٠٤.

سے مقابلہ،مظلوم کی حمایت، امر بالمعروف، نہی عن المنکر ،شکر الٰہی ، حق پرستی و---- جیسی خصوصیات پیدا ہو جاتی ہیں۔

حوالہ جات

١۔ قرآن کریم

٢۔صحیفہ سجادیہ: ترجمہ و شرح علا مہ مفتی جعفر حسین، امامیہ پبلیکشنز پاکستان.

٣۔الحیاۃ: محمد رضا حکیمی،دفتر نشر فرہنگ اسلامی ، تہران ١٤٠٦ ھ ق

٤۔ اخلا ق اسلامی: دیلمی آذر بائجانی، نشر معارف ،قم ١٣٨٠ھ ش

٥۔ سرشت انسان: علی شیروانی ،انتشارات معارف،قم ١٣٧٦ ھ ش

٦۔این است آیین ما: کاشف الغطاء ترجمہ: مکارم شیرازی ، مطبوعاتی ہدف، قم ١٣٧٤ ھ ش.

٧۔ سیری در سیرہ ائمہ اطہار: مرتضیٰ مطہری، انتشارات صدرا ، تہران ١٣٧٦ھ ش.



توحید صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

❐ نقیب حیدر

خلاصہ:

سید الساجدین حضرت امام زین العابدین کے اکثر و بیشتر ارشادات و فرمودات خلفاء اموی کے ادوار ظلمت میں جو دعا ، مناجات اور راز ونیاز کے ضمن آپ کی زبان مبار ک سے صادرہو ئے ہیں ان میں سے زیادہ تر زبور آل محمد "صحیفہ سجادیہ"میں مشاہدہ کئے جاسکتے ہیں بعنوان "اخت القرآن"صحیفہ سجادیہ کی دو امتیازی خصوصیات ہیں:

پہلی خصوصیت یہ ہے کہ اس کازبان عرب میں فصاحت و بلاغت کے اعتبار سے ایک بلند مقام و مرتبہ ہے دوسری خصوصیت یہ ہے کہ اس میں مختلف و متنوع موضوعات جیسے عرفانی،سیاسی ، اخلاقی ، اعتقادی، سماجی و۔۔۔ پائے جاتے ہیں لیکن ان تما م مباحث میں بحث "تو حید "بہت ہی مستحکم وعمیق ہےجس کی جان و مظہر تو حید حضرت امام سجاد نے اپنی دعا و مناجات میں مکمل تصویر کشی کی ہے، اسی وجہ سے "توحید و خدا شناسی "سے متعلق صحیفہ سجادیہ کے مباحث کو شاید اس کتاب کے موضوعات میں سب سے زیادہ حیرت انگیز مقام حاصل ہے یہ مباحث بغیر کسی مبالغہ ے وجود میں آنے کے زمانے سے لے کر آج تک ذہن و عقل انسانی کی بلند یو ں کو چھو رہے ہیں اسی بنا پر اس مقالہ میں حتی المقدور اس بات کی کو شش کی گئی ہے کہ افکار توحیدی

حضرت امام سجاد کوصحیفہ سجادیہ کی دعا ؤں سے منتخب کرکے قرآنی دلائل و شواہد کے ساتہ لوگوں کے سامنے پیش کیا جائے۔

الفاظ کلیدی:توحید، توحیدذات، تو حید صفات، توحید افعال، توحید اطاعت ، توحید عبادت، صفات ثبوتیہ ،صفات سلبیہ۔

مقدمہ

سید السا جدین حضرت امام زین العابدین کی دعاؤں کا مجموعہ ،صحیفہ سجادیہ کہ جس کو" اخت القرآن "انجیل اہلبیت" اور "زبور آل محمد" کالقب دیاگیا ہے قرآن مجید اور نہج البلاغہ کے بعد علوم اور معارف الٰہی کا ایک عظیم اور گراں بہا خزانہ و سرمایہ ہے کہ جس میں اسلامی تعلیمات ، حکمت ، اخلاق اور معارف ایمان کے علاوہ ذات خداوند متعال کی معرفت اور عظمت کے جلوے نمایاں ہیں کسی کے بس کی بات نہیں کہ وہ حضرت امام زین العابدین کی بلندی فکر اور تابناک سوچ تک پرواز کر سکے بالخصوص مجہ جیسے کم فہم اور مایہ علم سے تہی دامن میں یہ ہمت کہاں کہ وہ ان مقاصد عالیہ کو سمجہ سکیں کہ جنہیں حضرت امام زین العابدین نے اپنی معجز نما دعاؤں اور مناجاتوں‌میں بیان فرمایا ہے لیکن

آب دریا را اگر نتوان کشید
ہم بہ قدر تشنگی باید چشید

کے مد نظر مناسب ہیکہ ہم بھی اپنی فہم اور صلاحیت کے مطابق اس بے کراں سمندر میں غوطہ زن ہوں‌اور حضرت امام زین العابدین کی تعلیم کردہ دعاؤں سے کچہ قطرات وصول کرکے تشنگان علم ومعرفت کے سامنے قرار دیں تاکہ وہ ان سے اپنی علمی تشنگی بجھائیں اور جہالت کے

گھٹا ٹوپ اندھیروں اور ظلمتوں سے نکل کر اپنی زندگی کو اس نور سے منور کریں

صحیفہ سجادیہ میں مجموعی طور پر۵٤ دعائیں ہیں کہ جس میں صدیوں پہلے سید الساجدین حضرت امام زین العابدین نے خوبصورت مضامین اور مفاہیم کو بیان کیا ہے کہ جن میں ہردعا میں مختلف موضوعات کے ذیل میں بحث کی گئی ہے اعتقادی مباحث جیسے: توحید ، عدل ،نبوت، امامت، معاد ،اخلاقی مباحث :جیسے زہد، تقوا، صبر ، شکرو----اسی طرح سیاسی اور اجتماعی مسائل بھی بیان کئے گئے ہیں ان دعاؤں کے مفاہیم صدیاں گزرنے کے بعد بھی ویسے ہی ہمارے درمیان آج بھی ترو تازہ ہیں لیکن ان تمام بحثوں کے درمیان وہ بحثیں کہ جوتوحید، خدا شناسی اور الٰہیات کے بارے میں مختلف مقامات پر بیان کی گئی ہیں بہت ہی مستحکم اور عمیق ہیں البتہ بندہ حقیر نے اس مقالہ میں اس بات کی کوشش کی ہیکہ" توحید" کو صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں بطور اختصار پیش کیا جائے اگرچہ یہ موضوع بہت ہی طولانی اور تفصیلی ہے لیکن مقالہ کے حجم کو مد نظر رکھتے ہوئے صرف چند صفحات میں پیش کرنے کی کوشش کی گئی ہے.

عظمت توحید

اسلام کے بنیادی عقائد میں سب سے پہلا عقیدہ ،توحید پروردگار کا ہے اور در حقیقت تمام عقائد اسلامیہ کی بازگشت بھی اسی عقیدہ کی طرف ہے، عدل الٰہی، توحید ہی کا ایک شعبہ ہے ، نبوت وامامت ،توحیدہی کے آثار ہیں اور قیامت ،خدائے واحد ہی کی عدالت حقیقیہ کی مظہر ہے

اسلام نے اپنے بنیادی عقائد(اصول دین)کا آغاز وجود خدا کے بجائے توحید پروردگار سے کیا ہے حالانکہ توحید بھی وجود خدا کی ایک فرع ہے کہ وجود اصل ہے اور توحید اس کی صفت اور صفت کا وجود اصل کے بغیر ممکن نہیں ہے ----لیکن اس کے باوجود خدا کے مسئلہ کو اپنے بنیادی عقائد میں شامل نہیں کیا ہے اور اس کا راز غالبایہ ہیکہ وجود خدا کا ادراک انسانی فطرت میں شامل ہے اور اس کیلئے کسی مذہب کی تعلیمات کی ضرورت نہیں ہے، پیدا کرنے والے نے انسان کی فطرت میں یہ ادراک اور شعور رکھ دیا ہیکہ کسی شے کا وجود ، پیدا کرنے والے کے بغیر ممکن نہیں ہے

بچہ انتہائی بے شعوری کے باوجود کسی آواز کوسن کر متکلم کی طرف متوجہ ہو جاتا ہے ، راستہ پر چلنے والا انسان پیچھے سے ٹھوکر کھانے کے بعد فوراً ٹھوکر مارنے والے کی جستجو میں لگ جاتاہے، حوادث دنیا کی خبر سننے والے افراد حوادث کے ذمہ داروں کی تلاش میں مصروف ہوجاتے ہیں اور کوئی یہ تصور بھی نہیں کر پاتا کہ یہ کام بغیر کسی انجام دینے والے کے ہو گیا ہوگا اور اس آواز کا کوئی متکلم یا اس ٹھوکر کا کوئی ظالم یا اس حادثہ کا کوئی ذمہ دار نہ ہوگا۔

اسی لئے سید الساجدین حضرت امام زین العابدین معرفت خدا کا ذریعہ خو د خداوند متعال کو بناتے ہوئے ایک مقام پر فرماتے ہیں :

«بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَلْتَني عَلَيْكَ وَدَعوْتَني إِلَيْكَ وَلَوْلا أَنْتَ لَما أَدْرَ مَا أَنتَ». [1]

۱۔ دعائے ابو حمزہ ثمالی۔

اے خدا !میں نے تیری شناخت تجھ ہی سے حاصل کی ، تو نے ہی مجھے اپنی ذات کی طرف رہنمائی کی اور اگر تو مجھے اپنی ذات کی رہنمائی نہ کرتاتو میں تجھے نہ پہچانتاکہ تو کون ہے۔

یہ ایک انتہائی اہم اور اساسی مسئلہ ہے چونکہ تمام انبیاء کی بنیاد اسی توحید پر استوار ہے اور انبیاء نے تمام لوگوں کو اسی توحید پر ایمان اور اس کا اقرار کرنے کی طرف دعوت دی ہے انبیاء نے جہاں پر کاروان انسانیت کو فکری طور پر توحید پر ایمان رکھنے کی دعوت دی ہے وہاں پر عملی طور پر بھی لوگوں کو فقط خدائے واحد کی عبادت کرنے کا حکم دیا ہے یعنی جس طرح اپنی فکر کو الہٰی اور توحیدی بنانا اہمیت رکھتا ہے اس سے کہیں زیادہ اپنے اعمال اور افعال کو توحیدی بنانا اہمیت رکھتا ہے۔

مفہوم توحید

عقائد کے مہم ترین مسائل میں سے مسئلہ توحیداور وحدانیت خداوند متعال ہے توحید یعنی واحد ہونا اور أحد ہونا اسی طرح توحید کے معانی میں سے ایک معنی "نفی شریک "بھی ہے یعنی خدا وند متعال کا کوئی شریک نہیں ہے اس کے علاوہ بھی توحید کے معانی بیان کئے گئے ہیں مثلاً نفی تعدد ، نفی ترکیب یعنی خداوند متعال نہ متعدد ہے نہ مرکب بلکہ وہ لا شریک و یکتا ہے ۔

ہم اس مقالہ میں سب سے پہلے اقسام توحید کو بیان کریں گے اقسام توحید کو بیان کرنے کے بعد آخر میں اوصاف الٰہی کو سیدالساجدین حضرت امام زین العابدین کی تعلیم کردہ دعاؤ ں کی روشنی میں بطوراختصاربیان کرنے کی کوشش کریں گے۔

اقسام توحید

اس روئے زمین پر بہت سے افراد آپ کو ایسے بھی ملیں گے کہ جو خداوند متعا ل کی ذات اقدس کو تو تسلیم کرتے ہیں ،اس کے وجود کو تو مانتے ہیں لیکن اس کیلئے شریک کے قائل ہوتے ہیں جیسے بعض لوگ بتوں کو بھی خدامانتے ہیں اور خدا کو بھی خدا تسلیم کرتے ہیں ، بعض افراد آتش کے سامنے بھی سجدہ ریز ہوتے ہیں اور خدا کے وجود کو بھی مانتے ہیں اور ایسے افراد بھی ہیں کہ جو خدا کے کاموں میں فرشتوں کو شریک قرار دیتے ہیں لہٰذا ایسے افراد کےلئے خدا وند متعال کے وجود کے اثبات کی ضرورت نہیں ہوتی بلکہ اس عقیدہ کو درست کرنے اور اثبات توحید یعنی خداوند متعال کی وحدانیت ویگانگت کو ثابت کرنا ہوتا ہے

اسلام نے توحید کو بنیادی عقیدہ قرار دینے کے بعد اس کے اقسام کو بھی واضح کر دیا ہے کہ وہ خداوند متعال کے بارے میں کس طرح کی توحید کا قائل ہے اور وہ جہالت و جا ہلیت کے مقابلہ میں کس خدائے واحد کا عقیدہ رکھتا ہے ،اقسام توحید مندرجہ ذیل ہیں:

١) توحید ذات

٢) توحید صفات

٣) توحید افعال

٤) توحید اطاعت

٥) توحید عبادت

۱. توحید ذات

توحید کی سب سے پہلی قسم توحید ذات ہے یعنی خدا وند متعال اپنی ذات کے اعتبار سے بالکل یکتا اور اکیلا ہے اس کی وحدت نہ عدد والی ہے کہ اس میں ایک کے بعد دو کا تصور ممکن ہو جا ئے اورنہ نوعیت والی ہے کہ چیز ایک کہے جانے کے با وجود مختلف افراد کی مالک ہوجائے وہ اپنی ذات کی ابتداء کے اعتبار سے بھی واحد ہے اور انتہا کے اعتبار سے بھی ----ابتدا وانتہا کا مفہوم یہ ہے کہ وہ جب سے ہے اکیلا ہے مختلف اجزاء سے مل کر نہیں بنا ہے کہ اس کا وجود بعد میں ہو اور اجزا ء کا وجود پہلے ہو اور پھر جب تک رہے گا ہمیشہ اکیلا ہی رہے گا کہ کسی وقت بھی اس کے اجزاء نہ ہو سکیں گے کہ اس کی تقسیم کا کوئی امکان پیدا ہو جائے ۔

اس توحیدکااعتقاد سب سے پہلا مرحلہ ہے جملہ" لا الہ الا اللّٰہ "خدا وند متعال کی توحید ذاتی ہی کی عکاسی کررہاہے ، حضرت امام سجاد خدا وند متعال کی توحید ذات کو اس طرح بیا ن فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ إنّي أُشْهِدُكَ وَكَفى بِكَ شَهيداً، وَأُشْهِدُ سَماءَكَ وَأَرْضَكَ، وَمَنْ أَسْكَنْتَهُما مِنْ مَلائِكَتِكَ، وَسائِرِ خَلْقِكَ، في يَوْمي هذا، وَساعَتي هذه، وَلَيْلَتي هذه، وَمُسْتَقَرِّي هذا، أَنّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ، قائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ، مالِكُ الْمُلْكِ، رَحيمٌ بِالْخَلْقِ».[۱]

اے خدا!میں تجھے گواہ کرتا ہوں اور تو گواہی کیلئے کافی ہے اور تیر ے آسمان اور تیری زمین کو اور ان میں جن جن فرشتوں اور جس جس

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا٦.

مخلوق کو تو نے بسایا ہے ، آج کے دن اور اس گھڑی اور اس رات میں اور اس مقام پر گواہ کرتا ہوں کہ میں اس بات کا معترف ہوں کہ صرف تو ہی وہ معبود ہے جس کیلئے کوئی معبود نہیں ہے ،انصاف کا قائم کرنے والا،حکم میں عدل ملحوظ رکھنے والا، بندوں پر مہربان، اقتدا رکا مالک اور کائنات پر رحم کرنے والا[1].

حضرت امام سجاداس دعا میں خداوند متعال کی وحدانیت کی گواہی دیتے ہوئے خدا کو عدل وانصاف کا قائم کرنے والا بتارہے ہیں ،قرآن مجید نے بھی خدا وند متعال کی وحدانیت و یگانگت کو صفت" قائمابالقسط " کے ساتھ بیان کیا ہے :

﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

اللہ خود گواہ ہے کہ اس کے علاوہ کوئی خدا نہیں ہے ملائکہ اور صاحبان علم گواہ ہیں کہ وہ عدل کے ساتھ قائم ہے اس کے علاوہ کو ئی خدا نہیں ہے اور وہ صاحب عزت و حکمت ہے.

۲۔ توحید صفات

توحیدکی دوسری قسم توحید صفات ہے یعنی خدا وند متعال اپنی صفات کے اعتبار سے بھی یکتا ہے اور اس میں وہ دوئی نہیں پائی جاتی جو کائنات کی ہر شے میں پائی جاتی ہے کہ دنیا کا بڑے سے بڑا عالم بھی اپنے وجود میں ایک دوئی رکھتا ہے کہ اس کی ذات الگ ہے اور اس کی

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱۳۳ .

۲۔ سورہ آل عمران آیت ۱۸ .

صفت الگ ہے یا کسی وقت اس کی ذات، صفت سے الگ رہ چکی ہے اور بعد میں یہ کمال پیدا ہوا ہے یا کسی مرحلہ تصور میں اس کی ذات کاتصور اس کے کمال سے الگ ہو سکتا ہے.....لیکن خداوند متعال کی صفت کا یہ حال نہیں ہے وہ اپنی صفت کے ساتہ اس طرح متحد ہے کہ ذات ا ور صفت دو چیزیں نہیں ہیں اور نہ کسی طرح کی دوئی کا تصور کیا جاسکتا ہے ، اس کی ذات عین صفت ہے اور اس کی صفت عین ذات ، وہ عالم نہیں ہے بلکہ حقیقت علم ہے وہ قادر نہیں ہے بلکہ عین قدرت ہے ،وہ زندہ نہیں ہے بلکہ اصل حیات ہے اور یہ مفاہیم بھی ا س قدر آسان نہیں ہیں کہ ہر شخص ان کا ادراک کرسکے اس کے بارے میں اتنا سمجہ لینا کافی ہے کہ صفت، صفت رہے تو مخلوقات سے وابستہ ہوجاتی ہے اور صفت، حقیقت کا انداز اختیار کرلے توذات خالق کی تعبیر بن جاتی ہے ،اس کے یہاں عالم ، قادر ، حی جیسے الفاظ صرف سمجھنے اور سمجھا نے کیلئے استعمال ہوتے ہیں ورنہ وہ عین علم ، عین قدرت اور عین حیات ہے ا ور ان صفات کا مفہوم بھی وہ نہیں ہے جو عام صفا ت کا ہوتا ہے ورنہ صفت کے عین ذات بن جانے کا کوئی امکان نہیں ہے حضرت امام سجاد اپنی دعاؤں میں خداوند متعال کی زوال ناپذیری کی اس طرح توصیف کرتے ہیں :

«اَلْحَمْدُ للّه الاَوّل بلا أَوّل كانَ قَبْلَهُ، وَالأخر بلا آخر يَكُونُ بَعْدَهُ» [1] ۔

سب تعریف اس الله کیلئے ہے جو ایسا اوّل ہے جسکے پہلے کوئی اوّل نہ تھا اور ایسا آخرہے جس کے بعد کوئی آخر نہ ہوگا[2]۔

---

١ .صحیفہ سجادیہ دعا ١

١ . صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٠٣

حضرت امام سجاد اس جملہ میں خداوند متعال کی وحدت ویکتائی کو بیان کرتے ہوئے فرمارہے ہیں کہ وہ اوّل بھی ہے اور آخر بھی لیکن ایسا اوّل وآخر کہ نہ اس سے پہلے کوئی تھااور نہ اس کے بعد کوئی ہوگا ،اسے اوّل وآخر کہنے کے ساتھ دوسروں سے اوّلیت وآخریت کے سلب کرنے کے معنی یہ ہیں کہ ا س کی اوّلیت وآخریت اضافی نہیں بلکہ حقیقی ہے یعنی وہ ازلی وابدی ہے جس کا نہ کوئی نقطہ آغاز ہے اور نہ نقطہ اختتام ، نہ اس کی ابتدا کا تصور ہو سکتا ہے اور نہ اس کی انتہا ء کا،نہ یہ کہا جاسکتا ہے کہ وہ کب سے ہے اور نہ یہ کہا جاسکتاہے کہ وہ کب تک ہے اور جو "کب سے " اور "کب تک"کے حدود سے بالا تر ہو اس کےلئے ایک لمحہ بھی ایسا فرض نہیں کیا جاسکتا جس میں وہ عدم سے ہمکنار رہا ہو اور جس کے لئے عدم و نیستی کو تجویز نہ کیا جاسکے وہ ہے–––"واجب الوجود "جو مبدأ اوّل ہونے کے لحاظ سے اوّل اور غایت آخر ہونے لے لحاظ سے آخر ہوگا .

حضرت امام سجاد کی یہ عبارت بھی اس آیت قرآنی کی طرف اشارہ ہے:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١].

وہی اوّل ہے وہی آخر ،وہی ظاہرہے وہی باطن اور وہی ہر شے کا جاننے والاہے.

حضرت امام زین العابدین نے اپنی دعا ؤںمیں خداوند عالم کے اوّل و آخر ہونے کے معنی کو بھی بیان کیا ہے تاکہ آیت کا اجمال برطرف ہوجائے یہ آیت قرآن در حقیقت ان لوگوں کے لئے مستحکم جواب ہے جو

١.سورہ حدید آیت٣

یہ کہتے ہیں کہ خدا سے پہلے کون تھا ؟ خدا وند متعال نے اس آیت کو نازل کرکے اپنی ابدیت کابھی اعلان کردیا ہے:

«وَأَنْتَ اللّهُ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ الاَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَد، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَد».[١]

اور توہی وہ معبود ہے کہ تیرے سوا کوئی معبود نہیں جو ہر شے سے پہلے اور ہر شمار میں آنے والی شےکے بعد ہے[٢].

حضرت امام سجاد نے اپنے اس جملہ میں خدا وند متعال کے لامتناہی ہونے کو ثابت کیا ہے،جس طرح اعداد لامتناہی ہیں یعنی اس کی کوئی انتہا نہیں ہوتی کیوں کہ اگر کسی عدد کو نہایت فرض کریں گے تو اس کے بعد پھر دوسرا عدد آئے گا حضرت اما م سجاد نے بھی اسی روش سے استفادہ کرتے ہوئے فرمایا ہے کہ جس کو تصور نہیں کیا جاسکتا وہ خدا ہے.

اسی طرح صفت" علم "بھی خداوند متعال کی ذات سے جدا نہیں ہے جیساکہ حضرت اما م زین العابدین اپنی دعا میں خدا کو اس طرح پکارتے ہیں:

«وَيا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الأَخْبارِ، صَلِّ عَلى مُحَمَّـد وَآلِـهِ وَلا تَفْـضَحْنا لَدَيْكَ»[٣].

اور اے وہ پرور دگار! جس کے سامنے رازہائے سربستہ ظاہر ہیں رحمت نازل فرمامحمد او ر ان کی آل پر اور ہمیں اپنے سامنے رسوا نہ کر[٤].

---

١. صحیفہ سجادیہ دعا ٤٧

٢.صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٣٥٠

٣- صحیفہ سجادیہ دعا ٥.

٤-صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٢٨.

حضرت اما م سجادکی دعا کے اس فقرے میں اس آیت قرآن کی طرف ایک لطیف اشارہ ہے:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾[1].

پروردگار ہم جس بات کا اعلان کرتے ہیں یا جس کو چھپاتے ہیں تو سب سے باخبر ہے اور اللہ پر زمین وآسمان میں کوئی چیز مخفی نہیں رہ سکتی .

صحیفہ سجادیہ کی دیگر دعاؤں میں بھی خداوند متعال کی صفت علیم اور عالم کی تکرار ہوئی ہے (صحیفہ سجادیہ دعا ٢٦،٥٢-...)

٣. توحید افعال

توحید کی تیسری قسم توحید افعال ہے، توحید ذات اور صفات سے زیادہ مرتبہ توحید افعال کا ہے توحید افعال کا مطلب یہ ہے کہ انسان کو مقام عمل میں بھی اس بات کااعتقاد رکھنا ہوگا کہ ہر عمل کے پیچھے قوت خداوند متعال ہی کام کررہی ہے اور انسان نہ مالک حقیقی ہے اور نہ آزاد مطلق، اس کا اختیار مجبوریوں سے گھراہوا ہے اور اس کی آزادی پابندیوں کی ممنون کرم ہے، اسے خداوند متعال نے مختار ومرید بنایا ہے لیکن اس کے یہ معنی ہر گز نہیں ہیں کہ وہ واقعاً صاحب اختیار ہوگیا ہے اس کی مثال اس لکھ پتی کی ہے جو کسی دوسرے کے دیئے ہوئے چک سے لکھ پتی ہوجائے کہ اس سے لاکھوں کا حساب تو لیا جاسکتا ہے لیکن اسے لاکھوں‌کا مالک حقیقی نہیں قرار دیا جاسکتا .

١- سورہ ابراہیم آیت ٣٨.

خداوند متعال اپنے اعمال وافعال میں یکتا وبے نیا ز ہے اس کے اعمال میں کوئی اس کا شریک و سہیم نہیں ہے اس نے اپنی شان کے بارے میں خود یہ فیصلہ کردیا ہے کہ میرے ان اعمال میں کوئی میرا شریک نہیں ہے اور نہ کوئی شخص میرے علاوہ ان اعمال کو انجام دے سکتا ہے.

حضرت امام سجاد کے زمانہ میں توحید افعا ل کا بیان کرنابہت ہی زیاد ہ اہم تھا کیونکہ اموی حکام کی پوری کوشش یہ تھی کہ جبرگرائی کے عقیدہ کو عام کیا جائے اور اپنے نامناسب افعال وحرکات کو خداوند متعال کی طرف منسوب کیا جائے اسی لئے حضرت امام سجاد نے اس دور میں اس بات کی تاکید کی کہ انسان کے اعمال اختیاری ہیں اور دوسری طرف سے کوئی بھی فاعل اپنے کام کے انجام دینے میں مستقل نہیں ہے

مجموعی طور پر یہ بات کہی جاسکتی ہے کہ صحیفہ سجادیہ میں توحید افعال کے نمونے دوسرے توحیدی نمونوں سے زیادہ ہیں مثلاتوحید در خلقت:

«اَلْحَمْدُ للّه الَّذي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بقُوَّته، وَمَيَّزَ بَيْنَهُما بقُدْرَته، وَجَعَلَ لكُلِّ واحد منهُما حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولجُ كُلَّ واحد منْهُما في صاحبه، ويُولجُ صاحبَهُ فيه، بتَقْدير منْهُ للْعباد فيما يَغْذُوهُمْ به، وَيُنْشئُهُمْ عَلَيْه»[1] -

سب تعریف اس اللہ کیلئے ہے جس نے اپنی قوت وتوانائی سے شب وروز کو خلق فرمایااور اپنی قدرت کی کار فرمائی سے ان دونوں میں امتیاز قائم کیا اور ان میں سے ہر ایک کو معینہ حدود و مقررہ اوقات کا پابند بنایا اور ان کے کم وبیش ہونے کا جو اندازہ مقرر کیا اس کے مطابق

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٦.

رات کی جگہ پر دن اور دن کی جگہ پر رات کو لاتا ہے تاکہ اس کے ذریعہ سے بندوں کی روزی اور ان کی پرورش کا سرو سامان ہو سکے[۱]۔

حضرت امام سجاد نے اپنی اس دعا میں اس آیت قرآنی سے استفادہ کیاہے جسے خداوند متعال نے قرآن مجید میں فرمایا ہے:

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمّىً ذلكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِه مَا يَمْلكُونَ من قطْمير﴾[۲].

وہ خدا رات کو دن میں داخل کرتا ہے اور دن کو را ت میں،اس نے چاند اور سورج کو تابع بنادیا ہے اور سب اپنے مقررہ وقت کے مطابق سیر کررہے ہیں وہی تمہا ر اپروردگا رہے اسی کے اختیار میں سارا ملک ہے اور اس کے علاوہ تم جنھیں آواز دیتے ہووہ خرمہ کی گٹھلی کے چھلکے کے برابر بھی اختیار کے مالک نہیں ہیں .

توحید افعال کا دوسرا نمونہ یہ ہے کہ خداوند متعال ہی بندوں کے رزق کی تدبیر کرتا ہے حضرت امام سجاد نے اپنی مختلف دعاؤں میں تدبیر رزق کی نسبت خدا وند متعال ہی کی طرف دی ہے مثلاآپ ایک مقام پرفرماتے ہیں:

«وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِه، لا يَنْقُصُ مَنْ زادَهُ ناقِصٌ، ولا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زائِدٌ»[۳]۔

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱۳۰.

۲۔ سورہ فاطر آیت ۱۳.

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا۱.

اس نے ہر(ذی)روح کیلئے اپنے (پیدا کردہ)رزق میں سے معین ومعلوم روزی مقرر کر دی ہے جسے زیادہ دیا ہے اسے کوئی گھٹانہیں سکتا اور جسے کم دے۱ ہے اسے کوئی بڑھا نہیں سکتا [۱].

البتہ قرآن مجید میں بھی اسی طرح کی آیات مختلف مقامات پر ذکر ہوئی ہیں :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾ [۲]۔

تمہارا پروردگار جس کیلئے چاہتا ہے رزق کو وسیع یا تنگ بنا دیتا ہے وہ اپنے بندوں کے حالات کا خوب جاننے والا اور دیکھنے والا ہے .

یا خداو ند متعال نے ایک دوسری آیت میں تقسیم رزق کے فلسفہ کو بیان کرتے ہوئے طبقاتی اختلاف کی نسبت خوداپنی طرف دی ہے اور امر نبوت میں دخل اندازی کرنے والوں کاجواب دیتے ہوئے فرمایا ہے:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [۳]۔

ہی ان کے درمان معیشت کو زندگانی دنیا میں تقسیم کیا ہے اور بعض کو بعض سے اونچا بنایا ہے تاکہ ایک دوسرے سے کام لے سکے اور رحمت پروردگار ان کے جمع کئے ہوئے مال ومتاع سے کہیں زیادہ بہتر ہے .

۱- صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص.۱۰۳

۲- سورہ اسراء آیت۳۰.

۳- سورہ زخرف آیت ۳۲

٤. توحید اطاعت

توحید کی چوتھی قسم توحید اطاعت ہے توحید اطاعت کا مطلب یہ ہے کہ خداوند متعال جس طرح اپنی ذات ،صفات اور افعال کے اعتبار سے یکتا ہے اسی طرح اپنی اطاعت کے اعتبا ر سے بھی یکتا ہے تمام انسانوں کا فریضہ یہی ہے کہ اپنے کاموں میں فقط خداوند متعال کی اطاعت کریں یہ بات زیب نہیں دیتی کہ خدائے واحد کا اعتقاد رکھتے ہوئے اعمال و رفتار میں غیر خدا کی اطاعت کی جائے حق اطاعت ،خالق کائنا ت کا بنیادی حق ہے وہ جسے چاہے عطا کر سکتا ہے اور جب عطا کردے گاتو انسان قابل اطاعت ہو جائے گا لیکن اس کے ساتہ یہ اعلان ضرور ہوگا کہ "من یطع الرسول فقد اطا ع الله"[۱] "جو رسول کی اطاعت کرے گا وہ یہ سمجھے کہ خداوند متعا ل کی اطاعت کررہا ہے " کہ اسی کی اطاعت کا پرتو ہے ورنہ ذاتی طور پر رسول کو بھی خداوندمتعال کے مقابلہ میں اطاعت کرانے کا کوئی حق نہیں ہے کہ وہ بھی مالک کائنات کی ایک مخلوق ہے اور مخلوق خالق کی ہم پلہ اور شریک وسہیم نہیں ہوسکتی ہے چونکہ خدا نے ان کی اطاعت کا حکم دیا ہے لہٰذا ان کے فرمان کی اطاعت کرنی چاہئے پس اس کائنات میں خدا وند متعال ہی کی اطاعت کرنا چاہئے جبکہ دوسرے افراد کی اطاعت اور فرمانبرداری کرنا خدا وند متعال کی اطاعت اور فرمانبرداری کے تحت اور اسی کے ہی سایہ میں ہو.

اگر کوئی انسان دستورات الہٰی سے غافل ہوجائے اور خود اپناحکم نافذ کرنے لگے تو ایسے انسان کو طاغوت کے نام سے یاد کیا جائےگا

۱۔ سورہ نساء آیت ۸۰.

اوراولیاء الٰہی کے دائرہ میں وہی افراد آتے ہیں کہ جو فقط حکم الہٰی کی اطاعت و پیروی کرتے ہیں غیر خداکی اطاعت کو اپنا فریضہ نہیں سمجھتے جیسا کہ ارشاد خداوندی ہے:

﴿... فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا...﴾[۱]۔

اب جو شخص بھی طاغوت کا انکار کر کے اللہ پر ایمان لے آئے وہ اس کی مضبوط رسی سے متمسک ہو گیاہے جس کے ٹوٹنے کا امکان نہیں ہے.

کسی اور کی اطاعت کرنے سے وحدت پرستی فرا ہم نہیں ہو سکتی اور یہی نہیں بلکہ قرآن مجید نے تونفس کی پیروی کرنے والوں کی بھی مذمت کی ہے ،نفس کی اطاعت کرنے والوں کی مذمت کرتے ہوئے خدا وند متعال فرماتاہے :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[۲]۔

کیا آپ نے اس شخص کو بھی دیکھا ہے جس نے اپنی خواہش ہی کو خدا بنا لیا ہے.

حضرت امام سجاد اپنی ایک مناجات میں خواہشات نفس کی پیروی نیزاطاعت کوعظیم سمجھنے سے خداوند متعال سے پناہ مانگتے ہیں اور توحید اطاعت کا مطالبہ کرتے ہیں:

«اللّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ... وَمُتابَعَةِ الْهَوى... وَاسْتِكْبارِ الطّاعَةِ»[۳]۔

۱۔ سورہ بقرہ آیت ۲۵۶.
۲۔ سورہ جاثیہ آیت۲۳.
۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۸.

اے اللہ!میں تجه سے پناہ مانگتا ہوں ،ہوا وہوس کی پیروی اور اطاعت کو عظیم سمجھنے سے[۱] .

صحیفہ سجادیہ میں حضرت امام سجاد نے نہ صرف طاغوت کی اطاعت اور پیروی کرنے سے منع کیا ہے بلکہ ظالمین کی ہر طرح کی مدد کو بھی قبیح شمار کیا ہے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں :

«اللّٰهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ... أَنْ نَعْضُدَ ظالماً»[۲] ۔

اے اللہ! میں تجه سے پناہ مانگتا ہوں کہ کسی ظالم کی اس کے ظلم میں مدد کروں[۳] ۔

حضرت امام سجاد کی یہ دعا اس آیت قرآنی کی طرف اشارہ ہے :

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٤] ۔

پروردگار تو نے میری مدد کی ہے لہٰذا میں کبھی مجرموں کا ساتھی نہیں بنوں گا .

٥۔ توحید عبادت

توحید کی آخری قسم توحید عبادت ہے تمام توحیدوں میں سب سے عظیم مرتبہ ا سی توحیدکا ہے توحید عبادت یعنی خداوند متعال جس طرح اپنی ذات ،صفات ، افعال اور اطاعت میں وحدانیت اور اکائی رکھتا ہے اسی طرح اپنی عبادت کے استحقاق میں بھی یکتا ہے اور اس کے علاوہ کوئی

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٤٠ .

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٨.

۳۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٠٩.

٤۔ سورہ قصص آیت١٧ .

مستحق عبادت نہیں ہے اس منزل پر ایک عابدکا فریضہ یہی ہیکہ وہ فقط خداوند متعال کو لائق عبادت سمجھے اور اس کے علاوہ کسی کے سامنے اپنے سر تسلیم کو خم نہ کرے [1].

توحید عبادت ، توحید ذات اور توحید صفات کا لازمہ ہے جب یہ بات مسلم ہو گئی کہ وہ واجب الوجود ہے اور اس کے سوا سبھی ممکن ومحتاج ہیں تو عبادت صرف اسی سے مخصوص ہے اور و ہ کمال مطلق ہے اس کے علاوہ کسی مطلق کا وجود نہیں ہے ، عبادت کا مقصد بھی کمال طلبی ہے لہٰذا عبادت صرف ذات خداوند متعال سے مخصوص ہے تمام انبیاء ومرسلین کی تبلیغ کا عنوان کلی یہی توحید عبادت تھا

اس نکتہ کی جانب بھی توجہ ضروری ہیکہ احترام ، تواضع اور خشوع کے مراتب ودرجا ت ہیں اور سب سے آخری اور اعلیٰ درجہ پرستش وعبودیت کاہے اور یہ مرحلہ صرف ذات خداوند متعال سے مخصوص ہے جس کا بیّن ثبوت سجدہ ہے اسی بنا پر غیر خدا کا سجدہ کرنا جائز نہیں ہے اور یہ بات مسلم ہے کہ اگر انسان عبودیت کے اس مرحلہ پر پہنچ جائے اور پیش پروردگار اپنی پیشانی کو خاک پر رکھ دے تو گویا اس نے اطاعت خداکی راہ اور اپنے تکامل میں بہت زیادہ پیش قدمی کی ہے ایسی خالص عبادت، عشق محبوب سے مکمل لبریز ہے اور اس محبت کا اثر خداوند متعال کی جانب پیش قدمی کا بہت اہم سبب ہے کمال مطلق کی جانب پیش قدمی گناہوں‌اور تمام آلودگیوں سے کنارہ کشی کا پیش خیمہ ہے

حقیقی عبادت گذار اس بات کی سعی پیہم کرتا ہے کہ خود کو محبوب کے جیسا قرار دے اور خود کو صفات جمال وجلال الٰہیہ کا پرتو قرار دیتا

---

۱ ۔ دانش نامہ عقائداسلامی ص ۱۲۱.

ہے اور یہ امور انسان کے تربیت وتکامل میں بہت اہم کردار ادا کرتے ہیں ، حضرت امام سجاد فرشتوں کی بندگی وعبادت کی توصیف کرتے ہوئے توحید عبادت کو اس طرح بیان فرماتے ہیں :

اللّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذينَ لايَفتُرُونَ مِنْ تَسْبيحكَ، وَلايَسْأَمُونَ مِنْ تَقْديسكَ، وَلا يَسْتَحْسرُونَ منْ عبادَتكَ، وَلا يُؤْثرُونَ التَّقْصيرَ عَلى الْجِدِّ في أَمْرِكَ، وَلا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَه إلَيْكَ»[۲] ۔

اے اللہ!تیرے عرش کے اٹھانے والے فرشتے جو تیری تسبیح سے اکتاتے نہیں اور نہ تیری عبادت سے خستہ و ملول ہوتے ہیں اور نہ تیرے تعمیل امر میں سعی و کوشش کے بجائے کوتاہی برتتے ہیں اور نہ تجھ سے لولگانے سے غافل ہوتے ہیں[۲] ۔

حضرت امام سجاد نے اس مختصر سے فقرہ میں بہت سی قرآنی آیا ت کی طرف اشارہ فرمایا ہے کہ جو توحید عبادت پر دلالت کرتی ہیں بطور نمونہ:

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِه وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾[۳] ۔

اور اسی خدا کےلئے زمین و آسمان کی کل کائنات ہے اور جو افراد اس کی بارگاہ میں ہیں وہ نہ اس کی عبادت سے اکڑ کر انکار کرتے ہیں اور نہ تھکتے ہیں.

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳.
۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ؒ ص۱۱۵
۳۔ سورہ انبیاء ۱۹.

صفات خدا

مراتب واقسام توحید کو صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں بیان کرنے کے بعداب ہم اوصاف الہٰی کو بطور اختصارصحیفہ سجادیہ کی روشنی میں بیان کرتے ہوئے قرآن مجید سے دلیل پیش کریں گے ۔

الف: صفات ثبوتیہ

خداوند متعال کی صفات ثبوتیہ سے مرا د ایسی صفات ہیں کہ جو خداوند متعال کی ذ ات کیلئے ثابت ہیں اور اس کی ذات سے اس کا سلب کرنا محال اور ناممکن ہے کیونکہ اس سے خلاف حقیقت امر لازم آتا ہے ،صفات ثبوتیہ خداوند متعال جیسے :اوّل ، آخر ، توّاب ، غنی ، مفضل ، مہلک ، رازق ، محیط ، رقیب ، وارث ، مجیب ، سمیع ، علیم ،عفو ،غفور ، رؤف، رحیم ، ہادی و.... .

ب: صفات سلبیہ

خداوند متعال کی صفات سلبیہ سے مراد ایسی صفات ہیں کہ جو خداوند متعال کی ذات میں موجود نہیں ہیں اگر ان صفات کی نسبت اس کی ذات کی طرف دی جائے تو احتیاج، عجز، جھل اور نقص لازم آتاہے اور یہ بات واضح ہے کہ خداوند متعال کی ذات ہر قسم کے نقص ، جھل ا ور عجز سے منزّہ ومبرّا ہے صفات سلبیہ خداوند متعال جیسے:فرزند رکھنا، تغیرو تبدل و... بعنوان مثال خداوند متعال کی ایک صفت" مفضل "یا "متفضل" ہے "مفضل "یعنی جو کسی انسان کو اس کے حق سے زیادہ عطاکرے یااس کے حق میں نیکی کرے ،حضرت امام سجاد اپنی دعا میں خداوند متعال کو اس طرح پکارتے ہیں :

«وَيا مَنْ لا يُكافِئُ عَبْدَهُ عَلى السَّواء».[١] -

اے وہ اللہ جو اپنے بندوں کو (ان کے عمل کے مقابلہ میں)نپا تلا اجر نہیں دیتا[٢].

اگرچہ اس عبارت میں قرآنی کلمات نہیں ہیں لیکن اسی مضمون ومفہوم کو درج ذیل آیتوں میں مشاہدہ کیا جاسکتا ہے :

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٣] -

جوشخص بھی نیکی کرے گا اسے دس گنا اجر ملے گا.

یا اسی دعا میں ایک دوسرے مقام پر آپ فرماتے ہیں :

«وَأَنْتَ الَّذي زِدْتَ في السَّوْمِ عَلى نَفْسكَ لعِبادكَ، تُريدُ رِبْحَهُمْ في مُتاجَرَتهِمْ لَكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالْوِفادَةِ عَلَيْكَ وَالزِّيادَةَ مِنْكَ»[٤].

تو وہ ہے جس نے اپنے بندوں کیلئے لین دین میں اونچے نرخوں کا ذمہ لے لیا ہے اور یہ چاہا ہے کہ وہ جو سودا تجھ سے کریں اس میں انھیں نفع ہو اور تیری طرف بڑھنے اور زیادہ حاصل کرنے میں کامیاب ہوں[٥].

اس دعا کے فقرہ کی بھی قرآنی سند پائی جاتی ہے :

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِن فَضْلِهِ...﴾[٦].

پھر جو لوگ ایمان لے آئے اور انھوں نے نیک اعمال کئے انھیں اللہ مکمل اجر دے گا اور اپنے فضل وکرم سے اضافہ بھی کر دے گا.

١- صحیفہ سجادیہ دعا٤٥ .

٢- صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٣٣٣.

٣- سورہ انعام آیت ١٦٠.

٤- صحیفہ سجادیہ دعا ٤٥.

٥- صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٣٣٤.

٦- سورہ نساء آیت ١٧٣.

ایک اہم نکتہ کہ جو قرآن اور صحیفہ سجادیہ کے سلسلہ میں پایا جاتا ہے وہ لطیف اشارے ہیں کہ جو حضرت امام سجا دنے اپنی دعاؤں اور مناجاتوں میں استعمال کئے ہیں گزشتہ دوعبارتوں میں صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں خداوند متعال کی ایک صفت ،صفت "مفضل"کی طرف مختصر سا اشارہ کیاگیاتھا لیکن قرآنی آیات کی روشنی میں خداوند متعال کی جانب سے زیادہ بخشش ،مومنین ا ورصالحین سے مخصوص ہے،حضرت امام سجاد نیز اسی دعا میں فضل اور زیادہ بخشش کو ان افراد کیلئے جانتے ہیں کہ جو خدا وند متعال کے ساتھ معاملہ کرتے ہیں یا اس کی بندگی بجالاتے ہیں اگرچہ تمام مخلوقات کاخد اوند متعال کے نزدیک ایک معین سہم و حصہ ہے جیساکہ آپ ایک دعا میں فرماتے ہیں:

«وَأَنْتَ الَّذي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْـلُوق في نِعَمِكَ سَهْماً»[۱]۔

اور تو وہ ہے جس نے اپنی نعمتوں میں ہر مخلوق کا حصہ رکھا ہے[۲].

حضرت امام سجاد کی یہ دعا بھی اس آیت قرآنی کی طرف اشارہ ہے -:

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[۳]۔

موسیٰ نے کہا کہ ہمارا رب وہ ہے جس نے ہر شے کواس کی مناسب خلقت عطا کی ہے اور پھر ہدایت بھی دی ہے.

لیکن زیادہ بخشش انہیں لوگوں سے مخصوص ہے کہ جو مرحلہ اطاعت میں فرمان الہٰی کو اپنی خواہشوں کے اوپر مقدم رکھتے ہیں.
صفات سلبیہ کا ایک نمونہ یہ بھی ہے کہ کوئی انسان خداوند متعال

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱٦.
۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱۷۹.
۳۔ سورہ طہ آیت ٥۰.

کیلئے باپ بیٹے کا تصور کرے، حضرت امام سجاد اپنی دعامیں خداکی اس طرح توصیف کرتے ہیں :

«إِنَّكَ الْواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ»[١]۔

بیشک تو یکتا ویگانہ اور ایسا بے نیاز ہے کہ نہ تیری کوئی اولاد ہے اور نہ تو کسی کی اولادہے اور نہ تیرا کوئی مثل وہمسر ہے[٢].

حضرت امام سجادکی یہ دعااس مشہور و مانوس آیت کی طرف اشارہ ہے:

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾[٣]۔

اللہ برحق اور بے نیاز ہے اس کی نہ کوئی اولاد ہے اور نہ والد اور نہ اس کا کفو وہمسر ہے.

البتہ اس نکتہ کی یاد آوری بھی نہایت ضروری ہے کہ ہم خداوند متعال کی ذات کی حقیقت کبھی بھی درک نہیں کر سکتے اور نہ ہمیں اس کی امید رکھنی چاہئے کیونکہ یہ امید اور خیال خام ایسے ہی ہے جیسے سمندر کو کوزے میں بند کرنایا ماں کے شکم میں موجود بچے کا بیرونی دنیا سے باخبر ہونا کیا یہ چیزیں ممکن ہیں ؟

اور یہی وہ مقام ہے جہاں ایک چھوٹی سی لغزش انسا ن کو خداوند متعال کی معرفت کے حقیقی راستے سے کوسوں دور کردیتی ہے جس کے

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٣٥.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٨٤.

٣۔ سورہ اخلاص آیت ٢۔٤.

نتیجہ میں وہ بت پرستی اور مخلوق پرستی کی سنگلاخ وادیوں میں بھٹکتا پھرتا ہے خلاصہ یہ کہ ہمیں انتہائی ہوشیار رہنا چاہئے اور ہر گز خداوند متعا ل کی صفات کا مخلوقات عالم کے ساتہ مقابلہ ومقائسہ نہیں کرنا چاہئے۔

صحیفہ سجادیہ میں دعاؤں کے ضمن میں ان موارد کے علاوہ بھی بہت سے ایسے کلمات مشاہدہ کئے جاسکتے ہیں کہ جوخدا وند متعال کی صفات سلبیہ اور ثبوتیہ کے اوپر دلالت کرتے ہیں لیکن ہم حجم مقالہ کو مد نظر رکھتے ہوئے تمام موارد کو پیش نہ کرنے کی بنا پر معذرت خواہ ہیں۔

اگر صحیفہ سجادیہ کی تمام ادعیہ کا بغور اور بادقت مطالعہ کیا جائے تو معلو م ہو گا کہ کس طرح سید الساجدین حضرت امام زین العا بدین نے کاروان بشریت کو خداو ند متعال کی ذات کی معرفت سے عاجز قرار دیا ہے اگرچہ توحید کے حوالے سے صحیفہ سجادیہ میں اور بھی بہت سے موارد ملتے ہیں لیکن ہم اختصار پر بنا رکھتے ہے فقط انہیں موارد پر اکتفا کرتے ہیں۔

خدایا !بحق محمد وآ ل محمدہمیں توحید کی ایسی معرفت عطا فرماکہ جس طرح انبیاکرام اور ائمہ اطہار نے بیا ن فر مایا ہے ۔

بار الٰہا!ہمیں ا ہل بیت کا صحیح شیعہ وپیرو کار بنائے اور ان کی تعلیمات سے زیادہ سے زیادہ استفادہ کی توفیق دے ۔

والسّلا م علیٰ من اتبع الهدیٰ

منابع ومآخذ

١ـ قرآن مجید

٢ـ انوار القرآن: ترجمہ وتفسیر علامہ سید ذیشان حیدر جوادی، چاپ دوم ،قم انصاریان پبلیکشنز، ١٤٢٨ھ ق.

٣ـ صحیفہ کاملہ سجادیہ: ترجمہ وتوضیح علامہ مفتی جعفر حسین، امامیہ پبلیکیشنز ، پاکستان.

٤ـاصول وفروع: علامہ سید ذیشان حیدر جوادی،ناشر تنطیم المکاتب. لکھنؤ، ھند.

٥ـاصول عقائد : حجۃالاسلا م والمسلمین شیخ علی اصغر قائمی .

٦ـ دانش نامہ عقائد اسلامی: حجۃ الاسلام والمسلمین محمد محمدی ری شہری و ہمکاران، قم دارالحدیث ١٣٨٥.

٧ـ معجم مقائیس اللغۃ: احمد بن فارس،ترتیب و تنقیح :علی عسکر ی ، حیدر مسجدی، قم پژوہشگاہ حوزہ و دانشگاہ،١٣٨٧.



توبہ
صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

❐ فاطمة عذرا املوي

خلاصہ مقالہ:

خداوند متعال کے نزدیک انسانوں کے انتخاب و اختیار کی بہت زیادہ اہمیت ہے کیونکہ انسان صحیح طریقہ سے اپنے اختیار سے استفادہ کرتے ہو ئے فرشتوں پر بھی سبقت حاصل کر سکتا ہے یا برعکس "اولئک کالانعام بل ھم اضل" کا بھی مصداق ہو سکتا ہے

ہم انسان اگرچہ گناہ معصیت میں غرق ہیں لیکن یہ خدائےرحمان ورحیم کا ہمارے اوپر نہایت درجہ لطف وکرم ہے کہ اس نے "توبہ"کا دروزاہ ہمارے لئے کھلا رکھا ہے اور ہم کو اپنے حال پر نہیں چھوڑا، سچی بات تو یہ ہے کہ اگر یہ خدا وند متعا ل کی عظیم نعمت (توبہ)نہ ہو تی تو ہم گناہوں کے گندے پانی سے کیسے پاک و پاکیزہ ہو تے؟

"توبہ صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں"جو موضوع مقالہ ہے ، کتاب "صحیفہ سجادیہ" میں بہت خوبصورت انداز میں بیان ہوا ہے اگرچہ دعائے ۳۱ باب التوبہ کے عنوان سے بیان ہو ئی ہے لیکن پھر بھی حضرت امام سجاد نے مختلف دعاؤں میں اس بات کی طرف اشارہ کیا ہے

اس بات سے ہم بخوبی واقف ہیں کہ حضرت امام سجاد معصوم ہیں اور گنا ہوں سے مبرا ہیں لیکن آپ کا بارگاہ ایزدی میں گریہ و زاری ، نالہ

و شیون پھر کس کے لئے ہے؟ واضح سی بات ہے کہ آنحضرت ہمارے اور آپ کے لئے بطور غیر مستقیم ایک واقعی توبہ کرنے والے انسان کے حالات و خصوصیات کو بیان کرنا چاہتے ہیں اس لئے کہ تو بہ کے بہت سارے شرائط ہیں جیسے مقدمات توبہ ، موانع توبہ،آداب توبہ، آثارو فوائد توبہ

مقدمات توبہ حضرت امام سجاد کی نظر میں مندرجہ ذیل ہیں:

توفیق توبہ میں لطف الٰہی، قبولیت توبہ کی درخواست، قیامت اور گناہوں کے عذاب کو یاد کرنا ، پشیمانی وترک گناہ ، درخواست توبہ ماہ رمضان کے مخصوص ایام میں

موانع توبہ بھی اسی طرح ہیں:احکام الٰہی کی مخالفت، گناہوں کا ارتکاب، نعمت الٰہی کے سلسلہ میں کوتاہی اور ناشکری

آداب توبہ مندرجہ ذیل ہیں :صدق نیت سے توبہ ،پاکیزہ دل، تواضع،گریہ ،خدا سے محبت ، اندرونی انقلاب ، استغفار و عذر خواہی، صلوات و اعتراف گناہ،گناہا ن صغیرہ و کبیرہ سے اجتناب و...

اوراہم ترین آثار توبہ، سکون واطمینان ،محبوب خدا ہونا، گناہوں سے پاکیزگی،آثار گناہ کا خاتمہ ، حق شفاعت،امید الٰہی ہیں کہ جسے اس مقالہ میں بیان کرنے کو کوشش کی گئی ہے۔

الفاظ کلیدی:توبہ

حسن مطلع

توبہ خداوند متعال کی عظیم مہربانیوں کا ایک شعبہ ہے اور اس کی بیکرا ں عطوفتوں کا ایک خوبصورت دروازہ ہے یہ اس کا ہمارے اوپرلطف وکرم ہے کہ اس نے یہ دروازہ ہمارے لئے ہمیشہ کیلئے

کھلارکھا ہے اور ہمیں اپنے حال پر نہیں چھوڑاہے ا گر یہ دررحمت الہٰی بند ہوتاتو فلاح وکامرانی کسی انسان کو نصیب نہ ہوتی کیونکہ انسان کی سرشت آلودگیوں اور خطاکاریوں سے وابستہ ہے اسی لئے خداوند متعال نے توبہ کو معنوی امراض اورقلبی بیماریوں کی دوا اور برے کاموں سے دور کرنے کا ذریعہ قراردیا ہے تاکہ توبہ کی برکت سے انسان کے گناہ مٹ جائیں اور اسے ہمیشہ کیلئے نجات حاصل ہو جائےاس کائنات کی بنیاد طہارت وپاکیزگی کے اوپرہے نہ کہ ظلمت ومعصیت کے اوپر ،اور یہ گناہ وتوبہ کوئی جدیدچیز نہیں ہے بلکہ اس کا وجود ابتدائے خلقت انسان سے ہے جو بحمد اللہ ابھی تک جاری ہے گناہ یعنی سر پیچی اور دستورات الٰہی کی مخالفت ، گناہ ہی کی وجہ سے انسان اپنے خالق سے دور ہوجا تا ہے اور اس کے اور خالق کے درمیان ایک فاصلہ ایجا د ہوجا تا ہے جتنا انسان کا گناہ بڑھتا جائیگا یہ فاصلہ بھی زیادہ ہوتا چلاجائےگا اسی لئے خدا وند متعال نے اس فاصلہ کو ختم کرنے کیلئے توبہ کو قرار دیا ہے توبہ خداوند متعال کی جانب سے انسانوں کیلئے رحمت ومغفرت ہے ایسی عظیم نعمت کے ملنے پر ہم کو زیادہ سے زیادہ شکر پرور دگار بجالاناچاہئے

اس مختصر سے مقالہ میں "توبہ" کو سیدا لساجدین حضرت امام زین العابدین کے فرمودا ت وارشادات کی روشنی میں بیان کرنے کی کوشش کی گئی ہے اگرچہ یہ موضوع بہت ہی طولانی اور تفصیل طلب ہے لیکن مقالہ کے حجم کو مد نظر رکھتے ہوئے صرف چندصفحوں میں پیش کیاگیاہے یہ مقالہ مقدمہ کے علاوہ مندرجہ ذیل پانچ فصلوں پر مشتمل ہے :

پہلی فصل: مفہوم توبہ

دوسری فصل :مقدمات توبہ

تیسری فصل: موانع توبہ

چوتھی فصل : آداب توبہ

پانچویں فصل :آثار وفوائد توبہ

فصل اول : مفہوم توبہ

توبہ کے لغوی معنی : توبہ کلمہ " توب "سے لیا گیا ہے جس کے لغوی معنی پلٹنے اور رجوع کرنے کے ہیں[۱].

ایک دوسری کتاب میں توبہ کے لغوی معنی :"گناہ سے اطاعت کی طرف پلٹنا "بیان کئے گئے ہیں [۲].

توبہ کے اصطلاحی معنی :خداوند متعال کی طرف پلٹنا اور اس سے صلح و مصالحت کرنا ہے[۳].

یعنی بندہ اپنے گناہوں پر پشیمان ہو کر بارگا ہ الٰہی میں ان سے با ز رہنے کاعہد کرے اور جن گناہوں کا تدارک ممکن ہے ان کا تدارک کرے ،اس طرح کہ جو حقوق اس کے ذمہ ہوں انھیں ادا کرے یا اہل حقوق سے معافی طلب کرے اور یہ نہ ہو سکے تو ان کیلئے ایسے اعمال خیر بجالائے کہ وہ قیامت کے روز اس سے خو ش ہوکردرگذر کریںجیسا کہ حضرت امام سجادایک مقام پر مفہوم توبہ کو ان الفاظ میں بیان فرماتے ہیں:

«أَنْتَ الَّذي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ باباً إِلى عَفْوِكَ وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ»[٤] ۔

۱۔ علی اکبر قرشی، قاموس قرآن ج،۱ص۲۸۵.

۲۔ ابن منظور،لسان العرب ج،۱ ص۳۲.

۳۔ مرضیہ محمد زادہ ،حقیقت توبہ ص۱۸۔ محمد گرمارودی ،درسہای از تربیت انسان ، ص۲٥٦.

٤۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٥ .

توہی وہ ہے جس نے اپنے بندوں کیلئے عفو وبخشش کا دروازہ کھول رکھا ہے اور اس کا نام توبہ رکھا ہے [۱].

توبہ، صحیفہ سجادیہ کے اہم موضوعات میں سے ایک ہے کہ جس کی طرف سید الساجدین حضرت اما م ز ین العابدین نے ا پنی اکثروبیشتردعاؤں‌اورمناجاتوں میں اشارہ کیا ہے اور اس کو عظیم نعمتوں میں شمار کیا ہے کہ جس کوخداوند متعال نے انسانوں کو توبہ کی شکل میں عنایت کیا ہے اگر خداوند متعال توبہ کا راستہ ہمار ے لئے نہیں قرار دیتا تو کوئی بھی انسان اپنے گناہوں کے بوجہ سے نجات نہیں پا سکتا تھا حضرت امام سجا د نے اپنی دعاؤں اور بیانات میں ظاہری وباطنی گناہوں کوبھی بیان کیا ہے اوربارگاہ الہٰی میں ایک واقعی توبہ کر نے والے انسان کی بھی تصویر کشی کی ہے اور اسی طرح واقعی وحقیقی توبہ کے شرائط بیان کرنے کے بعد توبہ کرنے والے انسان کی خصوصیات اور آداب اور اسی طرح توبہ کے آثار وفوائد کی طرف اشارہ کیاہے ۔

فصل دوم: مقدمات توبہ

جس طرح ایک گھاس اور پودے کو رشد وکمال کی منزل تک پہونچنے کیلئے پانی ،سورج ، ہوا و.... کی ضرورت ہوتی ہے اسی طرح توبہ کرنے والے انسان کیلئے بھی حضرت امام سجاد نے اپنی دعاؤں‌اور مناجاتوں میں چند مقدمات بیان کئے ہیں کہ جن مقدمات کی طرف توبہ کرنے والے کوکافی دقت وتوجہ کرنے کی ضرورت ہے ہم سب سے پہلے

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۳۳۱.

مقدمات توبہ کو حضرت امام سجاد کے کلمات کی روشنی میں بیان کررہے ہیں:

١۔توفیق توبہ میں لطف الہٰی

سید الساجدین حضرت امام زین العابدین پہلی دعا میں ارشاد فرماتے ہیں:

«وَالْحَمْدُ للّه الَّذي دَلَّنا عَلى التَّوْبَة الَّتي لَمْ نُفدْها إلاّ منْ فَضْله، فَلَوْ لَمْ نَعْتَددْ منْ فَضْله إلاّ بها لَقَدْ حَسُنَ بَلاؤُهُ عنْدَنا، وَجَلَّ إحْسانُهُ إلَيْنا، وَجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنا، فَما هكَذا كانَتْ سُنَّتُهُ في التَّوْبَة لمَنْ كانَ قَبْلَنا، لَقَدْ وَضَعَ عَنّا ما لاطاقَةَ لَنا به، وَلَمْ يُكَلِّفْنا إلاّ وُسْعاً، وَلَمْ يُجَشِّمْنا إلاّ يُسْراً، وَلَمْ يَدَعْ لاَحَد منّا حُجَّةً وَلاعُذْراً»[١]۔

تمام تعریف اس اللہ کیلئے ہے جس نے ہمیں توبہ کی را ہ بتائی کہ جسے ہم نے صرف اس کے فضل و کرم کی بدولت حاصل کیا ہے تو اگر ہم اس کی بخششوں میں سے اس توبہ کے سوا اور کوئی نعمت شمار میں نہ لائیں تو یہی توبہ ہمارے حق میں عمدہ انعام ،بڑاا حسان اور عظیم فضل ہے اس لئے کہ ہم سے پہلے لوگوں کیلئے توبہ کے بارے میں اس کا رویہ نہ تھا ، اس نے تو جس چیز کے برداشت کرنے کی ہمیں طاقت نہیں ہے وہ ہم سے ہٹالی اور ہماری طاقت سے بڑھ کر ہم پر ذمہ داری عائد نہیں کی بلکہ صرف سہل وآسان چیزوں کی ہمیں تکلیف دی ہے اورہم میں سے کسی ایک کےلئے حیل وحجت کی گنجائش نہیں رہنے دی [٢].

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ١.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٠٦.

امت اسلامی پر خاص لطف

«فَما هكَذا كانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كانَ قَبْلَنا...».

کیفیت توبہ سابق امت میں،امت اسلامی سے بالکل جدا تھی البتہ توبہ کے معنی میں کوئی فرق نہیں تھا لیکن اس کے شرائط گذشتہ امت میں بہت سخت و دشوارا ورناقابل تحمل تھے جیسے گنہگارآدمی کے عضو بدن کو کاٹنا ، نذرآتش کرنا اور اسی طرح اگر کوئی نجاست انسان کے بدن تک سرایت کر جاتی تھی تو اس کی جلد کو قینچی سے کاٹتے تھے و...... [۱]۔

سابق امت میں اگر کوئی انسان خطاکا مرتکب ہوتا تھا توجلد از جلد اس کے جرم کی سزا بھی مل جاتی تھی لیکن سرکار ختمی مرتبت حضرت محمد مصطفےٰ کی برکت سے ان کی شریعت میں اگر کوئی انسان سو مرتبہ بھی توبہ شکنی کرے تب بھی اس کو دوبارہ توبہ کرنے کا حق ہے اور بارگاہ الہٰی میں مورد عفوو مغفرت قرار پا سکتا ہے.

حضرت امام سجاد کی دعا کے مطابق یہ خداوند متعال ہی ہے کہ جو بندوں کو توبہ کی راہنمائی کرتا ہے اور سخت و دشوا ر تکالیف سے مبرا کرتا ہے تاکہ کوئی بھی انسان گناہوں کی انجام دہی کے بعد عذر اور بہانہ نہ بنانے پائے [۲]۔

۲۔ قبولیت توبہ کی درخواست

اگر انسان کسی طرح توبہ کرنے میں کامیاب ہو جائے تو اسے یہ بات فراموش نہیں کرنا چاہئے کہ یہ توفیق اسے خداوند متعال کی طرف

۱۔ حمید فتاحی ، صحیفہ سجادیہ ہمراہ با پیام ہا پاسخگوی نیازہاص ۳۸.

۲۔ جواد فاضل ،ترجمہ صحیفہ سجادیہ ص۴۸

سے حاصل ہوئی ہے لہٰذاہر انسا ن کو چاہئے کہ وہ ہمیشہ خداوندمتعال سے توجہ کے ساتھ قبو لیت توبہ کی توفیق کا مطالبہ کرے ، اب ہم صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں یہ دیکھیں گے کہ حضرت امام سجاد نے خداوند متعال سے کس طرح سے قبو لیت توبہ کا مطالبہ کیا ہے:

«اللّهُمَّ فَكَما أَمَرْتَ بِالتَّوْبَة وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ، وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعاء ووَعَدْتَ الأجابَةَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه وَاقْبَلْ تَوْبَتي، وَلا تَرْجِعْني مَرْجِعَ الْخَيْبَة مِنْ رَحْمَتِكَ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ عَلَى الْمُذْنبينَ، وَالرَّحيمُ للْخاطئينَ الْمُنيبين» [١] ـ

خدایا!جب کہ تونے تو بہ کا حکم دیا ہے اور قبو ل کرنے کا ذمہ لیا ہے اور دعا پر آمادہ کیا ہے اور قبولیت کا وعدہ فرمایا ہے تو رحمت نازل فرما محمد اور ان کی آل پراور میری توبہ کو قبول فرما اور مجھے اپنی رحمت سے ناامیدی کے ساتھ نہ پلٹا کیونکہ تو گنہگاروں کی توبہ قبول کرنے والااوررجوع ہونے والے خطا کاروں پر رحم کرنے والا ہے [٢] .

ایک دوسری دعا میں فرماتے ہیں :

«فَارْحَمْني يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَتَجاوَزْ عَنّي ياذَا الْجَلالِ وَالأكْرامِ، وَتُبْ عَلَيَّ إنَّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ» [٣] .

تو پھر اے تمام رحم کرنے والوں سے زیادہ رحم کرنے والے مجھ پر رحم فرما ، اور اے جلال و بزرگی والے مجھ سے در گذر کر اور میری توبہ قبو ل فرما، بےشک تو توبہ قبول کرنے والااور رحم کرنے والا ہے [٤] .

١ـ صحیفہ سجادیہ دعا ٣١.

٢ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٦٧.

٣ـ صحیفہ سجادیہ دعا ٥٠.

٤ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٣٩١.

۳۔ قیامت اور وہاں کے عذاب کو یاد کرنا

مقدمات توبہ میں سے ایک یہ بھی ہے کہ انسان قیامت اوراپنے کئے ہوئے گناہوں کے عذاب کو یا د کرے ،یادقیامت اور اس کے عذاب ہی سبب بنتے ہیں کہ انسا ن بہت سے گناہوں سے دوری اختیا ر کرے ،حضرت امام سجاد نے اپنی دعاؤں میں ایک مقام پر جہنم کے اوصاف اوراس کے عذاب کو بیان کیا ہے جو اس حقیقت کو ہمارے اوپر نمایاں کرتے ہیں کہ اس ہولناک وادی کی مشکلات ودشواریاں صرف ایک یا دو نہیں ہیں‌بلکہ وہاں بہت سی سختیوں کا سامنا کرنا پڑے گا امام کا ارشاد ملا حظہ ہو :

«وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقارِبِهَا الْفاغِرَةِ أَفْواهَها، وَحَيّاتِها الصّالِقَةِ بِأَنْيابِها، وَشَرابِها الَّذي يُقَطِّعُ أَمْعاءَ وَأَفْئِدَةَ سُكّانِها، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِما باعَدَ مِنْها، وَأَخَّرَ عَنْها».[1]

(بارالٰہا) میں تجه سے پناہ مانگتا ہوں جہنم کے بچھوؤں سے جن کے منه کھلے ہوئے ہونگے اور ان سانپوں سے جو دانتوں کو پیس پیس کر پھنکار رہے ہوں گے اور اس کے کھولتے ہوئے پانی سے جو انتڑیوں اور دلوں کوٹکڑے ٹکڑے کر دے گا اور (سینوں کو چیر کر) دلوں کو نکال لے گا ، خدایا!میں تجه سے توفیق مانگتا ہوں ان باتوں کی جو اس آگ سے دور کریں‌اور اسے پیچھے ہٹا دیں[2]۔

اسی سے متعلق حضرت امام سجاد ایک دوسرے مقام پر فرماتے ہیں :

«لا شَفيعُ يَشْفَعُ لي إِلَيْكَ، وَلا خَفيرٌ يُؤْمِنُني عَلَيْكَ، وَلا حِصْنٌ يَحْجُبُني عَنْكَ، وَلا مَلاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ. فَهذا مَقامُ الْعائِذِ بِكَ، وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ، فَلا يَضيقَنَّ عَنّي

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۲.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۷۵.

فَضْلُكَ، وَلا يَقْصُرَنَّ دُوني عَفْوُكَ، وَلا أَكُنْ أَخْيَبَ عِبادِكَ التّائِبينَ، وَلا أَقْنطَ وُفُودِكَ الآمِلينَ، وَاغْفِرْ لي إنَّكَ خَيْرُ الْغافِرينَ»[1] ۔

نہ کوئی سفارش کرنے والا ہے جو تجھ سے میری سفارش کرے اور نہ کوئی پناہ دینے والا ہے جو مجھے تیرے عذاب سے ڈھارس دے اور نہ کوئی چار دیواری ہے جو مجھے تیری نگاہوں سے چھپا سکے اور نہ کوئی پناہ گاہ ہے جہاں تیرے خوف سے پناہ لے سکوں،اب یہ منزل میرے پناہ مانگنے اور یہ مقام میرے گناہوں کے اعتراف کرنے کاہے لہٰذاایسا نہ ہوکہ تیرے دامن فضل (کی وسعتیں)میرے لئے تنگ ہو جائیں اور میرے عفو ودر گذر مجھ تک پہنچنے ہی نہ پائیں اور نہ توبہ گذار بندوں میں سب سے زیادہ ناکام ثابت ہوں اور نہ تیرے پاس امیدیں لیکر آنے والوں میں سب زیادہ ناامید ہوں، (بار الٰہا!) مجھے بخش دے ا س لئے کہ تو بخشنے والوں میں سب سے بہتر ہے[2] ۔

٤۔ ندامت وپشیمانی وترک گناہ

آپ ان دو شخصوں کے درمیان کیا فرق محسوس کریں گے ایک وہ کہ جس نے خود کو سلایا ہو اور دوسرے وہ شخص کہ جس کو خود بخود نیند آگئی ہو ؟واضح سی بات ہیکہ جس نے اپنے آپ کو جان بوجھ کر سلایا ہو جتنی بھی آواز دی جائے گی وہ ہر گز بیدا ر نہیں ہوگا لیکن وہ شخص کہ جس کو اچانک نیند آگئی ہو وہ یقیناآواز سن کر بیدا ر ہو جائےگا ، نادم شخص کی مثال بھی اس شخص جیسی ہے کہ جوخواب غفلت سے بیدار ہو گیا ہو اپنے گناہوں پر ندامت وشرمندگی بھی خواب غفلت اور معصیت سے

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٣٢.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٧١.

ایک قسم کی بیداری ہی ہے جو سبب بنتی ہیکہ انسان آئندہ کے لئے ترک گنا ہ کا مصمم ارا د ہ کر لے، خدا ، پیغمبر اسلام اور ائمہ اطہارکے فرامین پر جتنا ایما ن ویقین اوراعتقاد ہوگااتنا ہی گناہوں پر ندامت ہوگی اور ہر وقت اس کے دل میں آتش حسرت شعلہ زن رہے گی ، چنانچہ گناہ پر ندامت وحسرت کرنے کے ساتھ ساتھ ضروری ہیکہ انسان آئندہ کیلئے ترک گناہ کا پکا ارادہ کرلے کیونکہ اگر وہ ترک گناہ کا مصمم ارادہ نہ رکھتا ہو تو معلوم ہوجائیگا کہ وہ در حقیقت گناہوں پرپشیمان نہیں ہواہے جیساکہ حضرت امام سجاد بارگاہ الٰہی میں عرض کرتے ہیں:

«فَما كُلُّ ما نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْلٍ مِنّي بِسُوءِ أَثَري، وَلا نِسْيانٍ لِما سَبَقَ مِنْ ذَميمِ فِعْلي، وَلكِنْ لِتَسْمَعَ سَماؤُكَ وَمَنْ فيها، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْها، ما أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَلَجَأْتُ إِلَيْكَ فيهِ مِنَ التَّوْبَةِ، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُني لِسُوءِ مَوْقِفي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حالي، فَيَنالَني مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعائي، أَوْ شَفاعَةٍ أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفاعَتي، تَكُونُ بِها نَجاتي مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزَتي بِرِضاكَ»[1].

یہ جو کچھ میں کہہ رہا ہوں،اس لئے نہیں کہ میں اپنی بد اعمالیوں سے ناواقف اور اپنی گذشتہ بد کرداریوں کو فراموش کر چکا ہوں بلکہ اس لئے کہ تیرا آسمان اور جوا س میں رہتے سہتے ہیں اورتیری زمین اور جو اس پر آباد ہیں ، میری ندامت کو جس کا میں نے تیرے سامنے اظہار کیا ہے اور میری توبہ کو جس کے ذریعہ تجھ سے پناہ مانگی ہے سن لیں ، تاکہ تیری رحمت کی کار فرمائی کی وجہ سے کسی کو میرے حال زار پر رحم آجائے یا میری پریشان حالی پر اس کا دل پسیجے تو میرے حق میں دعاء کرے جس کی تیرے یہاں میری دعاء سے زیادہ شنوائی ہو یا کوئی

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

ایسی سفارش حاصل کر لوں جو تیرے یہاں میری درخواست سے زیادہ موثر ہو اور اس طرح تیرے غضب سے نجا ت کی دستاویزاور تیری خوشنودی کا پروانہ حاصل کر سکوں[١].

اس کے بعد فرماتے ہیں:

اے اللہ اگرتیری بارگاہ میں ندامت وپشیمانی ہی توبہ ہے تو میں پشیمان ہونے والوں میں سب سے زیادہ پشیمان ہوں،اورا گر تیری بارگاہ میں ترک معصیت ہی توبہ وانابت ہے تو میں توبہ کرنے واں میں اول درجہ پر ہوں،اور اگر طلب مغفرت گناہوں کو زائل کرنے کا سبب ہے تو مغفرت کرنے والوں میں سے ایک مَیں بھی ہوں.

حضرت امام سجاد نے اپنی اس دعاء میں حقیقی توبہ کرنے والے کی تین صفات کی طرف اشارہ کیا ہے،وہ صفات یہ ہیں :

"توبہ" "انابہ" ا وربارگاہ الٰہی میں "استغفار" ان میں سے ہر ایک صفت انسان کی اندرونی کیفیت کو بیان کررہی ہے ایک دوسرے مقام پر فرماتے ہیں:

«فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاجْعَلْ نَدامَتي عَلى ما وَقَعْتُ فيه منَ الزَّلاّت، وَعَزْمي عَلى تَرْك ما يَعْرِضُ لي منَ السَّيِّئات، تَوْبَةً تُوجبُ لي مَحَبَّتَكَ يا مُحبَّ التَوّابينَ»[٢].

تَو محمَد اور اَن کی آل پَررحمت نَازل فرما اور ان لَغزشوں سے جن سے میں دو چار ہوا ہوں، میری پشیمانی کو اور پیش آنے والی برائیوں سے دست بردار ہونے کے ارادہ کو ایسی توبہ قرار دے جو میرے لئے تیری محبت کا باعث ہو، اے توبہ کرنے والوں کو دوست رکھنے والے[٣]۔

١۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٦٦.

٢۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٣٨.

٣۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٩٤.

۵.درخواست توبہ ماہ رمضان میں

حضرت اما م زین العابدین اس دعا میں خود کوخداوند متعال کی لا محدود رحمت و نعمت کے دریائے بیکراں کے کنارے یعنی ماہ رمضان المبارک میں دیکھ رہے ہیں اور لامحدود نعمت الٰہی یعنی تو بہ کیلئے آنکھوں میں آنسوؤں کا نذرانہ لئے ہوئے اپنے دست مبارک کو معرفت کی بلند ترین چوٹی اور بلند ترین مقام توبہ تک پہنچنے کیلئے پھیلائے ہوئے ہیں حضرت امام سجاد اپنی اس درخواست سے تما م انسانوں کو یہ سبق دے رہے ہیں کہ ا س طرح کے ایام میں خصوصا ماہ رمضان المبارک میں بارگا ہ الہٰی میں توبہ کرنا چاہئے کیونکہ خداوند متعال ان ایام میں اپنے بندوں پر ایک خاص نظر رکھتا ہے چونکہ ا س ماہ مبارک کی راتوں اور دنوں میں خدا کی خاص رحمت اور برکت نازل ہوتی ہے جیسا کہ حضرت امام سجا د فرماتے ہیں:

«اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَاجْعَلْنا منْ أَرْضى مَنْ طَلَعَ عَلَيْه، وَأَزْكى مَنْ نَظَرَ إِلَيْه، وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فيه، وَوَفِّقْنا فيه للتَّوْبَة، وَاعْصِمْنا فيه منَ الْحَوْبَة، وَاحْفَظْنا فيه منْ مُباشَرَة مَعْصِيَتكَ[1] ـ

اے اللہ!محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرمااور جن جن پر یہ (چاند)ا پناپرتوڈالے ان سے بڑھ کر ہمیں خوشنود اورجوجو اسے (چاند) دیکھے ان سب سے زیادہ درست کا راور جوجو اس مہینہ (ماہ رمضان)میں تیری عبادت کرے ان سب سے زیادہ خوش نصیب قرار دے اور ہمیں اس ماہ میں توبہ کی توفیق دے اور گناہوں سے دور اور معصیت کے ارتکاب سے محفوظ رکھ[2].

---

۱ ـ صحیفہ سجادیہ دعا ۴۳.

۲ ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۳۱۷.

فصل سوم: موانع توبہ

توبہ کے بے شمار فوائدہونے اور توبہ کا دروازہ ہمیشہ کھلا رہنے کے باوجود بھی نہ جانے کتنے لوگ ایسے ہیں جوخدا کے فیض سے بہرہ مند نہیں ہوتے اور گناہ کے مرتکب ہونے کے باوجودبھی توبہ کی ضرورت محسوس نہیں کرتے صحیفہ سجادیہ کی بارہویں دعاء کی ابتدا میں حضرت امام سجاد نے گناہوں کے اعتراف کرنے کے طریقہ کو بیان کرنے کے بعدموانع توبہ کی طرف اشارہ کیا ہے :

۱۔احکام الٰہی کی مخالفت

جو باتیں ہمیں توبہ سے روکتی ہیں ان میں سب سے پہلی چیز یہ ہے کہ اگر کوئی انسان دستورات الٰہی کی اطاعت نہ کرے تو اس کی توبہ قبول نہیں ہوتی:

یحجبنی امر امرت بہ فابطات عنھم[۱]۔

پہلی چیز یہ ہیکہ جس امر کاتونے حکم دیا ہے میں نے ا س کی تعمیل میں سستی کی.

۲۔گناہوں کا ارتکاب

ونھی نھیتنی عنہ فاسرعت الیہ[۲]۔

دوسرے یہ کہ جس چیز سے تونے منع کیامیں اس کی طرف تیزی سے بڑھا.

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

۳۔نعمت الہٰی کے سلسلہ میں کوتاہی اور اسکی ناشکری

ونعمتانعمت بھا عنی بھا علیّ فقصرت فی شکرھا [۱]۔

تیسرے جو نعمتیں تو نے مجھے عطاکیں ان کا شکریہ ادا کرنے میں کوتاہی کی۔

در حقیقت یہ تینوں خصلتیں قبولیت توبہ کیلئے مانع بنتی ہیں اور ان کا اعتراف کرنے سے بارگاہ الہٰی میں امید کی لہر دوڑ جاتی ہے اس کے بعد حضرت امام سجاد فرماتے ہیں :

ویجدونی علی مسألتک تفضلک علی من اقبل بوجھہ الیک [۲]۔

اور جو بات مجھے سوال کرنے کی جرئت دلاتی ہے وہ تیرا تفضل واحسان ہے جو تیری طرف رجوع ہونے والوں اور حسن ظن کے ساتھ آنے والوں کے ہمیشہ شریک حال رہاہے [۳]۔

فصل چہارم: آداب توبہ

کسی بھی کام میں انسان کوکامیابی اس کے آداب واصول کی رعایت کرنے سے نصیب ہوتی ہے اسی لئے حضرت امام سجاد نے توبہ کے بھی چند آداب واصول بیان کئے ہیں لہٰذا جو انسان بھی قبولیت توبہ کا طلبگا ر ہے اسے ان آداب واصول کی رعایت کافی توجہ ودقت کے ساتھ کرنا پڑے گی حضرت امام سجاد کی دعاؤں اور مناجاتوں میں بھی چندآدا ب کی طرف اشارہ کیا گیاہے :

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲۔

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲۔

۳۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱۵۹۔

۱. خدا کی طرف سچی توجہ (صدق نیت سے توبہ)

«تَلَقّاكَ بِالْأنابَة، وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ» [۱].

وہ ہمہ تن تیری طرف رجوع ہوااور صدق نیت سے تیری بارگاہ میں توبہ کی.

۲. پاکیزہ دل

«فَقامَ إِلَيْكَ بِقَلْب طاهر». [۲]

اب وہ بالکل پاک وصاف دل کے ساتھ تیرے حضور کھڑاہوا.

۳. تواضع

«ثُمَّ دَعاكَ بِصَوْت حائِل خَفِيٍّ، قَدْ تَطَأْطَأَ لَكَ فَانْحَنى، وَنَكَّسَ رَأْسَهُ فَانْثَنى، قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْه» [۳].

پھر کپکپاتی آواز سے اور دبے لہجہ میں تجھے پکارا اس حالت میں کہ خشوع وتذلل کے ساتھ تیرے سامنے جھک گیا اور سر کو نیوڑھا کر تیرے آگے خمیدہ ہو گیاخوف سے اس کے دونوں پاؤں تھرتھرارہے تھے.

٤. گریہ

«وَغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْه» [٤].

اور سیل اشک اس کے رخساروں پر رواں ہے.

---

۱. صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.
۲. صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.
۳. صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.
٤. صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

۵۔گڑگڑانا

«يَدْعُوكَ بِيا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ،... وَما أَنا بِأَظْلَمِ مَنْ تابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْه.أَتُوبُ إِلَيْكَ في مَقامي هذا تَوْبَةَ نادِمٍ عَلى ما فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِق مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْه، خالِصِ الْحَياء مِمّا وَقَعَ فيه».[1]

اور تجھے اس طرح پکار رہاہے :۔اے سب رحم کرنے والوں سے زیادہ رحم کرنے والے اور جنھوں نے تیری بارگا ہ میں توبہ کی اور تو نے (توبہ کو قبول فرماکر)ان پر احسان کیا ان سے زیادہ ظالم نہیں ہوں لہٰذا میں اپنے اس موقف کو دیکھتے ہوئے تیری بارگا ہ میں توبہ کرتا ہوں،اس شخص کی سی توبہ جو اپنے پچھلے گناہوں پر نادم اور خطاؤں کے ہجوم سے خوف زدہ اور جن برائیوں کا مرتکب ہو رہا ہوان پر واقعی شرمسار ہو[2].

٦۔خداسے محبت

خداوند متعال سے محبت توبہ کا سبب بنتی ہے اور خدا بھی توبہ کرنے والوں کو دوست رکھتا ہے :

«تَوْبَةً تُوجِبُ لي مَحَبَّتَكَ يا مُحِبَّ التَوّابينَ»[3]۔

...ایسی توبہ قرار دے جو میرے لئے تیری محبت کا باعث ہو اے توبہ کرنے والوں کو دوست رکھنے والے[4]۔

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱٦۱.

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۸.

٤۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۹٤.

۷۔اندرونی انقلاب

جب انسان کے اندر انقلاب پیدا ہوجاتا ہے تو سب کو چھوڑ کروہ صرف خدا وند متعال کی طرف متوجہ رہتا ہے اور دوسروں سے امید نہیں رکھتا:

«فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إلى الأَرْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ لعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً، وَأَ بَثَّكَ مِنْ سِرِّهِ ما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خُضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ ما أَنْتَ أَحْصى لَها خُشُوعاً، وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ ما وَقَعَ بِهِ في عِلْمِكَ، وَقَبِيحِ مافَضَحَهُ في حُكْمِكَ، مِنْ ذُنُوب أَدْبَرَتْ لَذّاتُها فَذَهَبَتْ، وَأَقامَتْ تَبِعاتُها فَلَزِمَتْ»[۱] -

چنانچہ وہ عاجزانہ صورت میں تیرے سامنے آکھڑا ہو ااورفروتنی سے اپنی آنکھیں زمین میں گاڑ لیں اور تذلل وانکسار سے تیری عظمت کے آگے سر جھکا لیا اور عجز و نیاز مندی سے اپنے رازہائے درون پردہ جنھیں تو اس سے بہتر جانتا ہے تیرے آگے کھول دیئے اور عاجزی سے اپنے وہ گناہ جن کا تو اس سے زیادہ حساب رکھتا ہے ایک ایک کرکے شمار کئے اور ان بڑے گناہوں سے جو تیرے علم میں اس کیلئے مہلک اوران بد اعمالیوں سے جو تیرے فیصلہ کے مطابق اس کےلئے رسواکن ہیں، داد وفریاد کرتا ہے ، وہ گناہ کہ جن کی لذت جاتی رہی ہے اور ان کا وبال ہمیشہ کیلئے باقی رہ گیا ہے[۲].

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۶۲.

۸۔ استغفار و عذر خواہی

آداب توبہ میں سے ایک یہ بھی ہیکہ انسا ن بارگا ہ الٰہی میں اپنے عذر کو پیش کرتے ہوئے گناہوں سے بخشش کا مطالبہ کرے جسکی طرف حضرت امام سجاد نے اپنی دعاؤ ںمیں بھی اشارہ کیا ہے:

«أَسْتَقيلُكَ عَثَراتي، وَأَتَنَصَّلُ إِلَيْكَ مِنْ ذُنوبِىَ الَّتي قَدْ أَوْبَقَتْني، وَأَحاطَتْ بي فَأَهْلَكَتْني، مِنْها فَرَرْتُ إِلَيْكَ رَبِّ تائِباً فَتُبْ عَلَيَّ، مُتَعَوِّذاً فَأَعِذْني، مُسْتَجيراً فَلا تَخْذُلْني، سائِلاً فَلا تَحْرِمْني، مُعْتَصِماً فَلا تُسْلِمْني، داعِياً فَلا تَرُدَّني خائِباً»[1]۔

میں تجھ سے اپنی لغزشوں کی معافی چاہتا ہوں اور ان گناہوں سے جنھوں نے مجھے ہلاک کر دیا ہے اور مجھے اس طرح گھیر لیا ہے کہ مجھے تباہ کر دیا ہے توبہ ومعذرت کرتا ہوں میَں اے پروردگا ر !ان گناہوں سے توبہ کرتے ہوئے تیری طرف بھاگ کھڑا ہو ںتو اب میری توبہ قبول فرما !تجھ سے پنا ہ چاہتا ہوں مجھے پناہ دے ، تجھ سے امان مانگتا ہوں مجھے خوار نہ کر ، تجھ سے سوال کرتا ہوں مجھے محروم نہ کر ، تیرے دامن سے وابستہ ہوں مجھے میرے حال پر چھوڑنہ دے اور تجھ سے دعا مانگتا ہوں لہٰذا مجھے ناکام نہ پھرا [2]۔

۹۔ صلوات اور اعتراف گناہ

اگر کسی عدالت میں کوئی مجرم اپنے جرم کااقرار کرتا ہے تواس عدالت کا قاضی وحاکم فوراً اس جرم کو سننے کے بعد اس کے اعما ل کی سزا کا فیصلہ نافذ کردیتا ہے جرم کا اقرار کرتے ہی اس کی بدبختی کی

۱۔ صحیفہ سجا دیہ دعا ۵۱.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۳۹٤.

ابتدا ہوجاتی ہے لیکن جس وقت ایک گنہگا ر انسان بارگاہ الٰہی میں اپنے گناہوں کا اعتراف کرتا ہے توخداوند قہار نہ صرف یہ کہ اس کو سزا نہیں دیتا بلکہ اس کے کئے ہوئے گناہوں کو بھی در گذر کردیتا ہے اور اعتراف جرم کا تقاضا بھی یہی ہیکہ اس سے در گذر کیا جائے حضرت امام سجاد فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَالْقَني بِمَغْفِرَتكَ كَما لَقيتُكَ بِإقْراري، وَارْفَعْني عَنْ مَصارِعِ الذُّنُوبِ كَما وَضَعْتُ لَكَ نَفْسي، وَاسْتُرْني بِستْرِكَ كَما تَأَ نَّـيْتَني عَنِ الأنْتِقامِ منّي»[۱] ۔

خداوندا!محمد اوران کی آل پر رحمت نازل فرمااور اپنی مغفرت میرے شامل حال کر، جس طرح میں (اپنے گناہوں کا)اقرار کرتے ہوئے تیری طرف متوجہ ہو اہوں اور ان مقامات سے جہاں گناہوں سے مغلوب ہونا پڑتا ہے مجھے (سہارا دے کر) اوپر اٹھالے جس طرح میں نے اپنے نفس کو تیرے آگے (خاک مذلت پر)ڈال دیا ہے اور اپنے دامن رحمت سے میری پردہ پوشی فرما جس طرح مجھ سے انتقام لینے میں صبر وحلم سے کام لیا ہے[۲] .

۱۰۔ گناہان صغیرہ وکبیرہ سے اجتناب

گناہوں کی دو قسمیں ہیں :صغیرہ وکبیرہ۔ گناہ صغیرہ وہ گناہ ہے کہ جس سے منع کیاگیا ہے لیکن انجام دہی کی صورت میں گناہوں کی بخشش

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦۳.

کا امکان ہے اور گناہ کبیرہ وہ گناہ ہے کہ جس سے نہی کے علاوہ وعدہ عذاب بھی خداوند متعال کی طرف سے دیاگیا ہے [۱]۔

حضرت امام سجا د کی فر مائش کے مطابق اگرکسی انسان کو توبہ کرنے کی توفیق مل جاتی ہے تو اسے تمام گناہوں سے خو اہ صغیرہ ہوں یاکبیرہ ،پرہیز کرنا چاہئے:

«اللّٰهُمَّ إِنّي أَتُوبُ إِلَيْكَ في مَقامي هذا مِنْ كَبائِرِ ذُنُوبي وَصَغائِرِها، وَبَواطِنِ سَيِّئاتي وَظَواهِرِها، وَسَوالِفِ زَلاّتي وَحَوادِثِها، تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَة، وَلا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ في خَطيئَة». [۲]۔

اے معبود!میں اس مقام پر اپنے چھوٹے بڑے گناہوں ، پوشیدہ وآشکار ا معصیتوں اور گزشتہ وموجودہ لغزشوں سے توبہ کرتا ہوں ، اس شخص کی سی توبہ جودل میں معصیت کا خیال بھی نہ لائے اور گناہ کی طرف پلٹنے کا تصور بھی نہ کرے [۳].

۱۱.عہد وپیمان

آداب توبہ میں سے ایک یہ بھی ہیکہ انسان اپنے خالق سے عہد وپیمان کرے ، جو شخص توبہ کرتا ہے وہ درحقیقت اپنے رب سے عہد کرتا ہے کہ اب وہ کبھی گناہوں کی طرف رخ نہیں کرے گا اور خدا کی نافرمانی بھی نہ کرے گا جیسا کہ حضرت امام سجاد فرماتے ہیں :

۱۔ محمدضیاء آبادی، توبہ ص۲۱۸.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۳۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦۳.

«وَلَكَ يا رَبِّ شَرْطي أَنْ لا أَعُودَ في مَكْرُوهِكَ، وَضَماني أَنْ لا أَرْجِعَ في مَذْمُومِكَ، وَعَهْدي أَنْ أَهْجُرَ جَميعَ مَعاصيكَ»[١] ـ

اور میں تجه سے اے میرے پروردگا ر ایہ اقرار کرتا ہوں کہ تیری ناپسندیدہ باتوں‌کی طر ف رخ نہیں کروں گا اور یہ قول واقرار کرتا ہوں کہ قابل مذمت چیزوں کی طرف رجوع نہیں کروں گا اور یہ عهد کرتا ہوں کہ تیری تمام نافرمانیوں کو یکسر چھوڑ دوں گا [٢].

١٢۔ خداوند متعال سے پناہ مانگنااور توبہ نہ توڑنا(توبہ نصوح)

توبہ نصوح کے لغوی معنی:حقیقی ویقینی توبہ کہ جو کبھی ٹوٹنے نہ پائے.

اس قسم کی توبہ خداوند متعال کے نزدیک بہترین توبہ شمار کی جاتی ہے کیونکہ اس توبہ کے بعد انسان پھر گناہ ومعصیت کی طرف رخ نہیں کرتا ہے اور انسان توبہ میں کامیاب اسی وقت ہو گا جب وہ اپنے آپ کو خداوند متعا ل کی پناہ میں قرار دےگا جیسا کہ حضرت امام سجاد فرماتے ہیں :

«اللّهُمَّ أَيُّما عَبْد تابَ إِلَيْكَ وَهُوَ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فاسِخٌ لِتَوْبَته، وَعائِدٌ في ذَنْبِه وَخَطيئَته، فَإِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذلكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتي هذه تَوْبَةً لا أَحْتاجُ بَعْدَها إِلى تَوْبَة، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ ماسَلَفَ، وَالسَّلامَةَ فيما بَقِىَ»[٣] ـ

اے الله ! وہ بندہ جوتجہ سے توبہ کرے اور تیرے علم غیب میں وہ توبہ شکنی کرنے والااور گناہ ومعصیت کی طر ف دوبارہ پلٹنے والا ہو تو

---

١ ـ صحیفہ سجادیہ دعا ٣١.

٢ ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص٢٦٤.

٣ ـ صحیفہ سجادیہ دعا ٣١.

میں تجھ سے پنا ہ مانگتا ہوں کہ ا س جیسا ہوں ، میری توبہ کو ایسی توبہ قرار دے کہ اس کے بعد پھر توبہ کی احتیاج نہ رہے جس سے گذشتہ گناہ محو ہو جائیں اور زندگی کے باقی دنوں میں (گناہوں سے)سلامتی کا سامان ہوجائے[۱] .

فصل پنجم : آثار وفوائد توبہ

توبہ خداوند متعال کی ایک عظیم نعمت ہے جو اس نے اپنے بندوں کوعنایت کی ہے اس کو خداوند متعال نے ہمارے گناہوں کو معاف کرنے کا ذریعہ قرار دیاہے، آثار وفوائد توبہ کے سلسلہ میں حضرت امام سجا د کی دعاؤں میں مختلف تعبیریں بیان ہوئی ہیں جن کو مرتب کرکے آثار و فوائد توبہ کے عنوان سے پیش کیا جارہا ہے :

۱۔ سکو ن واطمینان، روحی ونفسیاتی توازن

توبہ گنا ہ کی بخشش کے ساتھ ساتھ انسان کواطمینان و سکو ن بھی فراہم کرتی ہے اور انسانی زندگی کو پہلے سے بہتر بنا دیتی ہے چونکہ گناہ بیماری روح ہے جس کی وجہ سے روح مسموم ہو جاتی ہے لیکن خداوند متعال نے اس کی دوا اور علاج توبہ کو قرار دیا ہے لہٰذاانسان کو کبھی بھی مایوس نہں ہو نا چاہئے کیونکہ ناامیدی سے انسان مضطرب وپریشان ہو نے لگتا ہے جبکہ یہی امید جو توبہ کے اثر سے ایک گنہگا ر شخص میں پیدا ہوتی ہے اسے خطرناک حالت سے نجا ت دے کر ایمان کی

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦۵.

سر سبزواديوں‌میں پہنچا دیتی ہے جیسا کہ حضرت امام سجاد ارشاد فرماتے ہیں:

«فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ، مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاصاً، قَدْ خَلا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ»[۱].

تو وہ اس حالت میں کہ تجہ سے امیدوا ربھی ہے اور شرمسار بھی ،تیری جانب متوجہ ہوا اور تجہ پر اعتمادکرتے ہوئے تیری طرف راغب ہوااور یقین واطمینان کے ساتہ اپنی خواہش وآرزو کو لیکر تیرا قصد کیا اور (دل میں) تیرا خوف لئے ہوئے خلوص کے ساتہ تیری بارگاہ کا ارادہ کیا اس حالت میں کہ تیرے علاوہ اسے کسی سے غرض نہ تھی اور تیرے سوا اسے کسی کا خوف نہ تھا[۲].

ایک دوسرے مقام پر فرماتے ہیں :

«سُبْحانَكَ لا أَيْأَسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لِي بابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، بَلْ أَقُولُ مَقالَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الظّالِمِ لِنَفْسِهِ، الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ»[۳].

تو پاک ومنزہ ہے میں تیری رحمت سے مایوس نہیں ہو اہوں‌اس لئے کہ تو نے اپنی بارگاہ کی طرف میرے لئے توبہ کا دروازہ کھول دیا ہے بلکہ میں اس بندہ ذلیل کی سی بات کہہ رہا ہوں جس نے اپنے نفس پر ظلم کیا اور اپنے پروردگار کی حرمت کا لحاظ نہ رکھا[٤].

١ـ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۲ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦۲.

۳ـ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

٤ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٦٠.

۲. محبوب خدا

توبہ کرنے والے کا مقام نگاہ پروردگا ر میں بہت بلند ہے لہٰذ اگر توبہ اپنے تمام شرائط وضوابط کے ساتھ انجا م پائے تو نہ صرف یہ کہ انسا ن کے گناہ معاف ہو جاتے ہیں بلکہ پہلے سے بھی زیادہ خدا کے نزدیک محبوب بن جاتا ہے حضرت امام سجاد فرماتے ہیں:

«فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَاجْعَلْ نَدامَتي عَلى ما وَقَعْتُ فيهِ مِنَ الزَّلاّت، وَعَزْمي عَلى تَرْكِ ما يَعْرِضُ لي مِنَ السَّيِّئات، تَوْبَةً تُوجِبُ لي مَحَبَّتَكَ يا مُحِبَّ التَوّابينَ»[۱] ۔

تو محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرمااور ان لغزشوں سے جن سے میّں دوچار ہو ا ہوں میری پشیمانی کو اور پیش آنے والی برائیوں سے دست بردار ہونے کے ارادہ کو ایسی توبہ قرار دے جو میرے لئے تیری محبت کا باعث ہو اے توبہ کرنے والوں کو دوست رکھنے والے[۲].

۳. گناہوں سے پاکیزگی

گناہ کی مثال اس خنجر کی ہے کہ جو انسان کے جسم تک رسائی کے بعد اس کی جا ن کو خطرے میں ڈال دیتا ہے اور شیطا ن کو خوشحال کرنے کے ساتھ ساتھ غضب رحمان کے اسباب فراہم کرتا ہے

درحقیقت گناہ کرنا شیطان کی اطاعت کرنااور رحمان کی عبادت سے دور ہونا شمار کیا جا تا ہے اور اسی طرح روایات میں گناہ کوروز قیامت کے عذاب کا فراہم کرنے والا بھی بتایاگیا ہے البتہ یہ بیماری (گناہ) بغیر دوا کے نہیں ہے بلکہ اس کے علاج کا راستہ بھی بتایاگیا ہے سب

---

۱ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۸.

۲ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۹٤.

سے بہترین راہ علاج یہی توبہ ہے کہ جس کے ذریعہ انسا ن تمام گناہوں سے پاک ہو جا تا ہے :

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَقِني مِنَ الْمَعاصي، وَاسْتَعْمِلْني بِالطّاعَة، وَارْزُقْني حُسْنَ الأنابَة، وَطَهِّرْني بِالتَّوْبَة، وَأَيِّدْني بِالْعِصْمَة، وَاسْتَصْلِحْني بِالْعافِيَة، وَأَذِقْني حَلاوَةَ الْمَغْفِرَة»[١] ۔

اے اللہ!محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما اور مجھے گناہوں سے محفوظ اور اطاعت میں سرگرم عمل رکھ اور مجھے حسن رجوع کی توفیق دے اور توبہ کے ذریعہ پاک کردے اور اپنی حسن نگہداشت سے نصرت فرما اور تندرستی سے میری حالت سازگار کراور مغفرت کی شیرینی سے کام ودہن کو لذت بخش[٢] .

٤۔آثار گناہ کا خاتمہ

حضرت امام سجا د کے بیانا ت کے مطابق ہر انسان اپنے گناہوں کو بارگاہ الٰہی میں توبہ کے ذریعہ ختم کر سکتا ہے لیکن یہاں پر ایک سوال یہ پیدا ہوتا ہے کہ کیا آثار گناہ بھی ختم ہو جا تے ہیں؟حضرت امام سجاد اس کے جواب میں فرماتے ہیں:

انسانوں کے انجام دئے ہوئے گناہ بہت سے برے آثار کو چھوڑ جاتے ہیں کہ جنھیں انسان بارگا ہ الٰہی میں مسلسل استغاثوں دعاؤں اورمناجاتوں کے ذریعہ ختم کر سکتا ہے [٣]۔

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ١٦.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٨٣.

٣۔ حمید فتاحی ،صحیفہ سجادیہ ہمراہ با پیام ہا پاسخگوی نیازہا،ص٤٠٧.

«فَاجْعَلْ ما سَتَرْتَ مِنَ الْعَوْرَة، وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخيلَة، واعظاً لَنا وَزاجراً عَنْ سُوء الْخُلْق وَاقْتراف الْخَطيئَة، وَسَعْياً إلى التَّوْبَة الْماحيَة، وَالطَّريق الْمَحْمُودَة، وَقَرِّب الْوَقْتَ فيه، وَلا تَسُمْنَا الْغَفْلَةَ عَنْكَ، إنّا إلَيْكَ رَاغبُونَ، وَمنَ الذُّنُوب تائبُونَ».[۱]۔

تو پھر اس پردہ داری اورعیب پوشی کو ہمارے لئے ایک نصیحت کرنے والااور بد خوئی وارتکاب گناہ سے روکنے والا اور (گناہوں کو) مٹانے والی راہ توبہ اور طریق پسندیدہ پر گامزنی کا وسیلہ قرار دے اور اس راہ پیمائی کے لمحہ (ہم سے) قریب کر اور ہمارے لئے ایسے اسباب مہیا نہ کر جو تجہ سے ہمیں غافل کردیں اس لئے کہ ہم تیری طرف رجوع کرنے اور گناہوں سے توبہ کرنے والے ہیں[۲]۔

۵حق شفاعت

آغاز دعا کہ جوشفاعت سے متعلق ہے حضرت امام سجاد ، سرکار ختمی مرتبت حضرت محمد اور ان کی خاندان پاک پر درود بھیجنے کے بعد خدا وند متعال سے اس طرح درخواست کرتے ہیں:

خدایا جس طرح تو نے پیغمبر اسلام کے ذریعہ ہماری ہدایت فرمائی ہے تو محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما ایسی رحمت جو قیامت کے دن ہماری شفاعت کرے ، لہٰذا آثار توبہ میں سے ایک یہ بھی ہے کہ تائب شخص روز قیامت شفاعت کے قابل ہوجائے گا جیسا کہ حضرت اما م سجا د فرماتے ہیں :

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳٤.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۸۱.

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله كَما هَدَيْتَنا به، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله كَما اسْتَنْقَذْتَنا به، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله صَلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ الْقيامَة وَيَوْمَ الْفاقَة إلَيْكَ، إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْء قَديرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسيرٌ».[۱] ـ

اے اللہ محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما جس طرح تو نے ان کے وسیلہ سے ہماری ہدایت فرمائی ہے ،تو محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما، جس طرح ان کے ذ ریعہ ہمیں (گمراہی کے بھنور سے)نکالا ہے ،تو محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما ،ایسی رحمت جو قیامت کے روز اور تجه سے احتیاج کے دن ہماری سفارش کرے اس لئے کہ تو ہر چیز پرقدرت رکھتاہے اور یہ امر تیرے لئے سہل وآسان ہے[۲] .

٦۔ امدا د غیبی

حضرت امام سجاد اپنی دعا کے اس فقرہ میں انسان کی عاجزی وناتوانی کو شیطانی وسوسوں کے مقابلہ میں مقایسہ کرتے ہوئے اشارہ کرتے ہیں کہ اگر غیبی امدا د اور الطاف الٰہی شامل حال نہ ہوں تو انسان ابلیس کے مکر وفریب سے نجا ت نہیں پاسکتا لہٰذا تائب شخص فقط توبہ اور اپنے ارادہ کے سہارے ہمیشہ ہمیشہ کیلئے شیطانی چنگلوں سے نجات حاصل نہیں کرسکتا ہے جب تک کہ وہ بارگا ہ الٰہی میں اپنے خوف وتضرع کا مظاہرہ نہ کرے اور گناہوں سے بچنے کی توفیق اورتوبہ کے حال پر باقی رہنے کی دعا نہ کرے :

---

۱ ـ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۲ ـ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦۷.

«اللّهُمَّ وإنَّهُ لاوَفاءَ لي بالتَّوْبَةِ إلاّ بعصْمَتِكَ، ولاَ اسْتِمْساكَ بي عَنِ الْخَطايا إلاّ عَنْ قُوَّتكَ، فَقَوِّني بِقُوَّةٍ كافِيَةٍ، وَتوَلَّني بعصْمَةٍ مانِعَةٍ»[۱].

اے اللہ !میں توبہ پر قائم نہیں رہ سکتا مگر تیری ہی نگرانی سے اور گناہوں سے باز نہیں آسکتا مگر تیری ہی قوت وتوانائی سے لہٰذا مجھے بے نیاز کرنے والی قوت سے تقویت دے اور (گناہوں سے)روکنے والی نگرانی کا ذمہ لے[۲].

۷۔ امید

انسان ایک عجیب وغریب طبیعت کا مالک ہے کہ جو بہت ہی جلد ناامید ومایوس ہو جاتا ہے اور اتنی ہی جلدی امیدوا ر بھی ہو جاتا ہے، روایات میں آیا ہے کہ سب سے بڑا گناہ خداوند متعال کی رحمت سے مایوسی اور ناامیدی ہے اور قرآن کریم نے بھی اس بات کی تائید کرتے ہوئے فرمایا ہے کہ ناامیدی کفر ہے :

﴿إنَّهُ لاَ يَيْأَسُ من رَوْحِ اللّه إلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[۳]۔

رحمت خد ا سے مایوس نہ ہونا کہ اس کی رحمت سے کافر قوم کے علاوہ کوئی مایوس نہیں ہو تا.

ہر گناہ میں اس بات کی امید ہے کہ خداوند متعال اس کو بخش دے لیکن رحمت الٰہی سے مایوسی میں اس بات کا احتمال ہرگز نہیں پایا جاتا[٤]۔

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۱.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲٦٤.

۳۔ سورہ یو سف آیت ۸۷

٤۔ حسن ممدوحی کرمانشاہی ،شہود و شناخت ص ۱۲۲و ۱۲۳.

ناامیدی باعث بنتی ہے کہ انسان زیادہ سے زیادہ گناہ ومعصیت میں غرق ہوتا چلاجائے لیکن یہ توبہ ہی ہے کہ جو انسان کو رحمت الٰہی کا امیدوار بنا تی ہے جسکے نتیجہ میں امیدوار شخص دوبارہ کوئی گناہ نہیں کرتاجیسا کہ حضرت امام سجاد فرماتے ہیں:

«سُبْحانَكَ لا أَيْأَسُ مِنْكَ وَقَدْ فَتَحْتَ لي بابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ، بَلْ أَقُولُ مَقالَ الْعَبْدِ الذَّليلِ الظّالِمِ لِنَفْسِه، الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّه»[1]۔

تو پاک ومنزہ ہے میں تیری رحمت سے مایوس نہیں ہو اہوں اس لئے کہ تو نے اپنی بارگاہ کی طرف میرے لئے توبہ کا دروازہ کھول دیا ہے بلکہ میں اس بندہ ذلیل کی سی بات کہہ رہا ہوں جس نے اپنے نفس پر ظلم کیا اور اپنے پروردگا ر کی حرمت کا لحاظ نہ رکھا [2]۔

اس کے بعد حضرت امام سجاد اسی دعا ء کے آخر میں خداوند متعال کے اوصاف و بخشش کا تذکرہ کرتے ہوئے اس کی رحمانیت کو اس طرح بیان کرتے ہیں:

«فَإِنَّكَ مَليءٌ بِالْعَفْوِ، مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَةِ، مَعْرُوفٌ بِالتَّجاوُزِ، لَيْسَ لِحاجَتي مَطْلَبٌ سِواكَ، وَلا لِذَنْبي غافِرٌ غَيْرُكَ، حاشاكَ ...آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ»[3]۔

اس لئے کہ تو معاف کردینے پر قادر ہے اور تجھ ہی سے مغفرت کی امید کی جاسکتی ہے اور تو اس صفت عفو ودر گذر میں معروف ہے اور تیرے سوا حاجت کے پیش کرنے کی کوئی جگہ نہیں ہے اور نہ تیرے علاوہ کوئی میرے گناہوں کا بخشنے والا ہے حاشا وکلاکوئی اور بخشنے

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ١٢.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص١٦٠.

٣۔ صحیفہ سجادیہ دعا ١٢.

والا نہیں ہے اور مجھے اپنے بارے میں ڈر ہے تو بس تیرا۔۔۔اس لئے کہ تو ہی اس کا سزاوار ہے کہ تجہ سے ڈرا جائے اور تو ہی اس کا اہل ہے کہ بخشش و آمرزش سے کام لے ، تو محمداور ان کی آل پر رحمت نازل فرما اور میری حاجت برلا اور میری مراد پوری کر ، میرے گنا ہ کو بخش دے اور میرے دل کو خوف سے مطمئن کر دے اس لئے کہ تو ہر چیز پر قدرت رکھتا ہے اور یہ کام تیرے لئے سہل وآسان ہے میری دعا قبول فرما اے تمام جہان کے پروردگار ! [1]۔

حسن ختام

توبہ ایک قیمتی گوہر ہے جسے خداوند متعا ل نے انسانوں کو عنایت کیا ہے اور اسے ایک وسیلہ قرار دیا ہے کہ انسان گناہ و معصیت کی وادی سے نکل کر طہارت وعبادت کے راستہ پر گامزن ہو جائے لہٰذا ہم اس قیمتی گوہر کو ہاتہ سے نہ جانے دیں توبہ کے سنہرے موقع سے فائدہ اٹھایئں اور گناہ کی حالت میں اپنے آپ کو قبر تک نہ لے جایئں یہی باب رحمت ہے، باب توبہ (رجوع الی الحق) تاریکیوں کو روشنی میں بدل دے گا اور ظلمتیں نورانیت میں تبدیل ہو جائیں گی اور آتش جہنم گل ہوجائے گی اگر ہم گناہوں کا سنگین بوجه لئے قبرمیں چلے گئے تو قبر آتش فشاں ہے اور اگر توبہ کے ساتہ گئے تو رحمت ہی رحمت ہے آئیے ہم سب مل کرخدا کی بارگاہ میں ہاتہ پھیلا کر توبہ کریں وہ ہماری توبہ کو قبول فرمائے گا، خدایا ہم نادان تھے، خواب غفلت میں سوئے تھے ،شہوت و

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۱٦۲.

غضب کی زنجیروں میں جکڑ ے ہوئے تھے شیطان کے وسوسوں کے سامنے پائے استقامت نہ جما سکے

مدتی بے حرمتی بسیا ر شد　　　این زمان از خواب دل بیدارشد

محو کن بی حر متی ہائے مرا　　　عفو کن دون ہمتی ہا ئے مرا

ای عطا از تو خطا بر ما مگیر　　　ای وفا از تو جفا بر ما مگیر

اید از ما آ نچہ آید از لئیم　　　تو بکن نیز آنچہ آید از کر یم

ترجمہ : کافی عرصہ تک میں تیر ے احکام کی خلاف ورزی کرتا رہا اب میں خواب سے بید ار ہوچکا ہوں

میری تمام لغزشوں کو بخش دے اور میری خطاؤں سے در گذر کر

اے عطا! میری خطا کو بخش دے اے وفا !میری جفا کو معاف کر

میں چونکہ لئیم اور بد بخت تھا اس لئے گناہ کرتا رہا مگر تو کریم ہے مجھ سے درگذر فرما

اے خدا! تو کریم اور اکرم الاکرمین ہے ہم سب پر خاص لطف و کرم فرما ۔

منابع و مآخذ

١۔قرآن کریم

٢۔علامہ سید ذیشان حید رجوادی،انوارالقرآن ــچاپ دوم ،قم انصاریان پبلیکشنز،١٤٢٨ھ ق.

٣۔ علامہ مفتی جعفر حسین صاحب ،ترجمہ صحیفہ سجادیہ، امامیہ پبلیکشنز، پاکستان .

٤۔حجۃالاسلام والمسلمین علی اکبر قرشی، قاموس قرآن،دارالکتب الاسلامیہ، تہران،۱۳۵۲ھ ش.
۵۔ ابن منظور ،لسان العرب،بی جا ،انتشارات حوزہ ، بی تا
٦ حجۃالاسلام والمسلمین مصطفےٰ اسرار ،د انستنی ہای صحیفہ سجادیہ،چاپ اول ، بی جا ۔محیا، پاییز ۱۳۷۵ھ ش
۷حجۃالاسلام والمسلمین حمید فتاحی ،صحیفہ سجادیہ ہمراہ با پیام ہا پاسخگوی نیا زہا،چاپ اول ،قم انتشارات میر فتاح، ۱۳۸۵ھ ش.
۸۔ حجۃالاسلام والمسلمین حسن ممدوحی کرمان شاہی ،شہود شناخت
۹۔حجۃالاسلام والمسلمین محمد ضیاء آبادی ،توبہ،چاپ اول ،تہران ، موسسہ نبا، ۱۳۷۵ھ ش.
۱۰۔ مرضیہ محمد زادہ ،حقیقت توبہ،تہران، انتشارات دفاع ، ۱۳۸۱ھ ش.
۱۱۔ حجۃالاسلام والمسلمین محمد گرمارودی ،درسہائی از تربیت انسان،چاپ دوم بی جا،مرکز نشر فرہنگی رجا ، ۱۳٦۹ھ ش



انسان کامل
صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں

❐ سيّد وقار أحمد كاظمي

خلاصہ مقالہ

انسان کامل ہمیشہ فلاسفہ اورصاحبان علم کے بحث کا محور رہا ہے،لیکن اس موضوع کی اہمیت اس وقت واضح اور روشن ہوگی جب معاشرہ ،انسان کامل کو اپنی زندگی میں آئیڈیل اور اسوہ قررا دے۔

جب امام سجاد علیہ السلام نے اس انسان کامل کاتذکرہ اپنی دعاؤں میں کیا تو اسکی خصوصیات و امتیازات کو بیان فرمایا اور اس کی اساسی اوربنیادی خصوصیات کو جب بیان کیا تو سب سے پہلے تو حید پر ایمان پھر عدل پر ایمان اس کے بعد نبوت اور وحی پر ایمان پھر امامت اور قیامت پر ایمان کا ذکر کیا ،اور فرمایا کہ انسان کامل اپنے ارادے اور تصمیمات میں خدا پر توکل کرتا ہے ، عمل خیر اوربرائیوں سے دوری کی توفیق ہر آن خداوندعالم سے طلب کرتا ہے،اپنی تمام قدرتوں اور طاقتوں کورضائے الٰہی کے حصول میں صرف کرتے ان اعمال سے حد درجہ دوری اختیار کرتا ہے جو غضب الٰہی کا باعث ہیں ۔

مقالہ کا عنوان "انسان کامل صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں "ہے

کلیدی کلمات:خدا، امام سجاد،انسان،صحیفہ سجادیہ

مقدمہ

انسان ، متضادصفات اورخصلتوں کا مجموعہ ہے جسکی وجہ سے وہ متعدد بحران اورمشکلات کا شکار ہوکر حق و باطل کے دوراہے پر کھڑا ہوتا ہے،اب اسے اختیار ہوتا ہے کہ وہ ان دو راستوں میں کسی ایک راستے کو اختیار کرے۔

انتخاب راہ حق کا نتیجہ قرب الٰہی کا حصول ہوتا ہے اور انتخاب راہ باطل اسے حیوان بلکہ اس سےبھی پست قرار دےدیتا ہے،ان سب باتوں کے باوجود ایک سوال یہ ہے کہ کیاانسان تن تنہا بغیر کسی رہنما اور رہبر کے راہ حق کو راہ باطل سے تشخیص دے سکتا ہے؟نہیں ! ہرگز نہیں ! یہیں سے انبیاء الٰہی کی ضرورت سمجھ میں آتی ہے وہ انبیاء جنہوں نے انسان کی معنوی تربیت اور اسے سرکش اور بے لگام نفس کے جال سے نجات اور رہائی کے لئے بے انتہا مشکلات اور سختیوں کا سامنا کیا تاکہ انسان اپنی حیات کو حیات طیبہ بنا دے اور کمال تک پہنچ جائےیہ اہم ذمہ داری انبیاء کے بعد کس کے ذمہ ہے؟کیا انبیاء الٰہی کے بعد انسان کو اس کی حالت پر چھوڑ دیا جائے گا ؟یایہ اہم الٰہی ذمہ داری ان کے بعد دوسرے الٰہی رہبروں کے ذمہ قرار پائے گی؟اگر جواب ہاں میں ہے تو وہ کون انسان ہیں اور ان کے اندر کون سی خصوصیت ہونی چاہئے جسکی بنا پروہ اس اہم ذمہ داری کو ادا کریں؟

یہ بات طے ہے کہ یہ انسان سازی کاالٰہی نظام انبیاء کے بعد نہ متوقف ہوا ہے اور نہ ہوگا ،بلکہ ایسے پاک اور معصوم افراد جنکا رابطہ ملکوت

سے بھی ہوتا ہے اور اس خاکی بشر سے بھی اس اہم وظیفہ کو ادا کرتے ہیں تاکہ انبیاء کے بعد انسان کی معنوی تربیت ہوسکے،غیبت امام معصوم کی صورت میں ان کی علمی اور عملی سیرت بہترین رہنما اور بہترین مشعل راہ ہے ، اس مقالہ کا عنوان "انسان کامل صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں" ہے ،ہماری توجہ اس بات کی طرف بھی ہے کہ خصوصیات انسان کامل ،انسان کامل(امام سجاد) کی زبان سے بیان ہوئے ہیں جو مجہ جیسے بے بضاعت اور لاعلم شخص کی سمجہ سے کہیں پرے ہے،بہر حال حقیر اپنی لاعلمی اور کم معرفتی کے اقرار کے ساتہ ساتہ بتوسل محمد وآل محمد بالخصوص سید الساجدین یہ سعی وکوشش کررہا ہے کہ اگر حق مطلب ادا نہ ہوسکے تو کم ازکم کچہ سطحی مطالب ہی قارئین کی نظر کردوں۔

انسان کامل اسلامی زاویہ سے اس شخص کو کہا جاتا ہے جو نہ صرف معائب ،نقائص ،اخلاقی و رفتاری آلودگیوں سے دور ہو بلکہ اس شخص کو کہا جاتا ہے جس کے اندر تمام انسانی فضائل بنحو اتم پائے جاتے ہوں ہم حضرت امام سجاد کی زبان سے انسان کامل کی اساسی و بنیادی خصوصیات کو یہاں پربیان کرنے کی کوشش کر رہے ہیں:

۱۔ توحید پر ایمان

حضرت امام سجاد ؑ کی نظر میں ایک انسان کامل کے لئے خدائے وحدہ لاشریک کے اوپر ایمان ، اس کی وحدانیت اور ہر قسم کے شرک و الحا د سے پاکیزگی کا یقین ضروری ہے اور اس راہ میں توفیق یافتہ

افراد کا فریضہ ہے کہ وہ اپنے معبود کا شکر نیز حمد و ثنا بجالائیں در حقیقت تمام دعائیں اور وہ تمام فقرات جو خدا کی حمد وستائش سے متعلق ہیں اسی انسان کامل کی خصوصیات کی تاکید کرتی ہیں مثلا امام سجاد ؑ فرماتے ہیں:

«وَالْحَمْدُ للّه عَلى ما عَرَّفَنا مِنْ نَفْسه، وَأَلْهَمَنا مِنْ شُكْرِه، وَ فَتَحَ لَنا مِنْ أَبْواب الْعِلْمِ برُبوبيَّته، وَ دَلَّنا عَلَيْهِ مِنَ الْاَخْلاصِ لَهُ في تَوْحيده، وَ جَنَّبنا مِنَ الالْحادِ وَالشَّكِّ في أَمْرِه».[١]

تما م تعریف اللہ کےلئے ہے کہ اس نے اپنی ذات کو ہمیں پہچنوایا اور حمد وشکر کا طریقہ سمجھایا اور اپنی پروردگاری پر علم و اطلاع کے دروازے ہمارے لئے کھول دئیے اور توحید میں تنزیہ و اخلاص کی طرف رہنمائی کی اور اپنے معاملہ میں شرک والحاد سے ہمیں بچایا [٢].

٢. عدل پرایمان

اصول دین مبین اسلام میں سے ایک عدل ہے کہ جس کی طرف امام سجاد نے متعدد مقامات پر اپنی دعا کے ضمن میں اشارہ فرمایا ہے اور دعا کی زبان میں یہ کو شش کی ہے کہ اس موضوع کو صحیح طریقہ سے سمجھنے کے لئے انسان کامل کے لئے ایک بہترین راستہ فراہم کرسکیں ، آنحضرت نے تمام جگہوں پر اس بات کی تاکید کی ہے کہ ساری چیزیں خداوند متعال کے ہاتھ میں ہیں اور اسی کے ارادہ سے ہیں اسی لئے آپ فرماتے ہیں:

١۔ صحیفہ سجادیہ دعا ١.

٢۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ١٠٤.

«وقَد، عَلمتُ أنْ لَيْسَ فـي حُكْمكَ ظُلْمٌ، وَلا في نَقمَتكَ عَجَلَةٌ، إنَّما يَعْجَلُ مَنْ يَخافُ الْفَوْتَ، وَيَحْتاجُ إلَى الظُّلْمِ الضَعيفُ، وَقَدْ تعالَيْتَ عَنْ ذلكَ يا سَيِّدي عُلُوّاً كَبيراً».[۱]

اور مجھے خوب علم ہے کہ تیرے فیصلہ میں نہ ظلم کا شائبہ ہو سکتا ہے اور نہ سزا دینے میں جلدی ہو تی ہے ،جلدی تو وہ کرتا ہے جسے موقع کے ہاتھ سے نکل جانے کا اندیشہ ہو اور ظلم کی اسے حاجت ہو تی ہے جو کمزور ناتواں ہو اور تو اے میرے معبود ان چیزوں سے بہت بلند و برتر ہے[۲]۔

حضرت امام سجاد عدالت الٰہی کی دلیل کو بھی ذکر کرتے ہیں اور استدلا ل فرماتے ہیں کہ چونکہ خدا ضعیف نہیں ہے لہٰذا ظلم و بے عدالتی کی ضرورت نہیں ہےاسی طرح جملہ" **يا أَعْدَلَ الْعادلينَ**[۳]" یعنی "اے عدل کرنے والوں میں سب سے زیادہ عدل کرنے والے" نیز جملہ "**وَعُقُوبَتُكَ عَدْلٌ**[٤] "یعنی" تمہارا سزا دینا بھی عدالت کی بنیاد پر ہی ہے " یا عبارت "وَلا أخْشى إلاّ عَدْلَهُ" تمام فقرات عدالت الٰہی کے اوپر دلا لت کرتے ہیں۔

۳۔ وحی و نبوت رسول اکرم کے اوپر ایمان

دوسرا مو ضوع جس کے اوپر ایک انسان کامل کو عقیدہ رکھنا لاز م

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٨.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۳۷۸.

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٥.

٤۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱۲.

ہے وہ ہے وحی،انبیاء الٰہی کی نبوت بالخصوص خداو ندمتعال کے آخری پیغمبر حضرت محمدمصطفےٰ کو ماننا۔

حضرت امام سجاد نے اسی امر کے اوپرتاکید کرنے کے مقصد سے اپنی اکثر و بیشتر دعاؤں میں فرشتہ وحی، انبیاء اور رسالت حضرت ختمی مرتبت جیسے موضوعات کو بیان کیا ہے اور اس طرح کی چیزوں کے اوپر ایمان کی ،انسانی زندگی میں بھی بہت ہی زیادہ اہمیت ہے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذينَ لايَفتُرُونَ منْ تَسْبيحكَ، وَلايَسْأَمُونَ منْ تَقْديسكَ... وَجبْريلُ الأمينُ عَلى وَحْيِكَ، الْمُطاعُ في أَهْلِ سَماواتكَ، الْمَكينُ لَدَيْكَ، الْمُقَرَّبُ عنْدَكَ».[1]

اے اللہ! درود و سلام ہوتیرے عرش کے اٹھانے والے فرشتے جو تیری تسبیح سے اکتاتے نہیں اور تیری پاکیزگی کے بیان سے تھکتے نہیں ۔نیز درود سلام ہو جبریل پر جو تیری وحی کےامانتدار اور اہل آسمان جنکے مطیع و فرماں بردار ہیں اور تیری بارگاہ میں مقام بلند اور تقرب خاص رکھتے ہیں[2] ۔

اسی طرح آنحضرت دوسری دعا ء میں بطور صریح انسانی زندگی میں نبوت کے اثرات اور اس کی اہمیت کو بیان کرتے ہیں نیز جسے بعنوان منت الٰہی ،امت اسلامی سے مخصوص ایک نعمت ذکر کرتے ہیں :

«وَالْحَمْدُ للّهِ الَّذي مَنَّ عَلَيْنا بِمُحَمَّد نَبِيِّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلهِ دُونَ الأمَمِ الْماضيَة

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۱٦.

وَالْقُرُونِ السّالِفَةِ». [۱]

تمام تعریف اس اللہ کے لئے ہے جس نے اپنے پیغمبر محمد کی بعثت سے ہم پر وہ احسان فرمایا جو نہ گزشتہ امتوں پر کیا اور نہ پہلے لوگوں پر [۲]۔

اسی طرح اسی دعا کے دوسرے حصہ میں آیا ہے کہ:

«اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَلى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ، وإِمامِ الرَّحْمَةِ، وَقائِدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتاحِ الْبَرَكَةِ». [۳]

اے اللہ! تو تو رحمت نازل فرما محمد اور ان کی آل پر جو تیری وحی کے امانت دار ،تمام مخلوقات میں تیرے برگزیدہ،تیرے بندوں میں پسندیدہ رحمت کے پیشوا، خیر وسعادت کے پیشرو اور برکت کا سر چشمہ ہیں [٤]۔

دعا کے ان دونوں فقرات سے یہ واضح ہو جاتا ہے کی حضرت امام زین العابدین نے دعا کی زبان میں رسالت پیغمبر اسلام کے مقام اور نقش کو ایک خوبصورت شکل میں بیان کیا ہے اور اس دعا کے پڑھنے والے کو نبوت کے اوپر ایمان اور اصول دین کی اس اصل کے اوپر صحیح طریقہ سے یقین رکھنے کی اہمیت سے آگاہ کیا ہے۔

اکثر وبیشتر دعاؤں کے آغاز یا ختتام پر یا درمیان میں صلوات کا وجود بھی پیغمبر خاتم کے اوپر اعتقاد و ایمان کی اہمیت پر دلیل ہے کہ جس کے بغیر انسان کامل کا وجود بے معنی ہے۔

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۱۲

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲

٤۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۱۲

٤۔ امامت پر ایمان

خدا وندمتعا ل کی مومنین سے رضایت، پیغمر خدا اور اور اولوالامر کی اطاعت پر مبنی ہے [۱] پیغمبر اسلام کا ، اسلام کی اتباع کرنے والوں کو قرآن وعترت سے متمسک ہو نے کی دعوت دینا یہ اس بات کی علامت ہے کہ ایک انسان کامل کو چاہئے کہ ائمہ اطہار کی امامت کے اوپر ایک مستحکم عقیدہ رکھے ورنہ انسان کامل کے ایمان کی بنیادی شرط نہیں پائی جائیگی حضرت امام سجاد جو خفیہ ، شدید تقیہ کے ساتہ اور ایک دشوار زمانہ میں امامت کے درجہ پر فائز تھے ،آپ نے ایک انفرادی روش سے دعا اور راز ونیاز کے ضمن میں مسئلہ امامت اور اس کے پر ایمان رکھنے کو مختلف شکلوں میں بیان فرمایا ہے او راپنے اعتقاد و یقین کو اصل امامت کے بارے میں ایک انسان کامل کے عنوان سے ذکر کیا ہے:

«رَبِّ صَلِّ عَلى أَطائبِ أَهْلِ بَيْتِه الَّذينَ اخْتَرْتَهُمْ لامْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دينِكَ، وَ خُلَفاءَكَ في أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلى عِبادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهيراً بِإرادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسيلَةَ إلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إلى جَنَّتِكَ».[۲]

پروردگارا اَن کے اہل بیت اطہار پر رحمت نازل فرما جنہیں تو نے امر(دین وشریعت) کے لئے منتخب فرمایا ، اپنے علم کا خزینہ دار اور اپنے دین کا محافظ اور زمین میں اپنا خلیفہ وجانشین اور بندوں پر اپنی حجت بنایا اور جنہیں اپنے ارادہ(ازلی) سے ہر قسم کی نجاست و آلودگی سے پاک و صاف رکھا اور جنہیں اپنے تک پہنچنے کا وسیلہ اور جنت تک آنے کا راستہ قرار دیاہے[۳]۔

۱۔ سورہ نساء آیت ٥٩.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٧.

۳۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ٣٥٥.

«اللّٰهُمَّ وَاجْعَلْني مِنْ أَهْلِ التَّوْحيدِ وَالأيمانِ بِكَ، وَالتَّصْديقِ بِرَسُولِكَ وَالائِمَّةِ الَّذينَ حَتَمْتَ طاعَتَهُمْ، مِمَّنْ يَجْري ذلِكَ بِهِ وَعَلى يَدَيْهِ، آمينَ رَبَّ الْعالَمينَ». [1]

بار الٰہا! مجھے توحید کاعقیدہ رکھنے والوں ، تجھ پر ایمان لانے والوں اور تیرے رسول اور ان ائمہ کی تصدیق کرنے والوں میں سے قرار دے جن کی اطاعت کو تو نے واجب کیا ہے ان لوگوں مین سے جن کے وسیلہ اور جن کے ہاتھوں سے (توحید ، ایمان اور تصدیق) یہ سب چیزیں جاری کرے میری دعا کو قبول فرما اے تمام جہانوں کے پروردگار! [2] ۔

۵۔ قیامت پر ایمان

ایک دینی و مذہبی انسان کی شناخت کے اعتبار سے انسانی زندگی فقط دنیاا ور مادی حیات میں محدود نہیں ہے بلکہ وہ اپنی ہدف مند اور ذمہ دار زندگی کےبعض حصہ کو اس دنیا میں طے کرتا ہے اور بعض دوسرے حصہ کو مرنے کے بعد کی زندگی میں ۔

قیامت ، حساب ، ثواب وعقاب کےاوپر مستحکم ایمان بھی انسان کامل کی ایک خصوصیت ہے کہ جسے امام سجاد نے صحیفہ سجادیہ میں مختلف شکلوں میں بیان کیا ہے اور یہ توجہ دلا ئی ہے کہ قیامت کے اوپر انسان کا راسخ عقیدہ و یقین انسان کامل کی شخصیت میں ایک اہم عنصر پیدا کر دیتا ہے:

الف) آخرت دار بقا ہے

«اللّٰهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَني بِعَفْوِكَ، وَتَغَمَّدْتَني بِفَضْلِكَ في دارِ الْفَناءِ بِحَضْرَةِ الأَكْفاءِ،

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۴۸.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۳۷۷.

فَأَجِرْني مِنْ فَضيحاتِ دارِ الْبَقاءِ».[1]

اے اللہ! جب کہ تو نے مجھے اپنے دامن عفو میں چھپا لیا ہے اور ہمسروں کے سامنے اس دار فنا میں فضل وکرم کا جامہ پہنایا ہے تو دار بقا کی رسوائیوں سے بھی پناہ دے[2]۔

ب) قیامت انسانوں کی ایک دوسرے سے ملاقات کا دن ہے

«وَكانَتِ الْقُبورُ هِيَ الْمَأْوى إِلى ميقاتِ يَوْمِ التَّلاقِ».[3]

(پروردگا اس طرح مجھ سے سلوک کرنا)جس دن (روز قیامت کہ جانیں بدن سے،ا ہل آسمان اہل زمین سے،ظالم مظلوموں سے ملاقات کریں) کہ قبریں روز حشر کی ساعت تک آرامگاہ قرار پائیں[4]۔

ج) روز قیامت ، روز مواخذہ ،حشر رسوائی، حسرت وپشیمانی ہے

حضرت امام سجاد کی ایک درخواست قیامت میں گناہوں کی وجہ سے رسوا نہ ہونا ہے کہ جسے آپ مختلف دعاؤں میں بارگاہ الٰہی میں عرض کرتے ہیں:

«وَلا تَفْضَحْنا في حاضِرِ الْقِيامَةِ بِمُوبِقاتِ آثامِنا». [5]

اور حشر کے عام اجتماع کے سامنے ہمارے مہلک گناہوں کی وجہ سے ہمیں رسوا نہ کرنا[6]۔

---

۱ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۲.
۲ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۲۷۲.
۳ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤۲.
٤ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۳۱۰.
۵ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤۲.
٦ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۳۱۱.

«وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وَجوهُ الظَّلَمَةِ في يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدامَةِ».[۱]

اور جب کہ حسرت وندامت کے دن ظالموں کے چہرے سیاہ ہونگے ہمارے چہروں کو نورانی کرنا[۲]۔

اخلاقی اور عملی خصوصیات

ایمان ا ورعمل قرآن و دینی

پیشواؤں کی نظر میں اس قدر اہم ہیں کہ شدید تاکید اور زیادہ تصریح کے علاوہ یہ دونوں اکثر وبیشتر آیات و روایات میں ایک ساتھ ذکر ہو ئے ہیں اسی وجہ سے انسان کامل صرف ایمانی زاویہ سے ہی نہیں بلکہ شائستہ اخلاق اور پسندیدہ رفتار کے اعتبار سے بھی دوسروں سے زیادہ کامل ہے، ہم یہاں پر بطور اختصار انسان کامل کی اخلاقی اور عملی خصوصیات کو صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں بیان کر رہے ہیں :

۱.عبودیت و بندگی خدا

توحید خالص دو چیزوں کے مجموعہ کا نام ہے:اول : وحدانیت خدا پر اس کی ذات و صفات و افعال میں قلبی ایمان ، دوم: کہ جس کا نتیجہ ایمان ہے یعنی اس کی عملی طور پر بندگی کرنااور اسی حقیقت کو صحیفہ سجادیہ میں متعدد جگہوں پر مشاہدہ کیا جاسکتا ہےکہ جس کی آنحضرت□ نے متعدد مقامات پر کامل تصریح بھی کی ہے:

«فَإِنّي عَبْدُكَ، وَفي قَبْضَتِكَ، ناصِيَتي بِيَدِكَ. لا أَمْرَ لي مَعَ أَمْرِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضاؤُكَ، وَلا قُوَّةَ لي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطانِكَ، وَلا أَسْتَطيعُ مُجاوَزَةَ

۱ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٢.

۲ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۳۱۱.

قُدْرَتكَ، وَلا أَسْتَميلُ هَواكَ، وَلا أَبْلُغُ رِضاك، وَلا أَنالُ ما عِنْدَكَ إِلاّ بِطاعَتِكَ وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ».[١]

کیونکہ میں تیرا بندہ اور تیرے قبضہ قدرت میں ہوں اورتیرے ہی ہاتھ میں میری باگ ڈور ہے تیرے حکم کے آگے میرا حکم نہیں چل سکتا میرے بارے میں تیرا فرمان جاری اور میرے حق میں تیرا فیصلہ عدل وانصاف پر مبنی ہے تیرے قلمرو سلطنت سے نکل جانے کا مجھے یارا نہیں اور تیرے احاطہ قدرت سے قدم باہر رکھنے کی طاقت نہیں اور نہ تیری محبت کو حاصل کر سکتا ہوں نہ تیری رضامندی تک پہنچ سکتا ہوں اور نہ تیرے یہاں کی نعمتیں پاسکتا ہوں مگر تیری اطاعت اور تیری رحمت فراواں کے وسیلہ سے[٢]۔

٢۔ دیدار الٰہی کا شوق

اس وجہ سے کہ انسان فطرتا کمال کا خواہاں ہے لہٰذا اسے لقائے الٰہی، فنا فی اللہ اور خوشنودی خدا کے حصول کے علاوہ واقعی رضایت حاصل نہیں کرسکتااسی وجہ سے وہ ہمیشہ اپنی آرزؤں تک پہنچنے کے بعد بھی ضرورت وعدم رضایت کا احساس کرتا رہتا ہے حضرت امام سجاد نے اسی موضوع کو اپنی دعاؤں میں مختلف طریقوں سے بیان کیا ہے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

«خابَ الْوافِدُونَ عَلى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضونَ إِلاّ لَكَ، وَضاعَ الْمُلِمُّونَ إِلاّ بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلاّ مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ».[٣]

---

١ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٢١۔

٢ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص٢٢١۔

٣ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٦۔

جنہوں نے تیرے غیرکا رخ کیا وہ ناکام ہوئے ، جنہوں نے تیرے سوا دوسروں سے طلب کیا وہ نقصان میں رہے ، جنہوں نے تیرے سوا دوسروں کے یہاں منزل کی وہ تباہ ہوئے، جو تیرے فضل کےبجائے دوسروں سے رزق و نعمت کے طلبگار ہو ئے وہ قحط و مصیبت سے دوچار ہو ئے[۱]۔

«وَسَهِّلْ إِلى بُلوُغِ رِضاكَ سُبُلي، وَحَسِّنْ في جَميعِ أَحْوالي عَمَلي».[۲]

اور اپنی خوشنودی تک پہنچنے کے لئے میری راہ کو آسان کر اور ہر حالت میں میرے عمل کو بہتر بنا[۳]۔

۳. خداسے دوستی

خدا وند متعال سے دوستی اور اس کے دوست و اولیاء کے زمرہ میں شامل ہو نا بھی انسان کی ایک خصوصیت ہے کہ جس کی طرف حضرت امام سجاد نے اپنی دعا ؤں میں متعدد بار اشارہ کیا ہے:

بار الٰہا ! مجھے اپنے دوستوں میں سے قرار دے کہ تیرے دوست (دونوں جہان میں) کسی بھی طرح کا خوف ،غم دل میں نہیں رکھتے[٤]۔

حضرت امام سجاد چوالیسویں خداو ندمتعال کو ماہ مبارک رمضان اور اس میں عبادت کرنے والوں کے حق کی قسم دیتے ہیں کہ مجھے بھی اپنے دوستوں کی فہرست میں ہو نے کی صلاحیت قرار دے جو اس بات کی علامت ہے کہ دوستان و اولیاء الٰہی کا ایک عظیم درجہ ہے اور خداوند

---

۱ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۳٤٥.
۲ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲۰.
۳ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۲۰۳.
٤ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۱.

متعال نےا ن کے لئے ایک خاص کرامت و منزلت نظر میں رکھی ہے۔

٤. خدا کیلئے تولیٰ و تبرا

حضرت امام زین العابدین کو نہ تو آ پ کے پدر امام حسین ؑ کی طرح فرصت فراہم ہو سکی کہ دشمنوں کے مقابلہ میں کھل کر دین کا دفاع کر سکیں اور نہ ہی آپ کے پوتے حضرت امام صادق کی طرح مناسب مواقع ملے کہ بطور آشکار تعلیم اسلام کو نشر کر سکیں لذا آپ نے دعا کے لباس میں اپنے وظیفہ و خدمت کو انجام دیا اور اس اصل یعنی تولیٰ و تبرا کہ جس میں سیاسی و اجتماعی پہلو بھی پائے جاتے ہیں ، راز و نیاز کے الفاظ میں بیان کیا جو اس بات کی علامت ہے محبت و نفرت کہ جو خدا محور ہیں ایک انسان مومن وکامل کی امتیازی صفات میں سے ہیں جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِكَ لَهُ، وَبَعْدَ خَلْقِكَ إِيّاهُ...وَأَرْشَدْتَهُ لِمُوالاة أَوْلِيائكَ، وَمُعاداة أَعْدائكَ».[1]

اے اللہ! میں تیرا وہ بندہ ہوں جس پر تو نے اس کی خلقت سے پہلے اور خلقت کے بعد انعام و احسان فرمایاہے---اور اپنے دوستوں کی دوستی اور دشمنوں کی دشمنی کی ہدایت فرمائی ہے[2]۔

«وَوَفِّقْنا فيه لانْ نَصِلَ أَرْحامَنا بِالْبِرِّ وَالصِّلَة... وَأَنْ نُسالِمَ مَنْ عادانا، حاشا مَنْ عُودِيَ فيكَ وَلَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذي لا نُواليه، وَالْحِزْبُ الَّذي لانُصافيه».[3]

---

١ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٧.

٢ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص٣٥٨.

٣ ۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤٤.

اور ہمیں اس ماہ میں توفیق دے کہ نیکی و احسان کے ذریعہ عزیزوں کے ساتھ صلہ رحمی کریں -----اور جو ہم سے دشمنی کرے اس سے صلح و صفائی کریں سوائے اس کے جس سے تیرے لئے اور تیری خاطر دشمنی کی گئی ہو کیونکہ وہ ایسا دشمن ہے جسے ہم دوست نہیں رکھ سکتے اور ایسے گروہ کا (فرد) ہے جس سے ہم صاف نہیں ہو سکتے[۱]۔

۵۔ دنیا و آخرت کی آبادی

حضرت امام زین العابدین کے عقیدہ کے مطابق انسان کامل دنیا کے ساتھ اپنی آخرت کو بھی قانونمند اور سالم شکل میں آباد کرنے کی کوشش کرتا ہےا سی وجہ سے آپ فرماتے ہیں :

جو شخص اپنی دنیا کو آخرت کی وجہ سے یا اپنی آخرت کو اپنی دنیا کے سبب ترک کردے وہ ہم سے نہیں ہے[۲]۔

آنحضرت نے اسی خصوصیت کو صحیفہ سجادیہ کی متعدددعاؤں میں بیان کیا ہے:

«وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فيهِ مِنْ فَضْلِه، وَلِيَتَسَبَّبُوا إلى رِزْقِه، وَيَسْرَحُوا في أَرْضِه، طَلَباً لِما فيهِ نَيْلُ الْعاجِلِ مِنْ دُنْياهُمْ، وَدَرَكُ الآجِلِ في أُخْراهُمْ، بِكُلِّ ذلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، وَيَبْلُو أَخْبارَهُمْ»[۳]

اور دن کو ان کے لئے روشن و درخشاں پیدا کیا تاکہ اس میں (کار وکسب میں سرگرم عمل ہو کر) اس کے فضل کی جستجو کریں اور روزی

---

۱ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۳۲۷.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳.

۳۔صحیفہ سجادیہ دعا ٦.

کا وسیلہ ڈھونڈیں اور دنیاوی منافع اور اخروی فوائد کے وسائل تلاش کرنے کے لئے اس کی زمین پر چلیں پھریں ان تمام کارفرمائیوں سے وہ ان کے حالات سنوارتا اور ان کے اعمال کی جانچ کرتا ہے[۱]۔

٦. عزت انسانی کی حفاظت

خودشناخت اور اس چیز کی طرف متوجہ ہو نا کہ انسان ایک بلند و برتر موجود کا نام ہے[۲] اورخود ایک قیمتی گراں بہا گوہر ہے گویا اس کو حب ذات کی بنا پر عزت و کرامت کی محافظت کی دعوت دی جارہی ہے

حضرت مام سجاد جو خود مکتب قرآن و نہج البلاغہ کے معلم ہیں ،جنہوں نے دعا کی زبان میں لوگوں کو بتا یا ہے کہ ایک انسان کامل ہمیشہ اس بات کا خیال رکھتا ہے کہ اس کے قیمتی اور باارزش گوہر(کرامت و عزت) کے اوپر کوئی خدشہ وارد نہ کرے اور اس کو کسی بھی قیمت پر مادیت کے بازا رمیں فروخت نہ کرے:

«فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَ امْنَعْنا بِعِزِّكَ مِنْ عِبادِكَ، وَأَغْنِنا عَنْ غَيْرِكَ بِإِرْفادِكَ، وَاسْلُكْ بِنا سَبيلَ الْحَقِّ بِإِرْشادِكَ».[۳]

رحمت نازل فرما محمد اور ان کی آل پر اور اپنے غلبہ و قوت کے ذریعہ بندوں (کے شر) سے ہمیں بچائے رکھ اور اپنی عطا و بخشش کے ذریعہ دوسروں سے بے نیاز کردے[٤]۔

«صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَكَرِّمْنا عَلَيْكَ. وَيا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الاَخْبارِ، صَلِّ

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۳۱.

۲۔ سورہ اسرا ء آیت ۷۰.

۳۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ دعا ٥.

٤۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۲۹.

عَلى مُحَمَّد وَآله وَلا تَفْضَحْنا لَدَيْكَ. اللّهُمَّ أَغْننا عَنْ هِبَة الْوَهّابينَ بهِبَتك».[1]
رحمت ناز ل فرما محمد اور ان کی آل پر اور ہمیں اپنے یہاں عزت عطا فرما اے وہ جس کے سامنے رازہائے سربستہ ظاہر ہیں رحمت نازل فرما محمد اور ان کی آل پر اور ہمیں اپنے سامنے رسوا نہ کر بار الٰہا! ہمیں اپنی بخشش و عطا کی بدولت بخشش کرنے والوں کی بخشش سے بے نیاز کردے[2]۔

ایک دوسرے مقام پر ہے کہ آپ نے فرمایا:

" **وَأعزَّني بعِزِّكَ الَّذي لايُضامُ**"[3] اور اپنی اس عزت کے وسیلہ سے جسے مغلوب نہیں کیا جاسکتا مجھے عزت و بزرگی دے۔

۷. اجتماعی ذمہ داری کا احساس

صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں انسان کامل فقط اپنے لئے زندگی نہیں گزارتا بلکہ اسے اپنے معاشرہ کے بارے میں بھی ذمہ داری کا احساس رہتاہےاور جیسا کہ خود قرآن کریم نے امت پیغمبر اکرم □کی برتری کا معیار ،لوگوں کے درمیان امر بالمعروف اور نہی عن المنکر کے رواج کو بتایا ہے حضرت امام سجاد نے خود متعدد مقامات پر اپنی دعا کے ضمن میں اس موضوع کی اہمیت پر بہت زیادہ تاکید فرمائی ہے:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَوَفِّقْنا في يَوْمنا هذا، وَلَيْلَتنا هذه، وَفي جَميعِ أَيّامنا لاسْتِعْمالِ الْخَيْرِ، وَهِجْرانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النِّعَمِ، وَاتِّباعِ السُّنَنِ، وَمُجانَبَةِ الْبِدَعِ، وَالأَمْرِ

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۵.
۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۲۸ .
۳. دعا ء روز یکشنبہ (ملحقات صحیفہ سجادیہ).

بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَحِياطَةِ الأَسْلامِ، وَانْتِقاصِ الْباطِلِ وَإِذْلالِهِ، وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِعْزازِهِ، وَإِرْشادِ الضّالِّ، وَمُعاوَنَةِ الضَّعِيفِ، وَإِدْراكِ اللَّهِيفِ»۔[1]

اے اللہ ! تو محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرمااور ہمیں آج کے دن ، آج کی رات اور زندگی کے تمام دنوں میں توفیق عطا فرما کہ ہم نیکیوں پر عمل کریں ، برائیوں کو چھوڑیں، نعمتوں پر شکراور سنتوں (واجبات و مستحبات) پر عمل کریں ،بدعتوں سے الگ تھلگ رہیں اور نیک کاموں(واجب و مستحب) کا حکم دیں ، برے کاموں(حرام و مکروہ) سے روکیں ،اسلام کی حمایت و طرف داری کریں ،باطل کو کچلیں اور اسے ذلیل کریں ،حق کی نصرت کریں اور اسے سربلند کریں گمراہوں کی رہنمائی ، کمزوروں کی اعانت اور دردمندوں کی چارہ جوئی کریں[2]۔

حضرت امام سجاد لوگوں کے ساتھ اپنی ذمہ داری کو پورا کرنے کے سلسہ میں خداوند متعال سے عرض کرتے ہیں کہ مجھے خیر و نیکی کی ہدایت کے رہنماؤں میں سے قرا ر دے[3] اور حسن ارشاداور دوسروں کو نیک رہنمائی کرنے کی نعمت عطا فرما[4]۔

٨۔ حق پرستی

حق کی رعایت اور اس کی حمایت کرنا بھی صحیفہ سجادیہ کی نظر سے انسان کامل کی ایک خصوصیت ہے کہ جس کی طرف حضرت امام سجاد نے اپنی عارفانہ اور عاشقانہ دعاؤں میں لوگوں کو متوجہ کیا ہے:

١۔ صحیفہ سجاد یہ دعا ٦.

٢ ۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص١٣٣.

٣۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٢٠ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین٢٠١.

٤۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٢٠ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص٢٠٢.

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِه، وَوَفِّقْنا في يَوْمِنا هذا، وَلَيْلَتِنا هذِه، وَفي جَميعِ أَيّامِنا... وَإِدْراكِ اللَّهيفِ».[۱]

اے اللہ ! تو محمد اور ان کی آل□ پر رحمت ناز ل فرمااور ہمیں آج کے دن ، آج کی رات اور زندگی کے تمام دنوں میں توفیق عطا فرما کہ ہم نیکیوں پر عمل کریں ، برائیوں کو چھوڑیں، نعمتوں پر شکراور سنتوں (واجبات و مستحبات) پر عمل کریں ،بدعتوں سے الگ تھلگ رہیں اور نیک کاموں (واجب و مستحب) کا حکم دیں ، برے کاموں (حرام و مکروہ) سے روکیں ،اسلام کی حمایت و طرف داری کریں ،باطل کو کچلیں اور اسے ذلیل کریں ،حق کی نصرت کریں اور اسے سربلند کریں گمراہوں کی رہنمائی ، کمزوروں کی اعانت اور دردمندوں کی چارہ جوئی کریں[۲]۔

دعا کے اس فقرہ میں آنحضرت نے دین حق کی نصرت اور باطل سے مقابلہ کرنے کی اہمیت کو بیان کرنے کے علاوہ یہ بھی اعلان کیا ہے کہ یہ خصوصیت وقتی نہیں ہے بلکہ ایک دائمی و ظیفہ اور اسلامی فرہنگ کا جزء ہے:

خدایا! محمد اور ان کی آل پر رحمت ناز ل فرما اور مجھ کو صالحین اور نیک بندوں کی زینت سے آراستہ فرما اور مجھ کو پرہیزگاروں کا زیور پہنادے عدل وانصاف اور حق گوئی کے ساتھ اگر چہ میرے لئے سخت ہو[۳]۔

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٦.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص۱۳۳.

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲۰.

۹. ظلم سے مقابلہ

صحیفہ سجایہ کی نگاہ میں انسان کامل کی ایک خصوصیت یہ بھی ہے کہ اسے ظلم سے مقابلہ کرنے والا ہونا چاہئےکہ جو نہ تو خود ظلم کرتا ہے اور ظلم کو قبول کرتا ہے[۱] کیونکہ قرآن کے ارشاد کے مطابق ظلم اور ظالم سے رغبت کا نتیجہ ،آتش جہنم اور اخروی عذاب ہےکہ جسے آنحضرت نے متعدد بار خداوند متعال سے یہ عرض کیا ہے کہ نہ تو انہیں کسی پر ظلم کرنے کی فرصت ملے اور نہ کوئی ظلم کرے جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَلا أُظْلَمَنَّ وَأَنتَ مُطيقٌ لِلدَّفْعِ عَنّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنتَ الْقادِرُ عَلى الْقَبْضِ مِنّي».[۲]

اے اللہ! محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرمااور مجھ پر ظلم نہ ہونے پائے جب کہ تو اس کے دفع کرنے پر قادر ہےاور کسی پر ظلم نہ کروں جب کہ تو مجھے ظلم سے روک دینے کی طاقت رکھتا ہے[۳]۔

ایک دوسرے مقام پر عرض کرتے ہیں کہ مجھے ظالموں کا پشت پناہ نہ بنا اور نہ (احکام) کتاب کے محو کرنے پر ان کا ناصر و مددگار قرار دے:

«وَلا تَجْعَلْني لِلظّالِمينَ ظَهيراً، وَلا لَهُمْ عَلى مَحْوِ كِتابِكَ يَداً وَنَصيراً»..[٤]

۱۔ سورہ بقرہ آیت ۲۷۹.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲۰.

۳۔صحیفہ سجادیہ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین ص۲۰۰.

٤۔ صحیفہ سجادیہ دعا ٤۷ ترجمہ علامہ مفتی جعفر حسین۳٦۹.

اسی طرح ایک اور جگہ بارگاہ احدیت میں عذر خواہی کرتے ہو ئے دست دعا بلند کرتے ہیں اور فرماتے ہیں:

«اللّٰهُمَّ إنّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ منْ مَظْلُوم ظُلِمَ بحَضْرَتي فَلَمْ أَنْصُرْهُ».[۱]

بار الہا!میں اس مظلوم کی نسبت جس پر میرے سامنے ظلم کیا گیا ہو اور میں نے اس کی مدد نہ کی ہو ، تجھ سے عذر خواہ ہو ں[۲]۔

۱۰۔ شکر گذاری

صحیفہ سجادیہ کی رو سے انسان کامل کی ایک خصوصیت یہ بھی ہے کہ وہ شکر الٰہی بجالائے نیز اس کی نعمتوں کی قدر کرے مجموعی طور پر دعاؤں سے یہ بات سامنے آتی ہے کہ نعمت خدا پر شکر کی ادائیگی ایک سنگین وظیفہ ہے کہ جس سے انسان کامل کبھی غافل نہیں ہو سکتا

حضرت امام سجاد نے شکر کی ادائیگی کی اہمیت کو بیان کرتے ہو ئے یہاں تک فرمایا ہے کہ شکر ادا نہ کرنے والا جانو ر بلکہ اس سے بھی پست تر ہے کیونکہ کفران نعمت اور اس کی نعمتوں کی قدر نہ کرنا غیر عاقل کی علامت ہے

آنحضرت نیک افراد کا شکر ادا نہ کرنے کی بناپر خدا وندمتعال سے پناہ طلب کرتے ہیں اور معذرت خواہ ہیں جو اس بات کی علامت ہے دوسروں کی نیکیوں کی قدر دانی اور شکر بجالانے کی بہت ہی اہمیت ہے:

«اللّٰهُمَّ إنّي أَعُوذُ بكَ منْ هَيَجانِ الْحِرْصِ... وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعارِفَةَ عِنْدَنا».[۳]

۱۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۳۸.

۲۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۲۹۳.

۳۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۸.

اے اللہ! میں تجھ سے پناہ مانگتا ہوں حرص کی طغیانی و-----اور جو ہم سے بھلائی کرے اس کی ناشکری سے[١]۔

«اللّهُمَّ إنّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ مَعْرُوف أُسْدِيَ إلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ»[٢]

بار الٰہا! میں اس نیکی کی نسبت جو میرے ساتھ کی گئ ہو اور میں نے اس کا شکر ادا نہ کیا ہو عذر خواہ ہوں[٣]۔

١١. تواضع

صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں انسان کامل کی ایک واضح خصوصیت تکبر سے دوری اختیار کرنا اور بندگان الٰہی کےساتھ تواضع کے ساتھ پیش آنا ہےحضرت امام سجاد نے اس خصوصیت کو مختلف طریقوں سے دعا کی زبان میں بیان کیا ہے کبھی خدا وند متعال سے یہ دعا مانگتے ہیں کہ کہیں ایسا نہ ہو کہ یہ مال و ثروت مجھے تکبر ، سرکشی ، نافرمانی اور ظلم پر مجبور کردے ، کبھی فقراء کے ساتھ ہم نشینی کے سلسلہ میں خداوند متعال سے تواضع کا مطالبہ کرتے ہیں تو کبھی ہمسایوں کے ساتھ توضع کے ساتھ پیش آنے کی درخواست کرتے ہیں:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَتَوَلَّني في جيراني»[٤].

اے اللہ محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرما اور میری اس سلسلہ میں بہترین نصرت فرما کہ میں اپنے ہمسایوں کے ساتھ تواضع و نرمی

١- صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ١٤١.

٢صحیفہ سجادیہ دعا ٣٨.

٣- صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ٢٩٣.

٤- صحیفہ سجادیہ دعا ٢٦.

سے پیش آؤں[۱]۔

حضرت امام سجاد کی خدا وندمتعال سے درخواست ہے کہ ہمیں تکبر میں گرفتار نہ کرے نیز عبادتوں کو غرور و تکبر کی وجہ سے باطل نہ کرے جو اس بات کی تائید ہے کہ انسان کامل امام سجاد کی نظر میں تکبر اور خود کو دوسروں سے بلند وبرتر سمجھنے سے پر ہیز کرے نیز تواضع کو دوست رکھے

اس کے علاوہ آنحضرت تواضع ، غرور و تکبر سے دوری کونہ صرف دوسروں کے سامنے ایک مناسب رفتار سمجھتے ہیں بلکہ ایک اندرونی کیفیت کانام بتاتے ہیں جیسا کہ آپ فرماتے ہیں:

«اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآله، وَلا تَرْفَعْني فِي النّاسِ دَرَجَةً إلاّ حَطَطْتَني عِنْدَ نَفْسي مِثْلَها، وَلا تُحْدِثْ لي عِزّاً ظاهِراً إلاّ أَحْدَثْتَ لي ذِلَّةً باطِنَةً عِنْدَ نَفْسي بِقَدَرِها».[۲]

بار الٰہا ! محمد اور ان کی آل پر رحمت نازل فرمااور لوگوں میں میرا درجہ جتنا بلند کرے اتنا ہی مجھے خود اپنی نظروں میں پست کردے اور جتنی ظاہری عزت مجھے دے اتنا ہی میرے نفس میں باطنی وقعت کا احساس پیدا کردے[۳]۔

نتیجہ

انسان کامل کا وجود ایک ایسی حقیقت ہے کہ جس کا انکار ناممکن ہے ،پیغمبر اکرم (ص) اور آپ کے اہلبیت اطہار ہی تنہا انسان کامل کے

۱۔ صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۲٤۳.

۲۔ صحیفہ سجادیہ دعا ۲۰.

۳۔صحیفہ سجادیہ ترجمہ علا مہ مفتی جعفر حسین ص ۱۹۷.

مصداق ہیں ،جنکی عملی اور علمی سیرت ہمارے لئے مشعل ہدایت ہے اور صرف ان کا نور ہی ہمیں مختلف رونما ہونے والے حادثوں سے بچا سکتا ہے۔

اسلامی معاشرے کا حقیقی کمال،فقط اور فقط انسان کامل کی معرفت کی صورت میں ہی ممکن ہے،اگر انسان کامل کی معرفت حاصل نہ ہوسکے تو انسان گمراہیوں کے دلدل میں پھنس جائے گا جس کا نتیجہ مختلف باطل مذہب کا وجود اور معاشرے میں متعدد بدعتوں کے رواج کی شکل میں ظاہر ہوگا،صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں اس انسان کامل کی پہچان اور اس کی بنیادی خصوصیات: توحید،نبوت،عدالت ، وحی ،امامت اور قیامت پرایمان ہے اور اخلاقی خصوصیات صحیفہ سجادیہ کی روشنی میں چند امور بیان ہوئے ہیں جیسے:بندگی خدا، دیدار الٰہی کا شوق، خداسے دوستی، خدا کیلئے تولیٰ و تبرا، دنیا و آخرت کی آبادی، عزت انسانی کی حفاظت، اجتماعی ذمہ داری کا احساس، حق پرستی، ظلم سے مقابلہ، شکر گذاری اور تواضع کہ جسکا نتیجہ یہ ہے کہ معاشرہ انسان کامل کی پیروی کرے اوران کے صفات و خصوصیات کو اپنے وجود میں پیدا کرنےکی پیہم کوشش کرتا رہےجس کی بناء پر معاشرہ ظلم و ستم سے دور ہوگا اورعدل وانصاف اور اچھائیوں کی طرف گامزن ہوگا۔

آخر میں خداوند متعال سے دعا گو ہیں خدا یا! ہمیں انسان کامل کی حقیقی معرفت عطا کر اور ہمیں ان کی سیرت پر چلنے کی توفیق عطا فرما!(آمین)

حوالہ جات

۱۔ قرآن کریم۔
۲۔ صحیفہ سجادیہ: ترجمہ و شرح علا مہ مفتی جعفر حسین ، امامیہ پبلیکشنز پاکستان۔
۳۔ ریاض العابدین، بدیع الزمان قہپائی،سازمان چاپ و انتشارات وزارت فرہنگ و ارشاد اسلامی۔
٤۔الحیاۃ: محمد رضا حکیمی،دفتر نشر فرہنگ اسلامی، تہران ١٤٠٦ ھ ق۔
۵۔ اخلا ق اسلامی: دیلمی آذر بائجانی، نشر معارف ،قم ۱۳۸۰ھ ش۔
٦۔این است آیین ما: کاشف الغطاء ترجمہ: مکارم شیرازی ، مطبوعاتی ہدف، قم ١٣٧٤ ھ ش۔
۷۔ مجموعہ آثار، سیری در سیرہ ائمہ اطہار: مرتضیٰ مطہری، انتشارات صدرا ، تہران ١٣٧٦ھ ش۔
۸۔ سرشت انسان: علی شیروانی ،انتشارات معارف،قم ١٣٧٦ ھ ش۔
۹۔ ریاض السالکین، سید علی خان، موسسہ نشر اسلامی، تہزان۔

